يطبع لأول مرة محققاً

إتحاف السادة المتقين

للسيد الإمام

محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني الزبيدي

بشرح



لحجة الإسلام الإمام

محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي

تحقيق

أشرف محمد أحمد



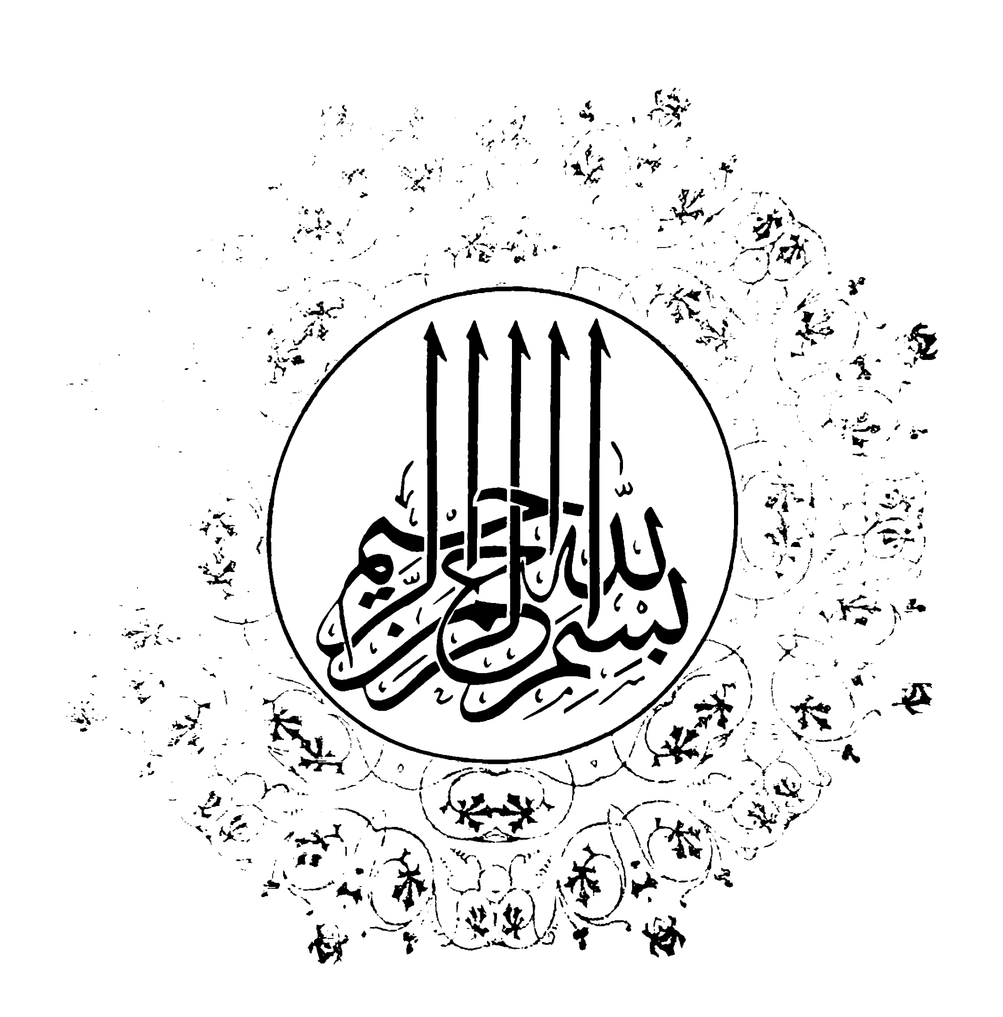
راجعه ودققه

عثمان أيوب البوريني

محمد سميح الشيخ حسين

2024

المجلد الثاني وفيه كتاب العلم إلى نهاية الباب الثالث


بسم الله الرحمن الرحیم

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب:

❀ **الباب الأول:**

- في فضل العلم والتعليم والتعلُّم.

❀ **الباب الثاني:**

- في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم.
- وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين.
- وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا.

❀ **الباب الثالث:** فيما تعدُّه العامة من علوم الدين وليس منها.

- وفيه بيان جنس العلم المذموم وقَدْره.

❀ **الباب الرابع:**

- في آفات المناظرة.
- وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل.

❀ **الباب الخامس:** في آداب المعلِّم والمتعلِّم.

❀ **الباب السادس:**

- في آفات العلم والعلماء.
- والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة.

❀ **الباب السابع:**

- في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار.

ومناسبة هذه الأبواب لمَن تأمَّلها بفِكره الثاقب ظاهرةٌ، فقدَّم بيان فضل العلم والتعلُّم والتعليم اهتمامًا بشأنه، ثم بيَّن في الباب الثاني ما يُفرَض من ذلك علىٰ العين وعلىٰ الكفاية، وبيَّن فيه ما هو من علوم الدنيا وما هو من علوم الآخرة، ثم ذكر في الثالث بيان علوم الدين وإخراج ما ليس منها خلاف ما توهمه العامةُ، ثم ما ينشأ من تلك العلوم: المناظَرة وآفاتها والجدل والخلاف، ثم ذكر في الرابع[1] ما تُقطَع به تلك الآفات بمعرفة الآداب، ثم بيَّن في السادس الآفات التي تَعْرِض للعلم تارةً وللعلماء أخرىٰ، والعلامات الفارقة بين العالمينِ، ثم لمَّا كان تحصيل ذلك كله وبيان التمييز بين تلك المقامات والعلامات متوقِّفًا علىٰ موهبة عقلٍ من الله تعالىٰ فناسَبَ ذِكرُه في الباب السابع.

---

(١) كذا في المطبوعة، وإنما ذكرت آداب المعلم والمتعلم في الباب الخامس لا الرابع.

الباب الأول

في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

أورد فيه رحمه الله تعالىٰ من شواهد القرآن ثلاث عشرة آية تدل علىٰ فضل العلم والعلماء، ومن الأخبار ثمانية وعشرين حديثًا ما بين صحاح وحسان وضعاف، وليس فيها ما حُكم عليه بالوضع، فالحديث الأول صحيح متفق عليه، والثاني صحيح أو حسن، والثالث والتاسع متفق عليه، والثاني عشر حسن أو صحيح، والسابع عشر حسن أو صحيح، والتاسع عشر حسن، وما عداها ضِعاف، كما سيأتي بيان ذلك.

ثم اختُلف في أن تصوُّر ماهية العلم المطلق هل هو ضروري، أو نظري يعسر تعريفُه، أو نظري غير عسير التعريف، والأول مذهب الإمام الرازي(١)، والثاني رأي إمام الحرمين(٢) وتلميذه المصنف(٣)، والثالث هو الراجح، ولهم عليه تعريفات:

- **الأول**: اعتقاد الشيء علىٰ ما هو به(٤). وهو مدخول بالتقليد(٥) المطابق للواقع، فزِيدَ فيه قيد «عن ضرورة أو دليل»، لكن لا يمنع الاعتقاد الراجح المطابق وهو الظن الحاصل عن ضرورة أو دليل.

---

(١) أنظر الملخص في المنطق والحكمة ١/ ٤ (ط - دار الأصلين بالأردن)، تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ١/ ٢٢١ (ط - دار الفكر ببيروت).

(٢) البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين ١/ ١٢٠ (تحقيق: عبد العظيم الديب).

(٣) المستصفىٰ من علم الأصول ١/ ٧٧.

(٤) هذا هو تعريف المعتزلة، كما في المستصفىٰ للغزالي ١/٧٨. وفي كتاب اللمع لأبي إسحاق الشيرازي ص ٢٩ (ط - دار ابن كثير بدمشق) زيادة: «مع سكون النفس إليه».

(٥) في الكشف: مدخول لدخول التقليد.

- **الثاني**: معرفة المعلوم علىٰ ما هو به[١]. وهو مدخول أيضًا؛ لخروج علم الله تعالىٰ؛ إذ لا يسمَّىٰ معرفة، ولذِكر المعلوم، وهو مشتق من العلم، فيكون دورًا، ولأن معنىٰ «ما هو به» هو معنىٰ المعرفة، فيكون زائدًا.

- **الثالث**: هو الذي يوجب كونَ مَن قام به عالمًا[٢]. وهو مدخول أيضًا؛ لذكر العالِم في تعريف العلم، وهو دَوْرٌ.

- **الرابع**: هو إدراك المعلوم علىٰ ما هو به[٣]. وهو مدخول أيضًا؛ لِما فيه من الدور والحشو، كما مر، ولأن الإدراك مجاز عن العِلم.

- **الخامس**: هو ما يصح ممن قام به إتقان الفعل[٤]. وفيه أنه تدخل القدرةُ، ويخرج عِلمُنا؛ إذ لا مدخل له في صحة الإتقان؛ فإن أفعالنا ليست بإيجادنا.

- **السادس**: تبيين المعلوم علىٰ ما هو به[٥]. وفيه الزيادة المذكورة والدور، مع أن التبيين مُشعِر بالظهور بعد الخفاء، فيخرج منه علمُ الله تعالىٰ.

- **السابع**: إثبات المعلوم علىٰ ما هو به[٦]. وفيه الزيادة والدور. وأيضًا، الإثبات قد يطلق علىٰ العلم تجوُّزًا، فيلزم تعريفُ الشيء بنفسه.

- **الثامن**: الثقة بأن المعلوم علىٰ ما هو به. وفيه الزيادة والدور، مع أنه يلزم منه كون الباري واثقًا بما هو عالم به، وذلك مما يمتنع إطلاقُه عليه شرعًا.

---

(١) هذا هو تعريف أبي بكر الباقلاني، ذكره في كتابه الإنصاف ص ١٣ (ط - المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة).

(٢) هذا هو تعريف أبي الحسن الأشعري، كما في شرح المواقف للشريف الجرجاني ١/ ٧٢ (ط-مطبعة السعادة بالقاهرة).

(٣) هو لأبي الحسن الأشعري أيضًا.

(٤) هذا هو تعريف أبي بكر ابن فورك، كما في شرح المواقف ١/ ٧٣.

(٥) هذا هو تعريف أبي إسحاق الأسفراييني، كما في تفسير الرازي ٢/ ٢١٩.

(٦) هذا هو تعريف القفال الشاشي، كما في تفسير الرازي.

- **التاسع**: اعتقاد جازم مطابق لموجب إما ضرورة أو دليل فيه. وفيه أنه يخرج عنه التصوُّرُ؛ لعدم اندراجه في الاعتقاد مع أنه علمٌ، ويخرج علم الله تعالىٰ أيضًا؛ لأن الاعتقاد لا يطلق عليه، ولأنه ليس بضرورة أو دليل. وهذا التعريف للفخر الرازي[١]، عرَّفه به بعد تنزيله كونه[٢] ضروريًا.

- **العاشر**: حصول صورة الشيء في العقل. قال ابن صدر الدين: هو أصح الحدود عند المحققين من الحكماء وبعض المتكلمين. ولكن فيه أنه يتناول الظن والجهل المركب والتقليد والشك والوهم.

- **الحادي عشر**: تمثيل ماهية المُدرَك في نَفْس المُدرِك. وفيه ما في العاشر. وهذان التعريفان للحكماء مبنيان علىٰ الوجود الذهني، والعلم عندهم عبارة عنه، فالأول يتناول إدراك الكليات والجزئيات، والثاني ظاهره يفيد الاختصاص بالكليات.

- **الثاني عشر**: هو صفة توجب لمحلها تمييزًا بين المعاني لا يحتمل النقيض. وهو الحد المختار عند المتكلمين، إلا أنه يخرج عنه العلومُ العادية، كعِلمنا مثلاً بأن الجبل الذي رأيناه فيما مضىٰ لم ينقلب الآن ذهبًا؛ فإنها تحتمل النقيض؛ لجواز خرق العادة. وأُجيب عنه في محله[٣]، وقد يُزاد فيه قيد «بين المعاني الكلية»، وهذا

---

(١) بل هو كلام إمام الحرمين، نقله عنه الرازي وضعَّفه في تفسيره ١/ ٢٢٠.

(٢) في كشف الظنون: تنزله عن.

(٣) ذكر الجرجاني هذا الجواب في شرح المواقف ١/ ٨٣ فقال: «والجواب أن يقال: احتمال العاديات للنقيض بمعنىٰ أنه لو فرض نقيضها واقعا بدلها لم يلزم من ذلك النقيض محال لذاته؛ لأن تلك الأمور العادية ممكنة في ذواتها، والممكن لا يستلزم بشيء من طرفيه محالاً لذاته غير احتمال متعلق التمييز الواقع في العلم العادي للنقيض، وذلك لأن الاحتمال الأول راجع إلىٰ الإمكان الذاتي الثابت للممكنات في حد ذواتها، والاحتمال الثاني هو أن يكون متعلق التمييز محتملًا لأن يحكم فيه المميز بنقيضه في الحال كما في الظن، أو في المآل كما في الجهل المركب والتقليد، ومنشأ ضعف ذلك التمييز إما لعدم الجزم أو لعدم المطابقة أو لعدم استناده إلىٰ موجب، =

-مع الغنىٰ عنه- يُخرِج العلم بالجزئيات، وهو المختار عند مَن يقول: العلم صفة ذات تتعلق بالمعلوم.

- **الثالث عشر**: تمييز معنىٰ عند النفس تمييزًا لا يحتمل النقيضَ. وهو الحد المختار عند من يقول من المتكلمين: إن العلم نفس التعلُّق المخصوص بين العالِم والمعلوم.

- **الرابع عشر**: هو صفة يتجلَّىٰ بها المذكور لمن قامت هي به. قال السيد الشريف[1]: وهو أحسن ما قيل في الكشف عن ماهية العلم، ومعناه: أنه صفة ينكشف بها لمن قامت به ما من شأنه أن يذكر انكشافًا تامًّا لا اشتباه فيه.

- **الخامس عشر**: حصول معنىٰ في النفس حصولاً لا يتطرَّق عليه في النفس احتمالُ كونه علىٰ غير الوجه الذي حصل فيه. وهو للآمدي، قال: ونعني بحصول المعنىٰ في النفس: تمييزه في النفس عمَّا سواه، ويدخل فيه العلم بالإثبات والنفي والمفرد والمركَّب، ويخرج عنه الاعتقاداتُ؛ إذ لا يبعُد في النفس احتمالُ كون المعتقَد والمظنون علىٰ غير الوجه الذي حصل فيها.

فهذه تعاريف العلم.

ثم اختلفوا في أن العلم بالشيء هل يستلزم وجودَه في الذهن كما هو مذهب الفلاسفة وبعض المتكلمين، أو هو تعلُّقٌ بين العالِم والمعلوم في الذهن كما ذهب إليه جمهور المتكلمين؟ ثم إنه -علىٰ الأول- لا نزاع في أنَّا إذا علمنا شيئًا فقد تحقق أمورٌ ثلاثة: صورة حاصلة في الذهن، وارتسام تلك الصورة فيه، وانفعال

= وهذا الاحتمال الثاني المغاير للأول هو المراد من الاحتمال المذكور في التعريف، وهو الذي ورد عليه النفي فيه، وأنه ممنوع ثبوته في العلوم العادية كما في العلوم المستندة إلىٰ الحس، وثبوت الاحتمال الأول لا يقدح في شيء منهما».

(١) شرح المواقف ١/ ٨٦.

النفس عنها بالقبول.

واختُلف في أن العلم هل هو من مقولة الكيف أو الانفعال أو الإضافة؟ والأصح أنه من مقولة الكيف، علىٰ ما بُيِّنَ في محله.

ولهم في تقسيم العلم آراء مختلفة، فقال بعض أئمة الاشتقاق[١]: العلم ضربان: إدراك ذات [الشيء][٢] والثاني: الحكم علىٰ الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه، فالأول يتعدىٰ لواحد[٣]، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة:١٠١]، والثاني يتعدَّىٰ لاثنين[٤]، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة:١٠].

وقال آخرون: العلم من وجه آخر نوعان: عملي ونظري؛ فالنظري ما إذا عُلِمَ فقد كَمَلَ، نحو العلم بموجودات العالَم. والعملي ما لا يتم إلا بأن يعمل، كالعلم بالعبادات. ومن وجه آخر نوعان: عقلي وسمعي.

وقد يُتجوَّز به عن الظن، كما يُستعار الظن للعلم[٥].

ثم إن لفظ «العلم» كما يطلق علىٰ ما ذُكر يطلق علىٰ ما يرادفه وهو أسماء العلوم المدوَّنة كالنحو والفقه فيطلق كأسماء العلوم، تارة علىٰ المسائل المخصوصة، كما يقال: فلان يعلم النحو؛ وتارة علىٰ التصديقات بتلك المسائل عن دليلها، وتارة علىٰ المَلَكة الحاصلة من تكرُّر تلك التصديقات، أي مَلَكة استحضارها، وقد تطلق المَلَكة علىٰ التهيؤ التام وهو أن يكون عنده ما يكفيه

(١) المفردات للراغب ص ٣٤٣.

(٢) زيادة من المفردات.

(٣) أي مفعول واحد.

(٤) أي مفعولين.

(٥) قال إسماعيل حقي: «كثيرًا ما يستعار الظن للعلم؛ لأن الظن الغالب يداني العلم ويقوم مقامه في العادات والأحكام، ومنه المظنة للعلم». تفسير روح البيان ٥/ ٢٤٦ (ط - المطبعة العثمانية).

لاستعلام ما يُراد.

والتحقيق أن المعنىٰ الحقيقي للفظ «العلم» هو الإدراك، ولهذا المعنىٰ متعلق هو «المعلوم»، وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء هو المَلَكة، فأُطلق لفظ «العلم» علىٰ كل منها إما حقيقةً عُرْفية أو اصطلاحية أو مجازًا مشهورًا، وقد يطلق علىٰ مجموع المسائل والمبادئ التصوُّرية والمبادئ التصديقية والموضوعات [ومن ذلك يقولون: أجزاء العلوم ثلاثة].[1] وقد تطلق أسماء العلوم علىٰ مفهوم كلي إجمالي يفصل في تعريفه، فإن فصل نفسه كان حدًّا اسميًّا، وإن بُيِّنَ لازمه كان رسمًا اسميًّا. وأما حده الحقيقي فإنما هو بتصوُّر مسائله أو بتصوُّر التصديقات المتعلقة بها؛ فإن حقيقة كل عِلم مسائل ذلك العلم أو التصديقات بها، وأما المبادئ وآنية الموضوعات فإنما عُدَّت جزءًا منها لشدة احتياجها إليها[2].

ثم إن الظاهر أن العلم المصدَّر به هنا هو الجامع بين علمَي المكاشفة والمعاملة، بل المستجمع بين علمَي الشريعة والحقيقة المؤدِّي إلىٰ مرتبة الطريقة، وأما[3] التعليم والإعلام فهما واحد، إلا أن الاستعمال خصَّ الإعلام بإخبار سريع، والتعليم بما يكون فيه تكرير وتكثير يحصل منه أثرٌ في نفس المتعلِّم.

وقال بعضهم: التعليم: تنبيه النفس لتصوُّر المعاني، والتعلُّم: تنبُّه النفس لتصوُّر ذلك، وربما استُعمل في معنىٰ الإعلام إذا كان فيه تكثير[4]، نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ [الحجرات:١٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١] فتعليمه الأسماء هو أن جعل له قوة بها نطق، ووضع أسماء الأشياء، وذلك بإلقائه في رُوعه، وكتعليمه الحيوانات كلَّ واحد [منها][5]

---

(١) زيادة من كشف الظنون (١/ ٣٠).

(٢) هنا آخر النقل عن كشف الظنون.

(٣) مفردات الراغب ص ٣٤٣.

(٤) في المفردات: تكرير.

(٥) زيادة من المفردات.

فعلاً يتعاطاه، وصوتًا يتحرَّاه؛ قاله السمين[١].

وقد أجمع العلماء علىٰ فضل التعليم والتعلُّم من أفواه الشيوخ، إلا ما كان من علي بن رضوان الطبيب المصري؛ فإنه[٢] صنَّف كتابًا في إثبات أن التعلُّم من الكتب أوفق من المعلِّمين، وكان رئيس الأطباء للحاكم بمصر، ولم يكن له معلِّم في صناعة الطب يُنسب إليه. وهو كلام لا يُعبأ به، ولا يُلتفت إليه.

قرأت في «الوافي بالوفيات» للصلاح الصفدي أن ابن بُطْلان وغيره من أهل عصره ومَن بعدهم قد ردُّوا عليه هذا القول وبيَّنوه وشرحوه، وذكروا له العلل التي من أجلها صار التعلُّم من أفواه الرجال أفضل من التعلُّم من الصحف إذا كان قبولهما واحدًا:

- **الأولىٰ منهما:** وصول المعاني من النسيب إلىٰ النسيب، خلاف وصولها من غير النسيب [إلىٰ النسيب]، والنسيب الناطق أفهم للتعليم [بالنطق] وهو المعلِّم، وغير النسيب له جماد وهو الكتاب[٣].

- **الثانية:** النفس العلاَّمة علاَّمة بالفعل، وصدور الفعل عنها يقال له: التعليم، والتعليم والتعلُّم من المضاف، وكل ما هو للشيء بالطبع أَخَصُّ به مما ليس هو بالطبع، والنفس المتعلِّمة علاَّمة بالقوة، وقبول العلم فيها يقال له: تعلُّم، والمضافان معًا بالطبع، فالتعليم من المعلِّم أَخَصُّ بالمتعلِّم من الكتاب.

- **الثالثة:** المتعلِّم إذا استعجم عليه ما يفهمه المعلِّم من لفظه نقله إلىٰ لفظ آخر، والكتاب لا ينقل من لفظ إلىٰ لفظ، فالفهم من المعلِّم أصلح للمتعلم من الكتاب، وكل ما هو بهذه الصفة فهو في إيصال العلم أصلح للمتعلم.

---

(١) عمدة الحفاظ ٣/ ١١٢ نقلًا عن مفردات الراغب.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ٢١/ ٧٤ - ٧٥. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٣) بعده في الوافي: «وبُعد الجماد من الناطق مطيل لطريق الفهم، وقرب الناطق من الناطق مقرِّب للفهم، فالنسيب تفهيمه أقرب وأسهل من غير النسيب وهو الكتاب».

- **الرابعة**: [العلم] موضوعه اللفظ، واللفظ علىٰ ثلاثة أضرُبٍ: قريب من العقل وهو الذي صاغه العقل مثالاً لِما عنده من المعاني، ومتوسط وهو المتلفَّظ به بالصوت وهو مثال العقل، وبعيد وهو المثبَت في الكتاب، وهو مثال ما خرج باللفظ، فالكتاب مثال مثال المعاني التي في العقل، والمثال [الأول] لا يقوم مقام الممثَّل[١]، فالمثال الأول هو اللفظ، والثاني هو الكتاب [وإذا كان الأمر علىٰ هذا] فالفهم من لفظ المعلِّم أسهل [وأقرب] من لفظ الكتاب.

- **الخامسة**: وصول اللفظ الدال علىٰ المعنىٰ إلىٰ العقل يكون من جهة حاسَّة غريبة من اللفظ وهو البصر؛ لأن الحاسة النسبية للفظ هي السمع؛ لأنه تصويت، والشيء الواصل من النسيب -وهو اللفظ- أقرب من وصوله من الغريب وهو الكتابة، فالفهم من المعلم باللفظ أسهل من الفهم بالكتابة بالخط.

- **السادسة**: يوجد في الكتاب أشياء تصدُّ عن العلم، وهي معدومة عند المعلِّم، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بزوغان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب، أو عدم وجوده مع الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب، وكتابة ما لا يُقرأ، وقراءة ما لا يُكتب [ونحو التعليم ونمط الكلام] ومذهب صاحب الكتاب، وسُقْم النُّسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذِكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كـ «الثوروس»[٢].

فهذه كلها معوِّقات عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلُّفها عند قراءته علىٰ المعلم، وإذا كان الأمر علىٰ هذه الصورة فالقراءة علىٰ العلماء أجدىٰ وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه.

---

(١) بعده في الوافي: «لعوز المثل، فما ظنك بمثال مثال الممثل، فالمثال الأول لما عند العقل أقرب في الفهم من مثال المثال».

(٢) الثوروس: كلمة تطلق في الأساطير علىٰ اليونانية علىٰ كائن خرافي نصفه إنسان، ونصفه الآخر ثور.

قال: وأنا آتيك ببيان شائع[١] أظنه مصدِّقًا لِما عندك، وهو ما قاله المفسرون في الاعتياض عن السالبة البسيطة بالموجَبة، هي هذه المسألة المنطقية المعدولة؛ فإنهم مجمعون علىٰ أن هذا الفصل لو لم يسمعه من أرسطو تلميذاه ثامسطيوس وأوذيموس لَمَا فُهِمَ قطُّ [من كتاب][٢]. ا.هـ. كلام ابن بُطْلان.

قال الصفدي: ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صُحُفي ولا من مصحفي، يعني: لا تقرأ القرآن علىٰ مَن قرأ من المصحف، ولا الحديث وغيره علىٰ مَن أخذ ذلك من الصحف، وحسبك بما جرىٰ لحمَّاد[٣] لمَّا قرأ في المصحف وما صحَّفه، وقد وقع لابن حزم وابن الجوزي أوهام وتصحيف معروفة عند أهلها، وناهيك بهذين الاثنين، وهذا الرئيس أبو علي ابن سينا وهو [ما هو] لمَّا استبدَّ بنفسه في الأدوية المفردة اتكالاً علىٰ ذهنه لمَّا سَلِمَ من سوء الفهم لم يسلم من التصحيف، وهو أثبت «البُنْطافُلَّن» -وهو بتقديم الباء علىٰ النون، ومعناه: ذو خمس أوراق- في حرف النون[٤]. ا.هـ.

وهو كلام حَسنٌ ينبغي الاهتمام بمعرفته.

---

(١) في الوافي: سائغ.

(٢) مثال السالبة: (الإنسان ليس بكاتب)، وحرف السلب فيها (ليس) لا يعتبر جزءاً من المحمول ولا من الموضوع. ومثال الموجبة المعدولة قولك: (كل إنسان هو لا كاتب)، وحرف السلب (لا) يعتبر جزءاً من المحمول.

(٣) هو حماد بن أبي ليلىٰ الكوفي المعروف بحماد الراوية. ذكر الصفدي في ترجمته من الوافي بالوفيات ١٣/ ٨٧ أنه كان لا يحسن من القرآن إلا الفاتحة، فألزموه، فقرأ في المصحف، فصحَّف في مواضع، منها: (ومن الشجر ومما يغرسون) بالغين المعجمة والسين المهملة، و(ليكون لهم عدوا وحربا) بالراء المهملة والباء الموحدة.

(٤) القانون في الطب لأبي علي ابن سينا ١/ ٣٧٨ (ط - المطبعة الخديوية بمصر) وفيه: «النيطافيلي، هو اليتوع المسمىٰ بخمسة أوراق». واليتوع هو النبات المعروف باسم الفربيون.

الكلام في فضيلة العلم

(**شواهدها من القرآن: قوله تعالىٰ**: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨]) يحتمل[١] أن يُراد بذلك الإعلام، أي: أعلمَ اللهُ، وأن يُراد البيان، أي: بيَّن، وأن يُراد الحُكم، أي: حكم بذلك.

وقال بعضهم: إن «شهد» هنا قد استُعمل في معانٍ مختلفة، فإما أن يكون [ذلك] من باب الاشتراك أو الحقيقة والمجاز، وكلاهما مقول به، والاستدلال علىٰ ذلك في غير هذا، فشهادة الله بذلك إعلامه وبيانه وحُكمه، وشهادة الملائكة ومَن معهم إقرارُهم بذلك.

وقد بيَّنها بعضهم[٢] بعبارة أخرىٰ[٣] فقال: شهادة الله بوحدانيته هي إيجاد ما يدل علىٰ وحدانيته في العالَم وفي نفوسنا، قال بعض الحكماء: إن الله تعالىٰ لمَّا شهد لنفسه كانت شهادته أن نطق خَلْقُه بالشهادة له[٤]. وأما شهادة الملائكة بذلك فهي إظهارهم أفعالاً يؤمَرون بها. وأما شهادة أولي العلم فهي اطِّلاعهم علىٰ تلك الحِكَم وإقرارهم بذلك، وإنما خص أولي العلم لأنهم هم المعتبِرون، وشهادتهم هي المعتبَرة، وأما الجُهَّال فمبعَدون عنها، وعلىٰ ذلك نبَّه بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] وهؤلاء هم المعنيُّون بقوله: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩] (**فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالىٰ بنفسه**) فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ (**وثنَّىٰ بالملائكة**) أي ذكرهم ثانيًا (**وثلَّثَ بأهل العلم**) فقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾

---

(١) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ٢٩٨).

(٢) هو الراغب في المفردات (ص٢٦٨).

(٣) في عمدة الحفاظ: حلوة.

(٤) في المفردات: أن أنطق كل شيء كما نطق بالشهادة له.

(**وناهيك بهذا شرفًا وفضلاً وإجلالاً ونبلاً**) أي لكفايته، كأنه ينهاك عن طلب غيره، استشهدهم علىٰ أجلِّ مشهودٍ عليه وهو توحيده.

قال ابن القيم[١]: **وهذا يدل علىٰ فضل العلم وأهله من وجوه:**

- **أحدها**: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

- **والثاني**: اقتران شهادتهم بشهادته.

- **والثالث**: اقترانها بشهادة ملائكته.

- **والرابع**: أن هذا من تزكيتهم وتعديلهم[٢]؛ فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

- **والخامس**: أنه وصفهم بكونهم أولي العلم، وهذا يدل علىٰ اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه، ليس بمستعار لهم.

- **والسادس**: أنه سبحانه استشهد بنفسه، وهو أجلُّ شاهدٍ، ثم بخيار خلقه وهم الملائكة والعلماء من عباده، ويكفي[٣] بهذا فضلاً وشرفًا.

- **والسابع**: أنه استشهد بهم علىٰ أجلِّ مشهود به وأعظمه [وأكبره] وهو شهادة أن لا إله إلا هو، والعظيم القَدْر إنما يستشهد علىٰ الأمرِ العظيمِ أكابرَ الخَلْق وساداتهم.

- **والثامن**: أنه سبحانه جعل شهادتهم حُجة علىٰ المنكِرين، فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة علىٰ توحيده.

- **والتاسع**: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمِّن لهذه الشهادة الصادرة [منه

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٩-٢٢١). والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) عبارة ابن القيم: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم.

(٣) في مفتاح دار السعادة: ويكفيهم.

و] من ملائكته ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر علىٰ[١] شهادته، وهذا يدل علىٰ شدة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنَّه سبحانه شهد لنفسه[٢] بالتوحيد علىٰ ألسنتهم، وأنطقهم بهذه الشهادة، فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامةً وإنطاقًا وتعليمًا، وهم الشاهدون بها له إقرارًا واعترافًا وتصديقًا وإيمانًا.

- **والعاشر**: أنه سبحانه جعلهم مؤدِّينَ لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدَّوها فقد أدوا الحق المشهود به، فثبت الحقُّ المشهود به، فوجب علىٰ الخلقِ الإقرارُ به، وكان في ذلك غايةُ سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل مَن ناله هدىٰ بشهادتهم وأقرَّ بهذا الحق بسبب شهادتهم فلهم [من] الأجر مثلُ أجرِه، وهذا فضل عظيم لا يدري[٣] قَدْرَه إلا الله، وكذلك كلُّ مَن شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثلُ أجره أيضًا.

فهذه عشرة أوجُهٍ في هذه الآية.

ولحظَ إلىٰ ذلك الشيخُ الأكبر قُدِّس سرُّه فقال[٤]:

سائلـــي عـــن عقيدتـــي أحـــسن اللهُ ظنَّـــهْ
علـــم الله أنهـــا شـهـــد اللهُ أنَّـــهْ

وقال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة:١١] تنبيه علىٰ تفاوُت منازل العلوم

(١) في المطبوعة: غير. والمثبت من مفتاح دار السعادة.
(٢) في المطبوعة: علىٰ نفسه. والمثبت من مفتاح دار السعادة.
(٣) في المطبوعة: يدرك. والمثبت من مفتاح دار السعادة.
(٤) لم أقف عليهما في ديوانه المطبوع.

وتفاوُت أربابها[١]، ورفعة درجات أهل العلم والإيمان، وقد[٢] أخبر الله سبحانه في كتابه برفعة الدرجات في أربعة مواضع:

- **أحدها**: هذا.

- **والثاني**: قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤].

- **والثالث**: قوله: ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ﴾ [النساء: ٩٦].

- **والرابع**: قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥].

فهذه أربعة مواضع، في ثلاثةٍ منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، والرابع الرفعة بالجهاد، فعادت رفعة الدرجات كلها إلىٰ العلم والجهاد اللذينِ بهما قِوامُ الدين.

(قال) عبد الله بن عباس (ﷺ) في تفسير هذه الآية: **(للعلماء درجات فوق)** درجات **(المؤمنين بسبعمائة درجة)**[٣] ولفظ القوت[٤]: وقال ابن عباس في [معنىٰ] قوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ﴾ الآية، قال: درجات العلماء فوق درجات الذين آمنوا بسبعمائة درجة **(ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام)** ا.هـ. والدرجة[٥] هي نحو المنزلة، لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتُبرت بالصعود دون الامتداد علىٰ البسيط، كدرجة السطح والسُّلَّم، ويعبَّر بها عن المنزلة الرفيعة، وهي المرادة هنا.

---

(١) مفردات الراغب ص ٣٤٤.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٢٤.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٤/ ٣٢٣ بلفظ: «يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين علىٰ الذين لم يؤتوا العلم درجات». وعزاه لابن المنذر والحاكم والبيهقي في المدخل وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٤١.

(٥) مفردات الراغب ص ١٦٧.

ورُوي: «للأنبياء علىٰ العلماء فضل درجة، وللعلماء علىٰ الشهداء فضل درجتين»(١).

(وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]) قال البيضاوي(٢): نفيٌ لاستواء الفريقين باعتبار القوة العِلمية بعد نفيه باعتبار القوة العَمَلية علىٰ وجه أبلغ لمزيد فضل العلم. وقيل: تقرير للأول علىٰ سبيل التشبيه، أي: كما لا يستوي العالِمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون. ا.هـ.

قال الشهاب في حاشيته(٣): قوله «وقيل: تقرير للأول» عطفٌ علىٰ ما قبله بحسب المعنىٰ؛ إذ التقدير: الذين يعلمون والذين لا يعلمون هم القانتون وغيرُهم، فيتَّحدان بحسب المعنىٰ، أو المراد بالثاني غير الأول، وإنما ذُكر علىٰ طريق التشبيه، كأنَّه قيل: لا يستوي القانت وغيره، كما لا يستوي العالِم والجاهل، فيكون ذِكره علىٰ سبيل التمثيل، ففيه تأكيد من وجه آخر.

(وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]) الخشية: أشد الخوف(٤). وقيل(٥): خوفٌ يشوبه تعظيمُ المخوف منه، وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ بما يُخشَىٰ منه، ولذلك خُصَّ العلماء [بها] في هذه الآية، أي: إنما يخافه من عبادِه العلماءُ الذين علموا قدرته وسلطانه، فمَن كان أعلم كان أخشىٰ لله.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ٩١٣ من حديث أبي هريرة، ولفظه: «بر الوالدين يزيد في العمر، والدعاء يرد القضاء، والكذب ينقص الرزق، ولله في خلقه قضاءان: قضاء نافذ وقضاء محدث، وللأنبياء علىٰ العلماء فضل درجتين، وللعلماء علىٰ الشهداء فضل درجة». وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي، متهم بالوضع.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٥/ ٣٨ (ط - دار إحياء التراث العربي ببيروت).

(٣) حاشية الشهاب الخفاجي علىٰ تفسير البيضاوي ٧/ ٣٣١.

(٤) عمدة الحفاظ ١/ ٥٠٥.

(٥) مفردات الراغب ص ١٤٩.

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: أي مَن علم سلطانَه وقدرته وهم العلماء[١].

وقال الزمخشري[٢]: المراد: العلماء [به] الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه، فعظَّموه وقدَّروه [حق قَدْره] وخشوه حق خشيته، ومَن ازداد به علمًا ازداد منه خوفًا[٣].

عليٰ قَدْر عِلم المرء يعظُم خوفُه ... فلا عالم إلا مَن الله خائفُ

وآمَنٌ مكر الله بالله جاهلٌ ... وخائف مكر الله بالله عارفُ[٤]

قال النعماني[٥] في شرح البخاري: لأن مَن يفعل ما يريد من غير مبالاة يجب أن يُخاف منه، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]. ا.هـ.

ويُروَىٰ عن ابن مسعود: رأس الحكمة مخافة الله.

أي لأنها تمنع النفس عن المخالفات.

وعنه أيضًا: كفىٰ بخشية الله علمًا، وكفىٰ بالاغترار بالله جهلاً.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن في الدر المنثور للسيوطي ١٢/ ٢٧٨: «أخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال: العلماء بالله الذين يخافونه. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: الذين يعلمون أن الله علىٰ كل شيء قدير».

(٢) الكشاف للزمخشري ٥/ ١٥٤ (ط - مكتبة العبيكان بالرياض). والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٣) بعده في الكشاف: ومن كان علمه به أقل كان آمن.

(٤) لم أقف علىٰ قائلهما، وقد نسبهما البعض للإمام الشافعي، ولم أقف عليهما في ديوانه علىٰ اختلاف طبعاته.

(٥) برهان الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن بركة المصري، سمي بالنعماني نسبة إلىٰ شيخ كان يعرف بابن النعمان. توفي سنة ٨٩٨. له شرح علىٰ صحيح البخاري جمع فيه بين شرحي ابن حجر والبدر العيني مع إضافات، وصل فيه إلىٰ كتاب الصلاة ولم يتمه. الأعلام ١/ ٥٣. كشف الظنون ١/ ٥٥١.

وورد أيضًا: «إنما أخشاكم لله وأتقاكم أنا».

وقرئ «إنما يخشىٰ اللهُ» برفع الجلالة ونصب «العلماء»، وهي قراءة عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة الإمام[١]، ولا عبرة بقول الحلبي: وفي حفظي عن بعض العلماء أنه أبو حنيفة الدِّينوري صاحب كتاب «النبات»؛ فإن صاحب كتاب «النبات» ليست عنه قراءة مشهورة ولا غيرها، ولم يشتهر بها. ثم إن وجه[٢] هذه القراءة أن الخشية فيها تكون استعارة، والمعنىٰ: إنما يُجِلُّهم ويعظِّمهم، ومن لوازم الخشيةِ التعظيمُ، فيكون هذا من قبيل [ذِكر][٣] الملزوم وإرادة اللازم.

قال العَيْني: وفي أيام اشتغالي علىٰ الإمام العلامة شرف الدين أبي الروح عيسىٰ السرماري حضر رجل في الدرس فقال[٤]: خشية الله مقصورة علىٰ العلماء

---

(١) تفسير الثعلبي المسمىٰ بالكشف والبيان ٨/ ١٠٥ (ط - دار إحياء التراث العربي ببيروت). الكشاف للزمخشري ٥/ ١٥٤. رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز للرسعني ٦/ ٢٨٩ (تحقيق: عبد الملك دهيش). تفسير القرطبي ١٧/ ٣٧٧. مدارك التأويل وحقائق التنزيل للنسفي ٣/ ٧٨ (ط - دار الكلم الطيب ببيروت) وزاد معهما ابن سيرين. البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٢٩٨ (ط - دار الكتب العلمية). الدر المصون للسمين الحلبي ٩/ ٢٣١ (ط - دار القلم بدمشق). فتح القدير للشوكاني ص ١٢١١ (ط- دار المعرفة ببيروت). روح المعاني للآلوسي ٢٢/ ١٩١ (ط - المطبعة المنيرية بمصر). وقد شكك أبو حيان في نسبة هذه القراءة إليهما فقال: «ولعل ذلك لا يصح عنهما، وقد رأينا كتبا في الشواذ ولم يذكروا هذه القراءة، وإنما ذكرها الزمخشري، وذكرها عن أبي حيوة أبو القاسم يوسف ابن جبارة في كتابه الكامل». وقال الشيخ جمال الدين القاسمي: «يذكر بعض المفسرين هنا القراءة الشاذة برفع الاسم الجليل ونصب العلماء، ويتأولون الخشية بالتعظيم استعارة، وربما استشهدوا بقوله:

أهابك إجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها

وقد طعن في (النشر) في هذه القراءة، والحق له؛ لمنافاتها للسياق والسباق، وما أغنىٰ المنقحين عن تسويد الصحف بمثل هذه الشواذ». محاسن التأويل ١٤/ ٤٩٨٤ (ط - البابي الحلبي).

(٢) عمدة القاري للعيني ٢/ ٦١.

(٣) زيادة من عمدة القاري.

(٤) في عمدة القاري بعد قوله «السرماري»: في علمي التفسير والمعاني والبيان حضر شخص من أهل العلم وقت الدرس وسأله عن هذه الآية فقال ... الخ.

بقضية الكلام، وقد ذكر الله في آية أخرىٰ أن الجنة لمن يخشىٰ الله وهو قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة:٨] فيلزم من ذلك أن لا تكون الجنة إلا للعلماء خاصةً. فسكت جميع من حضر من المتعلمين[١]، فأجاب الشيخ أن المراد من العلماء: الموحِّدون، وأن الجنة ليست إلا للموحدين الذين يخشون الله تعالىٰ.

وفي القوت[٢]: قال المهدي لسفيان بن الحسين لما دخل عليه، وكان أحد العلماء: أعالِمٌ أنت[٣]؟ فسكت، فأعاد عليه، فسكت، فقيل: ألا تجيب أمير المؤمنين؟ فقال: سألتني[٤] عن مسألة لا جواب لها، إن قلتُ: لستُ بعالِم، وقد قرأتُ كتاب الله كنتُ كاذبًا، وإن قلتُ: إني عالِم، كنتُ جاهلاً؛ إذ روىٰ أبو جعفر[٥] الرازي عن الربيع بن أنس في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] قال: مَن لم يخشَ الله عَزَّوَجَلَّ فليس بعالِم.

(**وقال الله تعالىٰ**: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد:٤٣، الإسراء:٩٦]، أي: لا يفوت علمه شيءٌ.

قال البيضاوي[٦]: أي: وكفىٰ بما أقام[٧] من الحِجَج علىٰ صحة نبوَّتك عن الاستشهاد بغيره.

---

(١) عبارة العيني: فسكت جميع من كان هناك من الفضلاء الأذكياء الذين كان كل منهم يزعم أنه المفلق في العلمينِ المذكورين.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٣٧.

(٣) في القوت: أمن العلماء أنت؟

(٤) في القوت: يسألني.

(٥) كذا في المطبوعة، وفي القوت: وقال أبو جعفر. وظاهر عبارة المصنف أن سفيان بن الحسين يروي هذا التفسير عن أبي جعفر الرازي. ولعل ما في القوت هو الصواب، وانتهىٰ كلام سفيان عند قوله «جاهلا». ولعل الأصل كان «وروىٰ» بواو العطف، فتحرفت إلىٰ «إذ».

(٦) تفسير البيضاوي ٢/ ١١٠.

(٧) في المطبوعة: كفىٰ بمعنىٰ أقام. والمثبت من تفسير البيضاوي.

وقال السمين[١]: في «كفىٰ» قولان، أحدهما: [أنها] اسم فعل، والثاني وهو الصحيح: أنها فعل، وفي فاعلها قولان، أحدهما وهو الصحيح: أنه المجرور بالباء، والباء زائدة [فيه] وفي فاعل مضارعه نحو: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [فصلت:٥٣] باطِّراد. وقال أبو البقاء[٢]: زِيدت لتدل علىٰ معنىٰ الأمر؛ إذ التقدير: اكتفِ بالله. والثاني: [أنه] مضمر، والتقدير: كفىٰ الاكتفاءُ، و«بالله» -علىٰ هذا- في موضع نصب؛ لأنه مفعول به في المعنىٰ، وهذا رأي ابن السراج. ورُدَّ هذا بأن إعمال المصدر المحذوف لا يجوز عند البصريين إلا ضرورةً.

وقال الزَّجَّاج: الباء دخلت مؤكِّدةً للمعنىٰ، أي: اكتفوا بالله في شهادته، وقوله «شهيدًا» في نصبه وجهان:

أحدهما، وهو الصحيح: أنه تمييز، يدل علىٰ ذلك صلاحيةُ دخول «من» عليه.

والثاني: أنه حال[٣].

وتمام هذا البحث في حاشية عبد القادر [بن] عمر البغدادي علىٰ شرح «بانت سعاد» لابن هشام[٤].

(﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ۝٤٣﴾ [الرعد:٤٣]) هو[٥] العلم الخاص الخفي علىٰ

---

(١) الدر المصون ٣/ ٥٨٦. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) إملاء ما من به الرحمن (أو التبيان في إعراب القرآن) لأبي البقاء العكبري ١/ ١٦٨ (ط - دار الكتب العلمية).

(٣) عبارة الزجاج: «﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ في موضع رفع، المعنىٰ: كفىٰ الله شهيدًا، و(شهيدًا) منصوب علىٰ نوعين: إن شئت علىٰ التمييز، المعنىٰ: كفىٰ الله من الشهداء. وإن شئت علىٰ الحال، المعنىٰ: كفىٰ الله في حال الشهادة». معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦١ (ط - عالم الكتب ببيروت). وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ص ٣٤٦ (ط - المكتب الإسلامي).

(٤) حاشية عبد القادر البغدادي علىٰ شرح بانت سعاد لابن هشام ١/ ٦٢١ - ٦٢٦ (ط - دار صادر ببيروت).

(٥) مفردات الراغب ص ٣٤٤. عمدة الحفاظ للسمين ٣/ ١١٢.

البشر الذي يرونه -ما لم يعرفوه[١]- منكرًا، بدليل ما رآه موسىٰ عليه السلام من الخَضِر لما تَبِعه فأنكره بظاهر شريعته حتىٰ عرَّفه [سببه][٢].

(وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل:٤٠] وهو وزير سيدنا سليمان عليه السلام، واسمه آصِف بن برخيا بن أَشْمُوئِل (﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾) أي بالعرش (**تنبيهًا علىٰ أنه اقتدر عليه**) أي علىٰ إتيان العرش في طرفة عينٍ (**بقوة**) ذلك (**العلم**) الذي بيَّنَّاه.

(**وقال الله** عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [القصص:٨٠]) آتاهم الله العلم والحكمة (﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾) أي جزاؤه بالعمل الصالح في الآخرة خيرٌ من هذه الزخارف (**بيَّن**) في هذه الآية (**أن عِظَم قَدْر الآخرة**) وما فيها من الثواب والعقاب لا (**يُعلَم**) إلا (**بالعلم**.

وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ [العنكبوت:٤٣] المضروبة (﴿نَضْرِبُهَا﴾) نبيِّنها (﴿لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾) أي تلك الأمثال وحُسْنها وفائدتها (﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾) بكسر اللام، أي المتدبِّرون، فأخبر[٣] الله تعالىٰ عن أمثاله التي يضربها لعباده يدلهم علىٰ صحة ما أخبر به أن أهل العلم هم المنتفعون بها، المختصُّون بعلمها، وفي القرآن بضعة وأربعون مثلاً، وكان بعض السلف[٤] إذا مر بمَثَل لا

---

(١) في المفردات: ما لم يعرِّفهم الله.

(٢) زيادة من المفردات.

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٢٥.

(٤) هو عمرو بن مرة، ففي تفسير ابن كثير ٦/ ٢٨٠: «قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا أبي، حدثنا ابن سنان، عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني؛ لأني سمعت الله تعالىٰ يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾» [العنكبوت: ٤٣]. وأورده كذلك السيوطي في الدر المنثور ١١/ ٥٥٠.

يعرفه[١] يبكي ويقول: لستُ من العالِمينَ.

(وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]) هم العلماء بما أُنزل علىٰ الأنبياء (﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾) أي يستخرجونه (﴿مِنْهُمْ﴾) فانظر كيف (**ردَّ حكمه في الوقائع**) والنوازل (**إلىٰ استنباطهم**) أي العلماء (**وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء**) عليهم السلام في ذِكرهم بعد الرسول (**في كشف حكم الله**) عَزَّوَجَلَّ.

(**وقيل في قوله سبحانه وتعالىٰ**: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي﴾ [الأعراف:٢٦]) يستر (﴿سَوْءَٰتِكُمْ﴾ **يعني العلم**) عبَّر به عنه بضرب من المجاز؛ لأنه يغطي عن قبيح الجهل، وأصل اللِّباس: ما يُلبَس ويُستتَر به، وقد يعبَّر عنه أيضًا بالعمل الصالح وبستر العورة، وهذا بطريق التلميح؛ فإنه يدل علىٰ أن جُلَّ المقصد من اللباس إنما هو سترُ العورة، وما زاد فتحسُّنٌ وتزيُّنٌ، إلا ما كان لدفع حر أو برد[٢] (﴿وَرِيشًا﴾ **يعني اليقين**) مستعار من ريش الطائر. وقال أبو المنذر القارئ: الريش: الزينة[٣]. وقال غيره[٤]: هو الجَمَال (﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ **يعني الحياء**) نقله ابن القَطَّاع[٥]. أو الإيمان؛ نقله السُّدِّي[٦].

(**وقال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأعراف:٥٢] **وقال تعالىٰ**: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ [الأعراف:٧] **وقال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي

---

(١) في مفتاح دار السعادة: لا يفهمه.

(٢) تاج العروس ١٦/ ٤٦٨.

(٣) تهذيب اللغة ١١/ ٤٠٨ (ط - الدار المصرية للتأليف والترجمة).

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، كما في تفسير الطبري ١٠/ ١٢٤، والدر المنثور ٦/ ٣٥٢.

(٥) الأفعال لابن القطاع ٣/ ١٢٧ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند) ونصه: «ولبس الحياء لباسا: استتر به، وهو لباس التقوىٰ في القرآن». وهو أيضا قول معبد الجهني، كما في تفسير الطبري ١/ ١٢٥ - ١٢٦، والدر المنثور ٦/ ٣٥٣.

(٦) تفسير الطبري ١/ ١٢٥، والدر المنثور ٦/ ٣٥٤.

صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت:٤٩] **وقال تعالى**: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن:٣-٤]) سُمِّي[١] الكلام بيانًا لأنه يكشف المقصود، وهو أعمُّ من النطق؛ لأن النطق مختص باللسان[٢].

وفي «الكشاف»[٣]: البيان: المنطق الفصيح المُعرِب عمَّا في الضمير.

(**وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان**) وتعداد نعمه عليه.

وفي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ آيات دالَّة على فضل العلم سوى التي ذكرها المصنف، منها قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ:٦] وقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣، الأنبياء:٧] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام:١١٤] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية [الإسراء:١٠٧] وقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت:٤٩] وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه:١١٤] وكفى بهذا شرفًا للعلم؛ إذ أمر نبيَّه أن يسأله المزيد منه[٤]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس:٥٨] فُسِّر فضلُ الله بالإيمان، ورحمته بالقرآن، وهما العلم النافع والعمل الصالح[٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء:١١٣] وقوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة:١٥١] وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ

---

(١) مفردات الراغب ص ٦٩.

(٢) في المفردات: الإنسان.

(٣) الكشاف للزمخشري ٦/ ٥.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٢٣.

(٥) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٢٧. وممن فسره بذلك: ابن عباس وهلال بن يساف وقتادة والحسن البصري ومجاهد وزيد بن أسلم والضحاك، ولفظهم كلهم: فضل الله هو الإسلام. انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٩٤ - ١٩٧. الدر المنثور ٧/ ٦٦٨ - ٦٦٩.

ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١] وفيها[١] شرف العلم من وجوه كثيرة[٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة:٢٦٩] قال ابن قُتيبة[٣]: الحكمة: إصابة الحقِّ والعمل به. وقوله تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١] وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة علىٰ فضل العلم. وفي هذا القَدْر كفايةٌ. والله تعالىٰ أعلم.

(وأما الأخبار) جمعُ خبرٍ، وقد تقدَّم الفرقُ بينه وبين الأثر:

- **الأول: (قال الرسول ﷺ)** كذا في النسخ، ونقل التاج السبكي[٤] عن بعض الشافعية كراهة ذلك، وإنما يقول: قال رسول الله ﷺ؛ فإنه أدَلُّ علىٰ التعظيم **(مَن يُرِد اللهُ به خيرًا يفقِّهه في الدين)** متفق عليه[٥] من حديث معاوية؛ قاله العراقي[٦]. قلت: وكذا أخرجه الإمام أحمد[٧] من طريقه، والترمذي[٨] وأحمد[٩] أيضًا عن ابن عباس، وابن ماجه[١٠] عن أبي هريرة. قال الحافظ ابن حجر[١١]: وقد أخرجه أبو يعلىٰ[١٢] من حديث معاوية من وجه آخر ضعيف، وزاد في آخره: ومن لم يتفقَّه

---

(١) أي قصة آدم عليه السلام.

(٢) ذكر ابن القيم في مفتاح دار السعادة ١/ ٢٢٨ - ٢٣٠ منها أربعة وجوه.

(٣) نقله عنه ابن القيم في مفتاح دار السعادة ١/ ٢٢٧.

(٤) طبقات الشافعية الكبرىٰ ٢/ ١٢٦ نقلا عن مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٢٥ (ط - دار التراث بالقاهرة) ونصه: «قال الحسين بن علي الكرابيسي: سمعت الشافعي يقول: يكره للرجل أن يقول: قال الرسول، ولكن يقول: قال رسول الله ﷺ؛ ليكون معظمًا له».

(٥) صحيح البخاري ١/ ٤٢، ٢/ ٣٩٣، ٤/ ٣٦٦. صحيح مسلم ١/ ٤٥٨، ٤٥٩.

(٦) المغنىٰ عن حمل الأسفار ١/ ١١ (ط - دار طبرية بالرياض).

(٧) مسند أحمد ٢٨/ ٦٢، ١٢٧.

(٨) سنن الترمذي ٣/ ٣٨٥.

(٩) مسند أحمد ٥/ ١١.

(١٠) سنن ابن ماجه ١/ ٢١٠.

(١١) فتح الباري ١/ ١٩٨.

(١٢) مسند أبي يعلىٰ الموصلي ١٣/ ٣٧١ (ط - دار المأمون للتراث).

في الدين لم يُبالِ اللهُ به. قال العراقي: وأما قوله: (**ويُلهِمه رُشْده**) فعند الطبراني في الكبير[١]. ا.هـ. قلت: ورواه مع هذه الزيادة أيضًا أبو نعيم في الحلية[٢] عن ابن مسعود، وسنده حسن. وفي الصحيحين ومسند أحمد بعد قوله «في الدين» زيادة: «إنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمَّة قائمة علىٰ أمر الله لا يضرُّهم مَن خالفهم حتىٰ يأتي أمرُ الله عَزَّوَجَلَّ».

قال بعض الشراح[٣]: إن لم نَقُلْ بعموم «مَن» فالأمر واضح؛ إذ هو في قوة بعض مَن أُريدَ له الخير، وإن قلنا بعمومها يصير المعنىٰ: كل مَن يُراد به الخير، وهو مشكل بمن مات قبل البلوغ مؤمنًا ونحوه؛ فإنه قد أُريدَ به الخير وليس بفقيه، ويُجاب بأنه عام مخصوص كما هو أكثر العمومات، أو المراد: مُن يُرِد الله به خيرًا خاصًّا، علىٰ حذف الصفة. ا.هـ.

قال شيخ مشايخنا أبو الحسن السندي في حاشية البخاري: الوجه حملُ الخير علىٰ العظيم علىٰ أن التنكير للتعظيم، فلا إشكال، علىٰ أنه يمكن حملُ الخير علىٰ الإطلاق، واعتبار تنزيل من لم يتفقه في الدين[٤] منزلة العدم بنسبته إلىٰ الفقيه في الدين، فيكون الكلام مبنيًّا علىٰ المبالغة، كأن مَن لم يُعْطَ الفقه في الدين ما أُريدَ به الخير، وما ذُكر من الوجوه لا يناسب المقصودَ، ويمكن حملُ «مَن» علىٰ المكلَّفين؛ لأن كلام الشارع غالبًا يتعلق ببيان أحوالهم، فلا يَرِد مَن مات قبل البلوغ أو أسلم ومات قبل مجيء وقت الصلاة مثلاً، أي قبل تقرُّر التكليف. والله أعلم. ا.هـ.

وقال القَسْطلاني[٥]: قوله «يفقِّهه» أي يجعله فقيهًا في الدين، والفقه لغةً:

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٩/ ٣٤٠.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ١٠٧.

(٣) حاشية السندي علىٰ صحيح البخاري ١/ ١٦ (ط - المطبعة الخديوية بمصر).

(٤) في حاشية السندي: واعتبار تنزيل غير الفقه في الدين.

(٥) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني ١/ ١٧٠ (ط - الأميرية بمصر).

الفَهْم، والحملُ عليه هنا أَولىٰ من الاصطلاحي؛ ليعم فهمَ كلِّ علمٍ من علوم الدين، و«مَن» في الحديث موصولة تضمنت معنىٰ الشرط، و«خير» نكرة في سياق الشرط، فتصير كالنكرة في سياق النفي، أي جميع الخيرات[١]. ا.هـ.

وفيه أمران:

الأول: ما ذكره من أن «مَن» موصولة، وأنها تضمنت معنىٰ الشرط، وهو صريح في أنها عوملت معاملته في الجزم بها، وكلام «المُغنِي» صريح في خلافه، حيث قال[٢]: «مَن» علىٰ أربعة أوجُهٍ: شرطية، واستفهامية، وموصولة، ونكرة موصوفة. ثم قال: تقول: مَن يكرمْني أُكرمْه، فيحتمل «مَن» الأوجه الأربعة، فإن قدَّرتَها شرطية جزمتَ الفعلين، أو موصولة أو موصوفة رفعتَهما، أو استفهامية رفعتَ الأول وجزمتَ الثاني؛ لأنه جواب بغير الفاء. ا. هـ. والحديث محتمل الموصول والموصوف والنكرة الموصوفة أيضًا، فتأمَّلْ.

والثاني: أن[٣] النكرة في سياق النفي أو الشرط لا تعمُّ بهذا الوجه، أي بأن يُراد بها جميع الأفراد مرةً واحدة، وإنما تعم بمعنىٰ: مَن يُرِد الله به خيرًا أيَّ خيرٍ كان، كما[٤] يقال: [ما] جاءني رجلٌ، أي أحدٌ من الرجال، وأيضًا: مَن يُرِد الله به جميع الخيرات يفقهه في الدين، يفيد أن حيازة جميع الخيرات لا تتم بلا فقه في الدين [وهذا قليل الجدوىٰ] فإنه أمر ظاهر، ولا يفيد أن التفقُّه في الدين لبيان كيفية إعطاء جميع الخيرات الذي يتضمنه الشرط والجزاء قد يُقصَد به ذلك، فتأمَّلْ.

---

(١) عبارة القسطلاني: و«من» موصول فيه معنىٰ الشرط،، ونكر «خير» ليفيد التعميم؛ لأن النكرة في سياق الشرط كهي في سياق النفي، أو التنكير للتعظيم؛ إذ أن المقام يقتضيه، ولذا قدر بجميع وعظيم.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ٤/ ١٩٥ - ٢٠٥ (ط - الكويت) باختصار.

(٣) حاشية السندي علىٰ صحيح البخاري ٢/ ١٣١. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٤) في حاشية السندي: كأن.

قال ابن القيم[١]: وهذا إذا أُريدَ بالفقهِ العلمُ المستلزِمُ للعمل، وأما إن أُريدَ به مجرَّد العلم فلا يدل علىٰ أن مَن فَقُهَ في الدين فقد أُريدَ به خيرًا[٢]؛ فإن الفقه حينئذٍ يكون شرطًا لإرادة الخير، وعلىٰ الأول يكون موجِبًا.

- **الثاني**: (**وقال ﷺ: العلماء وَرَثة الأنبياء**) أخرجه أبو داود[٣] والترمذي[٤] وابن ماجه[٥] وابن حبان في صحيحه[٦] من حديث أبي الدرداء؛ قاله العراقي[٧].

وقال السخاوي في «المقاصد»[٨]: رواه أحمد[٩] وأبو داود والترمذي وآخرون عن أبي الدرداء به مرفوعًا بزيادة: «إن الأنبياء[١٠] لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورَّثوا العلم». وصحَّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسَّنه حمزة الكتاني، وضعَّفه غيرُهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوَّىٰ بها، ولذا قال شيخنا[١١]: له طُرق يُعرَف بها أن للحديث أصلًا. ا.هـ

ثم قال السخاوي: ولفظ الترجمة عند الديلمي[١٢] من حديث محمد بن مطرف عن شريك عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب بزيادة: «يحبهم أهل

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٤٦.

(٢) في المطبوعة: في الدين أراد به خيرا. والمثبت من مفتاح دار السعادة.

(٣) سنن أبي داود ٤/ ٢٣٧.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٤١٤.

(٥) سنن ابن ماجه ١/ ٢١٣.

(٦) صحيح ابن حبان ١/ ٢٨٩.

(٧) المغني ١/ ١١.

(٨) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٢٨٦ (ط - دار الكتب العلمية).

(٩) مسند أحمد ٣٦/ ٤٥.

(١٠) في المطبوعة: العلماء. والتصويب من المقاصد.

(١١) هو الحافظ ابن حجر العسقلاني، وكلام السخاوي مأخوذ عن نص ابن حجر في فتح الباري ١/ ١٩٣.

(١٢) فردوس الأخبار للديلمي ٣/ ٩٩ (ط - دار الكتاب العربي ببيروت).

السماء، وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا». وكذا ورد لفظ الترجمة بلا سند عن أنس بزيادة: «وإنما العالِم مَن عمل بعِلمه»[١]. ا.هـ.

قلت: وبمثل زيادة الديلمي عن البراء أورده ابن النجار في تاريخه عن أنس.

وقال البدر الزركشي في «اللآلئ المنثورة»[٢]: هو بعض حديث أخرجه أصحابُ السنن، وأحمد في مسنده، والطبراني في معجمه[٣]، وابن حبان في صحيحه. ا.هـ.

وفي[٤] كتاب «الضعفاء» للدارقطني[٥] من حديث جابر بن عبد الله رفعه: «أكرِموا العلماء؛ فإنهم ورثة الأنبياء». قال: فيه الضحاك بن حجوة[٦]، ولا يجوز الاحتجاج به، وقد رُوي «العلماء ورثة الأنبياء» بأسانيد صحيحة[٧]، رواه أبو عمر[٨] من حديث الوليد بن مسلم عن خالد بن يزيد عن عثمان بن أيمن[٩] عن أبي الدرداء. ا.هـ.

---

(١) فردوس الأخبار ٣/ ١٠١.

(٢) اللالئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (أو التذكرة في الأحاديث المشتهرة) للبدر الزركشي ص١٦٨
(ط - دار الكتب العلمية).

(٣) مسند الشاميين للطبراني ٢/ ٢٢٥.

(٤) عمدة القاري للعيني ٢/ ٦٠.

(٥) كذا في المطبوعة، وفي عمدة القاري أنه لابن حبان، ولم أقف على هذا الكلام في كتابيهما، بل وجدته في كتاب العلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ٧٩ (ط - دار الكتب العلمية).

(٦) في المطبوعة: ضمرة، وفي عمدة القاري: حمزة. والتصويب من العلل المتناهية وكتاب المجروحين لابن حبان ١/ ٤٨٥.

(٧) في عمدة القاري والعلل المتناهية: صالحة.

(٨) جامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ١٧٠.

(٩) كذا في المطبوعة وعمدة القاري، وأشار محقق كتاب جامع بيان العلم أنه كذلك في جميع النسخ الخطية، والصواب أن اسمه: عثمان بن أبي سودة. انظر: تهذيب الكمال للمزي ١٩/ ٣٨٦ - ٣٨٩ (ط - مؤسسة الرسالة).

وأخرج الخطيب في تاريخه[1] من حديث نافع عن ابن عمر رفعه: «حَمَلَة العلم في الدنيا خلفاء[2] الأنبياء، وفي الآخرة من الشهداء». قال: حديث منكر [جدًّا] لم نكتبه إلا [عن البسطامي] بهذا السند، وهو غير ثابت. وإنما سُمِّي العلماء ورثة الأنبياء لقوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية [فاطر:٣٢] ا.هـ.

قال الحافظ في الفتح[3]: أورده البخاري في صحيحه ولم يفصح بكونه حديثًا، فلهذا لا يُعَدُّ في تعاليقه، لكن إيراده [له] في الترجمة يُشعِر بأن له أصلاً، وشاهِدُه في القرآن قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الآية، وله شواهد يتقوَّىٰ بها.

ومثله للعيني[4]، وزاد: للعلل التي ذكرناها. يعني ما نذكره في أول حديث فضل التعليم.

وخالفهما الكِرْماني في شرحه فقال[5]: أورده البخاري تعليقًا؛ لأنه ليس علىٰ شرطه. فتأمَّلْ.

(ومعلومٌ أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة).

- **الثالث: (وقال ﷺ: يستغفر للعالِم ما في السموات والأرض. وأيُّ منصب يزيد علىٰ منصب مَن تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له؟ فهو مشغول بنفسه، وهم مشغولون بالاستغفار له)** قال العراقي[6]: هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدِّم.

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٣١ في ترجمة شيخه أبي العباس البسطامي. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) في المطبوعة: خلف. والمثبت من عمدة القاري وتاريخ بغداد.

(٣) فتح الباري ١/ ١٩٣. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٤) عمدة القاري ٢/ ٦٠.

(٥) الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري للكرماني ٢/ ٣٠ (ط - دار إحياء التراث العربي ببيروت).

(٦) المغني ١/ ١١.

قلت: هذه الزيادة بمعناها أيضًا في حديث البراء بن عازب كما عند الديلمي، وأنس بن مالك كما عند ابن النجار، وقد سبق قريبًا، وسيأتي له بمعناها من حديث الترمذي عن أبي أُمامة في الحديث الثاني عشر[١].

وأخرج ابن عبد البر في «العلم»[٢] من طريق أنس: «وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتىٰ الحيتان في البحر». يعني[٣] أن العالِم لمَّا كان سببًا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلِكات، وكان سعيُه مقصورًا علىٰ هذا، وكانت نجاة العباد علىٰ يديه جُوزيَ من جنس عمله، وجُعل مَن في السموات والأرض ساعيًا في نجاته من أسباب الهلاك[٤] باستغفارهم [له][٥] وقوله «مَن في السموات والأرض» عامٌّ في الحيوانات ناطقها وبهيمها، طيرها وغيره.

- **الرابع: (وقال ﷺ: إن الحكمة تزيد الشريفَ شرفًا، وترفع المملوك حتىٰ تُجلِسه مجالسَ الملوك. وقد نبَّه بهذا علىٰ ثمرته في الدنيا، ومعلومٌ أن الآخرة خيرٌ وأبقىٰ)** قال العراقي[٦]: رواه أبو نُعَيم في الحلية[٧]، وابن عبد البر في بيان العلم[٨]، وعبد الغني الأزدي في «أدب المحدِّث» من حديث أنس بإسناد ضعيف. ا.هـ.

قلت: أورده الجلال في ذيله وعزاه فيه إلىٰ أبي نعيم، وفي الصغير إليه وإلىٰ ابن عدي[٩]، وكلاهما من طريق أنس بلفظ: «الحكمة تزيد الشريف شرفًا» والباقي سواء.

---

(١) كذا في المطبوعة، وإنما هو الحديث الثاني والعشرون.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٥ وأوله: طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم وطالب العلم ... الخ.

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٥٧.

(٤) في مفتاح دار السعادة: الهلكات.

(٥) زيادة من مفتاح دار السعادة.

(٦) المغني ١/ ١١.

(٧) حلية الأولياء ٦/ ١٧٣.

(٨) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٨٤.

(٩) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٧٩٣.

قال المناوي[١]: هو من حديث عمرو بن حمزة عن صالح عن الحسن عن أنس، وقال أبو نعيم: غريب تفرَّد[٢] به عن صالح. وقال العسكري: ليس هذا من المرفوع[٣]، بل من كلام الحسن وأنس. ا.هـ.

وأخرج الدِّينوري في المجالسة قال[٤]: حدثنا عبد الرحمن بن خِراش[٥]، حدثنا محمد بن الحارث المروزي، حدثنا العلاء بن عمرو الحنفي، حدثنا ابن أبي زائدة، عن أبي خلدة، عن أبي العالية قال: كنت آتي ابنَ عباس وقريشٌ حوله، فيأخذ بيدي فيُجلِسني معه علىٰ السرير، فتغامزت بي قريشٌ، ففطن لهم ابنُ عباس فقال: هكذا [هذا][٦] العلم يزيد الشريفَ شرفًا، ويُجلِس المملوك علىٰ الأسِرَّة[٧]. ا.هـ.

وهذا[٨] عطاء بن أبي رباح أحد الموالي لمَّا دخل علىٰ هشام بن عبد الملك كان عليه قميص دَنِس، وجُبَّة دَنِسة، وقلنسوة لاطية دنسة علىٰ حمار إكافه خشب، فلما رآه قال: مرحبًا مرحبًا، ههنا ههنا. فرفعه حتىٰ مسَّت ركبتُه ركبتَه، وعنده أشراف الناس يتحدثون، فسكتوا.

---

(١) فيض القدير ٣/ ٤١٦.

(٢) يعني عمرو بن حمزة.

(٣) عبارة المناوي عن العسكري: ليس هذا من كلام الرسول ﷺ.

(٤) المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري ٢/ ١٨٢ (ط - دار ابن حزم ببيروت).

(٥) في المطبوعة: فراس. والمثبت من المجالسة.

(٦) زيادة من المجالسة.

(٧) بعده في المجالسة: ثم أنشد محمد بن الحارث في إثره:

رأيت رفيع الناس من كان عالمًا ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

إذا حل أرضًا عاش فيها بعلمه ... وما عالمٌ في بلدة بغريب

(٨) المتفق والمفترق للخطيب البغدادي ٢/ ١٠٦١ (ط - دار القادري بدمشق). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ٧/ ١٦٧. تاريخ دمشق ٤٠/ ٣٦٨.

وقال إبراهيم الحربي[١]: كان عطاء عبدًا أسود[٢]، كأن أنفه باقِلَّىٰ. قال: وجاء سليمان بن عبد الملك إليه هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلِّي، فلما صلىٰ انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوَّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنَيْه: قُوما، فقاما، فقال: يا بَنيَّ، لا تنيا في طلب العلم؛ فإني لا أنسىٰ ذُلَّنا بين يدَيْ هذا العبد الأسود.

وقال أبو العالية[٣]: كنتُ آتي ابنَ عباس وهو علىٰ سريره، وحوله قريش، فيأخذ بيدي فيُجلِسني معه علىٰ السرير، فتتغامز بي قريش، ففطن لهم ابنُ عباس فقال: كذا هذا العلم يزيد الشريفَ شرفًا، ويُجلِس المملوك علىٰ الأسِرَّة.

وكان[٤] محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخلاً في بدنه، وكان مَنْكِباه خارجينِ كأنهما زُجَّان[٥]، فقالت له أمه: يا بنيَّ، لا تكون في مجلس[٦] إلا كنت المضحوك [منه][٧] المسخور به، فعليك بطلب العلم؛ فإنه يرفعك [فطلب العلم][٨] فولي قضاءَ مكة عشرين سنة، وكان الخصم إذا جلس بين يديه يُرعَد حتىٰ يقوم.

- **الخامس**: (**وقال** ﷺ: **خصلتان لا تكونان**) وفي رواية: لا تجتمعان (**في منافق: حُسْن سَمْت**) قال ابن الأثير: أي حُسْن الهيئة والمنظر في الدِّين[٩].

---

(١) تاريخ دمشق ٤٠/ ٣٧٥. الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١/ ١٤٠ (ط - دار ابن الجوزي بالرياض).

(٢) زاد في تاريخ دمشق والفقيه والمتفقه: لامرأة من أهل مكة.

(٣) تقدمت هذه الحكاية قريبا.

(٤) تاريخ دمشق ٥٤/ ١٠٦. الفقيه والمتفقه ١/ ١٤٠.

(٥) تثنية زج، وهو الحديدة التي في أسفل الرمح.

(٦) في تاريخ دمشق والفقيه والمتفقه: في قوم.

(٧) زيادة من تاريخ دمشق الفقيه والمتفقه.

(٨) زيادة من تاريخ دمشق والفقيه والمتفقه.

(٩) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٩٧، وزاد بعده: وليس من الحسن والجمال. وقيل هو من السمت: الطريق، يقال: الزم هذا السمت. وفلان حسن السمت، أي حسن القصد.

وفي «الفائق»: حُسن السَّمت: أخذُ التهجد، ولزوم المَحَجَّة، ثم قيل لكل طريقة ينتحيها الإنسان في تحرِّي الخير والتزيي في زي الخير: سَمْتٌ[١] **(وفقهٌ في دين)** وفي بعض الروايات: في الدين. وفي أخرىٰ: ولا فقه في الدين.

قال السيوطي[٢]: حسُن عطفُه علىٰ ما قبله[٣]، وهو مثبَت؛ لأنه في سياق النفي.

قال التوربشتي: حقيقة الفقه في الدين ما وقع في القلب ثم ظهر علىٰ اللسان فأفاد العلمَ وأورث التقوىٰ والخشية، وأما ما يتدارسه المغرورون فإنه بمعزل عن ذلك[٤].

وإليه أشار المصنفُ بقوله: **(ولا تشكَّنَّ في)** هذا **(الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان)** من علماء الدنيا؛ فإنهم يُبطِنون من الحب والميل للدنيا والرياسة والجاه خلاف ما يُظهِرون من الزهد وشعار الورع **(فإنه ما أراد به الفقه الذي ظننتَه)** بل ما ذكرناه.

قال ابن القيم[٥]: وهذه شهادة بأن مَن اجتمع فيه حُسن السمت والفقه في الدين [فهو مؤمن، وأحرىٰ بهذا الحديث أن يكون حقًّا، وإن كان إسناده فيه جهالة؛

---

(١) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/ ١٩٨ (ط - البابي الحلبي) ونصه: «السمت: أخذ النهج ولزوم المحجة، وسَمَت فلانٌ الطريقَ يَسْمِت، وأنشد الأصمعي لطرفة:

خواضع بالركبان خوصًا عيونها
وهنَّ إلىٰ البيت العتيق سوامت

ثم قال: ما أحسن سمته، أي طريقته التي ينتهجها في تحري الخير والتزيي بزي الصالحين».

(٢) كذا في المطبوعة، وهذا الكلام في فيض القدير للمناوي ٣/ ٤٤١ دون نسبة لأحد، كأنه من كلام المناوي.

(٣) يعني قوله: حسن سمت.

(٤) في فيض القدير: فبمعزل عن الرتبة العظمىٰ؛ لتعلق الفقه بلسانه دون قلبه.

(٥) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٨٤. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

فإن حُسن السمت والفقه في الدين] من أخصِّ علامات الإيمان، ولن يجمعهما الله في منافق؛ فإن النفاق ينافيهما وينافيانه.

وقال السيوطي[1]: ليس المراد أن واحدة منهما قد تحصل في المنافق دون الأخرىٰ، بل هو تحريض للمؤمن علىٰ اتصافه بهما معًا، والاجتناب عن ضدهما؛ فإن المنافق مَن يكون عاريًا عنهما، وهذا من باب التغليظ. ا.هـ.

قال العراقي[2]: أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: حديث غريب. ا.هـ.

قلت: قال الترمذي[3]: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا خلف بن أيوب، عن عوف، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ... فذكره، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عوف إلا من [حديث] هذا الشيخ خلف بن أيوب العامري، ولم أرَ أحدًا يروي عنه غير أبي كُرَيب محمد بن العلاء، ولا أدري كيف هو. ا.هـ.

ولذلك قال غير واحد: إن إسناده ضعيف.

وأخرجه ابن المبارك في الزهد[4] من رواية محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام مرسَلاً، ولفظه: لا تكونان. كما في سياق المصنِّف.

(وسيأتي) بيان **(معنىٰ الفقه. وأدنىٰ درجات الفقيه أن تكون الآخرة عنده خيرًا من الدنيا، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه تبرَّأ بها من النفاق والرياء)**.

- **السادس: (وقال** ﷺ: **الإيمان عريان، ولباسه التقوىٰ، وزينته الحياء، وثمرته العلم)** أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور عن أبي الدرداء بإسناد ضعيف؛

---

(١) كذا في المطبوعة، والصواب: الطيبي، كما في فيض القدير.

(٢) المغني ١/ ١١.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٤١٥.

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ١٦٠.

قاله العراقي[١].

قلت: هو في كتاب القوت لأبي طالب[٢] عن وهب بن منبه، قال: وقد أسنده حمزة الخُراساني عن الثوري فرفعه إلىٰ عبد الله عن النبي ﷺ[٣]. قال: وقد رويناه أيضًا مسندًا. ا.هـ.

وأورده الراغب في الذريعة[٤] من غير إسناد، وكذا عبد الرحمن بن عبد السلام الصَّفوري في كتابه «نُزهة المجالس»[٥] عن وهب هكذا، إلا أنه ذكر بدل الجملة الثالثة: ورأس ماله الفقه.

قلت: وحمزة الخُراساني الذي روىٰ عن الثوري إن كان هو حمزة بن بَهْرام فقد قال الذهبي في ذيل الديوان[٦]: إنه مجهول لا يُعرَف.

ثم رأيت الشهاب البوصيري أورده في كتابه «إتحاف المَهَرة»[٧] عن مسدَّد في مسنده، حدثنا يحيىٰ، عن سفيان، حدثنا عبد العزيز بن رُفَيع، سمعتُ وهب بن منبه يقول: الإيمان عريان، ولباسه التقوىٰ.

- **السابع: (وقال ﷺ: أفضل الناس المؤمن العالِم الذي إن احتِيجَ إليه نفع،**

---

(١) المغني ١/ ١٢.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٣٨.

(٣) وأخرجه ابن الشجري في أماليه ١/ ١٥ (ط - عالم الكتب ببيروت) عن عبد الله بن مسعود.

(٤) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص ١١٧ (ط - بيروت).

(٥) نزهة المجالس ومنتخب النفائس للصفوري ص ١١٩ (ط - المكتب الثقافي بالقاهرة) ولفظه: الإيمان عريان، ولباسه التقوىٰ، وريشه الحياء، ورأس ماله العفة.

(٦) لم أقف عليه في الديوان أو ذيله، بل هو في ميزان الاعتدال ١/ ٦٠٥ ونصه: «حمزة بن بهرام البلخي، عن الثوري، مجهول».

(٧) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري ١/ ١٩٦ (ط - مكتبة الرشد بالرياض) ولفظه: «الإيمان عافية ولباسه التقوىٰ». وهو تحريف.

وإن استُغني عنه أغنىٰ نفسَه) أخرجه البيهقي في شُعَب الإيمان[١] موقوفًا علىٰ أبي الدرداء بإسناد ضعيف، ولم أرَه مرفوعًا؛ قاله العراقي[٢].

وفي القوت[٣]: إنما [كان] العالِم عندهم الغني بعلمه لا بعلم غيره، وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علمه وقلبه لا بحديث سواه، كما جاء في الأثر: أيُّ الناس أغنىٰ؟ قال: العالِم الغني بعلمه، إن احتيجَ إليه نفع، وإلا اكتفىٰ عن الناس بعلمه؛ لأن كل عالِم بعلم غيره فإنما صار عالمًا بمجموعه، فمجموعه هم العلماء، وكل فاضل بوصف سواه فموصوفه هم الفضلاء، فإذا تركهم وانفرد سكت فلم يرجع إلىٰ علمٍ لنفسه يختص به، فصار -في الحقيقة- موصوفًا بالجهل، واصفًا لطريق أهل الفضل، موسومًا بعلم السمع والنقل، ولا حال له ولا مقام. ا.هـ.

وفي معناه ما أخرجه الخطيب في تاريخه[٤] عن عبد الله بن عمرو: «أفضل المؤمنين إيمانًا الذي إذا سُئل أعطىٰ، وإذا لم يُعطَ استغنىٰ».

وسنده ضعيف أيضًا.

وأخرج أبو نُعَيم في الحلية[٥] من رواية محمد بن قُدامة قال: سمعتُ سفيان

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٣/ ٢٣٦ ولفظه: «تعلموا العلم قبل أن يُفتقر إليكم؛ فإن أعبد الناسِ رجل عالم إن احتيج إليه نفع بعلمه، وإن استغني عنه نفع نفسه بالعلم الذي جعله الله عنده، فما بال علمائكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟ فلو أن العالم أراد أن يزداد علما لازداد وما نقص العلمُ شيئًا، ولو أراد الجاهل أن يتعلم لوجد العلم».

(٢) المغني ١/ ١٢.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٧٢. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٤٩ ولفظه: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع ولا يُنزِل، فقال رسول الله ﷺ: «إذا التقىٰ الختانان وجب الغسل». ثم قال رسول الله ﷺ لمن عنده: «أي المؤمنين أفضل»؟ فقال بعضهم: المؤمن الغني الذي يُعطَىٰ فيتصدق. فقال رسول الله ﷺ: «ليس كذلك، ولكن أفضل المؤمنين إيمانًا الذي إذا سئل أعطىٰ، وإذا لم يعطَ استغنىٰ». وفيه سليمان بن أبي داود سالم الحراني الجزري، وهو متروك الحديث.

(٥) حلية الأولياء ٧/ ٣٠٧.

ابن عيينة يقول: قال لقمان: خير الناس الحيي الغني. قيل: الغني من المال؟ قال: [لا، ولكن][١] الذي إذا احتيجَ إليه نفع، وإذا استُغني عنه قنع[٢]. قيل: فمَن شر الناس؟ قال: مَن لا يبالي أن يراه الناس مسيئًا.

- الثامن: (وقال ﷺ: **أقرب الناس من درجة النبوة أهلُ العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلُّوا الناس علىٰ ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم علىٰ ما جاءت به الرسل**) أخرجه أبو نُعَيم في «فضل العالِم العفيف» من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف؛ قاله العراقي[٣].

وأورده صاحب القوت فقال[٤]: وقد روينا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رفعه ... فذكره، ويُروَىٰ: إن أقرب الناس. ثم قال: ألا تراه كيف جعل العلم دالاًّ علىٰ الله تعالىٰ كالجهاد.

أخرجه ابن القيم[٥] هكذا، فجعله من قول إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة[٦].

- **التاسع**: (وقال ﷺ: **لَموتُ قبيلةٍ أيسر من موت عالِمٍ**) أخرجه الطبراني وابن عبد البر[٧] من حديث أبي الدرداء، وأصل الحديث عند أبي داود[٨]؛ قاله العراقي[٩].

---

(١) ما بين المعقوفين مكانه بياض في المطبوعة، وأكملته من الحلية.

(٢) في الحلية: نفع.

(٣) المغني ١/ ١٢.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٤١.

(٥) في مفتاح دار السعادة ١/ ٣٩٠.

(٦) ورواه عنه أيضا الخطيب البغدادي في كتاب الفقيه والمتفقه ١/ ١٤٨.

(٧) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٧١.

(٨) انظر تخريج الحديث الثاني.

(٩) المغني ١/ ١٢.

قلت: الذي رواه الطبراني عن أبي الدرداء ورفعه: «موت العالِم مصيبة لا تُجبَر، وثلمة لا تُسَد، وموت قبيلة أيسر من موت عالِم، وهو نجم طُمِس». أورده السخاوي في المقاصد[١]، وله شواهد، منها ما أورده الزبير بن بكّار في «الموفّقيات» عن محمد بن سلام الجُمَحي عن علي بن أبي طالب من قوله: إذا مات العالِم انثلم في الإسلام ثلمةٌ لا يسدُّها شيءٌ إلىٰ يوم القيامة.

وهو معضَل[٢].

وأخرج أبو بكر ابن لال في فوائده من حديث جابر مرفوعًا: «موت العالم ثلمة في الإسلام لا تُسَد ما اختلف[٣] الليل والنهار».

وأخرج الديلمي عن ابن عمر: ما قبض الله عالمًا إلا كان ثغرة في الإسلام لا تُسَد.

وللبيهقي[٤] من حديث معروف بن خَرَّبُوذ عن أبي جعفر أنه قال: موت عالِمٍ أَحَبُّ إلىٰ إبليس من موت سبعين عابدًا.

وأخرج الحاكم[٥] من حديث عطاء عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد:٤١، الأنبياء:٤٤] قال: بموت علمائها وفقهائها. ا.هـ.

قلت: وأخرج أبو يعلىٰ في مسنده[٦] من طريق عثمان بن أعيُن عن أبي الدرداء بمثل ما قدَّمناه عن الطبراني، وفيه زيادة، ولكن في الإسناد رجل لم يُسَمَّ.

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٤٥.

(٢) الحديث المعضل: هو ما سقط من إسناده راويان فأكثر.

(٣) في المقاصد: لا يسدها اختلاف.

(٤) شعب الإيمان ٣/ ٢٣٢.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤١٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

وتعقبه الذهبي بقوله: «فيه طلحة بن عمرو، قال أحمد: متروك».

(٦) انظر: إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ٢٦٥.

- **العاشر: (وقال ﷺ: الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فخيارهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فَقِهُوا)** متفق عليه[١] من حديث أبي هريرة؛ قاله العراقي[٢]. قلت: زاد مسلم: «والأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارَفَ منها ائتلف، وما تناكَرَ منها اختلف».

وأخرجه العسكري من حديث قيس بن الربيع عن أبي حُصَين عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة».

قال السخاوي في المقاصد[٣]: ولأبي هُرَيرة في المرفوع حديثٌ آخر لفظُه: «الناس معادن في الخير والشر، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» أخرجه الطيالسي[٤] وابن مَنِيع والحارث بن أبي أسامة وغيرهم كالبيهقي[٥] من حديث ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، وأصله في الصحيح، وللديلمي[٦] عن ابن عباس مرفوعًا: «الناس معادن، والعِرق دَسَّاس»[٧]. ا.هـ.

وأخرجه البيهقي[٨] أيضًا عن ابن عباس، وفيه: «وأدبُ السوء كعِرق السوء».

و«فَقِهُوا»[٩] بكسر القاف، وبضمها، يقال: فَقِهَ، كعَلِمَ زِنةً ومعنىً، وككَرُمَ: صار فقيهًا[١٠].

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٤٦٩، ٥٠٣. صحيح مسلم ٢/ ١٢١٨.

(٢) المغني ١/ ١٢.

(٣) المقاصد الحسنة ص ٤٤١.

(٤) مسند أبي داود الطيالسي ٤/ ٢٢٢ (ط - دار هجر بالقاهرة).

(٥) شعب الإيمان ٣/ ٢٢٥.

(٦) فردوس الأخبار ٥/ ٤٦.

(٧) زاد في المقاصد: «وكثير من العامة يورده بلفظ: للخير معادن».

(٨) شعب الإيمان ١٣/ ٣٥٠.

(٩) تاج العروس ٣٦/ ٤٥٦.

(١٠) عبارة التاج: صار الفقه له سجية.

وستأتي الزيادة لبيانه في أول الباب السادس.

- **الحادي عشر: (وقال ﷺ: يوزَن يوم القيامة مِدادُ العلماء بدم الشهداء)** أخرجه ابن عبد البر[١] من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف؛ قاله العراقي[٢].

قلت: وأخرجه الشيرازي في «الألقاب» من طريق أنس بزيادة: «فيرجح مِدادُ العلماء علىٰ دم الشهداء»[٣].

وأخرجه المُرْهِبي[٤] في «فضل العلم» عن عِمْران بن حُصَين[٥]، وابن الجوزي في العلل[٦] عن النعمان بن بشير، والديلمي عن ابن عمر[٧].

قال ابن الجوزي: حديث لا يصح، وهارون بن عنترة - أحد رجاله - قال ابن حبان[٨]: لا يجوز الاحتجاج به، يروي المناكير، ويعقوب القُمِّي ضعيف.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٥٠.

(٢) المغني ١/ ١٢.

(٣) وأخرجه بهذه الزيادة أيضًا أبو نعيم في تاريخ أصبهان ٢/ ٢٠٨ (ط - دار الكتاب الإسلامي) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن علي بن محمد المرهبي، أحد شيوخ أبي نعيم الأصفهاني. والمرهبي نسبة إلىٰ بني مرهبة، وهم بطن من همدان نزلوا الكوفة، وهو مرهبة بن دُعام بن مالك بن معاوية ابن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان. الأنساب للسمعاني ٥/ ٢٦٦.

(٥) وأخرجه أيضًا ابن عمشليق في جزئه ص ٤٤ (ط - دار ابن حزم ببيروت) عن عمران.

(٦) العلل المتناهية ١/ ٨١.

(٧) لم أقف عليه في فردوس الأخبار من حديث ابن عمر، بل وجدته من حديث جابر بن عبد الله، ومن حديث أبي هريرة.
انظر: فردوس الأخبار للديلمي ٥/ ٤٧٢، ٤٧٣.

(٨) المجروحين من المحدثين ٢/ ٤٤٢ ونصه: «منكر الحديث جدًا، يروي المناكير الكثيرة حتىٰ يسبق إلىٰ قلب المستمع لها أنه المتعمد لذلك من كثرة ما يروي ما لا أصل له، لا يجوز الاحتجاج به بحال».

وفي الميزان[١]: متنُه موضوع.

وهذا[٢] الحديث مما احتُجَّ به علىٰ فضل العالِم علىٰ الشهيد. وقال ابن الزِّملكاني: والإنصاف أن ما ورد للشهيد من الخصائص وصح فيه من رفع العذاب وغفران النقائص لم يَرِد مثله للعالِم لمجرَّد علمه، ولا يمكن لأحد أن يقطع [له] [٣] به في حكمه، وقد يكون لمَن هو أعلىٰ درجة ما هو أفضل من ذلك، وينبغي أن يُعتبَر[٤] حالُ العالِم وثمرة علمه وماذا عليه[٥] وحال الشهيد وثمرة شهادته وما أحدث عليه، فيقع التفضيل بحسب الأعمال والفوائد، فكم من شهيد[٦] أو عالم هوَّن أهوالاً وفرَّجَ شدائد، وعلىٰ هذا فيتجه أن الشهيد الواحد أفضل من جماعة من العلماء، والعالِم الواحد أفضل من كثير من الشهداء، كلٌّ بحسب حاله وما ترتَّبَ علىٰ علومه وأعماله.

وسيأتي الكلام علىٰ هذا الحديث قريبًا.

- **الثاني عشر: (وقال ﷺ: مَن حفظ علىٰ أمَّتي أربعين حديثًا من السُّنَّة حتىٰ يؤدِّيها إليهم كنتُ له شفيعًا وشهيدًا يومَ القيامة)** أخرجه ابن عبد البر في العلم[٧] من

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٥١٧ - ٥١٨ في ترجمة محمد بن الحسن بن أزهر الدعاء وقال عنه: «كان غير ثقة، روىٰ الموضوعات». ثم أورد له هذا الحديث.

(٢) فيض القدير للمناوي ٦/ ٤٦٦.

(٣) زيادة من الفيض.

(٤) في المطبوعة: يتعين. والمثبت من الفيض.

(٥) في المطبوعة: وما زاد عليه. والمثبت من الفيض.

(٦) في المطبوعة: شاهد. والمثبت من الفيض.

(٧) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٩٣ وقال: «هذا أحسن إسناد جاء به هذا الحديث، ولكنه غير محفوظ ولا معروف من حديث مالك، ومن رواه عن مالك فقد أخطأ عليه وأضاف ما ليس من روايته إليه».

حديث ابن عمر وضعَّفَه؛ قاله العراقي[١]. قلت: وأخرج ابن النجار في تاريخه عن أبي سعيد الخُدْري: «مَن حفظ علىٰ أمَّتي أربعين حديثًا من سُنَّتي أدخلتُه يومَ القيامة في شفاعتي»[٢]. وهو شاهد قوي لحديث ابن عمر، إلا أن إسناده ضعيف كذلك.

والمراد بالحفظ: النقل إليهم بطريق التخريج والإسناد، صِحاحًا كُنَّ أو حِسانًا، قيل: أو ضِعافًا يُعمَل بها في فضائل الأعمال، وخصَّ الأربعين لأنها أقل عددٍ له ربع عُشْر صحيح، وحفظُ الحديث مطلقًا فرضُ كفايةٍ؛ نقله المناوي[٣].

وأخرج ابن عدي في الكامل[٤] عن ابن عباس: «مَن حفظ علىٰ أمَّتي أربعين حديثًا من السُّنَّة كنتُ له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة». وهو أيضًا شاهد لِما في الباب، وسنده ضعيف كذلك.

- **الثالث عشر: (وقال ﷺ: مَن حمل من أمَّتي أربعين حديثًا لقي الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة فقيهًا عالِمًا)** أخرجه ابن عبد البر[٥] من رواية بقيَّة عن المُعلَّىٰ عن السُّدِّي عن أنس، وضعَّفه؛ قاله العراقي[٦].

قلت: وأخرجه ابن عدي في الكامل[٧] من هذا الطريق أيضًا.

وقال السخاوي في المقاصد[٨]: أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن

---

(١) المغني ١/ ١٢.

(٢) وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١٢١.

(٣) فيض القدير ٦/ ١١٩.

(٤) الكامل ١/ ٣٢٤، ٢/ ٨٩٠.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٩٢ وقال: «فيه علي بن يعقوب بن سويد، ينسبونه إلىٰ الكذب ووضع الحديث، وإسناد هذا الحديث كله ضعيف».

(٦) المغني ١/ ١٣.

(٧) الكامل ٥/ ١٧١٢.

(٨) المقاصد الحسنة ص ٤١١.

مسعود[١] وابن عباس[٢]: «مَن حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثًا بُعث يوم القيامة فقيهًا». قال: وفي الباب عن أنس [وعلي][٣] ومعاذ وأبي هريرة وآخرينَ، أخرجها ابن الجوزي في «العلل المتناهية»[٤]. قال النووي[٥]: طرقه كلُّها ضعيفة، وليس بثابت.

وكذا قال شيخنا[٦]: جمعتُ طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة.

قال البيهقي في الشُّعَب[٧] عقيب حديث أبي الدرداء منها: هذا متن مشهور بين الناس، وليس له إسناد صحيح. ا.هـ.

وقرأت في كتاب الأربعين البُلْدانية للحافظ أبي طاهر السِّلَفي ما نصه[٨]: فإن نفرًا من العلماء لمَّا رأوا ورووا قول أطهر مُنْسَل وأظهر مرسَل: «مَن حفظ علىٰ أمَّتي أربعين حديثًا بعثه الله يوم القيامة فقيهًا» من طُرقٍ وثقوا بها، وعوَّلوا عليها، وعرفوا صحَّتَها، وركنوا إليها، حتىٰ خرَّج كلٌّ منهم لنفسه أربعين حديثًا، حتىٰ

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ١٨٩ ولفظه: «من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثا ينفعهم الله عَزَّوَجَلَّ بها قيل له: ادخل من أي أبواب الجنة شئت».

(٢) لم أقف عليه في الحلية بهذا اللفظ من حديث ابن عباس، بل أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان ١/ ٢٠١ بلفظ: «من حمل من أمتي أربعين حديثا فهو من العلماء».

(٣) زيادة من المقاصد.

(٤) العلل المتناهية ١/ ١١٩ - ١٢٩.

(٥) الأربعون النووية ص ٢ (ط - مكتة الاقتصاد بمكة المكرمة) ونصه: «اتفق الحفاظ علىٰ أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه».

(٦) هو الحافظ ابن حجر العسقلاني، وكلامه هذا مذكور في كتاب التلخيص الحبير ٣/ ٢٠٢ (ط - مؤسسة قرطبة بالقاهرة).

(٧) شعب الإيمان ٣/ ٢٤١.

(٨) الأربعين البلدانية (أو الأربعين المستغنىٰ بما فيه عن المعين) لأبي طاهر السلفي ص ٢٨ - ٣٧ (ط - دار البيروتي بدمشق) باختصار.

قال إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي: اجتمع عندي من الأربعينات ما ينيف علىٰ السبعين. وقد استفتيتُ شيخنا الإمام أبا الحسن علي بن محمد بن علي الطَّبَري المعروف بالكِيَا ببغداد سنة خمس وتسعين وأربعمائة أو قبلها أو بعدها بقليل لكلام جرىٰ بين الفقهاء في المدرسة النظامية التي هو مدرِّسها اقتضىٰ الاستفتاء، ويجد المستفتي فيه الشفاءَ: ما يقول الإمام -وفَّقَه الله تعالىٰ- في رجل وصَّىٰ بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل كَتَبَةُ الحديث في هذه الوصية أمْ لا؟ فكتب بخطِّه تحت السؤال: نعم، كيف لا وقد قال النبي ﷺ: «مَن حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهًا عالمًا ...» الحديث، فقد أخبرنا به أبو عبد الله الثقفي ... ثم ساق سنده من طريق أبي بكر الآجُرِّي، حدثنا محمد بن مَخلد العطَّار، حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد الخندقي -وكان له حفظٌ- حدثنا محمد بن إبراهيم السائح، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زُمرة الفقهاء والعلماء».

ثم ساق حديثًا آخر من طريق ابن أبي الدنيا، حدثنا الفضل بن غانم، حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جدِّه، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله فقيهًا، وكنتُ له يوم القيامة شافعًا وشهيدًا». قال: هذا ما رواه معاذ وأبو الدرداء، وقد رواه أبو هريرة بلفظ هو أرجَىٰ للراوي من هذا اللفظ، وللحصول علىٰ الأجر قبل الحفظ. ثم ساقه من طريق أبي صالح إسحاق بن نَجِيح[1]، حدثنا عطاء، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَن روىٰ عني[2] أربعين حديثًا جاء في زُمرة العلماء

---

(١) في المطبوعة: من طريق أبي صالح حدثنا إسحاق بن نجيح. والتصويب من الأربعين البلدانية، وإسحاق بن نجيح يكنىٰ بأبي صالح.

(٢) في الأربعين البلدانية: عن أمتي.

يوم القيامة».

قال: ومن أحسن ما يُذكَر هنا وأغربه ما كتب إليَّ أبو الفتيان الدِّهِسْتاني الحافظ من خراسان ... ثم ساقه من طريق محمد بن أيوب الهَنائي، حدثنا حُمَيد بن أبي حميد، عن عبد الرحمن ابن دَلْهَم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن حفظ علىٰ أمتي حديثًا واحدًا كان له أجر أحد وسبعين نبيًّا صِدِّيقًا».

قال أبو الفتيان: كتب عندي[1] هذا الحديث الحافظ أبو بكر البغدادي الخطيب بصُور[2]، وقد روىٰ هذا الحديث غيرُ الهنائي[3] عن حميد فقال: أجر اثنين وسبعين. ثم ساقه من طريق محمد بن موسىٰ، حدثنا حميد، ولفظه: «مَن حفظ علىٰ أمتي حديثًا واحدًا من أمر دينهم أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ أجر اثنين وسبعين صِدِّيقًا». ثم ساق من طريق الثوري عن ليث عن طاووس عن ابن عباس رفعه: «مَن أدَّىٰ إلىٰ أمتي حديثًا واحدًا يقيم به سُنَّة ويردُّ به بدعةً فله الجنة». انتهىٰ كلام السِّلَفي.

وهذا الحديث الأخير قد أخرجه أبو نعيم في الحلية[4]، وفي سندِه كذَّابٌ[5].

وقرأت في آخر كتاب الأربعين المتباينة الإسناد للحافظ ابن حجر[6]، وقد ذكر كلام السلفي من أوله، وساق الحديث من طريق أبي الدرداء الذي ذكرناه وقال: هذا حديث مشهور له طرق كثيرة، وهو غريب من هذا الوجه، تفرَّد به عبد الملك بن

---

(١) كذا في المطبوعة، وفي الأربعين البلدانية: عني.

(٢) صور: مدينة كبيرة مشهورة تقع جنوب لبنان علىٰ ساحل البحر المتوسط علىٰ بعد ٨٥ كم من بيروت.

(٣) في المطبوعة: النسائي. وهو خطأ.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٤٤.

(٥) هو إسماعيل بن يحيىٰ التيمي الراوي عن الثوري. وممن كذبه الدارقطني والحاكم وأبو علي النيسابوري وأبو الفتح الأزدي.
انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٣.

(٦) الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع لابن حجر العسقلاني ص ٦٦ - ٧١ (ط -دار الكتب العلمية).

هارون، أخرجه ابن حبَّان في كتاب الضعفاء[١] له من طريق عبد الملك هذا، واتَّهمه به، وقال: لا يحل كَتْبُ حديثِه إلا للاعتبار، وضعَّفَه غيره[٢]، وباقي رجاله ثقات، ولم يُخرِج هذا المتنَ أحدٌ من الأئمة في الأمَّهات المشهورة، لا المخرَّجة علىٰ الأبواب، ولا المرتَّبة علىٰ المسانيد، إلا أن أبا يعلىٰ رواه في مسنده[٣] عن عمرو بن الحُصَين العُقَيلي عن محمد بن عبد الله بن عُلاثة عن خُصَيف عن مجاهد عن أبي هريرة، وخصيف وابن علاثة صدوقان ليس فيهما مقال، والآفة فيه من عمرو بن الحصين، فقد كذَّبه أحمد وابن معين وغيرهما[٤].

ورواه الحسن بن سفيان في أربعينه[٥] عن علي بن حُجْر عن إسحاق بن نجيح عن ابن جُرَيج عن عطاء عن ابن عباس به، ورجاله ثقات، إلا إسحاق فقد اتهمه بالوضع ابنُ معين وابن أبي شيبة والفَلاَّس وغيرهم[٦]، ولكن تابعه عليه عن ابن جريج جماعةٌ، منهم: حُمَيد بن مدرك، وخالد بن يزيد العُمَري، وأبو البَخْتَري وهب بن وهب القاضي، ورُوي عن بقية بن الوليد ومَعْمَر أيضًا؛ فأما رواية حميد بـن مدرك فأخرجها الحافظ أبو بكر الجَوْزَقي[٧] في أربعينه، وحُمَيد مجهول. وأما رواية خالد بن يزيد فرواها ابن عدي في الكامل[٨] في ترجمته، وضعَّفه، واتهمه

---

(١) المجروحين لابن حبان ٢/ ١١٥.

(٢) كالدارقطني وأحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين وأبي حاتم الرازي.
انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٦٦٦ - ٦٦٧.

(٣) وأخرجه ابن عدي في الكامل ٥/ ١٧٩٩ عنه.

(٤) انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٥) الأربعون للحسن بن سفيان ص ٨٦ (ط - دار البشائر الإسلامية ببيروت).

(٦) انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٢٠٠ - ٢٠١.

(٧) في المطبوعة: أبو بكر ابن الجوزي. والتصويب من الإمتاع.

(٨) الكامل ٣/ ٨٩٠.

جماعةٌ[١]. وأما رواية أبي البختري فرواها ابن عدي أيضًا في الكامل[٢] في ترجمته بإبدال ابن عباس بأبي هريرة، وأبو البختري أجمعوا علىٰ تكذيبه[٣]. وأما رواية بقية بن الوليد فرواها مظفر بن إلياس السعيدي في أربعينه من طريقه، وبقية صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء، فإن كان محفوظًا عنه فكأنَّه سمعه من إنسان ضعيف عن ابن جُرَيج فأسقط الضعيفَ ودلَّسه. وأما رواية معمر فرويناها في الأربعين للإمام أبي المَعالي إسماعيل بن الحسن الحُسَيني قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد المُقري[٤] المعروف بابن بُشْت، عن عبد المؤمن بن خلف النسفي الحافظ، عن إسحاق بن إبراهيم، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن ابن جريج به.

وابن بُشْت تكلَّموا في صحة سماعه من عبدالمؤمن بن خلف، وذكر الحافظ أبو صالح المؤذِّن أنه سقط اسم شيخه الذي حدَّثه عن عبد المؤمن بن خلف علىٰ كاتِب الطبقة. قلت: الذي عندي في هذا أنه دخل عليه إسناد في إسناد، وإلا فمعمر غير معروف بالرواية عن ابن جريج، وعبد الرزاق معروف بالرواية عنهما جميعًا، وللحديث طرق غير هذه، منها ما أخرجه الجوزقي من طريق زيد بن الحُرَيش، عن عبد الله بن خِراش عن عمِّه العَوَّام بن حوشب عن إبراهيم التيمي عن أنس بن مالك به، وعبد الله ابن خراش وزيد بن الحريش ذكرهما ابن حبان في كتاب الثقات[٥] وقال في كلٍّ منهما: ربما أخطأ. قلت: أخطأ ابن حبان في توثيق عبد الله بن خراش، فقد اتفق الأئمة علىٰ تضعيفه، واتهمه بعضهم[٦].

---

(١) منهم أبو حاتم الرازي وابن معين وابن حبان.
انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٦.

(٢) الكامل ٧/ ٢٥٢٨.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٤) في المطبوعة: الغزي. والتصويب من الإمتاع.

(٥) الثقات لابن حبان ٨/ ٢٥١، ٣٤٠ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند).

(٦) قال الذهبي: «ضعفه الدارقطني وغيره، وقال أبو زرعة: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث». ميزان الاعتدال ٢/ ٤١٣.

ومنها ما رواه أبو ذر الهَرَوي في كتاب الجامع له عن شافع بن محمد بن أبي عَوانة عن يعقوب بن إسحاق العسقلاني عن حُمَيد بن زنجويه عن يحيىٰ بن عبد الله بن بُكَير عن مالك عن نافع عن ابن عمر.

قال ابن عبد البر[١]: مَن روىٰ هذا عن مالك فقد أخطأ عليه وأضاف ما ليس من روايته إليه.

قلت: ليس في رُواته مَن يُنظَر في حاله إلا يعقوب بن إسحاق، فقد ذكر مسلمة ابن القاسم أنه لقيه والناس يختلفون فيه، فبعضهم يوثِّقه، وبعضهم يضعِّفه[٢]، والظاهر أنه دخل عليه حديث في حديث.

ومنها ما أخرجه الحافظ أبو بكر الآجُرِّي في كتاب الأربعين[٣] له عن محمد ابن مخلد، عن جعفر بن محمد الخندقي، عن محمد بن إبراهيم السائح، عن عبدالمجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عباس، عن معاذ بن جبل، وليس في رُواته مَن يُنظَر في حاله إلا السائح؛ فإنه غير معروف، وعندي أن هذه الطريق أجود طرق هذا المتن مع ضعفها، ورُوي أيضًا من طرق ضعيفة عن علي بن أبي طالب وسَلْمان وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي سعيد الخُدْري وأبي أُمامة الباهلي وجابر بن سَمُرة وجابر بن عبد الله ونُوَيرة، ولا يصح منها شيءٌ.

قال أبو علي سعيد ابن السكن الحافظ: ليس يُروَىٰ هذا الحديث عن النبي ﷺ من طُرق تثبُت.

وقال الدارقطني: لا يثبُت من طرقِه شيءٌ.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٩٣.

(٢) وكذَّبه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٤٤٩.

(٣) الأربعون للآجري ص ١٣٢ (ط - المكتب الإسلامي ببيروت).

وقال البيهقي: أسانيده كلها ضعيفة.

وقال ابن عساكر[١]: أسانيده كلها فيها مقال، ليس للتصحيح فيها مجال.

وقال عبد القادر الرُّهاوي: طرقه كلها ضِعاف؛ إذ لا يخلو طريق منها أن يكون فيها مجهول التصرف[٢] أو معروف مضعَّف.

وقال الحافظان رشيد الدين العطَّار[٣] وزكي الدين المنذري نحو ذلك.

فاتفاق هؤلاء الأئمة علىٰ تضعيفه أولىٰ من إشارة السلفي إلىٰ صحته.

قال المنذري: لعل السلفي كان يرىٰ أن مطلق الأحاديث الضعيفة إذا انضم بعضُها إلىٰ بعض أخذت قوة.

قلت: لكن تلك القوة لا تُخرِج هذا الحديث من مرتبة الضعف، فالضعف يتفاوت، فإذا كثرت طرقُ حديث رجحت علىٰ حديثٍ فردٍ، فيكون الضعيف الذي ضعفُه ناشئ عن سوء حفظ رُواته إذا كثرت طرقه[٤] ارتقىٰ إلىٰ مرتبة الحسن، والذي ضعفُه ناشئ عن تهمة أو جهالة إذا كثرت طرقُه ارتقىٰ عن مرتبة المردود والمنكر الذي لا يجوز العمل به بحال إلىٰ رتبة الضعيف الذي يجوز العمل به في فضائل الأعمال، وعلىٰ ذلك يُحمَل ما قاله النووي في خطبة كتاب الأربعين له[٥]: وقد اتفق العلماء علىٰ جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال. وقال بعد أن ذكر هذا الحديث[٦]: اتفق الحفَّاظ علىٰ أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقُه. ا.هـ. سياق الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) الأربعون البلدانية لأبي القاسم ابن عساكر ص ٤٤ (ط - المكتب الإسلامي).
(٢) كذا في المطبوعة، وفي الإمتاع: مجهول لا يعرف.
(٣) في المطبوعة: رشيد الله بن العطار. والتصويب من الإمتاع.
(٤) في المطبوعة: رواته. والمثبت من الإمتاع.
(٥) الأربعون النووية ص ٣.
(٦) السابق ص ٢.

وقوله: «قلت: الذي عندي في هذا أنه دخل عليه إسناد في إسناد، وإلا فمعمر غير معروف بالرواية ..» الخ، وهو كما قال، فقد أخرجه علىٰ الصواب أبو إسماعيل الهَرَوي الأنصاري من طريق علي بن الحسين، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أبي غالب، عن أبي أُمامة، كما ستأتي الإشارة إليه.

وقوله: «إلا السائح فإنه غير معروف»، قلت: فقد ذكره ابن قطلوبغا في «أمالي المسانيد» فقال فيه: قال ابن عدي[1]: عامة أحاديثه غير محفوظة. وقال الدارقطني[2]: كذَّاب. وقال أبو نُعَيم: روىٰ موضوعات.

وقوله: «ورُوي أيضًا من طرق ضعيفة عن علي بن أبي طالب ..» الخ، قلت: أما حديث علي فقد أخرجه الإمام أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح الحافظ والإمام أبو بكر البيهقي بسندهما إلىٰ أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثنا أبي، حدثنا علي بن موسىٰ الرضا، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثًا ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهًا عالمًا»[3]. قال البيهقي[4]: هذا الإسناد من علي بن موسىٰ الخ كالشمس، غير أن هذا الطائي لم يثبُت عند أهل العلم بالحديث في عدالته ما يوجب قبول[5] خبره، وقد يكون ثقة علىٰ حُسن الظن. والله أعلم.

قلت: وقد رأيت في تاريخ ابن النجار في ترجمة علي بن موسىٰ ذِكر أحمد بن عامر بن سليمان الطائي في جملة الرواة عنه، وساق من طريق ولده أبي القاسم عبد الله بن أحمد عن أبيه هذا قصةً، وقد رُوي عن أبي القاسم هارون الضبي.

---

(١) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٢٧٥.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٤٤٦.

(٣) ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١١٩.

(٤) الأربعون لصدر الدين البكري ص ٢٩ (ط - دار الغرب الإسلامي).

(٥) في الأربعين: ثبوت.

وأما حديث أبي أمامة فقد أخرجه أبو إسماعيل الهروي من طريق عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أبي غالب، عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثًا فيما ينوبهم وينفعهم في أمر دينهم حشره الله في يوم القيامة فقيهًا»[١].

- **الرابع عشر: (وقال ﷺ: مَن تفقَّه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالىٰ ما أهَمَّه، ورزقه من حيث لا يحتسب)** أخرجه الخطيب في التاريخ[٢] من حديث عبد الله ابن جَزْء الزبيدي بإسناد ضعيف؛ قاله العراقي[٣].

وقال الحافظ ابن حجر: وفي مسند أبي حنيفة عن أبي حنيفة عن عبد الله بن جزء، ولا يصح. ا.هـ.

قلت: أخرجه ابن خسرو في مسنده من طُرق، الأولىٰ فيها مكرم بن أحمد عن محمد بن سماعة عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة، والثانية فيها أحمد بن محمد بن الصَّلْت عن محمد بن أبي شجاع عن أبي يوسف، والثالثة فيها أحمد بن محمد الحِمَّاني عن محمد بن سماعة.

وأخرجه ابن المُقري في مسنده وابن عبد البر في العلم[٤] من رواية أبي علي عبد الله بن جعفر الرازي[٥] عن محمد بن سماعة عن أبي يوسف.

وأخرجه الحاكم في تاريخه من طريق إسماعيل بن محمد الضرير عن أحمد ابن الصلت، ثم اتفقوا علىٰ أبي يوسف قال: سمعت أبا حنيفة يقول: حججت مع

---

(١) وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١٢٢.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٥١.

(٣) المغني ١/ ١٣.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٠٤.

(٥) بعده في المطبوعة: عن أبيه. والصواب حذفها، كما في جامع بيان العلم.

أبي سنة ست وتسعين ولي ستة عشر سنة، فلما دخلت المسجد الحرام رأيت حلقة عظيمة، فقلت لأبي: حلقة مَن هذه؟ قال: حلقة عبد الله بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ. فتقدمتُ، فسمعتُه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن تفقَّه ...» الحديث.

قال ابن قطلوبغا في أماليه: هكذا رأيت الطريق الأولىٰ عند كل هؤلاء المصنِّفين، وعندي هو أنه مكرم عن أحمد بن محمد عن ابن سماعة، وأحمد بن محمد هذا هو ابن الصلت، ويُعرَف أيضًا بالحِمَّاني وبابن المغلِّس، كذَّاب. وقال ابن عدي[١]: ما رأيت في الكذَّابين أقل حياءً منه. وقال ابن حبان[٢] والدارقطني[٣]: كان يضع الحديث. ثم قال[٤]: وأما المسند الذي ساقه ابن المقري هكذا رأيته في أصل شيخنا من مسنده، وبين جعفر ومحمد بن سماعة أحمدُ بن الصلت، جاء مصرَّحًا في رواية الخطيب.

ثم نقل عن الذهبي في الميزان[٥]: هذا كذبٌ، فابن جزء مات بمصر ولأبي حنيفة ست سنين.

وقال الحافظ ابن حجر في اللسان[٦]: وقد وقع لنا هذا الحديث من وجه آخر... ثم ساق سنده، قال: وهو باطل أيضًا.

وأورده ابن الجوزي في الواهيات[٧]، وابن النجار في

---

(١) الكامل ١/ ٢٠٢.

(٢) المجروحين ١/ ١٦٨.

(٣) الضعفاء والمتروكون للدارقطني ص ٧٤ (ط - المكتب الإسلامي).

(٤) أي ابن قطلوبغا.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ١٤١.

(٦) لسان الميزان ١/ ٦١٣ (ط - مكتب المطبوعات الإسلامية).

(٧) العلل المتناهية ١/ ١٣٦ وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وأبو حنيفة لم يسمع من أحد من الصحابة، إنما رأىٰ أنس بن مالك بعينه».

تاريخه[١]، والسيوطي في موضوعاته[٢]، ونقل الكلام في ابن الصلت الذي قدَّمناه.

قال ابن قطلوبغا: وفي مناقب أبي حنيفة للجِعابي أن ابن جزء مات سنة ثمان وتسعين، علىٰ خلاف ما ذكره ابن يونس[٣]. قال: وأخرج أبو العباس المُرْهبي في «فضل العلم» من حديث زياد الصُّدائي رفعه: «مَن طلب العلم تكفَّل الله برزقه»[٤]. قلت: رويناه في الجزء الثاني من معجم أبي علي الحداد من طريق يونس بن عطاء عن سفيان الثوري عن أبيه [عن جده][٥] عن زياد الصُّدائي.

وقال ابن خسرو بعد ذِكر الحديث المتقدِّم: وأنشد أبو حنيفة من قوله[٦]:

مَن طلب العلم للمعاد ... فاز بفضلٍ من الرشاد

ويا لَخُسران مَن أتاه ... لنَيْل فضلٍ من العباد

---

(١) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١/ ٩٨ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند).

(٢) لم أقف علىٰ ذلك في كتاب اللالئ المصنوعة للسيوطي.

(٣) تاريخ مصر لابن يونس الصدفي ١/ ٢٦٤ (ط - دار الكتب العلمية) وفيه: «توفي سنة ست وثمانين بعد أن عمي، وقيل: بل قتل باليمامة».
وكذا أرخ الزركلي وفاته في الأعلام ٤/ ٧٧.
وفي كتاب الإصابة لابن حجر ٦/ ٤٤ بعد أن ذكر كلام ابن يونس: «وقيل: سنة خمس، وقيل: سبع، وقيل: ثمان، وكانت وفاته بسفط القدور؛ قاله الطحاوي، وهو آخر من مات بمصر من الصحابة، ووقع لابن منده فيه خبط فاحش فإنه حكىٰ عن ابن يونس أنه شهد بدرًا وأنه قتل باليمامة، وهذا أظنه في حق عمه محمية بن جزء».

(٤) وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب ١/ ٢٤٥ (ط - مؤسسة الرسالة)، والخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/ ٢٣٢.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة، وزدته من المصادر السابقة.

(٦) البيتان في تاريخ بغداد ٤/ ٥١. وهذان البيتان ينسبان للشافعي أيضًا، وهما في ديوانه ص٧٢ (ط-دار الكتاب العربي).

قلت: وأخرج البيهقي في الشعب[١] عن ابن مسعود رفعه: «مَن جعل الهم همًّا واحدًا همَّ آخرتِه كفاه الله عَزَّوَجَلَّ ما أهمَّه من أمر دنياه».

وأخرجه[٢] الرافعي[٣] من طريق أبي يوسف عن أبي حنيفة؛ نبَّه عليه السيوطي في الجامع الكبير[٤]، وهو عادل شاهد لحديث ابن جزء. والله أعلم.

- **الخامس عشر: (وقال ﷺ: أوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا إبراهيم، إني عليم أحب كل عليم)** ذكره ابن عبد البر[٥] تعليقًا، ولم أظفر له بإسناد؛ قاله العراقي[٦].

قلت: «العالِم» و«العليم» في وصفِه تعالىٰ هو الذي لا يخفىٰ عليه شيء، إلا أن في «العليم» مبالغة، وبه فُسِّر قوله تعالىٰ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف:٧٦] إذ فَسَّر بعضُهم أن المراد بالعليم هنا هو الله تعالىٰ، وإن كان لفظه منكَّرًا؛ إذ الموصوف بالعليم في الحقيقة هو الله تعالىٰ[٧]. وهناك في الآية وجهٌ آخر ذكره

---

(١) شعب الإيمان ١٢/ ٥٤٢ من حديث عبد الله بن عمر - وليس من حديث ابن مسعود - وزاد: «ومن تشعبته الهموم لم يبالِ الله في أي أودية الدنيا هلك».

وقد أخرجه ابن ماجه في سننه ١/ ٢٣٧ وأبو نعيم في الحلية ٢/ ١٠٥ من حديث ابن مسعود. وزادا في أوله قول ابن مسعود: لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا عليهم، سمعت نبيكم .... الخ. وفيه نهشل بن سعيد الورداني البصري، كذبه إسحاق ابن راهويه، وقال أبو حاتم والنسائي: متروك.

انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٢٧٥.

(٢) يعني حديث «من تفقه في دين الله».

(٣) التدوين في أخبار قزوين للرافعي ٣/ ٢٦١ (ط - دار الكتب العلمية) من حديث أنس بن مالك.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي ١٠/ ١٦٥ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٥) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢١٩.

(٦) المغني ١/ ١٣.

(٧) المفردات للراغب ص ٣٤٤. عمدة الحفاظ للسمين ٣/ ١١٣ وزادا: «فيكون إشارة إلىٰ الجماعة بأسرهم لا إلىٰ كل واحد بانفراده».

الراغب والسمين[١].

- **السادس عشر: (وقال ﷺ: العالِم أمين الله سبحانه في الأرض)** أخرجه ابن عبدالبر[٢] من حديث معاذ بسند ضعيف؛ قاله العراقي[٣].

قلت: رواه من رواية عيسىٰ بن إبراهيم الهاشمي، حدثنا الحكم بن عبد الله، حدثنا عُبادة بن نُسَيٍّ، عن عبد الرحمن بن غنم[٤]، عن معاذ مرفوعًا. وعيسىٰ بن إبراهيم منكر الحديث؛ قاله البخاري[٥] والنسائي[٦]، وأورده الجلال في جامعه هكذا[٧]، والفارقي في شرح «عين العلم» أيضًا، ومن شواهده ما أخرجه القُضاعي[٨] وابن عساكر[٩] عن أنس: «العلماء أمناء الله علىٰ خلقه».

وأخرج الحسن بن سفيان والعقيلي عن أنس أيضًا: «العلماء أمناء الرُّسل ما لم يخالطوا السلطان ويُداخِلوا الدنيا»[١٠].

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس[١١] عن عثمان بن عفَّان: «العلماء أمناء أمَّتي».

---

(١) وهو أن قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ إشارة إلىٰ الإنسان الذي فوقه آخر، ويكون تخصيص «العليم» الذي هو للمبالغة تنبيهاً علىٰ أنه بالإضافة إلىٰ الأول عليم لما ذُكر معه وإن لم يكن بالإضافة إلىٰ من فوقه كذلك، فيكون إشارة إلىٰ كل واحد بانفراده.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٢٨.

(٣) المغني ١/ ١٣.

(٤) في المطبوعة: علم. والتصويب من جامع بيان العلم.

(٥) التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٤٠٧ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند).

(٦) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ١٧٧ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت).

(٧) كنز العمال ١٠/ ١٣٤.

(٨) مسند الشهاب ١/ ١٠٠.

(٩) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٦٧.

(١٠) وأخرجه الرافعي في التدوين ٢/ ٤٤٥.

(١١) فردوس الأخبار ٣/ ١٠٠.

وأخرج العسكري عن علي: «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ويتبعوا السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم»[١].

والأمين في اللغة هو الثقة المَرْضِيُّ عند الله والناس.

- **السابع عشر: (وقال ﷺ: صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناسُ، وإذا فسدوا فسد الناس: الأمراء والفقهاء)** أخرجه ابن عبد البر[٢] وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف؛ قاله العراقي[٣].

قلت: روياه من رواية محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس، ولفظ أبي نعيم في الحلية[٤]: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناسُ، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء». وأخرجه الديلمي أيضًا في الفردوس[٥] عن ابن عباس بهذا اللفظ، ومحمد بن زياد هذا كذَّبه الإمام أحمد والفَلاَّس[٦].

وفي هذا المعنىٰ قال ابن المبارك[٧]:

وهل أفسد الدينَ إلا ملوكٌ ... وأحبارُ سوء ورهبانُها

---

(١) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٠٠ وقال: «أخرجه العسكري من حديث العوام بن حوشب عن أبي صادق عن علي به مرفوعًا، وهو ضعيف السند».

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٦٤١.

(٣) المغني ١/ ١٣.

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٩٦.

(٥) فردوس الأخبار ٢/ ٥٥٩.

(٦) قال الذهبي: «محمد بن زياد اليشكري الميموني الطحان، قال أحمد: كذاب أعور، يضع الحديث. وقال ابن معين: كذاب. وقال ابن المديني: رميت بما كتبت عنه، وضعفه جدًا. وقال أبو زرعة: كان يكذب. وقال الدارقطني: كذاب».
ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٢.

(٧) شعب الإيمان للبيهقي ٩/ ٤٢٣. تاريخ دمشق ٣٢/ ٤٦٧. تفسير البغوي ٤/ ٣٩. تفسير القرطبي ١٠/ ١٧٧. وفي رواية أخرىٰ: وهل بدل الدين.

- **الثامن عشر: (وقال ﷺ: إذا أتىٰ عليَّ يومٌ لا أزداد فيه علمًا يقرِّبني إلىٰ الله ﷻ فلا بوركَ لي في ذلك اليوم)** أخرجه الطبراني في الأوسط[١] وأبو نعيم في الحلية[٢] وابن عبد البر في العلم[٣] من رواية الحكم بن عبد الله عن الزُّهري عن سعيد بن المسيَّب عن عائشة بسند ضعيف؛ قاله العراقي[٤].

قلت: وأخرجه أيضًا ابن عدي في الكامل[٥] من هذا الوجه، ولكن لفظهم كلهم: «فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم». كذا نصُّ الجلالِ في جامعه[٦].

وقال العراقي: الحكم بن عبد الله الأيلي متروك كذَّاب.

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٧]، وحكىٰ عن الصُّوري قال: هذا حديث منكر لا أصل له عن الزُّهري، ولا يصح عن رسول الله ﷺ، ولا أعلم أحدًا حدَّث به غير الحكم. ا.هـ.

قال المناوي[٨]: وهو معلول من طرقه كلها، بل قيل بوضعه[٩]. قال: وقوله «علمًا» أي طائفة من العلم[١٠]، والتنكير للتفخيم. وقوله «فلا بُورِكَ ...» الخ دعاء أو خبر، وذلك لأنه كان دائم الترقِّي في كل لمحة، فالعلم كالغذاء له[١١]، ومقصوده

---

(١) المعجم الأوسط ٦/ ٣٦٧.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٨٨.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٥٩.

(٤) المغني ١/ ١٣.

(٥) الكامل ٢/ ٥١١.

(٦) كنز العمال ١٠/ ١٣٦.

(٧) الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٢٣٣ (ط - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة).

(٨) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥٨ (ط - المطبعة الخديوية بمصر).

(٩) في المطبوعة: بل فيه موضوع. والمثبت من التيسير.

(١٠) زاد في التيسير: أو علماً سنياً غزيرًا.

(١١) في المطبوعة: كالعدالة. والتصويب من التيسير.

تبعيد نفسه من ذلك وبيان أن عدم الازدياد ما وقع قطُّ، ولا يقع أبدًا لِما ذُكر. قال بعض العارفين: وأراد بالعلم هنا علم التوحيد لا الأحكام؛ فإن الأحكام زيادة تكاليف علىٰ الأمَّة، وقد بُعث ﷺ رحمةً للعالَمينَ. وقال بعضهم: أراد بذلك أن العارف دائم التطلُّع[١] إلىٰ مواهب الحق، فلا يقنع بما هو فيه، بل[٢] يكون دائم الطلب، قارعًا باب النفحات، راجيًا حصول المزيد، ومواهبه تعالىٰ لا تُحصَىٰ، ولا نهاية لها، وهي متعلقة[٣] بكلماته التي ينفد البحر دون نفادها، وتنفد الرمال دون أعدادها. ا.هـ.

قلت: ويشهد لهذا الحديث ما أخرجه الديلمي في الفردوس[٤] عن علي مرفوعًا بسند ضعيف: «مَن استوىٰ يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرًّا فهو ملعون، ومَن لم يكن علىٰ الزيادة فهو في النقصان».

- **التاسع عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام في تفضيل العلم علىٰ العبادة والشهادة: فضلُ العالِم علىٰ العابد كفضلي علىٰ أدنىٰ رجل من أصحابي)** أخرجه الترمذي[٥] من حديث أبي أُمامة، وقال: حسن صحيح؛ قاله العراقي[٦].

قلت: الذي عزاه الجلال في جامعه[٧] للترمذي لفظه: «كفضلي علىٰ أدناكم». ومثله للدارمي[٨]، لكن عزاه كالترمذي أيضًا لأبي الدرداء، وعند الجلال في رواية

---

(١) عبارة المناوي: أشار المصطفىٰ إلىٰ أن علىٰ العارف أن يكون دائم التطلع.

(٢) في المطبوعة: وقد. والتصويب من التيسير.

(٣) في التيسير: متصلة.

(٤) فردوس الأخبار ٤/ ٢٦٢ وزاد في آخره: ومن كان في النقصان فالموت خير له.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٤١٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ونقل عن الفضيل بن عياض قوله: عالم عامل معلِّم يُدعَىٰ كبيرًا في ملكوت السموات.

(٦) المغني ١/ ١٤.

(٧) كنز العمال ١٠/ ١٤٥.

(٨) أخرجه الدارمي في سننه ١/ ١٠٠ عن مكحول الدمشقي مرسلًا بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «فضل=

الترمذي في الأول زيادة: «إن الله عَزَّوَجَلَّ وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتىٰ النملة في جُحْرها، وحتىٰ الحوت؛ ليصلُّون علىٰ معلِّم الناسَ الخيرَ».

ومن شواهده: ما أخرجه الحارث بن أبي أسامة[1] عن أبي سعيد الخُدْري: «فضلُ العالِم علىٰ العابد كفضلي علىٰ أمَّتي». وهكذا أخرجه ابن عبد البر[2] أيضًا، وفيه زيد العَمِّي، مختلَفٌ فيه. ورواه أبو طاهر السِّلَفي من رواية سَلَمة ابن رجاء، حدثنا جميل الدمشقي عن القاسم عن أبي هريرة، ولفظه: «كفضلي عليكم». والمعروف رواية سلمة بن رجاء عن الوليد بن جميل عن القاسم عن أبي أُمامة، كما عند الترمذي.

وأخرج الخطيب في تاريخه[3] عن أنس: «فضل العالِم علىٰ غيره كفضل النبي علىٰ أمَّته».

وأخرج البزَّار في مسنده[4] والطبراني في الأوسط[5] عن حُذَيفة بن اليَمَان بإسناد حسن والحاكم[6] عن سعد بن أبي وقَّاص: «فضل العلم أحبُّ إليَّ من فضل

= العالم علىٰ العابد كفضلي علىٰ أدناكم» ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ إن الله وملائكته وأهل سمواته وأرضينه والنون في البحر يصلون علىٰ الذين يعلمون الناس الخير».
وأخرجه أيضًا ١/ ١٠٨ عن الحسن البصري مرسلا بلفظ: سئل رسول الله ﷺ عن رجلين كانا في بني إسرائيل أحدهما كان عالمًا يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل، أيهما أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير علىٰ العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي علىٰ أدناكم رجلًا».

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي ١/ ١٨٤ (تحقيق: حسين الباكري). وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ١/ ٢٦٣.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٠١.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٦٨٠.

(٤) مسند البزار المسمىٰ بالبحر الزخار ٧/ ٣٧١ (ط - مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة)

(٥) المعجم الأوسط ٤/ ١٩٧.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٥٩ وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

العبادة، وخير دينكم الورع». رواه الترمذي في العلل[١] عن حذيفة، ثم ذكر أنه سأل عنه البخاري فلم يجده محفوظًا. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٢] وقال: لا يصح.

قال المناوي في تفسير الحديث الذي صدَّره الشيخُ ما نصه[٣]: أي نسبة شرف العالِم إلىٰ شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلىٰ أدنىٰ شرف الصحابة؛ فإن المخاطَبينَ بقوله «أدناكم» الصَّحْب، وقد شُبِّهوا بالنجوم في حديث آخر[٤]، وهذا التشبيه ينبِّه علىٰ أنه لا بد للعالم من العبادة، وللعابد من العلم؛ لأن تشبيههما بالمصطفىٰ وبالعلم يستدعي المشاركة فيما فُضِّلوا به من العلم والعمل، كيف لا والعلم مقدمة للعمل، وصحة العمل متوقفة عليه[٥]؛ ذكره الطيبي. وقال الذهبي: إنما كان العالم أفضل لأن العالم إذا لم يكن عابدًا فعلمُه وبال عليه، وأما العابد بغير فقه فمع نقصه هو أفضل بكثير من فقيه بلا تعبُّد، كفقيه همتُّه في الشغل بالرياسة. ا.هـ.

ولتفضيل العلم علىٰ العبادة بحثٌ سيأتي في كلام المصنف، ونشرحه هناك.

وقال السيوطي[٦] عن ابن الزملكاني في كتابه «تحقيق الأولىٰ من أهل الرفيق الأعلىٰ»: اعلم أن التفضيل تارةً يكون بين الصفتينِ، وتارةً يكون بين المتَّصفينِ، ثم التفضيل بين المتصفين قد يراد به الأكثر منهما ثوابًا، وقد يراد به الأقرب إلىٰ الله

---

(١) العلل الكبير للترمذي ص ٣٤١ (ط - عالم الكتب ببيروت).

(٢) لم أجده في كتاب الموضوعات، بل أورده في العلل المتناهية ١/ ٧٦ - ٧٧ عن حذيفة وابن عباس وأبي هريرة، ثم قال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وقد روي من حديث سعد بن أبي وقاص ومن حديث ثوبان، قال الدارقطني: ولا يصح منها شيء، والصحيح أنه من قول مطرف بن الشخير».

(٣) فيض القدير ٤/ ٤٣٢.

(٤) في الفيض: في حديث «أصحابي كالنجوم».

(٥) في الفيض: متوقفة علىٰ العلم.

(٦) قوت المغتذي بشرح جامع الترمذي للسيوطي ٢/ ٦٧٣ - ٦٧٨.

تعالىٰ، وفي كلام كثير من العلماءِ الإشارةُ إلىٰ أن الفضيلة تكون بكثرة الثواب، وهذا يحتاج إلىٰ تفصيل؛ لأنه إن أُريدَ بكثرة الثواب ما يعطيه الله للعبد في الآخرة من درجات الجنة ولذَّاتها[١] ونعيمها الجسماني فللمنع في ذلك مجال، وإن أُريدَ به [ما يعطيه الله تعالىٰ للعبد من][٢] مقامات القُرْب ولذة المشاهدة والمعارف الإلهية[٣] التي تحصل عند كشف الغطاء [وما ناسب ذلك][٤] فهو من القول الآخَر. والأقرب أن يقال: إن الثوابينِ متلازمان، فمَن كان أرفع في أحدهما فهو أرفع في الآخر، وفي ذلك نظرٌ للمتأمِّل. ثم قال: والإنصاف أن المفاضَلة تارةً تكون بكثرة الثواب، وتارة بحسب مقاماتهما[٥]، وتارةً بحسب الوصفين بالنظر إليهما، وتارة بحسب ثمرتهما، وقد تكون بأمر عَرَضيٍّ[٦]، وأما المفاضلة بين الذاتينِ فقد تكون لأمر يرجع إلىٰ الجنسين[٧]، وقد تكون لأمر يرجع إلىٰ التفضيل بالأوصاف[٨]. ثم قال: واعلم أن فضيلة العمل علىٰ العمل أو الوصف علىٰ الوصف أو الشخص علىٰ الشخص من الأمور التوقيفية[٩] التي لا يسع الإنسانَ الكلام فيها من قِبَل نفسه، ولا ينبغي لأحد أن يحكم بتفضيل شخص علىٰ شخص ولا نوع علىٰ نوع إلا بتوقيف ممَّن له التفضيل أو بدليل يُستدل به من[١٠] كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ

---

(١) بعده في قوت المغتذي: ومآبها ومآكلها ومشاربها ومساكنها ومناكحها وملكها ونعيمها ... الخ.

(٢) زيادة من قوت المغتذي.

(٣) عبارة السيوطي: ولذة النظر إليه وسماع كلامه ولذة المعارف الإلهية.

(٤) زيادة من قوت المغتذي.

(٥) في قوت المغتذي: متعلقاتهما.

(٦) بعده في قوت المغتذي: هذا إذا كان الكلام في وصفين لذات.

(٧) بعده في قوت المغتذي: وهذا أمر لا يدخل تحت الاكتساب، كفضل الإنسان علىٰ الحمار.

(٨) عبارة السيوطي: وقد يكون لأمر يرجع إلىٰ الشخصين، وهذا النوع من التفضيل عند التحقيق يرجع إلىٰ التفضيل بالأوصاف.

(٩) في المطبوعة: الدقيقة. والمثبت من قوت المغتذي.

(١٠) في قوت المغتذي: يستند إلىٰ.

أو إجماع الأمَّة. ثم قال: والدرجات تتفاوت: تارةً بحسب تفاوُت الأعمال، وتارة بحسب رُتَب الأعمال، وتارة بحسب خصوصية عمل خاص ووقت خاص، فإذا حاولنا الكلام في تفضيل مرتبة على مرتبة أو عمل على عمل فلا بد من ملاحظة ذلك فيما لم يكن فيه نص بتفضيل فيحتاج إلى الاجتهاد في جهات الترجيح، وأما ما ورد النص بكونه أفضلَ من شيء آخر من غير معارِض فلا مَعدِل عن المنصوص عليه، ولا حاكم سوى شريعة الله المأخوذة عن رسول الله ﷺ. ا.هـ.

وهو نفيس، فاعرفْه.

(فانظر كيف نزَّلَ العلم مقارنًا لدرجة النبوة، وكيف حطَّ رتبة العمل المجرَّد عن العلم، وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها، ولولاه لم تكن عبادةٌ).

- **العشرون: (وقال عليه الصلاة والسلام: فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)** أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبَّان، وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم[١]؛ قاله العراقي[٢].

وقال السخاوي في المقاصد[٣]: رُوي عن أبي الدرداء مرفوعًا عند أصحاب السنن الأربعة، وعن عبد الله بن عمرو في «الترغيب» للأصبهاني بهذا اللفظ[٤]، وعن عبد الرحمن بن عوف نحوه، أخرجه أبو يعلى[٥]. ا.هـ.

---

(١) انظر تخريج الحديث الثاني.

(٢) المغني ١/ ١٤. ولم أقف عليه في سنن النسائي الكبرى ولا الصغرى.

(٣) المقاصد الحسنة ص ٣٣٦.

(٤) لم أقف عليه عند الأصبهاني من حديث عبد الله بن عمرو، بل وجدته من حديث أبي الدرداء، ولفظه: «للعالم على العابد من الفضل كفضل القمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء».
الترغيب والترهيب لأبي القاسم الأصبهاني ٣/ ٩٩ (ط - دار الحديث بالقاهرة).

(٥) مسند أبي يعلى ٢/ ١٦٣ ولفظه: «فضل العالم على العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

قلت: وفي مسند أبي يعلىٰ أيضًا من رواية عثمان بن أعيُن عن أبي الدرداء، ولفظه: «للعالم من الفضل علىٰ العابد»، وفيه: «علىٰ أصغر كوكب في السماء»[١]. وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن معاذ[٢]؛ كذا في الجامع للجلال[٣]، وهو من رواية عثمان بن عطاء الخُراساني عن أبيه عن معاذ، وكذا أحمد في مسنده[٤] والدارمي[٥]، وفيه زيادة: «وإن العلماء ورثة الأنبياء». وبه تعلم قصور الجلال، حيث اقتصر علىٰ عزوه لأبي نُعَيم فقط.

قال البيضاوي[٦]: العبادة كمال ونور ملازم ذات العابد لا يتخطَّاه، فشابه نورَ الكواكب، والعلم كمال يوجب للعالِم في نفسه شرفًا وفضلاً، ويتعدَّىٰ منه إلىٰ غيره فيستضيء بنوره[٧] ويكمُل بواسطته، لكنه كمال ليس للعالم في ذاته بل نور يتلقَّاه من المصطفىٰ ﷺ، فلذلك شُبِّه بالقمر.

قال الطيبي: ولا تظننَّ أن العالم المفضَّل عارٍ عن العمل، ولا العابد عن العلم، بل إن علم ذاك غالب علىٰ عمله، وعمل هذا غالب علىٰ علمه، ولذلك جُعل العلماء ورثة الأنبياء الذين فازوا بالحُسْنيين: العلم والعمل، وحازوا الفضيلتين: الكمال والتكميل[٨].

وإذا عرفتَ ذلك ظهر لك سر قول المصنف فيما قبلُ.

---

(١) تقدم ذلك في الحديث التاسع.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٤٥.

(٣) كنز العمال ١٠/ ١٥٥.

(٤) مسند أحمد ٣٦/ ٤٥.

(٥) سنن الدارمي ١/ ١١٠ ولفظه: كفضل القمر علىٰ سائر النجوم.

(٦) قوت المغتذي للسيوطي ٢/ ٦٧١. فيض القدير للمناوي ٤/ ٤٣٣.

(٧) في الفيض: فيستفيض نوره وكماله.

(٨) زاد في قوت المغتذي: وهذه طريقة العارفين بالله وسبيل السائرين إلىٰ الله.

وقال ابن الملقن: فيه أن نور العلم يزيد علىٰ نور العبادة كما مثَّله بالقمر بالنسبة لسائر[١] الكواكب. ا.هـ.

ثم إن المراد في هذه الأخبار بالعالِم: مَن صرف نفسه[٢] للتعليم والإرشاد[٣] والتصنيف [ونحو ذلك][٤] وبالعابد: مَن انقطع للعبادة تاركًا ذلك وإن كان عالمًا، فتأمَّلْ.

- **الحادي والعشرون: (وقال ﷺ: يشفع يوم القيامة ثلاثةٌ: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء)** أخرجه ابن ماجه[٥] من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف؛ قاله العراقي[٦].

قلت: أخرجه من طريق عنبسة بن عبد الرحمن القرشي عن علاق بن أبي مسلم عن أبان عن عثمان، وقد رمز لحُسنه[٧]، وهو عليه ردٌّ، فقد أعلَّه ابنُ عدي[٨] والعقيلي[٩] بعنبسة، ونقلا عن البخاري أنهم تركوه[١٠]، ومن ثَم جزم العراقي بضعف الخبر؛ قاله المناوي[١١].

قلت: عنبسة هذا هو ابن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص

(١) في الفيض: لباقي.

(٢) في الفيض: زمنه.

(٣) في الفيض: والإفتاء.

(٤) زيادة من الفيض.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٨٣.

(٦) المغني ١/ ١٤.

(٧) يعني السيوطي في الجامع الصغير.

(٨) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٠٠ - ١٩٠١.

(٩) الضعفاء للعقيلي ٣/ ١٠٧٠ (ط - دار الصميعي بالرياض).

(١٠) التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣٩.

(١١) فيض القدير ٦/ ٤٦٢.

الأُمَوي، رویٰ عنه إسحاق بن أبي إسرائيل وعبد الواحد بن غياث وجمعٌ، وهو من رجال الترمذي والنسائي وابن ماجه، قال الذهبي في الديوان[١]: متروك متَّهم. وعَلاَّق ضعَّفه الأزديُّ[٢]، ولم يروِ عنه غيرُ عنبسة[٣]، وبه تعلم أن قول العزيزي شارح الجامع[٤] «أنه حَسنٌ» محل تأمُّل، وأورده صاحب القوت[٥] من غير عزو، وليس فيه لفظ «ثلاثة»، ثم قال بعد ذلك: فقدَّم العلماء علىٰ الشهداء؛ لأن العالِم إمام أمَّة، فله مثل أجور أمته، والشهيد عملُه لنفسه. ا.هـ.

قال القرطبي[٦]: فأعظِمْ بمنزلة هي بين النبوة والشهادة بشهادة المصطفىٰ ﷺ، ولمَّا كان العلماء يُحسِنون إلىٰ الناس بعلمهم الذي أفنوا فيه نفائس أوقاتهم أكرمهم الله تعالىٰ بولاية مقام الإحسان إليهم في الآخرة بالشفاعة فيهم جزاءً وِفاقًا، وقد أخذ بقضية هذا الخبر جمعٌ فصرَّحوا بأن العلم أفضل من القتل في سبيل الله؛ لأن المجاهد وكل عامل إنما يتلقَّىٰ عمله من العالم، فهو أصله وأُسُّه، وعكسَ آخرون، وقد رُويت أحاديث من الجانبين، وفيها ما يدل للفريقين.

وقال ابن الزِّملكاني: وعندي أنه يجب التفصيل في التفضيل، وأن يُحمل علىٰ بعض الأحوال أو بعض الأشخاص كلٌّ بدليل.

(فأعظِمْ بمرتبة هي تِلْو النبوة وفوق الشهادة، مع ما ورد في فضل الشهادة).

- الثاني والعشرون: (وقال ﷺ: ما عُبِدَ اللهُ تعالىٰ بشيء أفضل من فقه في الدين، ولَفقيهٌ واحد أشد علىٰ الشيطان من ألف عابد، ولكل شيءٍ عمادٌ، وعماد

---

(١) ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي ص ٣٠٨.

(٢) في ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ١٠٧: «وهاه الأزدي، وما ليَّنه القدماء».

(٣) انظر: تهذيب الكمال للمزي ٢٢/ ٥٥٠.

(٤) السراج المنير شرح الجامع الصغير للعزيزي ٣/ ٤٥٠ (ط - المطبعة الميمنية بمصر).

(٥) قوت القلوب ١/ ٢٤٧.

(٦) فيض القدير للمناوي ٦/ ٤٦٢.

هذا الدين الفقه) أخرجه الطبراني في الأوسط[١] وأبو بكر الآجُرِّي في فضل العلم وأبو نُعَيم في «رياضة المتعلِّمين» من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، وعند الترمذي[٢] وابن ماجه[٣] من حديث ابن عباس بسند ضعيف: «فقيه واحد أشدُّ علىٰ الشيطان من ألف عابد»؛ قاله العراقي[٤].

قلت: كل جملة من الثلاثة حديث مستقل؛ أما الأولىٰ منها فقد أخرج البيهقي في شُعَب الإيمان[٥] من رواية عيسىٰ بن زياد الدورقي حدثنا مَسلمة بن قعنب عن نافع عن ابن عمر رفعه: «ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في دين» وقال: تفرَّد به عيسىٰ بن زياد بهذا الإسناد. قال: ورُوي من وجه آخر ضعيف، والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهرِّي.

وفي بعض رواياته: «ما عُبد الله بأفضل».

وأما قول الزهري فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية[٦] من رواية هشام بن يوسف حدثنا معمر عن الزهري قال: ما عُبِدَ اللهُ بشيء أفضل من العلم.

وأما الثانية فقد أخرجه الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس، كما قاله العراقي، ولفظ ابن ماجه: «فقيه واحد» من غير لام، ولفظ الترمذي: «فقيه أشد» من غير ذِكر «واحد»، أما الترمذي فأخرجه في كتاب العلم، وابن ماجه في كتاب السُّنَّة من سننهما، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. أي من رواية الوليد بن مسلم عن

---

(١) المعجم الأوسط ٦/ ١٩٤.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٤١٣.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٢١٢.

(٤) المغني ١/ ١٤.

(٥) شعب الإيمان ٣/ ٢٣٠.

(٦) حلية الأولياء ٣/ ٣٦٥.

رَوْح ابن جَناح عن مجاهد عن ابن عباس، وأورده ابن الجوزي في العلل[١] وقال: لا يصح، والمتهم به[٢] روح بن جناح، قال أبو حاتم[٣]: يروي عن الثقات ما لم يسمعه، مَن ليس متبحِّرًا[٤] في صناعة الحديث شهد له بالوضع[٥]. ا.هـ.

وأورد الحديثين معًا جماعةٌ، وهم الثلاثة الذين ذكرهم العراقي آنفًا، والبيهقي في الشُّعَب[٦]، والدارَقُطني في السنن[٧]، والقُضاعي في مسند الشهاب[٨]، وأحمد ابن منيع في مسنده[٩]، كلُّهم من حديث يزيد بن عياض عن صفوان بن سُلَيم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة مرفوعًا، ويزيد بن عياض قال فيه النسائي[١٠]: متروك، وقال ابن معين: لا يُكتَب حديثه، وقال الشيخان[١١]: منكَر الحديث، وقال مالك: هو أكذب من ابن سمعان[١٢].

وقال العَدَني في مسنده[١٣]: حدثنا يوسف بن خالد البصري، عن مسلمة بن قعنب، عن نافع، عن ابن عمر رفعه: «ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من تفقُّهٍ في دين».

---

(١) العلل المتناهية ١/ ١٣٤.

(٢) في العلل: برفعه.

(٣) المجروحين لأبي حاتم ابن حبان ١/ ٣٧٤ ونصه: «منكر الحديث جدا، يروي عن الثقات ما إذا سمعها الإنسان الذي ليس بالمتبحر في صناعة الحديث شهد لها بالوضع».

(٤) في العلل: ما إذا سمعه من ليس بمتبحر.

(٥) زاد في العلل: هذا الحديث من كلام ابن عباس، إنما رفعه روح إما قصدا أو غلطا.

(٦) شعب الإيمان ٣/ ٢٣١.

(٧) سنن الدارقطني ٤/ ٥٦ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٨) مسند الشهاب ١/ ١٥٠.

(٩) إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ٢٥٣.

(١٠) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ٢٥٥.

(١١) يعني البخاري ومسلما. انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣٥١.

(١٢) انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٣٦ - ٤٣٧. فيض القدير ٥/ ٤٥٥.

(١٣) إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ٢٥٣ وقال: هذا إسناد ضعيف؛ لضعف يوسف بن خالد.

وفي المقاصد[1]: قال الطبراني: لم يروِه عن صفوان إلا يزيد، وسنده ضعيف.

وللعسكري من حديث الوليد بن مسلم حدثنا راشد بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس رفعه: «الفقيه الواحد أشدُّ علىٰ إبليس من ألف عابد». ورواه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجه، والبيهقي، ثلاثتُهم من جهة الوليد بن مسلم فقال: عن روح بن جناح، بدل: راشد، ولفظه: «فقيه واحد أشد علىٰ الشيطان من ألف عابد» وسنده ضعيف، لكن يتأكد أحدُهما بالآخر.

وفي الفردوس للديلمي بلا سند عن ابن مسعود رفعه: «لَعالِمٌ واحد أشد علىٰ إبليس من عشرين عابدًا».

وفي الباب عن ابن عمر عند الحكيم الترمذي في التاسع عشر[2].

وعن أبي هريرة رفعه: «لكل شيء دعامة، ودعامة الإسلام[3] الفقه في الدين، والفقيه أشد علىٰ الشيطان من ألف عابد». رواه البيهقي[4] وقال: تفرَّد به أبو الربيع السَّمَّان عن أبي الزِّناد عن الأعرج عنه به مرفوعًا. ا.هـ.

ورویٰ الخطيب في تاريخه[5] من طريق الأعرج عن أبي هريرة، ولفظُه: «إن لكل شيء دعامة، ودعامة هذا الدين الفقه».

وأخرج أحمد بن منيع في مسنده[6] من طريق يزيد[7] بن عياض عن صفوان

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٣٣٦.

(٢) نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول للحكيم الترمذي ١/ ٨٠ (ط - مكتبة الإمام البخاري بالقاهرة).

(٣) في المطبوعة: الإنسان. والتصويب من المقاصد.

(٤) شعب الإيمان ٣/ ٢٣٤.

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ٧٠٣ من طريق سليمان بن يسار عن أبي هريرة. وقد أخرجه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه ١/ ١٢٣ من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

(٦) إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ٢٥٣.

(٧) في المطبوعة: زياد. والتصويب من الإتحاف.

ابن سليم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة رفعه: «لكل شيء عماد، وعماد [هذا] الدين الفقه».

وأخرجه أبو نعيم في الحلية[١] من هذه الطريق، ولفظه: «ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في دين». قال: وقال أبو هريرة: لأنْ أتفقه ساعةً أحب إليَّ من أن أحيي ليلة حتىٰ أصبح أصلِّيها، ولَفقيهٌ أشد علىٰ الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء دعامة، ودعامة الدين الفقه.

قال المناوي في شرح الحديث الأول[٢]: «ما عُبد الله بأفضل من فقه في دين» أي لأن أداء العبادات يتوقَّف علىٰ معرفة الفقه؛ إذ الجاهل لا يدري كيف يتَّقي، لا في جانب الأمر، ولا في جانب النهي، وبذلك يظهر فضل الفقه وتميُّزه عن سائر العلوم بكونه أهمها وإن كان غيره أشرف، والمراد بالفقه المتوقِّف عليه ذلك: ما لا رُخصة للمكلَّف في تركِه، دون ما لا يقع إلا نادرًا، أو نحو ذلك. وذهب بعض الصوفية إلىٰ أن المراد بالفقه هنا المعنىٰ اللغوي فقال: هو الفهم وانكشاف الأمور، والفهم هو العارض الذي يعترض في القلب من النور، فإذا عرض انفتح بصرُ القلب فرأىٰ صورة الشيء في صدره، حسنًا كان أو قبيحًا، فالانفتاح هو الفقه، والعارض هو الفهم، فإذا فهم سرَّ معاملات الله هانت عليه الكُلَف، وعَبَدَ اللهَ بانشراح وانبساط، وذلك أفضل العبادات بلا ريب.

وقال في شرح الحديث الثاني[٣]: «فقيه واحد أشد علىٰ الشيطان من ألف عابد» أي لأن الشيطان كلما فتح بابًا علىٰ الناس من الهوىٰ بيَّن الفقيهُ العارفُ مكائدَه فيسد ذلك البابَ ويرده خاسئًا، والعابد ربما اشتغل بالعبادة وهو في حبائل

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٩٢.

(٢) فيض القدير ٥/ ٤٥٥.

(٣) فيض القدير ٤/ ٤٤٢.

الشيطان ولا يدري. وقال الذهبي: هذا الحديث - لو صحَّ - نصٌّ في الفقيه الذي تبصَّر في العلم ورقىٰ إلىٰ درجة الاجتهاد، وعمل بعلمه، لا كفقيه اشتغل بمحض الدنيا.

- **الثالث والعشرون: (وقال ﷺ: خير دينكم أيسره، وأفضل العبادة الفقه)** أخرجه ابن عبد البر[١] من حديث أنس بسند ضعيف، والشطر الأول عند أحمد[٢] من حديث محجن بن الأدرع بإسناد جيد، والشطر الثاني عند الطبراني[٣] من حديث ابن عمر بسند ضعيف؛ قاله العراقي[٤].

قلت: أما حديث محجن فقد أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده فقال[٥]: حدثنا أبو عَوانة، عن أبي بِشر، عن [عن عبد الله بن شقيق][٦] عن رجاء، عن مِحْجَن قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي حتىٰ انتهينا إلىٰ سُدَّة المسجد، فإذا رجل يركع ويسجد ويركع ويسجد، فقال لي: «مَن هذا»؟ فقلت: هذا فلان، وجعلت أُطْريه وأقول له: هذا هذا، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُسمِعه فتُهلِكه». ثم انطلق بي حتىٰ بلغ باب حجرة إحدىٰ نسائه، ثم أرسل يده من بين يدي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «خير دينكم أيسره» قالها ثلاثًا.

وأخرجه مسدَّد في مسنده فقال[٧]: حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا يونس، عن زياد بن مِخْراق، عن رجل من أسلم قال: كان منا ثلاثة [نفر][٨] صحبوا النبي ﷺ:

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٠٠.

(٢) مسند أحمد ٣١/ ٣١٣، ٣٣/ ٤٥٧.

(٣) المعجم الأوسط ٩/ ١٠٧.

(٤) المغني ١/ ١٤.

(٥) مسند الطيالسي ٢/ ٦٢٨.

(٦) زيادة من مسند الطيالسي.

(٧) إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ١٢٠.

(٨) زيادة من الإتحاف.

بُرَيدة ومحجن وسكبة، فقال محجن لبريدة: ألا تصلي كما يصلي سكبة؟ قال: لا، لقد رأيتُني أقبلتُ مع رسول الله ﷺ من أُحُد نتماشىٰ، يدي في يده، فرأىٰ رجلاً يصلي، فقال: «أتراه جدًّا؟ أتراه صادقًا»؟ فذهبت أثني عليه. قال: فلما دنونا نزع يده من يدي وقال: «ويحك! اسكت، لا تُسمِعه فتهلكه، إن خير دينكم أيسره».

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده فقال[١]: حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا شعبة، عن جعفر بن إياس، عن عبد الله بن شقيق، عن رجاء بن أبي رجاء قال: دخل بريدة المسجد، ومحجن علىٰ باب المسجد. فقال بريدة - وكان فيه مِزاح: يا محجن، ألا تصلي كما يصلي سكبة؟[٢] فقال: نزل النبي ﷺ من أُحُد وهو آخذ بيدي، فدخل المسجد، فإذا رجل يصلي، فقال لي: «مَن هذا»؟ فأثنيت عليه خيرًا، فقال: «اسكت، لا تُسمِعه فتهلكه». ثم أتىٰ علىٰ باب حجرة امرأة من نسائه، فقبض[٣] يده من يدي ثم قال: «إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره» مرتين.

وقد عُلم ممَّا سُقْناه أن الحديث يُروَىٰ من طريق بريدة أيضًا، وقد أخرجه أيضًا من طريق محجنٍ البخاريُّ في الأدب[٤]، والطبراني في الكبير[٥]، ويُروَىٰ من طريق عمران بن الحصين، أخرجه الطبراني في الكبير[٦] وقال[٧]: تفرَّد به إسماعيلُ ابن يزيد. ومن طريق أنس بن مالك، أخرجه الطبراني في الأوسط[٨]، وابن عدي في

---

(١) مسند ابن أبي شيبة ٢/ ٩٨ (ط - دار الوطن بالرياض).

(٢) بعده في مسند ابن أبي شيبة: «فقال محجن: إن النبي ﷺ أخذ بيدي فصعد علىٰ أحد فأشرف علىٰ المدينة فقال: ويل أمها، مدينة يَدَعُها أهلها خير ما كانت أو أعمر، فيأتيها الدجال، فيجد علىٰ كل باب من أبوابها ملكـًا مصلتـًا جناحيه، فلا يدخلها. ثم نزل ...» الخ.

(٣) في مسند ابن أبي شيبة: فنفض.

(٤) الأدب المفرد للبخاري ص ١٠٨ (ط - دار الكتب العلمية).

(٥) المعجم الكبير ٢٠/ ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٦) المعجم الكبير ١٨/ ٢٣٠.

(٧) ذكر الطبراني هذا الكلام في المعجم الصغير ٢/ ٢٢٣ عقب حديث أنس بن مالك.

(٨) لم أقف عليه في المعجم الأوسط، بل هو في المعجم الصغير، كما في الهامش السابق.

الكامل[١]، والضياء المقدسي في المختارة[٢]. فاقتصار العراقي علىٰ محجن ومن مخرِّجيه علىٰ أحمد قصور ظاهر، وقول العراقي «بإسناد جيدٍ» صحيحٌ؛ فإن رجاله من الطرق التي سقناها ثقات، ليس فيهم متَّهم أو متروك، غير أن في سياق سند مسدَّد رجلاً من أسلم لم يُسَمَّ.

ومن شواهده ما أخرجه أحمد بن منيع في مسنده[٣] من طريق غاضرة بن عُرْوة الفُقَيْمي عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس إن دين الله في يسر، يا أيها الناس إن دين الله في يسر».

وقد رواه الإمام أحمد[٤] أيضًا من هذا الطريق، وغاضرة بن عروة -ويقال: ابن عمرو- الفُقَيمي ذكره ابن حبان في الثقات[٥]، وقال ابن المديني: مجهول[٦].

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة[٧] من طريق داود بن الحُصَين عن عكرمة عن ابن عباس [قال]: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الأديان أحب عند الله؟ قال: «الحنيفية السمحة».

وقد أخرجه أحمد بن حنبل[٨] وعبد بن حميد[٩] في مسنديهما بهذا الطريق،

---

(١) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٢٤٣.

(٢) الأحاديث المختارة ٧/ ١٣٢.

(٣) إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ١٢٣ وأوله: أتيت المدينة، فدخلت المسجد، والناس ينتظرون الصلاة، فخرج علينا رجل يقطر رأسه من وضوء توضأه أو غسل اغتسله، فصلىٰ بنا، فلما صلينا جعل الناس يقومون إليه ثم يقولون: يا رسول الله، أرأيت كذا، أرأيت كذا، يرددها مرات، فقال رسول الله ﷺ ... الخ.

(٤) مسند أحمد ٣٤/ ٢٦٩.

(٥) الثقات ٥/ ٢٩٣.

(٦) ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٣٣٠.

(٧) إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ١٢٤. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٨) مسند أحمد ٤/ ١٧.

(٩) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٤٤٥ (ط - دار بلنسية بالرياض).

والسند فيه مقال، وقول العراقي: «أخرجه ابن عبد البر عن أنس» فقد وافقه علىٰ إخراجه ذلك أبو الشيخ في «الثواب» والديلمي في الفردوس[١]، كلُّهم من رواية عبدالرحيم بن مطرف، حدثنا أبو عبد الله العُذْري عن يونس عن الزهري عن أنس، ولفظهم: وخير، بدل: وأفضل. وأبو عبد الله العذري لا يُدرَىٰ مَن هو.

وأما الشطر الثاني فقد أخرجه الطبراني في الصغير بزيادة: «وأفضل الدين الورع». وله شاهد جيد من حديث سعد بن أبي وقَّاص، أخرجه الحاكم في التاريخ، ومن حديث حُذَيفة، أخرجه الطبراني في الأوسط: «فضلُ العلم أحب إليَّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع» وقد تقدَّم هذا والكلام عليه[٢].

وأخرج الطبراني في الكبير والصغير[٣] من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن الشعبي عن ابن عمر رفعه: «أفضل العبادة الفقه».

وأخرج الطبراني[٤] أيضًا من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن ابن عوف رفعه: «يسير الفقه خير من كثير العبادة، وأفضل أعمالكم الفقه». وفي إسناده خارجة بن مصعب، وهو ضعيف جدًّا[٥].

- **الرابع والعشرون: (وقال ﷺ: فُضِّل المؤمن العالِم علىٰ المؤمن العابد بسبعين درجة)** قال العراقي[٦]: أخرجه ابن عدي[٧] من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، ولأبي يعلىٰ نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف. ا.هـ.

---

(١) فردوس الأخبار ٢/ ٢٧٩.

(٢) انظر تخريج الحديث التاسع عشر.

(٣) المعجم الصغير ٢/ ٢٥١.

(٤) المعجم الكبير ١/ ١٣٦ وفيه: وخير أعمالكم أيسرها.

(٥) انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٦٢٥.

(٦) المغني ١/ ١٥.

(٧) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٤٥٣، ٦/ ٢٢٢٧.

قلت: وأخرجه ابن عبد البر[١] من حديث ابن عباس بسند ضعيف، أخرجه من رواية يحيىٰ بن بكير، حدثنا يحيىٰ بن صالح الأيلي، عن إسماعيل بن أمية، عن عبيد بن عمير، عن ابن عباس رفعه بلفظ المصنف وزيادة لفظ «المؤمن» إشارة إلىٰ أن الكلام في عالم كامل الإيمان، عامل بعلمه، وفي عابد كامل الإيمان، عارف بالفروض العينية، وإلا فهو غير عابد[٢].

وقول العراقي: «أخرجه ابن عدي» قد أشار إليه السخاوي في المقاصد[٣]، وأغفله الجلال، أخرجه في الكامل، ثم البيهقي[٤] من طريقه، وابن السني وأبو نعيم في كتابيهما «رياضة المتعلِّمين»، كلُّهم من رواية عمرو بن الحُصَين، حدثنا ابن عُلاثة، حدثنا خصيف، عن مجاهد، عن أبي هريرة، وفي آخره: «الله أعلم ما بين كل درجتين».

وأما قوله: «ولأبي يعلىٰ نحوه»، أي في المعنىٰ فقط دون اللفظ، كما هو مقتضىٰ قولهم «نحوه»، وحديثه هذا أي الذي أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده قال[٥]: حدثنا موسىٰ بن محمد بن حيَّان، حدثني محمد بن عمر بن عبد الله، سمعت الخليل بن مرة يحدِّث عن مبشِّر[٦] عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «فُضِّل العالم علىٰ العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

قال الهيثمي[٧]: في سياق حديث أبي يعلىٰ الخليل بن مرة، قال

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٠٤.

(٢) فيض القدير للمناوي ٤/ ٤٣٣.

(٣) المقاصد الحسنة ص ٣٣٦.

(٤) شعب الإيمان ٣/ ٢٤٠.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ١٦٣.

(٦) في المطبوعة: ميسرة. والمثبت من مسند أبي يعلىٰ.

(٧) مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ٣٢٩ (ط - دار الفكر ببيروت).

البخاري[١]: منكَر الحديث، وقال ابن عدي[٢]: هو ممَّن يُكتب حديثه، وليس بمتروك.

قلت: هو من رجال الترمذي، روىٰ عنه الليث بن سعد، جاء تضعيفه عن ابن معين[٣].

وفي «الكاشف»[٤]: الخليل بن مرة الضُّبَعي، نزيل الرَّقَّة[٥]، عن أبي صالح وعكرمة، وعنه ابن وهب ووكيع، قال أبو حاتم[٦]: ليس بقوي، كان أحد الصالحين. توفي سنة ١٦٠.

وأخرج أبو القاسم الأصبهاني في كتاب «الترغيب والترهيب»[٧] من رواية خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن -أظنه ابن رافع- عن عبد الله بن عمر: قال النبي ﷺ ... فذكره، وفي آخره زيادة: «بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عامًا». وسيأتي ذِكرُه قريبًا.

---

(١) نص البخاري في التاريخ الكبير ٣/ ١٩٩: «خليل بن مرة، عن أزهر بن عبد الله، روىٰ عنه الليث، فيه نظر».

وقد نقل ابن عدي في كامله قولاً آخر عن البخاري فقال: «حدثنا الجنيدي، حدثنا البخاري قال: روىٰ خليل بن مرة عن سعيد بن عمرو عن أنس مناكير».

(٢) الكامل ٣/ ٩٣٠ ونصه: «وللخليل أحاديث غرائب، وهو شيخ بصري، وقد حدث عنه الليث وأهل الفضل، ولم أر في أحاديثه حديثًا منكرًا قد جاوز الحد، وهو في جملة من يكتب حديثه، وليس هو بمتروك الحديث».

(٣) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٦٦٧. المجروحين لابن حبان ١/ ٣٤٨.

(٤) الكاشف للذهبي ١/ ٣٧٦ (ط - مؤسسة علوم القرآن بجدة).

(٥) الرقة: مدينة كبيرة مشهورة تقع علىٰ الضفة الشرقية لنهر الفرات بشمال سوريا علىٰ بعد حوالي ١٦٠ كم شرق مدينة حلب. والرقة في اللغة: الصخرة المستوية.

(٦) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٣٧٩ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند).

(٧) الترغيب والترهيب ٣/ ٩٥.

- **الخامس والعشرون: (وقال ﷺ: إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه، قليل قرَّاؤه وخُطَباؤه، قليل سائلوه، كثير مُعطوه، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي علىٰ الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، قليل معطوه، كثير سائلوه، العلم فيه خيرٌ من العمل)** قال العراقي[١]: أخرجه الطبراني[٢] من حديث حرام بن حكيم عن عمه، وقيل: عن أبيه، وإسناده ضعيف. ا.هـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عبد البر في كتاب العلم[٣] وأبو نُعَيم في كتاب «رياضة المتعلِّمين»، كلُّهم من رواية صدقة بن عبد الله عن زيد بن واقد عن حرام بن حكيم عن عمِّه عن رسول الله ﷺ ... فذكره ابن عبد البر بلفظ المصنف، وفي رواية الآخرين تقديم وتأخير. وصدقة بن عبد الله السمين ضعيف[٤]، وحَرام -بفتح الحاء والراء- مختلَفٌ فيه[٥]، وعمُّه عبد الله بن سعد، هكذا ورد مُسمىٰ منسوبًا في رواية أبي نعيم.

وفي كتاب العلم لأبي خيثمة[٦]: حدثنا جرير، عن عبد الله بن يزيد [يعني الصَّهْباني] عن كُمَيل بن زياد، عن عبد الله بن مسعود قال: إنكم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، وإن بعدكم زمانًا كثير خطباؤه، العلماء فيه قليلٌ.

---

(١) المغني ١/ ١٥.

(٢) المعجم الكبير ٣/ ٢٢١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١١٤.

(٤) انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٣١٠ - ٣١١.

(٥) في ميزان الاعتدال ١/ ٤٦٧: «حرام بن حكيم، دمشقي، له عن عمه، وثقه دحيم، وضعفه ابن حزم. وحدث عنه زيد بن واقد وعبد الله بن العلاء، وروىٰ عن أبي هريرة، فحديثه مع غرابته يقتضي أن يكون حسنا. ويقال إنه حرام بن معاوية، اختلف علىٰ معاوية بن صالح في اسمه، وأما البخاري ففرق بينهما».

(٦) العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي ص ٢٧ (ط - دار المعارف بالرياض). والزيادة التي بين حاصرتين منه.

قال القاري في «شرح عين العلم»: المعنىٰ: إظهار العمل خير من إظهار العلم؛ لتقتدي الناسُ، فلا ينافيه ما سبق من الأحاديث الدالة علىٰ أفضلية العلم مطلقًا. ا.هـ.

وفي مسند الإمام أحمد[1] من رواية حجاجٍ الأسود: سمعتُ أبا الصِّدِّيق يحدِّث ثابتًا عن رجل عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «إنكم في زمان علماؤه كثير، وخطباؤه قليل، مَن ترك فيه عَشِير ما يعلم هَوَىٰ -أو قال: هلك- وسيأتي علىٰ الناس زمانٌ يقل علماؤه، ويكثُر خطباؤه، مَن تمسَّك فيه بعَشِيرِ ما يعلم نجا».

وللحديث المذكور شواهد، منها عند الترمذي[2] من حديث أبي هريرة: «إنكم في زمان مَن ترك فيه عُشر ما أُمِر به هلك، ثم يأتي زمان مَن عمل منهم بعُشر ما أُمر به نجا».

وعند الطبراني في الأوسط[3] والحاكم في التاريخ عن أبي هريرة أيضًا: «سيأتي [علىٰ أمتي] زمان تكثُر فيه القرَّاء، ويقل الفقهاء، ويُقبَض العلم، ويكثُر الهَرْج [قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل بينكم] ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لا يجاوز تراقيَهم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يجادل [المنافقُ] المشركُ بالله المؤمنَ في مثل ما يقول».

وأخرج أبو القاسم اللالَكائي في سُنَّته[4] من طريق علقمة عن عبد الله[5]

---

(١) مسند أحمد ٣٥/ ٢٩٩.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١١٤ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث نعيم بن حماد عن سفيان ابن عيينة.

(٣) المعجم الأوسط ٣/ ٣١٩. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٤) شرح أصول اعتقادات أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ٩١ (تحقيق: أحمد بن مسعود بن حمدان) وزاد في آخره: والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتُفقه لغير الدين.

(٥) يعني ابن مسعود رضي الله عنه.

قال: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبيرُ، إذا تُرك فيها شيءٌ قيل: تُركت السُّنَّة؟ قيل: متىٰ ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ذلك إذا ذهب علماؤكم، وكثُرت جُهَّالكم، وكثُرت قُرَّاؤكم، وقلَّت فقهاؤكم.

- **السادس والعشرون: (وقال ﷺ: بين العالِم والعابد مائة درجة، بين كل درجتين حُضْرُ الجوادِ المضمر سبعين سنة)** كذا وقع في الروايات: سبعين، والتقدير: مقدار سبعين، وفي نسخة العراقي: سبعون، بالواو.

قال العراقي[1]: أخرجه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» من حديث عبد الله ابن عمر، غير أنه قال: سبعون درجة، بسند ضعيف، وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة. ا.هـ.

قلت: رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتاب «الترغيب والترهيب» من رواية خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن -أظنه ابن رافع- عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره، ولفظه: «فضل العالم علىٰ العابد سبعون درجة، بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عامًا، وذلك لأن الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالِم فينهىٰ عنها، والعابد مقبلٌ علىٰ عبادة ربه لا يتوجَّه إليها ولا يعرفها».

وخارجة ضعيف، وقد تقدم ذلك في الحديث الرابع والعشرين.

وقال السخاوي في المقاصد[2]: ولأبي يعلىٰ وابن عدي من رواية عبد الله بن محرَّر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا بهذا اللفظ. قال: وقد ذكر ابن عبد البر في العلم أن ابن عون رواه عن ابن سيرين عن أبي هريرة، فيُنظَر مَن خرَّجه. ا.هـ.

---

(١) المغني ١/ ١٥.

(٢) المقاصد الحسنة ص ٣٣٦.

ولفظ العراقي: ذكره ابن عبد البر في العلم[١] من غير أن يوصله بالإسناد وقال: ومن حديث ابن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره، إلا أنه قال «درجة» موضع «سنة»، ثم قال: ومن دون ابن عون لا يُحتجُّ به. ا.هـ.

وتقدم حديث عبد الرحمن بن عوف الذي أخرجه أبو يعلىٰ الموصلي، ولفظه: «فُضِّلَ العالم علىٰ العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

وقول العراقي «رواه صاحب مسند الفردوس»[٢] يعني به الديلمي «وإسناده ضعيف» أشار إلىٰ أنه رواه من طريق بقية عن عبد الله بن محرَّر عن الزهري عن أبي سَلَمة عن أبي هريرة رفعه، وسياقه كسياق حديث عبد الله بن عمر المتقدِّم، وعبد الله بن محرر قاضي الرقة ضعيف جدًّا[٣]، وقد عنعن الحديثَ بقيةُ، وهو مدلِّس، والظاهر أنه لم يسمعه من عبد الله، وإنما سمعه من غياث بن إبراهيم أحد الوَضَّاعين، فقد روىٰ عنه بقيةُ، وقد روىٰ أبو نعيم هذا الحديث مقتصرًا علىٰ أوله من رواية غياث بن إبراهيم عن عبد الله بن محرر.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[٤] من رواية سليمان الشاذكوني، حدثنا ابن يمان، عن محمد بن عجلان، عن الزهري قال: فُضِّلَ العالم علىٰ المجتهد مائة درجة، ما بين كل درجة خمسمائة سنة حضر[٥] الفرس الجواد المضمر.

وبهذا وبما تقدَّم يسقُط قولُ مُلاَّ علي في «شرح عين العلم»: وأما ما في الإحياء

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٣٠.

(٢) فردوس الأخبار ٣/ ١٥١.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٠.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ٣٦٥.

(٥) في الحلية: خطو، ومعنىٰ: (حضر الفرس) أي: عَدْوه.

«مائة درجة» لا أصل له.

والحُضْر بالضم وسكون الضاد: نوع من أنواع سير الفرس، وهو فوق الهَمَلَّجة. والمضمر هو الجواد المهيأ للحُضْر والركض.

- السابع والعشرون: **(وقال ﷺ لمَّا قيل له: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: العلم بالله عز وجل. فقيل: الأعمال نريد. فقال ﷺ: العلم بالله سبحانه. فقيل له: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم؟! فقال ﷺ: إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله، وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله)** قال العراقي[1]: أخرجه ابن عبد البر[2] من حديث أنس بسند ضعيف. ا.هـ.

قلت: هو من رواية الحسين بن حُمَيد، حدثنا محمد بن روح بن عمران القُشَيري، حدثنا مؤمِّل بن عبد الرحمن، عن عباد بن عبد الصمد، عن أنس، بتكرار «أيُّ الأعمال أفضل» مرتين، وفيه «أسألك» بدل «نسألك»، و«تخبرني» بدل «تجيب»، والباقي سواءٌ. وعَبَّاد منكَر الحديث[3]، ومؤمِّل ضعيف[4]، ومحمد ابن روح منكَر الحديث[5]، والحسين بن حميد المصري تُكُلِّم فيه أيضًا[6].

وأخرجه الحكيم الترمذي في الأصل التاسع والستين بعد المائتين من «نوادر الأصول» فقال[7]: حدثنا عيسىٰ بن أحمد، حدثنا المؤمل بن عبد الرحمن، حدثنا

---

(١) المغني ١/ ١٥.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٠٢.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٩.

(٤) انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٢٢٩.

(٥) في ميزان الاعتدال ٣/ ٥٤٦: «محمد بن روح القتيري المصري، عن ابن وهب، قال ابن يونس: منكر الحديث».

(٦) انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٥٣٣.

(٧) نوادر الأصول ٢/ ١١٥٢.

عبَّاد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله». ثم أتاه فسأله، فقال مثل ذلك، فقال: يا رسول الله، إنما أسألك عن العمل. قال: «إن العلم ينفعك معه قليلُ العمل وكثيره، وإن الجهل لا ينفعك معه قليله ولا كثيره».

وقوله[١] «إن قليل العمل ينفع مع العلم» أي فإنه يصحِّحه «وكثير العمل لا ينفع مع الجهل» لأن المتعبِّد من غير علم كالحمار في الطاحون.

وقد أخرجه الديلمي في الفردوس عن أنس أيضًا.

ومن شواهده ما أخرجه أبو الشيخ[٢] عن عُبادة: «العلم خيرٌ من العمل، ومِلاك الدينِ الورعُ، والعالِم مَن يعمل».

وأخرج ابن عبد البر[٣] عن أبي هريرة: «العلم خير من العبادة، ومِلاك الدينِ الورعُ».

وأخرج ابن أبي شيبة[٤] والحكيم[٥] عن الحسن مرسلاً والخطيب[٦] عنه عن

---

(١) فيض القدير للمناوي ٤/ ٥٢٦.

(٢) الأمثال في الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني ص ١٤٢ (ط - الدار السلفية بالهند) بلفظ: «فضل العلم خير من فضل العمل، ورأس الدين الورع».
ولم يذكر الجملة الأخيرة.
وقد أورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٠/ ١٨٢ بمثل الرواية التي ذكرها الزبيدي، لكنه زاد في آخره: «والعالم من يعمل بالعلم وإن كان قليلا».

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١١١.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٥ (ط - دار الفاروق الحديثة بالقاهرة) ولفظه: فذلك حجة الله علىٰ عباده.

(٥) نوادر الأصول للحكيم الترمذي ٢/ ٧١٥.

(٦) تاريخ بغداد ٥/ ٥٦٨.

جابر: «العلم عِلمان، فعلمٌ في القلب فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حُجَّة الله علىٰ ابن آدم».

وسيأتي في الباب الخامس.

- **الثامن والعشرون: (وقال ﷺ: يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة، ثم يبعث العلماء ثم يقول: يا معشر العلماء، إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرتُ لكم)** أخرجه الطبراني من حديث أبي موسىٰ بسند ضعيف؛ قاله العراقي[1].

قلت: وأخرجه أيضًا يعقوب بن سفيان في تاريخه[2]؛ قاله الحافظ ابن حجر.

ولفظ الطبراني في الكبير عن أبي موسىٰ: «يبعث الله العباد يوم القيامة، ثم يَمِيز العلماء فيقول: يا معشر العلماء، إني لم أضع فيكم علمي إلا وأنا أريد أن لا أعذبكم، اذهبوا فقد غفرتُ لكم».

قلت: أخرجه الطبراني في الكبير والصغير[3] من رواية عمرو بن أبي سَلَمة التِّنِّيسي، وأبو الشيخ في الثواب وابن عبد البر في العلم[4] من رواية منبه بن عثمان، كلاهما عن صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن موسىٰ بن عبيدة عن سعيد بن أبي هند عن أبي موسىٰ رفعه. وصدقة[5] وطلحة وموسىٰ[6] ضعفاء، وأضعفهم طلحة[7]،

---

(١) المغني ١/ ١٥.

(٢) المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوي ٣/ ٥٠٤ (ط - الدار بالمدينة المنورة)

(٣) المعجم الصغير ١/ ٣٥٤.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢١٥.

(٥) تقدم الكلام عنه في الحديث الخامس والعشرون.

(٦) انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٢١٣.

(٧) انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٣٨.

وفي ترجمته أخرج ابن عدي هذا الحديث[١]، ويُروَىٰ أيضًا من حديث أبي أمامة أو واثلة، هكذا بالشك، رواه ابن عدي[٢] في ترجمة عثمان ابن عبد الرحمن الجُمَحي عن مكحول عنه مرفوعًا بلفظ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال: إني لم أستودع علمي فيكم وأنا أريد أن أعذِّبكم، ادخلوا الجنة».

ويُروَىٰ أيضًا من حديث ثعلبة بن الحكم، أخرجه الطبراني[٣] من رواية سماك ابن حرب عنه رفعه: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ للعلماء يوم القيامة إذا قعد علىٰ كرسيِّه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم علىٰ ما كان فيكم ولا أبالي».

ومن شواهده ما أخرجه ابن عدي في الكامل[٤] والبيهقي[٥] بسند ضعيف عن جابر رفعه: «يبعث الله العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبتْ حتىٰ تشفع للناس بما أحسنتَ من أدبهم».

وذكر أبو الطيب في «البحر الزاخر»[٦]: حُكي أن إسماعيل بن أبي رجاء قال: رأيت محمد بن الحسن الشيباني في المنام، فقلتُ له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ثم قال: لو أردتُ أن أعذِّبك ما جعلتُ هذا العلم في جوفك.

---

(١) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٤٣٠.

(٢) الكامل ٥/ ١٨١٠.

(٣) المعجم الكبير ٢/ ٨٤.

(٤) الكامل ٢/ ٨١٩، ٦/ ٢٥٣٠.

(٥) شعب الإيمان ٣/ ٢٣٤.

(٦) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٢١٣ بنحوه فقال: «حدثنا خلف بن القاسم، نا أبو عبد الله محمود بن محمد الوراق، ثنا أحمد بن مسعدة، ثنا محمد بن حماد المصيصي، نا أحمد بن القاسم، ثنا أحمد بن أبي رجاء قال: سمعت أبي يقول: رأيت محمد بن الحسن في المنام، فقلت: إلىٰ ما صرت؟ قال: غفر لي، ثم قيل لي: لم نجعل هذا العلم فيك إلا ونحن نريد أن نغفر لك. قلت: وما فعل أبو يوسف؟ قال: فوقنا بدرجة. قلت: وأبو حنيفة؟ قال: في أعلىٰ عليين».

وإنما ختم المصنف بهذا الحديث تفاؤلاً بقوله: «فقد غفرتُ لكم» إشارةَ إلىٰ أن مآل العالِم بالله العامل لله الغفران، وهذا ختام حَسنٌ، نسأل الله حسن الخاتمة.

والوارد في فضل العلم والعلماء أحاديثُ كثيرة، ولو تتبَّعنا ذِكرها لطال علينا الكتابُ، ولكن اقتصرنا علىٰ تبيين ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالىٰ. والله أعلم.

(وأما الآثار) جمعُ أَثَرٍ، تقدَّم تعريفُه، وكذا الفرقُ بينه وبين الخبر في أول الكتاب.

أورد فيها رحمه الله تعالىٰ أقوال بعض الصحابة كعلي وابن عباس وابن مسعود وعمر بن الخطاب ﷺ، وبعض التابعين كأبي الأسود والحسن والأحنف والزهري، ومَن بعدهم كابن المبارك والشافعي والزبير بن أبي بكر رحمهم الله تعالىٰ، ومَن بعدهم من أهل الصلاح كفتح الموصلي وغيره من الحكماء.

(فقد قال) أبو الحسن أمير المؤمنين (**علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **لـ**) تلميذه (**كُمَيل: يا كُمَيل**) بالتصغير، هو كُمَيل بن زياد النَّخَعي، من مشاهير أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من أعيان الزهاد، وللسادات الصوفية سندٌ في لبس الخِرقة إليه.

أخرج أبو نعيم في الحلية[1] من طريق عاصم بن حميد الحَنَّاط، حدثنا ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثُّمالي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلىٰ ناحية الجبَّان، فلما أصحرنا جلس، ثم تنفَّس، ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها ... فساق الحديث بطوله، وفيه: (**العلم خير من المال**) أشار إلىٰ فضل العلم، ثم ذكر سببه فقال: (**العلم يحرسك، وأنت تحرس المال**) قال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»[2] في شرح هذا الحديث: يعني أن العلم يحفظ صاحبه ويحميه من موارد

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٧٩.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٤١٦.

الهَلَكة ومواقع العَطَب؛ فإن الإنسان لا يُلقِي نفسَه في عطب[١] وعقله معه، ولا يعرِّضها للهلاك[٢] إلا إذا كان جاهلاً بذلك لا علم له به، فهو كمن يأكل طعامًا مسمومًا، فالعالم بالسُّم وضرره يحرسه علمه، ويمتنع به من أكلِه، والجاهل به يقتله جهلُه، فهذا مَثَلُ حراسة العلم للعالِم، وكذا الطبيب الحاذق يمتنع بعلمه عن كثير ممَّا يجلب له الأمراض وكذا العالم بمخاوف طريق سلكه يأخذ حذره منها فيحرسه علمُه من الهلاك، وهكذا العالم بالله وبأمره وبعدوِّه ومكائده يحرسه علمُه من وساوس الشيطان وخَطَراته، فعلمه يحرسه منه[٣]، وكلما جاء ليأخذه صاح به حرسُ العلم والإيمان فيرجع خائبًا، فهذا السبب الذي من العبد، والله وراء حراسته، فمتىٰ وكله إلىٰ نفسه طرفة عين تخطَّفه عدوُّه، وهذا هو التوفيق. ا.هـ.

(والعلم حاكم، والمال محكومٌ عليه) وهذا هو الوجه الثاني لفضل العلم، والمراد بالعلم هنا علم الباطن، ففي القوت[٤]: علم الظاهر حكمٌ، وعلم الباطن حاكم، والحكم موقوف حتىٰ يجيء الحاكم يحكم فيه.

وهذه الجملة في الحديث ليست في سياق الحلية، ولا في كتاب ابن القيم، موجودة[٥] في سياق القوت.

ثم قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(والمال تُنقِصه النفقةُ، والعلم يزكو بالإنفاق)** هكذا نص القوت، وفي الحلية: العلم يزكو علىٰ العمل، والمال تُنقِصه النفقة.

قال ابن القيم في كتابه المذكور[٦]: العالِم كلما بذل علمه للناس وأنفق منه

---

(١) في المفتاح: هلكة.

(٢) في المفتاح: لتلف.

(٣) في المفتاح: من الشيطان.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٧٠ نقلا عن بعض العارفين.

(٥) كذا في المطبوعة، ولعله سقط قبلها كلمة «بل» أو «إنما» أو نحو ذلك.

(٦) مفتاح دار السعادة ١/ ٤١٧ - ٤٣٣ باختصار.

تفجَّرت ينابيعه، وازداد كثرة وقوة ويقينًا وظهورًا، فيكتسب بتعليمه حِفْظَ ما عَلِمَه، ويحصل له به علم ما لم يكن عنده، وربما تكون المسألة في نفسه غير مكشوفة، فإذا تكلم بها وعلَّمها اتَّضحت له وأضاءت، وانفتح له منها علوم أُخَر.

ثم قال: ولزكاة العلم طريقان، أحدهما: تعليمه، والثاني: العمل به؛ فإن العمل به أيضًا ينمِّيه ويكثِّره، وقوله: «والمال تنقصه النفقةُ» لا ينافي قوله ﷺ: «ما نقصت صدقةٌ من مال»[1] فإن المال إذا تصدَّقتَ منه وأنفقت ذهب ذلك القَدْرُ وخلفه غيرُه، وأما العلم فكالمقتبَس من النار لو اقتبس منها العالَم[2] لم يذهب منها شيء بل يزيد.

ثم قال: وفضلُ العلم على المال يُعرَف بوجوه سوى الأوجُه الثلاثة التي ذكرها أمير المؤمنين:

أحدها: أن العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الملوك والأغنياء.

الثاني: أن صاحب المال إذا مات فارقه مالُه، والعلم يدخل مع صاحبِه قبرَه.

الثالث: أن المال يحصل للمؤمن والكافر والبرِّ والفاجر، والعلم النافع لا يحصل إلا للمؤمن.

الرابع: أن العالِم يحتاج إليه الملوك فمَن دونهم، وصاحب المال إنما يحتاج إليه أهل العدم والفاقة.

الخامس: النفس تشرُف وتزكو بجمع العلم وتحصيله، وذلك من كمالها وشرفها، والمال لا يزكِّيها ولا يكمِّلها، ولا يزيدها صفةَ كمالٍ، بل النفس تنقُص وتَشِحُّ وتبخَل بجمعه والحرص عليه، فحرصها على العلم عينُ كمالها، وحرصُها على المال عينُ نقصِها.

---

(١) سيأتي هذا الحديث في كتاب ذم الغضب والحقد والحسد.

(٢) في المفتاح: لو اقتبس منها أهل الأرض.

السادس: المال يدعوها إلىٰ الطغيان والفخر، والعلم يدعوها إلىٰ التواضع.

السابع: أن غِنىٰ العلم أجَلُّ من غنىٰ المال؛ فإن المال لو ذهب في ليلة أصبح صاحبه فقيرًا مُعدَمًا، وغني العلم لا يُخشَىٰ عليه الفقر، بل هو في زيادة أبدًا، فهو الغِنىٰ العالي حقيقةً، كما قيل:

غنيتُ بلا مال عن الناس كلهم ... فإن الغنىٰ العالي عن الشيء لا به[1]

الثامن: أن المال يستعبد صاحبه ومُحِبَّه فيجعله عبدًا، والعلم يستعبده لربِّه، فهو لا يدعوه إلا إلىٰ عبودية الله وحده.

التاسع: أن حب العلم وطلبه أصل كل طاعة، وحب المال وطلبه أصل كل سيئة.

العاشر: قيمة الغنيِّ ماله، وقيمة العالم علمه، فهذا متقوِّم بماله، فإذا عُدم ماله عُدمت قيمته، والعالم لا تزول قيمته، بل هي في تضاعُف دائمًا.

الحادي عشر: أن جوهر المال من جنس جوهر البدن، وجوهر العلم من جنس جوهر الروح، والفرق بينهما كالفرق بين الروح والجسد.

الثاني عشر: أن العالم إذا عُرض عليه بحظِّه من العلم الدنيا بما فيها لم يَرْضَها عوضًا عن علمه، والغنيُّ العاقل إذا رأىٰ شرف العالم وكماله به يودُّ لو أن له علمه بغناه أجمع.

الثالث عشر: أن العالِم يدعو الناس إلىٰ الله بعلمه وحاله، وجامع المال يدعوهم إلىٰ الدنيا بحاله وماله.

الرابع عشر: أن غِنىٰ المال قد يكون سبب هلاك صاحبه؛ فإنه معشوق النفوس، فإذا رأت مَن يستأثر بمعشوقها عليها سعت في هلاكه، وأما غِنىٰ العلم

---

(١) لم أقف علىٰ قائله.

فسبب حياة الرجل وحياة غيره، والناس إذا رأوا مَن يستأثر عليهم به أحبُّوه وخدموه.

الخامس عشر: أن اللذة الحاصلة من غِنىٰ المال إن التذَّ صاحبُه بنفس جمعِه فوهميةٌ، وأما بإنفاقه في شهواته فبهيمية، وأما لذة العلم فعقلية، وفرقٌ بينهما.

السادس عشر: أن المال إنما يُمدَح صاحبُه بتخلِّيه عنه، والعلم إنما يُمدَح بتحلِّيه به.

السابع عشر: أن طالب الكمال بغِنىٰ[1] المال كالجامع بين الضدينِ، وبيانه أن القدرة صفة كمال، وصفة الكمال محبوبة بالذات، والاستغناء عن الغير أيضًا صفة كمال محبوبة بالذات، فإذا مال الرجل بطبعه إلىٰ السخاء فهذا كمال مطلوب للعقلاء، محبوب للنفوس، وإذا التفت إلىٰ أن ذلك يقتضي خروج المال من يده -وذلك يوجب نقصه واحتياجه إلىٰ الغير وزوال قدرته- نفرت نفسُه عن فعل المَكْرُمات، وظن أن إمساكه في المال كمالُه، فلأجل ميل الطبع إلىٰ المدح يحب الجود، ولأجل فوت القدرة بسبب إخراجه يحب إبقاءَ ماله، فبقي القلب في مقام المعارضة بينهما، فمنهم مَن يترجَّح عنده جانبُ البذل، ومنهم مَن يؤثِر الإمساكَ، ومنهم مَن يبلُغ به الجهلُ إلىٰ الجمع بين الوجهين فيَعِدُ بالجود رجاءَ المدح، وعند حضوره[2] لا يفي، فيقع في أنواع الفضائح، وإذا تأملتَ أحوال الأغنياء تراهم يشكون ويبكون، وأما غنيُّ العلم فلا يَعرِض له شيءٌ من ذلك، وتعبُ جمعِه أقل من تعب جمع المال.

الثامن عشر: أن اللذة الحاصلة من المال إنما هي حال تجدُّده فقط، وأما حالَ دوامه فإما أن تذهب أو تنقُص؛ لمحاولته تحصيل الزيادة دائمًا، فهو في فقر مستمر؛ لبقاء حرصِه، بخلاف غنيِّ العلم فإن لذته في حال بقائِه مثلُها في حال

---

(١) في المطبوعة: بفناء. والتصويب من المفتاح.

(٢) في المفتاح: حضور الوقت.

تجدُّده بل أَزْيَدُ.

التاسع عشر: أن غِنىٰ المال يستدعي الإحسان إلىٰ الناس، فصاحبه إن سدَّ علىٰ نفسه هذا الباب مقتوه فيتألَّم قلبُه، وإن فتحه فلا بد من الميل إلىٰ بعض والإمساك عن بعض، وهذا يفتح عليه باب العداوة والمَذَمَّة من المحروم والمرحوم، فالمحروم يقول: كيف جاد علىٰ غيري؟ والمرحوم دائمًا يستشرف لنظيره علىٰ الدوام، وهذا قد يتعذَّر غالبًا فيفضي إلىٰ ما ذكرنا[1]، ولذا قيل: اتَّقِ شرَّ مَن أحسنتَ إليه. وصاحب العلم يمكنه بذلُه للكل من غير نقصٍ فيه.

العشرون: أن غنيَّ المال يبغض الموتَ للتمتُّع بماله، وأما العلم فإنه يحبِّب للعبد لقاءَ ربه، ويزهِّده في هذه الدنيا.

الحادي والعشرون: أن الأغنياء يموتون فيموت ذِكرهم، والعلماء بخلاف ذلك، كما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**مات خُزَّان المال**) أي جُمَّاعه (**وهم أحياء**) فهم أحياء كأموات (**والعلماء باقون ما بقي الدهرُ**) أي بذِكرهم الحَسن علىٰ الألسنة، وعلمِهم الفائض في القلوب خلفًا عن سلف إلىٰ يوم القيامة، فهم (**أعيانهم**) أي ذواتهم (**مفقودة**) بالموت الظاهر (**وأمثالهم**) أي علومهم وعوارفهم (**في القلوب**) أي في قلوب العلماء (**موجودة**) أبدًا، فهم كأحياء الناس بعد موتهم.

وهذا الحديث يأتي بطوله في آخر الباب السادس من هذا الكتاب، ونلمُّ إن شاء الله تعالىٰ بشرحه ما عدا هذه الكلمات بتوفيق من الله عَزَّ وَجَلَّ.

(**وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: العالِم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثُلم في الإسلام ثُلمةٌ لا يسدُّها إلا خَلَفٌ منه**) هذا القول أخرجه الخطيب في تاريخه[2]، ولفظه: فإن المؤمن العالم لأعظمُ أجرًا من الصائم القائم الغازي في

---

(١) في المفتاح: فيفضي ذلك إلىٰ العداوة الشديدة والمذمة.

(٢) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، بل وجدته في كتاب الجامع لأخلاق الراوي للخطيب ١/ ٣٠١.

سبيل الله تعالىٰ، وإذا مات العالِم انثلمت في الإسلام ثُلمةٌ لا يسدها شيءٌ إلىٰ يوم القيامة.

والثُّلْمة بالضم: الخلل في حائط[١].

والخَلَف محرَّكة: مَن يخلُف غيرَه في الأعمال الصالحة. وبسكون اللام بالعكس[٢].

ومن شواهده ما تقدَّم في الحديث الثامن[٣] عن جابر مرفوعًا: «موتُ العالِم ثلمة في الإسلام لا تُسَدُّ ما اختلف الليلُ والنهارُ».

وعن ابن عمر: ما قبض الله عالمًا إلا كان ثغرة في الإسلام لا تُسَدُّ[٤].

وقوله: «إلا خلف منه» استثناء حَسنٌ لا يخفَىٰ موقعُه.

(وقال رضي الله تعالىٰ عنه أيضًا نظمًا) قال صاحب «القاموس»[٥] في تركيب «و د ق» نقلاً عن أبي عثمان المازني: إنه لم يصحَّ عندنا أن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين[٦]:

تلكم قريشٌ تَمَنَّاني لتقتلني ... فلا وربِّك ما بَرُّوا ولا ظَفِروا

---

(١) في تاج العروس ٣١/ ٣٧٥: «الثلمة بالضم: فرجة المكسور والمهدوم، وهو الموضع الذي قد انثلم، والجمع ثُلَم. وفي الصحاح: الثلمة: الخلل في الحائط وغيره».

(٢) انظر: تاج العروس ٢٣/ ٢٤٤ - ٢٤٧.

(٣) بل في الحديث التاسع.

(٤) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ١٠/ ١٥٧ بلفظ: «ما قبض الله تعالىٰ عالما من هذه الأمة إلا كان ثغرة في الإسلام لا تسد ثلمته إلىٰ يوم القيامة». وعزاه للسجزي في الإبانة، والمرهبي في العلم. وعزاه السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٤٥ للديلمي.

(٥) تاج العروس ٢٦/ ٤٥٥.

(٦) البيتان في ديوان الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ص ٨٠ (ط - دار الكتب العلمية).

فإن هلكتُ[(١)] فرَهْنٌ ذمتي لهم   بذات وَدْقَيْنِ لا يعفو لها أثرُ

ونقل الصاغاني عن المازني ذلك أيضًا، ونقله المَرْزُباني في «تاريخ النحاة» عن يونس: ما صح عندنا، ولا بلغنا أنه قال شعرًا إلا هذين البيتين. وصوَّبه الزمخشريُّ[(٢)].

قال شيخنا[(٩)] في حاشيته: ولعل سند ذلك قويٌّ عندهم وإلا فقد رُوي عنه شعر كثير مما شاع وذاع، لا سيَّما وقد قال الشعبي[(١٠)]: كان أبو بكر شاعرًا، وكان عمر شاعرًا، وكان عليٌّ أشعر الثلاثة.

انظر تمامه في شرحي علىٰ القاموس.

وقد وجدتُ قبل هذه الأبيات بيتين، وهما قوله[(١١)]:

الناس من جهة التمثال أكفاءُ   أبوهم آدم والأم حوَّاءُ
وإن يكن لهم في أصلهم شرفٌ   يفاخرون به فالطين والماءُ
(ما الفخر[(١٢)] إلا لأهل العلم إنهم   علىٰ الهُدَىٰ لمن استهدىٰ أَدِلاء
ووزن[(١٣)] كل امرئ ما كان يُحسِنه   [وللرجال علىٰ الأفعال أسماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله][(١٤)]   والجاهلون لأهل العلم أعداء

---

(١) في الديوان: فإن بقيت.

(٢) الفائق في غريب الحديث ٢/ ٩١. حيث نقله عن المازني ولم يتعقبه كالمقر له.

(٩) هو محمد بن الطيب الفاسي، وحاشيته هي: إضاءة الراموس وإفاضة الناموس علىٰ إضاءة القاموس.

(١٠) تاريخ دمشق ٤٢/ ٥٢٠. أنساب الأشراف للبلاذري ١٠/ ٣٠٢ (ط - دار الفكر ببيروت).

(١١) الأبيات في ديوانه ص ٥.

(١٢) في الديوان: ما الفضل.

(١٣) في الديوان: وقدر.

(١٤) زيادة من الديوان.

ففُزْ بعلم ولا تجهل مواضعه[١] فالناس موتىٰ وأهل العلم أحياءُ)

وقد أورد الشهاب أحمد بن إدريس بن الصلت[٢] القَرافي المالكي هذه الأبيات في أول كتابه «الذخيرة»[٣]، ولم يذكر البيت الأخير[٤].

وقوله: «ووزن كل امرئ» هو من جملة حِكَمِه المأثورة: قيمة كل امرئ ما يُحسِنه.

وفي القوت[٥]: وقد روينا عن عليٍّ كرَّم الله وجهه ... فذكر البيتين، ثم قال: فمَن كان عالمًا يعلم معلومه الله تعالىٰ فمَن أفضل منه؟ وأيُّ قيمة تُعرَف له؟ إذ كل علم قيمته معلومه، ووزن كل عالمٍ علمُه. ا.هـ.

وقوله: «الجاهلون» مأخوذ من الحديث المشهور: «مَن جَهِل شيئًا عاداه»[٦].

---

(١) في الديوان: ففز بعلم ولا تطلب به بدلا.

(٢) كذا في المطبوعة، ولم أجد في سلسلة نسبه أحدًا يسمىٰ الصلت، وهو أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن بن عبد الله ين يلِّين الصنهاجي المصري.

(٣) الذخيرة للقرافي ١/ ٤٦ (ط - دار الغرب الإسلامي).

(٤) ذكر عجزه بنفس الرواية، أما صدره فهكذا:

فاطلب لنفسك علما واكتسب أدبا

وقد أشار محققه إلىٰ أن هذا البيت ساقط من بعض النسخ الخطية، فلعل الزبيدي اطلع علىٰ نسخة ناقصة من الذخيرة.

(٥) قوت القلوب ١/ ٢٦٣.

(٦) ليس حديثا، بل هو من الأقوال المأثورة الشهيرة، وقد أورده السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٤١٠ ثم قال: «وفي مناقب الشافعي للبيهقي من طريق الربيع، سمعت الشافعي يقول: العلم جهل عند أهل الجهل، كما أن الجهل جهل عند أهل العلم، ثم أنشأ يقول:

ومنزل الفقيه من السفيه كمنزلة السفيه من الفقيه

فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهد منه فيه

ويشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾».

وقوله: «فالناس موتىٰ» هو مأخوذ من الحديث: «الناس هلكَىٰ إلا الصالحون».

وقد أخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء[1] مثل ذلك عن سهل التستري، كما سيأتي.

وفي الرسالة القشيرية[2]: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: [سمعت الحسين بن علوية يقول:] قال أبو يزيد البِسطامي: كنت ثنتي عشرة سنة حَدَّادَ نفسي، وخمس سنين مرآة قلبي، وسنة أنظر فيما بينهما [فإذا في وسطي زنار ظاهر] فعملتُ في قطعِه ثنتي عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في باطني زنار، فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه [فكشف لي] فنظرت إلىٰ الخَلْق فرأيتهم موتىٰ، فكبَّرت عليهم أربع تكبيرات.

قال النووي[3]: قوله «فرأيتهم موتىٰ» في غاية من النفاسة والحُسن، وقلَّ أن يوجد في غير كلام النبي ﷺ كلامٌ يحصِّل معناه.

(وقال أبو الأسود) ظالم بن عمرو، أو عمرو بن ظالم الدُّؤَلي، معلِّم الحَسَنينِ، أول مَن ابتكر علم النحو، وتولَّىٰ قضاء البصرة. روىٰ عنه ابنه [أبو] حرب، أخرج حديثه الأربعةُ، توفي سنة ٦٩ **(ليس شيء)** في الدنيا **(أعز)** مقامًا **(من العلم)** وذلك لأن **(الملوك حكام علىٰ الناس)** بسياستهم الظاهرة **(والعلماء حكام علىٰ الملوك)**[4] يعلِّمونهم بقوانين السياسة الشرعية، وقد نظم ذلك بعضُهم

---

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب ص ٢٨ ولفظه: «الناس كلهم سكارىٰ إلا العلماء، والعلماء كلهم حيارىٰ إلا من عمل بعلمه».

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٨٨. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٣) بستان العارفين للنووي ص ١٠٠.

(٤) أورده الصفدي في ترجمته من الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٠٧.

فقال[١]:

إن الأكابر يحكمون علىٰ الـوَرَىٰ وعلىٰ الأكابـر تحكـم العلمـاءُ

واعلم[٢] أن العلم حاكم علىٰ ما سواه، ولا يحكم عليه شيءٌ، فكل شيء اختُلف [في] وجوده وعدمه وصحته وفساده ومنفعته ومضرَّته ورجحانه ونقصانه وكماله ونقصه ومدحه وذمِّه ومرتبته في الخير وجَوْدته ورداءته وقُرْبه وبُعْده [وإفضائه إلىٰ مطلوب كذا وعدم إفضائه وحصول المقصود به وعدم حصوله] ... إلىٰ سائر جهات المعلومات فإن العلم حاكم علىٰ ذلك كله، فإذا حكم العلمُ انقطع النزاع ووجب الاتِّباعُ، وهو الحاكم علىٰ الممالك والسياسات والأموال والأقلام، فمُلْكٌ لا يتأيَّد بعلمٍ لا يقوم، وسيف بلا علم مِخْراقُ لاعبٍ، وقلم بلا علمٍ حركةُ عابثٍ، والعلم مسلَّطٌ حاكمٌ علىٰ ذلك كله، ولا يحكم شيءٌ من ذلك علىٰ العلم.

وسيأتي من قول عليٍّ رضي الله عنه: العلم حاكم، والمال محكوم عليه.

(وقال) ترجمان القرآن عبد الله **(ابن عباس** رضي الله عنهما**)** فيما رُوي عنه بإسناد حسن[٣]: **(خُيِّر سليمان بن داود)** ابن إيشا **(صلىٰ الله عليه)** وعلىٰ نبيِّنا وسلَّمْ **(بين العلم والمال والمُلْك، فاختار العلم)** دونهما؛ لأنه نظر إلىٰ العلم فرآه باقيًا إلىٰ الأبد، ورأىٰ المال والمُلْك عارضينِ زائلينِ، فاختار الباقي علىٰ الفاني **(فأُعطي العلم)** كما اختار **(و)** أُعطي **(المال والمُلْك معه)** زيادةً علىٰ ما اختار، وذلك

(١) البيت في الوافي بالوفيات ١٢/ ١٩٧ منسوبًا للحسين بن إبراهيم النطنزي الأصبهاني النحوي الملقب بذي اللسانين، وقبله:

العـز مخصـوص بـه العلمـاء مـا للأنـام سـواهم مـا شـاءوا

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٩٦ - ٢٩٧ والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٣) روي هذا الخبر مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ، كذلك رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٧٥، والديلمي في فردوس الأخبار ٢/ ٣٠٧.

لحُسن نظره وإخلاصه ﷺ، ولذلك أثنىٰ الله عليه في كتابه فقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ [النمل:١٦] واتَّفق المفسِّرون علىٰ أن هذه الوراثة هي النبوة والعلم، وهذا هو المناسب لجلالة مقام الأنبياء.

(**وسُئل**) أبو عبد الرحمن[١] عبد الله (**ابن المبارَك**) بن واضح الحنظلي مولاهم المروزي، شيخ خُراسان، روىٰ عن سليمان التَّيْمي وعاصم الأحول والربيع بن أنس، وعنه ابن مهدي وابن مَعِين وابن عَرَفة، وأبوه تركي مولىٰ تاجر، وأمُّه خُوارزمية، وُلد سنة ١١٨، وتوفي بهيت[٢] سنة ١٨١. قال أبو نعيم في الحلية[٣]: حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد [بن أحمد بن إبراهيم] حدثنا عبد الله بن محمد [بن عبد الكريم] حدثنا الفضل بن محمد البيهقي [قال:] سمعت سُنَيد بن داود يقول: سألت ابن المبارك (**عن الناس**) أي الكُمَّل منهم. ورواية الحلية: مَن الناس؟ (**فقال: العلماء**) أي بالله (**قيل: فمَن الملوك**)؟ ورواية الحلية: قلت: فمَن الملوك؟ (**قال: الزُّهَّاد**) زاد في الحلية: فمَن الغوغاء؟ قال: خُزَيمة[٤] وأصحابه (**قيل: فمَن السفلة**) ورواية الحلية: قلتُ: فمَن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم.

ثم قال أبو نعيم: حدثنا أبو محمد ابن حَيَّان، حدثنا إبراهيم بن محمد بن علي، حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عابس بن عبد الله قال: قيل لعبد الله بن

---

(١) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ١٦/ ٥ – ٢٥.

(٢) هيت: مدينة عراقية تقع علىٰ نهر الفرات، وتبعد عن بغداد حوالي ١٨٠ كم إلىٰ الشمال، وتشتهر بكثرة النخيل والبساتين وعيون الماء الساخنة. فتحها المسلمون عام ١٦ هـ.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٦٧. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٤) هو خزيمة بن خازم التميمي، والٍ من أكابر القواد في العصر العباسي الأول، ولي البصرة أيام الرشيد، والجزيرة أيام المأمون، ولما اختلف الأمين مع المأمون انحاز خزيمة للمأمون، واشترك في حصار بغداد إلىٰ قتل الأمين، فأقام خزيمة ببغداد إلىٰ أن مات سنة ٢٠٣.
الأعلام ٢/ ٣٠٥.

المبارك: مَن أئمة الناس؟ قال: سفيان وذَوُوه. فقيل [له]: مَن سفلة الناس؟ قال: مَن يأكل بدينه. ورواية الكتاب: (**الذي يأكل بدينه**) وما رواه الشيخ هو نص أبي طالب في القوت(١)، إلا أنه زاد فقال: وقال مرةً [في رواية] الذين يتلبَّسون ويتطيلسون(٢) ويتعرَّضون للشهادات.

والسَّفْلة بكسر السين المهملة وفتح الفاء(٣): الأرذال.

(**ولم يجعل غير العالِم من الناس**) لِما رُوي عن ابن مسعود مرفوعًا: «الناس رجلان: عالِم ومتعلِّم، ولا خير فيما سواهما»(٤). (**لأن الخاصية التي يتميَّز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم**) والبيان خاصةً (**فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله**) أي العلم (**وليس ذلك**) الشرف (**بقوة شخصه**) فيما يرى (**فإن الجمل**) الذي ضُرب به المَثَل في عجيب خَلْقِه (**أقوى منه، ولا**) شرفه (**بعِظَمِه**) أي كِبَر جثَّته (**فإن الفيل أعظم منه**) جثةً (**ولا بشجاعته**) وقوته (**فإن الأسد**) وفي نسخة: السبع (**أشجع منه**) وأقوى (**ولا**) شرفه (**بأكله**) كثيرًا (**فإن الجمل أوسع بطنًا منه**) وأكثر أكلاً، وكذلك الفيل أيضًا (**ولا**) شرفه (**ليجامع**) النساء (**فإن أخس العصافير**) وهي الدُّورية (**أقوى على السُّفاد منه**) وهو جِماع الطيور خاصةً (**بل لم يُخلَق إلا للعلم**) بالله ومعرفته

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٦٣. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) في القوت: ويطلبون. ومعنى «يتطيلسون» أي يلبسون الطيلسان، وهو نوع من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن، ويعرف في مصر باسم: الشال.

(٣) في هامش المطبوعة: «لعله: وسكون الفاء، كما في القاموس».

وفي تاج العروس ٢٩/ ٢٠٤: «وسِفْلة الناس، بالكسر على التخفيف بنقل كسرة الفاء إلى السين؛ نقله ابن السكيت عن بعض العرب. وكفَرِحة: أسافلهم وغوغاؤهم وأراذلهم وسُقَّاطهم، مستعار من سَفِلة الدابة».

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٤٧ والمعجم الأوسط ٧/ ٣٠٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٧٦.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٣٢٨: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفي سند الأوسط نهشل بن سعيد، وفي الكبير الربيع بن بدر، وهما كذابان».

وتوحيده؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] فبهذه[1] الخاصية الخاصة يتميَّز عن غيره من البهائم، فإذا عُدم العلم بقي معه القَدْرُ المشترَك بينه وبين سائر الدواب وهي الحيوانية المحضة، فلا يبقىٰ فيه فضلٌ عليهم، بل قد يبقىٰ شرًّا منهم، كما قال تعالىٰ في هذا الصنف من الناس: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال:٢٢] فهؤلاء هم الجُهَّال الذين لم تحصل لهم حقيقةُ الإنسانية التي يتميَّز بها صاحبُها عن سائر الحيوان.

(وقال بعض العلماء) وفي نسخة: الحكماء **(ليت شِعْري)** أي علمي **(أيُّ شيء)** وفي نسخة: خير **(أدرك مَن فاته العلمُ)** لأن العلم هو مصدر الخُيور كلِّها، فمَن فاته لم يدرك شيئًا من الخير. وكأنَّ المراد هنا بالعلم: التفقُّه في الدين، وإليه يشير الحديث: «مَن يُرِد اللهُ به خيرًا يفقِّهه في الدين ويُلهِمه رُشْده» كما سبق **(وأيُّ شيء فاته مَن أدرك العلمَ؟**

وقال عليه الصلاة والسلام: مَن أوتي القرآن فرأىٰ أن أحدًا أوتي خيرًا منه فقد حقَّرَ ما عَظَّمَ اللهُ تعالىٰ[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٩٤.

(٢) لم يتعرض الشارح لهذا الحديث، وكذا لم يذكره العراقي في المغني. وقد أخرجه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل ١٧٥ (ط - باكستان) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ولفظه: «من قرأ القرآن فقد أُدرجت النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحىٰ إليه، ومن قرأ القرآن فرأىٰ أن أحدًا أُعطي أفضل مما أُعطي فقد صغَّر ما عظم الله وعظَّم ما صغَّر اللهُ، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتد فيمن يحتد، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن».

ورواه ابن المبارك في الزهد ص ٢٤٣ موقوفا علىٰ عبد الله بن عمرو.

وروي نحوه من حديث ابن مسعود مرفوعا، أخرجه ابن عدي في الكامل ٢/ ٧٨٧، ولفظه: «من تعلم القرآن والبقرة وآل عمران فلا يجد العيلة، ومن تعلَّم القرآن فظن أن أحدًا أغنىٰ منه فقد حقَّر عظيمًا وعظَّم صغيرًا».

وقال) أبو محمد **(فتح)** بن سعيد **(الموصلي** رحمه الله**)** أحد[1] الصوفية والزهاد، صاحب الجِد والاجتهاد، من أقران بِشر الحافي والسَّرِيِّ السَّقَطي، وكان كبير الشأن في [باب][2] الورع والمعاملات. وسأل رجلٌ المُعافَىٰ بن عمران: هل كان لفتحٍ الموصلي كبير عمل[3]؟ فقال: كفاك بعمله تركه للدنيا.

ترجم له الشَّعْراني، زاد المناوي[4] أنه توفي سنة ١٢٠ **(أليس المريض إذا مُنع الطعام والشراب)** والدواء **(يموت؟ قالوا: نعم)** وعند ابن القيم[5]: قالوا: بلىٰ. وذلك لأن حكمة الله تعالىٰ اقتضت ملاءمة الأدوية للأمراض بحسب طبائعها، فإذا مُنع منه ذلك الدواء الملائم لمرضه فإنه يكون سببًا لازدياد المرض وإزهاق الروح، وأما الطعام والشراب فمن اللوازم للمريض وغيره، ولكن معاهدته بهما أكثر اقتضاءً؛ فإن الصحيح ربما يصبر عنهما بالرياضة مثلاً **(قال: كذلك القلب)** فإنه كالمريض، ودواؤه العلم والحكمة والمعارف الإلهية **(إذا مُنع عنه)** ذلك الدواء الذي هو **(الحكمة والعلم ثلاثة أيام)** فإنه **(يموت)** والذي في طبقات الشعراني في ترجمته: وكان يقول: القلب إذا مُنع الذِّكر مات، كما أن الإنسان إذا مُنع من الطعام والشراب يموت ولو علىٰ طول، ويزول عنه إحساسُه.

(ولقد صدق) رحمه الله تعالىٰ **(فإن غذاء القلب)** وشرابه ودواءه **(العلم والحكمة)** والمعارف الإلهية **(وبهما حياته)** وتوقُّده وذكاؤه **(كما أن غذاء الجسد)** وتقويته **(الطعام)** والشراب **(ومَن فقد العلم)** بالله والحكمة **(فقلبه مريض)** بأمراض الجهل **(وموته لازم)** لعدم وصول ما يلائمه **(ولكنه لا يشعر به)** أي لا

---

(١) طبقات الشعراني ١/ ٦٨.

(٢) زيادة من طبقات الشعراني.

(٣) في المطبوعة: كبير محل. والمثبت من طبقات الشعراني.

(٤) طبقات المناوي ١/ ٢٧٣.

(٥) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٠١.

يدرك موتَ قلبه (**إذ شُغْل الدنيا وحبُّها**) والميل إلىٰ ملاهيها وملاذِّها قد (**أبطل**) عنه (**إحساسه**) بذلك وإدراكه لهذا السر العظيم.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[١] بسنده إلىٰ مالك بن دينار قال: إن العبد[٢] إذا سقم لم ينجع فيه لا طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حبُّ الدنيا لم تنجع فيه الموعظةُ.

(**كما أن غَلَبة الخوف**) من شيء إذا انتهىٰ إلىٰ غاية (**قد تُبطِل**) إحساسَ (**ألمِ الجِراح في الحال وإن كان واقعًا**) ومنهم مَن يشتغل بالحرب فيقع عضوٌ من أعضائه فلا يدري به ويمضي في محاربته، ولا يحس به إلا إذا رجع عن شغله، وهذا مشاهَدٌ، وكذلك المحب والمفكِّر قد يبطُل إحساسُهم بألم الجراحات [في تلك الحال][٣] فإذا صحوا وعادوا إلىٰ حالة الاعتدال أدركوا آلامها، وكذلك العبد (**فإذا حط الموتُ عنه أعباءَ الدنيا**) أي أحمالها الثقيلة وشواغلها (**أحس**) حينئذٍ (**بهلاكه**) وموت قلبه (**وتحسَّر تحسُّرًا عظيمًا ثم لا ينفعه**) إذ ذاك، ولذلك يتمنَّىٰ أن يعود إلىٰ الدنيا (**وذلك كإحساس الآمِن من خوفه والمفيق من سُكْره**) فإنه ما دام في سُكْره لا يحس بشيء من الآلام، فإذا أَمِنَ أو أفاق أحس (**بما أصابه من الجراحات في حالة السُّكْر أو الخوف، فنعوذ بالله من**) فضيحة (**يوم كشف الغطاء**) إذ لا ينفع فيه الندم ولا التحسُّر، وفي ذلك قيل[٤]:

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٦٣.

(٢) في الحلية: البدن.

(٣) زيادة من مفتاح دار السعادة.

(٤) البيتان في كتاب المدهش لابن الجوزي ص ٢٢٠ (ط - دار الكتب العلمية) دون نسبة، وقبلهما ثلاثة أبيات أخرىٰ وهي:

كأنك لم تسمع بأخبار من مضىٰ ... ولم تر في الباقين ما يصنع الدهر

فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم ... محاها مجال الريح بعدك والقطر

علىٰ ذاك مروا أجمعون وهكذا ... يمرون حتىٰ يستردهم الحشر

فحَتَّام لا تصحو وقد قَرُبَ المدَىٰ وحتام لا ينجاب عن قلبك السُّكْرُ

بلىٰ سوف تصحو حين ينكشف الغطا وتذكُر قولي حين لا ينفع الذِّكرُ

فإذا كُشف الغطاء، وبرح الخفاء، وبليت السرائرُ، وبَدَت الضمائر، وبُعثر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور، فحينئذٍ يكون الجهل ظُلمة علىٰ الجاهلين، والعلم حسرة علىٰ البَطَّالين **(فإن)** كما رُوي من قول عليٍّ رضي الله عنه، علىٰ ما حقَّقه السخاوي في المقاصد[١] **(الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا)** أي أحسُّوا بما كانوا فيه. وقد عزا الشيخ هذا القولَ إلىٰ النبي ﷺ في آخر الكتاب، وتبعه علىٰ ذلك عبد الوهاب بن محمود المراغي مختصِر الكتاب، ولم يعرِّج عليه العراقيُّ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالىٰ.

(وقال) أبو سعيد **(الحسن)** بن يَسار البصري، مولىٰ زيد بن ثابت، وقيل: مولىٰ جميل بن قطبة، وأبوه يسار من سبي مَيْسان[٢]، أعتقته بنت النضر[٣]. وُلد الحسن زمن عمر، وسمع عثمان، وشهد الدار ابن إحدىٰ عشرة سنة[٤]، وروىٰ عن عمران بن حصين وأبي موسىٰ وابن عباس وجندب، وعنه ابن عون ويونس. كان كبير الشأن، رفيع الذِّكر، رأسًا في العلم. مات في رجب سنة ١١٠ **(يوزَن)** يوم القيامة **(مِداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مدادُ العلماء بدم الشهداء)** قد رُوي ذلك مرفوعًا عن أبي الدرداء، كما تقدَّم ذِكرُه في الحديث العاشر، وأخرجه الشيرازي في الألقاب من حديث أنس مرفوعًا، فلعل الحسن سمعه من أنس.

وقد[٥] اختُلف في تفضيل مِداد العلماء علىٰ دم الشهداء وعكسه، فذُكر لكل

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٤٤٢.

(٢) ميسان: اسم كورة واسعة كثيرة القرىٰ بين البصرة وواسط، قصبتها مدينة ميسان. معجم البلدان ٥/ ٢٤٢.

(٣) هي الربيع بنت النضر، عمة أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) الصحيح أنه كان ابن أربع عشرة سنة؛ لأن حصار دار عثمان كان عام ٣٥ هـ.

(٥) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٩٧ - ٢٩٩. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

قولٍ وجوهٌ من التراجيح والأدلَّة، ونفسُ هذا النزاع دليلٌ علىٰ تفضيل العلم ومرتبته؛ فإن الحاكم في هذه المسألة هو العلم، فبه وإليه وعنده يقع التحاكُم والتخاصم، والمفضَّل منهما مَن حُكم له بالفضل.

فإن قيل: فكيف يُقبَل حكمُه لنفسه؟

قيل: وهذا أيضًا دليل علىٰ تفضيله وعلوِّ مرتبته وشرفه؛ فإن الحاكم إنما لم يَسُغْ أن يحكم لنفسه لأجل مَظِنَّة التهمة، وأما العلم فلا تلحقه تهمةٌ في حكمه لنفسه، [فإنه] إذا حكم حكم بما تشهد العقول والنظر بصحته، وتتلقَّاه بالقبول، ويستحيل حكمه لتهمة؛ فإنه إذا حكم بها انعزل عن مرتبته، وانحطَّ عن درجته، فهو الشاهد المزكِّي العدل، والحاكم الذي لا يجور ولا يُعزَل.

فإن قيل: فما حكمه في هذه المسألة التي ذكرتموها؟

قيل: [هذه المسألة كثر فيها الجدال واتسع المجال، وأدلىٰ كلٌّ منهما بحجته، واستعلىٰ بمرتبته، و] الذي يفصل النزاعَ ويعيد المسألة إلىٰ مواقع الإجماع الكلامُ في أنواع مراتب الكمال، وذِكر الأفضل منها، والنظر في أيِّ هذين الأمرين أَولىٰ به وأقرب إليه، فهذه الأصول الثلاثة تبيِّن الصواب، ويقع بها فصلُ الخطاب، فأما مراتب الكمال فأربعٌ: النبوة والصِّدِّيقية والشهادة والولاية، كما هي في الآية هكذا علىٰ هذا الترتيب[1]، فأعلىٰ هذه [المراتب] النبوة والرسالة، ويليها الصِّدِّيقية،

---

(١) في مفتاح دار السعادة: «وقد ذكرها الله سبحانه في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ وذكر تعالىٰ هؤلاء الأربع في سورة الحديد، فذكر تعالىٰ الإيمان به وبرسوله، ثم ندب المؤمنين إلىٰ أن تخشع قلوبهم لكتابه ووحيه، ثم ذكر مراتب الخلائق شقيهم وسعيدهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ وذكر المنافقين قبل ذلك، فاستوعبت هذه الآية أقسام العباد شقيهم وسعيدهم».

فالصِّدِّيقون [هم] أئمَّة أتباع الرسل، ودرجتُهم أعلىٰ [الدرجات] بعد النبوة، فإن جرىٰ قلم العالِم بالصِّدِّيقية وسال مِدادُه بها كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصِّدِّيقية، وإن سال دم الشهيد [بالصديقية] وقَطَرَ عليها كان أفضل من مداد[1] العالِم الذي قصَّر عنها، فأفضلهما صِدِّيقهما، فإن استويا في الصديقية استويا في المرتبة. والله أعلم.

والصديقية هي: كمال الإيمان بما جاء به الرسول علمًا وتصديقًا وقيامًا به، فهي راجعة إلىٰ نفس العلم، فكل مَن كان أعلم بما جاء به الرسول ﷺ وأكمل تصديقًا له كان أتمَّ صِدِّيقيةً، فالصديقية شجرةٌ أصولها العلم، وفروعها التصديق، وثمرتها العمل.

فهذه كلمات جامعة في مسألة العالم والشهيد وأيِّهما أفضل. والله أعلم.

(وقال) أبو عبد الرحمن عبد الله **(ابن مسعود)** الهُذَلي، حليف بني زُهْرة، أحد السابقين الأوَّلين من الصحابة، روىٰ عنه علقمة والأسود وزر بن حُبَيش، توفي سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة **(عليكم بالعلم قبل أن يُرفَع، ورفعُه بهلاك رُواته)** وفي رواية: ورفعُه هلاك العلماء **(فوالذي نفسي بيده ليودنَّ رجالٌ قُتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء؛ لِما يرون من كرامتهم، فإن أحدًا لم يولَد عالمًا)** من بطن أمِّه **(وإنما العلم بالتعلُّم)** هكذا أورده بتمامه ابن القيم[2] وغيره.

وأخرج اللالكائي في السُّنَّة[3] من رواية أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال: عليكم بالعلم قبل أن يُقبَض، وقبضُه أن يذهب أهله - أو قال: أصحابه- وقال: عليكم بالعلم، فإن أحدكم لا يدري متىٰ يُفتقَر إليه[4] أو يُفتقَر إلىٰ ما

(١) في المطبوعة: دم. والتصويب من المفتاح.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٩٧.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٨٧.

(٤) في المطبوعة: متىٰ يفتقد. والمثبت من شرح الأصول.

عنده[١] ... الحديث.

وعند البيهقي في المدخل[٢] من طريق علي بن الأقمر، والعسكري من حديث أبي الزعراء، كلاهما عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: إن الرجل لا يولَد عالمًا، وإنما العلم بالتعلُّم.

وفي كتاب العلم من صحيح البخاري[٣]: مَن يُرِد اللهُ به خيرًا يفقِّهه في الدين، وإنما العلم بالتعلُّم.

قال الحافظ في مقدمة الفتح[٤]: رواه ابن أبي عاصم في كتاب العلم من حديث معاوية بهاتين الجملتين. ا.هـ. أي مرفوعًا.

وقال في الفتح[٥]: ورواه الطبراني[٦] كذلك من طريقه بلفظ: «يا أيها الناس، تعلَّموا، إنما العلم بالتعلُّم، والفقه بالتفقُّه، ومَن يُرِد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين». وإسناده حسن[٧].

قال القَسْطَلاني[٨]: ورواه أبو نعيم في «رياضة[٩] المتعلِّمين» من حديث

---

(١) بعده في شرح الأصول: «وإنكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم إلىٰ كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق».

(٢) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ للبيهقي ١/ ٣٤٠ (ط - أضواء السلف بالرياض).

(٣) صحيح البخاري ١/ ٤١.

(٤) هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٢٣.

(٥) فتح الباري ١/ ١٩٤.

(٦) المعجم الكبير ١٩/ ٣٩٥.

(٧) زاد في الفتح: «إلا أن فيه مبهمًا اعتضد بمجيئه من وجه آخر، وروىٰ البزار نحوه من حديث ابن مسعود موقوفًا، ورواه أبو نعيم الأصبهاني مرفوعا».

(٨) إرشاد الساري ١/ ١٦٨.

(٩) في الإرشاد: رياض.

أبي الدرداء مرفوعًا: «إنما العلم بالتعلُّم، وإنما الحِلم بالتحلُّم، ومَن يَتَحَرَّ الخيرَ يُعْطَه». ا.هـ.

قلت: وأخرجه الطبراني في الأوسط[١] والخطيب[٢] عن أبي الدرداء بزيادة: «ومَن يتَّقِ الشر يُوقَهُ، ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه لم يَنَلِ الدرجات العلىٰ، ولا أقول لكم الجنة: مَن تكهَّن، أو استقسَمَ، أو ردَّه من سفرٍ تطيُّرٌ».

(**وقال ابن عباس** ﷺ: **تذاكُر العلم**) أي مذاكرته مع نفسه؛ ليرسخ في ذهنه، أو مع غيره بقصد الفائدة له أو لصاحبه أو لهما (**بعض ليلة أحب إليَّ من إحيائها**)[٣] كلها بالصلاة ونحوها؛ لتعدِّي النفع في المذاكرة؛ قاله ابن القيم.

وفي مسائل إسحاق بن منصور[٤]: قلت لأحمد بن حنبل: قوله[٥] «تذاكُر العلم بعض ليلة ...» الخ، أيُّ علمٍ أراد[٦]؟ قال: هو العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم. قلت: في الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق ونحوها[٧]؟ قال: نعم. وقال لي إسحاق بن راهويه: هو كما قال أحمد[٨]. ا.هـ.

(**وكذا رُوي عن أبي هريرة** رضي الله عنه): لأنْ أجلس ساعة فأتفقَّه في ديني أحب إليَّ من أن أحيي ليلة إلىٰ الصباح. وهذا قد أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية

---

(١) المعجم الأوسط ٣/ ١١٨.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٤٤٢.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ٢٥٣.

(٤) مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه رواية إسحاق بن منصور ٩/ ٤٦٥٢ (ط - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

(٥) في المسائل: من قال.

(٦) (أي علم أراد) لم ترد هذه العبارة في المسائل.

(٧) في المسائل: ونحو هذا.

(٨) في المسائل: «قال إسحاق: كما قال».

يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة، كما مرَّ في الحديث الحادي والعشرين[١] **(وأحمد بن حنبل رحمه الله)** وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من العلماء؛ فإنهم نبَّهوا على ذلك في أقاويلهم، فمن ذلك ما أورده صاحب القوت[٢] عن وهب بن منبه: مجلس يُتنازَع فيه العلمُ أحب إليَّ من قَدْرِه صلاةً، لعل أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها السنة أو ما بقي من عمره.

(وقال الحسن) البصري **(في)** تفسير **(قوله تعالىٰ:** ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١]) قال: **(إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة)** أي العمل بما علم (﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾) قال: **(هي الجنة)**[٣] قال الراغب[٤] والسمين[٥]: الحسنة يُعبَّر بها عن كل ما يسرُّ من نعمة تنال الإنسانَ في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تُضادُّها، وهما من الألفاظ المشتركة، تفسَّر في كل موضع بما يليق به، والحسنة إن كانت اسمًا فيُستعمل في الأعيان والأحداث، فلو صارت وصفًا فالمتعارَف أنها في الأحداث. ا.هـ.

وإنما سُمِّي العلم المقرون بالعبادة حسنة لأنه يُبهِج صاحبَه ويرغِّبه فيه، ومن ذلك تفسيرها بالجنة أيضًا.

وقال غير الحسن: المراد بالحسنة في الموضعين: النعمة والخِصب[٦].

---

(١) بل في الحديث الثاني والعشرين.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٦١.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ٥٤٥. الدر المنثور ٢/ ٤٥٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ١١٨.

(٥) عمدة الحفاظ ١/ ٤١٠.

(٦) قال السيوطي: «أخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله: (في الدنيا حسنة) قال: عافية (وفي الآخرة حسنة) قال: عافية. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: حسنة الدنيا المال، وحسنة الآخرة الجنة. وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب قال: المرأة الصالحة من الحسنات».
الدر المنثور ٢/ ٤٥٢ - ٤٥٣.

(**وقيل لبعض العلماء: أيُّ الأشياء تقتني**) أي تحفظ وتدَّخر وتضنُّ بها (**قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينتُك**) في البحر (**سَبَحَتْ معك**) أي عامت وسَلِمَت من الغرق (**يعني العلم**) وكونه محفوظًا في الصدور والأذهان، ومَن كان علمه من كتابه ربما غرق مع السفينة، ومن هنا قالوا: العلم ما دخل معك في الحمَّام.

ويُحكَىٰ[1] عن بعض العلماء أنه ركب مع تجار في المركب، فانكسرت بهم السفينةُ، فأصبحوا بعد عز الغِنىٰ في ذل الفقر، ووصل العالم إلىٰ البلد فأُكرم وقُصد بأنواع التحف والكرامات، فلما أرادوا الرجوع إلىٰ بلدهم قالوا: هل لك إلىٰ قومك كتابٌ أو حاجة؟ قال: نعم، تقولون لهم: إذا اتخذتم مالاً فاتخِذوا مالاً لا يغرق إذا انكسرت السفينة [فاتخِذوا العلم تجارةً][2].

(**وقيل: أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت**) أي ذكر السفينة كناية عن جسمه، والموت كناية عن الغرق في البحر، فإذا عرض به عارضُ الموت بقي علمُه حيًّا إلىٰ يوم القيامة.

(و) ذكر ابن الأثير في النهاية[3] أن الحِكْمة مأخوذة من الحَكَمة، محرَّكة، وهي الحديدة التي في فم الدابة المركوبة، بها يخكم راكبُها أمرَها، ومن هنا (**قال بعضهم: مَن اتخذ الحكمة لِجامًا اتخذه الناسُ إمامًا**) نقله النُّعماني في شرح البخاري.

وفي طبقات ابن السبكي في ترجمة أبي الحسن الأشعري[4]: دخل رجل علىٰ الجُبَّائي فقال له: هلِ يجوز أن يُسمَّىٰ الله عاقلاً؟ فقال الجُبَّائي: لا؛ لأن العقل مشتقٌّ

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٣٦١.

(٢) زيادة من المفتاح.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٢٠ ونصه: «الحَكَمة: حديدة في اللجام تكون علىٰ أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه، ولما كانت الحكمة تأخذ بفم الدابة وكان الحنك متصلًا بالرأس جعلها تمنع مَن هي في رأسه كما تمنع الحكمة الدابة».

(٤) طبقات السبكي ٣/ ٣٥٧ والزيادات التي بين حاصرتين منه.

من العِقال وهو المانع، والمنع في حق الله مُحال، فامتنع الإطلاقُ. قال الشيخ أبو الحسن: فقلت له: فعلىٰ قياسك لا يُسمَّىٰ الله تعالىٰ حكيمًا؛ لأن هذا الوصف[1] مشتق من حَكَمة اللِّجام وهي الحديدة المانعة للدابة عن الخروج، ويشهد لذلك قول حسَّان[2]:

فنُحكِم بالقوافي مَن هجانا ونضرب حين تختلط الدماءُ

[وقول الآخر[3]:

أبنِي حنيفة حكِّموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا]

أي نمنع بالقوافي مَن هجانا [وامنعوا سفهاءكم] فإذا كان اللفظ مشتقًّا من المنع -والمنع علىٰ الله محال- لزمك أن تمنع إطلاق «حكيم» عليه سبحانه وتعالىٰ. قال: فلم يُحِر[4] جوابًا[5].

(ومَن عُرف بالحكمة) في القول والعمل **(لاحظته العيونُ بالوقار)** أي الهيبة والتعظيم.

(وقال الشافعي رحمة الله عليه) فيما رُوي عنه بإسناد حسن: **(من شرفِ العلم أن كل مَن نُسب إليه ولو في شيء حقير فرح)** لاتصافه بما يتميز به عن غيره **(ومَن رُفع عنه)** بجهل أو نسيان **(حزنَ.**

---

(١) في طبقات السبكي: الاسم.

(٢) البيت في ديوانه ص ٢٠ (ط - دار الكتب العلمية) من قصيدة يمدح بها النبي ﷺ، ويهجو أبا سفيان ابن حرب.

(٣) هو جرير بن عطية، والبيت في ديوانه ص ٤٧.

(٤) في المطبوعة: يجد. والمثبت من طبقات السبكي.

(٥) زاد السبكي: «إلا أنه قال لي: فلِمَ منعت أنت أن يسمىٰ الله سبحانه عاقلاً وأجزت أن يسمىٰ حكيمًا؟ قال: فقلت له: لأن طريقي في مأخذ أسماء الله الإذنُ الشرعي دون القياس اللغوي، فأطلقت حكيمًا؛ لأن الشرع أطلقه، ومنعت عاقلًا؛ لأن الشرع منعه، ولو أطلقه الشرع لأطلقته».

وقال[١] أمير المؤمنين (**عمر**) بن الخطَّاب العَدَوي القرشي (رضي الله عنه) فيما رواه الإسماعيلي والذهبي في مناقبه: (**يا أيها الناس، عليكم بالعلم**) أي الاشتغال بطلبه (**فإن لله سبحانه رِداء يحبه**) الرِّداء كالكساء: ما يتردَّىٰ به الإنسان[٢] (**فمَن طلب بابًا من**) أبواب (**العلم**) بإخلاص نيته (**ردَّاه الله عز وجل بردائه**) ذلك، أي كساه به (**فإن أذنب ذنبًا استعتبه**) أي طلب رجوعه إليه واستقالته، ومنه الحديث: «ولك العُتْبَىٰ حتىٰ ترضىٰ»[٣] (**ثلاث مرات لئلاَّ يسلبه رداءَه ذلك، وإن تطاول به ذلك الذنب حتىٰ يموت**) هذا من شرف العلم وبَرَكته. هكذا في سائر النسخ، والذي في المفتاح لابن القيم: استعتبه لئلاَّ يسلُبه رداءه ذلك حتىٰ يموت به. قال: واستعتاب الله عبده: أن يطلب منه أن يُعتِبه، أي يزيل عَتْبَه عليه بالتوبة والاستغفار والإنابة، فإذا أناب إليه رفع عنه عتبه، فيكون قد أعتب ربَّه، أي أزال عتبه عنه[٤]، والرب تعالىٰ قد استعتبه، أي طلب منه أن يُعتِبه.

(**وقال**) أبو بحر (**الأحنف**) بن قيس بن معاوية التميمي المِنْقَري، من العلماء الأجلاَّء، قيل: اسمه صخر، و«الأحنف» لقب له، وقيل: اسمه الضَّحَّاك، وبه جزم الحافظ ابن حجر[٥]، وُلد في عهده ﷺ ولم يدركه[٦] (**كاد العلماء أن يكونوا أربابًا**)

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٢٥٣. مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٣٩٧.

(٢) في المعجم الوسيط (مادة - ردى): «الرداء: ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة والثوب يستر الجزء الأعلىٰ من الجسم فوق الإزار والوشاح، والجمع: أردية».

(٣) هذا جزء من الدعاء المشهور الذي دعا به النبي ﷺ عندما ذهب إلىٰ الطائف فآذاه سفهاء ثقيف، وهو «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ...» الخ. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٨ (ط - دار الكتاب العربي ببيروت).

(٤) في المفتاح: عليه.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١/ ١٦٣ وفيه: «اسمه الضحاك علىٰ المشهور، وقيل: صخر، وهو قول سليمان بن أبي شيخ؛ رواه ابن السكن، وكذا قال خليفة في رواية يعقوب بن أبي شيبة والفلاس، وقيل: الحارث، وقيل: حصن؛ حكاهما المرزباني، وجزم ابن حبان في الثقات بالحارث».

(٦) وتوفي بالكوفة عام ٧٢ هـ.

أي ملوكًا وسادات؛ لكثرة ما يخضع لهم وينقاد إلىٰ أوامرهم، كقولهم: كاد العروس أن يكون سلطانًا[(١)] (**وكل عزٍّ لم يوطَّد بعلمٍ فإلىٰ ذلٍّ مصيرُه**)[(٢)] أي مرجعه ومآله.

(**وقال سالم بن أبي الجَعْد**) الأشجعي مولاهم الكوفي، من كبار التابعين، روىٰ عن عمر وعائشة، وهو مرسَلٌ، وله حديث واحد في الصحيحين عن أنس[(٣)]، وروىٰ أيضًا عن ابن عمر وابن عباس، وعنه الأعمش ومنصور. توفي سنة مائة[(٤)]، وهو ثقة (**اشتراني مولاي**) من بني أشجع (**بثلاثمائة درهم وأعتقني، فقلت**) في نفسي: (**بأيِّ حرفة أحترف**)؟ أشتغل (**فاحترفت بالعلم**) واشتغلت به في تحصيله (**فما تمَّت لي سنةٌ**) واحدة (**حتىٰ أتاني أمين المدينة**) أي حافظها ومالكها، وفي نسخة: أمير، بالراء (**زائرًا**) فاستأذن في الدخول عليَّ (**فلم آذن له**) وهذا الهدهد مع حقارته أجاب سيدنا سليمان عليه السلام مع علو مرتبته بصولة العلم بقوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] غير مكترث بتهديده[(٥)].

(**وقال**) أبو عبد الله (**الزبير بن أبي بكر**) ويُعرَف ببكَّار الزُّبَيري، قاضي مكة، وُلد سنة ١٧٢، سمع عن ابن عُيَينة وأبي ضمرة، وعنه ابن ماجه والمحاملي، صدوق أخباري علاَّمة، توفي سنة ٢٥٦ (**كتب إليَّ أبي**) هو أبو بكر بن عبد الله بن

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢/ ١٥٨ ولفظه: كاد العروس يكون ملكا، وقال: «العرب تقول للرجل: عروس، وللمرأة أيضًا، ويراد ههنا الرجل، أي كاد يكون ملكا لعزته في نفسه وأهله».
وقال الزمخشري في المستقصىٰ ٢/ ٢٢٧: «يضرب في مقاربة الشيء الشيء وأخذه شبهًا منه».
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٢٥٦. المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٥/ ٩٧.
(٣) مراده عن أنس فقط، والحديث المشار إليه هو حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ عن الساعة، وفي آخره: «المرء مع من أحب». وقد أخرجه البخاري ٤/ ١٢٣، ٣٣١ ومسلم ٢/ ١٢١٩.
(٤) وقيل: سنة إحدىٰ ومائة، وقيل: سبع وتسعين، وقيل: ثمان وتسعين، وقيل: تسع وتسعين.
انظر: تهذيب الكمال للمزي ١٠/ ١٣٣.
(٥) فيض القدير ٣/ ٤١٦.

الزبير، روىٰ عن جَدَّيْه الزبير وأسماء، وعنه عثمان بن أبي حكيم وابن أبي خيرة، أخرج حديثه ابنُ ماجه (**بالعراق**) أي حالةَ كونه به (**عليك بالعلم، فإنك إن كنت فقيرًا كان**) العلم (**لك مالاً**) أي تحصِّل به المالَ (**وإن استغنيت**) وكنت عالمًا (**كان لك جمالاً**) وزينة وبهجة، فإن العلم للعلماء كالحلي للناهد، وقد رُوي مثل ذلك في فضل حُسن الخط، وليس إسناده بمستقيم[١] (**وحُكي ذلك في وصايا لقمان لابنه**) وهو الذي أثنىٰ الله تعالىٰ عليه في كتابه، اختُلف في نبوَّته، قيل: كان حكيمًا، وقيل: كان رجلاً صالحًا، وكان خياطًا أو نجارًا أو راعيًا، وقيل: حبشيًّا، وقيل: نوبيًّا؛ كلُّ ذلك نقله الزجاج[٢].

(**وقال**) أيضًا، كما في الموطأ[٣]: قال لقمان لابنه: (**يا بنيَّ، جالِسِ العلماءَ وزاحمْهم بركبتيك**) إشارةً إلىٰ شدة القُرْب، وعدم الحياء في التعلُّم، فإنه إذا تأخَّر عن مجالِسهم ولم يقربهم لم يستفِدْ، وانظر إلىٰ حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: وأسندَ ركبتيه إلىٰ ركبتيه. وهكذا شأن المتعلِّمين (**فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة**) بعد أن ماتت بظلمات الجهل (**كما يحيي الأرضَ**) الجدبة[٤] (**بوابل السماء**) فشبَّه القلبَ بالأرض الجدبة التي لا نبات بها بجامع عدم الانتفاع، وشبَّه الحكمة بالمطر الغزير بجامع الانتفاع، والأرض إنما تحتاج إلىٰ المطر في بعض الأوقات، فإذا تتابع عليها احتاجت إلىٰ انقطاعه، وأما العلم فيحتاج إليه القلب بعدد الأنفاس، ولا تزيده كثرتُه إلا صلاحًا ونفعًا[٥].

---

(١) هو حديث «عليكم بحسن الخط فإنه مفتاح الرزق». وهو موضوع.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٩٥. ولم يذكر كونه نوبيا، وقال: «وقيل: كان حبشيًا غليظ المشافر، مشقق الرجلين ولكن الله آتاه الحكمة، فلسنا نشك أنه كان حكيمًا؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾».

(٣) الموطأ للإمام مالك ٢/ ١٠٠٢ (ط - البابي الحلبي).

(٤) في الموطأ: الميتة.

(٥) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٠٨.

(وقال بعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوتُ في الماء، والطيرُ في الهواء) شاهدُه ما أخرجه ابن النجار عن أنس: «ويستغفر لهم الحيتانُ في البحر إذا ماتوا إلىٰ يوم القيامة». وقد تقدَّم شرحُه في الحديث الثاني. والسر في ذلك أن العلماء هم الذين يعلِّمون الناس أحكام الصيد والذبائح، والإحسان في الذبح والقتل، وما يحلُّ من الصيد وما لا يحل، ونهي الجهلة العوام عن قتل ما لا يؤذي، وعن صيد ما لا يُنتفَع به، وأشباه ذلك، وهناك وجه آخر سيأتي قريبًا **(ويُفقَد وجهُه ولا يُنسَىٰ ذِكرُه)** شاهدُه كلام عليٍّ ﷺ في أول هذا الباب: العلماء باقون ما بقي الدهرُ، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودةٌ.

(وقال) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب **(الزُّهري** رحمه الله**)** روىٰ عن ابن عمر وسهل وابن المسيَّب، وحديثه عن أبي هريرة في الترمذي، وعن رافع بن خَدِيج في النسائي، وعنه يونس ومَعْمَر ومالك، توفي سنة ١٢٤ في رمضان[١]. قال أبو نعيم في الحلية[٢]: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح، حدثنا السري بن عاصم، حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري يقول: **(العلم ذَكَر، ولا يحبه إلا ذُكْران الرجال)** ونصُّ الحلية: العلم ذَكَر لا يحبه إلا الذكور من الرجال. أي أقوياء الرجال.

وأخرجه الخطيب في كتابه «شرف أصحاب الحديث»[٣] من طريق محمد ابن يونس قال: حدثنا محمد بن عبيد الله العتبي، حدثنا سعيد الخَصَّاف، عن الزهري ... فساقه، وزاد: ولا يزهد فيه إلا إناثها. والباقي سواء.

---

(١) انظر: تهذيب الكمال للمزي ٢٦/ ٤١٩ - ٤٤٣. وفيه الاختلاف في سنة وفاته.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٣٦٥.

(٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٧١ (ط - جامعة أنقرة).

ومعنىٰ قوله «ذَكَر» أي عظيم، ومنه الحديث: «القرآن ذَكَر فذكِّروه»[١] أي عظِّموه[٢]، ويُعبَّر بالذَّكَر أيضًا عن القويِّ الجَلْد.

وقال أبو نعيم أيضًا: حدثنا محمد بن حُمَيد، حدثنا عبد الله بن أبي داود، حدثنا سليمان بن معبد[٣]، حدثنا سعيد بن عامر، عن أبي بكر الهُذَلي قال: قال لي الزهري: يا هُذَلي، أيعجبك الحديث؟ قلت: نعم. قال: إنما يُعجَب به مذكَّرو الرجال، ويكرهه مؤنَّثوهم.

وأخرجه الخطيب في كتاب «شرف أصحاب الحديث» من طريق بكر بن سلام أبي الهيثم، حدثني أبو بكر الهُذَلي ... فساقه، وفيه: أما إنه يُعجِب ذكورَ الرجال. والباقي سواء، وأنشد للعباس بن محمد الخُراساني تغمَّده الله برحمته:

لا يطلب العلم إلا بازل ذَكَرٌ ... وليس يبغضه إلا المخانيث[١]

ورويناه أيضًا في كتاب «المجالسة» للدينوري قال[٢]: حدثنا عبد الله بن

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٧٢ - ٧٣ من قول ابن مسعود، ولفظه: إذا شككتم في الياء والتاء فاجعلوها ياء؛ فإن القرآن ذكر فذكروه.

وفي رواية أخرىٰ: إذا تماريتم في القرآن في ياء أو تاء فاجعلوها ياء، وذكروا القرآن فإنه مذكر.

ورواه أيضـًا من قول أبي عبد الرحمن السلمي.

(٢) وقال ابن الأثير في النهاية ٢/ ١٦٣: أي إنه جليل خطير فأجِلُّوه.

(٣) في المطبوعة: سعيد. والتصويب من الحلية. وهو أبو داود سليمان بن معبد السنجي المروزي النحوي.

(١) قبل هذا البيت بيت آخر وهو:

رحلت أطلب أصل العلم مجتهدا ... وزينة المرء في الدنيا الأحاديث

وبعده بيت ثالث وهو:

لا تعجبن بمال سوف تتركه ... فإنما هذه الدنيا مواريث

(٢) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٤٢٥.

مسلم ابن قُتَيبة، حدثنا الرياشي[١]، عن أبي يعقوب الخَطَّابي، عن عمِّه قال: قال الزهري: الحديث ذَكَرٌ يحبه ذكور الرجال، ويكرهه مؤنَّثوهم.

ورأيت في حواشي الزركشي علىٰ علوم ابن الصلاح[٢] أن بعض الناس ضبط في قول الزهري «ذِكر» بالكسر، وهو خطأ.

---

(١) في المطبوعة: الرقاش. والتصويب من المجالسة.

(٢) النكت علىٰ مقدمة ابن الصلاح لبدر الدين الزركشي ١/ ١٧ (ط - أضواء السلف بالرياض) ونصه: «ورأيت بعضهم ذكر في قول الزهري (ذكر) أنه يروىٰ بكسر الذال وتسكين الكاف، ويروىٰ بفتحها، والأول غريب غير لائق باللفظ».



(فضيلة التعلُّم)

استدل فيها بآيتين من كتاب الله عز وجل فقال: **(أما الآيات)** فإنها في كتاب الله تعالىٰ كثيرة ممَّا يدل علىٰ فضيلته، ولكن وقع الاقتصارُ منها علىٰ آيتين؛ لاشتمالهما علىٰ المقصود الأعظم:

- **الأولىٰ:** (قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة:١٢٢]) أي ليتعلموا الفقه في الدين، ندب الله تعالىٰ المؤمنين إلىٰ التفقُّه في الدين وهو تعلُّمه، وإنذارِ قومهم إذا رجعوا إليهم وهو التعليم، وسيأتي الكلام علىٰ هذه الآية في فضيلة التعليم؛ فإن الشيخ رحمه الله لمَّا رأىٰ الآية متضمِّنة علىٰ الفضيلتين أوردها في موضعين استدلالاً علىٰ مطلوبه.

- **والثانية:** (قوله عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل:٤٣، الأنبياء:٧]) أي تعلَّموا منهم، ولا يكون التعليم إلا بالسؤال (﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾) والمراد بأهل الذِّكر: أهل العلم من كل أمَّة، وقيل: أهل القرآن، وقيل: أهل الكتب القديمة، أي ممَّن آمَنَ منهم؛ قاله السمين[١].

ثم إن التعلُّم هو تنبيه النفس لتصوُّر المعاني، كما أن التعليم تنبيهها لتصويرها، وقد تقدَّم بيانُ ذلك.

(وأما الأخبار) الدالة علىٰ فضيلة التعلُّم فهي كثيرة، اقتصر منها الشيخ رضي الله عنه علىٰ عشرة أحاديث ما بين صحاح وحِسان وضعاف وموضوعة علىٰ قول، فالأول حسن أو صحيح، والثاني صحيح، والثامن موضوع، والباقي ضِعاف، كما سيأتي

---

(١) عمدة الحفاظ ٢/ ٤٣.

بيان ذلك تفصيلاً، أما:

- **الحديث الأول: (فقوله عليه الصلاة والسلام: مَن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلىٰ الجنة)** قال العراقي: ورد من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة؛ أما حديث أبي الدرداء فرواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبَّان في صحيحه في أثناء حديث، وقد تقدَّم في الحديث الثاني من هذا الباب، وهذا لفظ الترمذي، إلا أنه قال: «يبتغي به» بدل «يطلب فيه»، وتقدم لفظُ أبي داود، وقال ابن ماجه «يلتمس» بدل «يطلب»، وقال «سهَّلَ اللهُ له».

وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم[1] وابن ماجه[2] من رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه بلفظه، إلا أن مسلمًا قال «سهَّل الله له»، وقال ابن ماجه «به»، وقال أيضًا «يلتمس» بدل «يطلب». ا.هـ.

قلت: وعزا الجلال في ذيله علىٰ الجامع[3] إلىٰ الإمام أحمد والأربعة وابن حبان، كلهم عن أبي الدرداء بلفظ «يطلب فيه علمًا سهَّلَ الله له طريقًا من طرق الجنة».

ونصُّ الترمذي في جامعه[4]: حدثنا محمود بن خداش، عن محمد بن يزيد الواسطي، عن عاصم بن رجاء بن حيوة[5]، عن قيس بن كثير، عن أبي الدرداء ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلىٰ الجنة»[6]. ثم ساق جُمَلاً مضىٰ ذِكرُ بعضها في أحاديث فضل العلم، ويأتي بعضُها،

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٢.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٢١٥.

(٣) كنز العمال ١٠/ ١٤٦ وفيه: سلك الله به طريقًا.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٤١٤.

(٥) في المطبوعة: أبي حيوة. والتصويب من سنن الترمذي.

(٦) الذي في سنن الترمذي: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلىٰ الجنة».

ثم قال: كذا حدثنا محمود، وإنما يُروَىٰ هذا الحديث عن عاصم عن الوليد بن جميل[١] عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء، وهذا أصحُّ من حديث محمود، ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم.

وفي العلل للدارقطني[٢]: رواه الأوزاعي عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة وغيره من أهل العلم عن كثير بن قيس. قال: وعاصم بن رجاء ومَن فوقه إلىٰ أبي الدرداء ضعفاء.

وقال البزار[٣]: داود بن جميل وكثير بن قيس لا يُعلَمان في غير هذا الحديث، ولا نعلم روىٰ عن كثير غير داود والوليد بن مرة، ولا نعلم روىٰ عن داود غير عاصم.

قال ابن القطان[٤]: اضطرب فيه عاصمٌ، فعنه في ذلك ثلاثة أقوال، **أحدها:** قول عبد الله بن داود: عن عاصم عن واقد عن كثير بن قيس، **والثاني:** قول أبي نعيم: عن عاصم عمَّن حدَّثه عن كثير، **والثالث:** قول محمد بن يزيد الواسطي: عن

---

(١) في المطبوعة: عن داود بن جميل. والتصويب من سنن الترمذي.

(٢) العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني ٦/ ٢١٦ - ٢١٧ (ط - دار طيبة بالرياض) ونصه: «حديث أبي الدرداء يرويه عاصم بن رجاء بن حيوة، واختلف عنه، فرواه عنه أبو نعيم عن عاصم بن رجاء بن حيوة عمن حدثه عن كثير بن قيس، ورواه عبد الله بن داود الخريبي عن عاصم فقال: عن داود بن جميل عن كثير بن قيس، وداود هذا مجهول، ورواه محمد بن يزيد الواسطي عن عاصم بن رجاء عن كثير بن قيس، لم يذكر بينهما أحدًا، وعاصم بن رجاء ومن فوقه إلىٰ أبي الدرداء ضعفاء، ولا يثبت، ورواه الأوزاعي عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة عن أبي الدرداء، وليس بمحفوظ».

(٣) مسند البزار ١٠/ ٨٠ ونصه: «وهذا الحديث لا نعلمه يروىٰ عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، وإسناده صالح، داود بن جميل وكثير بن قيس لا نعلمهما معروفينِ في غير هذا الحديث».

(٤) بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لابن القطان الفاسي ٤/ ٢٨ (ط - دار طيبة بالرياض).

عاصم عن كثير، ولم يذكر بينهما أحدًا. والمتحصَّل من علة هذا الخبر هو الجهل بحال راويينِ من رُواته، والاضطراب فيه ممَّن لم تثبت عدالتُه. ا.هـ.

وقد مرَّ عند الترمذي في رواية محمود بن خداش عن محمد بن يزيد فسمَّاه: قيس بن كثير، فصار اضطرابًا رابعًا، والخامس: قال في التهذيب[1]: داود بن جميل، وقال بعضهم: الوليد بن جميل.

وفي «جامع العلم» لابن عبد البر[2] من رواية ابن عيَّاش عن عاصم عن جميل ابن قيس، ثم قال: قال حمزة بن محمد: كذا قال ابن عياش في هذا الخبر: جميل بن قيس، وقال محمد بن يزيد وغيره: عن عاصم عن كثير بن قيس، قال: والقلب إلىٰ ما قاله محمد بن يزيد أمْيَلُ.

وهذا اضطراب سادس وسابع، وثامن ذكره ابن قانع في المعجم[3]، وزعم أن كثير بن قيس صحابي، وأنه هو الراوي عن النبي ﷺ، وتبعه ابن الأثير علىٰ هذا[4]، وقول ابن القطَّان[5] «لا يُعرَف كثيرٌ في غير هذا الحديث» يردُّه قول ابن عبد البر[6]: روىٰ عن أبي الدرداء وعبد الله بن عمر.

ومع ذلك فقد قال ابن عبد البر[7]: قال حمزة: وهو حديث حسن غريب.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي ٨/ ٣٧٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٦٠ - ١٦٢.

(٣) معجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع ٢/ ٣٨٧ (ط - مكتبة الغرباء الأثرية).

(٤) ابن الأثير لم يتبع ابن قانع في ذلك، بل تعقبه بقوله: «وهو واهم، وإنما هو عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء».

أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٤/ ٤٣٦ (ط - دار الكتب العلمية).

(٥) وهو أيضا قول البزار، كما مر قريباً.

(٦) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٦٤.

(٧) السابق ١/ ١٦٢.

والتزم الحاكم صحته، وكذا ابن حبَّان[١] رواه عن محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا عبد الأعلىٰ بن حمَّاد، حدثنا عبد الله بن داود ... فذكره بطوله.

وقال الترمذي[٢] بعد إخراجه للجملة الأولىٰ من الحديث عن أبي هريرة: حسنٌ.

قال القسطلاني[٣]: وإنما لم يقل «صحيح» لتدليس الأعمش، لكن في رواية مسلم عن الأعمش: حدثنا أبو صالح، فانتفت تهمةُ تدليسه. ا.هـ.

وقال الحاكم في المستدرك[٤]: فهو صحيح علىٰ شرطهما، رواه عن الأعمش جماعةٌ، منهم زائدة وأبو معاوية وابن نُمَير[٥]. ا.هـ.

وأورده البخاري في أول صحيحه[٦]، ولفظه: «سهَّل الله له طريقًا إلىٰ الجنة»، والباقي مثل سياق مسلم، والحديث[٧] محفوظ، وله أصل، وقد تظاهر الشرع والعقل[٨] علىٰ أن الجزاء من جنس العمل، فكلما سلك طريقًا يطلب فيه حياةَ قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقًا يحصِّل له ذلك.

وروىٰ ابن عدي[٩] من حديث محمد بن عبد الملك الأنصاري عن الزهري عن عروة عن عائشة مرفوعًا: «أُوحي إليَّ أنه مَن سلك مسلكًا يطلب العلم سهَّلتُ

---

(١) صحيح ابن حبان ١/ ٢٨٩.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٣٨٥.

(٣) إرشاد الساري ١/ ١٦٧.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٥٥ ونصه: «هذا حديث علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه، واللفظة التي أسندها زائدة قد وقفها غيره، فأما طلب العلم فلم يختلف علىٰ الأعمش في سنده».

(٥) في المطبوعة: وابن نهي. وهو خطأ.

(٦) صحيح البخاري ١/ ٤١.

(٧) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٧٤.

(٨) في المفتاح: والقدر.

(٩) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٧٠.

له طريقًا إلىٰ الجنة».

قال العيني[١] وابن حجر[٢]: وإنما لم يفصح البخاري بكونها تعليقًا للعِلَل التي ذُكرت.

وقال المناوي في شرح الحديث[٣]: طريقًا، أي حِسِّية أو معنوية، و«علمًا» نكَّره ليعم كلَّ علم شرعي وآلته، ومعنىٰ تسهيل الطريق في الدنيا: أن يوفِّقه للعمل الصالح، وفي الآخرة بأن يسلك به طريقًا لا صعوبة فيها ولا هول إلىٰ أن يُدخِله الجنة سالمًا.

- **الحديث الثاني**: (وقال ﷺ: **إن الملائكة لَتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يطلب**) وفي نسخة: بما يصنع. والأجنحة[٤] جمعُ جَناح بالفتح، وهو للطائر بمنزلة اليد للإنسان، ووضعُ أجنحتها عبارة عن حضورها مجلسه، أو توقيره وتعظيمه، أو إعانته علىٰ بلوغ مقاصده، أو قيامهم في كيد أعدائه وكفايته شرهم، أو عن تواضعها ودعائها له، يقال للرجل المتواضع: خافض الجناح.

قال السيد السمهودي: والأقرب كونه بمعنىٰ ما ينظم هذه المعاني كلَّها كما يرشد إليه الجمعُ بين ألفاظ الروايات.

وروىٰ النووي في بستانه[٥] بسنده إلىٰ زكريا الساجي: كنا نمشي في أزِقَّة البصرة إلىٰ [باب][٦] بعض المحدِّثين، فأسرعنا المشي، ومعنا رجل فاجر[٧]،

---

(١) عمدة القاري ٢/ ٦٠.

(٢) فتح الباري ١/ ١٩٣ ونصه: «ولم يفصح البخاري بكونه حديثًا، فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده في الترجمة يشعر بأن له أصلًا».

(٣) فيض القدير ٦/ ١٥٤.

(٤) فيض القدير ٢/ ٣٩٢.

(٥) بستان العارفين للنووي ص ٩٢.

(٦) زيادة من البستان.

(٧) في البستان: وكان معنا رجل ماجن في دينه.

فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها، كالمستهزئ، فما زال من موضعه حتىٰ جفَّت رجلاه وسقط.

وروىٰ محمد بن طاهر المقدسي بسنده إلىٰ الإمام أبي داود قال: كان في أصحاب الحديث [رجل][١] خليع [إلىٰ أن][٢] سمع بحديث: «إن الملائكة لَتضعُ ...» الخ، فجعل في نعله[٣] مسامير حديد وقال: أريد أن أطأ أجنحة الملائكة. فأصابته الأَكَلة في رجله. وفي رواية[٤]: فشُلَّت يداه ورجلاه وسائر أعضائه.

قال العراقي[٥]: أخرجه أحمد[٦] وابن حبان[٧] والحاكم[٨] وصحَّحه من حديث صفوان بن عَسَّال، وهذا اللفظ لأحمد، وفي رواية له: «ما من خارج يخرج من بيته [في طلب العلم][٩] إلا وضعت له الملائكةُ أجنحتها رضًا بما يصنع». وهو لفظ ابن ماجه[١٠]، وقال الحاكم: تضع. وأخرجه الثلاثة وابن حبان من حديث أبي الدرداء وقالوا: رضًا لطالب العلم، ليس فيه «بما يصنع». وأخرجه المُرْهِبي في كتاب العلم من رواية زياد بن ميمون عن أنس بمثله. ا.هـ.

---

(١) زيادة من البستان.

(٢) زيادة من البستان.

(٣) في البستان: عقبيه.

(٤) في البستان أن هذه الرواية ذكرها أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي في شرحه لصحيح مسلم.

(٥) المغني ١/ ١٦.

(٦) مسند أحمد ٣٠/ ٩، ١٦، ١٨، ٢٣، ٢٤.

(٧) صحيح ابن حبان ١/ ٢٨٥.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٦٩ - ١٧٠.

(٩) زيادة من مسند أحمد وسنن ابن ماجه.

(١٠) سنن ابن ماجه ١/ ٢١٦.

قلت: أما حديث أنس فقد أخرجه ابن عساكر[١] والطيالسي[٢] والبزَّار[٣] والديلمي[٤]، ولفظُهم: «طالب العلم تبسط له الملائكةُ أجنحتها رضـًا بما يطلب».

وأما حديث أبي الدرداء فقد أخرجه الإمام أحمد أيضًا وابنُ ماجه.

وأما حديث صفوان فأخرجه الطيالسي[٥] أيضًا، ولفظه «بما يطلب»، كما للمصنِّف.

وقرأت في «إصلاح المستدرك» للحافظ العراقي بخطه وقد ساق هذا الحديث من طريق الإمام أحمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن عاصم بن أبي النجود، عن زِر بن حُبَيش: أتيتُ صفوان بن عَسَّال المُرادي، فقال: ما جاء بك؟ قال: فقلتُ: جئتُ لأطلب العلم. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكةُ أجنحتها رضًا بما يصنع». ثم قال: وأخرجه الطبراني[٦] عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق مثله، وهو حديث صحيح، أخرجه ابن ماجه عن محمد بن يحيىٰ عن عبد الرزاق مقتصرًا علىٰ المرفوع منه دون سؤال صفوان لزر عما جاء به وجوابه[٧]، ورواه ابن حبان في صحيحه في ثلاثة أنواع عن ابن خزيمة عن محمد بن يحيىٰ ومحمد بن

---

(١) تاريخ دمشق ٧/ ١٨.

(٢) لم أقف عليه في مسند الطيالسي من حديث أنس.

(٣) لم أقف عليه عند البزار من حديث أنس، بل وجدته عنده ١٨/ ١٨٥ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂، ولفظه: «طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها ويستغفرون له».

(٤) فردوس الأخبار ٢/ ٦٦ بلفظ: «تواضعوا للعالم وارفعوه فإن الملائكة ترفع العالم وتخفض أجنحتها وتستغفر له».

(٥) مسند الطيالسي ٢/ ٤٨٤.

(٦) المعجم الكبير ٨/ ٦٦.

(٧) بل قد ورد السؤال وجوابه في رواية ابن ماجه.

رافع عن عبد الرزاق، وقال في نوع منها[١]: وأخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة بخبر غريب.

ورواه الحاكم[٢] عن محمد بن يعقوب الأصم عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن عبد الوهاب بن بخت عن زر عن صفوان قوله غير مرفوع، وزاد في آخره: حتىٰ يرجع، وقال: هذا إسناد صحيح؛ فإن عبد الوهاب بن بخت من ثقات البصريين وأثباتهم[٣] [ممن يُجمع حديثه] وقد احتجَّا به ولم يخرجا هذا الحديث. قال: ومدار هذا الحديث علىٰ [حديث] عاصم عن زر [وقد أعرضا عنه بالكلية] وله عن زر شهودٌ ثقات غير عاصم، منهم المنهال بن عمرو، وقد اتَّفقا عليه. ثم رواه من رواية عارم عن الصعق بن حزن عن علي بن الحكم عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش قال: جاء رجل من مراد[٤] يقال له صفوان بن عسال إلىٰ رسول الله ﷺ... فذكره مرفوعًا، لكنه مرسَلٌ، كما سيذكره بعدُ. ثم قال الحاكم: وقد خالفه شيبان بن فرُّوخ فقال: حدثنا الصعق بن حزن، حدثنا علي ابن الحكم البُناني عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: حدَّث صفوان بن عَسَّال المرادي قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو[٥] في قبة من أَدَم أحمر، فقلت: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم. فقال: «مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفُّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضها بعضًا حتىٰ يبلغوا السماءَ الدنيا من محبَّتهم لِما يطلب».

---

(١) صحيح ابن حبان ٤/ ١٥٥.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٦٩. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٣) في ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٦٧٨: «عبد الوهاب بن بخت المكي، من صغار التابعين، مات قبل الزهري، حدث عنه مالك، كثير الأوهام، وثقه ابن معين، وقال بعضهم: يخطئ ويهم شديدًا، وقال أبو حاتم: صالح الحديث».

(٤) مراد: إحدىٰ عشائر زبيد باليمن، ثم هاجرت إلىٰ العراق بعد الفتح الإسلامي.

(٥) لم يسق الحاكم لفظ الحديث، بل قال بعد أن ساق السند: فذكر الحديث.

قال: هذا حديث رجاله محتجٌّ بهم في الصحيح، إلا أنَّ ذِكر ابن مسعود فيه نوع من المزيد في متصل الأسانيد. قال: وقد صرَّح زر بسماعه له من صفوان، ويحتمل أنه سمعه من ابن مسعود عن صفوان ثم سمعه من صفوان. ثم قال الحاكم: وقد أوقف هذا الحديثَ جماعةٌ، منهم أبو جناب الكلبي عن طلحة بن مصرف عن زر. ثم رواه من رواية الحسن ابن صالح عن أبي جناب موقوفًا علىٰ صفوان، والذي أسنده أحفظ، والزيادة منهم مقبولة، وهذا حديث صحيح.

وقال أورد العراقيُّ علىٰ الحاكم في هذا السياق ثمان مؤاخذات تركتُها خوفَ الإطالة. والله أعلم.

- **الحديث الثالث:** (**وقال ﷺ: لأنْ تغدو فتتعلم بابًا من العلم**) أي نوعًا منه، وفي بعض الروايات: بابًا من الخير (**خيرٌ من أن تصلي مائة ركعة**) وفي بعض النسخ: مائتا ركعة. قال العراقي: رواه ابن عبد البر[١] من رواية علي بن زيد بن جُدْعان عن سعيد بن المسيَّب عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره. وابن جدعان ضعيف، والحديث عند ابن ماجه[٢] من هذا الوجه، إلا أنه قال: ألف ركعة، وزاد فيه: عمل به أو لم يعمل به.

وزاد في أوله: لأنْ تغدو فتتعلَّم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة. وإسناد ابن ماجه منقطع؛ فإنه عنده من رواية عبد الله بن غالب العَبَّاداني عن عبد الله بن زياد البَحْراني هكذا معنعَنًا، وفي رواية ابن عبد البر: عبد الله بن غالب العَبَّاداني قال: حدثنا خلف بن أعين عن عبد الله بن زياد. فزاد فيه رجلاً. ا.هـ.

قلت: قال ابن القيم[٣]: أخرجه ابن عبد البر عن معاذ مرفوعًا، ولا يثبُت رفعُه.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٢٠.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٢٠٩.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٣٢.

هكذا قاله: عن معاذ، ولعله سهوٌ من قلم الناسخ.

وأما حديث ابن ماجه الطويل فأخرجه الحاكم أيضًا في تاريخه، ويأتي بطوله في الحديث التاسع إن شاء الله تعالىٰ.

وروىٰ الطبراني في الأوسط من رواية ابن جُدْعان عن ابن المسيَّب عن أبي ذر مرفوعًا: «باب من العلم يتعلمه أحدُكم خير له من مائة ركعة يصليها تطوُّعًا».

وروىٰ المخلص في فوائده[١] عن ابن صاعد: حدثنا القاسم بن الفضل، حدثنا حجاج بن نصير، حدثنا هلال بن عبد الرحمن، عن عطاء بن أبي ميمونة [عن أبي سلمة][٢] عن أبي هريرة وأبي ذر أنهما قالا: باب من العلم نتعلمه أحبُّ إلينا من ألف ركعة[٣] تطوعًا، وباب من العلم نعلِّمه عُمل به أو لم يُعمَل أحب إلينا من مائة ركعة تطوعًا. وقالا: سمعنا رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا جاء الموتُ طالبَ العلم وهو علىٰ هذه الحال مات شهيدًا».

ورواه ابن أبي داود عن شاذان عن حجَّاج به.

وروىٰ الخطيب[٤] عن أبي هريرة قال: لأنْ أعلم بابًا من العلم في أمرٍ أو نهي أحبُّ إليَّ من سبعين غزوة في سبيل الله.

- **الحديث الرابع: (وقال ﷺ: باب من العلم يتعلمه الرجلُ خيرٌ له من الدنيا وما فيها)** قال العراقي[٥]: لم أجده بهذا اللفظ مرفوعًا، وهو معروف هكذا من

---

(١) الفوائد المخلصيات لأبي طاهر المخلص ٣/ ٣٨٤ (ط - وزارة الأوقاف القطرية).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة، وزدته من فوائد المخلص.

(٣) في فوائد المخلص: كذا وكذا ركعة، في الموضعين، ولم يذكر عددًا، وليس فيه لفظ «تطوعا»، ولا عبارة «عمل به أو لم يعمل».

(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب ١/ ١٠٢.

(٥) المغني ١/ ١٦.

قول الحسن البصري، رويناه في أمالي أبي عبد الله بن منده، ورواه ابن عبد البر في العلم[1] وابن حبان في «روضة العقلاء»[2] موقوفًا عن الحسن. ا.هـ.

ويُروَىٰ عن الحسن[3]: لأنْ أتعلم بابًا من العلم فأعلِّمه مسلمًا أحب إليَّ من أن تكون لي الدنيا كلها [أجعلها] في سبيل الله.

- **الحديث الخامس: (وقال ﷺ: طلبُ العلم فريضة علىٰ كل مسلم)** أخرجه ابن عدي[4] والبيهقي[5] عن أنس، والطبراني في الكبير[6] عن ابن مسعود، وفي الأوسط[7] عن ابن عباس، وفيه أيضًا[8] وكذا البيهقي[9] عن أبي سعيد، وتمام في فوائده[10] عن ابن عمر، والخطيب في تاريخه[11] عن علي.

قلت: أما حديث أنس فأخرجه الخطيب في رحلته[12] من رواية طريف بن سلمان، وأبو علي الحدَّاد في معجم شيوخه من رواية هشام بن الصلت عن مسلم، وابن خسرو في مسنده من رواية أحمد بن الصلت عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣١ بلفظ: «إن الرجل ليتعلم الباب من العلم فيعمل به خير من الدنيا وما فيها».

(٢) روضة العقلاء لابن حبان ص ٤٠ (ط - دار الكتب العلمية) بلفظ: «لأن يتعلم الرجل بابًا من العلم فيعبد به ربه فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها إلىٰ آخرها له فوضعها في الآخرة».

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١/ ١٠٢. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٤) الكامل في الضعفاء ١/ ٢٠٦، ٣/ ١٠٤٣.

(٥) شعب الإيمان ٣/ ١٩٤ - ١٩٦.

(٦) المعجم الكبير ١٠/ ٢٤٠.

(٧) المعجم الأوسط ٤/ ٢٤٥.

(٨) المعجم الأوسط ٨/ ٢٥٨.

(٩) شعب الإيمان ٣/ ١٩٦.

(١٠) فوائد تمام ١/ ١٣٥ (ط - دار البشائر الإسلامية ببيروت).

(١١) تاريخ بغداد ٢/ ٣٠٢.

(١٢) الرحلة في طلب الحديث للخطيب ص ٧٢ - ٧٦ (تحقيق: نور الدين عتر).

عن أبي حنيفة، وابن عدي في الكامل من رواية مُعان بن رفاعة عن عبد الوهاب بن بُخْت، وابن ماجه في سننه[١] من رواية محمد بن سيرين، خمستُهم عن أنس.

ورويناه في الكامل[٢] من رواية محمد بن عبد الملك عن نافع عن ابن عمر، وعن محمد بن المنكدِر عن جابر[٣]، وفي مشيخة أبي علي ابن شاذان من طريق حماد عن أبي وائل عن ابن مسعود، وفي معجم شيوخ الحدَّاد من رواية الشعبي عن ابن عباس، قال البيهقي في الشُّعَب: متنُه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد رُوي من أوجُه كلها ضعيفة.

وقال النووي في فتاويه[٤]: هو حديث ضعيف وإن كان معناه صحيحًا.

وقال البزار[٥]: أسانيده واهية.

وقال ابن القطان[٦]: لم يصح فيه شيء، وأحسنُ ما فيه ضعيفٌ.

وسكت عنه مغلطاي[٧].

وقال البدر الزركشي[٨]: رُوي عن عدَّة من الصحابة، وفي كل طرقه مقالٌ، وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس، وطريق مجاهد عن ابن عمر، وقد أخرجه ابن ماجه في سننه عن كثير بن شِنْظير عن ابن سيرين عن أنس، وفيه زيادة: «وواضع

---

(١) سنن ابن ماجه ١/ ٢١٤.

(٢) الكامل لابن عدي ٥/ ٢١٦٨.

(٣) السابق ٥/ ٢١٦٧.

(٤) فتاوى النووي (أو المسائل المنثورة) ص ١٣٧ (ط - الأزهر بمصر).

(٥) مسند البزار ١/ ١٧٢ ونصه: «أما ما يذكر عن النبي ﷺ أنه قال: طلب العلم فريضة على كل مسلم، فقد روي عن أنس من غير وجه، وكل ما يروى فيها عن أنس فغير صحيح».

(٦) بيان الوهم والإيهام لابن القطان ٥/ ١٢٤.

(٧) فيض القدير للمناوي ٤/ ٢٦٧.

(٨) اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة للزركشي ص ٤٠ - ٤٤.

العلم عند غير أهله كمقلِّد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب». وكثير بن شنظير مختلَفٌ فيه، فالحديث حسن.

قال ابن عبد البر[١]: رُوي من وجوه كلها معلولة. ثم روىٰ عن إسحاق بن راهويه ما معناه أن في أسانيده مقالاً، ولكن معناه صحيح عندهم.

وقال البزار[٢]: أحسن طرقه ما رواه إبراهيم بن سلام عن حماد عن إبراهيم عن أنس. قال: ولا نعلم أسند إبراهيمُ عن أنس سواه، وإبراهيم بن سلام لا نعلم روىٰ عنه إلا أبو عاصم.

وأخرج ابن الجوزي في «منهاج القاصدين» من رواية أبي بكر بن أبي داود، حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا يحيىٰ بن حسان، عن سليمان بن قرة، عن ثابت، عن أنس ... فذكره، ثم قال ابن أبي داود: سمعت أبي يقول: ليس في طرقه أصح من هذا.

وقال السخاوي في المقاصد[٣]: أخرجه ابن ماجه وابن عبد البر في «بيان العلم» له من حديث حفص بن سليمان عن كثير بن شِنْظير عن ابن سيرين عن أنس مرفوعًا بتلك الزيادة، وحفص ضعيف جدًّا، بل اتهمه بعضُهم بالكذب والوضع[٤]، ولكن له شاهد عند ابن شاهين في الأفراد، ورويناه في ثاني السمعونيات من حديث

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣ - ٥٢ ونص ما قاله ابن راهويه: طلب العلم واجب، ولم يصح فيه الخبر، إلا أن معناه أنه يلزمه طلب علم ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته، وكذلك الحج وغيره.

وعقب ابن عبد البر علىٰ ذلك بقوله: يريد إسحاق أن الحديث في وجوب طلب العلم في أسانيده مقال لأهل العلم بالنقل، ولكن معناه صحيح عندهم، وإن كانوا قد اختلفوا فيه اختلافًا متقاربًا.

(٢) مسند البزار ١٤/ ٤٦.

(٣) المقاصد الحسنة ص ٢٧٥ - ٢٧٧. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٤) بعده في المقاصد: وقيل عن أحمد إنه صالح.

وانظر: ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٥٥٨ - ٥٥٩.

موسىٰ بن داود حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس به، وقال ابن شاهين: إنه غريب.

قال السخاوي: ورجاله ثقات، بل يُروَىٰ عن نحو عشرين تابعيًّا عن أنس، كإبراهيم النخعي، وثابت، وإسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة -وله عنه طرق- وحميد، والزبير بن خِرِّيت، وزياد بن ميمون أبي عمار أو ابن عمار، وسلام الطويل، وطريف بن سلمان أبي عاتكة، وقتادة، والمثنَّىٰ بن دينار، والزُّهري، ومسلم الأعور، كلُّهم عن أنس، ولفظ حُمَيد: «طلبُ الفقه حتمٌ واجب علىٰ كل مسلم». ولزياد [من الزيادة]: «والله يحب إغاثة اللهفان». ولأبي عاتكة في أوله: «اطلبوا العلم ولو بالصين».

وفي كلٍّ منهما مقالٌ، ولذا قال ابن عبد البر ... فساق ما أوردناه آنفًا، ثم نقل عن البزار ما قدَّمنا ذِكره، ثم قال: وهو عند البيهقي في الشُّعَب وابن عبد البر في العلم وتمام في فوائده من طريق عبد القدوس ابن حبيب الوحاظي عن حماد. ثم ساق طريق ابن أبي داود الذي قدمناه. قال: وكذا رواه ابن عبد البر من جهة جعفر، بل وفي الباب عن أُبَيٍّ، وجابر، وحذيفة، والحسين بن علي، وسلمان، وسَمُرة، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعلي، ومعاوية بن حَيْدة، ونُبَيط بن شريط، وأبي أيوب، وأبي سعيد، وأبي هريرة [وأم المؤمنين عائشة] وعائشة بنت قدامة [وأم هانئ] وآخرين.

وقال أبو علي [النيسابوري] الحافظ: إنه لم يصح عن النبي ﷺ [فيه إسناد]. ثم ساق كلام ابن الجوزي في العلل، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال[1]: لا يثبُت عندنا في هذا الباب شيءٌ. ثم نقل كلام ابن راهويه وكلام [ابن] القطَّان وكلام

---

(١) العلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ٧٥.

البيهقي، ثم قال: ومثَّل به ابن الصلاح للمشهور الذي ليس بصحيح[١]، وتبع في ذلك أيضًا الحاكمَ[٢]، ولكن قال العراقي: قد صحَّح بعض الأئمة [بعض] طرقه. ا.هـ. كلام السخاوي.

وقال المِزِّي[٣]: هذا الحديث رُوي من طرق تبلغ درجة الحَسن.

وقال السيوطي في التعليقة المنيفة: وعندي أنه بلغ رتبة الصحيح؛ لأني رأيت له نحو خمسين طريقًا، وقد جمعتُها في جزء.

ونقل المناوي[٤] عنه قال: جمعتُ له خمسين طريقًا، وحكمتُ بصحته لغيره، ولم أصحِّح حديثًا لم أُسبَق لتصحيحه سواه. ا.هـ.

قلت: إن أراد السيوطي بأنه لكثرة طرقه ارتقىٰ من الضعف إلىٰ الصحة فهذا منظور فيه؛ لأن كثرة الطُّرق لا تُرقي الحديثَ إذا كان فيها مقال، كما صرح به الحافظُ وغيره، وتقدَّم ذلك في حديث «مَن حفظ علىٰ أمَّتي». وإن كان اعتمد علىٰ طريق قتادة وثابت فالأمر سهلٌ.

قال السخاوي: وقد ألحق بعضُ المصنِّفين في آخره «ومسلمة»، وليس لها ذِكر في شيء من طرقه وإن كانت صحيحة المعنىٰ. والله أعلم.

- الحديث السادس: (وقال ﷺ: اطلبوا العلم ولو بالصين) قال العراقي[٥]: أخرجه ابن عدي في الكامل[٦] والبيهقي في الشعب[٧]

---

(١) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٢٦٥ (ط - دار الفكر ببيروت).

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٣٠٤ (ط - دار ابن حزم ببيروت).

(٣) فيض القدير ٤/ ٢٦٨.

(٤) فيض القدير ٤/ ٢٦٧.

(٥) المغني ١/ ١٦.

(٦) الكامل ٤/ ١٤٣٨.

(٧) شعب الإيمان ٣/ ١٩٤.

والمدخل[١] وابن عبد البر في العلم[٢] من رواية أبي عاتكة عن أنس، وأبو عاتكة منكر الحديث[٣]. وقال البيهقي: هذا الحديث مشهور، وأسانيده ضعيفة. وأخرجه ابن عبد البر[٤] أيضًا من رواية الزهري عن أنس، وفي إسناده يعقوب بن إسحاق العسقلاني، وقد كذَّبه البيهقي[٥].

قلت: رواه من طريق يوسف[٦] بن محمد عن ابن عُيَينة عن الزهري؛ قاله السخاوي[٧].

وأخرجه ابن عدي[٨] أيضًا من رواية الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سَلَمة عن أبي هريرة رفعه، ثم قال: هذا من وضعِ الجُوَيْباري[٩] لابن كَرَّام، باطل بهذا الإسناد.

قلت: وحديث أنس أيضًا أخرجه الخطيب في الرحلة[١٠] والديلمي في مسند الفردوس[١١]، وزادا كالبيهقي وابن عبد البر بآخره: «فإنَّ طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وقال الحافظ في اللسان[١٢]: وقد رُوي أيضًا من طريق النخعي سمعتُ أنسًا،

(١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ١/ ٢٩٢.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٨، ٣٠.
(٣) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٣٣٥.
(٤) السابق ١/ ٣٧.
(٥) وكذا كذبه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٤٤٩.
(٦) في المطبوعة: عبيد. والمثبت من جامع بيان العلم.
(٧) المقاصد الحسنة ص ٦٣.
(٨) الكامل في الضعفاء ١/ ١٨١ = ١٨٢.
(٩) هو أحمد بن عبد الله الهروي، ويعرف بـ «ستُّوق». وهو منسوب إلى جويبار: إحدى قرى هراة.
(١٠) الرحلة في طلب الحديث للخطيب ص ٧٢ = ٧٦.
(١١) فردوس الأخبار ١/ ١٠١.
(١٢) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ٨/ ٥٢٦.

وهو باطل أيضًا؛ فإن النخعي لم يسمع من أنس. ا.هـ.

وقد روي هذا الحديث عن أبي عاتكة ستةٌ: محمد بن غالب التَّمْتام، وجعفر ابن هاشم، والحسن بن علي بن عباد، وأبو بكر الأعين، والعباس بن أبي طالب، والحسن بن عطية، وقد خرَّج الخطيب هذا الحديث في رحلته من طُرق هؤلاء، وكذا البيهقي والديلمي وابن عدي والعقيلي[1] وتمام[2]، وقد أَلَّفتُ في تخريجه والحديثِ الذي قبله جزءًا لطيفًا أوردت فيه ما تيسَّر لي من الأسانيد.

- الحديث السابع: (وقال ﷺ: العلم خزائن) جمع خزينة (مفاتِحها) جمع مِفْتَح ومِفْتاح، كمنبر ومصباح، وفي بعض النسخ: مفاتيحها، بزيادة التحتية، وفي بعض الروايات: ومفتاحها (السؤال) قال الماوردي[3]: حُكي أن بعض الحكماء[4] رأى شيخًا [كبيرًا] يحب النظر في العلم ويستحي من السؤال، فقال [له]: يا هذا، أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل ممَّا كنتَ في أوله؟! (ألا فاسألوا) وفي بعض النسخ: فسَلُوا، وفي بعض الروايات هنا بزيادة: يرحمكم الله (فإنه يؤجَر فيه أربعةٌ) من الأنفُس: (السائل، والعالِم) وفي بعض الروايات: والمعلِّم، بدل «العالم» (والمستمع، والمحب لهم) وفي بعض النسخ: والمجيب لهم، والمراد بالسؤال:

---

(١) الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٦٢٠ وقال: «لا يحفظ (ولو بالصين) إلا عن أبي عاتكة».

(٢) لم أقف في فوائد تمام على رواية «اطلبوا العلم ولو بالصين»، وإنما اقتصر من حديث أنس على رواية «طلب العلم فريضة على كل مسلم» فقط.

(٣) أدب الدين والدنيا للماوردي ص ٤٤ (ط = دار اقرأ ببيروت). والزيادات التي بين حاصرتين منه. وانظر: فيض القدير للمناوي ٤/ ٣٨٩. سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي ص ١٠٨ (ط = المطبعة الوطنية بالإسكندرية).

(٤) هو فيثاغورس الحكيم اليوناني المشهور، ذكر ذلك ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٦٩ (ط - دار مكتبة الحياة ببيروت) ونصه: «وقال فيثاغورس وقد نظر إلى شيخ يحب النظر في العلم ويستحي أن يُرَى متعلما: يا هذا، أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل منك في أوله»؟!

سؤال تفهُّم لا تعنُّت، فذلك منهيٌّ عنه.

قال العراقي: أخرجه أبو نعيم في الحلية[١] من رواية داود بن سليمان الغازي عن علي بن موسىٰ عن آبائه عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

ورواه الخطيب في كتاب «الفقيه والمتفقه»[٢] من طريق الطبراني عن عبد الله بن أحمد بن عامر عن أبيه عن علي بن موسىٰ.

قال في الميزان[٣]: ما ينفكُّ عن وضعه أو وضعِ أبيه. وأيضًا، فداود الغازي كذَّبه ابنُ معين، وله نسخة موضوعة عن أهل البيت[٤]، وهذا الحديث معروف من قول الزهري، رواه عبد الغني بن سعيد في كتاب «آداب الحديث والمحدِّث»[٥]. ا.هـ.

قلت: وأخرجه العسكري في الأمثال بمثل رواية الحلية، وأورده صاحب القوت فقال[٦]: وفي الخبر الذي رويناه من طريق أهل البيت ... وساقه.

وزاد في الميزان أن تلك النسخة الموضوعة رواها عن داود الغازي عليُّ بن محمد بن مهرويه القزويني العدوي[٧] فيها هذا الحديث.

وأما عبد الله بن محمد بن عامر الطائي فقد ذكره ابن النجار في تاريخه في ترجمة علي الرضا، وذكر له جملة أحاديث رواها عنه بواسطة أبيه.

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٩٢.

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/ ٦١.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٣٩٠.

(٤) ميزان الاعتدال ٢/ ٨.

(٥) وكذلك الدارمي في سننه ١/ ١٤٧، والخطيب في الفقيه والمتفقه ٢/ ٦٢، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٧٩ - ٣٨٠، ولفظه: «العلم خزائن، وتفتحها المسألة».

(٦) قوت القلوب ١/ ٢٦٤.

(٧) كذا في المطبوعة، وفي الميزان: الصدوق. وهو الصواب.

وأما قوله «وهذا الحديث معروف من قول الزهري» فقد أخرج أبو نعيم في الحلية[١] من رواية ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: العلم خزائن، وتفتحها المسائلُ.

وأخرج أيضًا من رواية قتيبة بن سعيد حدثنا رشدين بن سعد عن ابن شهاب قال مثله.

وأخرج من رواية محمد بن [أحمد بن][٢] إسحاق عن الزهري قال: كان يُصاد العلم بالمسألة كما يُصاد الوحشُ.

- **الحديث الثامن:** (وقال ﷺ: **لا ينبغي للجاهل أن يسكت علىٰ جهله، ولا للعالِم أن يسكت علىٰ عِلمه**) هكذا أورده صاحب القوت فقال[٣]: وكذلك روينا عن رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للجاهل أن يستقر علىٰ جهله، ولا ينبغي للعالم أن يسكت علىٰ علمه». وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣، الأنبياء:٧].

وقال العراقي: رواه ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما «رياضة المتعلِّمين»، وأبو بكر بن مردويه في تفسيره[٤]، وأبو الشيخ في كتاب «الثواب» من رواية محمد بن أبي حُمَيد عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ ... فذكره، وقدَّم ذِكر العالِم، وفي آخره: فإن الله قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ومحمد بن أبي حميد منكَر الحديث؛ قاله البخاري[٥] وغيره. ا.هـ.

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٣٦٣.

(٢) زيادة من الحلية.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٦٤.

(٤) انظر: الدر المنثور للسيوطي ٩/ ٥٢.

(٥) التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٢٨.

قلت: هو حمَّاد بن أبي حُمَيد إبراهيم الزُّرَقي الأنصاري أبو إبراهيم المدني، من رجال الترمذي وابن ماجه، ضعيف[١].

وقد أخرجه الطبراني في الأوسط[٢] من هذا الطريق، وسياقه كسياق الجماعة.

- الحديث التاسع: (وفي حديث أبي ذر) جُنْدَب بن جُنادة الغِفاري (رضي الله عنه) رفعه: (**حضور مجلس عالم أفضلُ من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة. فقيل: يا رسول الله، ومن قراءة القرآن؟ فقال ﷺ: وهل ينفع القرآنُ إلا بالعلم**)؟! قال العراقي: هذا الحديث موضوع، وإنما أعرفه من حديث عمر لا من حديث أبي ذر، كما ذكره ابن الجوزي في الموضوعات فقال[٣]: روى محمد بن علي بن عمر المذكِّر قال: حدثنا إسحاق بن الجعد، حدثنا أحمد بن عبد الله الهَرَوي، حدثنا إسحاق بن نجيح، حدثنا هشام بن حسان، حدثنا محمد ابن سيرين، حدثنا عبيدة السلماني، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وأنا شاهد فقال: يا رسول الله، إذا حضرتُ جنازة وحضر مجلس عالِم، أيُّهما أحب إليك أن أشهده؟ فقال: «إن كان للجنازة مَن يتبعها ويدفنها فإن حضور مجلس عالم أفضل من حضور ألف جنازة تشيِّعها، ومن حضور ألف مريض تعوده، ومن قيام ألف ليلة للصلاة، ومن ألف يوم تصومها، ومن ألف درهم تتصدَّق بها، ومن ألف حَجَّة سوى الفرض، ومن ألف غزوة سوى الواجب تغزوها في سبيل الله بنفسك ومالك ...» الحديث، وفيه: فقال رجل: قراءة [القرآن][٤]؟ فقال: «ويحك! وما قراءة القرآن بغير علم؟ وما الحج بغير علم؟ وما

---

(١) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٥٨٩، ٣/ ٥٣١.

(٢) المعجم الأوسط ٥/ ٢٩٨.

(٣) الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٢٢٣.

(٤) زيادة من الموضوعات.

الجمعة بغير علم؟ أما علمتَ أن السُّنَّة تقضي علىٰ القرآن، و[أن][1] القرآن لا يقضي علىٰ السنة»؟

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، أما المذكّر فقال أبو بكر الخطيب[2]: هو متروك، وأما الهروي فهو الجويباري، وهو الذي وضعه، وإسحاق بن نجيح، قال أحمد: أكذب الناس[3]. ا.هـ.

قلت: ونصُّ ابن الجوزي بعد قوله «بنفسك ومالِك»: «وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم؟ أما علمتَ أن الله يُطاع بالعلم، ويُعبَد بالعلم، وخير الدنيا والآخرة في العلم، وشر الدنيا والآخرة في الجهل»؟ فقال رجل ... الخ.

وقد أقرَّه علىٰ كونه موضوعًا الحافظُ ابن حجر في اللسان وقال[4]: هذا من طامَّات الجويباري.

وتبعه الحافظ السيوطي في «اللآلئ المصنوعة»[5].

وقد وجدت لحديث أبي ذر طريقًا أخرىٰ، أخرجه ابن ماجه[6] كما في الذيل للسيوطي، والحاكمُ في تاريخه كما في الجامع الكبير له[7] في مسند أبي ذر، ولفظه: «يا أبا ذر، لأنْ تغدو في أن تتعلم آية من كتاب الله خيرٌ لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأنْ تغدو فتتعلم بابًا من العلم عُمل به أو لم يُعمَل به خيرٌ من أن تصلي ألف ركعة تطوُّعًا».

---

(١) زيادة من الموضوعات.
(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٢١٤ ونصه: «كان كذابًا معروفًا بسرقة الحديث».
(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٢٠٠.
(٤) لسان الميزان ١/ ٤٩٥.
(٥) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١/ ٢٠٠ (ط = دار المعرفة ببيروت).
(٦) سنن ابن ماجه ١/ ٢٠٩.
(٧) كنز العمال ١٠/ ٢٥٨.

فيحتمل أن الشيخ أشار إلىٰ هذا. والله أعلم.

وأخرج الخطيب[١] وابن النجار في تاريخهما عن ابن عباس مرفوعًا: «مَن تعلَّم بابًا من العلم عمل به أو لم يعمل به كان أفضل من صلاة ألف ركعة، فإن هو عمل به أو علَّمه كان له ثوابه وثواب مَن يعمل به إلىٰ يوم القيامة».

- **الحديث العاشر: (وقال ﷺ: مَن جاءه الموتُ وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلامَ فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة)** قال العراقي: رواه أبو نعيم في «فضل العالم العفيف» والهَرَوي في «ذم الكلام»[٢] من رواية عمرو بن أبي كثير عن أبي العلاء عن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءه الموت ...» فذكره، وزاد فيه: «فمات علىٰ ذلك». وفي رواية الهروي: عمرو ابن كثير. وهكذا رواه الدارمي في مسنده[٣]، إلا أنه قال: عن الحسن، ولم ينسبه، وأطلقه

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٥٥٣.

(٢) ذم الكلام وأهله لأبي إسماعيل الهروي ٣/ ٣٣٢ (ط - مكتبة الغرباء الأثرية) ونصه: «ثنا عمر بن إبراهيم، ابنا منصور بن العباس، ابنا الحسن بن سفيان، ثنا النعمان بن شبل، ثنا ابن أبي فديك. ح. وابنا أحمد بن محمد بن محمد الصرام المقرئ، ابنا علي بن أحمد بن عبد الرحمن الغزال بالبصرة، ثنا أبو بكر أحمد بن محمد المروزي، ثنا أبو الحسن علي بن مسلم، ثنا ابن أبي فديك، عن عمرو ابن كثير، عن أبي العلاء. ح. وابناه يحيىٰ بن عمار، ابنا محمد بن إبراهيم بن جناح، ثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا يحيىٰ بن المغيرة بن إسماعيل المخزومي المدني أبو سلمة، ثنا أخي محمد بن المغيرة، عن معن، عن أبي العلاء، عن الحسن - زاد عمرو: يعني ابن أبي طالب، وقال النعمان: عن الحسن ابن علي، وقالوا: قال رسول الله ﷺ: رحمة الله علىٰ خلفائي. قيل: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: الذين يحييون سنتي ويعلِّمونها الناس. قال ابن أبي فديك: عباد الله. وقال النعمان بن شبل: من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فمات وهو علىٰ ذلك فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة».

قلت: الكلام الأخير ليس من كلام النعمان بن شبل، بل هو من الحديث المرفوع، كما في المصادر الأخرىٰ.

(٣) سنن الدارمي ١/ ١١٢.

ابن السني في «رياضة المتعلمين»، وابن عبد البر في العلم[١]، وقال بعد ذلك: إنه من مراسيل الحسن. فجعله للحسن البصري، وهذا هو الظاهر، فقد ذكر ابن حبان أبا العلاء هذا في أتباع التابعين من الثقات[٢] وقال: إنه يروي عن الحسن، وأنه روىٰ عنه ابنُ عيينة. وقد اختُلف فيه علىٰ عمرو بن أبي كثير، فقصره بعضهم علىٰ الحسن، وزاد بعضهم بعد الحسن: ابن عباس، وهو حديث مضطرب. ا.هـ.

قلت: ورواه يونس بن عبد الأعلىٰ عن ابن أبي فديك قال: حدثني عمرو بن كثير عن أبي العلاء عن الحسن مرسَلاً؛ هكذا قال: عمرو بن كثير.

وأخرجه ابن عساكر[٣] عن الحسن مرسَلاً. وأخرجه ابن النجار[٤] عن الحسن عن أنس، إلا أنهما قالا: يحيي به الإسلام لم تكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة في الجنة.

قال العراقي: ويُروَىٰ أيضًا عن ابن عباس، رواه ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما «رياضة المتعلِّمين» من رواية عمرو بن كثير عن أبي العلاء عن الحسن عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن جاءه أجلُه وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم تفضله النبيُّون إلا بدرجة واحدة». وعمرو بن كثير لا أدرىٰ مَن هو، وقد اختُلف عليه فيه، كما تقدَّم.

ورواه الأزدي في الضعفاء وأبو نعيم في كتاب «فضل العالِم العفيف» وابن عبدالبر في العلم من رواية محمد بن الجعد عن الزهري وعلي بن زيد بن جُدْعان عن

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٠٧.

(٢) الثقات ٧/ ٦٥٦.

(٣) تاريخ دمشق ٥١/ ٦١.

(٤) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٣/ ١٣٦ ولفظه: «من أتاه الموت وهو يطلب العلم كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة: درجة النبوة».

سعيد بن المسيَّب عن ابن عباس[١]. ومحمد بن [أبي][٢] الجَعْد ضعَّفه الأزدي. ا.هـ.

قلت: وعمرو[٣] بن كثير ذكره الذهبي في ذيل الديوان[٤] وقال: يروي عن أبي الزناد، مجهول.

وأخرج الطبراني في الأوسط[٥] عن ابن عباس: «مَن جاءه أجلُه وهو يطلب العلم لقي اللهَ ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجةُ النبوة».

وأخرجه الخطيب[٦] من رواية سعيد بن المسيَّب عن ابن عباس: «مَن جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم يفضله النبيون [إلا بدرجة] ».

وقال العراقي: ويُروَىٰ من حديث أبي الدرداء، رواه أبو نعيم في كتاب «فضل العالم العفيف» من رواية عبد الله بن زياد عن علي بن زيد بن جُدْعان عن سعيد ابن المسيَّب عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن طلب بابًا من العلم ليحيي به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة». وابن جُدْعان مشهور بالضعف، وعبد الله بن زياد البَحْراني قال فيه الذهبي[٧]: لا أدري مَن هو. ا.هـ.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٠٣.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة، والصواب إثباته كما في ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٥٠٢، وفيه قول الأزدي: متروك. وساق له هذا الحديث.

(٣) في المطبوعة: ومحمد. وهو خطأ.

(٤) ليس هو في ذيل الديوان، بل في ميزان الاعتدال ٣/ ٢٨٥ وقال: عمرو بن كثير القيسي.

(٥) المعجم الأوسط ٩/ ١٧٤.

(٦) تاريخ بغداد ٤/ ١٣٤. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٧) ميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٥ وقال: «عبد الله بن زياد البحراني، بصري، له عن علي بن جدعان، وعنه عبد الله بن غالب العباداني وهريم بن عثمان، لا أدري من هو، ولعله شيخ البرساني».
ثم ذكر آخر يسمىٰ عبد الله بن زياد وقال: «عن أبي عبيدة، لا يُدرَىٰ من هو، روىٰ عنه محمد بن بكر البرساني فقط».

قلت: وقد أخرجه كذلك ابنُ النجار في تاريخه[١].

وقال العراقي: ويُروَىٰ من حديث أنس، رواه سُلَيم الرازي في «الترغيب والترهيب»، ولفظه: «مَن طلب -يعني العلم- حتىٰ يأتيه الموت لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة». وإسناده ضعيف. ا.هـ.

قلت: تقدَّم أن ابن النجار أخرجه من رواية الحسن عن أنس.

وقال ابن عبد البر[٢]: ومنهم مَن رواه عن سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة وعن أبي ذر، ومنهم من يرسله عن سعيد. وذكر أبو نعيم أنه يُروَىٰ من حديث معاوية بن حَيْدة أيضًا، ولم يوصِل إسنادَه، والحديث مضطرب الإسناد جدًّا.

(**وأما الآثار: فقال**) عبد الله (**ابن عباس** ﷺ: **ذللتُ طالبًا**) أي: صِرْتُ ذليلاً في حال الطلب للعلم، كأنه يقول: أهنتُ نفسي، واخترت المشقة في طلب العلم (**فعززتُ مطلوبًا**)[٣] أي: فصرتُ عزيزًا في حال كوني مطلوبًا، ويدل لذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك[٤] من رواية يزيد بن هارون، والطبراني[٥] من رواية وهب بن جرير، كلاهما عن جرير بن حازم - وهو والد الأخير - قال: سمعتُ يَعْلَىٰ بن حكيم يحدِّث عن عِكْرمة عن ابن عباس قال: لمَّا قُبض رسول الله ﷺ قلت لرجل [من الأنصار][٦]: هلم فلنتعلم من[٧] أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنهم

---

(١) كما في كنز العمال ١٠/ ١٦١.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٧٤، ٥٠٧. المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٤/ ٤٣٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٧٧.

(٥) المعجم الكبير ١٠/ ٢٩٩.

(٦) زيادة من المستدرك.

(٧) في المستدرك: هلم فلنسأل.

[اليوم][١] كثير. فقال: العجبُ واللهِ لك يا ابن عباس، أترىٰ الناس يحتاجون[٢] إليك وفي الناس مَن ترىٰ من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فتركتُ ذلك وأقبلت علىٰ المسألة وتتبُّع أصحاب رسول الله ﷺ، فإن كنتُ لآتي الرجل في الحديث يبلغُني أنه سمعه من رسول الله ﷺ فأجده قائلاً فأتوسَّد رِدائي علىٰ باب داره تسفي الرياح علىٰ وجهي [من التراب][٣] حتىٰ يخرج إليَّ، فإذا رآني قال: يا ابن عم رسول الله ﷺ، ما لك[٤]؟ قلت: حديث بلغني أنك تحدِّثه عن رسول الله ﷺ فأحببت أن أسمعه منك. فيقول: هلاَّ أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا كنت أحق أن آتيك. وكان ذلك الرجل يراني قد ذهب أصحاب رسول الله ﷺ وقد احتاج الناس إليَّ فيقول: أنت كنت أعلم[٥] مني[٦].

(ولذلك قال) أبو بكر عبد الله بن عُبَيد الله **(ابن أبي مُلَيكة)** وأبو مُلَيكة اسمه زهير بن عبد الله بن جُدْعان التَّيْمي. كان أبو بكر مؤذِّن ابن الزبير وقاضيه، سمع عائشة وابن عباس، وعنه أيُّوب والليث. قال: بعثني ابن الزبير علىٰ قضاء الطائف فكنت أسأل ابن عباس[٧]. توفي سنة ثمانية عشر

---

(١) زيادة من المستدرك.

(٢) في المستدرك: يفتقرون.

(٣) زيادة من المستدرك.

(٤) في المستدرك: ما جاء بك؟

(٥) في المعجم الكبير: أحق.

(٦) في المستدرك بعد قوله «آتيك»: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتىٰ رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتىٰ كان أعقل مني.
ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط البخاري، وهو أصل في طلب الحديث وتوقير المحدث.

(٧) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨/ ٣٣ (ط - مكتبة الخانجي بالقاهرة) ونصه: «بعثني ابن الزبير علىٰ قضاء الكوفة، فقلت لابن عباس: إن هذا قد بعثني علىٰ قضاء الطائف، ولا غنىٰ بي عنك أن أسألك. فقال لي: نعم، فاكتب إليَّ فيما بدا لك، أو سل عما بدا لك».



ومائة[١] (**ما رأيت مثل ابن عباس، إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهًا**) وكان جميل الصورة كأبيه (**وإذا تكلم فأعربُ الناس**) أي أفصحهم وأظهرهم (**لسانًا**) وبيانًا (**وإذا أفتىٰ فأكثر الناس علمًا**)[٢] وأخرج أبو نعيم في الحلية[٣] من رواية يونس بن بُكَير حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح قال: لقد رأيتُ من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرًا، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتىٰ ضاق بهم الطريقُ، فما كان أحد يقدر علىٰ أن يجيء ولا [أن] يذهب. قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم علىٰ بابه، فقال [لي]: ضعْ لي وضوءًا. قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم: مَن كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه [وما أراد منه] فليدخل. فخرجت فآذنتُهم فدخلوا حتىٰ ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه[٤] وزادهم [مثل ما سألوا عنه أو أكثره] ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: مَن أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل. قال: فخرجت فآذنتُهم فدخلوا حتىٰ ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم [مثل ما سألوه عنه أو أكثر] ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: مَن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل [فخرجت] فقلت لهم، فدخلوا حتىٰ ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم [مثله] ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل لهم: مَن أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل. فخرجت فآذنتُهم فدخلوا حتىٰ ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم [مثله] ثم قال:

---

(١) وقيل: سنة ١١٧ هـ.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤/ ٩٤ (ط - دار الكتب العلمية) ونصه: «ما رأيت مثل ابن عباس، إذا رأيته رأيت أفصح الناس، وإذا تكلم فأعرب الناس، وإذا أفتىٰ فأفقه الناس، ما رأيت أكثر صوابًا ولا أحضر جوابًا من ابن عباس».

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٢٠. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٤) في الحلية: به.

إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: مَن أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل. فدخلوا حتىٰ ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم [مثله]. قال أبو صالح: فلو أن قريشًا كلها فخرت بذلك لكان فخرًا لها، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس.

(وقال ابن المبارك) تقدَّمت ترجمتُه **(عجبتُ لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسُه إلىٰ مَكْرُمة)**[1] بضم الراء، واحد المكارم، أي لأن المكارم كلها في طلب العلم؛ فإنه العز الباقي، وما عداه يزول.

(وقال بعض الحكماء) وفي بعض النسخ: العلماء **(إني لأرحم رجالاً كرحمتي لأحد رجلين: رجل يطلب العلم ولا يفهم)** أي لا يتمكَّن من الفهم لأسراره وحقائقه، فهو أبدًا في تعب، حقيقٌ أن يُرحَم **(ورجل يفهم)** أي أُعطي ذهنًا وَقَّادًا وفكرة قابلة لفهم **(العلم ولا يطلبه)** إمَّا كِبْرًا أو حياءً أو غير ذلك، فهو يضع نفسه، حَرِيٌّ أن يُرحَم، وقريبٌ من هذين مَن طلب وفهم ولم يجد مَن يعلِّمه.

(وقال أبو الدرداء) عُوَيْمِر بن عامر الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ، أسلم عقب بدر، وفرض له عمر فألحقه بالبدريين؛ لجلالته، مات سنة اثنتين وثلاثين **(لأن أتعلَّم مسألة)** أي في الدين، أي مسائل العلم **(أحبُّ إليَّ من قيام ليلة)** وأخرج الخطيب[2] بسنده إليه قال: مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[3] من رواية قيس بن عمار الدهني عن سالم بن

---

(١) المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٢/ ١٨٦.

وفي كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٢٤٧، ٢٥٦: «قال إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي: عجبت لمن لم يكتب العلم كيف تدعوه نفسه إلىٰ مكرمة».

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب ١/ ١٠٢.

وذكر عنه رواية أخرىٰ وهي: لأن أذكر الفقه ساعة أحب إلي من قيام ليلة.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٠٩.

أبي الجعد عن معدان عن أبي الدرداء قال: تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من قيام ليلة.

(وقال) أبو الدرداء **(أيضًا: العالِم والمتعلِّم شريكان في الخير، وسائر الناس هَمَجٌ لا خير فيهم)** الهَمَج محرَّكة: ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الدوابِّ، ويقال للرِّعاع: همجٌ، على التشبيه[١]، وهذا قد رُوي مرفوعًا من حديث أخرجه الطبراني في الكبير والديلمي في مسند الفردوس[٢] بسند فيه معاوية بن يحيى الصَّدَفي[٣]، إلا أنه ليس فيه «همج».

وقوله: «شريكان في الخير»، أي لاشتراكهما في نشر العلم، ونشرُه أعظم أنواع البِرِّ، وبه قوام الدنيا والدين[٤].

وأخرج أبو نعيم في الحلية[٥] من رواية زائدة عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء قال: ما لي[٦] أرى علماءكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلَّمون؛

---

(١) في تاج العروس ٦/ ٢٨٢: «الهمج محركة: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها. وقيل: الهمج: صغار الدواب. وعن الليث: الهمج: كل دود ينفقئ عن ذباب أو بعوض؛ هكذا في الأساس. والهمج: الغنم المهزولة، واحدته بهاء. والهمج: الحمقى من الناس، رجل همج وهمجة: أحمق. وجمع الهمج: أهماج. وقال الأصمعي: الهمجة من الناس: الأحمق الذي لا يتماسك».

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٢٦٢، وفردوس الأخبار للديلمي ٣/ ١٠٣ من حديث أبي أمامة الباهلي، ولفظ الطبراني: «يا أيها الناس، عليكم بالعلم قبل أن يقبض، العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس».

(٣) قال عنه ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو زرعة: أحاديثه كلها مقلوبة. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال ابن حبان: كان يسرق الكتب ويحدث بها ثم تغير حفظه. وقال البخاري: روى عن الزهري أحاديث مستقيمة كأنها من كتاب، فروى عنه عيسى بن يونس وإسحاق الرازي أحاديث مناكير كأنها من حفظه. ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ١٣٨.

(٤) فيض القدير للمناوي ٤/ ٣٧٠.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٢١٢.

(٦) في المطبوعة: فإني. والمثبت من الحلية.

فإن معلِّم الخير والمتعلِّم في الأجر سواءٌ، ولا خير في سائر الناس بعدهما.

وأخرج أبو خيثمة في كتاب العلم[١] عن جرير عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد ... فساقه، إلا أنه قال: وليس في [سائر][٢] الناس خير بعده.

وأخرج أبو نعيم[٣] من رواية يحيىٰ بن إسحاق، حدثنا فرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: الناس ثلاثة: عالم ومتعلِّم، والثالث همج لا خير فيه.

وأخرج أيضًا من رواية شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال: قال أبو الدرداء: تعلَّموا؛ فإن العالم والمتعلِّم في الأجر سواء، ولا خير في سائر الناس بعدهما.

وأخرج أيضًا من رواية يزيد بن هارون، أخبرنا جُوَيْبِر، عن الضحَّاك قال: قال أبو الدرداء: يا أهل دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار علىٰ الأعداء[٤] ... الحديث، وفيه: ألا فتعلَّموا وعلِّموا؛ فإن العالم والمتعلِّم في الأجر سواءٌ، ولا خير في الناس بعدهما.

وأخرج أيضًا من رواية الحجَّاج بن دينار عن معاوية بن قُرَّة عن أبيه عن أبي الدرداء قال: تعلَّموا قبل أن يُرفَع العلم، إن رفع العلم ذهابُ العلماء، إن العالِم والمتعلِّم في الأجر سواءٌ، وإنما الناس رجلان: عالم ومتعلم، ولا خير فيما بين ذلك.

---

(١) العلم لأبي خيثمة ص ١٥.

(٢) زيادة من كتاب العلم.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢١٢.

(٤) بعده في الحلية: «ما يمنعكم من مودتي؟ وإنما مؤنتي علىٰ غيركم، ما لي أرىٰ علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون، وأراكم قد أقبلتم علىٰ ما تكفل لكم به وتركتم ما أمرتم به، ألا إن قومًا بنوا شديدًا، وجمعوا كثيرًا، وأمَّلوا بعيدًا، فأصبح بنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا، وجمعهم بورًا، ألا فتعلموا ... الخ.

(وقال) أبو الدرداء **(أيضًا: كنْ عالمًا أو متعلِّمًا أو مستمعًا، ولا تكن رابعًا فتهلك)**(١) وفي بعض الروايات: متَّبعًا، بدل «متعلِّمًا». وقد رُوي مثل ذلك عن ابن مسعود أيضًا.

وأخرج البيهقي(٢) والطبراني في الأوسط(٣) والبزار في مسنده(٤) من رواية عطاء ابن مسلم الخَفَّاف عن خالد الحَذَّاء عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرة عن أبيه رفعه: «اغْدُ عالمًا أو متعلِّمًا أو مستمعًا أو محبًّا، ولا تكن خامسًا فتهلك». ثم قال البيهقي: تفرَّد به عطاء عن خالد، وإنما يُروَىٰ عن ابن مسعود وأبي الدرداء من قولهما. قال عطاء: قال لي مِسْعَر: زدتنا خامسة لم تكن عندنا(٥).

قال ابن عبد البر: الخامسة [التي فيها الهلاك](٦) معاداة العلماء وبغضهم، ومَن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قاربَ، وفيه الهلاك.

قال الهيثمي(٧): ورجال الحديث موثقون.

وتبعه السمهودي، قال المناوي(٨): وهو غير مسلَّم، فقد قال أبو زُرْعة العراقي

---

(١) رواه البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ ١/ ٣٤٤، ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٣/ ٥٠٠ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ١٤١ من طريق حميد الطويل عن الحسن البصري عن أبي الدرداء قال: كن عالمًا أو متعلمًا أو محبًا أو متبعًا، ولا تكن الخامس فتهلك. قال حميد: قلت للحسن: من الخامس؟ قال: المبتدع.

(٢) شعب الإيمان ٣/ ٢٢٩.

(٣) المعجم الأوسط ٥/ ٢٣١.

(٤) مسند البزار ٩/ ٩٤.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٤٨ ونصه: «قال عطاء: قال لي مسعر بن كدام: يا عطاء، زدتنا في هذا الحديث زيادة لم تكن في أيدينا، وإنما كان في أيدينا (اغد عالمًا أو متعلمًا) يا عطاء، ويل لمن لم يكن فيه واحدة من هذه».

(٦) زيادة من جامع بيان العلم.

(٧) مجمع الزوائد ١/ ٣٢٨.

(٨) فيض القدير ٢/ ١٧.

الحافظ في المجلس الثالث والأربعين بعد الخمسمائة من إملائه: هذا حديث فيه ضعفٌ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وعطاء بن مسلم مختلَفٌ فيه، وقال [أبو][١] عبيد عن أبي داود إنه ضعيف، وقال غيره: إنه ليس بشيء[٢]. ا.هـ.

وأخرج أبو خيثمة في كتاب العلم[٣] -وهو أول حديث الكتاب- فقال: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن تميم[٤] بن سَلَمة، عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: اغْدُ عالمًا أو متعلمًا، ولا تَغْدُ بين ذلك.

وقال: حدثنا إسحاق بن سليمان: سمعت حنظلة يحدِّث عن عون بن عبد الله قال: قلتُ لعمر بن عبد العزيز: يقال: إن استطعتَ أن تكون عالمًا فكنْ عالمًا، فإن لم تستطع فكن متعلِّمًا، فإن لم تكن متعلمًا فأحِبَّهم، فإن لم تحبهم فلا تبغضهم. فقال عمر: سبحان الله! لقد جعل الله له مَخرجًا.

(ولنِعْمَ المجلس مجلس تُذكَر فيه الحكمة) أي يُتذاكَر بها فيه، والمراد بها العلوم الشرعية (وتُنشَر فيه الرحمة) أي ما يكون سببًا لنيل الرحمة. وهذه الجملة بتمامها سقطت من بعض النسخ.

(وقال عطاء) هو أبو محمد عطاء بن أبي رَبَاح القُرَشي مولاهم المكي، أحد الأعلام، روىٰ عن عائشة وأبي هريرة وخَلْقٍ، وعنه الأوزاعي وابن جُرَيج وأبو حنيفة والليث، مات سنة خمسة عشر ومائة[٥] عن ثمانٍ وثمانين (مجلس ذِكرٍ) أَعَمُّ من أن يكون مجلس علم أو اجتمعوا يذكرون الله (يكفِّر سبعين مجلسًا من

---

(١) زيادة من الفيض.

(٢) في ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٧٦: «قال أبو حاتم: كان شيخًا صالحًا يشبه يوسف بن أسباط، وكان دفن كتبه، فلا يثبت حديثه. وقال أبو زرعة: كان يهم. وقال أبو داود: ضعيف. ووثقه وكيع وغيره».

(٣) العلم لأبي خيثمة ص ٦.

(٤) في المطبوعة: عثمان. والمثبت من كتاب العلم.

(٥) في المطبوعة: ومائتين. وهو خطأ. وقيل: إنه توفي سنة ١١٤.

مجالس اللهو)[١] المراد به التكثير لا خصوص العدد، وقد ورد في كفَّارة المجلس أحاديثُ.

(وقال عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل والنهار) أي في عبادة الله تعالىٰ (أهون من موت عاقل بصير) أي كامل العقل تامّه متبصّر (بحلال الله وحرامه) أي بمعرفة ما أحلَّ الله مما حرَّمه، وذلك لأن العابد نفعُه من عبادته قاصرٌ علىٰ نفسه، وأما العالم فإنه يفيد غيرَه، فيكون سببًا لبقاء هذا الدين، والمراد بالعابد مع الجهل، أو الذي اشتغل بالعبادة مع علمه وترك التعليمَ. ويُروَىٰ عنه: موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه. ووجهه[٢] أن هذا العالِم يهدم علىٰ إبليس [كل][٣] ما يبنيه بعلمه وإرشاده، والعابد علمه[٤] مقصور علىٰ نفسه.

(وقال) محمد بن إدريس (الشافعي رحمه الله تعالىٰ) فيما أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»[٥] من رواية الأصم قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: (طلبُ العلم أفضل من صلاة النافلة) وقال حرملة[٦]: سمعتُ الشافعي يقول: ما تُقُرِّب إلىٰ الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم.

(وقال) الفقيه أبو محمد عبد الله (ابن عبد الحكم) بن أَعْيَن بن الليث، مولىٰ امرأة[٧] من موالي عثمان بن عفان، وهو من الطبقة الصغرىٰ من أصحاب مالك من

---

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب ١/ ٢٥٧.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٣٩٨.

(٣) زيادة من المفتاح.

(٤) في المفتاح: نفعه.

(٥) شرف أصحاب الحديث ص ١١٣.

(٦) طبقات السبكي ٢/ ١٢٩.

(٧) كذا هنا، وفي تاريخ مصر لابن يونس ص ٢٧٥: مولىٰ رافع مولىٰ عثمان.

أهل مصر، أخذ عن مالك، وروىٰ عنه الأكابرُ، وإليه انتهت الرياسة والجاه بمصر، وعليه نزل الإمام الشافعي فأكرمه، وعنده مات. مات سنة ٢١٤ عن ستين سنة. وأما ابنه محمد، فقال ابن يونس[١]: كان مفتي مصر، روىٰ عن ابن وهب وطائفة، وعنه النسائي وابن خزيمة والأصم وآخرون، مات سنة ثمانٍ وستين ومائتين (**كنت عند مالك**) بن أنس الإمام بالمدينة (**أقرأ عليه العلم، فدخل**) وقتُ (**الظهر، فجمعتُ الكتب**) وقمتُ (**لأصلي**) أي النافلةَ، كما يدل له السياقُ (**فقال**) مالك: (**يا هذا، ما الذي قمتَ إليه**) من النافلة (**بأفضل مما كنتَ فيه**) من الاشتغال بالعلم (**إذا صحَّت النيةُ**) بأن يكون تعلُّمُه للعمل به لله تعالىٰ، فنبَّه مالكٌ بقوله هذا علىٰ فضل طلب العلم، وشرط فيه صحةَ النية، وهذه القصة نسبها ابن القيم[٢] إلىٰ ابن وهب[٣]، ولفظه: وقال ابن وهب: كنتُ عند مالك، فحانت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ [عليه] وأنظر في العلم بين يديه، فجمعت كتبي وقمت لأركع، فقال لي مالك: ما هذا؟ فقلت: أقوم إلىٰ الصلاة. فقال: إن هذا لَعجبٌ، ما الذي قمتَ إليه بأفضل من الذي كنتَ فيه إذا صحت [فيه] النية.

وبمِثل هذا رُوي عن سفيان، أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»[٤] من رواية وكيع قال: سمعت سفيان يقول: لا نعلم شيئًا من الأعمال أفضل من طلب العلم والحديث لمن حسنت فيه نيتُه.

(**وقال أبو الدرداء** رضي الله عنه: **مَن رأىٰ أن الغُدُوَّ**) أي الذهاب أول النهار، وزاد في رواية: والرَّواح (**إلىٰ طلب العلم**) وتحصيله (**ليس بجهاد**) أي حقيقةً أو قائمًا

---

(١) تاريخ مصر ص ٤٥١.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٣٣.

(٣) وكذا ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٢٢.

(٤) شرف أصحاب الحديث ص ١٢٧.

مقامه (**فقد نقص في رأيه وعقله**)[١] بل هو المجاهد الأكبر؛ لأن المجاهد يقاتل قومًا مخصوصين في قُطْر مخصوص، والعالِم حُجَّة الله علىٰ المُعارِض في سائر الأقطار، وبيده سلاح العلم يقاتل به[٢]، فقد أخرج الديلمي[٣] وأبو نعيم عن عمَّار بن ياسر[٤] وأنس بن مالك رفعاه: «طالب العلم كالغادي والرائح في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ».

وأخرج الديلمي أيضًا عن أنس: «طالب العلم أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله»[٥].

ومثله قول كعب الأحبار[٦]: طالب العلم كالغادي الرائح في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١٥٢.

(٢) فيض القدير للمناوي ٤/ ٢٦٣.

(٣) فردوس الأخبار ٣/ ١٦ عن أنس.

(٤) لم أقف عليه من رواية عمار بن ياسر.

(٥) كنز العمال ١٠/ ١٤٣.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ٥/ ٣٧٧.





(فضيلة التعليم)

تقدَّم تعريفُه والاختلافُ فيه، وإنما قدَّم التعلُّم عليه لكونه أهم.

أورد فيها ست آيات فقال:

(أما الآيات، فقوله ﷿: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]) قال: (والمراد) من الإنذار (هو التعليم والإرشاد) قال ابن عرفة[١]: الإنذار هو الإعلام بالشيء الذي يُحذَّر منه، وكل مُنذِر مُعْلِمٌ، ولا عكس. ا.هـ.

فحينئذٍ تفسيره بالتعليم هو المطابق، كما أنه يأتي بمعنى الإعلام أيضًا، كما تقدَّم، وأما بالإرشاد فهو تفسير باللازم، كما لا يخفى. ثم إن الإنذار يتعدَّى باثنين لنفسه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ:٤٠] ويجوز في ثاني مفعولَيْه الحذفُ اقتصارًا لا اختصارًا كما هنا، ونحو: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [الطور:١٩] وهذه[٢] الآية ندب الله تعالى بها المؤمنين إلى التفقُّه في الدين وهو تعلُّمه، وقد تقدَّم ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ وهو التعليم.

وقد اختُلف في الآية، فقيل: المعنى: أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقُّه والتعلُّم، بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفةٌ، تتفقه تلك الطائفة ثم ترجع تعلِّم القاعدين، فيكون النفير - على هذا - نفير تعلُّمٍ. والطائفة تقال على الواحد فما زاد. قالوا: فهو دليل على قبول خبر الواحد، وعلى هذا حملها الشافعيُّ وجماعة. وقالت طائفة أخرى: المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم، بل ينبغي

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ٤٢٢.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٣٧.

أن تنفر منهم طائفةٌ للجهاد، وفرقة تقعد تتفقه في الدين، فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقَّهتها القاعدةُ وعلَّمتْها ما أُنزل من الدين والحلال والحرام، وعلىٰ هذا فيكون قوله «ليتفقهوا» و«لينذروا» للفِرقة التي نفرت منها طائفةٌ، وهذا قول الأكثرين، وعلىٰ هذا فالنفير نفير جهاد علىٰ أصله؛ فإنه حيث استُعمل إنما يُفهَم منه الجهاد. وعلىٰ القولين، فهو ترغيب في التفقُّه في الدين وتعلُّمه وتعليمه؛ فإن ذلك يعدل الجهادَ، بل ربما يكون أفضل منه، كما تقدَّم.

(وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران:١٨٧]) أي أُعطوه (﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾) أي لتظهرنَّه بالإعلام والتعليم (﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾) قال: (وهو إيجاب للتعليم) ويسمَّىٰ هذا: بيان الاختبار، ومنه أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

(وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة:١٤٦]) قال: (وهو تحريم للكتمان، كما قال تعالىٰ في الشهادة: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣]) وحقيقة الكَتْم: سترُ الشيء وتغطيته، وغلب في الحديث.

وأخرج الطبراني[1] بإسناد لا بأس به عن ابن عباس رفعه: «مَن كتم علمًا يعلمه أُلجم [يوم القيامة] بلجام من نار» قال: هي الشهادة تكون عند الرجل يُدعَىٰ إليها أو لا يُدعَىٰ وهو يعلمها فلا يرشد صاحبها إليها، فهذا هو العلم.

وأخرج أيضًا[2] من حديث سعد بن المدحاس: «من علم شيئًا فلا يكتمه».

(وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ

---

(١) المعجم الكبير ١١/ ٥. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) المعجم الكبير ٦/ ٥٦ وتمامه: «من علم شيئًا فلا يكتمه، ومن دمعت عيناه من خشية الله لم يحل له أن يلج النار أبدًا إلا تحلة الرحمن، ومن كذب عليَّ فليتبوأ بيتًا في جهنم».

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣] قال الحسن[١]: هو المؤمن أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلىٰ ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، فهذا حبيب الله، هذا وليُّ الله، فمقام الدعوة إلىٰ الله أفضل مقامات العبد.

(وقال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]) اعلم[٢] أن المنتفع بآيات الله من الناس نوعان:

أحدهما: ذو القلب الواعي الذكي الذي يكتفي بهدايته بأدنىٰ تنبيه، فهذا لا يحتاج إلا إلىٰ وصول الهدىٰ إليه؛ لكمال استعداده وصحة فطرته، فإذا جاءه الهدىٰ سارع قلبُه إلىٰ قبوله كأنه مكتوب فيه، وهذه حال أكمل الخَلْق استجابةً لدعوة الرسل، كما هي حال الصِّدِّيق رضي الله عنه.

والنوع الثاني: مَن ليس له هذا الاستعداد والقبول، فإذا ورد عليه الهُدَىٰ أصغىٰ إليه سمعه، وأحضر قلبه، وعلم صحته وحُسْنه بنظره واستدلاله، وهذه طريقة أكثر المستجيبين، والأوَّلون هم الذين يُدعَون بالحكمة، وهؤلاء يُدعَون بالموعظة الحسنة.

فهؤلاء نوعا المستجيبين، وأما المعارضون الدافعون[٣] للحق فنوعان، نوع يُدعَون بالمجادلة بالتي هي أحسن، فإن استجابوا وإلا فالمجالدة، فهؤلاء لا بد لهم من جدال أو جِلاد، ومَن تأمَّل دعوة القرآن وجدها شاملة لهؤلاء الأقسام، كما بيَّن ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ الآية، وأما أهل الجِلاد فهم الذين أمر اللهُ تعالىٰ بقتالهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وأما مَن فسَّر قوله تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ أنها القياس البرهاني ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٢٩. الزهد والرقائق لابن المبارك ص ٣٩٩.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٥١٦ باختصار.

(٣) في المفتاح: المدَّعون.

القياس الخِطابي ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ القياس الجَدَلي، فهذا ليس من تفسير الصحابة ولا التابعين، ولا أحد من أئمة التفسير، بل هو تحريف لكلام الله تعالىٰ، وحملٌ له علىٰ اصطلاح المنطقية، وهذا من جنس تفاسير القرامطة والباطنية والمعتزلة، والقرآن بريء من ذلك كله، منزَّه عن هذه الهذيانات.

(وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩، آل عمران:١٦٤، الجمعة:٢]) الحكمة[1] في تعارف الشرع: اسم للعلوم المُدرَكة بالعقل، وقد أُفرد ذِكرُها في عامَّة القرآن عن الكتاب فجُعل الكتاب اسمًا لِما لا يُدرَك إلا من جهة النبوَّة، والحكمة لما يُدرَك من جهة العقل، وجُعلا منزَّلينِ، وأن إنزالهما من الله تعالىٰ، وقد يكونان مختلفينِ وجُمع بينهما في الذِّكر لحاجة كل واحد منهما إلىٰ الآخر، فقد قيل: لولا الكتاب لأصبح العقل حائرًا، ولولا العقل لم يُنتفَع بالكتاب. وقيل: الكتاب بمنزلة اليد، والحكمة[2] بمنزلة الميزان، ولا تُعرَف المقادير إلا بهما، ولذلك عُبِّر عن الحكمة بالميزان في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ [الشورىٰ:١٧] ولا يبلغ الحكمةَ إلا أحد رجلين: إما مهذَّب في فهمه، موفَّق في فعلِه، ساعده معلِّم ناصح وكفايةٌ وعُمْر، وإما إلهي يصطفيه الله فيفتح عليه أبواب الحكمة بفيض إلهي، ويُلقِي إليه مقاليد جوده فيبلِّغه ذروةَ السعادة، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

(وأما الأخبار، فقال النبي ﷺ: ما آتىٰ اللهُ عالمًا علمًا إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبيِّنه للناس ولا يكتمه) قال العراقي: يُروَىٰ عن أبي هريرة وابن مسعود؛ أما حديث أبي هريرة فرويناه في جزء ابن نظيف وفي فوائد الخُلَعي من طريقه من رواية موسىٰ بن محمد عن يزيد بن مسور [عن الزهري][3] عن ابن

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ١٠٤.

(٢) في الذريعة: والعقل.

(٣) زيادة من العلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ١٠٤، والحديث فيه كما سيذكره المصنف قريبًا.

المسيَّب عن أبي هريرة رفعه، وفيه: «أن لا يكتم»، وموسىٰ بن محمد البَلْقاوي كذَّبه أبو زُرْعة وأبو حاتم وغيرُهما[١]. ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» من طريقه، وأعلَّه به، وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس[٢] من رواية عبد الملك بن عطية عن ابن شهاب عن ابن المسيَّب عن أبي هريرة، وعبد الملك بن عطية قال فيه الأزدي: ليس حديثه بالقائم[٣].

وأما حديث ابن مسعود فرواه أبو نعيم في «فضل العالم العفيف» من رواية عبد الله بن صالح عن محمد بن عبد الله الموصلي عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليس من عالِم إلا وقد أخذ الله عليه ميثاقَه يوم أخذ ميثاق النبيين»[٤]. وعبد الله بن صالح مختلَفٌ في الاحتجاج به[٥]. ا.هـ.

قلت: أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه العراقي في جزء له أَلَّفه في الذَّبِّ عن مسند الإمام أحمد[٦]، وساق سنده إلىٰ محمد بن الفضل بن نظيف، أخبرنا أحمد بن الحسن الرازي، أخبرنا بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا موسىٰ بن محمد ... فذكره، ثم قال: موسىٰ بن محمد هو البلقاوي، متَّهم، لكن له شاهد بإسناد صالح من حديث ابن مسعود رويناه في كتاب «فضل العالم العفيف [علىٰ الجاهل الشريف][٧]» لأبي نعيم.

---

(١) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٢١٩.

(٢) فردوس الأخبار ٤/ ٣٧٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٦٠.

(٤) وأخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ٣/ ٤٢٧.

(٥) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٢/ ٤٤٠ - ٤٤٥.

(٦) القول المسدد لابن حجر ص ٥.

(٧) زيادة من القول المسدد.

وقال تلميذه الحافظ ابن حجر في «القول المسدد» بعد أن نقل كلام شيخه هذا[١]: احتجاجه بهذا الحديث واعترافه بأن موسىٰ البلقاوي متَّهم -أي إن الحُفَّاظ اتَّهموه بالكذب- لا يصح؛ لأنه إذًا لذلك لا يُحتجُّ بحديثه، وقد أخرج أبو نعيم في الحلية هذا الحديث من وجه آخر عن أبي هريرة، وفيه مَن لا يُعرَف، وهو من رواية محمد بن عَبْدة القاضي، وكان يدَّعي سماعَ ما لم يسمع، وهو مشهور. ا.هـ. كلام الحافظ.

وقد أورد الديلمي في الفردوس هذا الحديث عن أبي هريرة وساقه، ثم قال: وفي الباب عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب، ولفظُ الأخير[٢]: «ما أخذ الله ميثاق الجاهل أن يتعلَّم حتىٰ أخذ ميثاق العالِم أن يعلِّمه».

(وقال ﷺ لمَّا بعث معاذًا إلىٰ اليمن: لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من الدنيا وما فيها) وفي نسخة: خير لك من حُمر النَّعم.

قال العراقي: رواه أحمد في مسنده قال[٣]: حدثنا حيوة بن شُرَيح، حدثني بقية، حدثني ضُبارة بن عبد الله، عن دُوَيد بن نافع، عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: «يا معاذ، لأنْ يهدي الله علىٰ يديك رجلاً من أهل الشِّرك خيرٌ لك من أن تكون لك حُمْر النَّعَم». وإسناده منقطع؛ لأن دويد بن نافع لم يسمع من أحد من الصحابة، إنما أرسل عنهم. ا.هـ.

قلت: حمر النعم[٤]: خيارها وأفضلها عند أهلها، وفيه دليل علىٰ فضل العلم [والتعليم] وجليل منزلة أهله، بحيث [إنه] إذا اهتدىٰ رجل واحد بالعلم خير له من

---

(١) القول المسدد ص ١٠.

(٢) فردوس الأخبار ٤/ ٣٧٥.

(٣) مسند أحمد ٣٦/ ٣٩٢.

(٤) حياة الحيوان الكبرىٰ للدميري ٢/ ٤٩١ (ط - دار الكتب العلمية). والزيادات التي بين حاصرتين منه.

تلك، فما الظن بمَن يهتدي علىٰ يديه كلَّ يوم طوائفُ من الناس؟

قال العراقي: وفي الباب عن سهل بن سعد، رواه البخاري ومسلم[١] والنسائي[٢] من رواية أبي حازم عن سهل بن سعد في قصة بعثِ النبي ﷺ عليَّ بن أبي طالب إلىٰ خيبر، وفي آخره: «فوالله لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من أن تكون لك حُمْر النَّعم». ا.هـ.

قلت: ولفظ البخاري في الصحيح[٣]: حدثنا قُتَيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه» ... فذكر الحديث في طلبه عليًّا وإعطائه الراية، وفيه: فقال عليٌّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتىٰ يكونوا مِثلنا؟ فقال: «انفُذْ، علىٰ رِسْلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادْعُهُم إلىٰ الإسلام، وأخبِرْهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأنْ يهدي بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم».

وأخرج الطبراني[٤] والترمذي الحكيم[٥] عن أبي رافع قال: بعث رسول الله ﷺ عليًّا إلىٰ اليمن، فعقد له لواءً، فلمَّا مضىٰ قال: «يا أبا رافع، الحقْه، ولا تَدْعُه من خلفِه، وليقفْ، ولا يلتفت حتىٰ أجيئه». فأتاه فأوصاه بما شاء[٦] وقال: «[يا علي][٧] لأنْ يهدي الله علىٰ يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمسُ وغربت».

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٢٩.

(٢) سنن النسائي الكبرىٰ ٧/ ٣١٠، ٤١٣، ٨/ ٨.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣٦١.

(٤) المعجم الكبير ١/ ٣٣٢.

(٥) نوادر الأصول ١/ ٤١٨ مختصرا.

(٦) في المعجم الكبير: بأشياء.

(٧) زيادة من المعجم الكبير.

قال الهيثمي[١]: فيه يزيد بن أبي زياد مولىٰ ابن عيَّاش، ذكره المِزِّي في الرواة عن أبي رافع[٢]، وابنُ حبَّان في الثقات[٣].

وأخرجه أبو داود[٤] عن سهل بن سعد بلفظ: «واللهِ لأنْ يُهدَىٰ بِهُداك رجلٌ [واحد] خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم».

(وقال ﷺ: مَن عَلِمَ وعمل وعلَّم فذاك يُدعَىٰ عظيمًا في مَلَكوت السموات)

لم يخرِّجه العراقي، وفي بعض النسخ: وقال عيسىٰ عليه السلام، وهكذا أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي في كتاب العلم، قال[٥]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن بِشر بن منصور، عن ثور، عن عبد العزيز بن ظَبْيان قال: قال المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: مَن تعلَّم وعلَّم وعمل فذاك يُدعَىٰ عظيمًا في ملكوت السماء.

وأخرج ابن الجوزي في كتاب ترجمة سفيان الثوري[٦] بسنده إلىٰ شعيب بن حرب عن سفيان قال: مَن عَلِمَ وعمل وعلَّم دُعي عظيمًا في ملكوت السماء.

وقال الترمذي[٧]: سمعت أبا عمار الحسين بن حُرَيث الخزاعي قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: عالم عامل معلِّم يُدعَىٰ كبيرًا في ملكوت السماء.

قلت: وقد رُوي مرفوعًا من حديث ابن عمر، أخرجه الديلمي في مسند

---

(١) مجمع الزوائد ٥/ ٦٠٢.

(٢) الذي ذكره المزي في تهذيب الكمال ٣٢/ ١٣٢ أنه روىٰ عن عبد الله بن رافع مولىٰ أم سلمة ﷺ، وليس عن أبي رافع الصحابي.

(٣) الثقات ٧/ ٦٢٢.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٢٤٥. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٥) العلم ص ٧.

(٦) مناقب الإمام الأعظم سفيان الثوري لابن الجوزي - اختصار الإمام الذهبي ص ٣٠ (ط - مكتبة الصحابة بطنطا).

(٧) سنن الترمذي ٤/ ٤١٦.

الفردوس، ولفظه: «مَن تعلَّم لله وعلَّم لله كُتب في ملكوت السموات والأرض عظيمًا»[١].

(وقال ﷺ: مَن تعلَّم بابًا من العلم ليعلِّم الناسَ أُعطي ثواب سبعين صِدِّيقًا)

قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الله الحاكم قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا جعفر بن سهل المذكِّر، حدثنا محمد بن مروان الأميدي، حدثنا الجارود بن يزيد، حدثنا محمد بن عُلاثة القاضي، حدثنا عبدة بن أبي لبابة، عن الأسود بن يزيد، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تعلَّم بابًا من العلم ليعلِّمه الناسَ ابتغاءَ وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيًّا». كذا قال: نبيًّا، وهو منكَر، وجعفر بن سهل والجارود بن يزيد كذَّابان، ومحمد بن عبد الله بن عُلاثة القاضي مختلَفٌ في الاحتجاج به. ا.هـ.

قلت: وفي الفردوس للديلمي[٢] عن أنس: «مَن تعلَّم بابًا من العلم وعمل به حشره الله يوم القيامة مع المتقدِّمين الأخيار الأبرار الأتقياء، وله في الجنة سبعون قَهْرمانًا».

قال العراقي: وللطبراني في المعجم الكبير[٣] من رواية يوسف بن عطية قال: حدثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصي، عن مكحول، عن أبي أُمامة رفعه: «أيُّما ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتىٰ يكبُر أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صِدِّيقًا». ويوسف بن عطية الصَّفَّار منكر الحديث[٤].

---

(١) كنز العمال ١٠/ ١٦٤.

(٢) فردوس الأخبار ٤/ ٧٨ وزاد في آخره: بيد كل قهرمان مثل الدنيا مسيرة خمسمائة عام عرضها، وخمسمائة عام طولها.

(٣) المعجم الكبير ٨/ ١٥٣.

(٤) انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٦٨.

ورواه الطبراني في مسند الشاميين[1] من رواية أبي سِنان الشامي عن مكحول مقتصرًا علىٰ ذِكر العبادة، وقال: أجر تسعة وتسعين صِدِّيقًا. وأبو سِنان هو القَسْمَلي، مختلَفٌ فيه[2].

(وقال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالىٰ للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة، فيقول العلماء: بفضل عِلْمنا تعبَّدوا وجاهَدوا، فيقول الله تعالىٰ: أنتم عندي كبعض ملائكتي، اشفعوا تشفعوا. فيشفعون ثم يدخلون الجنة) قال العراقي: رواه المُرْهِبي في العلم من رواية[3] محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يجمع الله العلماء والغزاة والمرابطين وأهل الصوم والصلاة والزكاة والحج، فيقول للمرابطين والغُزاة وأصناف الخير: ادخلوا الجنة، فيصيح العلماء صيحةً واحدة فيقولون: يا ربنا، بفضل عِلْمنا جاهدوا ورابطوا وصاموا وصلَّوا وزكَّوا وحجُّوا. فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: لستم عندي في عِداد أولئك، أنتم عندي في عِداد الملائكة، قِفُوا حتىٰ تشفعوا لمن أحببتم، ثم تدخلوا الجنة». ومحمد بن السائب الكلبي ضعيف جدًّا.

ورواه ابن السني مختصرًا في «رياضة المتعلِّمين» من رواية حبيب بن أبي حبيب، حدثنا شِبْل بن عَبَّاد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله رفعه:

---

(١) مسند الشاميين ٤/ ٣١٨.

(٢) اسمه عيسىٰ بن سنان الفلسطيني، ضعفه أحمد وابن معين، وقواه بعضهم يسيرًا، وقال العجلي: لا بأس به، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٣١٢.

(٣) وكذا ابن عمشليق في جزئه ص ٤٤ ولفظه: «إذا كان يوم القيامة يجمع الله العلماء والمرابطين والقراء والعباد، فيقول للعباد والمجاهدين والقراء والمرابطين: ادخلوا الجنة برحمتي. فيصيح العلماء صيحة واحدة فيقولون: يا ربنا، بفضل علمنا جاهدوا ورابطوا وتعبدوا وصاموا وصلوا، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: لستم أنتم عندي في عداد أولئك، أنتم عندي في عداد الملائكة، قفوا حتىٰ تشفعوا لمن أحببتم، ثم تدخلوا الجنة».

«يبعث الله العالم والعابد فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالِم: اثبتْ حتىٰ تشفع للناس كما أحسنتَ أدبهم»[١]. وحبيب بن أبي حبيب هو كاتب مالك، كذَّبه ابن معين وغيره[٢].

وقد رواه ابن عبد البر في العلم[٣] فقال فيه : حبيب بن إبراهيم قال : حدثنا شِبْل بن العلاء عن محمد بن المنكدِر . والصواب ما تقدَّم من أنه شبل بن عبَّاد، وهو القارئ المكي، وقد أخرج له البخاري، وحبيب بن إبراهيم هو كاتب مالك، واسم أبيه إبراهيم علىٰ أحد الأقوال، وقيل: مرزوق، وقيل: زُرَيق. ا.هـ.

قلت: وحديث جابر هذا قد أخرجه أيضًا ابن عدي في الكامل والبيهقيُّ وضعَّفه.

قال العراقي: وروىٰ الأصفهاني في «الترغيب والترهيب»[٤] من طريق ابن أبي عاصم، حدثنا الحُلْواني، حدثنا خازم بن خزيمة، عن عثمان بن عمر القرشي، عن مكحول، عن أبي أُمامة رفعه: «يُجاء بالعالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: قِفْ حتىٰ تشفع للناس». وخازم بن خزيمة هو أبو خزيمة البخاري، قال السُّلَيماني: فيه نظر[٥].

قلت: ورواه ابن جُرَيج عن عطاء عن ابن عباس بلفظ: «إذا كان يوم القيامة يؤتَىٰ بالعابد والفقيه، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للفقيه: اشفع تُشفَّع»[٦].

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث أثناء الكلام علىٰ الحديث الثامن والعشرين أول الباب.

(٢) في ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٤٥٢: «قال ابن معين: كان يقرأ علىٰ مالك ويتصفح ورقتين ثلاثة فسألوني عنه بمصر، فقلت: ليس بشيء. وقال أحمد: ليس بثقة. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها موضوعة».

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٠٨.

(٤) الترغيب والترهيب ٣/ ١٠٠.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ٦٢٦.

(٦) الفقيه والمتفقه للخطيب ١/ ١١١.

ويُروَىٰ أيضًا[1]: «إذا كان يوم القيامة يقول الله للعابد: ادخل الجنة، فإنما كانت منفعتك لنفسك، ويقال للعالم: اشفع تُشفَّع، فإنما كانت منفعتك للناس». انتهىٰ.

(وهذا إنما يكون بالعلم المتعدِّي بالتعليم، لا العلم اللازم الذي لا يتعدَّىٰ.

وقال ﷺ: **إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينتزع العلم انتزاعًا من الناس بعد أن يؤتيهم إيَّاه، ولكن يذهب بذَهاب العلماء، فكلما ذهب عالمٌ ذهب بما معه من العلم، حتىٰ إذا لم يُبْقِ إلا رؤساء جُهَّالاً إن سُئلوا أفتوا بغير علم فيَضِلُّون ويُضِلُّون)** قال العراقي: أخرجه الستة[2] خلا أبا داود من رواية عُرْوة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه، ولفظُهم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلمَ بقبض العلماء، حتىٰ إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». لفظ مسلم، وقال البخاري: من العباد، بدل «من الناس»، وقال: حتىٰ إذا لم يُبْقِ. وفي رواية له: «إن الله لا ينتزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقىٰ ناسٌ جُهَّال يُستفتَون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون». وفي لفظ لمسلم: «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا، ولكن يقبض العلماء فينتزع العلمَ معهم، ويُبقِي في الناس رؤوسًا جُهَّالاً يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلُّون».

وفي رواية لعبد الرزاق[3] عن معمر عن الزهري عن عروة: «إن الله لا ينزع العلمَ من الناس بعد أن يعطيه إياهم، ولكن يذهب بالعلماء، كلما ذهب عالمٌ ذهب بما معه من العلم حتىٰ يبقىٰ مَن لا يعلم فيَضلوا ويُضلوا». رواه النسائي. ا.هـ.

---

(١) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه ١/ ١١١ من حديث أنس بن مالك.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٥٣، ٤/ ٣٦٥. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٢. سنن الترمذي ٤/ ٣٩٠. سنن النسائي الكبرىٰ ٥/ ٣٩١. سنن ابن ماجه ١/ ٧٩.

(٣) مصنف عبد الرزاق ١١/ ٣٥٤.

قلت: ورواه الإمام أحمد في مسنده[١]، وسياقه كسياق البخاري، وزاد الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه الخُلَعي في فوائده، وزاد في آخره: عن سواء السبيل.

وأخرجه ابن عساكر[٢] برواية يحيىٰ بن يحيىٰ بن عبد الرحمن عن عباد بن عباد، ومن طريق هشام بن عمَّار عن عبد الله بن الحارث الجُمَحي، كلاهما عن هشام بن عُرْوة عن أبيه.

وقال الحافظ ابن حجر[٣]: قد اشتهر هذا الحديث من رواية هشام، فوقع لنا من رواية أكثر من سبعين نفسًا عنه.ا.هـ.

قلت: منها ما أخرجه البخاري في العلم عن أبي أُوَيس عن مالك عن هشام، ورواه مسلم في العلم[٤] عن قُتَيبة عن جرير، وعن أبي الربيع الزهراني عن حماد ابن زيد، وعن يحيىٰ بن يحيىٰ عن عباد بن عباد وأبي معاوية، وعن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب كلاهما عن وكيع، وعن أبي كُرَيب عن أبي عبد الله ابن إدريس وأبي أسامة وعبد الله بن نُمَير وعَبْدة بن سليمان، وعن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة، وعن محمد بن حاتم عن يحيىٰ بن سعيد، وعن أبي بكر بن نافع عن عمر بن علي المديني، وعن عبد بن حُمَيد عن يزيد بن هارون عن شعبة، الثلاثة عشر كلُّهم عن هشام.

ويُرْوَىٰ أيضًا من حديث عائشة وأبي هريرة وأبي سعيد؛ فحديث عائشة عند البزار[٥] من رواية يونس عن الزهري عن عروة عنها، وقال: تفرَّد به يونس.

---

(١) مسند أحمد ١١/ ٥٩، ٣٩٥، ٤٩٨.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٢٦٠.

(٣) فتح الباري ١/ ٢٣٥.

(٤) في المطبوعة: القدر. وما أثبتناه هو الصواب.

(٥) مسند البزار ١٨/ ١٤١.

وأما حديث أبي هريرة فعند الطبراني في الأوسط[(١)] من رواية العلاء بن سليمان الرَّقي عن الزهري عن أبي سَلَمة عنه، وقال: تفرَّد به العلاء.

وأما حديث أبي سعيد فرواه الطبراني فيه أيضًا[(٢)] من رواية عمرو بن الحارث عن دَرَّاج عن أبي الهيثم عنه، وقال: تفرَّد به الحجاج بن رِشْدين عن أبيه عن عمرو بن الحارث.

وقد جمع في طرق هذا الحديث الحافظُ أبو بكر الخطيب جزءًا حافلاً.

(وقال ﷺ: من علم علمًا فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) يُروَىٰ هذا عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وأبي سعيد وأنس بن مالك وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وطَلْق بن علي وجابر، ولا يصح منها إلا حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس، ولم أرَه بلفظ المصنف إلا في تاريخ ابن النجار عن ابن عمرو، إلا أن فيه: ثم كتمه.

أما حديث أبي هريرة، قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبَّان في صحيحه من رواية علي بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح عنه رفعه، ولفظه: «مَن سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة». لفظ أبي داود[(٣)]، وقال الترمذي[(٤)]: «مَن سُئل عن علم عَلِمَه فكتمه أُلجم يوم القيامة بلِجام من نار» وقال: حديث حسن. وقال ابن ماجه[(٥)]: «ما من رجل يحفظ علمًا فيكتمه

---

(١) المعجم الأوسط ٦/ ٢٧٧.

(٢) المعجم الأوسط ٢/ ٢٥٠ ولفظه: «يقبض الله ﷻ العلماء قبضـًا، ويقبض العلم معهم، فينشأ أحداثٌ ينزو بعضهم علىٰ بعض نزو العير علىٰ العير، ويكون الشيخ فيهم مستضعفا».

(٣) سنن أبي داود ٤/ ٢٤٤.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٣٨٧.

(٥) سنن ابن ماجه ١/ ٢٤٠. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

إلا أُتي [به] يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار». وقال ابن حبان[١]: «مَن كتم علمًا تلجَّم بلجام من نار يوم القيامة».

ورواه الحاكم في المستدرك[٢] من رواية القاسم بن محمد بن حماد عن أحمد ابن عبد الله بن يونس عن محمد بن ثور عن ابن جريج قال: جاء الأعمش إلىٰ عطاء فسأله عن حديث فحدَّثه، فقلنا له: تحدِّث هذا وهو عراقي؟! فقال: لأني سمعت أبا هريرة يحدِّث عن النبي ﷺ قال: «مَن سُئل عن علم فكتمه جِيءَ به يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار». وقال: هذا حديث صحيح[٣] علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال العراقي: لا يصح من هذا الطريق؛ لضعفِ القاسم بن محمد بن حماد الدَّلاَّل الكوفي، قال الدارقطني: حُدِّثنا عنه وهو ضعيف، فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه. قال الدارقطني في الجزء السابع من الأفراد[٤]: وإنما يُعرَف هذا من حديث علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة.

ثم قال الحاكم: ذاكرتُ شيخنا أبا عليٍّ بهذا الباب، ثم سألته: هل يصح شيء من هذه الأسانيد عن عطاء؟ فقال: لا. قلت: لِمَ؟ قال: لأن عطاء لم يسمعه من أبي هريرة. ثم رواه له أبو علي عن محمد بن أحمد بن سعيد الواسطي عن أزهر بن مروان عن عبد الوارث بن سعيد عن علي بن الحكم عن عطاء عن رجل عن أبي هريرة. قال الحاكم: فقلت له: قد أخطأ فيه أزهر بن مروان أو شيخكم، وغير مستبدع منهما الوهم. ثم رواه الحاكم من رواية مسلم بن إبراهيم عن عبد الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن عطاء عن أبي هريرة. قال: فاستحسنه أبو علي

---

(١) صحيح ابن حبان ١/ ٢٩٧.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٧٠.

(٣) في المطبوعة: حسن صحيح. وما أثبتناه هو نص المستدرك.

(٤) أطراف الغرائب والأفراد لمحمد بن طاهر المقدسي ٢/ ٣٢٦ (تحقيق: جابر بن عبد الله السريع).

واعترف لي به. قال الحاكم: ثم لمَّا جمعتُ الباب وجدتُ جماعة ذكروا فيه سماع عطاء من أبي هريرة.

وقال العراقي في إصلاح المستدرك: وقد رواه أبو داود الطيالسي فقال[1]: حدثنا عُمارة بن زاذان، حدثنا علي بن الحكم، عن عطاء، عن أبي هريرة رفعه: «مَن حفظ علمًا فسُئل عنه فكتمه جِيءَ به يوم القيامة ملجومًا بلجام من نار». وقال[2]: هذا حديث حسن، أخرجه الترمذي عن أحمد بن بُدَيل اليامي عن عبدالله بن نُمَير، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أسود بن عامر، كلاهما عن عمارة بن زاذان، وقد تابع عمارةَ عليه حمادُ بن سَلَمة، أخرجه أبو داود عن موسىٰ بن إسماعيل عنه، وأخرجه ابن حبان في النوع التاسع والمائة من القسم الثالث عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن إبراهيم عن النضر ابن شُمَيل عنه، وتابع عليَّ بن الحكم علىٰ روايته سليمانُ التيمي وابن جريج.

قال العراقي: قد أعلَّه أبو الحسن القَطَّان في كتاب «بيان الوهم والإيهام»[3] برواية عبد الوارث وإدخاله رجلاً [مجهولا][4] بين علي بن الحكم وعطاء. قال: وقد قيل إنه حجاج بن أرطأة. قلت: قد صح عن علي بن الحكم أنه قال في هذا الحديث: حدثنا عطاء، وهي رواية ابن ماجه، فاتصل إسنادُه، ثم وجدتُه عن جماعة صرَّحوا بالاتصال في الموضعين، رويناه في الجزء السادس والعشرين من فوائد تمام[5] من رواية معاوية بن عبد الكريم والعلاء بن خالد الدارمي وسعيد ابن راشد قالوا: حدثنا عطاء قال: سمعت أبا هريرة.

---

(١) مسند الطيالسي ٤/ ٢٦٦.

(٢) أي العراقي.

(٣) بيان الوهم والإيهام ٢/ ٤٢٥.

(٤) زيادة من بيان الوهم.

(٥) فوائد تمام ١/ ١٦٣.

قال ابن القطان: واعلمْ أن له إسنادًا صحيحًا. ثم ذكره[١] من طريق قاسم بن أصبغ من رواية معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء عن أبي هريرة. قال ابن القطان: هؤلاء كلهم ثقات. قال العراقي: وله طريق آخر صحيح من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة، أورده ابن ماجه[٢].

وقال الحافظ ابن حجر في «القول المسدد»[٣]: والحديث وإن لم يكن في نهاية الصحة، لكنه صالح للحُجة، وهو علىٰ كل حال أَولىٰ من حديث البلقاوي.

يعني الذي تقدَّم ذِكرُه.

وأما حديث ابن عمرو، فقال العراقي: رواه ابن حبان في صحيحه[٤] والحاكم في المستدرك[٥]، فابن حبان من طريق أبي الطاهر بن السَّرْح، والحاكمُ من رواية ابن عبد الحكم، كلاهما عن ابن وهب عن عبد الله بن عَيَّاش عن أبيه عن أبي عبدالرحمن الحُبُلِّي عن عبد الله بن عمرو رفعه، ولفظُه: «مَن كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار». قال الحاكم: هذا إسناد صحيح لا غبار عليه من حديث المصريين علىٰ شرط الشيخين، وليس له علة.

قال العراقي في إصلاح المستدرك: أمَّا علىٰ شرط الشيخين فلا، وقد أعلَّه ابن الجوزي في «العلل المتناهية»[٦] بأن فيه عبد الله بن وهب الفسوي، قال ابن حبان[٧]: دجَّال يضع الحديث. قال العراقي: وهذا تخليط من ابن الجوزي، وإنما هو عبد الله بن وهب الإمام صاحب الإمام مالك، والإسناد مصريون، فلا التفات

---

(١) بيان الوهم والإيهام ٥/ ٢١٨.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٢٤٣.

(٣) القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد ص ١١.

(٤) صحيح ابن حبان ١/ ١٠٩.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٧١.

(٦) العلل المتناهية ١/ ٩٩، ١٠٥.

(٧) المجروحين لابن حبان ١/ ٥٣٧.

إلىٰ كلام ابن الجوزي، ولو أعلَّه بعبد الله بن عياش لكان له وجهٌ، فقد ضعَّفه أبو داود والنسائي[١]، وهو قريب من ابن لهيعة، وأخرج له مسلم حديثًا واحدًا[٢]، ووثَّقه ابن حبان[٣].

قلت: وحديث ابن عمرو هذا قد أخرجه الطبراني أيضًا في الكبير[٤].

وأما حديث أبي سعيد الخُدْري فقال العراقي: رواه ابن ماجه[٥] من رواية محمد بن داب عن صفوان بن سُلَيم عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه رفعه، ولفظُه: «مَن كتم علمًا مما ينفع اللهُ به من أمر الناس في الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار». ومحمد بن داب كذَّبه أبو زُرْعة[٦].

قلت: وفي بعض نسخ السنن: مما ينفع اللهُ به الناسَ من أمر الدين.

وأما حديث أنس فقال العراقي: رواه ابن ماجه[٧] أيضًا من رواية يوسف بن إبراهيم قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن سُئل عن علم فكتمه ...» الحديث، ويوسف هذا ضعَّفه أبو حاتم[٨] والبخاري[٩].

---

(١) وقال أبو حاتم: صدوق ليس بالمتين.
ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٤٧٠.

(٢) هو حديث عقبة بن عامر قال: نذرت أختي أن تمشي إلىٰ بيت الله حافية، فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله ﷺ، فاستفتيته، فقال: «لتمشِ ولتركب». صحيح مسلم ٢/ ٧٧٥.

(٣) الثقات لابن حبان ٨/ ٣٣٤.

(٤) المعجم الكبير ١٣/ ٢٠.

(٥) سنن ابن ماجه ١/ ٢٤٣.

(٦) ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٤٥٠.

(٧) سنن ابن ماجه ١/ ٢٤٢.

(٨) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٢١٨ ونصه: «ضعيف الحديث، منكر الحديث، عنده عجائب».

(٩) التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣٧٧ وقال: عنده عجائب.

قلت: وأخرج ابن عدي[١] عن أنس: «مَن كتم علمًا عنده أو أخذ عليه أجرًا لقي اللهَ يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار».

وأما حديث ابن مسعود فرواه الطبراني[٢] بإسنادين ضعيفين؛ قاله العراقي.

قلت: ولفظه: «مَن كتم علمًا عن أهله أُلجم يوم القيامة لجامًا من نار». هذا لفظ أبي داود، وعند ابن عدي في الكامل[٣] والسجزي في الإبانة والخطيب في التاريخ[٤]: «مَن كتم علمًا يُنتفَع به ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار».

وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني[٥] أيضًا بإسناد لا بأس به، وأبو يعلىٰ[٦] بإسناد جيد؛ قاله العراقي.

قلت: ولفظه: «مَن كتم علمًا يُنتفَع به يعلمه ...» الحديث، وفي آخره زيادة ذكرناها في أول الفصل عند ذِكر الآيات[٧].

وأخرجه ابن عساكر[٨] والخطيب[٩] والطبراني أيضًا بلفظ: «مَن سُئل عن علم نافع فكتمه جاء يوم القيامة ملجَمًا بلجام من نار».

وأما حديث ابن عمر فقال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل[١٠] من رواية

---

(١) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٦٢٠.

(٢) المعجم الكبير ١٠/ ١٢٥، ١٥٨.

(٣) الكامل ٣/ ١٢٩٣.

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٥٩٤.

(٥) المعجم الكبير ١١/ ٥، ١٤٥.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٤٥٨ وزاد: ومن قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار.

(٧) هي قوله: هي الشهادة تكون عند الرجل ... الخخ.

(٨) تاريخ دمشق ٤٣/ ٥٤١.

(٩) تاريخ بغداد ٦/ ٣٧٦، ٨/ ٤٢١.

(١٠) الكامل ٣/ ٧٨١.

حسان بن سِياه عن الحسن بن ذكوان عن نافع عن ابن عمر، وقال: هذا الحديث عن نافع لا أعلم يُروَىٰ إلا من هذا الوجه، وحسان بن سياه له أحاديث عامَّتها لا يتابعه غيرُه عليها، والضعف بيِّنٌ علىٰ رواياته وحديثه.

قلت: وأخرجه كذلك الطبراني في الأوسط[١] والدارقطني في الأفراد[٢] بلفظ حديث أبي هريرة.

وأما حديث طَلْق بن علي فقال العراقي: رواه ابن عدي[٣] أيضًا والطبراني[٤] من رواية أيوب بن عُتْبة عن قيس بن طلق عن أبيه. قال ابن عدي: وهذا الحديث بهذا الإسناد غريب جدًّا. وأيوب ضعيف؛ قاله ابن معين[٥] والبخاري[٦].

قلت: وأخرجه الخطيب[٧] أيضًا من هذا الطريق.

وأما حديث جابر فأخرجه السجزي في الإبانة والخطيب في التاريخ[٨] بلفظ: «مَن كتم علمًا نافعًا عنده ...» الخ. وهذا قد أغفله العراقيُّ كما أغفل في مخرِّجَيْ حديث أبي هريرة: الإمام أحمد والبيهقي.

(وقال ﷺ: نِعْمت العطية ونعمت الهدية كلمةُ حكمةٍ تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها إلىٰ أخ لك مسلمٍ فتعلِّمه إيَّاها تَعْدِل عبادةَ سنة) قال العراقي: رواه ابن عبد البر

---

(١) المعجم الأوسط ٤/ ١٨٣.

(٢) أطراف الغرائب والأفراد لمحمد بن طاهر ١/ ٥٦٦.

(٣) الكامل في الضعفاء ١/ ٣٤٥.

(٤) المعجم الكبير ٨/ ٤٠١.

(٥) في ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٢٩٠: «قال ابن معين: ليس بالقوي».

(٦) التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٤٢٠ ونصه: «أيوب بن عتبة، أبو يحيىٰ، قاضي اليمامة، هو عندهم لين».

(٧) تاريخ بغداد ٩/ ١٧.

(٨) تاريخ بغداد ٨/ ١٠٠، ١٠/ ١٣٠.

في العلم[١] من حديث ابن عباس بهذا اللفظ ولم يذكر إسناده، وقد أسنده الطبراني فقال[٢]: حدثنا حجاج بن عمران السدوسي كاتب بكّار القاضي، حدثنا عمرو بن الحُصَين العقيلي، حدثنا إبراهيم بن عبد الملك السلمي، عن قتادة، عن عزرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رفعه: «نِعْم العطية كلمةُ حقٍّ تسمعها ثم تحملها إلىٰ أخ لك مسلمٍ فتعلِّمها إيَّاه». وعمرو بن الحُصَين تركه أبو حاتم[٣] وغيره.

(وقال ﷺ: **الدنيا ملعونة**) أي[٤] مطرودة مبعودة من الله تعالىٰ؛ فإنه لم ينظر إليها منذ خلقها (**ملعون ما فيها**) ممَّا شغل عن الله تعالىٰ وأبعد عنه، إلا ما قرَّبَ إليه فإنه محبوب محمود، كما أشار إليه قولُه: (**إلا ذِكر الله سبحانه وما والاه**) أي ما أحبَّه الله من الدنيا وهو العمل الصالح، والموالاة: المحبة بين اثنين، وقد تكون من واحد، وهو المراد هنا (**أو معلِّمًا أو متعلِّمًا**) قال ابن القيم[٥]: لمَّا كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوي لديه جناح بعوضة كانت وما فيها في غاية البعد منه، وهذا هو حقيقة اللعنة، وهو سبحانه إنما خلقها مزرعة للآخرة، ومَعْبَرًا إليها يتزوَّد منها عبادُه إليه، فلم يكن يقرِّب منها إلا ما كان متضمِّنًا لإقامة ذِكرِه، ومفضيًا إلىٰ مَحابِّه، وهو [العلم] الذي به يُعرَف [الله] ويُعبَد ويُذكَر ويُثنَىٰ عليه ويُمجَّد، ولهذا خلقها وخلق أهلها، وهو المطلوب، وما كان طريقًا إليه من العلم والتعلم فهو المستثنَىٰ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١١٠.

(٢) المعجم الكبير ١٢/ ٤٣.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٢٢٩ ونصه: «سمع منه أبي وقال: تركت الرواية عنه، ولم يحدثنا بحديثه وقال: هو ذاهب الحديث ليس بشيء، أخرج أول شيء أحاديث مشبهة حسانًا ثم أخرج بعد لابن علاثة أحاديث موضوعة فأفسد علينا ما كتبناه عنه فتركنا حديثه. وسئل أبو زرعة عنه عندما امتنع من التحديث عنه فقال: ليس هو في موضع يحدث عنه، هو واهي الحديث».
وانظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٢٥٣.

(٤) فيض القدير للمناوي ٢/ ٣٢٦.

(٥) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٦٩. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

من اللعنة، واللعنةُ واقعة علىٰ ما عداه؛ إذ هو بعيد عن الله وعن مَحابِّه وعن دينه، فهو متعلَّق العقاب [في الآخرة، فإنه كما كان متعلق اللعنة التي تتضمن الذم والبغض فهو متعلق العقاب] والله سبحانه إنما يحب من عباده ذِكره وعبادته ومعرفته ومحبته ولوازم ذلك وما أفضىٰ إليه، وما عداه فهو مبغوض له، مذمومٌ عنده.

وقال أبو العباس القرطبي: لا يُفهَم من هذا الحديث إباحةُ لعنِ الدنيا مطلقًا؛ لما رُوي من حديث أبي موسىٰ الأشعري رفعه: «لا تسبُّوا الدنيا»[١].

قال العراقي: رواه الترمذي[٢] وابن ماجه[٣] من رواية عطاء بن قُرَّة قال: سمعت عبد الله بن ضَمْرة قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الدنيا ...» فذكره، وقال: وعالم أو متعلِّم، لفظُ الترمذي وقال: حديث حسن غريب، وقال ابن ماجه: الدنيا، وقال: أو عالمًا أو متعلِّمًا.

قلت: وأخرجه الترمذي الحكيم في النوادر[٤] من طريق وُهَيْب عن عطاء بن قُرَّة السَّلُولي عن عبد الله بن ضمرة، ومن طريق إبراهيم الأسلمي عن رجل عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة، ولم يذكر قتيبة - يعني شيخه في الإسناد الأول: عن أبي هريرة، وسياقه كسياق المصنِّف، إلا أنه ليس فيه «وما والاه».

---

(١) حياة الحيوان الكبرىٰ للدميري ١/ ١٨٦. والحديث رواه الديلمي في فردوس الأخبار ٥/ ١٥٩ من حديث ابن مسعود، وتمامه: «لا تسبوا الدنيا، فنعم مطية المؤمن، عليها يبلغ الجنة، وبها ينجو من النار».

وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ٢١١ وأعله بإسماعيل بن أبان الغنوي، قال فيه البخاري: ترك أحمد والناس حديثه.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٥١.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٩.

(٤) نوادر الأصول ٢/ ١٢٣٩.

قال المناوي[١]: «وعالمًا ومتعلِّمًا» بنصبهما عطفًا على «ذِكر الله»، ووقع للترمذي «وعالم أو متعلِّم» [بلا ألف] لا لكونهما مرفوعينِ؛ لأن الاستثناء من موجَب، بل لأن طريقة[٢] كثير من المحدِّثين إسقاطُ الألف [من الخط]. ا.هـ. وفيه تأمُّلٌ.

قال العراقي: وفي الباب عن ابن مسعود؛ ذكره الدارقطني في العلل فقال[٣]: رواه أبو المطرف مغيرة بن مطرف عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عبدة ابن أبي لُبابة عن شقيق عن عبد الله رفعه: «الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها إلا عالم أو متعلِّم وذِكر الله» وقال: هذا إسناد مقلوب، وإنما رواه ابن ثوبان عن عطاء عن ابن ضمرة عن أبي هريرة، وهو الصحيح.

(وقال ﷺ: إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتىٰ النملة في جُحْرِها وحتىٰ الحوت في البحر لَيصلُّون علىٰ معلِّم الناس الخيرَ) قال العراقي: أخرجه الترمذي من رواية القاسم عن أبي أُمامة رفعه فذكره، ولم يقل: في البحر، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وهو بعض الحديث التاسع عشر، وقد تقدَّم، وقد فصله الطبراني[٤] منه فجعلهما حديثين وقال فيه: وحتىٰ الحوت في البحر، كما ذكره المصنِّف، إلا أنه لم يقل: وأهل السموات والأرض. ويُروَىٰ عن أبي هريرة أيضًا، وقد تقدَّم في الحديث التاسع عشر.

قلت: وحديث أبي هريرة أخرجه الطبراني في الكبير أيضًا، والضياء في المختارة، وسياقه كسياق حديث أبي أُمامة.

---

(١) فيض القدير ٢/ ٣٢٧. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) في الفيض: عادة.

(٣) علل الدارقطني ٥/ ٨٩.

(٤) المعجم الكبير ٨/ ٢٧٨.

(وقال ﷺ: ما أفاد المسلمُ أخاه فائدةً أفضل من حديث حسنٍ بَلَغَه فبَلَّغَه)

قال العراقـي: رواه ابن عبد البر[١] -مع اختلاف- مرسَلاً من حديث محمد ابن المنكدر عن النبي ﷺ قال: «من أفضل الفوائد حديث حسن يسمعه الرجلُ فيحدِّث به أخاه». وهو مرسَل حَسن الإسناد، قال ابن عيينة[٢]: لم ندرك أحدًا أجدر من أن يقبل الناسُ منه إذا قال «قال رسول الله ﷺ» [فلا نسأل عن مَن هو] [٣] من ابن المنكدر.

وروىٰ أبو نعيم من رواية إسماعيل بن عيَّاش عن عمارة بن غُزَيَّة عن عبيدالله ابن أبي جعفر عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أهدىٰ مسلم لأخيه هديةً أفضل من كلمة حكمة تزيده هدًىٰ أو تردُّه عن رَدًىٰ».

ورويناه من طريق أبي يعلىٰ الموصلي من هذا الوجه، وهو منقطع؛ فإن عبيدالله بن أبي جعفر المصري لم يسمع من عبد الله بن عمرو شيئًا، إنما روىٰ عن التابعين.

قلت: وأخرجه البيهقي في الشعب[٤] وتعقَّبه بأن في إسناده إرسالاً بين عبيد الله وعبد الله، وأورده الديلمي في الفردوس[٥] بهذا اللفظ، والضياء في المختارة، ولفظُه: «ما أهدىٰ المرءُ المسلم لأخيه هديةً»، وفيه: «يزيده اللهُ بها هدًىٰ أو يردُّه بها عن رَدًىٰ».

وقال الذهبي في الديوان[٦]: عبيد الله بن أبي جعفر، قال أحمد: ليس بالقوي.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٦١.

(٢) تاريخ دمشق ٥٦/ ٤٥. مسند علي بن الجعد ٢/ ٧١٤ (ط - مكتبة الفلاح بالكويت).

(٣) زيادة من تاريخ دمشق.

(٤) شعب الإيمان ٣/ ٢٦٤.

(٥) فردوس الأخبار ٤/ ٣٨٨.

(٦) ديوان الضعفاء ص ٢٦٤.

قال المناوي[(١)]: وفي إسناده أيضًا إسماعيل بن عياش، قالوا: ليس بالقوي، وعمارة بن غزية ضعَّفه ابن حزم، لكنه خولفَ، وفي معنىٰ الحديث قيل: كلمة لك من أخيك خير لك من مال [يعطيك]؛ لأن الحكمة تنجيك، والمال يطغيك.

(وقال ﷺ: كلمةٌ من الخير يسمعها المؤمن فيعلِّمها ويعمل بها خيرٌ له من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها) وفي بعض النسخ: كلمة من الحكمة، وسقطت الجملة الأخيرة من أكثر النسخ.

قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن محمد ابن علي بن الأشعث، حدثنا شريح بن عبد الكريم التميمي، حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن محمد بن أبي عائشة، عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه فذكره دون قوله «فيعمل بها ويعلِّمها»، وابن الأشعث هذا من الشيعة، رماه ابن عدي[(٢)] والدارقطني[(٣)] بالوضع.

ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق مرسَلاً فقال[(٤)]: أخبرنا عبد الرحمن بن

---

(١) فيض القدير ٥/ ٤٣٠. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٠٣ ونصه: «مقيم بمصر، كتبت عنه بها، حمله شدة ميله إلىٰ التشيع أن أخرج لنا نسخته قريبًا من ألف حديث عن موسىٰ بن إسماعيل بن موسىٰ بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده إلىٰ أن ينتهي إلىٰ علي والنبي ﷺ كتاب كتاب يخرجه إلينا بخط طري علىٰ كاغد جديد فيها مقاطيع، وعامتها مسندة مناكير كلها أو عامتها، فذكرنا روايته هذه الأحاديث عن موسىٰ هذا لأبي عبدالله الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان شيخًا من أهل البيت بمصر، فقال لنا: كان موسىٰ هذا جاري بالمدينة أربعين سنة ما ذكر قط أن عنده شيئًا من الرواية، لا عن أبيه ولا عن غيره».

(٣) نقل الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٢٨ عن السهمي قوله: سألت الدارقطني عنه، فقال: آية من آيات الله، وضع ذاك الكتاب. يعني العلويات.

(٤) الزهد والرقائق ص ٣٨٦ ولفظه: الكلمة من كلام الحكمة يسمعها الرجل المؤمن فيعمل بها أو يعلمها خير من عبادة سنة علىٰ زينتها.

زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ. وعبد الرحمن بن زيد ضعَّفه أحمد وأبو داود والنسائي[١] وغيرهم[٢].

قلت: وروىٰ الديلمي أيضًا عن أبي هريرة: «كلمة [حكمة] يسمعها الرجلُ خيرٌ له من عبادة سنة، والجلوس ساعةً عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة»[٣].

(**وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم، فرأىٰ مجلسين، أحدهما يدعون الله عَزَّوَجَلَّ**) وفي بعض النسخ: إلىٰ الله (**ويرغبون إليه، والثاني يعلِّمون الناس، فقال: أمَّا هؤلاء فيسألون الله تعالىٰ، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلِّمون الناسَ، وإنما بُعثتُ معلِّمًا. ثم عَدَلَ إليهم وجلس معهم**) هكذا أورده صاحب القوت[٤] بلا إسناد، إلا أن فيه: والآخر يتفقَّهون في الدين، ويعلِّمون الناس، فوقف بينهما.

وقال العراقي: رواه ابن ماجه[٥] من رواية داود بن الزِّبْرِقان عن بكر بن خُنَيس عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حُجَره فدخل المسجد، فإذا هو بحَلْقتين، أحدهما -كذا- يقرأون القرآن ويذكرون الله، والآخر -كذا- يتعلَّمون ويعلِّمون، فقال النبي ﷺ: «كلٌّ علىٰ خير، هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلَّمون ويعلِّمون، وإنما بُعثتُ معلِّمًا». فجلس معهم.

ومداره علىٰ عبد الرحمن بن زياد، وقد وثَّقه يحيىٰ بن سعيد، وقال

---

(١) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ١٥٨.

(٢) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٥٦٤.

(٣) كنز العمال ١٠/ ١٧٧. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٥٩.

(٥) سنن ابن ماجه ١/ ٢١٨.

البخاري: مقارب الحديث، وضعَّفه جماعة[١]. وابن الزبرقان[٢] وبكر بن خُنَيس[٣] ضعيفان، وقد تابع بكرَ بن خنيس عليه زهيرُ بن معاوية وعبدُ الله بن وهب وعبد الله بن المبارك، إلا أنهم قالوا: عنه عن عبد الرحمن بن رافع، بدل: عبدالله ابن يزيد، وقولُهم أَولىٰ بالصواب من رواية بكر بن خنيس، فأما رواية زهير فأخرجها الطبراني[٤]، ولفظه: أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فرأىٰ مجلسينِ، أحدُ المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلَّمون الفقه ويعلِّمون، فقال رسول الله ﷺ: «كِلا المجلسين علىٰ خير، أحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، إن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلَّمون ويعلِّمون الجاهل، وإنما بُعثتُ معلِّمًا، وهؤلاء أفضل» فأتاهم حتىٰ جلس إليهم.

وأما رواية عبد الله بن وهب فرواها ابن السني في «رياضة المتعلِّمين» وابن عبد البر في العلم[٥] بنحو لفظ الطبراني.

وأما رواية ابن المبارك فرواها أبو نعيم في «رياضة المتعلِّمين» نحوه.

وعبد الرحمن بن رافع هذا قال البخاري[٦]: في حديثه مناكيرُ. وذكره ابن

---

(١) كأحمد بن حنبل والنسائي وابن حبان والدارقطني وعبد الرحمن بن مهدي. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٥٦١.

(٢) في ميزان الاعتدال ٢/ ٧: «قال البخاري: حديثه مقارب، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: متروك، وقال الجوزجاني: ضعيف، وقال أبو داود: ضعيف ترك حديثه. وقال النسائي: ليس بثقة».

(٣) في ميزان الاعتدال ١/ ٣٤٤: «قال ابن معين مرة: ليس بشيء، وقال مرة: ضعيف، وقال مرة: شيخ صالح لا بأس به. وقال النسائي: ضعيف. وقال الدارقطني: متروك. وقال أبو حاتم: صالح ليس بقوي».

(٤) المعجم الكبير ١٣/ ٥١.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٢٣.

(٦) التاريخ الكبير ٥/ ٢٨٠.

حبان في الثقات[١]، إلا أنه قال: لا يُحتجُّ بخبره إذا كان من رواية ابن أنعم عنه.

وقال صاحب القوت[٢] بعدما أورد الحديث: ويُحكىٰ عن بعض السلف قال: دخلتُ المسجد ذاتَ يوم، فإذا بحلقتين، إحداهما يقصُّون ويدعون، والأخرىٰ يتكلمون في العلم وفقه الأعمال، قال: فمِلْتُ إلىٰ حلقة الدعاء فجلست إليهم، فحملتني عيناي فنمت، فهتف بي هاتفٌ [أو قال لي شخص]: جلستَ إلىٰ هؤلاء وتركتَ مجلس العلم، أما لو جلست إليهم لوجدت جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عندهم.

(وقال ﷺ: **مَثَلُ ما بعثني الله عَزَّوَجَلَّ به من الهُدَىٰ والعلم كمَثَل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكانت منها بقعة قبلت الماءَ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عَزَّوَجَلَّ بها الناسَ فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة قيعان لا تُمسِك ماء ولا تُنبِت كلأً**) هكذا في النسخ، وفي نسخة بعد قوله «فأنبتت الكلأ والعشب»: وتصيب أرضًا أخرىٰ إنما هي أجادب أمسكت الماءَ ولم تُنبِت الكلأ، فجعل الناس عنها الماء إلىٰ غيرها فزرعوا عليها وسقوا وأسقوا، وكانت منها بقعة لا تُمسِك ماء ولا تُنبِت كلأ.

ونسخة العراقي بعد قوله «والعشب الكثير»: وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تُمسِك ماء ولا تُنبِت كلأ (**فذلك مَثَل مَن فَقُهَ في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعَلِمَ وعلَّم ومَثَل مَن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدىٰ الله الذي أُرسلتُ به**) قال العراقي: رواه البخاري[٣] ومسلم[٤] من رواية بُرَيد بن عبد الله بن أبي بُرْدة عن جده أبي بُرْدة عن أبي موسىٰ عن النبي ﷺ، واللفظ للبخاري، إلا أنه قال: من الهدىٰ والعلم، وقال في

---

(١) الثقات لابن حبان ٥/ ٩٥ وزاد: وإنما وقعت المناكير في حديثه من أجله.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٥٩. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٤٥.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٠٨٤.

الرواية المشهورة: نقية، بدل: بقعة، ولم يقل في الثانية: بقعة، وقال: وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان، وذكر بقية الحديث.

قلت: البخاري في أول صحيحه، ومسلم في فضائله ﷺ، والنسائي في العلم[١]، والرامهرمزي[٢] والعسكري في الأمثال، كلهم من رواية أبي أسامة حماد بن أسامة عن بُرَيد، ولفظ البخاري: «مَثَل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمَثَل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكانت منها نقية قَبِلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادِب أمسكت الماءَ فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفةً أخرىٰ منها إنما هي قيعان لا تُمسِك ماءً ولا تُنبِت كلأً، فذلك مَثَل مَن فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعلَّم ومثل مَن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدىٰ الله الذي أُرسلتُ به».

شرح هذا الحديث: قوله: «مَثَل» هو بالتحريك.

قوله: «من الهدىٰ والعلم» بالجر عطفًا علىٰ «الهدىٰ» من عطف المدلول علىٰ الدليل؛ لأن الهدىٰ هو الدلالة الموصِّلة للمقصود، والعلم هو المدلول، وهو صفة توجب تمييزًا لا يحتمل النقيضَ، والمراد به هنا الأدلة الشرعية؛ قاله القسطلاني[٣].

ولا يخفَىٰ أنَّ جعل العلمِ مرادًا به الأدلة الشرعية فيه مسامحة؛ لظهور أن الأدلة ليست مدلولاً للدلالة، وعليه فالمراد مدلول الأدلة الشرعية وهو الأحكام الشرعية، كوجوب الصلاة مثلاً، فتدبَّرْ.

قوله: «نقية» من النقاء بالنون والقاف، أي طيِّبة.

---

(١) سنن النسائي الكبرىٰ ٥/ ٣٥٩.

(٢) أمثال الحديث لأبي محمد الرامهرمزي ص ٣٦ (ط - الدار السلفية بالهند).

(٣) إرشاد الساري ١/ ١٧٨.

قوله: «قَبِلت الماء» بكسر الموحَّدة من القبول، وقال إسحاق بن راهويه: قَيَّلت الماءَ، بالتحتية المشدَّدة، والمعنىٰ: شربت القيلَ وهو شُرْب نصف النهار، وجزم الأصيلي بأنه تصحيف، وذِكْر العشب بعد الكلأ من باب ذِكر الخاص بعد العام؛ إذ الكلأ: النبات يابسًا ورَطْبًا، والعشب: الرَّطْب منه، وفي رواية الحُمَيدي[1] والخَطَّابي: ثَغْبة، بالمثلَّثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة، وهو مستنقع الماء في الجبال والأودية، وردَّه عياض[2] وحكم بتصحيفه وقلبه للتمثيل، قال: لأنه إنما جُعل هذا المَثَل لِما ينبت، والثغاب لا ينبت. وفي كتاب مسلم: طائفة طيِّبة قَبِلت الماءَ.

قوله: «أجادب» جمع جَدَب محرَّكة علىٰ غير قياس، وصوَّبه الأصيلي، وقيل بالذال المعجمة، وهكذا ضبطه المازري[3]، ووَهَّمه عياضٌ[4]، وفي رواية أبي ذر[5]: إخاذات، بالكسر، جمع إخاذة، وهي الأرض التي تمسك الماء كالغدير، وعند الإسماعيلي: أحارب، بحاء مهملة وراء وآخره موحَّدة، وفي المصابيح: ويُروَىٰ: أجارد، أي جرداء بارزة لا يسترها النبات.

قوله: «ورعوا» وفي رواية: وزرعوا.

قوله: «وأصاب منها طائفةً أخرىٰ» وللأصيلي وكريمة: وأصابت، ووقع كذلك عند النسائي.

---

(١) الذي وجدته في كتاب الجمع بين الصحيحين لمحمد بن فتوح الحميدي ١/ ٣٠٥ (ط - دار ابن حزم) بلفظ: فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٧/ ٢٥٠.

(٣) المعلم بفوائد مسلم للمازري ٣/ ٢١٣ (ط - المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق بتونس) ونصه: «وقال بعضهم: أجاذب، بالجيم والذال، وهو صحيح إن ساعدته الرواية».

(٤) حيث قال: «لم نرو هذا الحرف هنا ولا في غير هذا الكتاب وكذا في البخاري إلا بالدال المهملة، من الجدب الذي هو ضد الخصب، وعليه شرح الشارحون».

(٥) هو عبد الله بن أحمد الهروي أحد رواة صحيح البخاري.

(فالأول ذكره مثلاً للمنتفع بعلمه، والثاني ذكره مثلاً للنافع، والثالث للمحروم منهما) أي[1] الأول هو العالِم العامل المعلِّم، وهو كالأرض الطيِّبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرَها، والثاني الجامع للعلم، المستغرق لزمانه، المعلِّم غيره، لكنه لم يعمل بنوافله، أو لم ينفقه فيما جمع، فهو كالأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به.

وقوله في الحديث: «ومَثَل مَن لم يرفع بذلك رأسًا» هو[2] كناية عن تكبُّره وعدم التفاته، وهو مَن دخل في الدين ولم يسمع العلمَ، أو سمعه ولم يعمل به ولم يعلِّمه، فهو كالأرض السَّبِخة التي لا تقبل الماء وتفسده علىٰ غيرها، وأشار بقوله: «ولم يقبل هدىٰ الله الذي أُرسلتُ به» إلىٰ مَن لم يدخل في الدين أصلاً بل بلغه فكفر به، وهو كالأرض الصمَّاء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا تنتفع به، وهذا هو المشار إليه بالقول الثالث في كلام المصنِّف.

وقال الدَّماميني في المصابيح: وتشبيه الهدىٰ والعلم بالغيث الكريم المذكور تشبيهُ مفردٍ بمركَّب؛ إذ «الهدىٰ» مفرد، وكذا «العلم»، والمشبَّه به [وهو] غيث كثير أصاب أرضًا، منها ما قبلت الماء فأنبتت، ومنها ما أمسكت خاصة، ومنها ما لم تنبت ولم تمسك، مركَّب من عدة أمور كما تراه، وشبَّه مَن انتفع بالعلم ونفع به بأرض قبلت الماء وأنبتت [الكلأ والعشب] وهو تمثيل؛ لأن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من قبول المحل لِما يَرِد عليه من الخير مع ظهور أماراته وانتشارها علىٰ وجه عام الثمرة متعدِّي النفع، ولا يخفَىٰ أن هذه الهيئة منتزَعة من أمور متعددة، ويجوز أن يشبَّه انتفاعُه بقبول الأرض الماء، ونفعُه المتعدِّي بإنباتها الكلأ [والعشب] والأول أدخل وأجزل.

---

(١) فتح الباري ١/ ٢١٢.

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني ١/ ١٧٩. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

ثم قال: قد وقع في الحديث أنه شبَّه مَن انتفع بالعلم في خاصة نفسه ولم ينفع به أحدًا بأرض أمسكت الماء ولم تُنبِت شيئًا، أو شبَّه انتفاعه المجرَّد بإمساك الأرض للماء مع عدم إنباتها، وشبَّه مَن عُدم فضيلتَي النفع والانتفاع جميعًا بأرض لم تمسك ماء أصلاً، أو شبَّه فواتَ ذلك له بعدم إمساكها الماء، وهذه الحالات الثلاث مستوفية لأقسام الناس، ففيه من البديع: التقسيم.

فإن قلت: ليس في الحديث تعرُّضٌ للقسم الثاني؛ فإنه قال: فذلك مثل مَن فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعلَّم. وهذا القِسم الأول، ثم قال: ومَثَل مَن لم يرفع [بذلك] رأسًا ... الخ، وهذا هو القسم الثالث، فأين الثاني؟

فالجواب: [يحتمل أن يكون] ذكر من الأقسام أعلاها وأدناها، وطوىٰ ذِكر ما بينهما؛ لفهمِه من أقسام المشبَّه به المذكورة أولاً، أو أن قوله «ونفعه» [صلة موصول محذوف] معطوف علىٰ الموصول الأول، أي: فذلك مَثَل مَن فقه في دين الله ومَثَل مَن نفعه، فتكون الأقسام الثلاثة مذكورة، فمَن فقه في دين الله هو الثاني، ومَن نفعه اللهُ من ذلك فعَلِمَ وعلَّم هو الأول، ومَن لم يرفع بذلك رأسًا هو الثالث، ففيه لفٌّ ونشر غير مرتَّب.

هذا كلام الدماميني.

وقال ابن القيم[1]: شبَّه ﷺ العلم والهدىٰ الذي جاء به بالغيث؛ لِما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد؛ فإنها بالعلم والمطر، وشبَّه القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر؛ لأنها المحل الذي يُمسِك الماء فينبت سائر أنواع النبات النافع، كما أن القلوب تعي العلم فيثمر [فيها] ويزكو وتظهر بركتُه وثمرته، ثم قسَّم الناسَ إلىٰ ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستنباط أحكامه واستخراج حِكَمه وفوائده:

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٤٧ - ٢٤٩. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

أحدها: أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه، وعقلوه، وفهموا معانيه، واستنبطوا وجوه الأحكام والحِكَم والفوائد منه، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء، وهذا بمنزلة الحفظ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وهذا هو الفهم فيه والمعرفة والاستنباط، فهو بمنزلة [إنبات] الكلأ والعشب بالماء، فهذا مَثَل الحفَّاظ الفقهاء وأهل الرواية والدِّراية.

القسم الثاني: أهل الحفظ الذين رُزِقوا حفظه ونقله وضبطه ولم يُرزَقوا تفقُّهًا في معانيه، ولا استنباطًا و[لا] استخراجًا لوجوه الحِكَم والفوائد منه، فهم بمنزلة مَن يقرأ القرآن ويحفظه ويراعي حروفه وإعرابه ولم يُرزَق فيه فهمًا خاصًّا عن الله تعالىٰ، والناس متفاوتون في الفهم عن الله تعالىٰ ورسوله أعظم تفاوُت، فرُبَّ شخص يفهم من النص حكمًا أو حكمينِ، ويفهم منه الآخرُ مائة أو مائتين، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس فانتفعوا به، هذا يشرب منه، وهذا يسقي [منه]، وهذا يزرع، فهؤلاء القِسمان هم السعداء، والأوَّلون أرفع درجةً وأعلىٰ قَدْرًا، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء.

القسم الثالث: الذين لا نصيب لهم منه، لا حفظًا ولا فهمًا ولا رواية ولا دراية، بل هم بمنزلة الأرض التي هي قيعان لا تنبت ولا تمسك الماء، وهؤلاء هم الأشقياء.

والقسمان الأوَّلان اشتركا في العلم والتعليم كلٌّ بحسب ما قَبِلَه ووصل إليه، فهذا يعلم ألفاظ القرآن ويحفظها، وهذا يفهم[1] معانيه وأحكامه وعلومه، والقسم الثالث لا علم [له] ولا تعليم، فهم الذين لم يرفعوا بهدىٰ الله رأسًا ولم يقبلوه، وهؤلاء شرٌّ من الأنعام، وهم وقود النار.

فقد اشتمل هذا الحديث الشريف [العظيم] علىٰ التنبيه علىٰ شرف العلم

---

(١) في المفتاح: يعلم.

[والتعليم] وعِظَم موقعه وشقاء مَن ليس من أهله[١]، وذكر أقسام بني آدم بالنسبة فيه إلىٰ شقيِّهم وسعيدهم، وتقسيم سعيدهم إلىٰ سابق مقرَّب وصاحب يمين مقتصد، وفيه دلالة علىٰ أن حاجة العباد إلىٰ العلم كحاجتهم إلىٰ المطر، بل أعظم، وأنهم إذا فقدوا العلم فهم بمنزلة الأرض التي فقدت الغيث. قال الإمام أحمد: الناس محتاجون إلىٰ العلم أكثر من حاجتهم إلىٰ الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس.

(وقال ﷺ: **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علمٌ يُنتفَع به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له**) قال العراقي: رواه مسلم[٢] وأبو داود[٣] والترمذي[٤] -وقال: حسن صحيح- والنسائي[٥] من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: إذا مات الإنسان. وفيه تقديم «صدقة جارية»، والباقي سواء.

قلت: خرَّجه مسلم في الوصايا، والبخاري في الأدب المفرد[٦]، ورواه الدارمي[٧] عن موسىٰ بن إسماعيل حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن، ولفظه: انقطع من عمله. وباقي سياقه كسياق المصنف، إلا أنه قال: تجري له، بدل: جارية.

قال العراقي: وفي الباب عن جابر وأبي قتادة وأبي أُمامة وأنس؛ فحديث جابر

---

(١) في المطبوعة: بأهله. والمثبت من المفتاح.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٧٧٠.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٤٠١.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٥٣

(٥) سنن النسائي ص ٦٥٨.

(٦) الأدب المفرد ص ٢٥ (ط - دار الكتب العلمية).

(٧) سنن الدارمي ١/ ١٤٨.

رواه أبو نعيم في «رياضة المتعلمين» من رواية القاسم بن عبد الله عن محمد بن المنكدر عن جابر رفعه: «ثلاثة يدركون الميتَ: رجل علم سُنَّة هدىً وعمل بها ...» الحديث.

وحديث أبي قتادة رواه ابن ماجه[١] من رواية زيد بن أبي أُنَيسة عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه رفعه: «خيرُ ما يخلِّف الرجلُ من بعده ثلاثٌ: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرُها وعلمٌ يُعمَل به مِن بعده». وإسناده جيد، وزاد بين الزَّيدينِ في رواية: فُلَيح بن سليمان.

قلت: وأخرجه أيضًا هكذا ابن خزيمة في صحيحه[٢] وابن حبان[٣] والطبراني في الكبير والضياء في المختارة، ولفظُهم: «خير ما يخلِّف الإنسان بعده».

قال العراقي: وحديث أبي أمامة رواه أحمد[٤] من رواية ابن لهيعة عن خالد ابن أبي عمران عمَّن حدَّثه عن أبي أمامة رفعه: «أربعة تجري عليهم أجورُهم بعد الموت: مرابط في سبيل الله، ومَن علَّم علمًا فأجره يجري عليه ما عُمِلَ به ...» الحديث.

قلت: تمامُه: «ومَن تصدَّق بصدقة فأجرُها يجري ما وُجدت، ورجل ترك ولدًا صالحًا فهو يدعو له».

وقد أخرجه كذلك الطبراني في الكبير[٥] والبزار في مسنده، وأعلَّه الهيثمي[٦]

---

(١) سنن ابن ماجه ١/ ٢٢٦.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٤/ ١٢٢ (ط - المكتب الإسلامي).

(٣) صحيح ابن حبان ١/ ٢٩٥، ١١/ ٢٦٦.

(٤) مسند أحمد ٣٦/ ٥٨٥، ٦٥٥.

(٥) المعجم الكبير ٨/ ٢٤٣.

(٦) مجمع الزوائد ١/ ٤٠٨.

وغيره بابن لهيعة ورجلٍ لم يُسَمَّ، ولكن صحَّحه المنذري[١].

قال العراقي: وحديث أنس رواه أبو نعيم في الحلية[٢] من رواية محمد بن عبيد الله العرزمي عن قتادة عن أنس رفعه: «سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره: مَن علَّم علمًا، أو أجرىٰ نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلاً، أو بنىٰ مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته». قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث قتادة، تفرد به أبو نعيم[٣] راويه عن العرزمي، والعرزمي ضعيف.

قلت: وكذلك رواه البزار في مسنده[٤] وسمويه في فوائده والديلمي في الفردوس[٥] والبيهقي[٦]، وقال كالمنذري[٧]: إسناده ضعيف، وتبعهما الذهبي في كتاب «الموت» والهيثمي[٨]، وقد خالفهم السيوطي فرمز لصحته، وفيه نظر[٩].

ولا تعارُض بين الحديث الذي ساقه المصنِّف وبين حديث أبي أمامة: أربعة ... الخ؛ لأن أعمال الثلاثة متجدِّدة، وعملُ المرابط ينمو له، وفرقٌ بين إيجاد المعدوم وتكثير الموجود[١٠]، وكذا لا مخالفة بينه وبين حديث أنس هذا، فقد قال فيه: إلا من صدقة جارية، وهي تجمع ما ذُكر من الزيادة؛ أشار له البيهقيُّ.

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري ١/ ١١١.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٤٤.

(٣) اسمه عبد الرحمن بن هانئ النخعي.

(٤) مسند البزار ١٣/ ٤٨٤.

(٥) فردوس الأخبار ٢/ ٤٦٦.

(٦) شعب الإيمان ٥/ ١٢٣ وقال: «العرزمي ضعيف، غير أنه قد تقدمه ما يشهد لبعضه، وهما لا يخالفان الحديث الصحيح فقد قال فيه: إلا من صدقة جارية، وهي تجمع ما ورد به من الزيادة».

(٧) الترغيب والترهيب ١/ ٩٥.

(٨) مجمع الزوائد ١/ ٤٠٨.

(٩) فيض القدير للمناوي ٤/ ٨٨.

(١٠) فيض القدير ١/ ٤٧١.

وروىٰ الإمام أبو حنيفة عن حمَّاد بن إبراهيم قال: ثلاثة يؤجَر فيهن الميت بعد موته: ولد له يدعو له بعد موته، فهو مؤجر بدعائه، ورجل عَلِمَ علمًا يعمل به ويعلِّمه الناسَ فهو يؤجَر علىٰ ما عمل وعلَّم، ورجل ترك أرضًا صدقة.

هكذا أورده محمد بن الحسن في الآثار.

قال ابن قطلوبغا في أماليه: وهذا في حكم المرفوع.

قلت: والمراد بالولد: الفرع المسلم، هَبْهُ ذكرًا كان أو أنثىٰ أو ولدَ ولدٍ كذلك وإن سفل، وجاء تقييدُه في الحديث الأول بالصالح، وقوله «يدعو له» أي بالرحمة والمغفرة؛ فإن دعاءه أرجىٰ للإجابة، وأسرع قبولاً من دعاء الأجنبي[1].

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي في مقدمة الأربعين له: لا تعارُض بين هذا الحديث وبين ما رُوي: «مَن استنَّ خيرًا فاستُنَّ به فله أجرُه وأجرُ مَن عمل به إلىٰ يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا ...» الحديث بطوله؛ لأنه إما أن يُجعل حديث «مَن استنَّ» عامًّا في كل الأمور، وحديث «إذا مات الإنسان» أخصَّ منه، فيُحمل العام علىٰ الخاص، ويُقتصر علىٰ هذه الثلاثة أشياء، أو يكون قوله «إذا مات ...» الخ منبِّهًا علىٰ ما عداها مما هو في معناها من كل ما يدوم النفعُ به للغير، فلا تعارُض بينهما، بل يبقىٰ قولُه «مَن استنَّ» معمولاً بعمومه، والظاهر -والله أعلم- أن هذا أظهر الاحتمالين، بدليل قوله: «مَن استنَّ ...» الخ، فقد أخبر بتجدُّد الأوزار لهذا الميت لِما يُعمل بعده من السيئات التي سَنَّها، نعوذ بالله من ذلك، وهو زائد علىٰ الثلاث التي في الحديث الآخَر؛ لأن تلك من أعمال البِر، وهذه الجملة الثانية لا مُعارِضَ لها. وعلىٰ كل تقدير، فالعلم وتعليم الخير من جملة الأعمال الصالحة يبقىٰ للمرء أجرُها بعد موته بحسب تجدُّد العاملين به.

---

(١) التيسير شرح الجامع الصغير للمناوي ١/ ١٤٠.

(**وقال ﷺ: الدالُّ علىٰ الخير كفاعله**) قال العراقي: أخرجه الترمذي[١] من رواية شَبِيب بن بِشْر عن أنس بلفظ: إن الدالَّ، وقال: حديث غريب. قال العراقي: ورجاله ثقات.

قلت: وفي الحديث قصةٌ، قال أنس: جاء النبيَّ ﷺ رجلٌ يستحمله، فلم يجد [عنده] ما يحمله، فدلَّه علىٰ آخَر فحمله، فأتىٰ النبيَّ ﷺ فأخبره ... فذكره.

قال العراقي: ورواه أحمد في مسنده[٢] من رواية سليمان بن بُرَيدة عن أبيه بلفظ حديث أنس بإسناد ضعيف، ورواه ابن عدي في الكامل[٣] في ترجمة سليمان الشاذكوني، ورواه مسلم[٤] وأبو داود[٥] والترمذي[٦] -وقال: حسن صحيح- من رواية أبي عمرو الشيباني -واسمه سعد بن إياس- عن أبي مسعود البدري رفعه، ولفظه: «مَن دلَّ علىٰ خير فله مثل أجر فاعله».

وفي الباب عن سهل بن سعد وابن مسعود.

قلت: وقد أخرجه كذلك الإمام أحمد وابن حبان[٧]، وفيه القصة التي تقدَّمتْ.

وقال السخاوي في المقاصد[٨]: أخرجه العسكري وابن جُمَيع[٩] ومن طريقه

(١) سنن الترمذي ٤/ ٤٠٣.
(٢) مسند أحمد ٣٨/ ١٣٢.
(٣) الكامل ٣/ ١١٤٥.
(٤) صحيح مسلم ٢/ ٩١٤.
(٥) سنن أبي داود ٥/ ٤٠٨.
(٦) سنن الترمذي ٤/ ٤٠٤.
(٧) صحيح ابن حبان ١/ ٥٢٥، ٤/ ٥٥٤.
(٨) المقاصد الحسنة ص ٢١٠.
(٩) معجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي ص ١٨٤ (ط - مؤسسة الرسالة).

المنذريُّ من حديث طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رفعه: «كل معروف صدقةٌ، والدالُّ علىٰ الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان». ومثله -بل بطوله- للدارقطني في المستجاد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به مرفوعًا، وللعسكري من حديث إسحاق الأزرق عن أبي حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعًا بلفظ الترجمة، وكذا هو عند البزار عن أنس(١)، ولابن عبد البر(٢) عن أبي الدرداء من قوله: «الدالُّ علىٰ الخير وفاعلُه شريكان».

قلت: أخرجه أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر العدل في مسند أبي حنيفة(٣) من طريق صالح بن أحمد بن حنبل، وأخرجه ابن خسرو في مسنده من طريق عبد الله بن أحمد قالا: حدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن يوسف، أنبأنا أبو فلان. كذا قال، أي لم يسمِّه علىٰ عمد، وسمَّاه غيرُه فقال: يعني أبا حنيفة، عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ الترجمة، وفي بعض رواياته: قال له: اذهب؛ فإن الدالَّ ... الخ. وأخرجه القضاعي أيضًا من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق عن أبي حنيفة به. وأخرجه ابن خسرو في مسنده من رواية أبي حنيفة عن أنس بزيادة «والله يحب إغاثة اللهفان» من طريق تدور علىٰ أحمد بن محمد بن الصلت، ورواه العَيْني في شرحه علىٰ «معاني الآثار» للطحاوي بسنده.

وللحديث شاهد آخَر مما أخرجه ابن عَطَّاف في معجمه وابن النجار عن علي(٤) مرفوعًا: «دليل الخير كفاعله».

قال الراغب(٥): والدِّلالة: ما يُتوصَّل به إلىٰ معرفة الشيء.

---

(١) مسند البزار ١٤/ ٦٥.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٧ ولفظه: العالم والمتعلم شريكان، والمتعلم والمستمع شريكان، والدال علىٰ الخير وفاعله شريكان.

(٣) وكذلك أبو نعيم الأصبهاني في مسند أبي حنيفة ص ١٥١ (ط - مكتبة الكوثر بالرياض).

(٤) كذا هنا، وعزاه في كنز العمال ٦/ ٣٦٠ لابن النجار عن أنس بن مالك.

(٥) المفردات في غريب القرآن ص ١٧١.

وقال الزمخشري(١): دللته على الطريق: أهديته إليه، ومن المجاز: الدالُّ على الخير كفاعله، ودلَّه على الصراط المستقيم. ا.هـ.

ويدخل في ذلك دخولاً أوَّليًا أولويًّا مَن يعلِّم الناس العلم الشرعي ويتحمَّلون عنه(٢).

(وقال ﷺ: لا حسدَ إلا في اثنتين: رجل آتاه الله ﷻ حكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها الناسَ، ورجل آتاه الله مالاً فسلَّطه الله على هَلَكته في الحق فهو ينفق منه آناءَ الليل وآناء النهار) قال العراقي: رواه البخاري(٣) ومسلم(٤) والنسائي في الكبرى(٥) وابن ماجه(٦) من رواية قيس بن أبي حازم قال: سمعت عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هَلَكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويعلِّمها». وفي رواية البخاري: الحكمة.

قلت: أخرجاه من طريق الزهري سمعت قيس بن أبي حازم، ومن هذا الطريق أخرجه الإمام أحمد(٧) وأبو داود(٨) وابن حبان(٩)، وأخرجه البخاري في الاعتصام فقال: إلا في اثنين، بغير تاء، وفي رواية ابن ماجه: رجل، بالنصب على لغة

---

(١) أساس البلاغة ١/ ٢٩٥ (ط - دار الكتب العلمية) وفيه: «أدللت الطريق: اهتديت إليه».

(٢) فيض القدير للمناوي ٢/ ٣٢٦، وفيه بعد قوله «الشرعي»: بتدريس أو إفتاء. وليس فيه «ويتحملون عنه».

(٣) صحيح البخاري ١/ ٤٣، ٤٣٥، ٤/ ٣٢٩، ٣٦٧.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٣٦٥.

(٥) سنن النسائي الكبرى ٥/ ٣٥٨.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٦١٦.

(٧) مسند أحمد ٦/ ١٦٢، ٧/ ١٨٣.

(٨) لم أقف عليه في سنن أبي داود. وقد رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ١/ ٢٨٧ من طريق قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن ابن مسعود ولفظه: «لا تحاسد إلا في اثنتين ...» الخ.

(٩) صحيح ابن حبان ١/ ٢٩٢.

ربيعة؛ فإنهم يرسمون المنصوب بالنون بغير ألف كما يقفون عليه كذلك.

قال العراقي: وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد ويزيد بن الأخنس.

قلت: بقي أن البخاري رواه في صحيحه في مواضع: في التوحيد وفي الاغتباط بالحكمة وفي الزكاة وفي الأحكام وفي الاعتصام وفي فضائل القرآن، ففي التوحيد[١] عن علي بن عبد الله عن سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه مختصرًا، وساقه مسلم تامًّا عن زهير بن حرب عن سفيان، وأخرجه البخاري في فضائل القرآن[٢] تامًّا من طريق الزهري عن سالم، وكذا الترمذي[٣] والنسائي في الكبرىٰ[٤] وابن ماجه[٥]، ولفظهم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآنَ فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» لفظ مسلم، وفي رواية له: إلا علىٰ اثنين، وهكذا قال البخاري: وقد آتاه الله الكتاب، وقال مسلم: هذا الكتاب، والباقي سواء.

ومن طريق شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة[٦]، ومن طريق الأعمش سمعت ذكوان عن أبي هريرة[٧]، وفي الزكاة عن محمد بن المثنَّىٰ عن يحيىٰ القطان، وفي الأحكام وفي الاعتصام عن شهاب ابن عبَّاد عن إبراهيم بن حميد الرُّؤاسي. وأخرجه مسلم في الصلاة عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن وكيع عن

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٤١٢.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٣٤٦.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٤٩١.

(٤) سنن النسائي الكبرىٰ ٧/ ٢٨٠.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٦١٦.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٣٥٠، ٤١١.

(٧) صحيح البخاري ٣/ ٣٤٦.

محمد بن عبد الله بن نُمَير عن أبيه ومحمدِ بن بشر. وأخرجه النسائي في العلم عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير ووكيع، وعن سُوَيد ابن نصر عن عبد الله بن المبارك، خمستُهم عن إسماعيل بن أبي خالد عنه[١] به. وأخرجه ابن ماجه في الزهد عن محمد بن عبد الله بن نُمَير به.

وأما حديث أبي سعيد الخُدْري فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٢] من رواية الأعمش عن أبي صالح عنه، ولفظه: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيتُ مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلانٌ فعملت مثل ما يعمل».

وأخرجه كذلك أبو يعلىٰ في مسنده[٣]، والضياء في المختارة.

وأخرج ابن نصر في الصلاة عن عبد الله بن عمر رفعه: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهؤ يقرؤه في الليل والنهار، ورجل أعطاه الله مالاً فأنفقه في سبيل الله»[٤].

وأخرجه أبو نعيم في الحلية[٥] عن أبي هريرة بلفظ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فصرفه في سُبُل الخير، ورجل آتاه الله علمًا فعلَّمه وعمل به».

* **شرح الحديث**[٦]: «لا» لنفي الجنس، و«حسد» اسمه مبني معه علىٰ

---

(١) أي عن قيس بن أبي حازم.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٧٤ مع اختلاف في الألفاظ.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٣٤٠.

(٤) كنز العمال ١/ ٥٤٧.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٤٦.

(٦) عمدة القاري للعيني ٢/ ٨٥ - ٨٧ والزيادات التي بين حاصرتين منه.

الفتح، وخبره محذوف، أي: لا حسد جائز أو صالح أو نحو ذلك، والحسد: تمنِّي الرجل أن تتحول إليه نعمةُ الآخَر أو فضيلته ويسلبهما [عنه] وهو مذموم، والغِبْطة: أن يتمنىٰ مِثل ما له من غير أن يفتقر، وهو مباح إن كان من أمر الدنيا، ومحمود إن كان من أمور الطاعات، والأول محرَّم إجماعًا؛ قاله النووي[1]. وأراد بالحسد هنا الغِبطة مجازًا، من إطلاق المسبَّب علىٰ السبب.

وقوله: «إلا في اثنتين» أي في شيئين أو خصلتين، وفيه قولٌ بأنه تخصيص لإباحة نوع من الحسد، وإخراجٌ له من جملة ما حُظر منه، فالمعنىٰ: لا حسد محمود إلا في هذا، أو استثناء منقطع بمعنىٰ: لكن.

وقوله: «رجلٌ» بالرفع، أي خصلة رجل، فلما حُذف المضاف اكتسىٰ المضافُ إليه إعرابَه، والنصب علىٰ إضمار «أعني»، وهي رواية ابن ماجه، وفيه وجه آخَر تقدَّم بيانُه. وبالجر علىٰ أنه بدل من «اثنين»، وأما علىٰ رواية «اثنتين» بالتاء فهو بدل أيضًا علىٰ تقدير حذف المضاف، أي خصلة رجل. وقوله «رجل» لا مفهومَ له، فالأنثىٰ تشترك معه.

قوله: «فسُلِّطَ» بالبناء للمفعول، وهي رواية أبي ذر، وعند الباقين: فسلَّطه، وعبَّر بالتسليط لدلالته علىٰ قهر النفس المجبولة علىٰ الشُّحِّ، وفي هذه الجملة مبالغتان، إحداهما: التسليط؛ لأنه يدل علىٰ [الغلبة و] قهر النفس، والأخرىٰ: لفظ «الهلكة»، والهَلَكة محرَّكة: الهلاك؛ فإنه يدل علىٰ أنه لا يُبقِي من المال شيئًا، ولمَّا أوهم اللفظان التبذيرَ -وهو صرفُ المال فيما لا ينبغي- ذكر قوله «في الحق» دفعًا لِما يُتوهَّم من ذلك.

والحكمة المراد بها القرآن، وفيه إشارةٌ إلىٰ الكمال العِلمي، وقوله: «يقضي

---

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ٦/ ١٤٠.

بها» إشارة إلىٰ الكمال العَمَلي، وبهما التكميل. والله أعلم.

(وقال ﷺ: علىٰ خلفائي رحمةُ الله. قيل: ومَن خلفاؤك؟ قال: الذين يُحْيون سُنَّتي ويعلِّمونها عبادَ الله) قال العراقي: رواه ابن عبد البر في العلم[1]، والهَرَوي في ذم الكلام[2] من رواية عمرو بن أبي كثير -وقال الهروي: عمرو بن كثير- عن أبي العلاء عن الحسن، زاد الهروي: ابن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمةُ الله علىٰ خُلَفائي» مرَّتين، ولم يكررها الهروي، فجعله الهروي متصلاً، وقال ابن عبد البر: إنه من مرسَلات الحسن، فجعله البصري، وهو الصواب، وعمرو لا أدري مَن هو، وقد تقدم الكلامُ عليه في آخر الحديث الثامن والثلاثين[3].

وفي الباب عن علي بن أبي طالب، رواه الطبراني في الأوسط[4]، وابن السني وأبو نعيم في كتابيهما «رياضة المتعلِّمين»، وأبو نعيم أيضًا في «فضل العالم العفيف»، والرامهرمُزي في «المحدث الفاصل»[5]، والهَرَوي في ذم الكلام[6] من رواية ابن عباس قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «اللهم ارحم خلفائي». قلنا: يا رسول الله، مَن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون مِن بعدي يروون أحاديثي وسُنَّتي ويعلِّمونها الناسَ». وفي إسناده أبو الطاهر أحمد بن عيسىٰ بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وهو كذَّاب، كما قاله الدارقطني[7]. وقد رواه ابن عساكر في أماليه من طريق آخر، وفيه عبد السلام بن

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٠٧.

(٢) ذم الكلام وأهله ٣/ ٣٣٣.

(٣) وهو الحديث العاشر من أحاديث فضيلة التعلم وهو «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ...» الخ.

(٤) المعجم الأوسط ٦/ ٧٧ من رواية ابن عباس عن النبي ﷺ، ولم يذكر عليا.

(٥) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي ص ١٦٣ (ط - دار الفكر ببيروت).

(٦) ذم الكلام وأهله ٣/ ٣٣٨.

(٧) الضعفاء والمتروكون للدارقطني ص ٧٢.

عُبَيد، نسبه ابن حبان إلىٰ سرقة الحديث[١]، واحتجَّ به أبو عَوانة في صحيحه، ولا يُغترُّ برواية أبي المظفَّر هَنَّاد بن إبراهيم النَّسَفي لهذا الحديث من طريق ابن داسة عن أبي داود عن عبيد بن هشام الحلبي؛ فإن هذا لم يروِه أبو داود هنا، والنسفي كان راوية للموضوعات، كما قال صاحب الميزان[٢]. انتهىٰ.

قلت: أما حديث عليٍّ فقد أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»[٣]، والضياء المقدسي في «مناقب أصحاب الحديث»، كلاهما من رواية أحمد بن عيسىٰ العَلَوي، حدثنا ابن أبي فُدَيك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: سمعت عليًّا يقول: خرج النبي ﷺ ... فساقه. وأخرجه الضياء من رواية أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثني أبي، حدثني أبو الحسن علي بن موسىٰ الرضا، عن آبائه، عن علي بلفظ: «اللهم ارحمْ خُلَفائي» ثلاثًا، والباقي سواء.

وأخرجه الخطيب والضياء أيضًا من رواية سعيد بن علي[٤] بن الخليل حدثنا عبد السلام بن عبيد حدثنا ابن أبي فُدَيك ... فذكره، وفي بعض طرق العلوي عند الخطيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس، قال الخطيب: والأول أشبه بالصواب.

وقال الطبراني في الأوسط بعدما أخرجه: تفرَّد به أحمد بن عيسىٰ العلوي.

---

(١) المجروحون من المحدثين لابن حبان ٢/ ١٣٦ ونصه: «عبد السلام بن عبيد بن أبي فروة، من أهل نصيبين، يسرق الحديث، ويلزق بالثقات الأشياء التي رواها غيرهم من الأثبات، لا يجوز الاحتجاج به بحال».

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٣١٠ ونصه: «روىٰ الكثير بعد الخمسين وأربعمائة، إلا أنه راوية للموضوعات والبلايا، وقد تُكلم فيه».

(٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب ص ٣١.

(٤) في المطبوعة: عباس. والتصويب من شرف أصحاب الحديث.

وفي الميزان[1]: هذا الحديث باطل، وأحمد كذَّاب.

واستُدل بهذا الحديث علىٰ جواز إطلاق لفظ «الخلفاء» علىٰ أصحاب الحديث، ومِثل ذلك ما مرَّ في حديث علي رضي الله عنه: أولئك خلفاء الله في أرضه ودعاته إلىٰ دينه. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢].

وقال سهل التستري[2]: مَن أراد أن ينظر إلىٰ مجالس الأنبياء فلينظر إلىٰ مجالس العلماء، فهم خلفاء الرسل في أُمَمهم، ووارثوهم في عِلمهم، فمجالسهم مجالس خلافة النبوة.

وهو أحد الوجهين في الإطلاق، ومنعه آخرون، وأَوَّلوا ما في الحديث والقرآن.

وأما إحياء السنة، فقد أخرج الترمذي[3] من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيَّب عن أنس رفعه: «مَن أحيا سُنَّتي فقد أحبَّني، ومَن أحبَّني كان معي في الجنة». وفي الحديث قصة.

وروىٰ الدارمي[4] من رواية مروان بن معاوية عن كثير بن عبد الله عن أبيه

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ١٢٧.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٣٩١.

وذكره الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه ١/ ١٤٩ وفيه بعد قوله «العلماء»: يجيء الرجل فيقول: يا فلان، إيش تقول في رجل حلف علىٰ امرأته بكذا وكذا؟ فيقول: طلقت امرأته، ويجيء آخر فيقول: ما تقول في رجل حلف علىٰ امرأته بكذا وكذا؟ فيقول: ليس يحنث بهذا القول. وليس هذا إلا لنبي أو لعالم، فاعرفوا لهم ذلك.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٤١٠ وأوله: قال أنس: قال لي رسول الله ﷺ: يا بني، إن قدرتَ أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل. ثم قال لي: يا بني، وذلك من سنتي، ومن أحيا ... الخ.

(٤) كذا في المطبوعة، ولم أقف عليه في سنن الدارمي، بل أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٤٠٩ من هذا الطريق، وزاد: «ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا».

عن جده رفعه قال لبلال بن الحارث: «اعلم يا بلال[١]، مَن أحيا سُنَّة من سنَّتي قد أُميتتْ بعدي فإن له من الأجر مثل مَن عمل بها من غير أن ينقُص من أجورهم شيئًا». وكثير بن عبد الله مختلَف فيه[٢]. والله أعلم.

(وأما الآثار) ذكر فيه من قول عمر وابن عباس ﷺ، ومن قول عطاء والحسن وعكرمة، وهؤلاء من التابعين، ثم من قول يحيىٰ بن معاذ وبعض الحكماء، وأورد فيه قول معاذ بن جبل موقوفًا عليه، وقد رُوي مرفوعًا أيضًا، كما سيأتي بيانه **(فقد قال عمر)** ابن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **مَن حدَّثَ بحديث)** أي لِما فيه من الأحكام الشرعية **(فعمل به)** امتثالاً للأمر، وتشوُّفًا لحصول الأجر **(فله)** أي للمحدِّث **(مِثل أجر مَن عمل ذلك العملَ)**[٣] وشاهدُه حديث بلال بن الحارث المتقدِّم قريبًا.

(وقال ابن عباس ﷺ: معلِّم الناس الخيرَ يستغفر له كلُّ شيء حتىٰ الحوت في البحر)[٤] وهذا قد مر في أثناء حديث أبي أُمامة فيما رواه الترمذي: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتىٰ النملة في جُحْرها وحتىٰ الحوت لَيصلُّون علىٰ معلِّم الناس الخير». وفي حديث أبي الدرداء: «وصلَّت عليه ملائكةُ السماء وحيتان البحر».

---

(١) في سنن الترمذي: اعلم عمرو بن عوف. قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: أنه من أحيا ... الخ.

(٢) في ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٤٠٧: «قال ابن معين: ليس بشيء. وقال الشافعي وأبو داود: ركن من أركان الكذب. وضرب أحمد علىٰ حديثه. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال أبو حاتم: ليس بالمتين. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال مطرف بن عبد الله المدني: رأيته وكان كثير الخصومة، لم يكن أحد من أصحابنا يأخذ عنه. وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه».

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣١ مرفوعا من حديث عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ، ولفظه: «من حدث بحديث فعمل به أعطي أجر ذلك».

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١٧١، ١٧٢، ٤٩٨. سنن الدارمي ١/ ١١١. مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٥١٧.

ويُروَىٰ أيضًا: إن العالِم يستغفر له مَن في السموات والأرض، وحتىٰ الحيتان في الماء. وذلك[١] لأنه لمَّا كان معلِّم الخير[٢] سببًا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المُهلِكات، وكان سعيُه مقصورًا علىٰ هذا، وكانت نجاة العباد علىٰ يديه جُوزيَ من جنس عمله، وجُعل مَن في السموات والأرض ساعيًا في نجاته من أسباب الهَلَكات باستغفارهم له[٣]، وقد قيل: إن قوله «كل شيء»[٤] عامٌّ في الحيوانات ناطقها وبهيمها، طيرها وغيره، ويؤكده قولُه «حتىٰ الحوت في البحر»[٥] والسر فيه أن العالم أشفق الناس علىٰ الحيوان، وأقومهم ببيان ما خُلِقَ له[٦]، فالعالم معرِّف لذلك، فاستحق أن تستغفر له البهائمُ.

وذكر الأجهوري في شرح مختصر البخاري ما نصه[٧]: إنما خص الحوت بالذِّكر لكونه لا لسان له، وما لا لسان له ربما يُتوهَّم عدم استغفاره لمعلم الخير[٨]، بخلاف غيره من الحيوان؛ فإنه وإن صغُر له لسان.

(**وقال بعض العلماء: العالِم يدخل فيما بين الله وبين خَلْقه**) أي هو الواسطة

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٥٧.

(٢) في المفتاح: العالم.

(٣) بعده في المفتاح: وإذا كانت الملائكة تستغفر للمؤمنين فكيف لا تستغفر لخاصتهم وخلاصتهم؟!

(٤) عبارة المفتاح: وقد قيل: إن مَن في السموات ومن في الأرض المستغفرين للعالم عام ... الخ.

(٥) بعده في المفتاح: وحتىٰ النملة في جحرها، فقيل: سبب هذا الاستغفار أن العالم يعلم الخلق مراعاة هذه الحيوانات ويعرفهم ما يحل منها وما يحرم، ويعرفهم كيفية تناولها واستخدامها وركوبها والانتفاع بها، وكيفية ذبحها علىٰ أحسن الوجوه وأرفقها بالحيوان، والعالم أشفق ... الخ.

(٦) بعده في المفتاح: وبالجملة، فالرحمة والإحسان التي خُلق بهما ولهما الحيوانُ وكُتب لهما حظهما منه إنما يعرف بالعلم، فالعالم معرف ... الخ.

(٧) حاشية البجيرمي علىٰ شرح الخطيب المسماة بتحفة الحبيب ١/ ٤٧ (ط - دار الفكر ببيروت).

(٨) في حاشية البجيرمي: لطالب العلم.

في وصول الخلق وإرشادهم ودلالتهم علىٰ الحق **(فلينظر كيف يدخل)**[1] أي فعليه بإمحاض النية، واستعمال الخشية؛ ليكون تعليمه علىٰ طِبْق المعرفة من غير كتمان ولا بخس ونحو ذلك، أو لينظر كيف تكون منزلته عند الله، وليشكرْ علىٰ هذه النعمة التي أوتيها من بين العباد؛ إذ صار من خلفاء الأنبياء، ووارث مقامهم للخاص والعام.

(وقد رُوي أن سفيان) ابن سعيد **(الثوري)** ستأتي ترجمتُه فيما بعدُ **(قَدِمَ عسقلان)**[2] وهي مدينة من أعمال فلسطين علىٰ البحر كانوا يرابطون بها. وهذا قد أخرجه ابن الجوزي في ترجمته[3] من رواية داود بن الجَرَّاح، قال: قدم الثوري عسقلان **(فمكث)** ثلاثًا **(لا يسأله إنسانٌ)** عن شيء **(فقال: اكتروا لي)** ونصُّ ابن الجوزي: اكترِ لي، خطابٌ لداود بن الجراح **(لأخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم)** أي لقلة سائليه عنه.

(وإنما قال ذلك حرصًا علىٰ فضيلة التعليم، واستبقاءً للعلم به) فإن مذاكرة العلم ومسائله حياةٌ له وإبقاءٌ.

ويُروىٰ عن ضمرة قال[4]: كان سفيان ربما حدَّث بعسقلان، فربما إذا حدَّث الحديث قال للرجل: هذا خير لك من ولايتك صور وعسقلان.

---

(١) رواه الدارمي في سننه ١/ ٦٥ من قول محمد بن المنكدر، ولفظه: إن العالم يدخل فيما بين الله وبين عباده، فليطلب لنفسه المَخرج.

(٢) عسقلان: مدينة فلسطينية قديمة تقع علىٰ ساحل البحر المتوسط، علىٰ بعد ٢٥ كم شمال شرق غزة، وقد اندثر معظم آثارها الآن، وتوجد علىٰ أطلالها مدينة مجدل، وقد استولىٰ عليها اليهود عام ١٩٤٨.

(٣) مناقب الإمام الأعظم سفيان الثوري لابن الجوزي - اختصار الذهبي ص ٣١.

(٤) المرجع السابق، والصفحة.

(وقال عطاء) هو عطاء بن أبي رباح[١] **(دخلتُ علىٰ)** أبي محمد **(سعيد بن المسيَّب)** بن حَزْن المخزومي القُرَشي، أحد الأعلام، وسيد التابعين، ثقة حُجَّة، رفيع الذِّكر، روىٰ عن عمر وعثمان وسعد، وعنه الزهري وقتادة ويحيىٰ ابن سعيد، توفي سنة أربع وتسعين عن ست وسبعين[٢] **(وهو يبكي، فقلتُ له: ما يبكيك؟ فقال)**: يبكيني أنه **(ليس أحدٌ يسألني عن شيء)** فحزُنه علىٰ فوات فضيلة التعليم والإرشاد، ولولا خطر مقامه وعظيم منزلته لَما بكىٰ علىٰ فواته.

(وقال بعضهم: العلماء سُرُج الأزمنة، كل واحد منهم مصباح زمانه يستضيء به أهلُ عصره) السُّرُج بضمتين جمع سِراج، هو والمصباح شيء واحد. والأزمنة جمع زمان، هو والعصر شيء واحد. قال صاحب المصباح[٣]: السِّراج بالكسر: المصباح، وجمعه: سُرُج، ككتاب وكتب، والمَسْرَجة بالفتح: التي فيها الفتيلة والدهن، وبالكسر: التي يوضع فيها المسرجة[٤]، والجمع: مسارج، وأسرج السراج: أوقد. ثم قال[٥]: والمصباح معروف، والجمع: مصابيح. ثم قال[٦]: والزمان: مدة قابلة للقسمة، ولهذا يُطلَق علىٰ الوقت القليل والكثير، والجمع: أزمنة[٧].

---

(١) كذا هنا، السائل عطاء بن أبي رباح، والمجيب سعيد بن المسيب، وفي كتاب طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ ١/ ٣١٨ (ط - مؤسسة الرسالة) أن السائل هو عطاء بن السائب، والمجيب سعيد بن جبير، ونصه: «عن عطاء بن السائب قال: كان سعيد بن جبير بفارس، وكان يتحزن يقول: ليس أحد يسألني عن شيء».

(٢) الصحيح: عن إحدىٰ وثمانين عاما؛ لأنه ولد عام ١٣ هـ.

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ١٠٤.

(٤) نص المصباح: «والمسرجة بفتح الميم والراء: التي توضع عليها المسرجة، والمسرجة بكسر الميم: التي فيها الفتيلة والدهن، والمسرجة بالكسر: التي توضع عليها المسرجة».

(٥) المصباح المنير ص ١٢٦.

(٦) السابق ص ٩٧.

(٧) بعده في المصباح: «والزمن مقصور منه، والجمع: أزمان، مثل سبب وأسباب، وقد يجمع علىٰ: أزمُن».

والعصر(١): الدهر، والجمع: عُصور وأَعْصُر.

فإذا عرفتَ ذلك، فاعلمْ أن مغايرة التعبير مع اتحاد المعنىٰ تفنُّنٌ، وهذا الذي ذكره عن البعض قد جاء مِصْداقُه في الحديث الذي أخرجه الديلمي في مسند الفردوس(٢) عن أنس رفعه بسند فيه القاسم بن إبراهيم الملطي -قال الدارقطني(٣): كذاب-: «اتبِعوا العلماء؛ فإنهم سُرُج الدنيا ومصابيح الآخرة». والحديث وإن كان أورده ابن الجوزي في الموضوعات وجزم به السيوطي وغيره فالمعنىٰ صحيح، أي(٤): يُستضاء بهم من ظُلُمات الجهل، كما ينجلي ظلام الليل بالسراج المنير، ويهتدىٰ به فيه، فمَن اقتدىٰ بهم اهتدىٰ بنورهم، وشبَّه العالِم بالسراج لأنه تُقتبَس منه الأنوار بسهولة وتبقىٰ فروعُه بعده، وكذا العالِم، ولأن البيت إذا كان فيه سراج لم يتجاسر اللص علىٰ دخوله مخافةَ أن يُفتضَح، وكذا العلماء إذا كانوا بين الناس اهتدوا بهم إلىٰ طلب الحق [والسُّنَّة] وإزاحة ظلمة الجهل والبدعة، ولأنه إذا كان في البيت سراج موضوع في كُوَّة مسدودة بزجاج أضاء داخل البيت وخارجه، وكذا سراج العلم يضيء في القلب وخارج القلب حتىٰ يشرق نوره علىٰ الأذنين والعينين واللسان فتظهر فنون الطاعات من هذه الأعضاء، ولأن البيت الذي فيه السراج صاحبُه مستأنس مسرور، فإذا طفئ استوحش، فكذلك العلماء ما داموا في الناس فهم مستأنسون مسرورون، فإذا ماتوا صار الناس في غم وحزن.

فإن قلت: ما الحكمة في التشبيه بخصوص السراج؟ وما المناسبة التامَّة بينهما؟

قلت: المصباح تضرُّه الرياحُ، والعلم يضره الوسواس والشبهات، والسراج

---

(١) المصباح المنير ص ١٥٧.

(٢) فردوس الأخبار ١/ ١١٤.

(٣) الضعفاء والمتروكون للدارقطني ص ٢٠٤.

(٤) فيض القدير للمناوي ١/ ١٠٦. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

لا يبقَىٰ بغير دهن، والعلم لا يبقىٰ بغير توفيق، ولا بد للسراج من حافظ يتعهده، ولا بد لمصباح العلم من متعهِّد وهو فضلُ الله وهدايته، ولأن السراج يحتاج إلىٰ سبعة أشياء: زناد وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن، والعبد إذا طلب إيقاد سراج العلم لا بد [له] من قدح زناد الفكر علىٰ حجر التضرُّع، وإحراق النفس بمنعها من شهواتها وكبريت الإنابة ومسرجة الصبر وفتيلة الشكر ودهن الرضا [بالقضاء] وقد ورد أيضًا تشبيهُ العلماء بالنجوم والكواكب وبالقمر، تقدَّم ذلك في حديث أبي الدرداء الطويل، فلا يَرِد: لِمَ لمْ يشبِّههم بالقمرين والنجوم مع أنها أنور وأرفع في المشارق والمغارب؟

(**وقال الحسن**) البصري: (**لولا العلماء**) بالله وبأحكام الله (**لصار الناس**) في جاهليةٍ جَهْلاء (**مثل البهائم**) والأنعامِ لا يهتدون سبيلاً (**لأنهم**) أي الناس، وفي نسخة: أي إنهم (**بالتعليم**) لأمور الدين (**يُخرِجون الناسَ من حد البهيمية إلىٰ حد الإنسانية**) وتحقيق المقام[1]: أن الإنسان وإن كان هو بكونه إنسانًا أفضل موجود فذلك إذ يراعي ما به صار إنسانًا وهو العلم [الحق][2] والعمل المحكَم، فبقَدْر وجود ذلك المعنىٰ فيه يفضل، وهذا لا سبيل إليه إلا بالتعليم، وأما هو من حيث ما يتغذَّىٰ وينسل فنبات، ومن حيث ما يحس ويتحرك فحيوان، ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار، وإنما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه، ولهذا قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثَّلة.

وهذه المراتب لا تحصل له إلا بالتعليم، وبه يتميَّز من الحيوانية ويخرج منها إلىٰ حد الإنسانية، فالعلماء هم الذين يعلِّمون الناس بما يصيرون به إنسانًا.

(**وقال عكرمة**) أبو عبد الله المفسِّر، مولىٰ ابن عباس، روىٰ عن مولاه

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص ٢٧.

(٢) زيادة من الذريعة.

وعائشة وأبي هريرة وطائفة، وعنه أيوب وخالد الحذاء وخلف[1]، روىٰ له مسلم مقرونًا، مات بعد المائة (**إن لهذا العلم**) أراد به العلم بالله وأوامره وأحكامه (**ثمنًا**) أي قيمة وقَدْرا (**قيل: وما ذلك**) الثمن؟ (**قال: أن تضعه**) في موضعه (**فيمن يُحسِن حَمْله**) بأن يكون مراده بذلك العمل به والنفع لغيره بإيصاله إليه لا لقصد المباهاة وغير ذلك (**ولا تضيعه**)[2] بعدم العمل به أو بوضعه فيمن لا يُحسِن حمله، فواضع العلم في غيره أهله كمقلِّد الخنازير الدُّرَّ واليواقيت، وسيأتي ذلك، وفيه قول النَّسَّابة البكري[3]: إن للعلم آفة ونكدًا وهجنة، فآفته نسيانه، ونكده الكذب فيه، وهجنته نشرُه عند غير أهله.

(**وقال يحيىٰ بن معاذ**) الرازي، أحد أعيان الصوفية المشاهير: (**العلماء أرحم**) أي أكثر رحمةً وشفقةً وحنوًّا (**بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمَّهاتهم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم**) بمقتضىٰ الشفقة المجبولينِ عليها (**من نار الدنيا**) أي من الوقوع فيها (**وهم يحفظونهم**) بمقتضىٰ الرحمة

---

(١) كذا هنا، ولعلها: خصيف، كما في تهذيب الكمال للمزي ٢٠/ ٢٦٦.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٤٤٨. الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي ١/ ٥١٤.

وذكره الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٥٧٥ بلفظ: «عن أرطأة بن أبي أرطأة قال: رأيت عكرمة مع رهط فيهم سعيد بن جبير، فقال: إن للعلم ثمنا، فلا تعطوه حتىٰ تأخذوا ثمنه. قالوا: وما ثمنه يا أبا عبد الله؟ قال: أن تضعوه عند من يحسن حمله».

(٣) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٤٩ عن رؤبة بن العجاج الراجز قال: أتيت النسابة البكري، فقال لي: من أنت؟ قلت: رؤبة بن العجاج. قال: قصَّرت وعرَّفت، فما جاء بك؟ قلت: طلب العلم. قال: لعلك من قوم أنا بين أظهرهم إن سكتُّ لم يسألوني، وإن تكلمت لم يعوا عني. قلت: أرجو أن لا أكون. قال: أتدري ما آفة المروءة؟ قلت: لا، فأخبرني. قال: جيران السوء، إن رأوا حسنًا دفنوه، وإن رأوا سيئًا أذاعوه. ثم قال لي: يا رؤبة، إن للعلم آفة وهجنة ونكدًا، فآفته نسيانه، وهجنته أن تضعه عند غير أهله، ونكده الكذب فيه. وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ٢٢٢ والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٢٦٢ وعندهما: بنو عم السوء، بدل: جيران السوء.

التامة والهداية العامة (**من نار الآخرة**) أي يعلِّمونهم بما يكون سببًا لنجاتهم منها، وللعلماء في الأرحمية بهم وجوهٌ أُخَر، كتغذيتهم إياهم بالحكمة التي بها قوام الروح، والأبوان يغذِّيانهم بما فيه قوام الجسد، والعلماء يحلُّونهم بالحياء والسكينة والوقار، والأبوان يسترانهم بلباس الظاهر، والعلماءُ بلباس الباطن.

(**وقيل: أول العلم الصمت، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم نشره**) هذا القول رُوي عن كلٍّ من السُّفيانينِ، فأخرج أبو نعيم في الحلية[١] في ترجمة ابن عيينة قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، سمعت محمد بن بشر الحارثي[٢] يقول: سمعت ابن عيينة يقول: أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر.

وأخرج ابن الجوزي في ترجمة سفيان الثوري فقال[٣]: ويُروَىٰ عن سفيان بطُرقٍ أنه قال: أول العلم الصمت، والثاني الاستماع له وحفظُه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه. ا.هـ.

فللعلم مراتب خمس في قول ابن عيينة، وأربعة علىٰ قول الثوري، وفصلُ الخطاب في ذلك أن للعلم ست مراتب[٤]، أولها: حسن السؤال، الثانية: حسن الإنصات والاستماع، الثالثة: حُسن الفهم، الرابعة: الحفظ، الخامسة: التعليم، السادسة، وهي ثمرته: هي العمل به ومراعاة حدوده، فمن الناس مَن يُحرَمه لعدم حُسن سؤاله إما أنه لا يسأل بحال أو يسأل عن شيءٍ وغيرُه أهم إليه منه، كمن يسأل عن فُضوله التي لا يضر جهلُه بها ويَدَعُ ما لا غِنىٰ له عن معرفته، وهذه حال

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٤.

(٢) في المطبوعة: بشر بن محمد الجرشي. والتصويب من الحلية.

(٣) مناقب الإمام الأعظم سفيان الثوري لابن الجوزي - اختصار الذهبي ص ٣٠.

ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٦٢ وأوله: كان يقال: أول العلم ... الخ.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٥١١.

كثير من الجُهَّال المتعاطين[١]، ومن الناس مَن يُحرَمه لسوء إنصاته، فيكون الكلام والمماراة عنده آثَرَ من حسن الاستماع[٢]، وهذه آفة كامنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم، وهي تمنعهم علمًا كثيرًا ولو كان حَسَن الفهم.

ذكر ابن عبد البر عن بعض السلف[٣] أنه قال: مَن كان حَسَن الفهم رديء الاستماع لم يقُم خيرُه بشَرِّه.

وذكر عبد الله بن أحمد في كتاب العلل له قال: كان عبد الله بن الزبير[٤] يحب مماراة ابن عباس، فكان يخزن علمه عنه، وكان عبيد الله بن عبد الله [بن عتبة][٥] يلطِّف له في السؤال فيعزُّه بالعلم عزًّا.

وقال ابن جُرَيج[٦]: لم أستخرج العلم الذي استخرجتُ من عطاء إلا برِفقي به.

وقال بعض السلف[٧]: إذا جالستَ العالِم فكنْ علىٰ أن تسمع أحرصَ منك علىٰ أن تقول، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق:٣٧] فتأمَّلْ ما تحت هذه الألفاظ من كنوز العلم، وكيف

(١) في المفتاح: المتعلمين.

(٢) في المفتاح: آثر عنده وأحب إليه من الإنصات.

(٣) هو أنس بن أبي شيخ، كما في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٤٨.
وأنس هذا كان كاتب البرامكة، وقتله هارون الرشيد عام ١٨٧ هـ.

(٤) في المفتاح: عروة بن الزبير.

(٥) زيادة من المفتاح.

(٦) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٢٣، ٥١٩.

(٧) هو الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٥٢١، ونصه: «وقال الحسين بن علي لابنه: يا بني، إذا جالست العلماء فكن علىٰ أن تسمع أحرص منك علىٰ أن تقول، وتعلم حسن الاستماع ما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع علىٰ أحد حديثًا وإن طال حتىٰ يمسك».

تفتح مراعاتُها للعبد أبوابَ العلم والهدىٰ، وكيف ينغلق باب العلم عنه من إهمالها وعدم مراعاتها؛ فإنه سبحانه ذكر أن آياته [المتلوة][١] المسموعة والمرئية المشهودة إنما تكون تذكرة لمن كان له قلب؛ فإنَّ مَن عَدِمَ القلبَ الواعي عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كلُّ آية[٢]، فإذا كان له قلب كان بمنزلة البصير إذا مرت به المرئياتُ فهو يراها، ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه إلا بأمرين:

أحدهما: أن يُحضِره ويُشهِده لِما يُلقَىٰ إليه، فإذا كان غائبًا عنه، مسافرًا في الأماني والشهوات والخيالات لا ينتفع به، فإذا أحضره وأشهده لم ينتفع إلا بأن يُلقِي سمعه ويصغي بكُلِّيته إلىٰ ما يوعَظ به ويرشَد إليه، وهنا ثلاثةُ أمور:

أحدها: سلامة القلب وصحته وقبوله.

الثاني: إحضاره وجمعه ومنعُه من الشرود والتفرُّق.

الثالث: إلقاء السمع وإصغاؤه والإقبال علىٰ الذِّكر.

فذكر الله تعالىٰ الأمور الثلاثة في هذه الآية.

وفي الكشاف[٣]: لمَن كان له قلب واعٍ؛ لأن مَن لا يعي قلبُه فكأنه لا قلب له، وإلقاء السمع: الإصغاء. وهو شهيد: أي حاضر بفطنته؛ لأن مَن لا يحضر ذهنُه فكأنه غائب. ا.هـ.

والمقصود بيان حرمان العلم من هذه الوجوه الستة:

أحدها: تركُ السؤال.

الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع.

---

(١) زيادة من المفتاح.

(٢) بعده في المفتاح: ومرور الآيات عليه كطلوع الشمس والقمر والنجوم ومرورها علىٰ من لا بصر له.

(٣) الكشاف للزمخشري ٥/ ٦٠٤.

الثالث: سوء الفهم.

الرابع: عدم الحفظ.

الخامس: عدم نشره وتعليمه؛ فإن مَن خَزَنَ علمه ولم ينشره ولم يعلِّمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه جزاءً من جنس عمله[١].

السادس: عدم العمل به؛ فإن العمل به يوجب تذكُّره وتدبُّره ومراعاته والنظر فيه، فإذا أهمل العمل به نسيه. قال بعض السلف[٢]: كنا نستعين علىٰ حفظ العلم بالعمل به. فالعمل به من أعظم أسباب حفظه وثباته. والله أعلم.

(وقيل[٣]: **عَلِّم علمك مَن يجهل**) أي ليكنْ تعليمك للجاهلين (**وتعلَّم ممَّن يعلم**) أي وتعلُّمُك من العالِمين، أي إذا رأيتَ مَن دونك فأَفِدْه بما عندك ولا تكتم عليه، وإذا رأيت مَن فوقك في العلم فاستفِدْ منه بما ليس عندك (**ما تجهل، فإنك إذا فعلتَ ذلك علمت ما جهلت**) بتعلُّمك من العالِم (**وحفظت**) أي أثبتَّ واستوثقت (**ما علمتَ**) بإفادتك للغير، والمدارسةُ توجب الرسوخ في الذهن والثبات في الفكرة.

(**وقال معاذ بن جبل**)[٤] بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب ابن

---

(١) بعده في المفتاح: وهذا أمر يشهد به الحس والوجود.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٠٩، ٢/ ١٠٣١ عن عامر الشعبي ووكيع بن الجراح قالا: كنا نستعين علىٰ حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين علىٰ طلبه بالصوم.
ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٢٨٤، ٣١١ والخطيب في اقتضاء العلم العمل ص ٩٠ من قول إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن حارثة الأنصاري دون العبارة الثانية.

(٣) في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٤٣٠ عن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت الفضيل ابن عياض عن الصبر علىٰ المصيبات، فقال: أن لا تبث. وسألته عن الزهد، فقال: الزهد القناعة، وهو الغنىٰ، وسألته عن الورع، فقال: اجتناب المحارم، وسألته عن التواضع فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له ممن سمعته، ولو كان أجهل الناس لزمك أن تقبله، وكان يقال: علم علمك .... الخ.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢/ ٢٣٤ (ط - دار الفكر).

عمرو بن أَدَيِّ بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن المدني الصحابي رضي الله عنه. قال ابن الكلبي عن أبيه: لم يبقَ من بني أدي بن سعد أحدٌ، وعِدادهم في بني سَلَمة بن سعد، وكان آخر مَن بقي منهم عبد الرحمن بن معاذ بن جبل، مات في الشام بالطاعون فانقرضوا. قال ابن عبد البر: وهو أحد السبعين الذين شهدوا العَقَبة من الأنصار، وآخىٰ رسولُ الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود. وهو أعلم هذه الأمَّة بالحلال والحرام. مات في طاعون عَمْواس[1] وهو ابن ثلاث وثلاثين[2] **(في التعليم والتعلُّم)** أي في فضلهما موقوفًا عليه، وهو الأشبه بالصواب، كما ذهب إليه أبو طالب المكي[3]، وأبو نعيم في الحلية[4]، والخطيب[5]، وابن القيم[6]، وغيرهم **(ورأيته أيضًا مرفوعًا)** إلىٰ رسول الله ﷺ؛ كذا رواه أبو نعيم في المعجم، ولا يثبُت، وحسبُه أن يصل إلىٰ معاذ، ورواه ابن عبد البر في العلم[7] من رواية موسىٰ بن محمد بن عطاء القرشي، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العَمِّي، عن أبيه، عن الحسن، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

---

(١) عمواس: قرية تقع وسط فلسطين، وتبعد عن القدس حوالي ٣٠ كم، فتحها عمرو بن العاص في خلافة أبي بكر الصديق، وحدث بها طاعون عام ١٨ هـ مات فيه الآلاف من الناس، منهم كثير من الصحابة. وقام اليهود باحتلالها وتدميرها في عدوان ١٩٦٧.

(٢) وحكىٰ ابن عبد البر عن المدائني قال: مات معاذ بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة. وذكر أبو حاتم الرازي أنه مات وهو ابن ثمان وعشرين سنة. وقال أحمد بن صالح المصري: توفي معاذ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة. وقال غيره: كان سنه يوم مات ثلاثا وثلاثين سنة.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٣٣.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٣٩.

(٥) أخرجه في كتاب الفقيه والمتفقه ١/ ١٠٠ من حديث أبي هريرة - وليس معاذ - مرفوعا.

(٦) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٩٤.

(٧) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣٩.

هذا سند المرفوع، وأما سند الموقوف فقال أبو طالب المكِّي في الفصل الحادي والثلاثين من القوت: وروينا في فضل العلم بالله تعالىٰ من رواية رجاء ابن حيوة عن عبد الرحمن بن غُنْم عن معاذ بن جبل قال ... فذكره.

وأورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة معاذ، فلم يذكر بين رجاء ومعاذٍ عبدَ الرحمن فقال: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إبراهيم بن يحيىٰ، حدثنا يعقوب الدورقي، حدثنا محمد بن موسىٰ المروزي أبو عبد الله قال: قرأت هذا الحديث علىٰ هشام بن مخلد -وكان ثقة- فقال: سمعته من أبي عصمة عن رجل سمَّاه عن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (**تعلَّموا العلم؛ فإن تعلُّمه لله خشيةٌ**) هكذا في سائر الروايات، وفي القوت: حسنة، وهو إن لم يكن تصحيفًا فالمعنىٰ صحيح (**وطلبُه عبادةٌ**) ويُروَىٰ عنه من وجه آخر: عليكم بالعلم؛ فإن طلبه لله عبادة (**ومدارسته**) وفي الحلية: ومذاكرته، وهكذا عند ابن عبد البر (**تسبيح**) أي مذاكرته مع الإخوان بقصد النفع يقوم مقام التسبيح في حصول الأجور (**والبحث عنه**) في الغُدُوِّ والرَّواح في تفحُّص أسراره وحِكَمه (**جهادٌ**) لِما فيه من بذل قوة البدن والحواسِّ والمال (**وتعليمه لمَن لا يعلمه**) هكذا عند الجماعة، وعند ابن القيم: لمَن لا يُحسِنه (**صدقة**) جارية إلىٰ يوم القيامة (**وبذله**) أي صرفُه (**لأهله**) ممَّن يُحسِن حمله (**قُرْبة**) أي سببٌ للقُرْب إلىٰ الله تعالىٰ، وعند ابن القيم بعد هذه الجملة: به يُعرَف الله ويُعبَد، وبه يوحَّد، وبه يُعرَف الحلال والحرام وتوصَل الأرحامُ. وفي الحلية وكذا عند ابن عبد البر بعد قوله «قربة»: لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل أهل الجنة.

ثم اتفقوا فقالوا: (**وهو الأنيس في الوحدة**) هكذا في النسخ، وسقطت من بعض النسخ، وفي الحلية: والصاحب في الغربة، أي معين له في أسفاره (**والصاحب في الخلوة**) ونصُّ الحلية وابن عبد البر: والمحدِّث في الخلوة، أي مُغْنٍ له عن

اتخاذ أصحاب التسلية **(والدليل علىٰ السَّرَّاء والضَّرَّاء)** كذا في النسخ، وعند ابن القيم: والمعين علىٰ الضراء. وزاد في الحلية بعدها: والسلاح علىٰ الأعداء. وكذا عند ابن عبد البر أيضًا **(والوزير عند الأخلاء)** كذا في النسخ، وعند ابن عبد البر: والزين، بدل: الوزير، ومثله في الحلية **(والقريب عند الغرباء)** كذا نصُّ القوت وابن القيم، وليست هذه الجملة في الحلية، ولا عند ابن عبد البر **(ومنار سبيل الجنة)** كذا هذه الجملة هنا في رواية الخطيب وابن القيم، وتقدَّمت بعد قوله «قربة» عند ابن عبد البر وأبي نعيم، إلا أنهما قالا: ومنار سبيل أهل الجنة **(يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير)** وفي الحلية: ويجعلهم، بالواو **(قادة هُداة)** كذا في القوت، وليس في الحلية «هداة» **(يُقتدَىٰ بهم)** وعند الخطيب: قادة وسادة يُقتدَىٰ بهم، وفي بعض النسخ: يُهتدَىٰ بهم **(أدلَّة في الخير)** وفي بعض النسخ: علىٰ الخير **(تُقتَصُّ)** أي تُتَبع **(آثارُهم، وتُرمَق)** أي تُنظَر **(أفعالهم)** ونصُّ الحلية بعد قوله «قادة»: وأئمَّة تُقتبَس آثارُهم، ويُقتدَىٰ بفعالهم، ويُنتهَىٰ إلىٰ رأيهم.

ومثله عند ابن عبد البر، إلا أنه قال: تُقتَصُّ، بدل: تُقتبَس **(وترغب الملائكة في خَلَّتهم)** أي مصادقتهم **(وبأجنحتها تمسحهم)** تبرُّكًا بهم، أو تحفُّ عليهم بأجنحتها حفظًا وصيانةً **(كلُّ رَطْب ويابس)** وفي بعض النسخ بزيادة واو العطف **(لهم يستغفر)** وفي بعض النسخ: يستغفر لهم. وعند ابن عبد البر: يستغفر لهم كل رَطْب ويابس. وكذا في الحلية، وعند الخطيب: **(حتىٰ حيتان البحر)** وفي الحلية: حتىٰ الحيتان في البحر. وعند ابن عبد البر بعد قوله «ويابس»: وحيتان البحر **(وهوامُّه)** جمع هامَّة: ما له سُمٌّ يقتل كالحية، وقد تُطلَق علىٰ ما يؤذي، والضمير عائد إلىٰ البحر **(وسِباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها)** وهذه الجملة الأخيرة ليست في الحلية، ولا عند ابن عبد البر **(لأن العلم حياة القلب من العَمَىٰ)** وفي الحلية: من الجهل. وعند ابن عبد البر: حياة القلوب من الجهل. وعند ابن القيم: والعلم حياة القلوب من العمىٰ **(ونور الأبصار)** وعند ابن القيم: ونور للأبصار. وفي الحلية: مصباح الأبصار.

وعند ابن عبد البر: ومصابيح الأبصار (**من الظُّلَم**) وفي الحلية: من الظُّلمة (**وقوة الأبدان**) وعند ابن القيم: للأبدان (**من الضعف**) وسقطت هذه الجملة الأخيرة من الحلية وعند ابن عبد البر (**يبلغ به العبدُ منازلَ الأبرار والدرجات العُلَىٰ**) وعند ابن عبد البر وأبي نعيم: الأخيار، بدل: الأبرار. وفي آخره: في الدنيا والآخرة. إلا أن أبا نعيم قال: يبلغ بالعلم.

وقال: الدرجات العليا (**والتفكُّر فيه يعدِل بالصيام، ومدارسته بالقيام**) وعند ابن عبد البر: يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام (**به يُطاع الله عَزَّوَجَلَّ، وبه يُعبَد، وبه يوحَّد**) وفي بعض النسخ: يؤجَر (**وبه يمجَّد، وبه يُتورَّع، وبه توصَل الأرحامُ**) هذه الجمل سقطت من الحلية، وهي عند الخطيب وابن القيم في أول الحديث، كما أشرنا إليه، والذي في الحلية -وكذا عند ابن عبد البر- بعد قوله «بالقيام»: وبه توصَل الأرحام (**وبه يُعرَف الحلال من الحرام**) وتحقيق هذا المحل[1]: أن كل ما سوىٰ الله يفتقر إلىٰ العلم، لا قِوام له بدونه؛ فإن الوجود وجودانِ: وجود الخَلْق، ووجود الأمر، والخلق والأمر مصدرهما علم الرب وحكمته، فكل ما ضمَّنه الوجودُ من خلقه وأمره صادرٌ عن علمه وحكمته، فما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا بالعلم، ولا بُعثت الرسلُ وأُنزلت الكتب إلا بالعلم، ولا عُبد الله وحده وحُمد وأُثني عليه ومُجِّد إلا بالعلم، ولا عُرف الحلال من الحرام إلا بالعلم، ولا عُرف فضل الإسلام علىٰ غيره إلا بالعلم (**وهو إمام، والعمل تابِعُه**) وعند الخطيب: للعمل[2]، والعمل تابعه.

وعند ابن عبد البر وأبي نعيم: وهو إمام العمل، والعمل تابعه (**يُلهَمه السعداءُ**) أي مَن سبقت له السعادةُ الأزلية أُلهِمَ بالعلم (**ويُحرَمه الأشقياء**) أي

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٣١٤.

(٢) في الفقيه والمتفقه: هو إمام العقل.

ليس لهم نصيب منه. هكذا رواه أبو نعيم في الحلية، وأبو طالب المكي في القوت، والخطيب، وابن القيم وغيرهم موقوفًا، ورواه أبو نعيم في المعجم وابن عبد البر -كما تقدم- مرفوعًا، وقال في آخره: وهو حديث حسن [جدًّا](١) ولكن ليس له إسناد قوي، وقد رويناه من طرق شتىٰ موقوفًا. ثم رواه من رواية أبي عِصمة نوح بن أبي مريم عن رجاء بن حيوة عن معاذ موقوفًا.

قال العراقي: قوله «حسن» أراد به الحُسْن المعنوي لا الحسن المصطلح عليه بين أهل الحديث؛ فإن موسىٰ بن محمد البلقاوي كذَّبه أبو زُرْعة وأبو حاتم(٢)، ونسبه العقيلي(٣) وابن حبان(٤) إلىٰ وضع الحديث، وعبد الرحمن ابن زيد متروك(٥)، وأبوه مختلَفٌ فيه(٦)، والحسن لم يدرك معاذًا، وأبو عصمة المذكور في الموقوف ضعيف أيضًا، كان يقال له: نوح الجامع، قال ابن حبان(٧): جمع كل شيء إلا الصدق.

---

(١) زيادة من جامع بيان العلم.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ١٦١ ونصه: «موسىٰ بن محمد بن عطاء، أبو الطاهر المقدسي، سألت أبي عنه فقال: رأيته عند هشام بن عمار ولم أكتب عنه، وكان يكذب ويأتي بالأباطيل. وقال موسىٰ بن سهل الرملي: أشهد عليه أنه كان يكذب. وسئل أبو زرعة عنه فقال: أتيته فحدث عن الهيثم بن حميد وفلان وفلان، وكان يكذب».

(٣) الضعفاء للعقيلي ٤/ ١٣٢٠ ونصه: «يحدث عن الثقات بالبواطيل والموضوعات».

(٤) المجروحون من المحدثين ٢/ ٢٥٠ ونصه: «كان يدور الشام ويضع الحديث علىٰ الثقات ويروي ما لا أصل له عن الأثبات، لا تحل الرواية عنه ولا كتابة حديثه إلا علىٰ سبيل الاعتبار للخواص».

(٥) قال عنه ابن معين: ليس بشيء. وفي رواية أخرىٰ: ضعيف. وضعفه علي ابن المديني والنسائي وأحمد. ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٥٦٥.

(٦) قال الذهبي في الميزان ٢/ ٩٨: «زيد بن أسلم، مولىٰ عمر، تناكد ابن عدي بذكره في الكامل، فإنه ثقة حجة. قال حماد بن زيد: قدمت المدينة وهم يتكلمون في زيد بن أسلم، فقال لي عبيد الله بن عمر: ما نعلم به بأسًا، إلا أنه يفسر القرآن برأيه».

(٧) لم أقف علىٰ قول ابن حبان هذا في المجروحين، وإنما نصه ٢/ ٣٩٠: «كان ممن يقلب الأسانيد، ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديث الأثبات، لا يجوز الاحتجاج به بحال». أما القول المذكور أعلاه فقد أورده المزي في تهذيب الكمال ٣٠/ ٦١. =

ورجاء بن حيوة أيضًا لم يسمع من معاذ. وروى الموقوفَ سليمٌ الرازي في «الترغيب والترهيب» من طريق آخر، وفيه كِنانة بن جَبَلة، ضعيف جدًّا[١].

قلت: ولكن صرَّح أبو طالب أن رجاء بن حيوة سمعه من عبد الرحمن بن غُنْم عن معاذ، فهذا أشبهُ. والله أعلم.

وقال العراقي في تخريجه الصغير[٢]: أخرجه بطوله أبو الشيخ في كتاب «الثواب» له.

وقال في تخريجه الكبير: وفي الباب عن أنس وأبي هريرة وعبد الله بن أبي أوفى؛ فحديث أنس رواه المُرْهِبي في العلم من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رفعه، والرقاشي ضعيف[٣].

وحديث أبي هريرة رواه الخطيب في كتاب «الفقيه والمتفقِّه» مع اختلاف بإسناد ضعيف من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة.

وحديث ابن أبي أوفى رواه المظفر بن الحسين الغزنوي في كتاب «فضائل القرآن» وقال: تعلَّموا القرآن، بدل: العلم، وزاد فيه زيادات منكرة، وهو منكر جدًّا.

(نسأل الله تعالى حُسن التوفيق)



= وذكر الذهبي في الميزان ٤/ ٢٧٩ أنه سمي بالجامع لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى، والحديث عن حجاج بن أرطأة، والتفسير عن الكلبي ومقاتل، والمغازي عن ابن إسحاق.

(١) هذا قول السعدي فيه، وقال أبو حاتم الرازي: محله الصدق. وقال ابن معين: كذاب. ميزان الاعتدال ٣/ ٤١٥.

(٢) المغني ١/ ٢٠.

(٣) ميزان الاعتدال ٤/ ٤١٨.

(الشواهـد العقليـة)

لمَّا فرغ من بيان الشواهد النقلية في فضيلة العلم والتعلُّم والتعليم شرع في بيان الشواهد العقلية، والشاهد[١] هو المعلوم المستدَل به قبل العلم بالمستدَل عليه، سواءٌ عُلم ضرورةً أو استدلالاً، والمراد بالشواهد هنا: الجزئيات التي يؤتَىٰ بها لإثبات القواعد.

(اعلمْ أن المطلوب من سياق هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته) أي خطره وعزة قَدْره **(وما لم تُفهَم الفضيلة في نفسها ولم يتحقَّق المراد منها لم يمكن أن يُعلَم وجودها صفةً للعلم أو لغيره من الخصال)** فلا بد من معرفتها باشتقاقها وحدودها أولاً **(فلقد ضلَّ عن الطريق)** أي طريق الرشد **(مَن طمع أن يعرف أن زيدًا)** مثلاً **(حكيم أمْ لا وهو بعدُ لم يفهم معنىٰ الحكمة وحقيقتها)** وإطلاقاتها، وحيث كان الأمر كذلك **(فالفضيلة)** فَعِيلة **(مأخوذة من الفضل)** ودائرة الأخذ أوسع من دائرة الاشتقاق، ولذا لم يقل: مشتقَّة **(وهو)** أي الفضل لغةً: **(الزيادة)** زاد الراغب في مفرداته[٢]: علىٰ الاقتصاد، وهو اسمٌ لِما يُتوصَّل به إلىٰ السعادة، ويضادُّها الرذيلة[٣].

وقال ابن السيد في الفَرْق[٤]: الفضل إذا كان يُراد به الزيادة ففيه ثلاث لغات: كنَصَرَ وعَلِمَ وكَرُمَ، وأما الفضل الذي هو بمعنىٰ الشرف فليس فيه إلا لغة واحدة

---

(١) هذا هو تعريفه عند الأصوليين، كما في التوقيف للمناوي ص ٢٠١.

(٢) المفردات للراغب ص ٣٨١ وفيه: الزيادة عن الاقتصار.

(٣) فيض القدير للمناوي ٢/ ٤٥.

(٤) انظر: تاج العروس ٣٠/ ١٧٢.

وهي فَضَلَ يَفْضُل، كقعد يقعُد.

وتمام البحث في شرحنا علىٰ القاموس.

(**فإذا تشارَكَ شيئان في أمر**) من الأمور (**واختص أحدُهما بمزية**) من مزىٰ، وهي فضيلة يمتاز بها عن غيره، قالوا: ولا يُبنَىٰ منه فعلٌ[١] (**يقال: فَضَله، وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء**) والبلوغ إلىٰ أقصىٰ مراتبه (**كما يقال: الفرس أفضل من الحمار**) يقال ذلك (**بمعنىٰ أنه يشاركه**) أي الفرس (**في قوة الحَمْل**) أي ينهض بالحِمْل الثقيل، فكلٌّ منهما مشاركان في هذا الوصف (**ويزيد عليه**) الفرسُ بأوصاف أخرىٰ: (**بقوة الكرِّ**) أي قوة إقدامه في الكر، أي الحمل علىٰ عدوِّه؛ فإنه ينقضُّ عليه كالبازي (**والفرِّ**) أي نهضته للفرار إذا لم يمكن صاحبُه المقاتَلة (**وشدة العَدْو**) أي الجري مع سهولة في الحالتين، كما قالوا: إن سُبق لحق، وإن سَبق لم يُلحَق (**وحُسن الصورة**) مع ما فيه من الأوصاف.

قال الدَّمِيري في حياة الحيوان[٢]: الفرس أشبه [الحيوان] بالإنسان؛ لِما فيه من الكرم وشرف النفس وعلوِّ الهمة والزهو والخُيَلاء، ومن شرفه أنه لا يأكل بقية علف غيره، ويرىٰ المنامات كبني آدم، ويوصَف بحدَّة البصر، وربما يعيش إلىٰ تسعين سنة.

(**فلو فُرض حمار اختصَّ بسلعة زائدة**) وتُغُولِيَ ثمنُه (**لم نقل إنه أفضل**) من الفرس (**لأن تلك زيادة في الجسم، وهو نقصان من المعنىٰ، وليست من الكمال في شيء، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته**) التي منها: حمل الأثقال، والصبر، والإبلاغ (**لا لجسمه**) اعلم[٣] أن الفضل إذا استُعمل لزيادة حُسْن أحد الشيئين

---

(١) تاج العروس ٣٩/ ٥٢٨. الصحاح للجوهري ٦/ ٢٤٩٢.

(٢) حياة الحيوان الكبرىٰ ٢/ ٢٨٥، ٢٨٩. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٦١.

علىٰ الآخر ثلاثةُ أضرُبٍ: فضلٌ من حيث الجنس، كفضل جنس الحيوان علىٰ جنس النبات.

وفضل من حيث النوع، كفضل الإنسان علىٰ غيره من الحيوان. وفضل من حيث الذات، كفضل رجل علىٰ آخر. فالأوَّلان جوهريان لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه وأن يستفيد الفضل، كالفرس والحمار لا يمكنهما اكتساب فضيلة الإنسان، والثالث قد يكون عَرَضيًّا يمكن اكتسابه، ومن هذا النحوِ التفضيلُ المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [النحل:٧١] أي في المُكْنة والجاه والمال والقوة.

(فإذا فهمتَ هذا، لم يَخْفَ عليك أن العلم فضيلة) علىٰ الإطلاق، بل أصل كل الفضائل الداخلية **(إن أخذتَه بالإضافة إلىٰ سائر الأوصاف، كما أن للفرس فضيلة إن أخذتَه بالإضافة إلىٰ سائر الحيوانات، بل شدة العَدْو)** أي الرَّكْض والجري **(فضيلةٌ في الفرس، وليست فضيلة علىٰ الإطلاق، والعلم فضيلة في ذاته علىٰ الإطلاق من غير إضافة)** ونسبةٍ إلىٰ شيء آخر **(فإنه وصفٌ لكمال الله تعالىٰ، وبه شرف الملائكة والأنبياء)** إذ لم يُبعَث الرسل ولا أُنزلت الكتب إلا بالعلم، بل ما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا بالعلم، فكل ما ضمَّه الوجود من خَلْقه وأمره صادرٌ عن علمه وحكمته.

واختُلف[1] هنا في مسألة وهي: هل العلم صفة فعلية أو انفعالية؟ فقالت طائفة: هو صفة فعلية؛ لأنه شرط أو جزءٌ سببٌ في وجود المفعول؛ فإن الفعل الاختياري يستدعي حياة الفاعل وعلمه وقدرته وإرادته، ولا يُتصوَّر وجوده بدون هذه الصفات. وقالت طائفة: هو انفعالي؛ فإنه تابع للمعلوم، متعلِّق به علىٰ ما هو عليه؛ فإن العالِم يدرك المعلوم علىٰ ما هو به، فإدراكه تابعٌ له، [فكيف] يكون

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٣١٤. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

متقدِّمًا عليه؟! والصواب أن العلم قسمان: [علم] فِعْليٌّ، وهو علم الفاعل المختار بما يريد أن يفعله؛ فإنه موقوف علىٰ إرادته الموقوفة علىٰ تصوُّره المراد والعلم[١] به، فهذا علمٌ قبل الفعل، متقدِّم عليه، مؤثِّر فيه.

وعلمٌ انفعالي، وهو العلم التابع للمعلوم الذي لا تأثير له فيه، كعِلمنا بوجود الأنبياء [والأمم] والملوك وسائر الموجودات؛ فإن هذا العلم لا يؤثِّر في المعلوم، ولا هو شرطٌ فيه، فكلٌّ من الطائفتين نظرت جزئيًّا وحكمت كليًّا. وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس، وكِلا القِسمين [من العلم] صفة كمال، ونقصه[٢] من أعظم النقص (بل الكَيِّس) فَيْعِل من الكياسة (**من الفرس خير من البليد، فهي فضيلة علىٰ الإطلاق من غير إضافة**) اعلم[٣] أن الله سبحانه خلق الموجودات، وجعل لكل شيء منها كمالاً يختص به هو غاية شرفه، فإذا عُدم كمالُه انتقل إلىٰ الرتبة التي دونه واستُعمل فيها، فكان استعماله فيها كمالَ أمثالِه، فإذا عَدِمَ تلك أيضًا نُقل إلىٰ ما دونها ولا تُعطَّل .. وهكذا أبدًا، حتىٰ إذا عَدِمَ كلَّ فضيلةٍ صار كالشوك وكالحطب الذي لا يصلُح إلا للوقود، فالفرس إذا كانت فيه فروسيته التامة أُعِدَّ لمراكب الملوك، وأُكرم إكرامَ مِثلِه، فإذا نزل عنها قليلاً أُعدَّ لمَن دون الملك، فإذا زاد تقصيرُه [فيها] أُعدَّ لآحاد الأجناد، فإن تقاصَرَ عنها جملةً استُعمل استعمالَ الحمار إما حول المدار وإما لنقل الزِّبْل ونحوه، فإن عَدِمَ ذلك استُعمل استعمال الأغنام للذبح والإعدام، كما يقال في المَثَل: إن فرسين التقيا، أحدهما تحت الملك، والآخر يحمل[٤] الروايا، فقال فرس الملك: أمَا أنت صاحبي وكنت

---

(١) في المفتاح: وعلمه.

(٢) في المفتاح: وعدمه.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٦٤.

(٤) في المطبوعة: تحت. والمثبت من المفتاح.

والروايا جمع راوية، وهي القربة التي يحمل فيها الماء.

أنا وأنت في مكان واحد، فما الذي نزل بك إلىٰ هذه المرتبة؟ فقال: ما ذاك إلا أنك هَمْلَجْتَ قليلاً، وتسكَّعت أنا.

(**واعلمْ أن الشيء النفيس المرغوب فيه**) المعبَّر عنه بالخير (**ينقسم**) من وجه (**إلىٰ ما يُطلَب لغيره**) أي تأثيره لغيره (**وإلىٰ ما يُطلَب لذاته**) لكون تأثيره لذاته (**وإلىٰ ما يُطلَب لغيره**) تارةً (**ولذاته جميعًا**) تارةً؛ لكون تأثيره كذلك (**و**) القِسم الثاني وهو (**ما يُطلَب لذاته أشرف وأفضل مما يُطلَب لغيره**) إذ المؤثِّر لذاته أشرف من المؤثِّر لغيره (**والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير**) جمع دينار ودرهم (**فإنهما**) نظرًا إلىٰ جرمهما (**حجران**) لتكوينهما من المعادن (**لا منفعة فيهما**) فإنهما لا يُشبِعان ولا يرويان (**ولولا أن الله تعالىٰ يسَّر**) أي سهَّل (**قضاء الحاجة**) الضرورية (**بهما**) وارتفعت الضروراتُ التي تُدفع بهما (**لكانت**) هي (**والحَصْباء بمثابة**) أي بمنزلة (**واحدة**) فهي خواتيم الله في الأرض، خُلقت لاستدفاع الضرورات بها، فتأثيرها ليس لذاتها.

وأخرج أبو نعيم في الحلية فقال[1]: حدثنا سليمان [بن أحمد] حدثنا علي بن المبارك، حدثنا زيد بن المبارك، حدثنا مِرْداس بن ناقية أبو عبيدة، حدثنا أبو رفيع قال: سألت وهب بن منبه عن الدنانير والدراهم، فقال: الدنانير والدراهم خواتيم رب العالمين في الأرض لمعايش بني آدم، لا تؤكَل ولا تُشرَب، فأين ذهبتَ بخاتم رب العالمين قضيتَ حاجتك.

وأخرج الطبراني في الأوسط[2] من رواية ابن عيينة وابن أبي فديك، كلاهما عن محمد بن عمرو، عن ابن أبي كبشة[3]، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعًا: «الدنانير

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٥٣. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) المعجم الأوسط ٦/ ٣١٦. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١١٢: فيه أحمد بن محمد بن مالك ابن أنس، وهو ضعيف.

(٣) في المطبوعة: عن أبي لبيبة. والتصويب من المعجم الأوسط.

والدراهم خواتيم الله في أرضه، مَن جاء بخاتم ربه[١] قُضيت حاجتُه».

وأخرج في الأوسط أيضًا والصغير[٢] عن المِقْدام بن معديكَرِب مرفوعًا: «يأتي علىٰ الناس زمانٌ لا ينفع فيه إلا الدينار والدرهم».

(وأما الذي يُطلَب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذّة النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ) وهو[٣] أعلىٰ أنواع نِعَم الله الموهوبة والمكتسَبة وأشرفُها، وإياها قُصد بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية [هود:١٠٨] وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصِّرْف، وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فَناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغناء بلا فقر، ولا يمكن الوصول إلىٰ ذلك إلا باكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ الآية [الإسراء:١٩] **(وأما الذي يُطلَب لذاته)** تارةً **(ولغيره)** تارةً **(فكسلامة البدن)** وصحة الجسد **(فإن سلامة الرِّجل)** بكسر الراء **(مثلاً مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم، ومطلوبة للمشي بها، والتوصُّل إلىٰ المآرب والحاجات)** بذلك المشي، أي إن الرِّجل وإن أُريدَ للمشي فالإنسان يريد أن يكون صحيح الرِّجل وإن استغنىٰ عن المشي **(وبهذا الاعتبار إذا نظرتَ إلىٰ العلم رأيتَه لذيذًا في نفسه، فيكون مطلوبًا لذاته)** فيكون أشرف بهذا الاعتبار **(ووجدتَه وسيلة)** موصِّلة **(إلىٰ دار الآخرة وسعادتها)** والمراد

---

(١) في المعجم الأوسط: مولاه.

(٢) المعجم الأوسط ٢/ ٣٤٧. المعجم الصغير ١/ ٢٧ بلفظ: يأتي علىٰ الناس زمان من لم يكن معه أصفر وأبيض لم يتهنَّ بالعيش.

وفي المعجم الكبير ٢٠/ ٢٧٩ عن حبيب بن عبيد قال: رأيت المقدام بن معديكرب جالسا في السوق، وجارية له تبيع لبنا وهو جالس يأخذ الدراهم، فقيل له في ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان في آخر الزمان لا بد للناس فيها من الدراهم والدنانير يقيم الرجل بها دينه ودنياه».

قال الهيثمي في المجمع ٤/ ١١١: مدار طرقه كلها علىٰ أبي بكر بن أبي مريم، وقد اختلط.

(٣) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص ٦٠. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

بسعادة الآخرة: حُسن الحياة فيها، وهي الأربع التي تقدم ذِكرُها، وقد يقال لِما يُتوصَّل به إلىٰ هذه السعادات الأربع أيضًا سعادة كالعلم؛ فإنه يُسمَّىٰ سعادة بهذا الاعتبار، وخيرًا مطلقًا **(وذريعة)** أي وسيلة **(إلىٰ القُرْب من الله تعالىٰ)** في دار كرامته **(ولا يُتوصَّل إليه إلا به)** أي بالعلم **(وأعظم الأشياء رتبةً)** وأكبرها وأشرفها **(في حق الآدمي)** المنسوب إلىٰ جده آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي في حق الإنسان **(السعادة الأبدية)** و ... السعادة المطلوبة التي تقدم ذِكرُها **(وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها)** أي ... الوصول بها **(ولن يُتوصَّل إلىٰ ذلك إلا بـ)** اكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها. وأصول ذلك أربعة أشياء: العقل وكماله **(العلم)** والعفَّة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الإنصاف **(و)** هذه الثلاثة هي **(العمل)** ويعبَّر عنها بالدين أيضًا، ويكمُل ذلك بالفضائل البدنية، وهي أربعة أشياء: الصحة، والقوة، والجمال، وطول العمر. وبالفضائل المطيفة بالإنسان وهي أربعة أشياء: المال، والأهل، والعز، وكرم العشيرة.

ولا سبيل إلىٰ [تحصيل] ذلك إلا بتوفيق الله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك بأربعة أشياء: هدايته، ورشده، وتسديده، وتأييده. فجميع ذلك خمسة أنواع من عشرين[1] ضربًا، ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا مما هو نفسيٌّ فقط **(ولا يُتوصَّل إلىٰ العمل أيضًا إلا بالعلم بكيفية العمل)** فصار العمل متوقِّفًا علىٰ العلم أيضًا بهذا الاعتبار **(فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو إذًا أفضل الأعمال)** واعلم أن [الفضيلة الكاملة و] السعادة الحقيقية هي الخيرات الأُخْروية، و[أما] ما عداها فتسميته بذلك إما لكونه معاونًا في بلوغ ذلك أو نافعًا فيه، فكل ما أعان علىٰ خير سعادة [فهو خير وسعادة، وهذه] الأشياء التي هي نافعة ومعينة في بلوغ السعادة الأخروية متفاوتة الأحوال، فمنها ما هو نافع في جميع الأحوال وعلىٰ كل وجه،

(١) في المطبوعة: وهي عشرون. والمثبت من الذريعة.

ومنها ما هو نافع في حال دون حال، وعلىٰ وجه دون وجه، وربما يكون ضره أكثر من نفعه، فحقُّ الإنسان أن يعرفها بحقائقها حتىٰ لا يقع الخطأ عليه في اختياره الوضيع علىٰ الرفيع، وتقديمه الخسيس علىٰ النفيس (**وكيف لا وقد تُعرَف فضيلة الشيء أيضًا بشرف ثمرته**) ونتيجته (**وقد عرفتَ أن ثمرة العلم**) عظيمة شريفة هي (**القُرْب من الله تعالىٰ**) وفي نسخة: من رب العالمين، أي في دار كرامته مع المشاهَدة بالنظر (**والالتحاق بأفق الملائكة**) ويشير إليه ما تقدَّم في الحديث: «أنتم كبعض ملائكتي، اشفعوا فيشفعون».

(**ومقارنة الملأ الأعلىٰ**) مع الملائكة حول العرش (**هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالعز**) والسعادة (**والوقار**) وهو الحِلم والرَّزانة (**ونفوذ الحكم**) أي إجراؤه (**علىٰ الملوك**) فضلاً عن غيرهم، وقد تقدم أن العلم حاكمٌ، وما عداه محكوم عليه، ولا يقطع النزاع إلا العلم، وقد شوهدَ من أحوال السلف من العلماء العارفين كأبي حازم وسفيان والفضيل ومَن بعدهم كالعز بن عبد السلام وأضرابه مع ملوك زمانهم ما هو أشهر من أن يُذكَر (**ولزوم الاحترام**) والتعظيم (**في**) أصل (**الطِّباع**) مركوزًا ذلك فيها (**حتىٰ إن أغبياء**) جمع غبيٍّ (**التُّرك**) بالضم، قومٌ معروفون بغباوتهم في أصل جِبِلَّتهم لا توصَف (**وأجلاف العرب**) الذين لا يشهدون المدن والحَضَر، ويتَّبعون مَساقط الغيث وأذناب الأنعام، كما أن التُّرك لمجاورتهم الجبال الشواهق وبُعْدهم عن المدن صاروا أغبياء، كذلك العرب بذلك صاروا أجلافًا، لكنهم مع ذلك (**يصادفون طباعهم مجبولةً علىٰ التوقير**) والتعظيم (**لشيوخهم**) وكبارهم (**لاختصاصهم بمزيد علمٍ مستفاد من التجربة**) ولو لم يستفيدوا من الكتب والشيوخ بالتلقين، فتراهم يصغون إلىٰ كلامهم، ويعملون بما يأمرونهم في القضايا والحوادث (**بل البهيمة بطبعها**) مع حيوانيتها (**توقِّر الإنسانَ**) وتحتشمه بعض الاحتشام، وتنزجر عنه بعض الانزجار (**لشعورها**) وعلمها (**بتميُّز الإنسان**) عن غيره (**بكمال مُجاوِز لدرجتها**) وهذا الكلام بعينه يأتي للمصنِّف في باب العقل، والعقل والعلم من

وادٍ واحد؛ لإطلاق كل واحد منهما علىٰ الآخر مع فرقٍ سيُذكَر فيما بعدُ.

وأيضًا، فإن العلم ثمرة العقل، فما جاز علىٰ العقل جاز علىٰ العلم.

(**هذه فضيلة العلم مطلقًا، ثم تختلف العلوم**) بانقسامها إلىٰ ما يُحمَد ويُذَمُّ (**كما سيأتي بيانه، وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها**) في درجاتها (**وأما فضيلة التعليم والتعلُّم**) بالشواهد العقلية (**فظاهرةٌ ممَّا ذكرناه؛ فإن العلم إذا كان أفضل الأمور**) وأشرفها (**كان تعلُّمه**) والسعي في تحصيله (**طلبًا للأفضل، فكان تعليمه إفادةً للأفضل**) وبذلاً للأشرف (**وبيانُه أن مقاصد الخلق**) سائرَها (**مجموعة في الدين والدنيا**) منوطة بهما معًا (**ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا؛ فإن الدنيا مزرعة الآخرة**) سيأتي للمصنف أنه حديث.

وقال السخاوي[1]: لم أقف عليه مع إيراد الغزالي له في الإحياء، وفي الفردوس[2] بلا سند عن ابن عمر مرفوعًا: «الدنيا قنطرة الآخرة، فاعبروها ولا تعمِّروها» (**وهي الآلة الموصِّلة إلىٰ الله تعالىٰ لمَن اتَّخذها آلةً**) يتوصَّل بها، فلا يتناول منها إلا بقَدْر الحاجة الضرورية له (**و**) اتخذها (**منزلاً**) ينزل فيه ثم يسافر (**ولم يتخذها مستقرًّا ووطنًا**) يطمئن إليه بكليته، فكل ما فيها من الأموال والأولاد والزينة عَوارٌ، كما قال الشاعر[3]:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يومًا أن تُرَدُّ الودائع

(**وليس ينتظم أمرُ الدنيا إلا بأعمال الآدميين، وأعمالهم وحِرَفهم وصناعاتهم**) الحِرَف جمعُ حرفة وهي الاكتساب، اسمٌ من احترف لعياله، والصناعة بالكسر

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٢١٨.

(٢) فردوس الأخبار ٢/ ٣٥١ وزاد: وإن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الدنيا للعمل والحراث، والآخرة للبقاء والجزاء والعقاب.

(٣) هو لبيد بن ربيعة العامري، والبيت في ديوانه ص ٨٩ من قصيدة يرثي بها أخاه أربد.

اسم من صنعه صنعًا (**تنحصر في ثلاثة أقسام:**

أحدها: أصول لا قِوام للعالم دونَها، وهي أربعة) أولها: (**الزراعة**) أي الحراثة (**وهي للمَطْعَم**) بالنظر إلىٰ المآل (**والحياكة**) أي النساجة (**وهي للملبس**) تُستَر به العورة (**والبناء**) أي بناء البيوت والمنازل (**وهو للمسكن**) يأوي إليه (**والسِّياسة**) بالكسر، وهي رعاية الأمور (**وهي للتأليف**) بين الناس (**والاجتماع**) في الكلمة (**والتعاون علىٰ أسباب المعيشة وضبطها**) بحيث لا يختلُّ نظامُها.

القِسم (**الثاني: ما هي مهيَّئة**) أي مرشَّحة (**لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحِدادة**) بالكسر (**فإنها تخدم الزراعة**) وهي الضرب الأول من القِسم الأول، بل (**وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها**) ممَّا يُحتاج إليها ويتوقَّف وجودُه علىٰ وجودها (**كالحِلاجة**) بالكسر (**والغزل**) أي غزل الكتَّان والقطن (**فإنها تخدم الحياكة بإعداد محلِّها**) فإن القطن إذا لم يُحلَج والكتَّان إذا لم يُغزَل لم ينتفع الحائكُ بهما.

القِسم (**الثالث: ما هي متمِّمة للأصول**) الأربعة التي ذُكرت (**ومزيِّنة**) لها (**كالطِّحانة**) بالكسر، وفي نسخة: كالطحن (**والخبز للزراعة**) فإنه إذا حُصد الزرع لولا أنه يُطحَن فيُخبَز لا يتم الأكلُ (**وكالقِصارة والخياطة للحياكة**) فإن الحائك إذا تمَّ من نسج ثوبٍ فلا بد من قَصَّار يقصِّره فيُخرِج ما فيه من الأوساخ ثم لا بد من خيَّاط يفصِّله حتىٰ يتم به اللبسُ (و) مثل (**ذلك بالإضافة إلىٰ قِوام أمر العالَم الأرضي، مثل أجزاء الشخص**) إلىٰ الشخص سواءً بعينه (**بالإضافة إلىٰ جملته؛ فإنها**) علىٰ (**ثلاثة أضرُبٍ أيضًا: إما أصول**) وهي ثلاثة (**كالقلب والكبد والدماغ**) وتسمَّىٰ: الأعضاء الرئيسة (**وإما خادمة لها**) ومرشِّحة لها (**كالمَعِدة**) بفتح فكسر (**والعروق والشرايين**) جمع شريان: عِرْق يخبر عن الكبد (**والأعصاب**) وهي أطناب المفاصل (**والأوردة**) جمع وريد: عِرق يخبر عن القلب.

فهذه كلها مرشِّحة لتلك الأصول (**وإما مكمِّلة لها ومزيِّنة**) لها (**كالأظفار والأصابع والحاجبين**) ففي كل ذلك تكميلٌ وتزيينٌ ومنافع جليلة، يأتي بيانُ ذلك كله في محلِّه (**وأشرف هذه الصناعات أصولها**) التي لا قِوام للعالَم دونَها (**وأشرفُ أصولِها السياسةُ بالتأليف والاستصلاح**) وهي القِسم الرابع من الأصول (**ولذلك تستدعىٰ هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفَّل بها**) أي بخدمتها (**ما لا يستدعيه سائرُ الصناعات**) المذكورة (**ولذلك يستخدم لا محالة صاحبُ هذه الصناعة سائرَ الصُّنَّاع**) ويفضلهم (**والسياسة في استصلاح الخَلْق وإرشادهم إلىٰ الطريق المستقيم المُنْجِي في الدنيا والآخرة علىٰ أربع مراتب:**

الأولىٰ، وهي العليا: سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم علىٰ الخاصة والعامَّة جميعًا في ظاهرهم وباطنهم) لِما أن الله سبحانه قد أطلعهم علىٰ بواطنهم كما أطلعهم علىٰ ظواهرهم، فهم يرشدونهم إلىٰ الطريق المستقيم، وهم أفضل السُّوَّاس.

(**والثانية**): سياسة وُلاة الأمور (**الخلفاء**) ممَّن استُكملت فيه شروط الإمامة من قريش كالخلفاء الأربعة ومَن بعدهم من بني أمية وبني العباس (**والملوك**) هم نُوَّاب الخلفاء، كآل سَلْجُوق بالروم، وآل رسول باليمن (**والسلاطين**) هم الذين يملكون البلاد بقهر وسطوة وغَلَبة، وهم بهذا الترتيب، وقد فرَّق ابن السبكي في الطبقات بين المَلِك والسلطان فقال[1]: السلطان يُطلَق علىٰ مَن مَلَكَ العراقين،

(١) طبقات السبكي ٥/ ٣١٥ ونصه: «السلطان من ملك إقليمين فصاعدًا، فإن كان لا يملك إلا إقليمًا واحدًا سمي بالملك، وإن اقتصر علىٰ مدينة واحدة لا يسمىٰ لا بالملك ولا بالسلطان، بل بأمير البلد وصاحبها، ومن ثَم يُعرف خطأ كتاب زماننا حيث يسمون صاحب حماة سلطانًا، ولا ينبغي أن يسمىٰ لا سلطانًا ولا ملكًا؛ لأن حكمه لا يعدوها، فكأنهم خرجوا عن المصطلح، ومن شرط السلطان ألا يكون فوق يده يد، وكذلك الملك، ولا كذلك صاحب البلدة الواحدة؛ فإن السلطان يحكم عليه، وأما حكم السلطان علىٰ الملك وعدم حكمه فيختلف باختلاف القوة والضعف».

والمَلِك مَن مَلَكَ دون ذلك أو نحو هذا (**وحكمهم على الخاصة والعامة جميعًا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم**) ولو قال: على ظاهر الخاصة والعامة لا باطنهم، كان أخصر.

(**والثالثة**): سياسة (**العلماء بالله عزَّ وجلَّ وبدينه**) وهم الحكماء (**الذين هم وَرَثة الأنبياء**) ورثوا عنهم العلم والحكمة، وهم الجامعون بين الحقيقة والشريعة (**وحكمهم على باطن الخاصَّة فقط، ولا يرتفع فهمُ العامة على الاستفادة منهم**) لعدم المناسبة بينهما؛ لأن[1] ما بين الحكيم والعامِّي من تَنافي طبعيهما وتنافُر شكليهما من التفاوُت[2] قريبٌ لِما بين الماء والنار، والليل والنهار، وقد قيل لسَلَمة بن كُهَيل: ما لعليٍّ رضي الله عنه رفضته[3] العامَّة وله في كل خير ضرس قاطع؟ فقال: لأن ضوء علومهم[4] قصر عن نوره، والناس إلى أشكالهم أَمْيَل (**ولا تنتهي قوَّتهم إلى التصرُّف في ظواهرهم بالإلزام والمنع**) والدفع والرفع (**والشرع**.

(**والرابعة**): سياسة الفقهاء و(**الوُعَّاظ وحكمهم على بواطن العوامِّ فقط**) وليست لهم قوة إلى التصرُّف في ظواهرهم.

وصلاح العالَم ونظامُه بمراعاة هذه السياسات لتخدم العامةُ الخاصةَ، وتسوس الخاصةُ العامةَ. ثم[5] إن السياسة في حد ذاتها على قسمين: سياسة الإنسان نفسَه وبدنه وما يختص به، والثاني: سياسته غيره من ذويه و[أهل][6] بلده، ولا يصلُح لسياسة غيره مَن لا يصلُح لسياسة نفسه؛ لأن السائس يجري

---

(١) الذريعة ص ١٥٩. فيض القدير ٦/ ٤٥٤.

(٢) في الذريعة والفيض: من تنافر طبعيهما وتباين شكليهما من النفار.

(٣) في المطبوعة: وفقه. والتصويب من الذريعة والفيض.

(٤) كذا في المطبوعة، وفي الذريعة والفيض: عيونهم.

(٥) الذريعة ص ٣٣.

(٦) زيادة من الذريعة.

من المَسُوس مجرىٰ ذي الظل من الظل، ومن المحال أن يستقيم الظل وذو الظل أعوج، ويستحيل أن يهتدي المسوسُ مع كون السائس ضالاً.

والناس[١] ضربان: خاص وعام[٢]؛ فالخاص مَن يتخصَّص من البلد[٣] بما ينخرم بافتقاده إحدىٰ السياسات المدنية[٤]، والعام مَن لا ينخرم بافتقاده شيء منها، وهذا إذا اعتبرنا أمور الدنيا. وهم من وجه آخر ثلاثة: خاصة وعامة وأوساطهم المسمَّون في كلام العرب بالسُّوقة؛ فالخاص هو الذي يسوس ولا يُساس، والعامُّ الذي يُساس ولا يسوس، والوسط الذي يسوسه مَن فوقه، وهو يسوس مَن دونه.

(**فأشرف هذه السياسات الأربعة بعد النبوة**) والرسالة وما يليها من الصِّدِّيقية (**إفادة العلم**) النافع (**وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة**) الرديئة (**المُهلكة، وإرشادهم إلىٰ الأخلاق المحمودة المُسعِدة**) وهو مقام شريف لا يعلوه مقامٌ إلا النبوة والرسالة والصِّدِّيقية، وأصحاب هذا المقام هم الجامعون بين علمَي الشريعة والحقيقة؛ فإن إفادة العلم ترجع إلىٰ العلوم الظاهرة وتهذيب النفوس والإرشاد بعلماء الحقيقة المتصرِّفين في بواطن مريديهم (**وهو المراد بالتعليم**) ثم بيَّن ذلك بقوله: (**وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحِرَف والصناعات لأن شرف الصناعات يُعرَف بثلاثة أمور: إما بالالتفات إلىٰ الغريزة التي بها يُتوصَّل إلىٰ معرفتها**) أي بحسب النسبة إلىٰ القوة المُبرِزة لها (**كفضل العلوم**) الحكمية (**العقلية**

---

(١) الذريعة ص ٨٨.

(٢) بعده في الذريعة: فالخاص من قد تخصص من المعارف بالحقائق دون التقليدات، ومن الأعمال ما يتبلغ به إلىٰ جنة المأوىٰ دون ما يقتصر به علىٰ الحياة الدنيا، والعام إذا اعتبر بذلك فالذين يرضون من المعارف التقليدات، ومن أكثر الأعمال بما يؤدي إلىٰ منفعة دنيوية، وإذا اعتبر بأمور الدنيا فالخاص ... الخ.

(٣) في الذريعة: بأمور البلد.

(٤) في المطبوعة: السياستين البدنية. والتصويب من الذريعة.

علىٰ) العلوم (اللغوية؛ إذ تُدرَك الحكمة بالعقل) أي هي متعلقة بالقوة العقلية (و) تُدرَك (اللغة بالسمع) أي متعلقة بالقوة الحِسِّية (والعقل أشرفُ من السمع.

وإما بالنظر إلىٰ عموم النفع، كفضل الزراعة علىٰ الصياغة) فإن الزراعة نفعها عامٌّ، بخلاف الصياغة (وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرُّف) أي بحسب شرف الموضوع المعمول فيه (كفضل الصياغة) وشرفها (علىٰ الدِّباغة؛ إذ محل أحدهما الذهب) ولا يخفَىٰ شرفُه (ومحل الآخر جِلد المَيْتة) فهي ثلاثة وجوه استبان بها شرفُ الصناعة، واستعمل الالتفات في الوجه الأول، والنظر في الثاني، والملاحظة في الثالث، تفنُّنًا في العبارة (وليس يخفَىٰ) علىٰ العاقل (أن العلوم الدينية) وهي الشرعية المعبَّر عنها بالحكمة (وهي فقه طريق الآخرة إنما تُدرَك بكمال العقل وصفاء الذكاء) وهي القوة المفكِّرة (و) هي أشرف قوةٍ، كما أن (العقل أشرف صفات الإنسان) وأجَلُّها (كما سيأتي بيانه) في الباب السابع (إذ به تُقبَل أمانة الله تعالىٰ، وبه يُتوصَّل إلىٰ جوار الله تعالىٰ) وذلك أبلغ نفعٍ (وأما عموم النفع فلا يُستراب فيه) أي لا يُشَكُّ (فإن نفعه وثمرته سعادةُ الآخرة) وهي الأشياء الأربعة المذكورة آنفًا، وذلك أبلغُ كذلك (وأما شرف المحل) وموضوعه الذي يُعمَل فيه (فكيف يخفَىٰ والمعلِّم متصرِّف في قلوب البشر ونفوسهم، وأشرف موجودٍ علىٰ) وجه (الأرض جنسُ الإنس، وأشرف جزء من جوهر الإنسان قلبُه) الصنوبري، وهو مَهْبَط ملائكة الرحمة، فهو أشرف موضوع (والمعلِّم مشتغل بتكميله وتخليته) كذا بالخاء المعجمة، وهو مناسب لقوله: (وتطهيره) عن الأوصاف الذميمة، وفي بعض النسخ بالجيم، وهو التصفية (وسياقته إلىٰ القُرْب من الله تعالىٰ) بتعليمه إياه بما يكون سببًا لذلك (فتعليم العلم من وجهٍ عبادةٌ لله تعالىٰ) لكونه ذِكر الله تعالىٰ (ومن وجهٍ خلافةٌ لله تعالىٰ، وهو من أجَلِّ خلافة الله) وهل[1] يجوز أن يقال: فلان خليفة الله في أرضه أم لا؟ قولان، واحتجَّ المجيزون بقوله تعالىٰ للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٦٩ - ٤٧٣. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

[البقرة:٣٠] وبقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥] [وهذا خطاب لنوع الإنسان] وبقوله تعالىٰ: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[النمل:٦٢] وبقول عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أولئك خلفاء الله في أرضه، ودُعاته إلىٰ دينه.

واحتجَّ الآخرون بأن الخليفة إنما يكون عمَّن يغيب ويخلُفه غيرُه، والله تعالىٰ شاهد غير غائب، قريب غير بعيد [راءٍ وسامع] فمحال أن يخلُفه غيرُه، بل هو سبحانه الذي يخلُف عبدَه المؤمنَ فيكون خليفته. قالوا: ولهذا أنكر الصِّدِّيق علىٰ من قال [له]: يا خليفة الله، قال: لست بخليفة الله، ولكن خليفة رسول الله، وحسبي ذلك. وأجابوا عن تلك الآيات.

والحق أنه إن أُريدَ بالإضافة إلىٰ الله تعالىٰ أنه خليفة عنه فالصواب قول الطائفة المانعة منها، وإن أُريدَ بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممَّن كان قبله فهذا لا تمتنع فيه الإضافة، وحقيقتها خليفة الله الذي جعله [الله] خَلَفًا عن غيره، وبهذا يخرج الجوابُ عن قول عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أولئك خلفاء الله في أرضه.

فإن قيل: هذا لا مدح فيه؛ لأن هذا الاستخلاف عامٌّ في الأمَّة، وخلافة الله التي ذكرنا في قول عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاصة بخواصِّ الخَلْق.

فالجواب: أن الاختصاص المذكور أفاد اختصاصَ الإضافة، فالإضافة هنا للتشريف والتخصيص، كما في نظائره.

(فإن الله تعالىٰ قد فتح علىٰ قلب العالِم العلمَ الذي هو أخَصُّ صفاته) وهذه مسألة اختُلف فيها، فالمنقول عن الأشعري: أخصُّ أوصاف الباري القدرةُ. وقالت المعتزلة: إنه القِدَم. ورُدَّ بأنه سلبي، فكيف يكون نفسيًّا؟! فكيف يكون أخص أوصافه؟! ومنهم مَن زعم أنه حال توجب له كونه حيًّا عالمًا قادرًا مريدًا، ولا إفصاح لي في هذه المقالة عن هذه الحال. واحتجَّ الفخر لقول الأشعري بجواب سيدنا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء:٢٤] وردَّ

ابنُ التِّلِمْساني عليه وقال[١]: معنىٰ كلام الأشعري أن القدرة خاصة لله سبحانه، وليس للعبد قدرة، خلافًا للمعتزلة، وليس معنىٰ كلام الأشعري أن القدرة أخص الأوصاف كما فهمه عنه، فأَخَصُّ الأوصاف مجهول، كما أن الأصح أن الذات العليَّة غير معروفة للبشر حتىٰ في الآخرة، والخلاف في حالٍ؛ لأن الكل متَّفقون علىٰ أن الكُنْه لا يُعرَف، وعلىٰ أنه معروف بالعلم والحياة ... إلىٰ آخرها.

واختار في شرح الكبرىٰ أنه غير معروف، كما أن الذات غير معروفة.

والذي اختاره الشريف زكريا في «شرح الأسرار العقلية» أن الأخص غير موجود بالكلية، واحتجَّ علىٰ نفيه باستحالة اشتراك القديم مع الحادث في حقيقة ما.

وزاد أحمد المنجور في حاشية الكبرىٰ: ولاقتضائه التركيب في حقيقة الباري جل وعز من جنس وفصل؛ إذ الأخص هو الذاتي المميِّز للحقيقة عمَّا يشاركها في الجنس، ولا خفاء في بطلان هذا؛ لأنه لا جنس للباري تعالىٰ، ولا تركيب فيه؛ كذا في تذكرة المجدولي.

(فهو كالخازن لأنفَس خزائنه) وأجَلِّها **(ثم هو مأذون له في الإنفاق)** والصرف **(منه علىٰ كل محتاج إليه)** وكلما كان إنفاقه علىٰ ما يجب وكما يجب أكثر كان جاهه عند مستخلفه أكثر وأوفر **(فأَيَّة رتبة أَجَلُّ)** وأعظم **(من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خَلْقه)** في إيصالهم إليه وإرشادهم له و**(في تقرُّبهم إلىٰ الله زلفىٰ وسياقتهم إلىٰ جنة المأوىٰ)** وقد أورد هذا البحثَ بطوله مع اختلاف يسير أبو القاسم الراغبُ في «الذريعة». والله أعلم.

(جعلنا اللهُ منهم بكرمه، وصلىٰ الله علىٰ كل عبد مصطفىٰ)

---

(١) عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرىٰ لمحمد بن يوسف السنوسي ص ١٢٤ (ط - مطبعة جريدة الإسلام بمصر) باختصار.

الباب الثاني

في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم، وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين، وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا

(في) بيان (العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما، وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية، وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلىٰ أيِّ حد هو، وتفضيل علم الآخرة) علىٰ علم الدنيا.



(بيان العلم)

وفي نسخة: في العلم (الذي هو فرض عين) علىٰ كل مكلَّف.

(قال رسول الله ﷺ: **طلبُ العلم فريضة علىٰ كل مسلم**) تقدم الكلام عليه في الباب الأول مفصَّلاً.

قال السخاوي[1]: ويوجد في بعض الكتب زيادةُ «ومسلمة»، وليس لها أصل في الرواية.

(وقال أيضًا ﷺ: **اطلبوا العلم ولو بالصين**) وهذا أيضًا قد تقدم الكلام عليه مفصَّلاً في الباب الأول، وذكرنا أن [في] بعض الروايات هما حديث واحد، ولفظُه: «اطلبوا العلم ولو بالصين؛ فإن طلب العلم فريضة».

وهكذا أورده صاحب القوت[2]، ووضع عليه الباب، والمصنِّف تابع له في سياقه في غالب ما أورده في هذا الباب، والحديث[3] وإن كان إسناده ضعيفًا فالمعنىٰ صحيح؛ فإن الإيمان فرضٌ علىٰ كل أحد، وهو ماهية مركَّبة من علم وعمل، فلا يُتصوَّر وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل، ثم شرائع الإسلام واجبة علىٰ كل مسلم، ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها.

والله أخرج عباده من بطون أمَّهاتهم لا يعلمون شيئًا، فطلبُ العلم فريضة علىٰ كل مسلم، وهل تمكن عبادةُ الله التي هي حقُّه علىٰ العباد كلهم إلا بالعلم؟

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٢٧٧ ونصه: «قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث: ومسلمة، وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كان معناه صحيحا».

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٢٤.

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٤٨٠.

وهل يُنال العلمُ إلا بطلبه؟

(واختلف الناس في العلم الذي هو فرض علىٰ كل مسلم، فتحزَّبوا فيه أكثر من عشرين فِرقة) أي صاروا أحزابًا.

وقال ابن عبد البر في بيان العلم[1]: للفظ «العلم» إطلاقات متباينة، ويترتَّب علىٰ ذلك اختلاف الحد والحكم، كلفظ «العالم» و«العلماء»، ومن هنا اختلفوا في فهم هذا الحديث وتجاذبوا معناه **(ولا نطيل)** الكلامَ **(بنقل التفصيل)** في ذلك **(ولكن حاصله)** ومجمله **(أن كل فريق نزَّل الوجوبَ علىٰ العلم الذي هو بصدده)** وفي تحصيله **(فقال المتكلِّمون: هو علم الكلام؛ إذ به يُدرَك التوحيد، ويُعلَم به ذات الله سبحانه وصفاته)** وعزاه صاحب القوت إلىٰ بعض السلف، ونصه[2]: وقال بعض السلف: إنما معناه: طلب علم ما لا يسع جهله من علم التوحيد وأصول الأمر والنهي والفرق بين الحلال والحرام؛ إذ لا غاية لسائر العلوم بعد ذلك، وكلها يقع عليها اسم «علم» من حيث هي معلومات. ا.هـ.

وإلىٰ هذا أشار البيهقي في المدخل فقال[3]: أراد -والله أعلم- العلم العام الذي لا يسع العاقل البالغ جهلُه.

قال صاحب القوت: ثم اختلف القائلون بأنه علم التوحيد في كيفية الطلب وماهية الإضافة[4]، فمنهم من قال: من طريق الاستدلال والاعتبار، ومنهم من قال: من طريق البحث والنظر، ومنهم من قال: من طريق التوقيف والأثر، وقالت طائفة

---

(١) لم أقف علىٰ هذا الكلام في جامع بيان العلم لابن عبد البر، وإنما نقله المناوي في فيض القدير ٤/ ٢٦٨ عن ابن العربي.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٢٥.

(٣) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ ١/ ٢٧٥.

(٤) في القوت: الإصابة.

من هؤلاء: إنما أراد طلب علم الشبهات والمشكلات إذا سمعها العبد وابتُلي بها وقد كان يسعه تركُ الطلب إذا كان غافلاً عنها علىٰ أصل التسليم ومعتقَد جميع[١] المسلمين لا يقع في وهمه ولا يحيك في صدره شيء من الشبهات، فيسعه تركُ البحث، فإذا وقع في سمعه شيءٌ من ذلك ووقر في قلبه ولم يكن عنده تعليل[٢] ذلك وقطعه ومعرفة تمييز حقه من باطله لم يحلَّ له أن يسكت عليه؛ لئلا يعتقد باطلاً أو ينفي حقًّا، فافتُرض عليه طلبُ علم ذلك من العلماء به فيستكشفه حتىٰ يكون علىٰ اليقين من أمره فيعتقد من ذلك الحق وينفي الباطل، ولا يقعد عن الطلب فيكون مقيمًا علىٰ شبهة فيتَّبع الهوىٰ، أو يكون شاكًّا في الدين فيعدِل عن طريق المؤمنين، أو يعتقد بدعةً فيخرج بذلك عن السنَّة ومذهب الجماعة وهو لا يعلم، ولهذا المعنىٰ كان الصِّدِّيق يقول [في دعائه][٣]: اللهم أَرِنا الحق حقًّا فنتَّبعه، وأَرِنا الباطل باطلاً فنجتنبه [ولا تجعل ذلك متشابهًا علينا فنتبع الهوىٰ][٤] وهذا مذهب أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي وداود بن علي والحسين الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي ومَن تبعهم من المتكلمين.

(**وقال الفقهاء: هو علم الفقه؛ إذ به تُعرَف العبادات والحلال والحرام وما يحرُم من المعاملات وما يحِلُّ. وعنوا به**) أي أرادوا بذلك (**ما يحتاج إليه الآحاد**) من المسلمين (**دون الوقائع النادرة**) الغريبة، وهذا القول مشتمل علىٰ ثلاثة أقوال من حيث التفصيل؛ فأما معرفة العبادات -وهي أحكام الطهارة والصلاة والحج والزكاة وتوابعها وشروطها- فهو قول مستقلٌّ لعامة الفقهاء.

---

(١) في القوت: جملة.

(٢) في القوت: تفصيل.

(٣) زيادة من القوت.

(٤) زيادة من القوت.

وذكر البيهقي في المدخل[١] عن عبد الملك بن حبيب أنه سمع عبد الملك بن الماجشون قال: سمعت مالكًا وسُئل عن طلب العلم أواجب؟ فقال: أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجبٌ، وغير ذلك منه لمن ضَعُفَ عنه فلا شيء عليه. ا.هـ.

وإن أُريدَ بمعرفة الحلال والحرام ما يحِلُّ ويحرُم في عباداته فهو داخل في القول الأول، وإلا فهو قول مستقلٌّ لبعض صوفية الفقهاء، كما سيأتي بيانه، وأما معرفة ما يحل ويحرُم من المعاملات فهو قول فقهاء الكوفة خاصة.

قال صاحب القوت[٢]: وقال بعض فقهاء الكوفة: معناه طلب علم البيع والشراء والنكاح والطلاق، وإذا أراد الدخول فيه افتُرض عليه مع دخوله في ذلك طلب علمه؛ لقول عمر رضي الله عنه: لا يتَّجر في سوقنا هذا إلا مَن تفقَّه وإلا أكل الربا شاء أمْ أبىٰ. وكما قيل: تفقهْ ثم اتَّجِرْ. ومال إلىٰ هذا سفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابهما.

(وقال المفسِّرون والمحدِّثون: هو علم الكتاب والسنَّة؛ إذ بهما يُتوصَّل إلىٰ العلوم كلها) هما قولان، فالمفسِّرون قالوا: هو علم الكتاب، وقال المحدِّثون: هو علم السنَّة، ولمَّا كانت العلة متَّحدة جمعهما في قول واحد.

(وقال المتصوِّفة: المراد به هذا العلم) أي علم التصوف، ثم اختلفوا علىٰ أقوال **(فقال بعضهم: هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالىٰ)** يعني حال العبد من مقامه الذي أُقيمَ فيه بأن يعلم أحدُهم حاله بينه وبين الله تعالىٰ في دنياه

---

(١) لم أقف عليه في المدخل، وإنما أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٤ معلقًا ثم عقبه بقوله: هكذا ذكر ابن حبيب، ولا يشبه هذا لفظ مالك ولا معنىٰ قوله.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٢٥.

وآخرته [خاصة][١] فيقوم بأحكام الله [عليه][٢] في ذلك، وهذا القول عزاه صاحب القوت[٣] إلىٰ سهل التستري (**وقال بعضهم: هو العلم بالإخلاص و**) معرفة (**آفات النفوس**) ووساوسها ومعرفة مكائد العدوِّ وخِدَعه ومكره وغروره وما يُصلِح الأعمال ويفسدها، فريضة كله من حيث كان الإخلاص في الأعمال فريضة ومن حيث أُعلِمَ بعداوة إبليس ثم أُمِرَ بمعاداته.

وهذا القول ذهب إليه عبدُ الرحيم بن يحيىٰ الأرموي الشهير بالأسود من الشاميين ومَن تابعَه.

وقال بعض البصريين في معناه: طلبُ علم القلوب ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة؛ لأنها رسل الله تعالىٰ إلىٰ العبد، ووساوس العدوِّ والنفْس فيستجيب لله بتنقيذها منه إليه[٤]، ومنها ابتلاء من الله للعبد واختبار تقتضيه مجاهدة نفسه في نفيها، ولأنها أول النية التي [هي][٥] أول كل عمل، وعنها تظهر الأفعال، وعلىٰ قَدْرها تضاعَف الأعمالُ، فيحتاج إلىٰ (**تمييز لَمَّة المَلَك من لَمَّة الشيطان**) وخاطر الروح ووسوسة النفس من علم اليقين وقوادح العقل ليميِّز بذلك الأحكامَ، وهذا عند هؤلاء فريضةٌ، وهو مذهب مالك بن دينار وفرقد السنجي وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم من نُسَّاك البصرة، وقد كان أستاذهم الحسنُ البصري يتكلم في ذلك، وعنه حملوا علم القلوب.

(**وقال بعضهم: هو**) طلب (**علم الباطن**) فريضة علىٰ أهله. قالوا: (**وذلك يجب علىٰ أقوام مخصوصين**) من أهل القلوب ممَّن استُعمل به واقتُضي منه

---

(١) زيادة من القوت.

(٢) زيادة من القوت.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٢٤.

(٤) في المطبوعة: فيستحب إليه تنقيذها منه. والمثبت من القوت.

(٥) زيادة من القوت.

دون غيره من عوامِّ المسلمين (**هم أهل ذلك**) العلم، ولأنه جاء في لفظ الحديث: «تعلَّموا اليقين» فمعناه: اطلبوا علم اليقين، وعلم اليقين لا يوجد إلا عند الموقنين، وهو من أعمال الموقنين المخصوص في قلوب العارفين، وهو العلم النافع الذي هو حال العبد عند الله تعالىٰ ومقامه من الله تعالىٰ كما شهد به الخبر الآخَر من قوله ﷺ: «العلم علمان»، فذكر «وعلم باطن في القلب وهو العلم النافع». فهذا تفسير ما أُجمِلَ في غيره.

وقال جندب[1]: كنا مع رسول الله ﷺ، فتعلَّمنا الإيمان، ثم تعلَّمنا القرآن فازددنا إيمانًا، وسيأتي قومٌ يتعلَّمون القرآن قبل الإيمان.

بمعنىٰ: تعلَّمنا علم الإيمان، وهذا مذهب بعض نُسَّاك البصرة.

(**وهؤلاء صرفوا اللفظ عن عمومه**) حيث خصُّوه بما ذُكر، وقد ظهر من سياق المصنِّف ذِكرُ خمسة أقوال، الأول قول المتكلمين، والثاني قول الفقهاء، والثالث قول المفسرين والمحدِّثين، والرابع قول الصوفية، ثم فصَّله إلىٰ قولين فصاروا خمسةً سوىٰ القول الأخير الذي نقله عن أبي طالب المكي، وسيأتي بيانه، وسنذكر لك تلك الأقوال بأحوالها بمجموعها علىٰ التفصيل الغريب، ثم نُتبِعها بما ذكره أبو طالب ولم يذكره المصنِّف، ثم ما ذكر غيره من العلماء، فنقول: اختلف[2] العلماء في تفسير هذا الحديث وفهم معناه علىٰ أقوال شتىٰ، فمن متكلم يحمله[3] علىٰ علم الكلام ويحتجُّ لذلك بأنه العلم المتقدِّم رتبةً؛ لأنه علم التوحيد الذي هو المبنَىٰ، والقائلون بهذا اختلفوا في كيفية الطلب، كما تقدم، ويندرج في هذا القول

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ١٦٥ والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٥٢ ولفظه: «كنا مع نبينا ﷺ فتيانًا حزاورةً فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فنزداد به إيمانًا، فإنكم اليوم تتعلمون القرآن قبل الإيمان». ورواه ابن ماجه في سننه ١/ ٨٦ دون الجملة الأخيرة.

(٢) فيض القدير للمناوي ٤/ ٢٦٨.

(٣) في الفيض: يحمل العلم.

قولٌ آخر وهو مستقلٌّ عمَّا قبله إلا أن قائله من المتكلمين: هو طلب علم الشبهات والمشكلات من علم التوحيد، وقد تقدَّم أنه مذهب أبي ثور وداود الظاهري والكرابيسي والمحاسبي.

ومن فقيه يحمله علىٰ علم الفقه مطلقًا، قال ابن عبد البر: وذلك هو المتبادر من إطلاق العلم في عُرْف[1] الشرع، وتندرج فيه ثلاثة أقوال، فمن قائل: هو علم العبادات بشروطها وفرائضها وسننها، وقد تقدمت الإشارة إليه من قول مالك.

ومن قائل: هو معرفة الحلال من الحرام، واستدل عليه بحديث ابن مسعود: «طلبُ الحلال فريضة بعد الفريضة» وبحديث أنس: «طلب الحلال واجب علىٰ كل مسلم» وبحديث ابن عباس وابن عمر: «طلب الحلال جهاد».

ويُروَىٰ: «إن من الذنوب ما لا يكفِّرها إلا الهم في طلب الحلال». وعند البيهقي في السنن والديلمي في المسند[2]: «طلبُ كسبِ الحلال فريضة بعد الفريضة». أي لأن طلب كسب الحلال أصل الورع وأساس التقوىٰ[3].

وروىٰ النووي في بستانه[4] عن خلف بن تميم قال: رأيت إبراهيم بن أدهم بالشام، فقلت: ما أقدمك [ههنا]؟ فقال: [أما إني] لم أقدُم لجهاد ولا لرباط، ولكن [قدمتها] لأشبع من خبز حلال.

وهذا قول عُبَّاد أهل الشام، وإليه مال يوسف بن أسباط وحبيب بن حرب ووُهَيب بن الورد وإبراهيم بن أدهم وآخَرون.

---

(١) في المطبوعة: علم. والتصويب من الفيض.

(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٦/ ٢١١ (ط - دار الكتب العلمية). فردوس الأخبار للديلمي ٣/ ١٨ من حديث ابن مسعود. وقال البيهقي: تفرد به عباد بن كثير الرملي، وهو ضعيف.

(٣) فيض القدير ٤/ ٢٧٠.

(٤) بستان العارفين ص ٨٠. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

ومن قائل: هو علم المعاملات، وهو قول أهل الكوفة كسفيان الثوري وأبي حنيفة وأتباعهما.

ومن مفسِّر يحمله علىٰ علم التفسير، ومن محدِّث يحمله علىٰ علم الحديث، وقد ذكرتُ علة كلٍّ من ذلك.

ومن نحويٍّ يحمله علىٰ علم العربية ويقول: إنما الشريعة تُتلقَّىٰ من الكتاب والسنَّة، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم: ٤] فلا بد من إتقان علم البيان؛ ذكره ابن عبد البر.

ومن طبيب يحمله علىٰ علم الطب الذي تُعرَف به الصحة والمرض ويقول: العلم عِلمانِ: علم الأبدان وعلم الأديان، وعلم الأبدان مقدَّمٌ علىٰ علم الأديان؛ ذكره بعضهم[١]، وفيه نظرٌ، وإيراده في فروض الكفايات أشبه، كما سيأتي.

ومن صوفي يقول: هو علم التصوف خاصة، وتندرج في هذا القول خمسة أقوال:

الأول: هو علم حال العبد من مقامه، وهو قول سهل التستري.

والثاني: هو طلب علم المعرفة وقيام العبد بحكم ساعته[٢]، وهو قول بعض العارفين[٣].

والثالث: هو طلبُ علم الإخلاص ومعرفة آفات النفوس، وهو قول عبد الرحيم الأسود ومَن تابَعَه من الشاميين؛ نقله أبو طالب في القوت، والسهروردي

---

(١) هو داود بن عمر الأنطاكي، ذكر ذلك في كتابه تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ١/ ٨ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت) نقلا عن الإمام الشافعي.

(٢) زاد في القوت: وما يقتضي منه في كل ساعة من نهاره.

(٣) في المطبوعة: العراقيين. والمثبت من القوت.

في «عوارف المعارف»[١].

والرابع: طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر، وهو قول مالك بن دينار وفرقد السنجي وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم؛ نقله صاحب القوت والسهروردي.

والخامس: هو علم الباطن؛ نقله صاحب القوت عن نُسَّاك البصرة.

وقال السهروردي في العوارف: هو ما يزداد به العبد يقينًا، وهو الذي يُكتسَب بصحبة الأولياء، فهم وارثوا المصطفىٰ ﷺ[٢].

فهذه الأقوال الخمسة مندرجة في علم التصوف.

وقال بعض المتقدِّمين من علماء خُراسان: هو أن يكون الرجل في منزله فيريد أن يعمل شيئًا من أمر الدين، أو تخطر علىٰ قلبه مسألةٌ لله تعالىٰ فيها حكمٌ وتعبُّدٌ، وعلىٰ العبد في ذلك اعتقاد أو عمل، فلا يسعه أن يسكت علىٰ ذلك، ولا يجوز له أن يعمل فيه برأيه، ولا يحكم بهواه، فعليه أن يلبس نعليه ويخرج فيسأل عن أعلم أهل بلده فيسأله عن ذلك عند النازلة، فهذا فريضة، وحُكي هذا [القول][٣] عن ابن المبارك وبعض أصحاب الحديث؛ قاله أبو طالب.

وروىٰ البيهقي في المدخل[٤] بسنده إلىٰ ابن المبارك أنه سُئل عن تفسير هذا الحديث، فقال: ليس هو الذي يظنون[٥]، إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في

---

(١) عوارف المعارف لأبي حفص السهروردي ص ٢٧ (ط - المكتبة العلامية بمصر).

(٢) عبارة السهروردي: «وهذا العلم هو الذي يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالىٰ من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقويهم بطريقهم، ويرشدهم بهم، فهم وارثو علم النبي ﷺ».

(٣) زيادة من القوت.

(٤) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ ١/ ٢٩٥. والسائل هو الحسن بن الربيع البوراني الكوفي المعروف بالخشاب.

(٥) في المدخل: يطلبون.

شيء من أمر دينه فيسأل عنه حتىٰ يعلمه.

وروىٰ ابن عبد البر في كتابه بيان العلم[١] عن ابن المبارك بمثل ما تقدَّم.

وقال بعضهم: أراد به علم ما يطرأ للإنسان خاصةً؛ ذكره البيهقي في المدخل[٢]. وهو قريب من قول ابن المبارك.

ويُروَىٰ[٣] عن أحمد بن محمد بن رشدين قال: سمعت أحمد بن صالح وسُئل عن هذا الحديث، فقال: معناه عندي: إذا قام به قومٌ سقط عن الباقين مثل الجهاد.

ويقرُب منه قول سفيان بن عيينة[٤] فيما رواه عنه أبو الفتح نصر بن المغيرة قال: طلب العلم والجهاد فريضة علىٰ جماعتهم، ويجزئ فيه بعضُهم عن بعض. وتلا هذه الآية: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ الآية [التوبة:١٢٢].

ويقرب منهما أيضًا قولُ من يقول إنه فريضة علىٰ كل مسلم حتىٰ يقوم به مَن فيه الكفاية؛ ذكر هذه الأقوالَ الثلاثة البيهقيُّ في المدخل.

وأما الإمام مالك رحمه الله فقد اختُلف عنه في تفسير هذا الحديث علىٰ ثلاثة أقوال[٥]:

الأول: نقله ابن وهب قال: سُئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة علىٰ الناس؟ فقال: لا، ولكن يطلب منه المرء ما ينتفع به في دينه.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٣.

(٢) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ ١/ ٢٩٤ ونصه: إن صح فإنما أراد -والله أعلم- العلم العام الذي لا يسع البالغ العاقل جهله، أو علم ما ينوبه خاصة».

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٦.

(٤) جامع بيان العلم ١/ ٥٥.

(٥) ذكرها ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٣ - ٥٤.

الثاني: رواه محمد بن معاوية الحضرمي قال: سُئل مالك وأنا أسمع عن الحديث الذي يُذكَر فيه «طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم» فقال: ما أحسن طلب العلم، فأما فريضته فلا.

الثالث: قول ابن الماجِشون قال: سمعت مالكًا وسُئل عن طلب العلم أواجب هو؟ فقال: أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب. وهذا قد قدَّمنا ذِكره.

ويقرُب من هذا الأخيرِ قولُ إسحاق بن راهويه[1] فيما رواه عنه إسحاق بن منصور الكوسج قال: طلب العلم واجب، ولم يصحَّ فيه الخبر، إلا أن معناه أنه يلزمه طلب علم ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته إن كان له مال، وكذلك الحج وغيره.

ومنهم من قال: إن المراد به تعلُّم علم مكارم الأخلاق، أي اسعوا في تحصيله حتىٰ لو لم يبقَ إلا أهل الصين لوجب السفر إليهم، وليس في مكارم الأخلاق شيءٌ يعادل الشفقةَ علىٰ المخلوقات علىٰ ما يليق بكل نوع. وهذا القول ذكره العلاء علي بن محمد الشيرازي في كتابه «سُلَّم السلوك للرعايا والملوك».

فتحصَّل ممَّا ذكرناه نحو عشرين قولاً أو أَزْيَد، غير القول الأخير الذي نقله المصنف عن أبي طالب المكي فسيأتي بيانه وشرحُه.

قال المناوي[2]: كل فرقة أقامت الأدلة علىٰ علمها، وكلٌّ لكلٍّ معارضٌ، وبعضٌ لبعضٍ مناقضٌ، وأجود ما قيل قول القاضي: هو العلم الذي ما لنا مندوحة عن تعلُّمه، كمعرفة الصانع، ونبوَّة رسله، وكيفية الصلاة، ونحوها؛ فإن تعلُّمه فرض عين.

---

(١) جامع بيان العلم ١/ ٥٢.

(٢) فيض القدير ٤/ ٢٦٧.

وقال المصنف في كتابه «المنهاج»(١): العلم المفروض في الجملة ثلاثةٌ: علم التوحيد، وعلم السر وهو ما يتعلق بالقلب [ومساعيه]، وعلم الشريعة، والذي يتعيَّن فرضُه من علم التوحيد [مقدار] ما يُعرَف به أصول الدين وهو أن تعلم أن لك إلهًا [عالمًا] قادرًا حيًّا مريدًا متكلمًا سميعًا بصيرًا [واحدًا] لا شريك له، متَّصفًا بصفات الكمال، منزَّهًا عن دلالات الحدوث، منفردًا بالقدرة(٢)، وأن محمدًا [عبده و] رسوله الصادق فيما جاء به. ومن علم السر معرفةُ مواجبه ومناهيه حتىٰ يحصُل لك [تعظيم الله سبحانه و] الإخلاص [له] والنية وسلامة العمل، ومن علم الشريعة كلُّ ما وجب عليك معرفته لتؤدِّيه، وما فوق ذلك من العلوم فرضُ كفاية.

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة(٣): العلم الذي هو فرض عينٍ لا يسع مسلمًا جهله أنواع:

- **النوع الأول**: علم أصول الإيمان الخمسة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فإن مَن لم يؤمن بهذه الخمس لم يدخل في باب الإيمان، ولا يستحق اسم «المؤمن»، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧]وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء:١٣٦] ولمَّا سأل جبريلُ رسولَ الله ﷺ عن الإيمان قال: «[أن] تؤمن بالله وملائكته واليوم الآخر وكتبه ورسله» قال: صدقتَ. فالإيمان بهذه الأصول فرعُ معرفتها والعلمِ بها.

- **النوع الثاني**: علم شرائع الإسلام، واللازم منها [علم] ما يخص العبدَ من فعلِها، كعلم الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها

---

(١) منهاج العابدين ص ٦٤ باختصار. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) في المنهاج: منفردًا بالقدم عن كل محدث.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٨١ - ٤٨٢. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

ومبطلاتها.

- **النوع الثالث**: علم المحرَّمات الخمس التي اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الإلهية، وهي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف:٣٣] فهذه محرَّمات علىٰ كل أحد في كل حال علىٰ لسان كل رسول، لا تُباح قطُّ، ولهذا أُتِي فيها بـ «إنَّما» المفيدة للحصر مطلقًا، وغيرُها محرَّم في وقت مباح في غيره كالميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه، فهذه ليست محرَّمة علىٰ الإطلاق والدوام، فلم تدخل في[1] التحريم المحصور المطلق.

- **النوع الرابع**: علم أحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصُل بينه وبين الناس خصوصًا وعمومًا، والواجب في هذا النوع يختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم، فليس الواجب علىٰ الإمام مع رعيته كالواجب علىٰ الرجل مع أهله وجيرته، وليس الواجب علىٰ مَن نصَّب نفسه لأنواع التجارات من تعلُّم أحكام البياعات كالواجب علىٰ مَن لا يبيع ولا يشتري إلا ما تدعو الحاجةُ إليه، وتفصيل هذه الجملة لا ينضبط بحدٍّ؛ لاختلاف الناس في أسباب العلم الواجب.

وذلك يرجع إلىٰ ثلاثة أصول: اعتقاد وفعل وترك؛ فالواجب في الاعتقاد مطابقتُه للحق في نفسه، والواجب في العمل معرفة موافقة حركات العبد الظاهرة والباطنة الاختيارية للشرع أمرًا وإباحةً، والواجب في الترك معرفة موافقة الكفِّ والسكون لمرضاة الله تعالىٰ، وأن المطلوب منه إبقاءُ هذا الفعل علىٰ عدمه المستعمَل[2] فلا يتحرَّك في طلبه أو كفِّ النفس عن فعله علىٰ الطريقتين، وقد دخل في هذه الجملة علمُ حركات القلوب والأبدان. ا.هـ.

---

(١) في المفتاح: تحت.

(٢) في المفتاح: المستصحب.

وهو نفيس.

وفي «منية السالكين وبغية العارفين»[١]: قد اختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة ولا يسع الإنسان جهله، وكثرت أقاويلهم في ذلك، وأقربها إلىٰ المقصود من قال: هو علم الأوامر والنواهي، والمأمور: ما يُثاب علىٰ فعله ويعاقَب علىٰ تركه، والمأمورات والمنهيات منها ما هو لازم مستمر للعبد بحكم الإسلام، ومنها ما يتوجَّه الأمر فيه والنهي عنه عند وجود الحادثة، فما هو لازم مستمر لزومُه متوجِّه بحكم الإسلام، علمُه واجب من ضرورة الإسلام، وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الأمر والنهي عنه علمه عند تجدده فرض لا يسع مسلمًا علىٰ الإطلاق أن يجهله، وينحصر ذلك في ثلاثة أنواع من العلوم: علم بالأوامر الشرعية، وعلم بالنواهي الشرعية، وعلم بالمباحات الدنيوية ومدارك الحواسِّ الضرورية والضرورة العقلية، وتفصيل ذلك مستقصىٰ في كتب الفقه والأصول، ولكن ننبِّهك بلمعة يسيرة تقف بالإشارة منها علىٰ مجمله وتفصيله.

أما علم الأوامر فهو علم الفرائض والسنن والفضائل، وأما علم النهي فهو علم الحلال والحرام والكراهة والتنزيه، وأما علم المباحات فهو العلم بالدنيا وأهلها وكيفية آداب المخالطة واكتساب المعيشة، وهذه الأقسام الثلاثة تُعلَم من طريق الشرع والسمع، وأما مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل، فلا يحتاج إلىٰ اكتساب، وإنما المراد هنا الكلام علىٰ الشرعية، فقد عمَّ العلمُ الظواهرَ كلَّها، فلا يجوز لأحد أن يعمل عملاً لا يُعلَم بعلم الأمر الظاهر وهو موجود كله، مضبوط في كتب الفقه، كالعلم بالاستنجاء والطهارة والصلاة وما يتعلق بها واختلاف أنواعها والزكاة وأنواعها ومصارفها وعلىٰ من

---

(١) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٨٨٥ فقال: «منية السالكين وبغية العارفين في شرح حديث الأربعين، مجلد، أوله: الحمد لله المتوحد بذاته وصفاته وأفعاله ... الخ، يشتمل كل حديث منها علىٰ فصول جمة». ولم يذكر مصنفه.

تجب والصوم والجهاد والحج وأنواعها .. وغير ذلك من الأحكام المأمور بها.

وأما علم النهي فالعلم بالمحرَّمات كلها علىٰ اختلاف أنواعها كالعلم بما يُفسِد الطهارة والصلاة والصوم والحج وغير ذلك، وكالعلم بالأطعمة والأشربة المحرَّمة وأبواب الربا وغير ذلك، وكالعلم بالمكروه كله، وذلك كله موجود في كتب الفقه، وأما علم المباح وأمور الدنيا فكالعلم بالصيد وآداب الأكل والشرب والجماع والمخالطة ومعرفة الدنيا وأسبابها، وهذا كله موجود في الكتب محرَّرًا.

فإذا أراد العبد أن لا يتحرك بحركة إلا بعلم وجد ذلك في العلم؛ لأن العلم واسع جدًّا، مثال ذلك: إذا أراد أن يسبح أو يمشي في السوق فيقول: هل للسباحة والمشي في السوق أصلٌ في العلم أمْ لا؟ فيجد ذلك منصوصًا عليه، وكذا المزاح واللعب وغير ذلك، لكن مع سعة العلم قد تُرِك العمل به وأوثِرَ العمل بالجهل، فعليك بالعلم في جميع الحركات والسكنات، فهو العصمة في مواطن الهَلَكات، وليكن سبيلك في العلومِ اختيارُ أشرفها منزلةً، والميل إلىٰ أنفعها ثمرةً للدين والدنيا، فتجعل نظرك في نيل ذلك الفرع من العلم مما لا بد لك منه ولا غنىٰ لك عنه، وتجعله مما ترضىٰ أن يُنسَب إليك وتُنسَب إليه، وتُنزِل غيرها من العلوم في نفسك علىٰ قَدْر مراتبها ومواقع أقدارها من دينك ومنفعة نفسك في دنياك وآخرتك الأوكد فالأوكد، والأنفع فالأنفع. وبالله التوفيق.

(وقال) الإمام **(أبو طالب)** محمد بن علي بن عطية الحارثي **(المكي)** في كتابه «قوت القلوب إلىٰ لقاء المحبوب»، ترجمه الخطيب في التاريخ[١] والذهبي في الميزان[٢] فقال: الزاهد الواعظ، صاحب القوت، حدَّث عن علي بن أحمد المصيصي والمفيد، وكان مجتهدًا في العبادة، حدَّث عنه عبد العزيز الأَزَجي وغيره.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ١٥١.

(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ٦٥٥.

وقال الخطيب: كان من أهل الجبل، ونشأ بمكة، ووعظ ببغداد، مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

قلت: وأخذ عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم وأبي سعيد ابن الأعرابي وأبي عثمان المغربي، وعنه ولدُه عمر بن أبي طالب.

وفي كتاب «لطائف المِنَن»[1] نقلاً عن الشاذلي: إن كتاب الإحياء يورث العلم، وكتاب القوت يورث النور.

وكان يقول: عليكم بالقوت فإنه قوت.

وتلقَّاه كلُّ الصوفية بقبول وأثنوا عليه، كسيدي عبد الجليل القصري صاحب «شعب الإيمان»، وابن العريف، وكان يسميه السهروردي: ديوان الإسلام، وأثنىٰ علىٰ مؤلِّفه في عوارفه[2]، وابنُ عَبَّاد في رسائله.

قال رحمه الله في كتابه المذكور بعد أن أورد الأقوال التي ذكرناها ما نصُّه[3]: فهذه أقوال العلماء في معنىٰ هذا الخبر، حكينا ذلك عن علمنا بمذاهبهم علىٰ معنىٰ مذهب كل طائفة، واحتججنا لكل قول، فالألفاظ لنا، والمعنىٰ لهم، وهذا كله حسنٌ ومحتمل، وهؤلاء كلهم وإن اختلفوا في تفسير الحديث بألفاظ؛ فإنهم متقاربون في المعنىٰ، إلا أهل الظاهر منهم فإنهم حملوه علىٰ ما يعلمون، وأهل الباطن تأوَّلوه علىٰ علمهم، ولعَمْري إن الظاهر والباطن علمانِ لا يستغني أحدهما عن صاحبه

---

(١) لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري ص ١٦٢. وقد تقدم ذلك في ترجمة الغزالي أول الكتاب.

(٢) حيث قال في معرض حديثه عن السماع ص ١٢٥: «وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي ما يدل علىٰ تجويزه، ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم، وقول الشيخ أبي طالب المكي يعتبر؛ لوفور علمه، وكمال حاله، وعلمه بأحوال السلف، ومكان ورعه وتقواه وتحريه الأصوب والأولىٰ».

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٢٦.

بمنزلة الإسلام والإيمان، مرتبط كل واحد منهما بالآخر كالجسم والقلب، لا ينفكُّ أحدهما عن صاحبه، وهؤلاء المختلفون في الأقوال مجمعون علىٰ أنه ﷺ لم يُرِد بذلك طلب علم الأقضية والفتاوىٰ، ولا علم اختلاف المذاهب، ولا كتب الحديث مما لا يتعيَّن فرضُه، وإن كان الله تعالىٰ لا يُخلِي من ذلك مَن يقيمه بحفظه، والذي عندنا في حقيقة هذا الخبر -والله أعلم- أن قوله ﷺ «طلب العلم فريضة» **(هو العلم بما يتضمنه الحديثُ الذي)** ذُكرت **(فيه مَباني الإسلام. وهو قوله ﷺ: بُني الإسلام علىٰ خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله ... إلىٰ آخر الحديث)** هكذا في النسخ، وهي الرواية المشهورة، وفي نسخة: علىٰ خمسة، وهي روايةٌ لمسلم، والتقدير: خمسة أشياء أو أركان أو أصول، وفي رواية عبد الرزاق[١]: علىٰ خمس دعائم.

ولنذكر أولاً تخريج هذا الحديث ثم نلمُّ ببقية كلام الإمام أبي طالب.

قال العراقي: رواه البخاري ومسلم والترمذي[٢] والنسائي[٣] من رواية عكرمة ابن خالد عن ابن عمر رفعه: «بُني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وأخرجه مسلم أيضًا من رواية عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر. ورواه الترمذي[٤] من رواية حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر، وقال: حسن صحيح.

قلت: رواه البخاري في أول صحيحه فقال[٥]: حدثنا عبيد الله بن موسىٰ،

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٣/ ١٢٥، ٥/ ١٧٣ موقوفا علىٰ ابن عمر.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٣٥٥.

(٣) سنن النسائي ص ٧٥٩.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٣٥٤.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٢٠.

أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان، عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر. ورواه في التفسير[١] وقال فيه: وزاد عثمان [بن صالح عن][٢] ابن وهب: أخبرني فلان وحيوة بن شُرَيح عن بكر بن عمرو عن بكير بن عبد الله الأشج عن نافع عن ابن عمر.

وأخرجه مسلم في الإيمان[٣] عن محمد بن عبد الله بن نُمَير عن أبيه عن حنظلة، وعن ابن معاذ عن أبيه عن عاصم بن محمد عن أبيه عن جدِّه، وعن ابن نُمَير عن أبي خالد الأحمر عن سعد بن طارق عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر، وعن سهل بن عثمان عن يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة عن سعد بن طارق به.

فوقع لمسلم من جميع طرقه خماسيًّا، وللبخاري رباعيًّا، وزاد مسلم في روايته عن حنظلة قال: سمعت عكرمة بن خالد يحدِّث طاووسًا أن رجلاً قال لعبد الله بن عمر: ألا تغزو؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ ... فذكر الحديث.

وقال البيهقي: اسم الرجل السائل حكيم؛ كذا في شرح العَيْني علىٰ البخاري[٤]. قلت: وفي المخلِّصيات[٥] من رواية يزيد بن بشر السكسكي عن نسي والد عُبادة: كنت عند ابن عمر، فسأله رجل من أهل العراق ... فذكره. ويزيد بن بشر مجهول.

ورواه كذلك الإمام أحمد في مسنده[٦].

وممَّن روىٰ عن حبيب بن أبي ثابت: سُعَير بن الخمس ومسعر بن كِدام،

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٩٩.

(٢) زيادة من صحيح البخاري.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٢٨.

(٤) عمدة القاري ١/ ١٩٧.

(٥) المخلصيات ٣/ ٤٥٣.

(٦) مسند أحمد ٨/ ٤١٧، ٩/ ٤٨٤، ١٠/ ٢١٣، ٣٨٩.

وهو في المخلِّصيات[١] من رواية محمد بن ميمون الخياط عن سفيان بن عيينة عنهما.

وأخرجه العَدَني في مسنده عن سفيان عن سعير وحده عنه، وهو في الغيلانيات من رواية حماد بن شعيب الحِمَّاني عن حبيب بن أبي ثابت، وأخرجه أبو نعيم[٢] من رواية حجاج بن مِنْهال، حدثنا همام بن يحيىٰ، عن محمد بن جُحادة، عن طلحة بن مصرِّف، عن ابن عمر. وفيه زيادة، وليس لطلحة عن ابن عمر شيء في الكتب الستة.

قال العراقي: ويُروَىٰ عن جرير أيضًا، رواه أحمد[٣] وأبو يعلىٰ[٤] في مسنديهما والطبراني في الكبير[٥] من رواية عامر عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بُني الإسلام علىٰ خمس ... فذكرها، ولم يقل: وأن محمدًا رسول الله.

قلت: والمعنىٰ واحد؛ لأن الشهادة هي قولنا: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، كما عرفتَ.

(لأن الواجب هذه الخمس، فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب) ونصُّ القوت[٦]: ثم إن العمل لا يصح إلا بعلمه، فأول العمل العلم به، فصار علم العمل فرضًا من حيث افتُرض العمل، فلمَّا لم يكن علىٰ المسلمين فرضٌ من الأعمال إلا هذه الخمس صار طلب علم هذه الخمس فرضًا؛ لأنه فرضُ الفرض.

---

(١) المخلصيات ١/ ٢٣٣.

(٢) ومن طريقه رواه السبكي في طبقاته ١/ ٧٨ وزاد في آخره: فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن، والجهاد؟ قال: هكذا قال لنا نبينا ﷺ: بني الإسلام علىٰ خمس، فسماهن، والجهاد من العمل الصالح.

(٣) مسند أحمد ٣١/ ٥٥٠، ٥٥٥.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ٤٨٩، ٤٩٦.

(٥) المعجم الكبير ٢/ ٣٢٦.

(٦) قوت القلوب ١/ ٢٢٦.

(والذي ينبغي أن يقطع به المحصِّل ولا يستريب) أي لا يشك **(فيه)** هو **(ما سنذكره)** ونورده الآن، وهذا الذي يذكره المصنِّف هو خلاصة ما ذكره أبو طالب في كتابه مع زيادة إيضاح وبيان لتقريره، كما يظهر لمن تأمَّل في كلاميهما **(وهو أن العلم -كما قدَّمناه- في خطبة الكتاب ينقسم إلىٰ علم معاملة وعلم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة)** أي علم المعاملة القلبية والقالَبية.

واعلم أن الفرض بعد التوحيد نوعان:

أحدهما: ما يكون فرضًا علىٰ العبد بحكم الإسلام، وهو علم المعاملة القلبية وإصلاح الباطن لازدياد الأنوار النفسية، وإزالة الأخلاق الرديَّة، وإثبات الشمائل المُرْضية.

وثانيهما: ما هو فرضٌ عليه عند تجدُّد الحادثة، كدخول وقت الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها، وأما العبد إذا أسلم في وقت لم تجب عليه فيه هذه الأشياء، فليس عليه أن يعلمها بفرض إدراك؛ لأنه لم يدرك وقتها، وإنما يكون الفرض عليه حينئذٍ علم المعاملة القلبية، فلو وجد برهة بعد الإسلام وفراغًا ولم يشتغل في تحصيل علم المعاملة القلبية كان تاركًا للفرض، مسئولاً عنه يوم القيامة وإن لم يتجدد له من تلك الفروض الظاهرة شيءٌ كالصلاة ونحوها، فتأمَّلْ؛ فإنه إجمال سيفصِّله المصنف فيما بعدُ.

(والمعاملة التي كُلِّف العبدُ العاقل البالغ العمل بها ثلاثةٌ: اعتقاد) هو عقدُ القلب علىٰ الشيء وإثباته في نفسه[1]، وسيأتي ذِكره في الباب السادس **(وفعلٌ)** قال الراغب[2]: الفعل: التأثير من جهة مؤثِّرٍ، وهو عامٌّ لِما كان بإجادة أو غير إجادة[3]،

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ٥٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٢.

(٣) في المطبوعة: بإيجاده أو بغيره. والمثبت من المفردات.

ولِما كان بعلم أو بغيره، وبقصد أو بغيره، ولما [كان][1] من الإنسان والحيوان [والجمادات][2] والعمل والصُّنع أخَصُّ منه[3] (**وتركٌ**) هو رفضُ الشيء قصدًا واختيارًا أو قهرًا واضطرارًا[4]، وهذا التقسيم فيه تصريح أن الترك غير الفعل، كما صرَّح به غيرُ واحد.

وقال ابن السبكي في الطبقات[5]: لقد وقفت علىٰ ثلاثة أدلَّة تدل علىٰ أن الكف فعلٌ لم أرَ أحدًا عثر عليها:

أحدها: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان:٣٠] وتقريره: أن الاتخاذ افتعال من الأخذ، وهو التناول، والمهجور: المتروك، فصار المعنىٰ: تناولوه متروكًا، أي فعلوا تركه، وهذا واضح علىٰ جعلِ «اتخذ» في الآية متعدِّيًا إلىٰ مفعولين.

والثاني: حديث أبي جُحَيفة: «أيُّ الأعمال أحب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ»؟ قال: فسكتوا فلم يجبه أحدٌ، قال: «حفظ اللسان»[6].

والثالث: قول قائلٍ من الأنصار والنبيُّ ﷺ يعمل بنفسه في بناء مسجده:

لئن قعدنا والنبيُّ يعملُ ... لَذاك هو العمل المضلَّل[7]

(**فإذا بلغ الرجلُ**) فيه المجاز بالأول، وفي معناه المرأة، وسيأتي الاختلاف فيه

---

(١) زيادة من المفردات.

(٢) زيادة من المفردات.

(٣) في المفردات: والعمل مثله، والصنع أخص منهما.

(٤) المفردات ص ٧٤.

(٥) طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ١٠٠ - ١٠٢ باختصار.

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٨ بسند ضعيف.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٣٨.

(العاقل) لأن المجنون لا تتوجَّه عليه الأحكامُ حتىٰ يبرأ؛ لِما روىٰ ابن ماجه[1] من حديث عائشة مرفوعًا: «رُفع القلمُ عن ثلاثة: عن النائم حتىٰ يستيقظ، وعن الصغير حتىٰ يكبر، وعن المجنون حتىٰ يعقِل أو يفيق» **(بالاحتلام أو السن ضحوة نهارٍ مثلاً)** قال التقي السبكي في «إبراز الحِكَم»[2]: أجمع العلماء علىٰ أن الاحتلام يحصل به البلوغ في حق الرجل، ومن الدليل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ [النور:٥٩] والمراد بالاحتلام: خروج المني، سواء كان في اليقظة أمْ في النوم، بحلم أو غير حلم، ولمَّا كان في الغالب لا يحصل إلا في النوم بحلم أُطلق عليه الحلم والاحتلام، ويكون الخروج بغير حلم مدلولاً عليه باللفظ إن أطلقنا[3] اللفظ علىٰ الأقسام الثلاثة؛ لوجود المعنىٰ في جميعها، أو لا يكون مدلولاً عليه ولكن الحلم ثابت فيه إجماعًا؛ لمشاركته في المعنىٰ لما دل اللفظ عليه، ولو وُجد الاحتلام من غير خروج منيٍّ فلا حكم له.

ثم قالوا: إن وقت إمكان خروج المني باستكمال تسع سنين، ولا عِبرة بما ينفصل قبل ذلك. وقيل: وقت[4] الإمكان [بمضي][5] ستة أشهُر من السنة العاشرة، وقيل: بتمام العاشرة.

ثم قال: واختلف أصحابنا في بلوغ النساء بالاحتلام، والصحيح أنه بلوغ في حقِّهن كالرجال، وفيه وجهٌ أنه لا يوجب البلوغ فيهن؛ لأنه نادر فيهن، ساقط العِبرة، وأما البلوغ بالسن فعن أبي حنيفة: أن بلوغ الغلام بثمان عشرة سنة، وفي

---

(١) سنن ابن ماجه ٣/ ٤٤٢.

(٢) إبراز الحكم من حديث رفع القلم للسبكي ص ٦٧ - ٨٠ (ط - دار البشائر الإسلامية ببيروت) باختصار.

(٣) في المطبوعة: اختلف. والمثبت من إبراز الحكم.

(٤) في المطبوعة: مضي. والمثبت من إبراز الحكم.

(٥) زيادة من إبراز الحكم.

الجارية عنه روايتان، إحداهما كذلك، والثانية: بسبع عشرة.

وقال الشافعي: إن البلوغ فيهما بخمس عشرة، واختلف أصحابه في ضبطها، فالمذهب المشهور أن المعتبَر تمام السنة الخامسة عشر، وفي وجه مشهور من طريق المَراوِزة أنه بالطعن فيها، وفي وجه غريب أنه بمضيِّ ستة أشهُر منها، واستندوا فيه إلىٰ حديثين:

أحدهما: عن ابن عمر قال: عُرضت علىٰ النبي ﷺ يوم أُحُد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعُرضت [عليه][1] يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني. متفق عليه[2]. قال نافع: فحدَّثتُ بهذا الحديث عمرَ بن عبد العزيز في خلافته فقال: إن هذا لَحَدٌّ بين الصغير والكبير.

وقيل: إن عمر بن عبد العزيز أمر بذلك بعدُ، وكان يجعل مَن دون خمس عشرة في الذرية، وكتب إلىٰ عُمَّاله: أن افرضوا لابن خمس عشرة، وما كان سوىٰ ذلك فألحِقوه بالعيال.

والمخالفون اعتذروا عن هذا الحديث بأن الإجازة في القتال منوطة بإطاقته والقدرة عليه، وأن إجازة النبي ﷺ لابن عمر في الخمس عشرة؛ لأنه رآه مطيقًا للقتال ولم يكن مطيقًا له قبلها لا لأنه أدار الحكم علىٰ البلوغ وعدمه، ولعَمْري إن هذا العذر يلوح، ولكن يردُّه أن جماعة مع ابن عمر اتُّفق لهم ذلك وأسنانهم متساوية، وكان فيمن رُدَّ مَن يتشوق للقتال ويُظهِر من نفسه الجلادة والقوة، وذِكرُ ابن عمر السن في المقامين دليل علىٰ أنه فهم أن ذلك منوط بالسن، ويُعضد ذلك بفهم عمر بن عبد العزيز ومَن وافقه، والأمر فيه محتمل، وأمرُ عمر بن عبد العزيز بجعل مَن دون خمس عشرة في الذرية ظاهر؛ لِما قدَّمناه، وكذلك ينسحب حكم عدم البلوغ علىٰ ما

---

(١) زيادة من إبراز الحكم.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢٥٧، ٣/ ١١٤. صحيح مسلم ٢/ ٩٠٤.

قبل تمامها، فلا بلوغ قبل استكمال خمس عشرة سنة بغير الاحتلام، وإنما النظر في البلوغ بتمامها، والإجازة في القتال لا تدل علىٰ البلوغ؛ لأن الصبي القادر علىٰ القتال يجوز له الحضور وإن لم يجب عليه، وقد ذكر الرافعي[١] في هذا الحديث زيادة وهي قول ابن عمر في المرَّة الأولىٰ: ولم يرني بلغتُ، وفي الخندق: ورآني قد بلغت.

وهذه الزيادة إن صحَّت كافيةٌ في الاستدلال مع إمكان أن يحملها الخصم علىٰ بلوغ القتال، ولكن الظاهر خلافه، وبعض هذه الزيادة رواه البيهقي[٢] وهو قول ابن عمر في يوم أحد: ولم يرني بلغت، رواه ابن جُرَيج عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر، وفي رواية جماعة عن عبيد الله: فاستصغرني.

وأما **الحديث الثاني**، فرواه الدارقطني[٣] -علىٰ ما نقله إمام الحرمين[٤]- أن النبي ﷺ قال: «إذا استكمل المولود خمس عشرة سنةَ كُتب ما له وما عليه، وأقيمت عليه الحدودُ».

وهذا الحديث نصٌّ في المقصود؛ فإن الذي دلَّت عليه السِّيَر أن ابن عمر يوم الخندق كان في ست عشرة سنة، لكنه لم يحسب تلك الزيادة فقال: وأنا ابن خمس عشرة؛ لأنه كان أكملها وزاد عليها، فإجازة النبي ﷺ له يحتمل أن تكون لقدرته علىٰ القتال مع صباه، ويحتمل أن تكون لاستكماله خمس عشرة، ويحتمل أن تكون لبلوغه قبل ذلك أو بعده، وأما هذا الحديث فنصٌّ في اعتبار

---

(١) العزيز شرح الوجيز للرافعي ٥/ ٦٨ (ط - دار الكتب العلمية).

(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٦/ ٩١ - ٩٢.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/ ٩٣: «رواه البيهقي في الخلافيات من طريق عبد العزيز ابن صهيب عن أنس بسند ضعيف، وقال الغزالي في الوسيط تبعًا للإمام في النهاية: رواه الدارقطني بإسناده، فلعله في الأفراد أو غيرها؛ فإنه ليس في السنن مذكورا، وذكره البيهقي في السنن الكبرىٰ عن قتادة عن أنس بلا إسناد وقال: إنه ضعيف».

(٤) نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين ٦/ ٤٣٣ (ط - دار المنهاج بجدة).

كمال خمس عشرة سنة، وصريح في أنه يُكتب ما له وما عليه، وتقام عليه الحدود، وهذا معنىٰ التكليف، فإن صحَّ هذا الحديث فلا ريبة في هذا الحكم وإلا فنقول في اعتبار أبي حنيفة أيضًا لسبع عشرة أو لثمان عشرة: لا دليل عليه، وبقاء الصبا [إلىٰ الاحتلام] (١) أبدًا لا صائر إليه، وربما لا يحتلم شخصٌ، وقد دل القرآنُ علىٰ بلوغ النكاح وهو السن الذي تتوق فيه نفسه إلىٰ الجماع ويقدر عليه، وهو مختلف باختلاف الأشخاص، والغالب وجوده في ابن خمس عشرة وما قاربها، وقد شهد له حديث ابن عمر والحديث الآخَر، فهو أولىٰ بالاعتبار، وإقامته مظنته، فلذلك نختار موافقة الشافعي في الحكم بالبلوغ باستكمال خمس عشرة ظاهرًا لا قطعًا، أما إذا استكمل سبع عشرة أو ثمان عشرة فيُحكَم بالبلوغ باتفاق منَّا ومن الحنفية، ومخالفة مالك بعيدة؛ لأنه لا غاية بعدها.

ثم قال: واختلف العلماء في إنبات العانة هل يقتضي الحكمَ بالبلوغ؟ فمن العلماء مَن أنكر ذلك وهو أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ، ومنهم من قال به في حق المسلمين والكفار، وهو أحد الوجهين لأصحابنا بناءً علىٰ أنه بلوغٌ حقيقةً كسائر أسباب البلوغ، أو أنه علامة يُحتاج إليها عند الإشكال فيها، وهو مذهب مالك، ومنهم من قال به في حق الكفار خاصةً، وهو الصحيح عند أصحابنا بناءً علىٰ أنه ليس ببلوغ ولكنه دليل علىٰ البلوغ وأمارةٌ؛ لأنه يستعجل بالمعالجة، ولأن تواريخ المواليد في المسلمين يسهل الكشفُ عنها، بخلاف الكفار فإنه لا اعتماد علىٰ قولهم، فجُعل علامةً في حق الكفار خاصةً.

ثم قال: وإذا اعتبرنا البلوغَ بخمس عشرة سنة فهو تحديد؛ لأن كل عدد نصَّ الشارعُ عليه فهو تحديد، وإنما يختلف فيما ليس مقدَّرًا من جهة الشارع.

هذا كله نصُّ التقي السبكي، نقلته برمَّته؛ لِما فيه من الفوائد.

---

(١) زيادة من إبراز الحكم.

قلت: وما ذكره عن أبي حنيفة في بلوغ الغلام ثمان عشرة سنة هو الرواية المشهورة عنه، وقد ذكر صاحب الدرر وغيره[(١)] عنه رواية أخرىٰ: تسع عشرة سنة. وقال بعضهم: المراد من ذلك أن يطعن في التاسع عشرة، فلا اختلاف بين الروايتين.

وحاصل ما ذكره أصحابُنا في متونهم وأجمعوا عليه أن بلوغ الغلام بإحدىٰ ثلاث: الاحتلام والإحبال والإنزال؛ لأنها أمارات البلوغ، وإلا فحتىٰ يُتِمَّ ثماني عشرة سنة، وبلوغ الجارية بالحيض والاحتلام والحبل، وإلا فحتىٰ يتم لها سبع[(٢)] عشرة سنة.

ويُروَىٰ عن أبي حنيفة أيضًا: بلوغُهما بخمس عشرة سنة، وهو قول الصاحبين، وعليه الفتوىٰ. قالوا: وأدنىٰ المدة في حق الغلام اثنتا عشرة سنة، وفي حقِّها تسع سنين، فإن راهقا الحُلُم وأقرَّا بالبلوغ صُدِّقا بالإجماع.

(فأول واجب عليه تعلُّم كلمتَي الشهادة، وفهم معناهما) ولو إجمالاً **(وهو قول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله)** صار لفظ الشهادة عَلَمًا عليه لقول القائل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

والشهادة تُطلَق علىٰ معانٍ كثيرة، كما تقدم، ولكن المناسب هنا هو الإخبار بمعرفة الشيء عن شهادة وعيان لا تخمين وحسبان، ومعنىٰ الشهادة في «أشهد أن لا إله إلا الله» تصديق بالجنان وإقرار باللسان، وهو مجاز لغوي وحقيقة شرعية شبه الإقرار والتصديق في البيان والكشف، فأُطلق علىٰ ذلك: الشهادة، كما أُطلق الأسد علىٰ الرجل الشجاع، فتكون استعارة، ثم «أشهد» هنا إن كان إخبارًا عمَّا مضىٰ ففائدته أن يكون التصديق والإقرار نصب عين الجنان وورد اللسان بحيث

---

(١) انظر: الهداية في شرح بداية المبتدي للمرغيناني ٣/ ٢٨١ (ط - دار إحياء التراث العربي ببيروت).
(٢) في المطبوعة: ثمان. والمثبت من الهداية.

يشغَل المؤمنُ بهما ظاهرَه وباطنَه، وإن كان إنشاء ففائدته النجاة واستحقاق الإحسان والإعلام بالإيمان؛ حقَّقه الكافيجي.

وقال ابن السبكي في الطبقات(١): واعلم أن جميع ما سقناه في قول «لا إله إلا الله» المراد به في أكثر الأحاديث صيغة الشهادتين، وقد صارا كالشيء الواحد؛ لأن الاعتبار بأحدهما متوقِّف على الآخر، ومن ثَم قال القاضي أبو الطيب الطبري وجماعة في تلقين الميت: يُلقَّن الشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وقد جاء مصرَّحًا به في بعض ألفاظ الحديث، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ..» الحديث.

وفي رواية أخرى عندهما لأبي هريرة كذلك، وفي رواية أخرى للبخاري والثلاثة من حديث أنس رفعه: حتى يقولوا. وفيه: فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ... الحديث، وكذلك حديث «بُني الإسلامُ على خمس»، فجعل الشهادتين شيئًا واحدًا، وهو الأمر الذي بُني عليه الإسلامُ، وإلا فلو كانا شيئين لكان الإسلام مبنيًا على ست لا خمس.

(وليس يجب عليه أن يحصِّل كشف ذلك لنفسه بالنظر) قد يُراد به التأمُّل والفحص، وقد يُراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص(٢)، وهو أعمُّ من القياس؛ لأن كل قياس نظرٌ، ولا عكس، وعند الأصوليين: هو الفكر المؤدِّي إلى علم أو ظن(٣) **(والبحث)** هو إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين شيئين بطريق الاستدلال(٤) **(وتحرير الأدلة)** والتحقيق فيها **(بل يكفيه أن يصدِّق به ويعتقده جزمًا)** أي حتمًا،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٦٨ - ٦٩ باختصار.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٤٩٧.

(٣) التوقيف للمناوي ص ٣٢٦.

(٤) التعريفات للجرجاني ص ٤٣.



يقال: حكمٌ جزمٌ: لا يُنقَض ولا يُرَدّ[١] **(من غير اختلاج رَيْب)** أي شكٍّ **(واضطراب نفْسٍ)** والاختلاج هو الاضطراب **(وذلك قد يحصُل بمجرَّد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان)** أي يتَّبع غيره فيما يقوله معتقدًا فيه من غير نظر وتأمُّل وبحث في الدليل، كأنه يجعل قول غيره قلادة في عنقه، والبرهان: ما يفصل الحق عن الباطل، ويميِّز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه[٢] **(إذ اكتفىٰ رسول الله ﷺ من أجلاف العرب)** وجُفاتهم الذين لم يتزيَّوا بزي الحَضَر في رِفقتهم ولين أخلاقهم **(بالتصديق والإقرار)** فقط **(من غير تعلُّم دليلٍ)** قال العراقي: هو مشهور في كتب السِّيَر وفي الصحيح، فمن ذلك حديث أنس المتفق عليه[٣] في قصة ضِمام بن ثعلبة، وفيه: فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق» ... الحديث، وفي آخره: فقال الرجل: آمنت بما جئتَ به، وأنا رسولُ مَن ورائي من قومي، وأنا ضِمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر.

وفي الصحيحين[٤] أيضًا من حديث أبي أيوب أن أعرابيًّا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخِطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله -أو: يا محمد- أخبِرْني بما يقرِّبني من الجنة وما يباعدني من النار. وفيه: فقال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ...» الحديث، زاد مسلم: فقال: «إن تمسَّك بما أُمر به دخل الجنة».

وفي الصحيحين[٥] أيضًا من حديث أبي هريرة أن أعرابيًّا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دُلَّني علىٰ عمل إذا عملتُه دخلتُ الجنة. قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ...» الحديث، وفيه: فقال: «مَن سرَّه أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظرْ إلىٰ هذا».

---

(١) المصباح المنير للفيومي ص ٣٩.

(٢) التوقيف ص ٧٤.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٣٩. صحيح مسلم ١/ ٢٦.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٤٣٠، ٤/ ٨٩. صحيح مسلم ١/ ٢٦.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٤٣١. صحيح مسلم ١/ ٢٧.

والأحاديث في هذا كثيرة مشهورة.

وقال صاحب القوت[1]: فإذا بطلت هذه الوجوه -يعني التي ذكرها في حديث «اطلبوا العلم ...» الخ- صحَّ أن المراد به علمُ ما بُني الإسلام عليه، فافترُض علىٰ المسلمين علمُه فريضةً، بدليل قوله ﷺ للأعرابي حين سأله: ما افترض الله عليَّ؟ وفي لفظ آخر: أخبِرْنا بالذي أرسلك الله إلينا به. فأخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت، فقال: هل عليَّ غيرها؟ فقال: «لا، إلا أن تتطوع». فقال: واللهِ لا أزيد عليه شيئًا ولا أنقص منه شيئًا. فقال: «أفلح ودخل الجنة إن صدق». فكان علمُ هذه الخمس فريضةً من حيث كان معلومُه فريضةً[2]؛ إذ لا عمل إلا بعلم.

قلت: وحديث ضِمام في أول كتاب البخاري، رواه عن عبد الله بن يوسف التنِّيسي، ورواه أبو داود[3] والنسائي[4] وابن ماجه[5] جميعًا عن عيسىٰ بن حماد زغبة، كلاهما عن الليث بن سعد عن سعيد المَقْبُري عن شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر عن أنس، وأخرجه الترمذي[6] عن محمد بن إسماعيل الترمذي عن علي بن عبد الحميد، والنسائي[7] عن محمد بن معمر عن أبي عامر العقدي، وعبد بن حُمَيد[8] عن أبي النضر هاشم بن القاسم، وأبو عَوانة في صحيحه[9] من رواية

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٢٧.

(٢) في المطبوعة: من حيث هي كمال معلوم وفريضة. والتصويب من القوت.

(٣) سنن أبي داود ١/ ٣٨١.

(٤) سنن النسائي ص ٣٣٤.

(٥) سنن ابن ماجه ٢/ ٥١٨.

(٦) سنن الترمذي ٢/ ٧.

(٧) سنن النسائي ص ٣٣٣.

(٨) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢٧٥.

(٩) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ١/ ١٥.

موسىٰ بن إسماعيل، خمستُهم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس، وفي رواياتهم اختلافٌ في اللفظ، وأكملُ الروايات لهذا الحديث حديث ابن عباس، وهو بطوله في الخُلَعيات[١] من رواية محمد بن إسحاق حدثني محمد بن الوليد عن كُرَيب عنه، وفي آخره: يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافدِ قومٍ كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة.

وقد وقع في هذه الطرق كلِّها ذِكرُ الحج ما عدا رواية البخاري، وقدوم ضِمام كان في سنة تسع، وبه جزم ابن إسحاق[٢] وأبو عبيد[٣]، ووقع في معجم الطبراني[٤] من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس التصريحُ بأن قدوم ضمام كان بمكة. والله أعلم.

(فإذا فعل ذلك فقد أدَّىٰ واجب الوقت، وكان العلم الذي هو فرض عينٍ عليه في الوقت تعلُّم الكلمتين وفهمهما) أي فهم معانيهما إجمالاً **(وليس يلزمه أمرٌ وراء هذا في ذلك الوقت، بدليل أنه لو مات)** أي لو قُدِّر موتُه **(عقيب ذلك مات مطيعًا لله تعالىٰ، غير عاصٍ له)** وكذلك مَن أيقن بالإيمان وحال بينه وبين النطق به الموتُ فهو ناجٍ، استنبطه المصنِّف من قوله ﷺ: «أخرِجوا [من النار] مَن كان في قلبه مِثقال حبة من خردل من إيمان». قال: وأما مَن قدر علىٰ النطق ولم يفعل حتىٰ مات مع إيقانه بالإيمان بقلبه فيحتمل أن يكون امتناعه منه بمنزلة امتناعه عن الصلاة، فلا يخلَّد في النار، ويحتمل خلافه، ورجَّح غيرُه الثاني، فيحتمل تأويله؛

---

(١) ورواه الدارمي في سننه ١/ ١٧٢، وأحمد في مسنده ٤/ ٢٠٩ من هذا الطريق أيضاً.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢١٦.

(٣) انظر: فتح الباري ١/ ١٨٤.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٣٦٣. ولفظه: أن رجلا من أزد شنوءة يقال له ضمام كان باليمن، وكان يعالج من الأرواح، فقدم مكة، فسمعهم يقولون لمحمد ﷺ ساحر وكاهن ومجنون .... الخ.

كذا نقله القسطلاني[١].

(**وإنما يجب غيرُ ذلك بعوارض تعرض**) والعارض للشيء[٢]: ما يكون محمولاً عليه، خارجًا [عنه][٣] وهو أعَمُّ من العَرَض[٤]؛ إذ يقال للجوهر: عارض، كالصورة تعرض على الهيولي[٥]، ولا يقال له عَرَضٌ (**وليس ذلك ضروريًّا في حق كل شخص، بل يُتصوَّر الانفكاك عنها**) أي الانفصال (**وتلك العوارض**) التي تعرِض على المكلَّف (**إما أن تكون في الفعل، وإما في التَّرك، وإما في الاعتقاد**) قدَّم الفعل والترك اهتمامًا بشأنهما؛ لأن غالب الشرائع مداره عليهما (**أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة النهار**) مثلاً بعد أن يصير أهلاً لوجوب الصلاة عليه ببلوغ وإسلام (**إلى وقت الظهر**) الغاية هنا داخلة تحت المُغَيَّا بقرينة قوله: (**فيتجدَّد عليه بدخول وقت الظهر تعلُّمُ الطهارة**) من الأحداث والأخباث (**والصلاة**) أي صلاة الظهر، وتقديم الطهارة لكونها من مقدِّمات الصلاة (**فإن كان صحيحًا وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكَّن من تمام التعلُّم والعمل**) ولا من بعضهما (**في الوقت، بل يخرج الوقتُ لو اشتغل بالتعلُّم، فلا يبعُد أن نقول: الظاهر بقاؤه**)

---

(١) إرشاد الساري ١/ ١٠٥. والزيادة التي بين حاصرتين منه. وزاد بعد قوله «الثاني»: فيحتاج إلى تأويل قوله (في قلبه) فيقدر فيه محذوف تقدير: منضماً إلى النطق به مع القدرة عليه، ومنشأ الاحتمالين الخلافُ في أن النطق بالإيمان شطر، فلا يتم الإيمان إلا به، وهو مذهب جماعة من العلماء، واختاره الإمام شمس الدين وفخر الإسلام، أو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط، وهو مذهب جمهور المحققين، وهو اختيار الشيخ أبي منصور، والنصوص معاضدة لذلك؛ قاله المحقق التفتازاني.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٤٩.

(٣) زيادة من التعريفات.

(٤) في التعريفات: العارض العام.

(٥) الهيولي في عرف الحكماء: هي الجوهر القابل للإتصال والإنفصال، وهي محل للصورة الجسمية والنوعية. (دستور العلماء ٣/ ٣٣١).

وهو الراجح (**فيجب عليه تقديم التعلُّم علىٰ الوقت**) وإنما عبَّر بقوله «لا يبعد» لأنه لم يَرَ فيه تصريحًا، وإنما هو من تحقيقاته، ويكون المراد بالتعلُّم الذي وجب تقديمُه قَدْر ما يستطيعه ويسعه فهمْه.

وإن جُعل التعلُّم شرطًا للصلاة فلا محالة يُقدَّم عليها تقدُّم العلَّة علىٰ المعلول (**ويحتمل أن يقال: وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل، فلا يجب**) أي لا يستدعي وجوبه (**قبل الزوال**) ويقال: هلاَّ يكون المراد من قوله «بعد وجوب العمل» أي بعد معرفة وجوبه قبل دخول وقته فيكون مستدعيًا تقدُّمه بالذات ولو لم يكن بالزمان، فالعلم ليس مقارِنًا له في الوجوب بالزمان، فتدبَّرْ (**وهكذا**) الحال (**في بقية الصلوات**) المفروضة (**فإن عاش إلىٰ رمضان**) الشهر المعروف (**تجدَّد بسببه**) أي بسبب دخوله فيه (**وجوبُ تعلُّم الصوم، وهو يعلم أن وقته من**) طلوع (**الصبح إلىٰ غروب**) قرص (**الشمس، وأن الواجب فيه النية**) وهي إجماعيَّة، ولكن اختلفوا في تعيينها، فقال مالك والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه: لا بد من التعيين؛ فإن لم يعيِّن لم يجُزْ، ولو نوىٰ صومًا مطلقًا أو صوم التطوع لم يجُزْ.

وقال أبو حنيفة: لا يجب التعيين، وإن نوىٰ مطلقًا أو نفلاً أجزأه، وهي الرواية الأخرىٰ عن أحمد. ثم اختلفوا في وقت النية، علىٰ ما يأتي بيانه في الكتاب الثالث إن شاء الله تعالىٰ (**والإمساك**) أي الامتناع (**عن الأكل والشرب والوقاع**) أي الجماع وما في معناه (**وأن ذلك يتمادىٰ**) أي تنتهي مدته (**إلىٰ**) وقت (**رؤية الهلال**) أي هلال شوَّال (**أو شاهدينِ، فإن تجدد له مالٌ**) بكسب أو هبة أو إرث، والمراد بالمال: النقدانِ (**أو كان له مال عند بلوغه**) أو قبل أن يبلغ بقليل (**لزمه تعلُّمُ ما يجب عليه من الزكاة**) أي من مسائلها (**ولكن لا تلزمه**) الزكاةُ (**في الحال، إنما تلزمه عند تمام الحَوْل من وقت الإسلام**) بتحديد الشارع، والمعتبَر فيه الشهور

القمرية كما في البلوغ، لا الشمسية (**فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه تعلُّمُ زكاة الغنم**) وكذا في عكسه (**وهكذا في سائر الأصناف**) من الأموال (**فإذا دخل في أشهُر الحج**) وهي عند جمهور العلماء: شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة، سُمِّي بعضُه شهرًا مجازًا تسميةً للبعض باسم الكل، والعرب تفعل [مثل] ذلك كثيرًا في الأيام، يقولون: زرتك العام، وزرتك الشهر، والمراد وقتٌ من ذلك، قلَّ أو كثر، وهو من أفانين الكلام.

وعن مالك: وذو الحجة، عملاً بظاهر اللفظ؛ لأن أقله ثلاثة. وعن ابن عمر والشعبي: أربعة، هذه الثلاثة والمحرَّم[1] (**فلا تلزمه المبادرةُ إلىٰ علم الحج، مع أن فِعله علىٰ التراخي**) أي امتداد الزمان (**فلا يكون تعلُّمه علىٰ الفور، ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينبِّهوه علىٰ أن الحج فرضٌ**) علىٰ كل مسلم (**علىٰ التراخي**) هذا هو مذهب الشافعي وأحمد في رواية وقولٌ لمحمد بن الحسن، قالوا: لأنه وظيفة العمر، وظاهر المتون علىٰ الفور عند أبي حنيفة، وهو مذهب مالك وقول لأبي يوسف، واستدلُّوا بقوله ﷺ: «مَن أراد الحج فليتعجَّلْ؛ فإنه قد يمرض المريض، وتَضِلُّ الراحلة، وتعرض الحاجةُ». رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه[2].

قال العيني في شرح الكنز[3]: فإن قلت: حجَّ رسول الله ﷺ في سنة عشر، وكان فرضُه في سنة ست، فهذا يدل علىٰ التراخي.

قلت: الحج وجب بقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧] وهي نزلت سنة تسع، والذي نزل في سنة ستٍّ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦] وهو أمرٌ بإتمام ما شرع فيه، وليس فيه دلالة علىٰ الإيجاب من غير

---

(١) المصباح المنير ص ١٢٤.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٣٣٢، ٣٣٣، ٥/ ١٢٢، ٣٥٢. السنن الكبرىٰ للبيهقي ٤/ ٥٥٦. سنن ابن ماجه ٤/ ٣٩٢. من حديث عبد الله بن عباس أو الفضل بن عباس.

(٣) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين الزيلعي ٢/ ٣ (ط - المطبعة الأميرية بمصر).

شروع، وأما تأخيره ﷺ إلىٰ السنة العاشرة فيحتمل أن يكون لعذر، إما لأنها نزلت بعد فوات الوقت، أو لخوف من المشركين علىٰ أهل المدينة، أو علىٰ نفسه، وأما ما قاله بعضهم أنه ﷺ كان قد علم أنه يدرك الحج قبل موته فليس بشيء.

وقال مسكين البخاري في شرحه عليه ما نصه[١]: فُرض مرةً علىٰ الفور عند أبي يوسف ومحمد، وهو إحدىٰ الروايتين عنه، [وفي رواية أخرىٰ][٢] أنه علىٰ التراخي، وهو قول الشافعي، إلا أنه يسعه التأخيرُ بشرط أن لا يفوته بالموت، فإذا أخَّرَ حتىٰ مات أثم في التأخير.

وفي النهر لابن نجيم[٣]: الحاصل أن الفورية واجبة احتياطًا حتىٰ لو أتىٰ به متراخيًا كان أداء اتفاقًا، وثمرة الخلاف إنما تظهر في الفسق بالتأخير والإثم وردِّ الشهادة. وقال أبو يوسف: نعم، ونفاه محمد، وأجمعوا علىٰ أنه لو حج في آخر عمره لم يأثم، ولو مات ولم يحجَّ أثمَ.

وقال صاحب الجوهرة[٤]: عند أبي يوسف علىٰ الفور؛ لأنه يختصُّ بوقت خاص، والموت في سنة واحدة غير نادر، وعند محمد علىٰ التراخي؛ لأنه وظيفة العمر، والخلاف فيما إذا كان غالب ظنه السلامة، أما إذا كان غالب ظنه الموت إما بسبب المرض أو الهرم فإنه يتضيَّق عليه الوجوب إجماعًا، فعند أبي يوسف: لا يباح له التأخير عند الإمكان، فإن أخَّره كان آثمًا، وحجَّته الحديث: «مَن ملك زادًا وراحلة تبلِّغه إلىٰ بيت الله الحرام فلم يحجَّ فلا عليه أن يموت يهوديًّا أو نصرانيًّا»[٥].

---

(١) انظر: المبسوط لشمس الأئمة السرخسي ٤/ ١٦٤ (ط - دار المعرفة ببيروت).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم المصري ٢/ ٣٣٣ (ط - دار الكتاب الإسلامي).

(٤) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري لأبي بكر الحدادي ١/ ١٤٨ (ط - المطبعة الخيرية بمصر).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٢/ ١٦٦ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث -يعني الأعور- يضعف في الحديث.

ثم احتجَّ لمحمد بما ذكره العينيُّ في نزول الآية.

وقال صاحب الدرر[1]: وقت الحج في اصطلاح الأصوليين يسمَّىٰ مشكلاً؛ لأن فيه جهة المعيارية والظرفية، فمَن قال بالفور لا يقول بأن مَن أخَّره يكون فعلُه قضاءً، ومن قال بالتراخي لا يقول بأن مَن أخَّره عن العام الأول لا يأثم أصلاً، كما إذا أخَّر الصلاة عن الوقت الأول، بل جهة المعيارية راجحة عند مَن يقول بالفور، حتىٰ إن مَن أخَّره يفسُق وتُردُّ شهادتُه، لكن إذا حج بالآخرة كان أداءً لا قضاءً، وجهة الظرفية راجحة عند مَن يقول بخلافه، حتىٰ إذا أدَّاه بعد العام الأول لا يأثم بالتأخير، ولكن لو مات ولم يحجَّ أثم عنده.

ورأيت لشمس الأئمة الحلواني في رسالته «الرد علىٰ مَن رد علىٰ أبي حنيفة» في مسائل، فمنها أنه قال: قال أبو حنيفة بوجوب الحج علىٰ الفور، مع أنه لم ترتبط به حاجةُ مسلم، فنقول: لا نصَّ عن أبي حنيفة في الحج علىٰ أنه علىٰ الفور أو علىٰ التراخي، وإنما أصحابه اختلفوا فيه، فقال أبو سهل الزَّجَّاجي: علىٰ قول أبي يوسف يجب علىٰ الفور، وعلىٰ قول محمد علىٰ التراخي، وروىٰ محمد ابن شجاع عن أبي حنيفة أنه: مَن ملك ما يحج به فأراد أن يتزوج يحج به. قيل: هذا يدل علىٰ وجوبه علىٰ الفور عنده، مع أن في كونه دليلاً عليه احتمالاً، فإن كان كذلك فمراده منه ما هو مراد أبي يوسف من وجوبه علىٰ الفور؛ فإن أبا يوسف نصَّ علىٰ أن المراد به في حق الأداء احتياطًا؛ لئلاً يؤدي إلىٰ الفوت؛ لأن موت المرء في السنة الواحدة لا يندر، بخلاف وقت الصلاة، يدل عليه أنه قال التي يُستفاد منها وجوب الحج مطلقًا علىٰ الوقت فقضيَّتها الوجوب علىٰ التراخي، إلا أنَّا أظهرنا التقييدَ بالسنة الأولىٰ في حق الأداء احتياطًا يدل علىٰ أن وجوبه علىٰ التراخي عندهم بالإجماع، علىٰ أنه لو أخَّر الحج عشر سنين ثم أدَّىٰ يقع أداءً لا قضاءً، فلو كان الوجوب علىٰ

---

(١) درر الحكام شرح غرر الأحكام لملا خسرو ١/ ٢١٦ (ط - دار إحياء الكتب العربية).

الفور لفات بالتأخير عن وقته في السنة الأولىٰ، فوقع أداؤه بعد ذلك قضاءً، فلمَّا لم يقع الأداء دلَّ علىٰ أن وجوبه علىٰ التراخي عندهم، فلم تصح إضافةُ الوجوب علىٰ التراخي إلىٰ أبي حنيفة؛ لأنه نص عنده، ولا إلىٰ أصحابنا؛ لِما بيَّنَّا.

(علىٰ كل مَن ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكًا) وذلك ممَّا فضل عن مسكنه وعمَّا لا بد له منه، وعلىٰ نفقة ذهابه وإيابه ونفقة عياله، كما سيأتي ذلك **(حتىٰ ربما يرىٰ الحزم لنفسه في المبادرة)** إليه **(فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلُّمُ كيفية الحج، ولم يلزمه إلا تعلُّم أركانه وواجباته)** مما يصح به حجُّه ويفسد بدونه **(دون نوافله، فإنَّ فِعل ذلك نفلٌ فعلمُه أيضًا نفل، فلا يكون تعلُّمُه فرض عين. وفي تحريم السكوت عن)** وفي بعض النسخ: علىٰ **(التنبيه علىٰ وجوب أصل الحج في الحال نظرٌ يليق بالفقه)** وحكمُه مبسوط في كتبه **(وكذا التدريج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين)** قياسًا علىٰ ما ذُكر.

(وأما التُّروك فيجب تعلُّم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال، وذلك يختلف بحال الشخص) أي باختلاف حاله **(إذ لا يجب علىٰ الأبكم)** هو الذي لا يقدر علىٰ النطق **(تعلُّم ما يحرُم)** عليه **(من الكلام، ولا علىٰ الأعمىٰ)** هو فاقد البصر **(تعلُّم ما يحرم)** عليه **(من النظر، ولا علىٰ البدوي)** ساكن القِفار **(تعلُّم ما يحرُم الجلوس فيه من المساكن، فذلك أيضًا واجبٌ)** تعلُّمُه **(بحسب ما يقتضيه الحال، فما يعلم أنه ينفكُّ عنه)** وينفصل منه **(لا يجب تعلُّمه، وما هو مُلابِس له)** غير منفكٍّ عنه **(يجب)** علىٰ العلماء **(تنبيهُه عليه)** وتعليمه وإرشاده؛ ليرتدع عمَّا لا يجوز **(كما لو كان عند)** دخوله في **(الإسلام لابسًا للحرير)** مثلاً **(أو جالسًا علىٰ الغصب)** سواءٌ كانت بقعة مغصوبة أو ما فُرش تحته كذلك، وفي معناه ما إذا كان راكبًا علىٰ دابة مغصوبة أو متصرِّفًا فيما ليس له فيه حق شرعي **(أو ناظرًا إلىٰ غير ذي مَحْرَم)** هو مَن لا يحل له نكاحُها أبدًا برحم أو رضاع أو مصاهرة **(فيجب تعريفه**

بذلك) وإرشاده بأن ذلك حرام في الشرع **(وما ليس ملابسًا له)** حالاً **(ولكنه بصدد التعرُّض له على القُرْب)** منه بحيث إنه كاد أن يقع فيه بأن يكون حائمًا حول حماه **(كالأكل والشرب)** ونحوه **(فيجب تعليمه، حتىٰ إذا كان في بلد يُتعاطَىٰ)** أي يُتناول **(فيه شربُ الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك)** بأنَّ تناوُل ذلك وتعاطيه حرام لا يجوز للمسلم **(وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلُّمُه)** هذا في التروك **(وأما الاعتقادات وأعمال القلوب)** هو من عطف الخاص على العامِّ، أو عطف تفسيرٍ؛ فإنَّ ما عقده القلب عملٌ له **(فيجب علمها بحسب الخواطر)** جمعُ خاطر: اسمٌ لِما يتحرك في القلب من رأي أو معنىٰ، ثم سُمِّي محله باسم ذلك، وهو من الصفات الغالبة، يقال: خطر ببالي وعلىٰ بالي أمرٌ، وأصل التركيب يدل علىٰ الحركة والاضطراب[1]؛ قاله المطرزيُّ **(فإن خطر له شكٌّ)** وتردُّدٌ **(في)** فهم **(المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة)** كلها أو بعضها **(فيجب عليه تعلُّم ما يُتوصَّل به إلىٰ إزالة)** ذلك **(الشك)** والتردُّد، ويكتفي علىٰ ذلك القَدْر ولا يتجاوز **(فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم)** غير حادث **(وأنه)** عَزَّوَجَلَّ **(مرئيٌّ)** أي يراه المؤمنون في الآخرة بأنظارهم **(وأنه ليس محلاً للحوادث .. إلىٰ غير ذلك)** من المسائل الاعتقادية **(مما يُذكَر في المعتقدات)** في الكتاب الثاني **(فقد مات علىٰ الإسلام إجماعًا)** من أهل السنَّة وإن خالفهم المعتزلة والمبتدعة، فقد صرَّح غيرُ واحد من العلماء أن مخالفة ذوي البِدَع ونُفاة القياس الجليِّ لا يُعَدُّ خرقًا في الإجماع **(ولكن هذه الخواطر الموجِبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع)** والجِبِلَّة **(وبعضها)** يخطر **(بالسماع)** من أفواه الناس **(من أهل البلد، فإن كان في بلد شاعَ فيه الكلام)** أي علمُه **(وتناطق الناسُ بالبدع)** والأمور المنكَرة **(فينبغي أن يُصان)** ويُحفَظ **(في أول بلوغه)** بالسن أو بالاحتلام **(عنها)** أي عن تلك المقالات

---

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٤٣٣ (ط - مؤسسة الرسالة). التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ١٥١.

(**بتلقين الحق**) إيَّاه وإلقائه له في ذهنه، كما قالوا:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوىٰ فصادف قلبًا خاليًا فتمكَّنا[١]

(**لأنه لو أُلقيَ**) وفي نسخة: فإنه لو ألقي (**إليه الباطل**) ولقَّنه (**لوجبت إزالته**) وإبعاده (**عن قلبه**) لئلاَّ يرسخ فيه (**وربما عسرَ ذلك**) وصعبَ؛ لأنه يصير كالطبع له (**كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرًا وقد شاع في البلد**) الذي هو فيه (**معاملةُ الربا**) وتعاطيه (**وجب عليه تعلُّمُ الحذر من الربا**) لئلاَّ يقع فيه (**وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين**) وعليه يُحمَل الحديث المذكور (**ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب**) إذ العلم لمَّا كان روحه وثمرته العمل كان متقدِّم الوجود علىٰ العمل؛ إذ لا بد أن يحصل العلم أولاً ثم بعد ذلك يقع التعبُّد بالعلم؛ لأن الجهل لا يوجب شيئًا من العمل (**فمَن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين، وما ذكره**) السادة (**الصوفية**) بأن المراد بالعلم المفروض هو القَدْر الواجب (**من فهم خواطر العدوِّ**) وهو الشيطان (**ولَمَّة المَلَك**) والتمييز بينهما، واعلم[٢] أن الخاطر عندهم ما يَرِد علىٰ القلب من الخطاب من غير إقامة، وهو علىٰ أربعة أقسام: رَبَّاني، وهو أول الخواطر، ولا يخطئ أبدًا، وقد يُعرَف بالقوة والتسلُّط وعدم الاندفاع.

ومَلَكي، وهو الباعث علىٰ مندوب أو مفروض، ويسمىٰ إلهامًا. ونفسي، وهو ما فيه حظٌّ للنفس، ويسمىٰ هاجسًا. وشيطاني، وهو ما يدعو إلىٰ مخالفة الحق، فذلك (**حقٌّ أيضًا ولكن**) ليس في حق كل أحد، إنما هو (**في حق من يتصدىٰ له**) ويتعرَّض ممَّن هو في سلوك طريق الحق (**فإذا كان الغالب**) في الأحوال (**أن الإنسان لا ينفكُّ عن دواعي الشر والرياء والحسد**) وغير ذلك من الأوصاف

---

(١) البيت ليزيد بن الطثرية في ديوانه ص ٥٩ (ط - مطبعة أسعد ببغداد). وهو ينسب أيضا لمجنون ليلي، وهو في ديوانه ص ٢١٩ (تحقيق: عبد الستار فراج).

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٠١.

الذميمة (**فيلزمه أن يتعلَّم من علم ربع المهلكات ما يرىٰ نفسه محتاجًا إليه**) غير مستغنٍ عنه (**وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله ﷺ**) فيما رواه أبو بكر البزار في مسنده[١] وأبو نعيم في الحلية[٢] من رواية زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري عن أنس بن مالك رفعه: «ثلاث كفَّارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، و(**ثلاث مهلكات**) -أي مُوقِعات في الهلاك لفاعلها- أما الكفَّارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في البردات[٣]، ونقل الأقدام إلىٰ الجماعات[٤]، وأما الدرجات فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنىٰ، وخشية الله في السر والعلانية، وأما المهلكات فـ (**شُحٌّ مطاع، وهوىٰ متَّبَع، وإعجاب المرء بنفسه ... الحديث**)[٥] أي الخ، إشارةً إلىٰ أن الحديث له بقية، وهو الذي أوردناه.

والمراد[٦] بالشح المطاع هو البخل الذي يطيعه الناس فلا يؤدُّون الحقوق.

وقال الراغب: خصَّ المطاع لينبِّه أن الشح في النفْس ليس مما يُستحق به ذمٌّ؛ إذ ليس هو من فعله، وإنما يُذم بالانقياد له.

وقد أخرج هذا الحديث بتلك الزيادة أيضًا أبو الشيخ في التوبيخ[٧]، وقد رُوي

---

(١) مسند البزار ١٣/ ١١٤.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٢٦٨.

(٣) في الحلية ومسند البزار: السبرات.

(٤) في الحلية ومسند البزار: الجمعات.

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٧٠: «فيه زائدة بن أبي الرقاد وزياد النميري، وكلاهما مختلف في الاحتجاج به». وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٢١٨: «رواه البزار والبيهقي وغيرهما، وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالىٰ».

(٦) فيض القدير للمناوي ٣/ ٣٠٧.

(٧) لم أقف عليه في كتاب التوبيخ.

مقتصرًا علىٰ ذِكر المهلكات كما للمصنف من رواية أيوب بن عتبة عن الفضل بن بكر عن قتادة عن أنس، وهكذا رواه البيهقي في شعب الإيمان[١]، وكلا الإسنادين ضعيف، ورواه ابن حبان في الضعفاء[٢] والطبراني في الأوسط[٣] من رواية حميد ابن الحكم عن الحسن عن أنس، ويُروَىٰ أيضًا عن ابن عمر، أخرجه الطبراني في الأوسط[٤] من رواية ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير عنه.

وأخرج ابن حبان في الضعفاء[٥] من رواية محمد بن عون الخراساني عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه: «المهلكات ثلاثٌ: إعجاب المرء بنفسه، وشُحٌّ مطاع، وهوىٰ متَّبَع».

ورواه ابن عدي[٦] من هذا الوجه ومن رواية عيسىٰ بن ميمون عن محمد بن كعب عن ابن عباس.

وفي الباب عن أبي هريرة وابن أبي أوفىٰ وأبي ثعلبة.

(**فلا ينفكُّ عنها بشرٌ، وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب**) وصفاتها (**كالكِبْر والعُجْب وأخواتهما تتَّبع هذه الثلاثَ المهلكات**) ولمَّا كانت هذه الثلاث كالأصول لبقية المهلكات وقع الاقتصارُ عليها؛ لأنه ما من صفة ذميمة إلا وأصلها إحدىٰ هذه الثلاث (**وإزالتها**) عن القلب (**فرض عين، ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها، ومعرفة أسبابها، ومعرفة علاجها**) وهذه الثلاثة قد أشار إليها في أول كتابه (**ومعرفة علاماتها، فإن مَن لا يعرف الشر يقع فيه**) وسيأتي للمصنف في الباب

---

(١) شعب الإيمان ٢/ ٢٠٤.

(٢) المجروحون من المحدثين لابن حبان ١/ ٣٢١.

(٣) المعجم الأوسط ٥/ ٣٢٨.

(٤) المعجم الأوسط ٦/ ٤٧.

(٥) المجروحون من المحدثين ٢/ ٢٨٤.

(٦) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٨٨٢، ٦/ ٢٢٤٨.

السادس عند ذِكر حذيفة بن اليَمان، وأنشد هناك قول بعضهم:

عرفتُ الشر لا للشر لكن لتوقِّيه

ومَن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

(والعلاج) عندهم (هو مقابلة السبب بضده) هذا هو المشهور عند الأطباء، وفي قولٍ عندهم: هو مقابلة السبب بما يلائمه (وكيف يمكن) ذلك (دون معرفة السبب والمسبِّب) وهو ظاهر (وأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان) التي ينبغي الاهتمام بمعرفتها (وقد تركها الناس كافة) جميعًا (اشتغالاً عنها (بما لا يغني) طائلاً، ولا يجدي نفعًا.

(ومما ينبغي أن يبادَر في إلقائه إليه) وتلقينه إياه (إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلىٰ ملَّة أخرىٰ الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر) وعذاب القبر (حتىٰ يؤمن به ويصدِّق) ذلك بقلبه (وهو من تتمَّة كلمتَي الشهادة) داخل في ضمنها في الإيمان التفصيلي (فإنه بعد التصديق بكونه ﷺ رسولاً) من الله تعالىٰ (ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو) أي الرسول (مبلِّغها) إليهم (وهو أن مَن أطاع الله ورسوله فله الجنة، ومَن عصاه فله النار) وضمير «عصاه» عائد إلىٰ الله أو إلىٰ الرسول، ولم يأتِ بضمير التثنية حذرًا من جمع الله ورسوله في ضمير واحد نظرًا إلىٰ إنكاره ﷺ علىٰ خطيب الأنصار؛ إذ قال: مَن أطاع الله ورسوله فقد هُدي، ومَن يعصهما فقد غوىٰ. فقال: «بئس خطيب القوم أنت».

(فإذا انتبهتَ لهذا التدريج) الذي ذكرناه (علمتَ أن المذهب الحق هو هذا) لا غير (وتحقَّقتَ أن كل عبد) لله تعالىٰ (فهو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع) تقع له (في عباداته و) في (معاملاته عن تجدُّد لوازم عليه، فيلزمه السؤالُ عن كل ما يقع له من النوادر) والوقائع (فتلزمه المبادرةُ) والمسارعة (إلىٰ تعلُّم ما يتوقع) ويرتجىٰ (وقوعه علىٰ القُرْب غالبًا، فإذا تبيَّن أنه عليه الصلاة والسلام إنما

أراد بالعلم المعرَّف بالألف واللام) أي المعهود المعروف بإدخال التعريف عليه **(في قوله ﷺ: طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم - علم العمل الذي هو مشهور الوجوب علىٰ المسلمين لا غير. فقد اتَّضح وجه التدريج ووقت وجوبه. والله أعلم)** وفي القوت بعدما ذكر اختلاف الآراء في شرح الحديث المذكور ما نصه[١]: وكلها ساقطة [عن الأعيان] والخبر [جاء] بلفظ العموم بذكر الكلية وبمعنىٰ الاسم فقال: طلب العلم فريضة، ثم قال: علىٰ كل مسلم، بعد قوله: اطلبوا العلم، فكان هذا علىٰ الأعيان، وكأنه [علىٰ] ما وقع عليه اسم العلم ومعناه المعهود المعروف بإدخال التعريف عليه فأشير بالألف واللام إليه.

وهذا آخر ما ذكره المصنف في بيان العلم الذي هو فرض عين.

وقد قسَّم بعضهم العلم علىٰ ثلاثة أقسام: قِسم ظاهر في مقام الإسلام وعالم الحس، وقسم باطن في مقام الإيمان وعالم الغيب، وقسم في مقام الإحسان وعالم الروح.

ثم العلم ليس هو الإقرار بأن الله بعث الرسل وأنزل الكتب، وقولك بلسانك: إن هذا القرآن حق، وأن الذي جاء به صدقٌ، والتزام الشرائع بالاستسلام؛ إذ كل مَن انتسب إلىٰ الإسلام مقرٌّ بهذا، ولكن لا يبلغ به منزلة العلم، ولا يرتفع به عن منزلة الجهل، وإنما يفارق بذلك ملةَ الكفر، ويتحرَّم بحرمة الشريعة، ثم يرتفع العالم عن الجهل بمعرفة حقائق ذلك معرفة يقين، فالعلم هو إثبات صورة المعلوم في نفس العالِم، إلا أنه قد تتراءىٰ وتثبت في النفس صورةٌ ليس لها وجود في الحق فيحتاج أن ينظر في هذا الباب نظرًا شافيًا؛ فإن أكثر ما تدخل الشبهة من هذا الباب، فأول طلب العلم أن يستمع الراغب فيه فيروي ما يسمعه بلسانه، ويعي حروفه في حفظه أو صحيفته، فعلم اللسان هو حُجة الله علىٰ ابن آدم، وعلم القلب هو العلم

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٢٦. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

النافع، فعلم اللسان والأذن ليس له حقيقة في نفع وضرٍّ حتىٰ يستقر بأحد الجانبين، ويسلك به إحدىٰ الجادَّتين.

ثم الطالب للعلم إن استلهاه علم اللسان بالشهوة في تعرُّف وجوه الأخبار سماعًا ورواية وتراغبت نيَّته إلىٰ التزيُّن بها في الناس والتشرُّف والتطاول عليهم حرم علم الحقيقة في ذلك وشغل عن علم النورية من جهة القلب فلم يعرف ما يشهد به قلبه فيعتقده مما ينفيه ويكذِّبه، وإن هو لم يستلهمه علم اللسان ولم يفضِّل شهوة السمع والتلذُّذ بظاهر الخبر علىٰ شهوة الانتفاع والوصول إلىٰ ثمرة القلب، فكلما روىٰ شيئًا عرضه علىٰ قلبه، فإن أدرك الحقيقةَ منه وإلا صبر علىٰ جادَّة الطريق في النظر حتىٰ يعتقده صافيًا قويًّا من جهة إخلاص قلبه وطمأنينته بلا ريب ولا تقليد، فلا جَرَمَ أن الله يقبسه نور العلم في بصر قلبه فيدرك بقليل ذلك كثيرًا.

ثم العلوم[1] ثلاثة، العلم الأعلىٰ منها علم الدين، وأفضله العلم بالله وأسمائه وصفاته، والعلم الأوسط وهو علم الدنيا الذين يكون معرفة الشيء بمعرفة نظيره، والعلم الأسفل وهو أحكام الصناعات والأعمال التي لا نهاية لها.

وقال أبو عبد الله الخوارزمي في كتابه «مبيد الهموم ومفيد العلوم»[2]: الفرائض الواجبة علىٰ قسمين، منها ما هو فرض عين، وهو أن يجب علىٰ كل آدمي خاص وعام، أمير ووزير، حر وعبد، شيخ وشاب، مسلم وكافر، ففرض العين ما يجب علىٰ كل مكلَّف، ولا يسقط بفعل بعض الناس عن بعض، وذلك معرفة الله تعالىٰ بوحدانيته والتنزيه، وأنه بعث الأنبياء، وأنه بعث نبيَّنا ﷺ إلىٰ الناس كافة، فطاعته فريضة، وشريعته مؤبَّدة، وأنه نبي في قبره ما بطلت رسالته، فمعرفة فرض العين أركان الشريعة الخمسة، وشرائط المعاملات إن كان تاجرًا، وأحكام النكاح إن كان متأهِّلاً، وأحكام الإمارة والوزارة إن كان أميرًا، فيجب علىٰ الأمير أن يعرف

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ٧٨٨ باختصار.

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٣٨ - ٣٩ (ط - دار التقدم بمصر) باختصار.

حقوق الرعية وشروط السياسة وكيفية استيفاء الحقوق، وعلىٰ السوقي ما يحرُم من البيع والشروط الفاسدة ... إلىٰ غير ذلك، كل مَن يتولَّىٰ أمرًا فيجب عليه فرض عين أن يحصِّل لنفسه علم ذلك الشيء من الحلال والحرام الذي لا يسعه جهلُه، ومَن تركها فلا يُعذَر في القيامة.

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

(اعلمْ أن الفرض لا يتميَّز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم - بالإضافة إلىٰ الفرض الذي نحن بصدده - تنقسم إلىٰ شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية: ما يُستفاد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامُه ولا يرشد العقلُ إليه، مثل) علم **(الحساب، ولا)** ترشد إليه **(التجربةُ مثل)** علم **(الطب، ولا)** يرشد إليه **(السماعُ)** من الأفواه **(مثل)** علم **(اللغة)** فهذه الثلاثة من العلوم لا يقال لها شرعية، والشرعية: المنسوبة إلىٰ الشرع باعتبار كون تعلُّقها مستفادًا منه ومتوقِّفًا عليه. وفي التلويح[١]: ما لا يُدرَك لولا خطاب الشارع بنفس الحكم أو بأصله المقيس هو عليه. ا.هـ.

والعلوم الشرعية ثلاثة: التفسير، والحديث، والفقه.

(فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلىٰ ما هو محمود، وإلىٰ ما هو مذموم، وإلىٰ ما هو مباح؛ فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا) وتنتظم به أمورُها **(كالطب والحساب)** أحدهما لانتظام الأبدان، والثاني لضبط الأموال **(وذلك ينقسم إلىٰ ما هو فرض علىٰ الكفاية، وإلىٰ ما هو فضيلة وليس بفريضة)** وسيأتي بيانُ ذلك.

ثم إن الفرض اصطلاحًا: الفعل المطلوب طلبًا جازمًا[٢]، ويرادفه الواجبُ عند المصنِّف، ثم هو علىٰ قسمين: كفاية وعين **(أما فرض الكفاية فهو كل علم)** مهم يُقصَد

---

(١) التلويح شرح التوضيح للتفتازاني ١/ ٢٠ ونصه: «تعسف المصنف -أي صدر الشريعة صاحب التوضيح- في تقدير مراد القوم فذهب إلىٰ أن المراد بالشرعي: ما يتوقف علىٰ الشرع، ولا يدرك لولا خطاب الشارع».

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٥٨.

حصولُه من غير نظر بالذات (**لا يُستغنَىٰ عنه في قوام أمور الدنيا**) ونظامها (**كالطب؛ إذ هو**) أي العلم به (**ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري**) أيضًا (**في المعاملات**) الدنيوية (**وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها**) فإن في كل منها مسائل يُحتاج في معرفتها إلىٰ علم الحساب، ولهذه الضرورة اللازمة أعدَّ الملوكُ مواضع خاصة بالمرضىٰ، ورتَّبوا علىٰ ذلك أوقافًا، وأول مَن عمل ذلك في الإسلام الوليد بن عبد الملك؛ كذا ذكره أبو بكر أحمد بن علي الحلواني في «لطائف المعارف». وعيَّنوا لقسمة التركات والمواريث قضاةً يتولَّون ذلك خاصةً دون غيرهم.

(**وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمَّن يقوم بها**) أي بخدمتها وتحصيلها (**حَرِجَ أهلُ البلد**) أي أفضوا إلىٰ الحرج المؤدِّي إلىٰ هلاك الأبدان والأموال (**وإذا قام بها واحدٌ كفىٰ**) واستُغني به (**وسقط الفرض عن الآخرين**) قال أبو عبد الله الخوارزمي في مبيد الهموم[1]: فرض الكفاية: ما يجب علىٰ كل الخليقة، إلا أنه إذا قام به البعض سقط عن الباقين لدفع الحرج كرمًا ولطفًا من الشارع، كالجهاد، والأمر بالمعروف، وتجهيز الموتىٰ، والفتوىٰ، والقضاء، والإمامة، وعمارة المساجد، والأذان، وجواب السلام، وإشباع الجائع ... إلىٰ غير ذلك، كلُّ ذلك فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا تركوا بأجمعهم أثموا جميعًا.

(**فلا يُتعجَّب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات كالفلاحة**) هي الزراعة (**والحياكة**) هي القزازة[2] (**والسياسة**) بأقسامها، وكذلك البناية (**بل الحجامة**) وهي إخراج الدم بالمحاجم، وفي حكمه الفصادة[3] (**والخياطة، فإنه لو خلا البلد عن الحَجَّام**

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٣٩.

(٢) الحياكة: نسج الثوب أيا كانت مادته، أما القزازة فهي نسج القز - أي الحرير - خاصة.

(٣) الفصد أو الفصادة: إخراج مقدار من دم وريد المريض بقصد العلاج. المعجم الوسيط (مادة - فصد).

تسارَعَ الهلاكُ إليهم) بنبوغ الدماء **(وحَرِجوا)** أي وقعوا في الحرج **(بتعريضهم أنفسهم للهلاك)** وهذا بالنسبة للبلاد الحارة كمكة واليمن والصعيد، وأما أهل البلاد الباردة فقلَّما يحتاجون إلىٰ الحجامة **(فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء)** لِما روىٰ ابن ماجه[1] عن ابن مسعود رفعه: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له الدواءَ». ورواه هو[2] أيضًا وأبو نعيم في الطب[3] عن أبي هريرة بلفظ: إلا أنزل الله له شفاءً. ورواه بهذا اللفظ الحاكم[4] عن ابن مسعود، وعند الخطيب[5] في حديث أبي هريرة زيادةٌ وهي: علمه مَن علمه، وجهله مَن جهله. وهو عند البخاري[6] في الطب بلفظ ابن ماجه، وزاد مسلم[7]: فإذا أصبتَ دواء الداء برئ بإذن الله تعالىٰ.

واختُلف[8] في معنىٰ الإنزال، فقيل: إعلامه عباده، ومُنع بأن في الحديث إخبارًا بعموم الإنزال، وأكثر الخَلْق لا يعلمون ذلك. وقيل: إنزال أسبابهما من مأكل ومشرب. وقيل: إنزالهما: خلقُهما ووضعُهما في الأرض، كما يشير إليه خبرُ «إن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء». وتُعُقِّبَ بأن لفظ الإنزال أخص من لفظ الخَلْق والوضع، وإسقاط خصوصية الألفاظ بلا موجِب غير لائق. وقيل: إنزالهما بواسطة الملائكة الموكَّلين بتدبير النوع الإنساني.

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ١١٦.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ١١٧.

(٣) الطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني ١/ ١٧٧ (ط - دار ابن حزم ببيروت).

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣١٧.

(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٦٩١.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٣٢.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٠٥٠ من حديث جابر بن عبد الله، ولفظه: لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالىٰ.

(٨) فيض القدير ٥/ ٤٢٨. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية ٤/ ١٢٢ (ط - مؤسسة الرسالة).

وقيل: عامَّة الأدواء والأدوية هي بواسطة إنزال الغيث الذي تتولد منه الأغذية والأدوية وغيرها. وقال بعضهم: إن العلة تحصل بغلبة بعض الأخلاط، والشفاء رجوعها إلىٰ الاعتدال بالتداوي، وقد يحصل بمحض لطف الله تعالىٰ بلا سبب، ثم الموت إن كان داءً فالخبر غير عام؛ إذ لا دواء له، ولذا وقع الاستثناء منه في بعض الروايات.

(وأرشد إلىٰ استعماله، وأعدَّ الأسباب لتعاطيه) وتناوُله **(فلا يجوز التعرُّض للهلاك بإهماله)** وتركه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] ثم إن هذا الذي ذكره المصنف في بيان فرض الكفاية هو المشهور عند العلماء، وقد وافقه الخوارزمي في بعض ما ذكره.

وقال ابن القيم[١]: أما فرض الكفاية فلا أعلم فيه ضابطًا صحيحًا؛ فإن كل أحد يُدخِل في ذلك ما يظنه فرضًا، فيُدخِل بعضُ الناس في ذلك علمَ الطب وعلم الحساب وعلم الهندسة والمساحات، وبعضهم يزيد علىٰ ذلك علم أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والحِدادة والخياطة ونحوها، وبعضهم يزيد علىٰ ذلك علم المنطق، وربما جعله فرض عين، وبناه علىٰ عدم صحة إيمان المقلِّد، وكل هذا هَوَسٌ وخبط، فلا فرض إلا ما فرضه الله تعالىٰ ورسوله، فيا سبحان الله! هل فرض الله علىٰ كل مسلم أن يكون طبيبًا حجَّامًا حاسبًا مهندسًا أو حائكًا أو فلاحًا أو نجارًا أو خياطًا؟! فإن فرض الكفاية كفرض العين في تعلُّقه بعموم المكلَّفين، وإنما يخالفه في سقوطه بفعل البعض.

ثم علىٰ قول هذا القائل، يكون الله قد فرض علىٰ كل أحد جملةَ هذه الصنائع والعلوم؛ فإنه ليس واحد منها فرضًا علىٰ معيَّن والآخر علىٰ معيَّن آخر، بل عموم فرضيتها مشتركة بين العموم، فيجب علىٰ كل أحد أن يكون حاسبًا أو حائكًا خياطًا

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٨٢ - ٤٨٦.

نجارًا فلاحًا طبيبًا مهندسًا، فإن قال: المجموع فرضٌ علىٰ المجموع، لم يكن قولنا «إن كل واحد منها فرض كفاية» صحيحًا؛ لأن فرض الكفاية يجب علىٰ العموم، وأما المنطق فلو كان علمًا صحيحًا كانت غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله أضعاف حقِّه، وفساده وتناقُض أصوله واختلاف مبانيه يوجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فِكره، ولا يؤمن بهذا إلا مَن قد عرفه وعرف فساده وتناقُضه ومناقضة كثير منه للعقل الصريح.

ومن الناس مَن يقول: إن علوم العربية من التصريف والنحو واللغة والمعاني والبيان ونحوها تعلُّمها فرض كفاية؛ لتوقُّف فهم كلام الله ورسوله عليها.

ومن الناس من يقول: تعلُّم أصول الفقه فرض كفاية؛ لأنه العلم الذي به يُعرَف الدليل ومرتبته وكيفية الاستدلال.

وهذه الأقوال وإن كانت أقرب إلىٰ الصواب من القول الأول فليس وجوبها عامًّا علىٰ كل أحد، ولا في كل وقت، وإنما تجب وجوبَ الوسائل في بعض الأزمان وعلىٰ بعض الأشخاص، بخلاف الفرض الذي يعمُّ وجوبُه كلَّ أحدٍ وهو علم الإيمان وشرائع الإسلام، فهذا هو الواجب، وأما ما عداه فإن توقفت معرفتُه عليه فهو من باب ما لا يتم الواجبُ إلا به، ويكون الواجب منه القَدْر الموصِل إليه دون المسائل التي هي فَضْلة لا تفتقر معرفةُ الخطاب وفهمه إليها، فلا يُطلَق القول بأن علم العربية واجب علىٰ الإطلاق؛ إذ الكثير منه ومن مسائله وبحوثه لا يتوقف فهمُ كلام الله ورسوله عليها، وكذلك أصول الفقه القَدْرُ الذي يتوقف فهمُ الخطاب عليه منه تجب معرفتُه دون المسائل المقرَّرة والإبحاث التي هي فَضْلة، فكيف يقال إن تعلُّمها واجب؟!

وبالجملة، فالمطلوب الواجب من العبد من العلوم والأعمال ما إذا توقف علىٰ شيء منها كان ذلك الشيء واجبًا وجوبَ الوسائل، ومعلومٌ أن ذلك التوقُّف

يختلف باختلاف الأشخاص [والأزمان][١] والألسنة والأذهان، فليس لذلك حدٌّ مقدَّر. والله أعلم. ا.هـ. كلامه.

(**وأما ما يُعَدُّ فضيلة لا فريضة**) اعلم[٢] أن العلم فريضة وفضيلة، فالفريضة ما لا بد للإنسان من معرفته؛ ليقوم بواجب [حق] الدين، والفضيلة ما زاد علىٰ قَدْر حاجته مما يكسبه فضيلةً في النفس (**فالتعمُّق في دقائق**) علم (**الحساب**) أي الدخول في عمق الفن كالمسائل الملغزة (**وخفايا**) وفي نسخة: وحقائق (**الطب**) ويلحق بذلك التوغُّل في دقائق التشريح (**وغير ذلك مما يُستغنَىٰ عنه، ولكنه يفيد زيادة قوة في القَدْر المحتاج إليه**) وشُرط فيه موافقة الكتاب والسنَّة؛ إذ كل علم لا يوافق الكتاب والسنَّة وما هو مستفاد منهما أو يعين علىٰ فهمهما أو يستند إليهما كائنًا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد الإنسان به هوانًا ورذالة في الدنيا والآخرة.

(**وأما المذموم منه فعلم السحر**) وهو[٣] العمل بما يقرَّب فيه إلىٰ الشيطان وبمعونة منه، وأصله صرفُ الشيء عن حقيقته إلىٰ غيره، فكأنَّ الساحر لمَّا رأىٰ الباطل في صورة الحق وخيَّل الشيءَ علىٰ غير حقيقته فقد سحر الشيءَ عن وجهه، أي صرفَه.

وقال الفخر الرازي في الملخَّص[٤]: السحر والعين لا يكونان من فاضل، ولا يقعان ولا يصحَّان منه أبدًا؛ لأن من شرط السحر الجزم بصدور التأثير[٥]، وكذلك أكثر الأعمال من الممكنات من شرطها الجزمُ، والفاضل المتبحر في العلوم يرىٰ وقوع ذلك من الممكنات التي يجوز أن توجد وأن لا توجد، فلا يصح له عملٌ

---

(١) زيادة من المفتاح.

(٢) عوارف المعارف للسهروردي ص ٢٣. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ٢٩٠.

(٤) تاج العروس ١١/ ٥٢٠. أنوار البروق في أنواء الفروق للقرافي ٤/ ٢٩١ (ط - دار الكتب العلمية).

(٥) في التاج والأنوار: الأثر.

أصلاً، وأما العين فإنه لا بد فيها من فرط التعظيم للمرئيّ، والنفوس الفاضلة لا تصل في تعظيم ما تراه إلىٰ هذه الغاية، فلذلك لا يصح السحر إلا من العجائز والتركمان والسودان ونحو ذلك من النفوس الجاهلة. انتهىٰ. نقله شيخ مشايخنا مصطفىٰ بن فتح الله الحَمَوي في تاريخه(١).

(**والطِّلَسْمات**) جمع طِلَسْم بكسر الطاء وفتح اللام المخفَّفة وسكون السين، وقد تشدَّد اللام، وهو علم استنزال قُوَىٰ الأرواح العلوية، وأَجَلُّ كتاب أُلِّف فيه «السر المكتوم» وهو للفخر الرازي(٢)، و«غاية الحكيم»(٣) للمَجْريطي وابن سينا، ويُجمَع أيضًا علىٰ: الطلاسِم.

(**وعلم الشَّعبذة**) هو بالدال المهملة والمعجمة(٤): خِفَّة في اليد ومخاريق وأخذٌ كالسحر يُرَىٰ الشيء بغير ما عليه أصلُه في رأي العين. وقال بعضهم: هو تصوير الباطل في صورة الحق، ويقال فيه: الشعوذة، أيضًا. وأنكر الثعالبي في «مختصر ثمار القلوب»(٥) قولهم: مشعبذ، وقال: إنما هو: مشعوذ، بالواو. وأثبته الزمخشري(٦) وغيره.

(**والتلبيسات**) وهي شِبه ما تقدَّم. فكل ما ذُكر من ذلك فهو مذموم شرعًا لا

---

(١) المسمىٰ: فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر، كما في الأعلام للزركلي ٧/ ٢٣٨.

(٢) تقدم الكلام علىٰ هذ الكتاب عند الحديث عن مصنفات الغزالي.

(٣) قال حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١١٩١: «غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم، في السحر، للمجريطي، وهو علىٰ طريقة اليونان، ذكر فيه أنواع الطلسمات وفنون أنواع السحر، ورتبه علىٰ أربع مقالات».

(٤) كذا هنا، ولم يذكر الزبيدي في تاج العروس ٩/ ٤٢٦ إلا الذال المعجمة.

(٥) ثمار القلوب للثعالبي ص ٢٥٠ (ط - دار المعارف بالقاهرة) ونصه: «أبو العجب كنية المشعبذ، وقد قيل: المشعوذ، من الشعوذة، ولا أصل لها في العربية».

(٦) أساس البلاغة ١/ ٥١٠ ونصه: «فلان شعوذي ومشعوذ ومشعبذ، وعمله الشعوذة والشعبذة».

يباح الاشتغال به.

(وأما المباح منه فالعلم بالأشعار) جاهليةً وإسلامًا **(التي لا سُخْف فيها)** أي لا هزل ولا سخرية فيها، ولا المبالغة التي تدخل في حد الكذب، ولا هجر، ولا غِيبة، ولا طعن في الإنسان، وما أشبه ذلك، فحَسَنُها حَسَنٌ، وقبيحها قبيح **(و)** علم **(تواريخ الأخبار)** جاهلية وإسلامًا **(وما يجري مجراه)** ممَّا لا ضرر في معرفته.

(وأما العلوم الشرعية -وهي المقصودة بالبيان- **فهي محمودة كلها، ولكن قد يُلتبَس بها ما يُظَنُّ)** في بادئ الرأي **(أنها شرعية و)** الحال **(تكون)** هي **(مذمومة)** باعتبار ما يترتَّب عليها ومنها **(فتنقسم)** بهذا الاعتبار **(إلىٰ المحمودة والمذمومة، أما المحمودة)** منها **(فلها أصول وفروع ومقدِّمات ومتمِّمات، وهي أربعة أضرُبٍ:**

الضرب الأول: الأصول) جمع أصل، وهو في اللغة: ما يُبنَىٰ عليه غيرُه ابتناءً حِسِّيًّا، بمعنىٰ أن يكون المبتنَىٰ عليه وغيره ابتناءً حِسِّيًّا لا بمعنىٰ أن نفس الابتناء حسِّي؛ لأن ابتناء الشيء علىٰ غيره إضافة بينهما، وهو أمرٌ عقلي؛ كذا حقَّقه السيد في شرح «التنقيح» **(وهي أربعة: كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنَّة رسوله ﷺ، وإجماع الأمَّة، وآثار الصحابة)** والكتاب لغةً اسمٌ للمكتوب، غلب في عرف [أهل] الشرع علىٰ كتاب الله المثبَت في المصاحف، كما غلب في عرف [أهل] العربية علىٰ كتاب سيبويه، و«القرآن» تفسيرٌ له لا تعريف، كما في التلويح[١].

والمراد بسنَّة رسوله: قوله وفعلُه، وهما أصلان أصيلان في الدرجة الأولىٰ.

والمراد بالإجماع: إجماع [مجتهدي] الأمَّة بعد وفاة نبيِّها في عصر علىٰ أي شيء كان[٢].

---

(١) التلويح شرح التوضيح للتفتازاني ١/ ٤٦. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ٣٩ وزاد بعده: ولا يشترط عدد التواتر، خلافا للإمام. يعني إمام الحرمين.

(والإجماع أصل من حيث إنه يدل على السنَّة، فهو أصل في الدرجة الثالثة) وهو[١] علىٰ ثلاثة أقسام: قطعيٌّ فلا يجوز خرقُه، وظنِّيٌّ، وهو علىٰ قسمين: استدلاليٌّ وهو السكوتي أن يقول بعض المجتهدين حكمًا ويسكت الباقون عليه بعد العلم به[٢]، ومنقول علىٰ لسان الآحاد، فيجوز خرقُهما.

ونعنىٰ بالإجماع: الاتفاق، وهو الاشتراك إما في القول أو الفعل أو الاعتقاد، وفي باب الإجماع مسائل تنبغي معرفتُها: إذا اختلف [أهل][٣] العصر الأول علىٰ قولين لا يجوز [لمَن][٤] بعدهم إحداثُ قول ثالث إن وقع مجمعًا عليه وإلا فيجوز[٥]، وإذا اجتمعت الأمَّة علىٰ عدم الفصل بين مسألتين لا يجوز لمَن بعدهم الفصلُ بينهما إن ارتضوا بعدم الفرق واتِّحاد الجامع وإلا فيجوز، ويجوز حصول الاتفاق بعد الاختلاف في العصر الواحد[٦]، وفي اتِّفاقهم في العصر الثاني قولان[٧]، وانقراض العصر ليس شرطًا، خلافًا لقوم[٨]، وإذا حكم بعض الأئمَّة وسكت الباقون فليس بإجماع ولا حُجَّة، وهو نصُّ الشافعي في الجديد[٩]، اللهم إذا تكرَّر في وقائع

(١) انظر: الذخيرة للقرافي ١/ ١١٤ - ١١٧.

(٢) التوقيف ص ٣٩.

(٣) زيادة من الذخيرة.

(٤) زيادة من الذخيرة.

(٥) قال القرافي: وجوزه أهل الظاهر، وفصل الإمام فخر الدين فقال: إن لزم منه خلاف ما أجمعوا عليه امتنع وإلا فلا، كما قيل: للجد كل المال، وقيل: يقاسم الأخ، فالقول بجعل المال كله للأخ مناقض للأول.

(٦) خلافا للصيرفي، كما في الذخيرة.

(٧) قال القرافي: وفي العصر الثاني لنا -أي المالكية- وللشافعية والحنفية فيه قولان مبنيان علىٰ أن إجماعهم علىٰ الخلاف يقتضي أنه الحق، فيمتنع الاتفاق، أو هو مشروط بعدم الاتفاق، وهو الصحيح.

(٨) بعده في الذخيرة: من الفقهاء والمتكلمين؛ لتجدد الولادة في كل يوم، فيتعذر الإجماع.

(٩) وهو رأي الفخر الرازي. قال القرافي: وعند الجبائي إجماع وحجة بعد انقراض العصر، وعند =

كثيرة فإنه يكون إجماعًا، وإذا اتَّفق أهل العصر الثاني علىٰ أحد قولَي العصر الأول انعقد إجماعًا، والإجماع المرويُّ بالآحاد حجة، خلافًا للأكثر(١)، وإذا استدل أهل العصر [الثاني](٢) بدليل آخَر فلا يجوز إبطال الأول، وأما الثاني فإن لزم منه إبطال الأول بطل وإلا فلا(٣)، وتُعتبَر مخالفة الواحد في إبطال الإجماع(٤)، ويجوز أن ينعقد الإجماع عن القياس والدلالة والأمارة(٥)، وجوَّزه قومٌ بغير دليل بل بمجرَّد(٦) الشبه والبحث(٧)، ولا تُعتبَر فيه جملة الأمَّة إلىٰ يوم القيامة(٨)،

= أبي هاشم ليس بإجماع وهو حجة، وعند أبي علي بن أبي هبيرة إن كان القائل حاكمًا لم يكن إجماعًا ولا حجة، وإن كان غيره فهو إجماع وحجة. فإن قال بعض الصحابة قولاً ولم يعرف له مخالف، قال الإمام فخر الدين: إن كان مما تعم به البلوىٰ ولم ينتشر ذلك القول فيهم فيحتمل أن يكون فيهم مخالف لم يظهر فيجري مجرىٰ قول البعض وسكوت البعض. وإن كان مما لا تعم به البلوىٰ فليس بإجماع ولا حجة، وإذا جوّزنا الإجماع السكوتي فكثير ممن لم يعتبر انقراض العصر في القولي اعتبره في السكوتي.

(١) قال القرافي: والإجماع المروي بالآحاد حجة، خلافًا لأكثر الناس؛ لأن هذه الإجماعات وإن لم تفد القطع فهي تفيد الظن، والظن معتبر في الأحكام كالقياس وخبر الواحد. غير أنا لا نكفر مخالفها؛ قاله الإمام.

(٢) زيادة من الذخيرة.

(٣) عبارة القرافي: وإذا استدل أهل العصر الأول بدليل وذكروا تأويلا واستدل أهل العصر الثاني بدليل آخر وذكروا تأويلاً آخر فلا يجوز إبطال التأويل القديم، وأما الجديد فإن لزم منه إبطال القديم بطل وإلا فلا.

(٤) قال القرافي: ويعتبر عند أصحاب مالك مخالفة الواحد في إبطال الإجماع، خلافًا لقوم، وهو مقدم علىٰ الكتاب والسنة والقياس، واختلف في تكفير مخالفه بناءً علىٰ أنه قطعي، وهو الصحيح، ولذلك قدم علىٰ الكتاب والسنة، وقيل: ظني.

(٥) عند الإمام مالك، كما في الذخيرة.

(٦) في الذخيرة: بغير ذلك بمجرد.

(٧) بعده في الذخيرة: ومنهم من قال: لا ينعقد عن الإمارة بل لا بد من الدلالة، ومنهم من فصَّل بين الإمارة الجلية وغيرها.

(٨) بعده في الذخيرة: لانتفاء الإجماع، ولا العوام عند مالك وعند غيره، خلافا للقاضي؛ لأن الاعتبار فرع الأهلية، ولا أهلية فلا اعتبار.

والاعتبار في كل فن بأهله[1]، فيُعتبَر في الكلام المتكلِّمون، وفي الفقه الفقهاء، ولا عبرة بالفقيه الحافظ للأحكام والمذاهب إذا لم يكن مجتهدًا[2]. والله أعلم. ذكره إسماعيل بن علي بن حسن الشافعي في «الليث العابس».

(**وكذلك الأثر**) عن الصحابة (**فإنه يدل**) هو أيضًا (**على السنَّة، لأن الصحابة -رضي الله عنهم- قد شاهدوا الوحي والتنزيل**) أي نزولهما (**وأدركوا بقرائن الأحوال**) ونظائرها (**ما غاب عن غيرهم عيانةً**) أي معاينةً (**وربما لا تحيط العباراتُ بما أُدرك بالقرائن، فمن هذا الوجه رأى العلماءُ الاقتداءَ بهم والتمسُّك بآثارهم، وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند مَن رآه**) واعتقده، وقد استدل اللالكائي في كتاب السنة[3] على صحَّة مذاهب أهل السنَّة بما ورد في كتاب الله تعالى وبما رُوي عن رسول الله ﷺ، قال: فإن وجدتُ فيهما جميعًا ذكرتُهما جميعًا، وإن وجدتُ في أحدهما دون الآخر ذكرتُه، وإن لم أجد إلا عن الصحابة الذين أمر الله ورسوله أن يُقتدَى بهم ويُهتدَى بأقوالهم ويُستضاء بأنوارهم؛ لمشاهدتهم الوحي والتنزيل ومعرفة معاني التأويل احتججتُ بها، فإن لم يكن فيها أثرٌ عن صحابي فعن التابعين لهم بإحسان الذين في قولهم الشفاء والهدى والتديُّن بقولهم القُربة إلى الله والزلفى، فإذا رأيناهم قد أجمعوا على شيء عوَّلنا عليه. ا.هـ.

فهؤلاء الأربعة وهي التي جعلها أصولاً ولم يذكر القياس؛ فإنه من وظيفة الأصوليين، وهو فرعٌ للثلاثة؛ إذ العلة فيه مستنبَطةٌ من مواردها، فيكون الحكم بالقياس ثابتًا بتلك الأدلَّة الثلاثة[4].

---

(١) بعده في الذخيرة: وإن لم يكونوا من أهل الاجتهاد في غيره.

(٢) بعده في الذخيرة: والأصولي المتمكن من الاجتهاد غير الحافظ للأحكام خلافه معتبر على الأصح، ولا يشترط بلوغ المجمعين إلى حد التواتر، بل لو لم يبق إلا واحد كان قوله حجة.

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ٢٧.

(٤) انظر: التلويح للتفتازاني ١/ ٣٢.

قال السيد في شرح التنقيح: وأثرُ القياس في إظهار الحكم وتغيير وضعه من الخصوص إلىٰ العموم، فالقياس أصل بالنسبة إلىٰ الحكم، فرعٌ بالنسبة إلىٰ الثلاثة، بخلاف الثلاثة؛ فإنها أصول مطلقة؛ لأن كل واحد مُثبِت للحكم. فإن قلتَ: يلزم من ذلك أن لا يكون الإجماع أصلاً مطلقًا؛ لأنه مفتقر إلىٰ السنَّة.

فالجواب: أن الإجماع إنما يحتاج إلىٰ السنَّة في تحقُّقه وفي دلالته علىٰ الحكم؛ فإن المستدلَّ به لا يحتاج إلىٰ ملاحظة السنَّة، بخلاف المستدل بالقياس؛ فإنه لا يمكن له الاستدلال به بدون ملاحظة واحد من الأصول الثلاثة منها والعلة المستنبَطة منها.

(**ولا يليق بيانُه بهذا الفن**) لأن اللائق به فن أصول الفقه.

(**الضرب الثاني: الفروع، وهو ما فُهم من هذه الأصول**) المذكورة واستُنبط منها (**لا بموجِب ألفاظها**) وتراكيبها (**بل بمعانٍ تنبَّهت لها**) أي لإدراكها (**العقولُ**) المضيئة الراجحة (**فاتَّسع بسببها الفهم**) بالغوص عن أسرارها (**حتىٰ فُهم من اللفظ الملفوظ به غيرُه، كما فُهم من قوله ﷺ: لا يقضي القاضي وهو غضبان - أنه لا يقضي وهو حاقِن**) أي حابس بولٍ أو غائطٍ (**أو جائع أو متألِّم بمرض**) والكلام عليه من ثلاثة أوجُهٍ:

الأول: قال العراقي: رواه الستة[1] من حديث عبد الرحمن بن أبي بَكْرة عن أبيه، وهذا لفظ النسائي وابن ماجه، وزاد: بين اثنين. وقال البخاري: لا يقضينَّ حَكَمٌ. وقال مسلم: لا يحكم أحدٌ. وقال أبو داود: لا يقضي الحاكم. وقال الترمذي: لا يحكم الحاكم، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وبمثل سياق ابن ماجه رواه الإمام أحمد أيضًا[2]، وكذا أبو داود،

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٣٣٢. صحيح مسلم ٢/ ٨٢١. سنن أبي داود ٤/ ٢١٣. سنن الترمذي ٣/ ١٤ . سنن النسائي ص ٨١٣. سنن ابن ماجه ٤/ ١١.

(٢) مسند أحمد ٣٤/ ٣٠.

وبمثل سياق مسلم رواه الترمذي والنسائي أيضًا، وبمثل سياق البخاري رواه أيضًا الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه.

وأخرج ابن ماجه وضعَّفه[١] والدارقطني في سننه[٢] والخطيب[٣] وسمويه في فوائده عن أبي سعيد رفعه: «لا يقضي القاضي بين اثنين إلا وهو شبعان رَيَّان».

وأخرج النسائي[٤] والطبراني في الكبير عن أبي بكرة: «لا يقضينَّ أحدٌ في قضاءٍ بقضاءينِ، ولا يقضي أحدٌ بين خصمينِ وهو غضبان».

الوجه الثاني: القضاء يطلق على معانٍ، الأنسب هنا معنى الحكم الشرعي، والغضبان: مَن قام به الغضب، وهو في الأصل ثوران دم القلب إرادة الانتقام[٥]، ومنه الحديث: «اتقوا الغضب؛ فإنه جَمْرة توقَد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه»؟ وقيل: الغضبان كالغضوب من صِيَغ المبالغة.

والحاقن: مَن حَقَنَ بولَه، أي حصره وأمسكه وجمعه. وقال ابن فارس[٦]: يقال لِما جُمع من لبن وشُدَّ[٧]: حقين، ولذلك سُمِّي حابس البول[٨] حاقنًا. ا.هـ. ومنه: لا رأي لحاقن ولا حازق[٩].

---

(١) كذا هنا، ولم أقف عليه في سنن ابن ماجه، وقد أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١/ ١٨١ وقال: تفرد به القاسم بن عبد الله العمري، وهو ضعيف.

(٢) سنن الدارقطني ٥/ ٣٦٧ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٢٦٢.

(٤) سنن النسائي ص ٨١٧.

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٣٦١.

(٦) مقاييس اللغة ٢/ ٨٨ (ط - دار الفكر ببيروت).

(٧) عبارة المقاييس: يقال لكل شيء جمع وشد: حقين.

(٨) في المقاييس: اللبن.

(٩) في مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٥٠: «أعزب رأيا من حاقن. الحاقن: الذي أخذه البول، ومن ذلك يقال: لا رأي لحاقن». وقال ابن الأثير في النهاية ١/ ٣٨٧: «حزق، فيه الحديث: لا رأي =

الوجه الثالث: ذكر صدر الشريعة من علمائنا في تنقيح الأصول في المسائل من كتاب الإجماع ما نصه[١]: وشرط بعضُهم قياس النص في الحالين، وأنه لا حكم له، نظيره أن المرء إذا قام إلىٰ الصلاة وهو متوضِّئ لا يجب الوضوء، وإذا قعد وهو محدِث يجب، فعُلم أن الوجوب دائر مع الحدث، وقوله ﷺ: «لا يقضي القاضي وهو غضبان»؛ فإنه يحل له القضاء وهو غضبان عند فراغ القلب، ولا يحل له عند شغله بغير الغضب.

قال السيد في شرحه علىٰ قوله «في الحالين: أي في حال وجود الوصف وفي حال عدمه. قال: والحال أنه لا حكم، أي للنص.

وقال عند قوله «عند فراغ القلب»: فالنص قائم في حالة الغضب بدون شَغْل القلب مع عدم حكمه الذي هو حرمة القضاء.

وقال عند قوله «بغير الغضب»: نحو جوع أو عطشٍ مع عدم حكمه الذي هو إباحة القضاء عند عدم الغضب، إما بطريق مفهوم المخالفة أو الإباحة[٢] الأصلية أو النصوص المطلقة.

وزاد السعد في التلويح بعد هذا: ويُجعَل من حكم النص المذكور مجازًا. ا.هـ.

= لحازق. والحازق: الذي ضاق عليه خُفه فحزق رجله، أي عصرها وضغطها، ومنه الحديث الآخر: لا يصلي أحدكم وهو حاقن أو حاقب أو حازق». وقال في موضع آخر ١/ ٤١٦: «حقن، فيه الحديث: لا رأي لحاقن. هو الذي حبس بوله، كالحاقب للغائط». وينسب هذا الكلام إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ففي كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ٩٨٥ عن الحارث الأعور قال: سئل علي بن أبي طالب عن مسألة، فدخل مبادرًا ثم خرج في حذاء ورداء وهو مبتسم، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنك كنت إذا سئلت عن المسألة تكون فيها كالسكة المحماة. فقال: إني كنت حاقنًا، ولا رأي لحاقن.

(١) التلويح ٢/ ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) في المطبوعة: بالمخالفة. والتصويب من التلويح.

ومفهوم المخالفة هو أن يكون حكم المسكوت عنه مخالفًا [للمنطوق في الحكم] ويسمىٰ: دليل الخطاب[١].

(**وهذا علىٰ ضربين، أحدهما: ما يتعلَّق بمصالح الدنيا**) أي التي تصلُح به أمورُها، ويعتدل نظامها (**وتحويه**) أي تجمعه (**كتبُ الفقه**) بتمامه (**والمتكفِّل به**) أي ببيانه وإتقانه وشرح ما أُبهم فيه السادةُ (**الفقهاء**) المدرِّسون وهم أصحاب الأساطين (**وهم من علماء الدنيا**) نظرًا لِما ذكرناه (**والثاني: ما يتعلَّق بمصالح الآخرة**) أي بأمورها وأحوالها التي لا تعلُّق للدنيا بها (**وهو علم أحوال القلب**) وما يعتريه من اللِّمَم المَلَكية والشيطانية (و) علم (**أخلاقه المحمودة والمذمومة، وما هو مَرْضيٌّ**) مقبول (**عند الله تعالىٰ**) كما يجب وكما ينبغي (**وما هو مكروه**) مسترذَل (**وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب، أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين**) فإنه تكفَّل ببيان ما ذُكر علىٰ وجه التفصيل، كما سيأتي (**ومنه العلم بما يترشَّح من القلب**) أي يفيض منه (**علىٰ الجوارح**) أي الأعضاء (**في عباداتها وعاداتها**) وسائر حركاتها (**وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب**.

والضرب الثالث: **المقدِّمات، وهي التي تجري منه مجرىٰ الآلات**) وتُقدَّم أمام العلوم المقصودة بالذات لارتباطٍ لها بها وانتفاع بها فيها، سواءٌ توقَّفت عليها أمْ لا (**كعلم اللغة**) وهو[٢] علمٌ باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وُضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي وعمَّا حصل من تركيب كل جوهر [جوهر وهيئاتها الجزئية علىٰ وجه جزئي وعن

---

(١) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس وحامد صادق ص ٤٤٧ (ط - دار النفائس). والزيادة التي بين حاصرتين منه. وقال الجرجاني في التعريفات ص ٢٤٠: «مفهوم المخالفة: هو ما يفهم من الكلام بطريق الالتزام. وقيل: هو أن يثبت الحكم في المسكوت علىٰ خلاف ما ثبت في المنطوق».

(٢) مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ١/ ١٠٠. كشف الظنون ٢/ ١٥٥٦.

معانيها الموضوع لها بالوضع الشخصي، وموضوعه جواهر المفردات][1] وهيئاتها من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية (و) علم (**النحو**) وهو علم بقوانين تُعرَف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما[2] (**فإنهما**) أي كلاًّ منهما (**آلة**) موصِّلة (**لعلم كتاب الله تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ**) فهما من المقدِّمات، ويجري مجراهما علمُ التصريف والاشتقاق (**وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفُسهما**) أي في حد ذاتهما (**ولكن يلزم الخوض فيهما**) والاشتغال بهما (**بسبب الشرع؛ إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب**).

بخلاف غيرها من الشرائع التي تقدَّمت فإنها باللغة السُّرْيانية (**وكل شريعة**) من الله تعالىٰ (**لا تظهر إلا بلغة خاصة**) أيِّ لغة كانت (**فيصير تعلُّم تلك اللغة آلة**) موصِّلة لفهمها (**ومن**) جملة (**الآلات: علم كتابة الخط**) وهو[3] معرفة كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائية، والحاجة إليه أكيدة؛ لأنه لا تظهر فائدةُ التخاطُب إلا بالألفاظ وأحوالها (**إلا أن ذلك ليس ضروريًّا**) فقد يُستغنَىٰ عن أحواله التي هي النقوش والحركات والمدَّات والنَّقْط والشكل والتركيب وغير ذلك (**إذ كان رسول الله ﷺ أمِّيًّا**) أي لا يُحسِن الكتابة، قيل: نسبة إلىٰ الأم؛ لأن الكتابة مكتسبة، فهو علىٰ ما ولدته [أمه] من الجهل بالكتابة.

وقيل: نسبة إلىٰ أمَّة العرب؛ لأنه كان أكثرهم أمِّيين؛ كذا في المصباح[4].

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من الكشف ومفتاح السعادة ليستقيم الكلام.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٢٥٩. وذكر له تعريفين آخرين فقال: «وقيل: علم تعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال. وقيل: علم بأصول يعرف بها صحيح الكلام وفاسده».

وعرفه طاش كبرىٰ زاده في مفتاح السعادة ١/ ١٣٨ بأنه: «علمٌ باحثٌ عن أحوال المركبات الموضوعة وضعاً نوعياً لنوع نوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها».

(٣) كشف الظنون ١/ ٧٠٧.

(٤) المصباح المنير ص ٩.

ويُروَىٰ: «إنَّا أمَّة أمِّيَّة، لا نكتب ولا نحسب» أخرجه الشيخان[١] من حديث ابن عمر.

أراد[٢] أنهم علىٰ أصل ولادة أمِّهم لم يتعلموا الكتابة والحساب، فهم علىٰ جِبِلَّتهم الأولىٰ، وقيل[٣] له ﷺ الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تحسب[٤]، بعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخلَّة إحدىٰ آياته المعجزة؛ لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظومًا [مع أميته بآيات مفصلات وقصص مؤتلفات ومواعظ حكيمات][٥] تارةً بعد أخرىٰ بالنظم الذي أُنزل عليه فلم يغيِّره ولم يبدِّل ألفاظه، ففي ذلك أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت:٤٨] قال ابن مردويه في تفسيره[٦]: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا أبي، حدثنا عمِّي، حدثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كان نبي الله ﷺ أمِّيًّا لا يقرأ شيئًا ولا يكتب.

وروىٰ أيضًا من رواية ابن لهيعة عن عبد الله بن هُبَيرة عن عبد الرحمن بن مُرَيح عن [أبي قيس مولىٰ عمرو بن العاص، عن][٧] عبد الله بن عمرو بن العاص قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا كالمودِّع فقال: «أنا محمد النبي الأمي، أنا محمد النبي الأمي ...» الحديث. وهكذا أخرجه أحمد[٨] أيضًا.

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٣٣. صحيح مسلم ١/ ٤٨٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٦٨.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٦٣٧.

(٤) في التهذيب: ولا تقرأ المكتوب.

(٥) زيادة من التهذيب.

(٦) الدر المنثور للسيوطي ١١/ ٥٦١.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة، وزدته من مسند أحمد.

(٨) مسند أحمد ١١/ ١٧٩، ٥٦٤.

وروىٰ البخاري[١] من حديث البراء في قصة صلح أهل مكة: فأخذ الكتاب وليس يُحسِن يكتب ... الحديث.

وروىٰ ابن حبان[٢] والدارقطني[٣] والحاكم في المستدرك[٤] والبيهقي[٥] من رواية محمد بن عبد الله بن زيد عن أبي مسعود البدري عن النبي ﷺ في حديث قال: «إذا أنتم صلَّيتم عليَّ فقولوا: اللهم صلِّ علىٰ محمد النبي الأمِّيِّ ...» الحديث. قال الدارقطني: إسناده حسن. وقال الحاكم: هو حديث صحيح. وقال البيهقي في المعرفة: هذا إسناد صحيح.

وروىٰ أحمد[٦] ومسلم[٧] والثلاثة[٨] من حديث أبي مسعود الأنصاري مثله.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي[٩]: إن ممَّا حُرِّم عليه ﷺ الخط والشعر، وإنما يتَّجه التحريم إن قلنا إنه كان لا يحسنهما ولكن يميِّز بين جيِّد

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٤٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٥/ ٢٨٩.

(٣) سنن الدارقطني ٢/ ١٦٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٣٩٠.

(٥) معرفة السنن والآثار ٣/ ٦٧.

(٦) مسند أحمد ٢٨/ ٣٠٤.

(٧) صحيح مسلم ١/ ١٩١.

(٨) سنن أبي داود ٢/ ٥٦. سنن النسائي ص ٢٠٩. سنن الترمذي ١/ ٤٩٥ ولم يسقه، بل قال: وفي الباب عن علي وأبي حميد وأبي مسعود ... الخ.

(٩) التلخيص الحبير ٣/ ٢٦٨ ونصه: «ومما عد من المحرمات الخط والشعر، وإنما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول إنه كان يحسنهما، ثم استدل لذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ وبقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وفي الاستدلال بالآية الأولىٰ علىٰ ذلك نظر، واستدل غيره بحديث ابن عمر: إنا أمة أمية. وقال البغوي في التهذيب: قيل: كان يحسن الخط ولا يكتب، ويحسن الشعر ولا يقوله، والأصح أنه كان لا يحسنهما، ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه».

الشعر ورديئه.

وتمام البحث في شرحنا علىٰ القاموس[١].

(ولو تُصُوِّر استقلال الحفظ بجميع ما يُسمَع) ويُروَىٰ **(لاستُغني عن الكتابة، ولكنه صار بحكم العجز)** عن ذلك **(في الغالب ضروريًّا)** فإنه بها تمام إفادة أحد المتخاطبين.

(الضرب الرابع: المتمِّمات) لتلك الأصول والفروع والآلات، قسَّم هذا الضرب علىٰ قسمين منهما، قسمٌ يتعلق بالقرآن، وقسم يتعلق بالأخبار والآثار، ثم قسَّم كلاًّ منهما إلىٰ أقسام فقال: **(وذلك في علم القرآن؛ فإنه ينقسم إلىٰ)** ثلاثة أقسام، منها **(ما يتعلق باللفظ)** أي بلفظ القرآن **(كعلم القراءات)** وهو[٢] علمٌ يُبحَث فيه عن صور نظم كلام الله تعالىٰ من حيث وجوه الاختلافات المتواترة الواصلة إلىٰ حدِّ الشهرة **(و)** علم **(مخارج الحروف)** وهو من فروع علم القراءة والتصريف[٣] **(وإلىٰ ما يتعلَّق بالمعنىٰ)** وهو القسم الثاني **(كالتفسير)** وهو[٤] علم باحث عن معنىٰ نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية، ومبادئه العلوم العربية وأصول الكلام وأصول الفقه والجدل وغير ذلك [من العلوم الجمة][٥] والغرض منه [معرفة][٦] معاني النظم، وفائدته حصول القدرة علىٰ استنباط الأحكام الشرعية علىٰ وجه الصحة، وموضوعه كلام الله سبحانه

---

(١) تاج العروس ٣١/ ٢٥٣.

(٢) مفتاح السعادة ٢/ ٦. كشف الظنون ٢/ ١٣١٧.

(٣) كشف الظنون ٢/ ١٦٢١. وفي مفتاح السعادة ١/ ٩٩: «هو معرفة تصحيح مخارج الحروف كيفية وكمية وصفاتها العارضة بحسب ما تقتضيه طباع العرب».

(٤) مفتاح السعادة ٢/ ٥٤. كشف الظنون ١/ ٤٢٧.

(٥) زيادة من الكشف والمفتاح.

(٦) زيادة من الكشف والمفتاح.

الذي هو منبع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، وغايته التوصُّل إلىٰ فهم معاني القرآن واستنباط حكمه؛ للفوز إلىٰ السعادة الدنيوية والأخروية، وشرف العلم وجلالته باعتبار شرف موضوعه وغايته، فهو أشرف العلوم [وأعظمها][1] هكذا ذكره أبو الخير وابن صدر الدين.

(**فإن اعتماده أيضًا علىٰ النقل**) بالإسناد الصحيح إلىٰ أحد الأئمة المشهورين فيه علىٰ اختلاف الطبقات (**إذ اللغة بمجرَّدها**) أي وحدها (**لا تستقلُّ به**) فلا بد من النقل فيه.

وللمفسرين[2] طبقات، فمن الأولىٰ: علي، وابن عباس، وابن مسعود، وأُبَيٌّ، ودونهم كأنس، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عمرو، وأبي موسىٰ.

ولكل هؤلاء طرق مشهورة؛ أما ابن عباس فمن الطرق الصحيحة إليه علي بن أبي طلحة عنه، وقيس بن مسلم عن عطاء بن السائب [عن سعيد بن جبير][3] عنه، وأوهَي طرقه ابن الكلبي والسُّدِّي الصغير و[مقاتل بن] سليمان بن بشير الأزدي، وطريق الضحاك بن مزاحم منقطعة؛ فإنه لم يَلْقَه، ورواية بشر بن عمارة ضعيفة جدًّا.

وأما أبيٌّ بن كعب فعنه نسخة كبيرة رواها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه صحيحة.

ومن الطبقة الثانية أصحاب هؤلاء، فمن أصحاب ابن عباس: مجاهد بن جبر المكي، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وطاووس بن كَيْسان. ومن أصحاب ابن مسعود: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، وإبراهيم النخعي،

---

(١) زيادة من الكشف.

(٢) مفتاح السعادة ٢/ ٥٤ - ٨٥. كشف الظنون ١/ ٤٢٨ - ٤٣٤.

(٣) زيادة من المفتاح.

والشعبي. ثم من بعدهم طبقةُ أتباعِهم، وهم كثيرون، ومَن بعدهم كذلك.

ثم صنَّف من بعدهم قوم برعوا في العلوم، وملأوا كتبهم بما غلب على طبعهم من الفن، واقتصروا فيه على ما تمهَّروا فيه، كأنَّ القرآن أُنزل لأجل هذا العلم لا غير، مع أن فيه تِبْيان كل شيء، وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير، كما حقَّقه ابن الصلاح[1]، وهذا العلم يستدعي التبحُّر في كل الفنون، فلذا قلَّ أربابُه، وانقرض خُطَّابه.

وقال بعضهم: تفسير القرآن على ثلاثة أقسام:

الأول: علم ما لا يُطلِع عليه اللهُ أحدًا من خَلْقه[2]، وهذا لا يجوز لأحد الكلامُ فيه.

والثاني: ما أطلع الله عليه نبيَّه من أسراره[3] واختصَّه به، فلا يجوز الكلام فيه إلا له ﷺ أو لمَن أُذن له فيه [من وارثي علمه وحاله][4] قيل: وأوائل السور من هذا القِسم، وقيل: من الأول.

---

(١) فتاوىٰ ابن الصلاح ١/ ١٩٦ (ط - دار المعرفة ببيروت) ونصه: «وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي: حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر، وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئًا من أمثال ذلك أنه لم يذكر تفسيرًا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم؛ فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن؛ فإن النظير يذكر بالنظير، فمن ذكر قتال النفس في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك؛ لما فيه من الإيهام والالتباس».

(٢) بعده في المفتاح: وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته وتفاصيل علوم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو.

(٣) أي أسرار القرآن.

(٤) زيادة من المفتاح.

والثالث: ما أطلع عليه نبيَّه وأمره بتعليمه إياه[١]، وهو علىٰ قسمين: منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأمم [الماضية][٢] وأخبار ما هو كائن [من الحوادث وأمور الحشر والمعاد][٣] ومنه ما يؤخَذ بالنظر والاستنباط [والاستدلال والاستخراج][٤] من الألفاظ، وهو قِسمان: قِسمٌ اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات [في الصفات][٥] وقسمٌ اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية؛ لأن مَبْناها علىٰ الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحِكَم والأمثال والإشارات لا يمتنع استنباطُها [منه واستخراجها][٦] لمَن له أهلية ذلك، وما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأي الذي نُهي عنه، وهو علىٰ خمسة أقسام:

الأول: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

والثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه.

والثالث: التفسير المقرِّر للمذهب الفاسد بأن يُجعَل المذهب أصلاً والتفسير تابعًا له فيردُّ إليه بأي طريقٍ أمكنَ وإن كان ضعيفًا.

والرابع: التفسير بأن مراد الله كذا علىٰ القطع من غير دليل.

والخامس: التفسير بالاستحسان والهوىٰ.

---

(١) عبارة الكشف والمفتاح: الثالث: علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجلية والخفية وأمره بتعليمها.

(٢) زيادة من المفتاح.

(٣) زيادة من المفتاح.

(٤) زيادة من المفتاح.

(٥) زيادة من المفتاح.

(٦) زيادة من المفتاح.

(وإلىٰ ما يتعلَّق بأحكامه) وهذا هو القِسم الثالث **(كمعرفة الناسخ والمنسوخ)** ألَّف فيه جماعة، كمكِّي بن أبي طالب القيسي، وأبي جعفر النحاس، وأبي داود السجستاني، وأبي بكر ابن العربي، والجلال السيوطي، وغيرهم[١].

والنسخ: هو رفعُ الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر[٢]، وهو[٣] جائز عقلاً، وواقع سمعًا، ويجوز نسخُ الشيء قبل وجود وقته، ونسخُ الشيء إلىٰ بدل ولا إلىٰ بدل، ونسخُ التلاوة دون الحكم، ونسخ السنَّة بالسنَّة، ونسخ الكتاب بالسنَّة المتواترة، خلافا للشافعي[٤] وأصحابه، وأما نسخ الكتاب بالآحاد فجائز عقلاً، غير واقع سمعًا، ويجوز نسخُ الفحوىٰ، ويستلزمه نسخُ الأصل، ولا عكس، خلافًا لِما في منهاج البيضاوي[٥]. وقال الكرخي: نقصان ما تتوقَّف عليه الصلاة كالجزء والشرط لا يكون نسخًا للعبادة بل لهما.

---

(١) ذكر منهم حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٩٢١: أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو سعيد عبد القاهر بن طاهر التميمي، وأبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي المفسر البغدادي، وأبو الحسين محمد بن محمد النيسابوري، وأحمد بن جعفر بن محمد البغدادي المعروف بابن المنادي.

(٢) هذا هو تعريف ابن الحاجب في مختصره، كما في بيان المختصر لأبي الثناء الأصبهاني ٢/ ٤٨٩ (ط - دار المدني).

وللنسخ تعريفات أخرىٰ غير هذا التعريف، فقيل: هو خطاب دل علىٰ ارتفاع حكم ثابت بخطاب متقدم علىٰ وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه. وقيل: هو بيان انتهاء مدة الحكم. وقيل: هو أن يرد دليل شرعي متراخياً عن دليل شرعي مقتضياً خلاف حكمه، فهو تبديل بالنظر إلىٰ علمنا وبيان لمدة الحكم بالنظر إلىٰ علم الله تعالىٰ. التعريفات للجرجاني ص ٢٦٠. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ٣٢٤. الذخيرة للقرافي ١/ ١٠٩.

(٣) انظر: الذخيرة للقرافي ١/ ١١٠ - ١١٣.

(٤) حيث قال: لم يقع؛ لأن آية الحبس في البيوت نسخت بالجَلد.

(٥) ونصه: «نسخ الأصل يستلزم نسخ الفحوىٰ، وبالعكس؛ لأن نفي اللازم يستلزم نفي ملزومه، والفحوىٰ يكون ناسخاً». منهاج الوصول إلىٰ علم الأصول للقاضي البيضاوي ص ٦٨ (ط - مؤسسة الرسالة).

(و) معرفة **(العام)** هو لفظ وُضع وضعًا واحدًا لكثير غير محصور يستغرق جميع ما يصلُح له[1] **(والخاص)** وهو كل لفظ وُضع لمعنًىٰ معلوم علىٰ الانفراد. والمراد بالمعنىٰ: ما وُضع له اللفظ، عينًا كان أو عَرَضًا، وبالانفراد: اختصاص اللفظ بذلك المعنىٰ، وإنما قُيِّد بالانفراد ليتميَّز عن المشترَك[2].

وألفاظ العموم: «كلّ» و«الذي» و«التي» وتثنيتهما وجمعُهما و«أيّ» في الشرط والاستفهام و«مَن» و«ما» و«متىٰ» و«أين» و«حيثما» ونحوها حقيقة، وكذا الجمع المعرَّف باللام والإضافة ما لم يتحقَّق عهدٌ، والمفرد المحلَّىٰ مثله و«جميع» و«سائر» وإن كانت بمعنىٰ الباقي، واسم الجنس، والنكرة في سياق الامتنان وإلا لم تعمَّ، بخلاف وقوعها في الخبر، والفعل في سياق النفي يعم، والنكرة في سياق الشرط أو النفي للعموم وضعًا إن بُنيتْ علىٰ الفتح، وظاهرًا إن لم تُبْنَ، ويُستثنَىٰ من قولنا «النكرة في سياق النفي تعم» ما نُقل عن العلماء نحو: لا رجلُ، بالرفع؛ فإنه لا عموم فيه، وكذا سلبُ الحكم عن العمومات، ويسمَّىٰ: رفع الإيجاب الكلِّي، نحو: ليس كل بيع حلالاً؛ فإنه نكرة في سياق النفي ولا عمومَ له؛ لأنه سلبٌ للحكم عن العموم، لا حكم بالسلب علىٰ العموم؛ حقَّقه السبكي في رسالة «أحكام كل».

(و) معرفة **(النص والظاهر)** النص: هو ما ازداد وضوحًا علىٰ الظاهر لمعنىٰ في التكلُّم، وهو سَوْق الكلام لأجل ذلك المعنىٰ[3] **(وكيفية استعمال البعض منه)** دون بعضٍ **(مع البعض، وهو العلم الذي يسمَّىٰ: أصول الفقه)** يُعرَف منه استنباط الأحكام الشرعية [الفرعية] من أدلَّتها الإجمالية [اليقينية] والغرض منه تحصيل مَلَكة [استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الأربعة التفصيلية، أي الكتاب

---

(١) التعريفات ص ١٤٩.

(٢) التعريفات ص ١٠٠.

(٣) التعريفات ص ٢٦٠.

والسنة والإجماع والقياس، وفائدته] استنباط تلك الأحكام علىٰ وجه الصحَّة[١] (ويتناول السنَّة أيضًا) لاتِّحاد أحكامها مع أحكام الكتاب في سائر ما ذُكر.

(**وأما المتمِّمات في الآثار والأخبار**) وهذا هو القِسم الثاني من القسمين الأوَّلينِ (**فالعلم بالرجال**) الذين يُروَىٰ من طريقهم (**وأسمائهم**) بألقابهم وكُناهم (**وأنسابهم**) وقد روىٰ الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي بسنده[٢] إلىٰ أبي إسحاق النَّجِيرمي أنه قال: أَولىٰ الأشياء بالضبط أسماء الناس؛ لأنه شيء لا يدخله القياسُ، ولا قبله شيء يدل عليه، ولا بعده شيء يدل عليه (**وأسماء الصحابة وصفاتهم**) وقد أُلِّف في كلٍّ من ذلك كتبٌ مستقلة (**والعلم بالعدالة في الرواة**) العدالة[٣]: صفة توجب مراعاتها التحرُّز عمَّا يخلُّ بالمروءة [عادةً][٤] ظاهرًا، فالمرَّة الواحدة من صغائر الهَفَوات وتحريف الكلام لا تخلُّ بالمروءة ظاهرًا؛ لاحتمال الغلط والسهو[٥] والتأويل، بخلاف ما إذا عُرف منه ذلك وتكرَّر فيكون الظاهر الإخلال، ويُعتبر عُرْف كل شخص وما يعتاده من لبسه[٦].

وفي شرح جمع الجوامع: العدالة: مَلَكة [راسخة] في النفْس تمنع عن اقتراف كل فرد فرد من الكبائر وصغائر الخسة، كسرقة لقمة وتطفيف تمرة، والرذائل الجائزة كبول بطريق وأكلِ غير سُوقيٍّ به[٧]

---

(١) مفتاح السعادة ٢/ ١٦٣. كشف الظنون ١/ ١١٠. والزيادات التي بين حاصرتين منهما ليستقيم الكلام.

(٢) وكذلك الخطيب في كتاب الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٤١٧.

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ١٥١.

(٤) زيادة من المصباح.

(٥) في المصباح: والنسيان.

(٦) بعده في المصباح: وتعاطيه للبيع والشراء وحمل الأمتعة وغير ذلك، فإذا فعل ما لا يليق به لغير ضرورة قدح وإلا فلا.

(٧) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٢٣٧.

(والعلم بأحوالهم) جرحًا وتعديلاً **(ليتميَّز الضعيف)** منهم **(عن القوي)** والمتروك من المقبول، ويندرج في ذلك علم عقائد الجارح والمجروح من التي تؤثِّر في الجرح وما لا تؤثِّر، وقد أورد ذلك الحافظُ ابن حجر في مقدمة فتح الباري[1] **(والعلم بأعمارهم)** بمعرفة المواليد والوفيات **(ليتميز المرسَل عن المسنَد)** وهذا بالنسبة إلىٰ طبقات التابعين **(وكذلك ما يتعلَّق به)** من الفنون والأنواع التي ذكرها أئمَّة المصطلح.

(فهذه هي العلوم الشرعية) المنسوبة إلىٰ الشرع **(وكلها محمودة)** شرعًا **(بل كلها من فروض الكفايات)** وقال ابن السبكي[2]: علوم الشرع في الحقيقة ثلاثة: الفقه، وإليه الإشارة في حديث ابن مسعود وابن عمر[3] بالإسلام. وأصول الدين، وإليه الإشارة بالإيمان. والتصوُّف، وإليه الإشارة بالإحسان، وما عدا هذه العلوم إما راجع إليها وإما خارج عن الشريعة.

قال: فإن قلت: علماء الشرعِ أصحابُ التفسير والحديث والفقه، فما بالك أهملتَ التفسير والحديث وذكرت بدلهما الأصول والتصوف، وقد نصَّ الفقهاءُ علىٰ خروج المتكلم من سِمَة العلماء؟ قلت: أما خروج المتكلم من اسم العلماء فقد أنكره الشيخ الإمام والدي في شرح المنهاج وقال: الصواب دخوله إذا كان متكلِّما علىٰ قوانين الشريعة، ودخول الصوفي إذا كان كذلك، وهذا هو الرأي السديد عندنا، وأمَّا أنَّا لم نعُدَّ أصحاب التفسير والحديث فما ذلك إخراج لهم، معاذ الله، بل نقول: التفسير والحديث مدار أصول الدين وفروعه، فهما داخلان في العِلْمينِ.

---

(١) هدي الساري ص ٤٠٤ وفيه: «وقد وقع من جماعةٍ الطعنُ في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد، فينبغي التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق».

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ١١٧.

(٣) وهو حديث سؤال جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وأمارات الساعة.

(**فإن قلت: فلم ألحقت الفقه بعلم الدنيا، وألحقت الفقهاء**) المتكفِّلين بنشره (**بعلماء الدنيا**) ومعرفة الأحكام الشرعية هو المقصود الأعظم الذي ينال به الإنسان السعادة، فهلاَّ يُلحَق بعلم الآخرة، وحَمَلتها بعلماء الآخرة؟ (**فاعلمْ أن الله عَزَّوَجَلَّ أخرج آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **من التراب**) أي خلقه منه (**وأخرج ذريته**) ونسله (**من سلالة**) أي صفوة استُلَّت من الأرض (**من طين، ومن ماء دافق**) أي النُّطفة (**فأخرجهم من الأصلاب**) أي من أصلاب الآباء (**إلىٰ الأرحام**) أي أرحام الأمهات (**ومنها إلىٰ الدنيا**) هذه الدار المحيط بها جبل قاف[1] (**ثم إلىٰ القبر**) أول منازل الآخرة وآخر منازل الدنيا (**ثم إلىٰ العرض**) بين يدي الله تعالىٰ في المحشر (**ثم إلىٰ الجنة**) إن خُتم له بصالح (**أو إلىٰ النار**) إن كان بغير ذلك (**فهذا**) أي خَلْقُه من السلالة (**مبدؤهم، وهذا**) أي خروجهم إلىٰ الدنيا ثم القبر ثم العرض (**غايتهم**) وفي نسخة: نهايتهم (**وهذه منازلهم**) التي يستقرُّون بها. أشار بتقريره إلىٰ الأسفار الستة، **فالأول**: سفر السُّلالة من الطين، **الثاني**: سفر النُّطفة من الصُّلب إلىٰ الرحم، **الثالث**: سفر الجنين من الرحم إلىٰ الدنيا، **الرابع**: سفره منها إلىٰ القبر، **الخامس**: سفره من القبر إلىٰ العرض في الموقف، **السادس**: منه إلىٰ أحد المنزلين، وبه يُعلَم أن الإنسان إذا نُظِرَ إليه في الحقيقة عابر سبيلٍ (**وخلق الدنيا زادًا**) يبلِّغ المسافرَ (**للمعاد**) ومن هنا قيل: الدنيا قنطرة الآخرة، فاعبروها ولا تعمِّروها[2] (**ليتناول منها ما يصلُح للتزوُّد**) أي اتخاذ الزاد، والمراد به الأعمال الصالحة (**فلو تناولوها بالعدل**) والسوية (**لانقطعت الخصومات**) وارتفعت الظلامات (**وتعطَّل الفقهاءُ**) ولم يُحتَج إليهم (**ولكنهم تناولوها**) وتعاطَوْا أمورها (**بالشهوات**) مما تميل له النفوسُ وتشتهيه (**فتولَّدت منها**

---

(١) ذكر ابن الجوزي في زاد السير خمسة أقوال في معنىٰ قاف في قوله تعالىٰ: (ق والقرآن المجيد)، منها أنه جبل محيط بالعالم (زاد السير ٤/ ١٥٦) وجمهور المفسرين علىٰ خلافه.

(٢) من أقوال سيدنا عيسي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسيأتي تخريجه مفصلًا في كتاب الفقر والزهد، وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥) من كلا م يحيىٰ بن معاذ الرازي.

الخصومات) وكثرت الشكايات، وأُنتجت الظلامات **(فمسَّت الحاجةُ إلىٰ)** وجود **(سلطان)** أي حاكم متسلِّط **(يسوسهم)**: يرعاهم وينظر أحوالَهم فيما يختصمون فيه **(واحتاج السلطان)** نفسه **(إلىٰ قانون)** يرجع إليه و**(يسوسهم به)** والقانون: هو الأمر الكلي الذي ينطبق علىٰ جميع جزئياته التي تتعرَّف أحكامها منه[1] **(فالفقيه هو العالِم بقانون السياسة)** الشرعية **(وطريق التوسُّط بين الخَلْق)** في محاكماتهم **(إذا تنازعوا بحكم الشهوات)** وتجاذبوا فيها **(فكان الفقيه معلِّم السلطان ومرشده)** وهاديه **(إلىٰ)** معرفة **(طريق سياسة الخَلْق وضبطهم؛ لتنتظم استقامةُ أمورهم في الدنيا)** بالعدل والإصلاح والحِلم والإحسان. وفي نسخة: لتنتظم باستقامتهم أمورُهم في الدنيا **(ولعَمْري)** قَسَمٌ بالعَمْر بالفتح، وهو البقاء والحياة **(إنه متعلِّق أيضًا بالدين)** حيث إن ذلك القانون الذي يستقيم به أمرُ السلطان والرعية لا يخرج عن الأحكام الشرعية **(ولكن لا بنفسه، بل بواسطة الدنيا)** فتعلُّقه بالدين في الدرجة الثانية **(فإن الدنيا مزرعة الآخرة)** وممرُّ المعاد **(ولا يتم)** نظامُ **(الدين إلا بالدنيا)** أي بعمارتها وصلاحها **(والمُلْك والدين توأمان)** أي قرينان، والتوأم[2] أصله وَوْأَم، من الوِئام وهو الموافقة والمشاكَلة، وهذا توأم هذا، وهما توأمان، وأَبَىٰ الليثُ قولَهم: توأمان، وخطَّأه الأزهري، قال: والقول ما قاله ابن السِّكِّيت، وهو قول الفرَّاء والنحويين الذين يوثَق بعلمهم، قالوا: يقال للواحد توأم، وهما توأمان: إذا وُلدا في بطن واحد **(فالدين أصل، والسلطان حارس)** له وحاميه **(وما لا أصل له فهو مهدوم)** أي ساقط **(وما لا حارس له فضائع)** وهالك **(ولا يتم المُلْكُ والضبط إلا بالسلطان)** وأخرج أبو نعيم[3] في ترجمة عبد الله بن المبارك من رواية أبي بكر الصُّولي عن بعضهم قال: ورد علىٰ الرشيد كتاب صاحب الحيرة من هيت أنه

---

(١) التعريفات ص ١٧٧.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٦١٩.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٦٤.

مات رجل بهذ الموضع غريبٌ، فاجتمع الناس علىٰ جنازته، فسألتُ عنه، فقالوا: عبد الله بن المبارك، فقال الرشيد: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا فضل - يعني وزيره الفضل بن الربيع - ائذن للناس يعزُّونا. فأظهر الفضل تعجُّبًا، فقال: ويحك! إن عبد الله هو الذي يقول:

الله يدفع بالسلطان معضلةً ... عن ديننا رحمةً منه ورضوانا

لولا الأئمَّة لم تأمن لنا سُبُلٌ ... وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

مَن سمع هذا القول من ابن المبارك مع فضله وزهده وعِظَمه في صدور العامَّة ولا يعرف حقَّنا؟

قلت: هذه الأبيات من قصيدة له طويلةٍ أوردها ابن السبكي في أوائل الطبقات[١].

وفي كلام بعض الحكماء: نظام الدين منوط بنظام الدنيا، ونظامها بالمال، والمال يُتحصَّل من الرعية، ونظام الرعية بعدل الحكام، والعدل إنما يتم بالعلم، فنظام الدين منوط بالعلم.

(**وطريق الضبط**) والمراعاة (**في فصل الخصومات**) والمنازعات (**بالفقه**) في الدين (**وكما أن سياسة الخَلْق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولىٰ بل هو مُعِين علىٰ ما لا يتم الدينُ إلا به**) فهو في الدرجة الثانية نظرًا إلىٰ هذا، وقد يكون في الدرجة الرابعة نظرًا إلىٰ قول الحكماء السابق، فكذلك معرفة طريق السياسة ليس من علم الدين في الدرجة الأولىٰ، بل هو من متعلِّقاته في الثانية (**فكذلك معرفة طريق السياسة، فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببَذْرَقة**) بالدال[٢] المهملة، وقيل

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ٢٨٧، حيث أورد منها سبعة أبيات يتبرأ فيها من أهل البدع، ثم قال: وأظن أن ابن المبارك قصد بهذه القصيدة معارضة عمران بن حطان الخارجي في أبياته التي قالها في ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه.

(٢) تاج العروس ٢٥/ ٣٦.

بالمعجمة: الخُفارة، فارسي معرَّبٌ، كما في المحكم[١]، وهو قول ابن دُرَيد[٢]، ومثله لابن خالويه، إلا أنه أنكر إهمال الدال[٣]، ومنه قول المتنبي: أُبْذَرَقُ وسيفي معي؟ وقاتل حتىٰ قُتل. والمُبَذْرِق: الخفير؛ نقله الصاغاني.

(**تحرُس مِن**) ذعار (**العرب**) وشياطينهم الذين يُغِيرون علىٰ رَكْب الحج (**في الطريق، ولكن الحج شيء، وسلوك الطريق إلىٰ الحج شيء ثانٍ**) أي في الدرجة الثانية (**والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيءٌ ثالث**) أي في الدرجة الثالثة (**ومعرفة طرق الحراسة وحِيَلها وقوانينها شيء رابع**) أي في الدرجة الرابعة.

(**وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة**) فهو بهذا الاعتبار في الرابعة من درجات علوم الدين، وهي دقيقة يُتفطَّن لها (**ويدل علىٰ ذلك ما رُوي مسنَدًا**) أي مرفوعًا بالإسناد إلىٰ النبي ﷺ (**لا يفتي الناسَ إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلِّف**) هكذا في سائر نسخ الكتاب، ومثله في «قوت القلوب» لأبي طالب[٤]، والذي في الأحاديث - علىٰ ما سيأتي بيانُها -: لا يقصُّ، بدل: لا يفتي، ولكن المصنف تبع صاحبَ القوت. أخرجه الطبراني في الأوسط[٥] من حديث عوف بن مالك الأشجعي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقُصُّ [علىٰ الناس] إلا أمير أو مأمور أو متكلِّف». وفي المجلس الخامس عشر من أمالي عبد الله بن منده[٦] من

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٦/ ٣٩١ (ط - معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية).

(٢) جمهرة اللغة ٢/ ١١١٨.

(٣) في التاج: «قال ابن خالويه: ليست البذرقة عربية، وإنما هي فارسية، فعربتها العرب، يقال: بعث السلطان بذرقة مع القافلة، بالذال المعجمة.

قال الزبيدي: وأصل هذه الكلمة مركبة من «بذّ» و«راه»، والمعنىٰ: الطريق الرديء، فعربوا الهاء بالقاف وأعجموا الذال».

ونقل عن الهروي في كتاب الغريبين: البذرقة يقال لها: عصمة، أي يعتصم بها.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٢٨.

(٥) المعجم الأوسط ٤/ ٢٣٢. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٦) الفوائد لابن منده (ضمن مجموعة أجزاء حديثية) ٢/ ٣٢ (ط - دار الكتب العلمية).

رواية خالد بن عبد الرحمن حدثنا عمر بن ذر عن مجاهد عن أبي هريرة رفعه: «لا يقصُّ في مسجدي هذا إلا أمير أو مأمور أو متكلِّف».

وأخرج الطبراني في الكبير عن عُبادة بن الصامت رفعه: «لا يقصُّ إلا أمير أو مأمور أو متكلِّف»[١].

(**فالأمير هو الإمام**) الأعظم الذي يتولَّىٰ أمور المسلمين (**وقد كانوا**) أي الأمراء (**هم المفتون**) في الأقضية والأحكام قبل أن يشتغلوا بأمر الجهاد (**والمأمور نائبه**) الذي ينوب عنه، قد أذن له في ذلك. وقال المناوي[٢]: هو المأذون له في القصِّ من الحاكم (**والمتكلِّف غيرهما**) أي لا أمير ولا مأمور (**وهو الذي يتقلَّد تلك العهدة من غير حاجة**) إليه. ونصُّ القوت[٣]: الأمير هو الذي يتكلم في أمر الفُتيا والأحكام، وكذلك كان الأمراء يُسألون ويفتون، والمأمور الذي يأمره الأميرُ بذلك فيقيمه مقامه ويستعين به لشغله بالرعية، والمتكلِّف هو القاصُّ الذي يتكلم في القصص السالفة ويقص أخبار مَن مضىٰ؛ لأن ذلك لا يُحتاج إليه في الحال، ولم يُندَب المتكلم إليه[٤]، وقد تدخله الزيادة والنقصان والاختلاف، فلذلك كُره القصص، فصار القاصُّ من المتكلِّفين. ا.هـ.

ووجدت لسياق المصنف -وهو قوله «لا يفتي»- شاهدًا حسنًا، وهو ما أخرجه ابن عساكر[٥] من حديث حذيفة بن اليمان: إنما يفتي أحدُ ثلاثة: مَن عرف الناسخ من المنسوخ، أو رجل ولي سلطانًا فلا يجد بدًّا من ذلك، أو متكلِّف».

وأيضًا، فالقصُّ هو التكلُّم بالقصص والمواعظ، والإفتاءُ داخلٌ فيها، وحملُ

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ٤٥٢ وقال: إسناده حسن.

(٢) فيض القدير ٦/ ٤٥٤.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٢٨.

(٤) في القوت: ولم يندب إليه من العلوم.

(٥) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٣. وأوله: سئل حذيفة عن شيء فقال ... الخ.

الزمخشري القصَّ في خصوص الخطبة محلُّ نظر[١].

(**وقد كان الصحابة** ﷺ **يحترزون عنه**) أي عن الإفتاء المفهوم من القَصِّ، ولذا لم يظهر في زمانهم، وإنما ظهر في آخر زمان معاوية لمَّا اختلفت الأحوالُ (**حتىٰ كان يحيل كلُّ واحد منهم**) الفتيا (**علىٰ صاحبه**) حتىٰ تعود إليه، وهذا قد يأتي التفصيل فيه في الباب السادس من قول عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ وغيره (**وكانوا لا يحترزون إذا سُئلوا عن علم القرآن**) والإيمان (**وطريق الآخرة**) وما أشبهَ ذلك. ونصُّ القوت[٢]: ولم يكونوا يقولون ذلك في علم القلوب ولا علم الإيمان واليقين، بل كتب عمر إلىٰ أمراء الأجناد: احفظوا ما تسمعون من المطيعين لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنهم تتجلَّىٰ لهم أمورٌ صادقة (**وفي بعض الروايات بدل المتكلِّف: المرائي**) وهكذا رواه الإمام أحمد[٣] وابن ماجه[٤] والترمذي الحكيم في النوادر[٥] من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه رفعه: «لا يقصُّ علىٰ الناس إلا أمير أو مأمور أو مُراءٍ». ورواه الدارمي في مسنده[٦]، وزاد في آخره: قلت لعمرو بن شعيب: إنا كنا نسمع «متكلِّف». فقال: هذا ما سمعتُ.

قلت: ويُروَىٰ بدل المتكلِّف والمُرائي: المختال، رواه أبو داود[٧] من حديث عوف بن مالك: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقُصُّ إلا أميرٌ أو

---

(١) حيث قال في كتاب الفائق ٣/ ٢٠٤ في تفسير هذا الحديث: «أي لا يخطب إلا الأمير؛ لأن الأمراء كانوا يتولون الخطب بأنفسهم».

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٣١.

(٣) مسند أحمد ١١/ ٣٢٥.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٠٩.

(٥) نوادر الأصول ٢/ ١١٩٢.

(٦) سنن الدارمي ٢/ ٤١٠.

(٧) سنن أبي داود ٤/ ٢٤٦.

مأمور أو مختالٌ». وأخرجه الطبراني في الكبير[١] مثله، وأخرجه ابن عساكر[٢] عن عبد الرحمن بن عوف.

وقال الإمام أحمد في مسنده[٣]: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا العوَّام، حدثني عبد الجبار الخولاني قال: دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ السجدَ، فإذا كعب يقُصُّ، فقال: مَن هذا؟ قالوا: كعب يقص. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال». فبلغ ذلك كعبًا فما رُؤي يقص بعدُ.

وفي القوت[٤]: وقد جاء في لفظ الحديث الآخَر بتأويل معناه: لا يتكلم علىٰ الناس إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو مُراءٍ. فكأن قوله «أمير» هو المفتي في الأحكام والأقضية، ومعنىٰ «مأمور» هو العالِم بالله عَزَّوَجَلَّ، الزاهد في الدنيا، يتكلم في علم الإيمان واليقين وفي علم القرآن والحث علىٰ مصالح أعمال الدين بأمر من الله تعالىٰ، أذن الله له في ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران:١٨٧] الآية، وبقوله ﷺ: «ما آتىٰ اللهُ عالمًا علمًا إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ علىٰ النبيين أن يبيِّنه ولا يكتمه». وبقول أبي هريرة: لولا آيتان في كتاب الله تعالىٰ ما حدَّثتكم حديثًا.

وأما المُرائي فهو المتكلِّم في علوم الدنيا، الناطق عن الهوىٰ، يستميل بذلك أهلها[٥]، ويجتلب بكلامه المزيدَ منها والرِّفعة فيها.

وإليه يشير قول المصنِّف: (**فإن مَن يتكلَّف خطر الفتوىٰ**) أي يتحمَّل أعباءها

(١) المعجم الكبير ١٨/ ٥٥.

(٢) تاريخ دمشق ٥٠/ ١٧٠.

(٣) مسند أحمد ٢٩/ ٥٨٧.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٢٩.

(٥) في القوت: يستميل بذلك قلوب الناس.

(وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال) باستمالة قلوب أهل الدنيا بكلامه ووعظه.

وقال الراغب في الذريعة[١]: لا يصلُح الحكيمُ لوعظ العامَّة، لا لنقصٍ فيه، بل لنقص في العامة؛ إذ بينهما من تَنافِي طبعيهما وتنافُر شكليهما من النفار كما بين[٢] الماء والنار، والليل والنهار. ثم قال: فحق للواعظ أن يكون له نسبة إلىٰ الحكيم وإلىٰ العامَّة، يأخذ منه ويعطيهم، كنسبة الغضاريف إلىٰ اللحم والعظم جميعًا، ولولاها لم يمكن للعظم اكتسابُ الغذاء من اللحم.

(فإن قلتَ: هذا إن استقام لك) واتَّضح أمرُه **(في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات)** فإنها التي يُحتاج إلىٰ الفقهاء فيها غالبًا **(فلا يستقيم)** لك **(فيما يشتمل عليه ربعُ العبادات من الصيام والصلاة)** وما يتعلَّق بهما من الأحكام **(ولا فيما يشتمل عليه ربعُ العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام)** وغير ذلك **(فاعلمْ أن أقرب ما يتكلَّم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة)** أقسامٍ: **(الإسلام)** وهو أعظمها **(والصلاة)** لكونها شعار أهل الإسلام **(والحلال والحرام، فإذا تأمَّلتَ منتهىٰ نظر الفقيه فيها)** ومرمىٰ مَلْحَظه **(علمتَ أنه لا يجاوز حدودَ الدنيا إلىٰ الآخرة)** ولا يتعدَّاها **(فإذا عرفتَ هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهرُ)**.

وأوضحُ **(أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه)** من البلوغ وغير ذلك **(وليس يُلتفَت فيه إلا إلىٰ اللسان)** فقط، فمتىٰ وُجدت شروطُه وسُمع منه الإقرار حُكم بإسلامه **(وأما القلب)** الذي هو محلُّ التصديق **(فخارجٌ عن ولاية الفقيه)** ليس له مدخل فيه، ولا يحوم حول حِماه **(لعزلِ رسول الله ﷺ السيوف)**.

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة (ص٨٣) بنحوه.

وفي نسخة: أرباب السيوف **(والسلطنة عنه، حيث قال: هلاَّ شققتَ عن قلبه)** فنظرتَ أصادق هو أمْ كاذب؟! قاله **(في الذي قتل مَن تكلم بكلمة الإسلام)** أي كلمة الشهادة **(معتذرًا بأنه)** إنما **(قال ذلك من خوف السيف)** أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه[1] والطبراني في الكبير[2] وابن أبي شيبة في المصنف[3] من حديث جندب بن عبدالله البجلي رفعه، وهكذا هو في الجزء الرابع من فوائد أبي أحمد الحاكم بلفظ: فهلاَّ شققتَ علىٰ قلبه؟ وفي إسناده شهر بن حَوْشَب، وثَّقه أحمد وابن معين، وتكلَّم فيه غيرُهما[4].

قال العراقي: والحديث عند مسلم[5]، وليس فيه قوله: هلاَّ شققتَ علىٰ قلبه. قال: ويُروَىٰ عن أسامة بن زيد، أخرجه مسلم[6] وأبو داود[7] والنسائي[8]، وكذا مالك في الموطأ[9] والإمام أحمد[10] وابن أبي شيبة[11] والعَدَني في مسانيدهم وأبو عَوانة في صحيحه[12] وابن حبَّان[13]

---

(١) كذا قال المؤلف، ولم أقف عليه من حديث جندب في السنن الأربعة.

(٢) المعجم الكبير ٢/ ١٧٦.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٦: «في إسناده عبد الحميد بن بهرام وشهر بن حوشب، وقد اختلف في الاحتجاج بهما».

(٣) لم أقف عليه في مصنف ابن أبي شيبة.

(٤) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٢٨٣ - ٢٨٥.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٥٧.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٥٧.

(٧) سنن أبي داود ٣/ ٢٧٣.

(٨) سنن النسائي الكبرىٰ ٨/ ١٣.

(٩) لم أقف عليه في الموطأ.

(١٠) مسند أحمد ٣٦/ ٧٣، ١٣٣.

(١١) مسند ابن أبي شيبة ١/ ١١٦.

(١٢) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ١/ ٦٨.

(١٣) صحيح ابن حبان ١١/ ٥٦.

والحاكم[١] والطحاوي[٢] والبيهقي[٣]، كلُّهم من رواية أبي ظَبْيان - واسمه حُصَين بن جندب - عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسولُ الله ﷺ في سريَّة، فصبَّحنا الحُرَقات من جُهَينة، فأدركتُ رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنتُه، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرتُه للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «قال لا إله إلا الله وقتلتَه»؟! قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: «أفلا شققتَ عن قلبه حتىٰ تعلم من أجل ذلك قالها أمْ لا؟ مَن لك بلا إله إلا الله يوم القيامة»؟! فما زال يكرِّرها حتىٰ تمنَّيتُ أني [لم أكن][٤] أسلمتُ يومئذٍ.

قال العراقي: والحديث عند البخاري[٥] أيضًا، ولكن ليس فيه قوله: أفلا شققتَ عن قلبه.

(بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف) كما حكم النبي ﷺ بصحة إسلام هذا الرجل، ولذا عاتب أسامةَ في قتله **(مع أنه يعلم)** قطعًا **(أن السيف لم يكشف له عن شبهة)** ورِيبة **(ولم يرفع عن قلبه غشاوةَ الجهل)** وظلمته **(و) لا (الحيرة)** والتردُّد المستولي عليه **(ولكنه مشير علىٰ صاحب السيف؛ فإن السيف ممتدٌّ إلىٰ رقبته)** بالقتل **(واليد ممتدَّة إلىٰ ماله)** بالنهب **(وهذه الكلمة)** الشريفة **(باللسان تعصم رقبته)** عن السفك **(وماله)** عن النهب **(ما دامت له رقبة ومال، وذلك في الدنيا)** قال الفخر الرازي نقلاً عن بعضهم[٦]: إن الله تعالىٰ جعل العذاب عذابين، أحدهما: السيف من يد المسلمين، والثاني: عذاب الآخرة، فالسيف في

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١٣٥.

(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي ٨/ ٢٦٢ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٣) السنن الكبرىٰ ٨/ ٣٦.

(٤) زيادة من المصادر السابقة.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ١٤٧، ٤/ ٢٦٦.

(٦) فيض القدير للمناوي ٢/ ١٨٩، ٤/ ٤٨٩. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

غلاف يُرَىٰ [والنار في غلاف لا يُرَىٰ] فقال لرسوله: مَن أخرج لسانه من الغلاف المرئيِّ وهو الفم فقال: لا إله إلا الله، أدخلنا السيف في الغمد الذي يُرَىٰ [وصار محسنًا] ومَن أخرج لسان القلب من الغلاف الذي لا يُرَىٰ وهو السر فقال: لا إله إلا الله، أدخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة [وأدخلنا القائل في حصنها] حتىٰ يكون واحدًا بواحد، ولا ظلم ولا جَوْر.

(ولذلك قال ﷺ: أُمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم) إلا بحقِّها، وحسابهم علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قال المناوي[1]: قال الرافعي: وبيَّن الشافعي أن الحديث مَخرجه عامٌّ ويُراد به الخاص، والقصد به أهل الأوثان، وهو أصل من أصول الإسلام.

وفي بعض رواياته: حتىٰ يشهدوا، أي يقرُّوا ويبيِّنوا.

وهذا الحديث رواه ستة عشر من الصحابة -كما قاله العراقي- وهم: أبو هريرة، وعمر، وابن عمر، وجابر، وأنس، ومعاذ، وأوس بن أبي أوس، وأبو بكر الصديق، وسعد بن أبي وقاص، وجرير بن عبد الله، وسهل بن سعد، وابن عباس، وأبو بَكْرة، وأبو مالك الأشجعي عن أبيه، وسَمُرة بن جندب، والنعمان ابن بشير.

أما حديث أبي هريرة فأخرجه الأئمة الستة[2]، وهذا لفظ الترمذي وابن ماجه في الفتن، إلا أنهما لم يقولا: فقد، وكذا قال أبو داود، إلا أنه قال: منعوا، بدل: عصموا، وقال الشيخان: فمَن قال لا إله إلا الله، قال مسلم: عصم، وقال البخاري: فقد عصم مني نفسَه وماله إلا بحقِّه، وحسابه علىٰ الله.

قلت: وأخرجه أبو بكر ابن مردويه[3] من رواية الحسن بن عمرو عن منذر

---

(١) فيض القدير ٢/ ١٨٩.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٤٥. صحيح مسلم ١/ ٣١. سنن أبي داود ٣/ ٢٧٢. سنن الترمذي ٤/ ٣٥١. سنن النسائي ص ٤٧٦، ٤٧٧، ٦١٤، ٦١٥. سنن ابن ماجه ١/ ٩٥، ٥/ ٤٢٥.

(٣) وأخرجه من طريقه السبكي في طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ٧٠.

الثوري عن محمد ابن الحَنَفية عن أبي هريرة رفعه كسياق المصنِّف، وفي آخره: قيل له[1]: طعنت علىٰ أبيك. قال: إني لم أفعل، إن الناس انطلقوا إلىٰ أبي فبايعوه طائعين غير مكرهين، فنكث ناكث فقتله، وبغىٰ باغٍ فقتله، ومَرَقَ مارقٌ فقتله.

وابن الحنفية هذا لم يُخرَّج له عن أبي هريرة في شيء من الكتب الستة.

وأخرجه الخُلَعي في فوائده من رواية مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

ثم قال: وأما حديث عمر فرواه الستة[2] -خلا ابن ماجه- من رواية أبي هريرة عن عمر عن النبي ﷺ نحوه.

قلت: أخرجه أحمد[3] والبخاري، قال أحمد: حدثنا عصام بن خالد وأبو اليمان، وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان قال: حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري، حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود أن أبا هريرة قال: لما توفِّي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده وكفر مَن كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتل الناس ..» الحديث بطوله.

ورواه البخاري أيضًا ومسلم عن قُتَيبة عن الليث، ورواه[4] عمرو بن عاصم الكِلابي عن عِمْران القَطَّان عن معمر عن الزهري عن أنس عن أبي بكر مرفوعًا: «أُمرت أن أقاتل الناس ...» الحديث. قال ابن أبي حاتم: سألتُ [أبي و][5] أبا

---

(١) أي محمد ابن الحنفية.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤٣١، ٤/ ٢٧٩، ٣٦٠. صحيح مسلم ١/ ٣١. سنن أبي داود ٢/ ٣١٠. سنن الترمذي ٤/ ٣٥٢. سنن النسائي ص ٣٧٩، ٤٧٦، ٤٧٧، ٦١٤، ٦١٥.

(٣) مسند أحمد ١/ ٢٧٠.

(٤) طبقات السبكي ١/ ٧٢.

(٥) زيادة من طبقات السبكي.

زُرْعة عنه فقالا: هذا خطأ، إنما هو: الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر ... القصة. قلت لأبي زرعة: الوهم ممَّن؟ قال: من عمران.

ثم قال العراقي: وأما حديث ابن عمر فأخرجه الشيخان[١] وقالا: حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. قال البخاري: فإذا فعلوا ذلك، وقال مسلم: فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم ... الحديث.

وأما حديث جابر فرواه مسلم[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤] وابن ماجه[٥]، ولفظ الترمذي كلفظ المصنف، إلا أنه لم يقل: فقد، وقال مسلم وابن ماجه: فإذا قالوا لا إله إلا الله.

وأما حديث أنس فرواه البخاري[٦] وأبو داود[٧] والترمذي[٨] والنسائي[٩]، زاد البخاري: فإذا قالوها وصلَّوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم ... الحديث. وقال أبو داود والترمذي: حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قِبْلتنا، وأن يأكلوا ذبيحتنا، وأن يصلُّوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت ... الحديث.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٤. صحيح مسلم ١/ ٣٢.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٣٢.
(٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٦٥.
(٤) سنن النسائي الكبرىٰ ١٠/ ٣٣٤.
(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٢٦.
(٦) صحيح البخاري ١/ ١٤٦.
(٧) سنن أبي داود ٣/ ٢٧٢.
(٨) سنن الترمذي ٤/ ٣٥٣.
(٩) سنن النسائي ص ٦١٣.

قلت: وأخرجه أيضًا الطبراني في المعجم الكبير[١].

قال: وأما حديث معاذ فرواه ابن ماجه[٢] ولفظه: حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. وفي إسناده شهر بن حَوْشَب.

وأما حديث أوس بن أبي أوس بن حذيفة فرواه النسائي[٣] وابن ماجه[٤]، ورجاله رجال الصحيح.

قلت: وأخرجه أيضًا الطبرانيُّ في المعجم الكبير[٥] من طريق شعبة عن النعمان ابن سالم قال: سمعت أوس بن أوس، وقال سِماك بن حرب: عن النعمان بن سالم عن أوس، وقال حاتم: عن النعمان عن عمرو بن أوس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «أُوحِيَ إليَّ أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله ...» الحديث. قال أبو حاتم: وشعبة أحفظُ القوم[٦].

قال: وأما حديث أبي بكر الصديق فرواه البزَّار في مسنده[٧] من رواية عمران القَطَّان عن معمر عن الزهري عن أنس عن أبي بكر. قال البزار: أحسبُ أن عمران أخطأ في إسناده. ولذا قال الترمذي في الجامع[٨]: إن حديث عمران خطأ، وكذا قال الدارقطني في العلل[٩] أنه وهم فيه علىٰ معمر، وأن الصواب رواية الزهري عن

---

(١) لم أقف عليه في المعجم الكبير، وهو في المعجم الأوسط ٣/ ٣٠٠.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٩٧.

(٣) سنن النسائي ص ٦١٦.

(٤) لم أقف عليه في سنن ابن ماجه.

(٥) المعجم الكبير ١/ ٢١٨.

(٦) علل الحديث لابن أبي حاتم ٥/ ٢٢٩ (تحقيق: سعد الحميد وخالد الجريسي).

(٧) مسند البزار ١/ ٩٨.

(٨) سنن الترمذي ٤/ ٣٥٣.

(٩) العلل الواردة في الأحاديث النبوية ١/ ١٦٢ - ١٦٦.

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة قال: قال عمر لأبي بكر رضي الله عنه.

قلت: قد تقدَّم أن الذي رواه عن عمران القطان هو عمرو بن عاصم الكلابي، وتقدم أيضًا سؤالُ ابن أبي حاتم لأبي زُرْعة وجوابه له، وأن الوهم فيه من عمران القطان.

قال: وأما حديث سعد فرواه الترمذي بقوله: وفي الباب[١].

قال: وأما حديث جرير وسهل وأبي مالك الأشجعي عن أبيه فرواها الطبراني في المعجم الكبير[٢].

وأما حديث سَمُرة فرواه الطبراني في الأوسط[٣].

وحديث ابن عباس وأبي بَكْرة رواهما في الكبير والأوسط[٤].

وحديث النعمان بن بشير رواه البزار[٥] وقال: أخطأ فيه أسود بن عامر.

قلت: ويُروَىٰ هذا الحديث أيضًا من رواية عياض الأنصاري، وهو صحابي[٦]، أخرجه البزار في مسنده[٧]، فتم العددُ سبعة عشر، وهو متواتر؛ صرَّح به

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٥٢.

(٢) المعجم الكبير ٢/ ٣٠٧، ٦/ ١٣٢، ٨/ ٣٨٢.

(٣) المعجم الأوسط ٦/ ٢٩٩.

(٤) أما حديث ابن عباس ففي المعجم الكبير ١١/ ٢٠٠، والمعجم الأوسط ٧/ ٨٤.
وأما حديث أبي بكرة فلم أقف عليه في الكبير، وهو في الأوسط ٤/ ٦٦.

(٥) مسند البزار ٨/ ١٩٢.

(٦) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ٢/ ١٢٧ وقال: «عياض الأنصاري، له حديث واحد، روىٰ عنه عبد الملك بن عمير».

(٧) لم أقف عليه في مسند البزار، وقد ذكره الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ١٠ (ط- مؤسسة الرسالة) بلفظ: «إن لا إله إلا الله كلمة علىٰ الله كريمة، لها عند الله مكان، وهي كلمة من قالها صادقًا أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذبًا حقنت دمه وأحرزت ماله، ولقي الله غدا فحاسبه». ثم قال: قال البزار: لا نعلم أسند عياض إلا هذا.

غير واحد من المحدِّثين[١].

فانظر كيف (**جعل أثر ذلك في الدم والمال، وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأقوال**) الظاهرة (**بل أنوار القلوب**) الحاصلة من الإيمان الكامل (**وأسرارُها**) الباهرة (**وأخلاقها**) المحمودة. أخرج مسلم[٢] في الأدب وابن ماجه[٣] في الزهد عن أبي هريرة رفعه: «إن الله تعالىٰ لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم». وسيأتي الكلام عليه (**وليس ذلك من فنِّ الفقه**) في شيء (**وإن قُدِّرَ** أنه (**خاض الفقيهُ فيه**) واستعدَّ لقبوله (**كان كما لو خاض في الكلام والطب وإن كان خارجًا عن فنِّه**) لأن كلاهما ذِكرٌ لا يتعلَّق به غرضُه. هذا حال الإسلام.

(**وأما الصلاة، فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتىٰ بصورة الأعمال مع**) مراعاة (**ظاهر الشروط**) المذكورة في الكتب (**وإن كان غافلاً**) بقلبه (**عن جميع صلاته من أولها إلىٰ آخرها**) بغَلَبة الخواطر والوساوس والشواغل النفسانية (**مشغولاً بالتفكُّر**) والتدبير (**في حساب معاملاته**) ومشاركاته (**في السوق**) أو في البيت (**إلا عند التكبير**) أي عند افتتاح الصلاة وهي تكبيرة الإحرام؛ فإنه يتعيَّن إحضار القلب حينئذٍ، ولا يُكلَّف ما عداه (**وهذه الصلاة**) بهذه الصفة (**لا تنفع في الآخرة**) لشَوْبِها بالغفلة عن أعمال القلب (**كما أن القول باللسان**) فقط (**في الإسلام لا ينفع**) في الآخرة (**ولكن الفقيه يفتي بالصحة**) ويقول: (**إن ما فعله حصل به امتثالُ صيغة الأمر**) الدالَّة علىٰ الوجوب (**وانقطع به عنه القتلُ والتعزير**) وهو التأديب دون الحد، والتأديب: نصرةٌ بقهرٍ ما[٤]، وفي بعض النسخ: القتال أو التعزير (**فأما الخشوع**) والاطمئنان والإخبات (**وإحضار القلب**) ولو تكلُّفًا (**الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العملُ**

---

(١) منهم الجلال السيوطي في الجامع الصغير. انظر: فيض القدير ٢/ ١٨٩.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٣.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧٩.

(٤) التعريفات للجرجاني ص ٦٥. المفردات للراغب ص ٣٣٣. التوقيف للمناوي ص ١٠١.

الظاهرُ لا يتعرَّض له الفقيهُ) إلا قليلاً **(ولو تعرَّض له)** بالفرض والتقدير **(لكان خارجًا عن فنِّه)** ويقول: إنما كُلِّفْنا بإصلاح الظاهر، وأما الباطن فبيد الله تعالىٰ، وهو حقٌّ فيما يقول؛ إذ التعرُّض لمِثل ذلك ليس من فنِّه. هذه حال الصلاة.

(وأما الزكاة) وهي قرينة الصلاة في الذِّكر **(فالفقيه ينظر إلىٰ ما يقطع به مطالبةَ السلطان)** ونظرُه قاصر عليه **(حتىٰ)** إنه **(إذا امتنع)** من دفع الزكاة **(يأخذ السلطان منه)** ولو قهرًا **(فهو يحكم بأنه برئت ذمتُه)** بأخذِه لها منه، وهذا إذا أخذ السلطان منه مما يجب عليه من الزكاة، أما لو صادره بمال ثم حال عليه الحولُ لا تجب الزكاة علىٰ صاحب المال عند أبي حنيفة[١].

(وقد حُكي أن أبا يوسف القاضي) يعقوب بن إبراهيم بن خُنَيس -وقيل: حبيب- بن سعد بن حَبْتة بفتح الحاء المهملة وسكون الموحَّدة وفتح المثنَّاة الفوقية، القاضي، صاحب الإمام، ولاَّه الهادي ثم الرشيد، وروىٰ عن يحيىٰ ابن سعيد الأنصاري والأعمش وأبي إسحاق الشيباني، وعنه محمدُ بن الحسن وغيره. وُلد سنة ١١٣، وتوفي ببغداد سنة ١٨٢. و«حبتة» في نسبه هي ابنة مالك ابن عمرو بن عوف الأنصارية الصحابية[٢] **(كان يهب مالَه لزوجته)** في **(آخر الحَوْل ويستوهب مالها إسقاطًا للزكاة، فحُكي ذلك لأبي حنيفة رحمه الله، فقال: ذلك من فقهه)** أي من معرفته بالأحكام، ومن هنا قول صاحب «الملتقىٰ» من

---

(١) من منع الزكاة وهو في قبضة الإمام تؤخذ منه قهرا، وعلىٰ ذلك قاتل أبو بكر الصديق مانعي الزكاة، وأقره الصحابة. وذهب جمهور الفقهاء إلىٰ أن مانع الزكاة إذا أخذت منه قهرًا لا يؤخذ معها من ماله شيء. وذهب الشافعي في القديم وإسحاق بن راهويه وأبو بكر عبد العزيز من أصحاب أحمد إلىٰ أن مانع الزكاة يؤخذ شطر ماله عقوبة له مع أخذ الزكاة منه. واستدل الجمهور بأن الصحابة لم يأخذوا نصف أموال الأعراب الذين منعوا الزكاة. أما من كان خارجًا عن قبضة الإمام ومنع الزكاة فعلىٰ الإمام أن يقاتله، فإن ظفر به أخذها منه من غير زيادة علىٰ قول الجمهور. الموسوعة الفقهية ٢٣/ ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/ ٣٧٨ - ٣٨٩.

علمائنا[١]: وتُكرَه الحيلة لإسقاطها عند محمد، خلافًا لأبي يوسف.

قال شارحه محمد بن محمد البهنسي الحنفي: إنما تُكرَه عند محمد؛ لتضمُّنها إبطال حقِّ الفقراء بعد انعقاد سبب الوجوب، وعليه الفتوىٰ، خلافًا لأبي يوسف؛ لأنه امتناع عن الوجوب لا لإبطال حق ثابتٍ، وعلىٰ هذا الخلافِ حيلةُ إسقاط الشُّفعة (وصدق) أبو حنيفة (**فإنَّ ذلك من فقه الدنيا، ولكن مضرَّته في الآخرة أعظم من كل جناية، ومِثل هذا هو العلم الضارُّ**) وقد أورد هذه الحكايةَ صاحبُ القوت فقال[٢]: وقد حُدِّثْنا عن أبي يوسف أنه كان إذا صار رأسُ الحول وهب ماله لامرأته، واستوهبها مالها، فسقطت عنهما الزكاة، فذُكِر ذلك لأبي حنيفة فقال: ذلك من فقهه. وإنما يُطلَب العلم لمعرفة الورع والاحتياط للدين، فهذا هو العلم النافع، فإذا طُلب لمثل هذا ولتأويل الهوىٰ كان الجهل خيرًا منه.

(**وأما الحلال والحرام، فالورع عن الحرام من الدين**) أي معرفته من جملة أمور الدين. والوَرَع[٣] محرَّكة: التقوىٰ والتحرُّج والكفُّ عن المحارم، وقد وَرِعَ الرجلُ، كوَرِثَ، وهي اللغة المشهورة، وزاد اللِّحْياني: مثل وَجِلَ، ونقل سيبويه[٤] عن العرب: مثل وَضَعَ، ونُقل عن غيره: مثل كَرُمَ، وَرَاعةً ووَرْعًا، بالفتح ويحرَّك، ووَرُوعًا، ويُضَمُّ، وأصل الورع: الكف عن الحرام، ثم استُعير للكف عن الحلال والمباح؛ هذا قول أئمَّة اللغة، وأما عند الصوفية فهو: تَوَقٍّ مستقصىٰ علىٰ حذر أو تحرُّجٌ علىٰ تعظيم، وهو آخر مقامات الزهد [للعامة، وأول مقامات الزهد]

---

(١) انظر: مجمع الأنهر في شرح ملتقىٰ الأبحر لشيخي زاده الحنفي ١/ ٢٩٠ (ط - دار الكتب العلمية).
وملتقىٰ الأبحر هو لإبراهيم بن محمد الحلبي الحنفي.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٤٣.

(٣) تاج العروس ٢٢/ ٣١٣.

(٤) كتاب سيبويه ٤/ ٥٤.

للمريد؛ قاله الهَرَوي في «منازل السائرين»(١) **(ولكن الورع له أربع مراتب:**

الأولىٰ: الورع الذي يُشترَط في عدالة الشهادة) عند التزكية **(وهو الذي يخرج بتركِه الإنسانُ عن أهلية الشهادة)** عند القضاة **(والقضاء)** علىٰ الأحكام الشرعية بالتولية عليها **(والولاية)** للمناصب الشرعية كالحِسْبة وغيرها **(وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر)** وقد تقدَّم تعريف العدالة، وقد قسَّمه الهروي في «منازل السائرين» علىٰ ثلاث درجات فقال: الأولىٰ: تجنُّب القبائح؛ لصَوْن النفس، وتوفير الحسنات، وصيانة الإيمان.

(الثانية: ورع الصالحين، وهو التَّوَقِّي) أي التحفُّظ **(عن الشُّبهات التي تتقابل فيها الاحتمالاتُ)** هل هو حرام أمْ حلال؟ وقال الهروي في «منازل السائرين»: الثانية: حفظ الحدود عند ما لا بأس به إبقاءً علىٰ الصيانة والتقوىٰ وصعودًا علىٰ الدناءة(٢)، وتخلُّصًا عن الاقتحام في الحدود.

(قال ﷺ: دَعْ ما يريبك) بفتح الياء وضمِّها، والفتح أفصح، أي: ما يوقعك في الريب **(إلىٰ ما لا يريبك)** والأمر(٣) للندب؛ لِما أن توقِّي الشبهات مندوب لا واجب علىٰ الأصح، أي: اتركْ ما تشك فيه [من الشبهات] واعدلْ إلىٰ ما لا تشكُّ فيه من الحلال البيِّن؛ لأن مَن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لعِرْضه ودينه، والمعنىٰ: أن مَن أشكل عليه شيءٌ والتبس ولم يتبيَّن أنه من أيِّ القَبِيلين [هو] فليتأمَّلْ فيه إن كان من أهل الاجتهاد، وليسأل المجتهدين إن كان من أهل التقليد، فإن وجد ما تسكن به نفسُه ويطمئن به قلبه وينشرح به صدرُه فليأخذه وإلا فليَدَعه وليأخذ بما لا شبهة فيه ولا ريبة. هذا طريق الورع والاحتياط.

---

(١) منازل السائرين لعبد الله الهروي ص ٣١ (ط - دار الكتب العلمية).

(٢) في المطبوعة: وصيانة عند الدناءة. والتصويب من منازل السائرين.

(٣) فيض القدير ٣/ ٥٢٨. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

قال العراقي: رواه الترمذي[١] والنسائي[٢] من رواية أبي الحوراء عن الحسن ابن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره، زاد الترمذي: فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب رِيبة. وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه ابن حبان في صحيحه[٣].

قلت: أخرجه من رواية شعبة أخبرني بُرَيد بن أبي مريم سمعت أبا الحوراء السعدي يقول: قلت للحسن بن علي: ما تذكر عن رسول الله ﷺ؟ قال: كان يقول ... فذكره.

وأخرجه كذلك أحمد[٤] والدارمي[٥] وأبو يعلىٰ[٦] والطيالسي[٧] بتلك الزيادة، وعند الطبراني في الكبير[٨] والبيهقي[٩] والحاكم[١٠]: وإن الشر رِيبة، بدل: وإن الكذب. وعند ابن قانع[١١] بلفظ: فإن الصدق ينجي. وقال الذهبي في حديث الحسن هذا: سنده قويٌّ. وأخرجه الحاكم في التاريخ[١٢] بهذا اللفظ عن أبي الدرداء

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٢٨٦.

(٢) سنن النسائي ص ٨٥٥.

(٣) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٩٨.

(٤) مسند أحمد ٣/ ٢٤٩، ٢٥٢.

(٥) سنن الدارمي ٢/ ٣٢٠.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ١٢/ ١٣٢.

(٧) مسند الطيالسي ٢/ ٤٩٩.

(٨) المعجم الكبير ٣/ ٧٥.

(٩) السنن الكبرىٰ ٥/ ٥٤٦.

(١٠) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٦ - ١٧.

(١١) لم أقف عليه في معجم الصحابة لابن قانع. وانظر: كنز العمال ٣/ ٤٢٩.

(١٢) ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٤٦ عن قتادة أن بشير بن كعب قرأ هذه الآية ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لجاريته: إن دريت ما مناكبها فأنت حرة لوجه الله. قالت: فإن مناكبها جبالها. فكأنما سفع وجهه ورغب في جاريته، فجعل يسأل عن ذلك، فمنهم من يأمره، ومنهم من ينهاه حتىٰ لقي أبا الدرداء فذكر ذلك له، فقال: دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك، فإن الخير في طمأنينة وإن الشر في ريبة. فترك ذلك. وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٤/ ٦١٢ مختصرا وعزاه لابن المنذر.

ووقفه عليه.

ثم قال العراقي: ورواه أيضًا أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده[١] من رواية عبيد بن القاسم عن العلاء بن ثعلبة عن أبي المليح الهُذَلي عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ في أثناء حديث، وعبيد بن القاسم ضعيف جدًّا منسوب إلىٰ الكذب والوضع[٢].

ورواه الطبراني في الكبير[٣] من رواية بقية بن الوليد حدثني إسماعيل بن عبدالله الكِنْدي عن طاووس عن واثلة قال: قلت: يا نبي الله ... فذكر الحديث، وفيه: فإن الخير طمأنينة، والشك ريبة. وإسماعيل مجهول.

قلت: وكذلك رواه أبو عبد الرحمن السُّلَمي في أماليه.

ثم قال العراقي: ورواه الطبراني في الصغير[٤] من رواية عبد الله بن أبي رومان عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ، ولا أصل له من حديث مالك، وابن أبي رومان ضعيف.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية[٥] من رواية أبي بكر بن راشد عن عبد الله ابن أبي رومان، وقال: إنه غريب من حديث مالك، تفرَّد به ابن أبي رومان عن ابن وهب.

وأخرجه الخطيب في التاريخ[٦] في ترجمة الباغندي من حديث قتيبة عن مالك بزيادة: فإنك لن تجد فَقْدَ شيء تركتَه لله. ثم قال: هذا باطل بهذا الوجه،

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ٤٧٦.

(٢) انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٢١.

(٣) المعجم الكبير ٢٢/ ٨١.

(٤) المعجم الصغير ١/ ١٨٠.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٢.

(٦) تاريخ بغداد ٣/ ٦٧٣.

وإنما اشتهر به ابن أبي رومان عن ابن وهب عن مالك، وهو ضعيف، والصحيح عن مالك من قوله، وقد سرقه [محمد بن عبد بن عامر من][١] ابن أبي رومان.

وقال الجلال في جامعه الكبير نقلا عن الخليلي[٢]: الصواب وَقْفُه علىٰ ابن عمر.

قال العراقي: ورواه أبو الشيخ في كتاب الطبقات[٣] من رواية صالح بن موسىٰ عن المغيرة عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره. وصالح بن موسىٰ القرشي منكر الحديث؛ قاله البخاري[٤].

ورواه الطبراني في الكبير[٥] من رواية طلحة بن زيد عن راشد بن أبي راشد قال: سمعت وابصة بن معبد يقول: سألتُ رسول الله ﷺ عن كل شيء، حتىٰ سألته عن الوسخ الذي يكون في الأظفار، فقال: «دَعْ ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك». وطلحة ضعيف[٦].

ورواه أحمد في مسنده[٧] من رواية أبي عبد الله الأَسْدي - بسكون السين - عن أنس رفعه ... فذكره. وأبو عبد الله الأسدي قال أبو حاتم: مجهول، تفرَّد

---

(١) زيادة من تاريخ بغداد.

(٢) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي ١/ ٤١٧ (ط - مكتبة الرشد بالرياض).

(٣) طبقات المحدثين بأصبهان ٤/ ٩١.

(٤) التاريخ الكبير ٤/ ٢٩١.

(٥) المعجم الكبير ٢٢/ ١٤٧.

(٦) قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٣٣٨: « طلحة بن زيد، ضعفه أبو حاتم». ثم ذكر راوياً آخر يسمىٰ بذات الاسم فقال: «طلحة بن زيد الرقي، وقيل الكوفي، وقيل الشامي، نزيل واسط، يقال: إنه قرشي، والظاهر أنه الأول، لكن فرق بينهما ابن أبي حاتم». ثم نقل تضعيفه عن البخاري والنسائي وابن حبان وابن المديني والعقيلي.

(٧) مسند أحمد ٢٠/ ٢٢ - ٢٣.

عنه يحيىٰ بن أيوب المصري، وهو معروف، وسمَّاه بعضهم: عبد الرحمن بن عيسىٰ[١].

قلت: وقال الهيثمي[٢]، وهو رفيق العراقي في الشيوخ: أبو عبد الله الأسدي لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

ثم إن المصنِّف أورده في المرتبة الثانية من الورع إشارةً إلىٰ أن المعنيَّ به[٣] هم أرباب الصلاح ذوو البصائر والعقول المرتاضة والقلوب السليمة، فإن نفوسهم بالطبع تصبو إلىٰ الخير وتنبو عن الشر؛ فإن الشيء يتحبَّب إلىٰ ما يلائمه، وينفر عمَّا يخالفه، فيكون ما يُلهَمه الصواب غالبًا، علىٰ أنه يمكن حملُ هذا الحديث علىٰ سائر مراتب الورع؛ لأن عمومه يقتضي وقوع الريبة في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الأحكام الظاهرة والباطنة، وأن ترك الريبة في كل ذلك ورع. قالوا: وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وأصل في الورع الذي عليه مَدار اليقين. وقال العسكري: لو تأمَّل الحُذَّاق هذا الحديث لتيَّقنوا أنه استوعب كلَّ ما يُتجنَّب في الشبهات. والله أعلم.

(**وقال ﷺ: الإثم حَزَّاز القلوب**) هكذا في النسخ بزاءين مكرَّرتين، الأولىٰ مشدَّدة، فَعَّال من الحَزِّ؛ حكاه ابن الأثير[٤] عن رواية شَمِر، ويُروَىٰ: حَوَازُّ القلوب، بتخفيف الواو بعد الحاء، وآخره زاي مشدَّدة، جمع حازٍّ، وبه جزم الهروي في الغريبين[٥]، وصدَّر

---

(١) وسماه الذهبي في الميزان ٤/ ٥٤٨: أبو عبد الغفار الأزدي، وقال: «عن أنس، وعنه يحيىٰ بن أيوب المصري، مجهول».

(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٣٢.

(٣) فيض القدير ٣/ ٥٢٩ - ٥٣٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٧٨، والرواية التي حكاها ابن الأثير عن شمر هي: حوَّاز القلوب، بتشديد الواو.

(٥) الغريبين في القرآن والحديث ٢/ ٤٣٢ (ط - مكتبة الباز).

به ابنُ الأثير كلامه في النهاية وقال: هي الأمور التي تؤثر في الشيء[١] كما يؤثِّر الحَزُّ في الشيء وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصي لفَقْد الطمأنينة إليها، يقال إذا أصاب مِرْفق البعير طرف كِرْكِرَته فقطعه وأدماه قيل: به حازٌّ. وحكىٰ الهروي عن الليث: هو ما حزَّ في صدرك وحكَّ ولم يطمئن إليه القلب. قال ابن الأثير: ويُروَىٰ بتشديد الواو وتخفيف الزاي؛ حكاه عن شمر أيضًا.

قلت: وهذه أوردها الصاغاني في «التكملة» وقال: معناه: ما يحوز القلوبَ ويغلِب عليها[٢].

هذا ما يتعلق باللغة والروايات.

قال العراقي: رواه البيهقي في الشُّعَب[٣] من طريق سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «الإثم حواز القلوب». قال: المعروف أنه من قول ابن مسعود قال: الإثم حواز القلوب، وما كان من نظرة فإن للشيطان فيها مطمعًا. وإسناده صحيح، رويناه في مسند العدني[٤] حدثنا سفيان عن منصور عن محمد ابن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن ابن مسعود، وكذا رواه الطبراني في الكبير[٥] موقوفًا.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية[٦] كذلك موقوفًا علىٰ عبد الله، رواه من رواية جرير عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال: قال عبد الله: إيَّاكم وحزائز القلوب، وما حَزَّ في قلبك من شيء فدَعْه.

---

(١) نص النهاية: هي الأمور التي تحز فيها، أي توثر، كما ... الخ.

(٢) انظر: تاج العروس ١٥/ ١٢٥.

(٣) شعب الإيمان ٧/ ٣٠٧.

(٤) إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ٤/ ٤٤٤.

(٥) المعجم الكبير ٩/ ١٦٣.

(٦) حلية الأولياء ١/ ١٣٥.

قال العراقي: وقد ورد معناه مرفوعًا في عدَّة أحاديث، منها حديث النواس بن سمعان: «الإثم ما حاكَ في نفسك وكرهتَ أن يطَّلع عليه الناسُ»[١]. ومنها حديث وابصة بن معبد: «الإثم ما حاكَ في نفسك وتردَّد في الصدر»[٢]. ومنها حديث واثلة: «والإثم ما حاكَ في الصدر»[٣].

(**الثالثة: ورع المتَّقين، وهو تركُ الحلال المحض**) أي الخالص الذي لا شبهة فيه ولا رِيبة (**الذي يُخاف منه أداؤه**) أي وقوعه وإفضاؤه (**إلىٰ الحرام**) وإطلاق الورع عليه بطريق الاستعارة، كما تقدَّمت الإشارةُ إليه (**قال ﷺ: لا يكون الرجل من المتَّقين حتىٰ يَدَعَ ما لا بأس به حذرًا ممَّا به بأس**) وفي رواية: مخافةً مما به بأس.

قال العراقي: رواه الترمذي[٤] وابن ماجه[٥] من رواية عبد الله بن يزيد قال: حدثني ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السَّعْدي -وكان من أصحاب النبي ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلُغ العبدُ أن يكون من المتقين ...» فذكره وقال: لِما به بأسٌ. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ورواه الحاكم في المستدرك[٦] وقال: حديث صحيح الإسناد.

قلت: وأخرجه كذلك الطبراني في الكبير[٧] والبيهقي[٨] بهذا اللفظ.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١١٩٠.

(٢) سيأتي هذا الحديث قريبا.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ من حديث واثلة، وإنما رواه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٤٤ بلفظ: قلت: يا رسول الله، أفتني عن أمر لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: «استفت نفسك وإن أفتاك المفتون».

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٤٢.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٦١٩.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٢.

(٧) المعجم الكبير ١٧/ ١٦٩.

(٨) شعب الإيمان ٧/ ٤٩٦.

(**وذلك مثل التورُّع عن التحدُّث بأحوال الناس**) وأمورهم التي تحدُث لهم (**خيفةً من الانجرار**) والانسحاب (**إلىٰ الغِيبة**) المحرَّمة (**و**) مثل (**التورُّع عن أكل الشهوات**) أي مما تشتهيه النفسُ (**خِيفةً من هيجان**) أي ثوران (**النشاط**) أي الخِفَّة والإسراع (**والبَطَر**) وهو أخفُّ من النشاط؛ لأنه دَهَشٌ يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وعدم القيام بحقها وصرفها عن وجهها[1] (**المؤدِّي**) أي الموصِّل (**إلىٰ مقارفة**) أي ملابسة (**المحظورات**) الشرعية.

(**الرابعة: ورع الصِّدِّيقين، وهو الإعراض عمَّا سوىٰ الله تعالىٰ**) وتركُ النظر عن السوَىٰ بالكلية (**خوفًا من صرف ساعة من العمر إلىٰ ما لا يفيد زيادةَ قربٍ عند الله تعالىٰ**) وإليه الإشارة بالحديث المتقدِّم: «إذا أتىٰ عليَّ يومٌ لا أزداد فيه تقرُّبًا إلىٰ الله تعالىٰ فلا بوركَ لي في طلوع شمس ذلك اليوم» (**وإن كان يعلم ويتحقَّق أنه لا يفضي إلىٰ حرام**) وجعل الهرويُّ في «منازل السائرين»[2] من هذه الرابعة ثالثةً وفسَّرها بقوله: هو التورُّع عن كل داعية تدعو إلىٰ شتات الوقت والتعلُّق بالتفرُّق وعارضٍ يعارض حال الجمع[3].

واستدلَّ علىٰ الكل بقوله تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر:٤] ا.هـ. والمصنف جعل له أربع مراتب وأضافها لأربابها، فالأولىٰ هي مرتبة أهل الظاهر من العلماء، والثانية هي مرتبة الصالحين، والثالثة هي مرتبة المتَّقين، وهم أعلىٰ درجة من الصالحين، كما أن الصالحين أعلىٰ رتبة من مطلَق أهل العلم، والرابعة هي مرتبة الصِّدِّيقين، وهي آخر المراتب الرفيعة، ولذلك جاز أن يعني بالصديقين ما هو أعم ليشمل النبيين؛ إذ كل نبيٍّ صِديقٌ، ولا عكس، فتأمَّلْ.

---

(١) المفردات للراغب ص ٥٠، وفيه: وقلة القيام بحقها وصرفها إلىٰ غير وجهها.

(٢) منازل السائرين ص ٣٢.

(٣) في المطبوعة: يعارض الوقت. والمثبت من منازل السائرين.

(فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه) لا يتكلم عليها **(إلا الدرجة الأولىٰ وهو ورع الشهود والقضاة)** وولاة الأحكام الشرعية **(وما يقدح في العدالة)** فإنَّ الفقيه يتكلم فيها **(و)** لا يخفَىٰ أن **(القيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة)** ولا يُقبَل عذره في ترك التحقُّق ببقية المراتب **(قال رسول الله ﷺ لوابصة)**[١] ابن معبد الأسدي، يكنَّىٰ أبا سالم وأبا الشعثاء وأبا سعيد[٢]، من خيار الصحابة، وفد سنة تسع، روىٰ عن النبي ﷺ وابن مسعود، وعنه ولداه سالم وعمر وزر بن حُبَيش وشدَّاد مولىٰ عياض وراشد بن سعد وزياد بن أبي الجعد، نزل في الجزيرة؛ كذا في الإصابة.

وقال بكَّار: قبره بالرقة **(استفتِ قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك)** هكذا بالتكرار ثلاث مرَّات في سائر النسخ. قال العراقي: رواه أحمد في مسنده[٣] فقال: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سَلَمة عن الزبير أبي عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مِكْرَز عن وابصة قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ... وفيه: «يا وابصة، استفتِ نفسك، البر ما اطمأن إليه القلبُ، واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاكَ في القلب وتردَّد في الصدر وإن أفتاك الناسُ وأفتوك». وقال في رواية له[٤] عن الزبير عن أيوب ولم يسمعه منه قال: حدثني جلساؤه وقد رأيتُه عن وابصة، وقال: استفتِ قلبك، واستفتِ نفسك، ثلاث مرَّات ... الحديث.

قلت: وهكذا أخرجه أيضًا الدارمي[٥] وأبو يعلىٰ[٦] في مسنديهما والطبراني

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١٠/ ٢٨٩.

(٢) وفي الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٣٤٠ أن وابصة يكنىٰ أبا شداد، ويقال أبا قرصافة.

(٣) مسند أحمد ٢٩/ ٥٢٧.

(٤) مسند أحمد ٢٩/ ٥٣٢.

(٥) سنن الدارمي ٢/ ٣٢٠.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ١٦١ - ١٦٢.

في الكبير[١] وأبو نعيم في الحلية[٢] من رواية أيوب، وسياق سند الدارمي حسن؛ نبَّه عليه النووي في رياضه[٣]، وفي سياق سند الطبراني العلاء بن ثعلبة، وهو مجهول[٤].

وأخرجه أيضًا البخاري في التاريخ[٥]، وله أشار الجلال في جامعه الصغير[٦] مقتصرًا عليه، وهو قصور، ولفظه: «استفتِ نفسك وإن أفتاك المفتون». ولم أرَ في طرق المخرِّجين لهذا الحديث تكرار قوله «وإن أفتوك» ثلاث مرات، إلا أن صاحب القوت بعدما ذكر الحديث بالسياق المشهور قال[٧]: وقد جاء بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال: استفتِ قلبك وإن أفتوك وأفتوك.

والمصنِّف تبعه في سياقه، فتأمَّلْ.

وسيأتي للمصنف التعرُّض لهذا الحديث فيما بعدُ.

والمعنى[٨]: استفتِ نفسك المطمئنة الموهوبة نورًا يفرِّق بين الحق والباطل. وعلى الرواية الثانية: عوِّلْ على ما في قلبك، والتزم العمل بما أرشدك إليه وإن أفتاك الناس بخلافه؛ لأنهم إنما يطَّلعون على الظواهر، والكلام فيمن شرح الله صدره بنور اليقين فأفتاه غيرُه بمجرَّد حدس وتخمين[٩] من غير دليل شرعي وإلا لزمه اتِّباعه وإن لم ينشرح له صدرُه، وهذا إذا كان الخطاب عامًّا.

---

(١) المعجم الكبير ٢٢/ ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٤.

(٣) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ص ١٩٨ (ط - دار ابن كثير).

(٤) انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٩٧.

(٥) التاريخ الكبير ١/ ١٤٤.

(٦) انظر: فيض القدير ١/ ٤٩٥.

(٧) قوت القلوب ١/ ٢٦٢.

(٨) فيض القدير ١/ ٤٩٥.

(٩) في الفيض: حدس أو ميل.

قال العراقي: وفي الباب عن واثلة[١]، ولفظه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لِتُفْتِنا عن أمر نأخذه عنك من بعدك[٢]. قال: «لِتُفْتِك نفسُك». قال: فقلت: وكيف لي بذلك. قال: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون ...» الحديث.

وقال السخاوي[٣]: وفي الباب عن النوَّاس بن سمعان وغيره.

(**والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب**) التي تؤثِّر فيها (**وكيفية العمل بها**) ومعالجتها (**بل فيما يقدح في العدالة**) الظاهرة ممَّا يتعلق بالولايات في ستوط الشهادة وعدمه (**فقط. فإذًا جميعُ نظر الفقيه يرتبط بالدنيا التي فيها صلاح طريق الآخرة**) وفي بعض النسخ: مرتبط، وبها بدل: فيها (**فإن تكلم**) يومًا (**في الإثم**) وما ينشأ منه (**وصفات القلب**) المحمودة والمذمومة (**وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه علىٰ سبيل التطفُّل**) والاستتباع، غير مقصود بالذات (**كما قد يدخل في كلامه**) تارةً (**شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام**) فكل ذلك علىٰ سبيل التبعية (**وكما تدخل الحكمة في النحو والشِّعر**) استطرادًا (**وكان سفيان**) ابن سعيد (**الثوري**) رحمه الله تعالىٰ، يأتي ذِكرُه قريبًا (**وهو إمام في علم الظاهر**) جليل القَدْر، صاحب فتوىٰ وحديث (**يقول**) مع جلالة قَدْره في العلم: (**إن طلب هذا**) أي علم الحديث (**ليس من زاد الآخرة**) نقله صاحب القوت[٤]، وإنما[٥] قال ذلك سفيان لأن حب الإسناد وشهوة الرواية غلبا علىٰ قلبه حتىٰ كان يحدِّث عن الضعفاء ومَن لا يُحتَجُّ بروايته، فمَن اشتهر منهم باسمه ذكر كنيته تدليسًا للرواية عنه، فخاف علىٰ نفسه من ذلك، ولم يجعله من زاد الآخرة. وسيأتي الكلام عليه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في المطبوعة: عن أمرنا فآخذه من بعدك. والتصويب من مسند أبي يعلىٰ.

(٣) المقاصد الحسنة ص ٥٧. وتقدم تخريج حديث النواس قريبا.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٣٣.

(٥) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ١١٩.

في آخر الباب الخامس من هذا الكتاب (**كيف وقد اتَّفقوا**) وأجمعوا (**علىٰ أن الشرف**) المقصود لذاته (**في العلمِ العملُ به**) علىٰ وجهه (**فكيف يُظَنُّ أنه علم الظِّهار واللِّعان والسَّلَم والإجارة والصرف**) وغيرها من أحكام المعاملات (**ومَن تعلَّم هذه الأمور**) وانفرد في تدقيقاتها ومعرفة الراجح منها من المرجوح (**ليتقرَّب بتعاطيها**) وتناوُلها (**إلىٰ الله تعالىٰ فهو مجنون**) غُطِّي علىٰ عقله وشُبِّهَ عليه (**وإنما الأعمال بالقلب**) أي بإحضاره (**والجوارح**) معًا (**في**) سائر (**الطاعات**) والتقرُّبات (**والشريف هو**) علم (**تلك الأعمال**) وهذا تقرير واضح، وقد أنكر عليه المغاربةُ لمَّا وصل إليهم الكتاب، وأقاموا عليه النكيرَ، وقالوا: كيف يقول للعالِم بالأحكام الشرعية إنه مجنون؟!

(**فإن قلتَ: قد سوَّيت بين الفقه والطب؛ إذ الطب أيضًا يتعلَّق بالدنيا**) ومصالحها (**وهو صحة الجسد**) التي فيها قوام المعاش (**وذلك يتعلق به أيضًا صلاحُ الدين**) من جهة القيام بالأوامر والنواهي (**وهذه التسوية**) بينهما في المنزلة (**تخالف إجماعَ المسلمين**) أي لمَّا جعلتَ الفقه به نظام مصالح الدنيا المنوط به نظام مصالح الدين، فهو في الدرجة الثانية من علوم الآخرة، وعلم الطب أيضًا كذلك؛ لأن موضوعه بدن الإنسان، والبحث عن كيفية صحة المزاج وفساده، فهو أيضًا منوط به نظام مصالح الدنيا، فيكون من علوم الآخرة بالمرتبة الثانية، ولزم بذلك التسويةُ بينهما، وهو خلاف ما عليه الناس من شرف علم الفقه وعلوِّ منزلته، فإذا ساواه علمُ الطب في منزلته لزم أن يكون مثله، وليس كذلك (**فاعلمْ أن التسوية غير لازمة**) أي: إذا وُجدت التسويةُ بينهما من هذا الوجه فغير لازم أن يساويه في سائر المراتب (**بل بينهما فرقٌ**) بوجوه أُخَر، وأشار لذلك بقوله: (**وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجُهٍ:**

أحدها: أنه علم شرعي) مستنده الكتاب والسنَّة وآثار الصحابة والإجماع، وهذا معنىٰ قوله: (**أي مستفاد من النبوَّة، بخلاف**) علم (**الطب؛ فإنه ليس**) هو (من

علم الشرع) بل مَداره علىٰ التجارب، وهي تختلف.

(والثاني: أنه لا يستغني عنه أحدٌ) في سائر الأحوال **(من سالكي طريق الآخرة ألبتةَ، لا الصحيح ولا المريض، وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضىٰ)** خاصةً **(وهم الأقلُّون)** أي بالنسبة إلىٰ الأصحَّاء، ولا حكم للأقلِّ.

(والثالث: أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة) باعتبارات كثيرة **(لأنه نظرٌ في أعمال الجوارح، ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب، والمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية)** أي المخلِّصة **(في الآخرة، والمذموم يصدر من المذموم، وليس يخفَىٰ اتصالُ الجوارح بالقلب)** بهذا الاعتبار **(وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء في المزاج)** وهي كيفية متشابهة [يحصل] من تفاعل عناصر متفقة الأجزاء المماسَّة بحيث تكسر سَوْرة كلٍّ منها سَوْرة الآخَر[1] **(والأخلاط)** جمع خلط، وهي الطبائع الأربعة[2] التي عليها بِنْية الإنسان **(وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب، فمهما أُضيفَ)** أي نُسب **(الفقه إلىٰ الطب ظهر شرفُه)** ومزيته **(وإذا أُضيفَ علم طريق الآخرة إلىٰ الفقه ظهر أيضًا شرف علم طريق الآخرة)** وهو فرقٌ ظاهر.

(فإن قيل: فَصِّل لي علم طريق الآخرة تفصيلاً) يتَّضح للأذهان **(يشير)** بذلك **(إلىٰ تراجمه)** جمعُ ترجمة، والتاء زائدة، وقيل: أصلية، يقال: ترجم كلامَ غيره: إذا عبَّر عنه بلغة غير [لغة][3] المتكلِّم، واسم الفاعل: تَرْجُمان، وفيه لغات[4] **(وإن لم**

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٢٤. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) الطبائع (أو العناصر) الأربعة عند القدماء هي: الماء، والهواء، والنار، والتراب.

(٣) زيادة من المصباح المنير ص ٢٩.

(٤) في المصباح: أجودها فتح التاء وضم الجيم، والثانية ضمهما معا بجعل التاء تابعة للجيم، والثالثة فتحهما بجعل الجيم تابعة للتاء.

. انظر تاج العروس ٣١/ ٣٤٤. الصحاح للجوهري ٥/ ١٩٢٨.

يمكن استقصاءُ تفاصيله فاعلمْ أنه) أي علم الآخرة **(قِسمان: علم معاملة)** وقد تقدَّم ذِكرُه **(وعلم مكاشفة، فالقسم الأول: علم المكاشفة، وهو علم الباطن)** وهو العلم بالله عَزَّوَجَلَّ الدال عليه، الرادُّ إليه، الشاهد بالتوحيد له من علم الإيمان واليقين وعلم المعرفة **(وذلك غاية العلوم)** كلِّها، وإليه تنتهي هِمَمُ العارفين، لا يوجد وراءه مرمَىٰ للأنظار **(فقد قال بعض العارفين)** فيما نقله صاحب القوت[1]: **(من لم يكن له نصيب)** أي حظٌّ **(من هذا العلم)** أي علم الباطن **(أخاف عليه سوء الخاتمة)** ولا سبيل إلىٰ معرفته إلا بالذوق الصحيح، ولا يكاد يلتذُّ به إذا جاء من غير نبي إلا أصحاب الأذواق السليمة، وهو فوق طَوْر العقل، ولذا ربما مَجَّتْه العقولُ الضعيفة التي لم توفِّ النظرَ والبحث حقَّه، ولهذا كان صاحبه إذا أراد أن يفهم منه لأصحاب الظاهر فلا بد له من ضرب الأمثال الكثيرة والمخاطبات الشِّعرية، وقد يتسارع إلىٰ الإنكار علىٰ صاحبه، وذلك لأنه فوق طَوْر العقل، ويحصل من نفث روح القُدُس، يخصُّ به تعالىٰ النبيَّ والولي[2]، لا يكون لغيرهما، وعلوم المجتهدين كلُّها من هذا الباب، لكنهم أفصحوا في العبارة ففهمها الناس ولم ينكروها عليهم.

وقال القطب الشَّعْراني رحمه الله تعالىٰ: وكان أخي أفضل الدين يتكلم علىٰ الآية من سبعين وجهًا ويقول: حقيقة العلوم التي تسمَّىٰ باطنًا إنما هي من علوم الظاهر؛ لأنها ظهرت للقائل بها، ولو أنها بطنت منه لَما اهتدىٰ لفهمها ولا لِذكرها. فقلت له: صحيحٌ ذلك، ولكن ذلك خاصٌّ بأجَلِّ الكُمَّل.

فقال: نعم؛ فإن الظاهر هو المعقول والمقبول الذي تكون منه العلوم النافعة والأعمال الصالحة، وأما الباطن فإنما هو المعارف الإلهية التي هي روح تلك العلوم المعقولة المقبولة.

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٩٤.

(٢) انظر: الفتوحات المكية لابن عربي ١/ ١٤٠، ١٤٧.

(**وأدنىٰ نصيبٍ منه**) إذا لم يمكنه التحلِّي به (**التصديق به**) جزمًا من غير تردُّد ولا شكٍّ (**وتسليمه لأهله**) بعدم الإنكار عليهم بقبول ما يَرِد من جهتهم بانشراح صدر وعدم اختلاج باطن، فيكون في منزلة المحبِّين لهم؛ فإن مَن ينكر علىٰ أولياء الله الوارثين لعلوم أنبياء الله يُخاف عليه سوء الخاتمة، والسلام علىٰ أهل التسليم.

(**وقال آخَر**) فيما أورده أيضًا صاحب القوت[١]: (**مَن كان فيه خصلتان**) أي مَن وُجدتا فيه (**لم يُفتَح له بشيء من هذا العلم**) أي علم الباطن: (**بدعة**) وهي الفعلة المخالفة للسنَّة (**أو كِبْر**) أن يرىٰ نفسه أكبر من غيره.

وقال الجُنَيد[٢]: أعلىٰ درجات الكِبْر أن ترىٰ نفسك، وأدناها أن تخطر ببالك. يعني نفسك.

(**وقيل: مَن كان محبًّا للدنيا**) مائلاً إلىٰ شهواتها، وكذا محبًّا لأهلها والعلوم تقرِّبه إليها (**أو مصرًّا علىٰ هوىٰ**) نفسي أو شيطاني (**لم يتحقَّق به**) أي بعلم الباطن، ولا يكون له منه نصيب (**وقد يتحقَّق بسائر العلوم**) الظاهرة (**وأقل عقوبةِ مَن ينكره أن لا يُرزَق**) وفي نسخة: أن لا يذوق (**منه شيئًا**) أي يكون سببًا لحرمانه من هذا العلم. وعبارة القوت[٣]: أن لا يُرزَق منه شيءٌ أبدًا؛ هكذا عن أبي محمد سهل التستري.

وقال أبو تراب النخشبي، وهو من رجال الرسالة: إذا أَلِفَ القلبُ الإعراضَ عن الله صحبتْه الوقيعةُ في أولياء الله[٤].

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٩٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٨. طبقات السبكي ٢/ ٢٦٦.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٩٤.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٤٤٠.

أي لأنه أدبر عن النور، وأقبل علىٰ الظلام، فقاس حالَ أهل الله علىٰ حال نفسه.

وفي القوت[١]: مَن لم تكن له مشاهَدة من هذا العلم لم يُعْرَ عن شكٍّ أو عن نفاق؛ لأنه عارٍ عن علم اليقين، ومَن عري عن علم اليقين وُجد فيه دقائق الشك.

ونقل الشعراني عن القطب أبي الحسن الشاذلي قدَّس الله سرَّه: مَن لم يتغلغل في علوم القوم مات علىٰ غير سنَّة، فيُخشَىٰ عليه سوء الخاتمة.

وفي كتاب «القصد والسَّداد» لبعض السادة من أهل اليمن: قال القطب السيد عبد الله بن أبي بكر العيدروس قدَّس الله سرَّه: عليك بحُسن الظن بالصالحين ومحبة مُحب محبِّهم، فهو من أعلىٰ المَراتب وأجَلِّ المواهب، ولصاحبه سابقة وعناية وتخصيص وهداية، وسوء الظن مذموم مطلقًا.

وقال آخَر: عليك بحسن الظن؛ فإنه دليل علىٰ نور البصيرة وصلاح السَّريرة، وكفىٰ به سببًا لحصول السعادة ونيل الدرجات، ومن فوائده فائدةٌ يندرج فيها كل فائدة وهي أنه يورِث حُسن الخاتمة، وثمرته قد لا تظهر إلا عند خروج الروح فيفضي بصاحبه إلىٰ السعادة المتضمِّنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

(ويُنشَد علىٰ قوله:

وارضَ لمَن غاب عنك غيبته ... فذاك ذنب عقابُه فيه[٢]

وهو علم الصِّدِّيقين والمقرَّبين) وعبارة القوت[٣]: واتَّفقوا علىٰ أنه علم

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٩٤.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/ ٧٠ وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص ٣٦١ منسوبـًا لهبة الله ابن التلميذ الطبيب.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٩٤.

الصِّدِّيقين، وأن مَن كان له نصيب منه فهو من المقرَّبين فوق درجة أصحاب اليمين (**أعني علم المكاشَفة، فهو عبارة عن نور**) إلهيٍّ (**يظهر في القلب**) أي قلب العارف يقذفه فيه (**عند تطهيره**) من الأدناس المعنوية، وإليه يشير قولُه تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤] عند مَن فسَّر الثياب بالقلب (**و**) عند (**تزكيته**) أي تصفيته (**من صفاته المذمومة**) وهذا القول من مختارات أقواله، كما سبقت الإشارةُ إليه في أول الكتاب.

وقال بعضهم: المكاشَفة: الحضور بنعت البيان من غير افتقار إلىٰ تأمُّل البرهان[١]، فأُضيفَ العلم إليه.

وقال الشيخ الأكبر[٢]: قد تُطلَق المكاشفة بإزاء تحقيق الأمانة بالفهم، وبإزاء تحقيق زيادة الحال، وبإزاء تحقيق الإشارة.

(**وينكشف من ذلك النور**) أي تتجلَّىٰ له (**أمور كثيرة**) تخلُّقًا وتحقُّقًا (**كأنْ يسمع من قبل**) ذلك (**أسماءها**) نقلاً وتقليدًا (**فيتوَّهم لها**) بحسب فهمه (**معاني مجمَلة**) غير مفصَّلة من غير تحقُّق فيها (**غير مفصِحة**) عن أسرارها، وفي نسخة: غير متَّضحة، أي لغموضها ودِقَّتها (**فتتَّضح**) وتتجلَّىٰ (**إذ ذاك**) بعد تحقُّقه بهذا العلم (**حتىٰ تحصل**) له (**المعرفة الحقيقية بذات الله تعالىٰ**) وحقيقته (**وبصفاته الباقيات التامَّات**) أي الكمالات الذاتية الثبوتية والسلبية والإضافية وغيرها (**وبأفعاله**) أشار بذلك إلىٰ توحيد الذات والصفات والأفعال (**وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة**) وما فيهما من الأسرار العجيبة (**ووجه ترتيبه للآخرة علىٰ الدنيا**) وكونها مزرعةً لها ومُنظِرة إليها (**والمعرفة بمعنىٰ النبوَّة والنبي، و**) يندرج فيه معرفةُ (**معنىٰ الوحي**) وأقسامه ودرجاته الآتي بيانُها في آخر الباب السابع (**ومعنىٰ الشيطان، ومعنىٰ لفظ**

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ٣١٢.

(٢) الفتوحات المكية ٢/ ٥٤٩.

الملائكة) حَمَلة الوحي وأقسامهم **(والشياطين)** ومراتبهم، وكيفية معاداة الشيطان للإنسان، وما سببها، وكيف التحرُّز منهم (و) يندرج في معنىٰ الوحي وحامله معرفةُ **(كيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور المَلَك للأنبياء)** علىٰ الصور المختلفة ومخاطبتهم ومحادثتهم **(وكيفية وصول الوحي إليهم، و)** ينتقل منه إلىٰ **(المعرفة بمَلَكوت السموات والأرض)** أي بحقيقة الأجرام العلوية، وأنها خادمة مستغنىٰ عنها، وما فيها من الملائكة الموكَّلين بها، والكواكب التي خُلقت فيها زينةً لها وهداية لخَلْقه وعلامات لحكم الهيئة، وكذلك الأرض التي جعلها الله مقرًّا لعباده وبما فيها ممَّا أودعه فيها من العجائب، لا كما تزعم الفلاسفةُ من أمور مخرومة القواعد، كثيرة المفاسد، ويندرج فيها معرفةُ الخَلْق وسر التخليق مما تَحارُ فيه العقولُ (و) يرجع بعد هذا إلىٰ **(معرفة القلب)** الذي هو أُنموذج لتلك العوالم وما فيه من العجائب (و) حينئذٍ تنكشف له **(كيفية تصادُم جنود الملائكة والشياطين فيه)** في تعميره بالأنوار والفيوضات، وإفساده بالكلام والأوصاف الذميمة (و) يندرج فيه **(معرفة الفرق بين لَمَّة المَلَك ولَمَّة الشيطان)** ففي بعض الأخبار: «إن للشيطان لَمَّةٌ بابن آدم، وللمَلَك لَمَّة، فأمَّا لَمَّة المَلَك فوعدٌ بالخير وتصديق بالحق، وأما لَمَّة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق» ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨] الآية(١).

وقال(٢) بعض الحكماء: إن وليَّ الله إذا أتته لَمَّةُ الشيطان انزعج لذلك،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٩٤ من حديث عبد الله بن مسعود، وزاد: فمن وجد ذلك فليلعم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرىٰ فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ثم قال: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث أبي الأحوص لا نعرفه مرفوعـًا إلا من حديث أبي الأحوص. وأخرجه كذلك النسائي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٧، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٢٧٨، وأبو يعلىٰ في مسنده ٨/ ٤١٧ . وفيه عطاء بن السائب، وهو ممن اختلط، وقد سمع منه أبو الأحوص بعد الاختلاط.

(٢) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب ص ٤٧.

ورأىٰ ببصيرته ظُلْمة، ووجد روعة، وإذا أتته لمة المَلَك[1] انشرح صدرُه، وأولياء الشيطان بخلافه.

ويندرج في هذا معرفةُ الخاطر الذي يعرِض من جهة الهوىٰ.

(و) يتدرَّج بعد هذا إلىٰ (**معرفة**) دار (**الآخرة**) وعالَمها وعجائبها (**و**) يندرج في هذا العلم معرفةُ (**الجنة والنار**) وما لهما من الأحكام (**و**) ينكشف له هنا معرفةُ (**عذاب القبر**) الذي هو البرزخ بين العالَمينِ (**و**) يندرج في عالَم الآخرة معرفةُ أسرار (**الصراط**) بكيفية المرور عليه، واختلاف أحوال المارِّينَ (**والميزان**) بحقيقة وزن الأعمال وما فيه من الأسرار (و) بحقيقة (**الحساب**) وكيفيته، ومَن يؤتَىٰ كتابه باليمين أو بالشِّمال، وبحقيقة الحوض، ومعرفة مَن يَرِد ممَّن يُذاد عنه، وحينئذٍ تنكشف له أسرارُ جملة من القرآن خصوصًا (**معنىٰ قوله تعالىٰ**: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾) [الإسراء: ١٤] أي محاسبًا لهم؛ لأنه لا يخفَىٰ عليه من أعمالهم شيءٌ (**ومعنىٰ قوله تعالىٰ**: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾) [العنكبوت: ٦٤] الحيوان[2] في الأصل مقرُّ الحياة، ثم يُقال باعتبارين، **أحدهما**: ما له حاسَّة كالحيوانات الحسَّاسة، **والثاني**: ما له بقاء سرمدي، وهو ما وُصفت به الآخرةُ في قوله: ﴿لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ ونبَّه بحرفَي التأكيد بأن الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنَىٰ لا ما يبقىٰ مدةً ثم يفنىٰ. وقيل: الحيوان يقع علىٰ كل شيء حي، ومعناه: مَن صار إلىٰ الآخرة أفلح ببقاء الأبد.

(**و**) يندرج في عالَم الآخرة (**معرفةُ لقاء الله عَزَّوَجَلَّ**) (**و**) معنىٰ (**النظر إلىٰ وجهه الكريم**) ولذَّته (**ومعنىٰ القُرْب منه والنزول في جواره، و**) معرفة (**معنىٰ حصول السعادة**) الأبدية المعبَّر عنها بثمانية أشياء، كما تقدَّمت الإشارة إليه (**بمرافقة الملأ**

---

(١) في الذريعة: لمة الرحمن.

(٢) المفردات للراغب ص ١٣٩. عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ١/ ٤٧٤.

الأعلىٰ) والملأ: جماعةٌ تملأ العيون رِواءً، والقلوب جلالةً وبهاءً[1] **(ومقارنة الملائكة)** فيه تخصيص بعد تعميم **(والنبيين)** والصِّدِّيقين **(و)** معرفة **(معنىٰ تفاوُت درجات أهل الجنِان)** علىٰ اختلاف منازلهم **(حتىٰ يرىٰ بعضُهم البعضَ كما يرىٰ)** أحدُنا **(الكوكب الدُّرِّيَّ)** أي المضيء **(في جو السماء ... إلىٰ غير ذلك مما يطول تفصيلُه)** فممَّا يندرج فيما ذكره: علم العلوم التي تُخلَع علىٰ أهل الجنة إذا دخلوها، وأهلِ النار إذا دخلوها، وقليلٌ مَن يكاشَف بهذا العلم في هذه الدار. وعلم أحكام العوالم التي تحت الأرض السابعة، ومعرفة أحكامهم وطبائعهم. وعلم أحكام الملائكة السَّفَرة، ومعرفة أماكنهم في السموات، ومعرفة علم أسباب العداوات، وعلم كيفية الأفلاك العلوية، وهل السماء أكرة في خيمة أو خيمة في أكرة أو تشبه ذلك؟ وهل تدور الأرض بدورانها أمْ لا؟ وهل النجوم سائرة تسري في السماءِ والسماءُ ساكنة أو السموات دائرة بما فيها؟ وقليلٌ مَن يكاشَف بما الأمر عليه في نفسه، وعلم المشيئة الإلهية، وكيف قبلها الوعيد في عدم الخلود دون الوعد، مع أن النصوص القطعية قد جاءت بعدم خروج الكفار من النار، وعلم شهود سريان الجنة في أجسام الموحِّدين، وسَرَيان النار في أجسام المشركين، وعلم أسباب الطرد عن دخول حضرة الله، وعلم المشاهدات للأعمال الصالحة الصادرة من العبد، وعلم أحكام الرؤية، وكيف صحَّ للبشر مع غِلَظ حِجابه، وعلم شهود الموت لسائر الجواهر والأعراض من جميع ما تضمَّنته هذه الدار، وعلم معرفة أصناف المعذَّبين من هذه الأمَّة، ومعرفة مَن يعذَّب في الدنيا والآخرة ومَن يعذَّب في الآخرة فقط، وعلم الإلهام والنفث في الروع، وعلم معرفة آداب الملائكة مع ربهم، وعلم معرفة الشهود العام، ومنه يُعرَف أن الوجود السفلي مرآة للعالَم العلوي وعكسه، ومنه يشهد العبدُ الجسمَ الواحد في مكانين وفي ألف ألف مكان،

---

(١) نص الراغب في المفردات ص ٤٧٣: «الملأ: جماعة يجتمعون علىٰ رأي فيملئون العيون رواء ومنظرًا، والنفوس بهاء وجلالاً».

فيجد له صورةً في كل ذرَّة، ولا يشهد صورة أحق به من صورة، وعلم انتقالات الأرواح في البرزخ، وعلم مراتب الأعمال وشروطها وأركانها وسُنَنها في حضرة الإسلام وحضرة الإيمان وحضرة الإحسان وحضرة الإيقان وحضرة إسلام الإسلام وحضرة إيمان الإيمان وحضرة إحسان الإحسان وحضرة إيقان الإيقان، وعلم معرفة الدوائر الإلهية ومعرفة كُتَّابها وكيف يكتبون، وعلم معرفة الأعمال التي يتوصَّل منها إلىٰ معرفة منطق الطيور، وعلم الاستحالات الكونية في سائر أحوالها، وعلم التنزُّلات علىٰ القلوب والأبصار والأسماع، ومعرفة العلوم الخاصة بكل لطيفة من هذه الثلاث، وعلم آداب المعارج الروحية في حال الصلاة وما يصل إليه كل مؤمن في معراجه القلبي من الأماكن السماوية، وعلم آداب تلقِّي الملائكة المصاحبين للخواطر، وعلم الحياة والأحياء، وعلم أمَّهات عقائد الخَلْق من سائر الموحِّدين، وعلم آداب الجلوس علىٰ المنصَّات الإلهية حالَ التشهُّد في الصلاة وهي مائة ألف خصلة، وعلم التجلِّيات الليلية والنهارية ومعرفة آدابها، وهو خاص بأهل المراقبة، وعلم خواصِّ الأسماء الإلهية، وبيان أن كل اسم منها له خواصٌّ وإن كان في كل اسم قوةُ جميع الأسماء، وأنها كلها ترجع إلىٰ اسم «الله»، وهو علمٌ شريف، وعلم جواهر القرآن ودُرَره، وعلم تلوينات النفوس والقلوب والأسرار، وعلم الكشف الإلهي وتمييزه عن الكشف الشيطاني وسائر مراتبه، وعلم ما ينفرد به الحق تعالىٰ من العلم دون عباده، وعلم ما ينفرد به النبي دون الولي، والوليُّ عن غيره من مسائل العبادات والمعاملات، وعلم منازل أهل القُربة والآداب المتعلِّقة بها، وعلم مقامات الرسل وما يتميز بها عن غيره، وعلم حضرات الأسماء، وعلم الأخلاق الإلهية، وعلم آداب العبودية، وعلم علامات الساعة وهي ألف علامة كبرىٰ، وعلم أصناف المقرَّبين من جميع العالم حتىٰ مراتب الجمادات، كما

أشار إليه الحديث: «أُحُد جبل يحبنا ونحبه»[١]، وعلم تصورات الأعمال الحسنة والقبيحة، وعلم أحكام الجنود في السموات والأرض، وعلم الحياة الدنيا، ولماذا اختصَّت الدار الآخرة باسم الحيوان مع أن الدنيا مثلها في هذه الصفة عند أهل الكشف.

فهذه وأمثالها علوم شريفة لا تنكشف حقائقُها إلا لمَن قُذف له نور اليقين في قلبه، وكل هذه العلوم داخلة في قِسم علم المكاشفة.

(إذ للناس في) معرفة **(معاني هذه الأمور بعد التصديق)** الجازم **(بأصولها مقاماتٌ)** ومراتب **(شتىٰ، فبعضهم يرىٰ)** ويعتقد **(أن جميع ذلك أمثلة)** وذلك أنه لمَّا رأىٰ أنه لا يُدرَك شيءٌ منها بقياس ولا يُتصوَّر بواسطة لفظ ولا تُحمَل عليه حقيقة وذلك لغرابتها وكثرة غموضها ودقَّة معناها وخروجها عن الحدود المألوفة ومباينتها لكل ما نشأ عليه ولم يشاهدوا غيره من المحسوسات والمعقولات والضروريات والنظريات **(وأن الذي أعدَّ)** وهيأ **(اللهُ لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، وأنه ليس مع الخَلْق من الجنة إلا الصفات والأسماء)** فقط. قال المصنف في الإملاء[٢]: ويُحكَىٰ عن ابن عباس ﵄ أنه قال: ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء **(وبعضهم يرىٰ أن بعضها أمثلة، وبعضها يوافق حقائقَها المفهومة من ألفاظها، وكذا يرىٰ بعضهم أن منتهىٰ معرفة الله ﷿ الاعتراف بالعجز عن معرفته)** ويقول: العجز عن درك الإدراك إدراك، وهذه المقالة قد حُكيت عن حضرة الصِّدِّيق ﵁، ولفظه: العجز عن الإدراك إدراك **(وبعضهم يدَّعي أمورًا عظيمة في المعرفة بالله ﷿)** علىٰ قَدْر المقام

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤٥٩، ٣/ ١١١، ١٨٠ ومسلم في صحيحه ١/ ٦٢٦ من حديث أبي حميد الساعدي مطولا، ومن حديث أنس بن مالك مختصرا. وهذه العبارة قالها النبي ﷺ بعد عودته إلىٰ المدينة من غزوة تبوك.

(٢) الإملاء عن إشكالات الإحياء (ملحق بكتاب الإحياء) ص ٢٩ (ط - مكتبة أسامة بالقاهرة).

الذي أُقيمَ فيه، وبحسب الفيض الذي أُفيضَ عليه **(وبعضهم يقول: حدُّ معرفة الله عَزَّوَجَلَّ ما انتهىٰ إليه اعتقادُ جميع العوامِّ وهو)** معرفته بذاته وصفاته **(أنه موجود عالِم قادر سميع بصير متكلِّم)** ويقتصر علىٰ ذلك **(فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء)** وينكشف الحجاب الظُّلْماني ثم النوراني **(حتىٰ يتَّضح عنده)** ما هو **(الحق)** وفي نسخة: حتىٰ تتضح جليَّة الحق **(في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرىٰ العيان)** والمشاهَدة **(الذي لا يُشَك فيه)** ولا يُمترَىٰ، وهو مرتبة حق اليقين.

وقد ذكر خمسةَ أقوال في هذا المجال، **الأول**: أن جميع ذلك أمثلة من غير حقيقة، **والثاني**: أن بعضها أمثلة وبعضها حقائق، **والثالث**: أنه لا يُعرَف كُنْهُ ذلك من حيث الإحاطة؛ لعجزِ عقول البشر، **والرابع**: الادِّعاء بالمعرفة من حيث الحقائق، **والخامس**: الاقتصار علىٰ ما انتهىٰ إليه اعتقادُ العوامِّ.

ثم قال: ولا يُرفَع الغطاء عن هذه الأمور ويتبيَّن الحقُّ علىٰ ما في نفس الأمر إلا مَن رُزق علم المكاشفة.

(وهذا ممكن في جوهر الإنسان) لِما فيه من القابلية الذاتية التي أُودعَها **(لولا أن مرآة القلب)** المنيرة **(قد تراكم صَدَؤها وخَبَثُها)** أي وسخها **(بقاذورات الدنيا)** أي نجاساتها، وفي حكم ذلك الاشتغالُ بالأعمال التي ليس للآخرة فيها نصيبٌ **(وإنما معنىٰ علم طريق الآخرة)** وفي نسخة: وإنما نعنىٰ بتعلُّم طريق الآخرة **(العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث)** والأدناس **(التي هي الحجاب)** المانع **(عن الله سبحانه وتعالىٰ وعن معرفة صفاته وأفعاله)** كما هي وأسرارها وما يترتَّب عليها **(وإنما)** تتم **(تصفيتها وتطهيرها بالكفِّ)** أي المنع والاحتماء **(عن الشهوات)** التي للنفس فيها تمام الحظ، وفي نسخة: عن الشبهات، وهذا هو التخلِّي **(والاقتداء بالأنبياء صلوات الله عليهم)** أي اتِّباع طريقتهم **(في جميع أحوالهم)** وهذا هو التحلِّي **(فبقَدْر ما ينجلي)** وينكشف **(من القلب ويحاذي)** أي يقابل **(به**

شطر الحق) نحوه **(تتلألأ فيه)** أي تظهر وتلمع **(حقائقُه)** أي العلم المذكور **(ولا سبيل إليه)** أي انجلاء قلبه **(إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها)** أي بإذابة النفس في المجاهدات وتذليلها، ولها آداب وشروط يأتي بيانُها في هذا الكتاب **(في موضعه)** اللائق به **(وبالتعلُّم)** من مرشد حقٍّ، علىٰ حد قوله:

ولا بد من شيخ يريك شخوصَها[1]

وفي نسخة: وبالعلم والتعليم **(وهذه هي العلوم التي)** أُمر بكتمانها، وأنها **(لا تسطَّر في الكتب)** لأنها علوم ذوقية كشفية تُدرَك عن مشاهدة لا عن دليل وبرهان، ولأن المسطور في كتاب يقع في يد الأهل وغير الأهل، فإن لم يكن أهلاً لمعرفته يقع في حيرة عظيمة تترتَّب عليها مفاسدُ **(ولا يتحدَّث بها مَن أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله)** وإلا فقد وضع الشيء في غير محلِّه، وقد نُهي عن ذلك **(وهو)** أي أهله **(المشارك فيه)** بذوقه السليم وفهمه المستقيم، ويكون ذلك التحدُّث **(علىٰ سبيل المذاكرة وبطريق الإسرار)** وقال المصنف في كتابه «المنقذ من الضلال»: إنما يجب علىٰ العلماء بيان ما تبين لهم من الحق لا ما لا يتبين لهم، وليس لهم أن يبينوا لكل أحد ما بين لهم [من] الحق، إنما يبينون لكل أحد ما يبلغه عقله وينتفع به لا غير.

وقال الشيخ الأكبر قُدِّس سره في رسالة أرسلها إلىٰ الشيخ فخر الدين الرازي يقول فيها[2]: وأيضًا، فإن العلم بالله خلاف العلم بوحدانيته، وغاية المعقول أن تعرف الله تعالىٰ من حيث كونه موجودًا أو من حيث السلب والإثبات، وهو خلاف ما عليه الجماعة أصحاب المقامات العلية من العقلاء والمتكلِّمين، إلا سيدنا أبا حامد الغزالي قدَّس الله سره وروحه؛ فإنه معنا في هذه القضية، والله تعالىٰ

---

(١) صدر بيت عجزه: (وإلا فنصف العلم عندك ضائع) وهو في نهاية الأرب للنويري ٨/ ٢١٩ بلا نسبة.

(٢) انظر نص الرسالة كاملًا في كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي ص ٣٤١ (ط - المطبعة الإبراهيمية الكبرىٰ بمصر).

أَجَلُّ أن يعرفه العقل بفكره وبنظره، ولذلك ينبغي للعالي الهِمَّة أن لا يكون تلقِّيه عند هذا من عالَم الخيال وهي الأنوار المتجسِّدة الدالَّة علىٰ معانٍ وراءها؛ فإن الخيال من شأنه أن يُنزِل المعاني العقليةَ في القوالب الحسية، يريك العلم في صورة اللبن، والقرآن في صورة الحبل، والدين في صورة القيد. ثم قال: وينبغي للعاقل أن لا يطلب من العلوم إلا ما تكمل به ذاتُه، وينتقل معه إلىٰ الدار الآخرة[1] ليتأهَّب لها من هذه الدار بالإيمان والتسليم والخوف ... إلىٰ آخر ما قال.

(وهذا هو العلم الخفيُّ الذي أراده ﷺ بقوله: إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل المعرفة بالله تعالىٰ، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار به، فلا تَحْقِروا) بكسر القاف مخفَّفًا من حدِّ ضَرَبَ **(عالمًا آتاه الله تعالىٰ علمًا منه؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ لم يحقره إذْ آتاه العلمَ)** قال العراقي: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين التي جمعها في التصوف[2] من رواية عبد السلام بن صالح عن سفيان ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله عَزَّوَجَلَّ، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرَّة بالله عَزَّوَجَلَّ». ومن طريق السلمي رواه الديلميُّ في مسند الفردوس[3]، وعبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي ضعيف جدًّا.

قلت: وأورده السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» فقال[4]: أخرجه الطبسي في ترغيبه فقال: أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن [أنبأنا][5] أبو علي حامد ابن محمد الرَّفَّاء أخبرنا نصر بن أحمد حدثنا عبد السلام بن صالح ... فساقه، وزاد

---

(١) في الكشكول: وينتقل معه حيث انتقل.

(٢) الأربعون في التصوف للسلمي ص ١٣ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند).

(٣) فردوس الأخبار ١/ ٢٥٨.

(٤) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٢٢١.

(٥) زيادة من اللآلئ.

بعد قوله «إلا أهل الاغترار بالله»: إن الله جامع العلماء يوم القيامة في صعيد واحد فيقول لهم: إني لم أودعكم علمي وأنا أريد أن أعذِّبكم.

وأورده كذلك في كتابه «تأييد الحقيقة العليَّة وتشييد الطريقة الشاذلية»[١] من هذه الطريق، إلا أن فيها: إلا أهل الغرَّة بالله عَزَّوَجَلَّ، كما عند السلمي.

ثم قال: وهذا إسناد ضعيف، وعبد السلام بن صالح كان رجلاً صالحًا، إلا أنه شيعي، وهو من رجال ابن ماجه، وقد اختُلف فيه، فقال أبو حاتم[٢]: لم يكن عندي بصدوق. وقال العقيلي[٣]: رافضي خبيث. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الدارقطني: رافضي متَّهم. وقال[٤] عباس الدوري: سمعت يحيىٰ يوثِّق أبا الصلت. وقال ابن مُحرِز عن يحيىٰ: ليس ممَّن يكذب. وأثنىٰ عليه أحمد بن سيار في «تاريخ مرو».

وقال السيوطي: فالحاصل أن حديثه في مرتبة الضعيف الذي ليس بموضوع. قال: وقد أورد القطب القسطلاني هذا الحديث في كتاب له في التصوف وقال: إن له شاهدًا من مرسَل سعيد بن المسيَّب.

قال العراقي: وأما آخر الحديث فرواه أبو عبد الله الحسين بن فنجويه الدينوري في كتاب «المعلِّمين» من رواية كثير بن سليم عن أنس، فذكر حديثًا طويلاً فيه ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: لا تحقروا عبدًا أعطيتُه علمًا؛ فإنِّي لم أحقره حين وضعتُ ذلك العلمَ في قلبه». وكثير بن سليم ضعيف[٥].

---

(١) تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٥ (ط - المطبعة الإسلامية بمصر).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٤٨.

(٣) الضعفاء للعقيلي ٣/ ٨٢٤.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٦١٦.

(٥) انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٥.

قلت: وأخرجه ابن عدي في الكامل[١] في ترجمة طلحة بن زيد من حديث أبي موسىٰ الأشعري رفعه: «إن الله تبارك وتعالىٰ يقول: لا تحقروا عبدًا آتيتُه علمًا؛ فإني لم أحقره حين علَّمتُه». وطلحة بن زيد متروك.

قال السيوطي: وقد أخرجه الطبراني من طريق صدقة بن عبد الله عن طلحة ابن زيد به.

قلت: ووجدت في كتاب تأليف الشيخ صفي الدين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي المنصور ظافر بن الحسين الأزدي نازل القرافة في ترجمة شيخه عتيق الدمشقي أنه كان مع شيخه أبي النجاء بالموصل، وذكر اجتماعه بقضيب البان[٢]، فسأله عن الشيوخ الذين رآهم حال سياحته من المغرب، فكان يقول قضيب البان عند ذِكر رجل منهم: هذا وزنه كذا، حتىٰ ذكر شيخًا مشهورًا ببلاد المشرق فقال له عند ذِكره: من الرجال مَن يُرفَع صيته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوىٰ عند الله جناح بعوضة. ثم قال قضيب البان: يا أبا النجاء، إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله، ولا ينكره إلا أهل الغرَّة، تمِّمْ هذا الحديث. قال له الشيخ: ما أعرف له تمامًا. قال قضيب البان: تمامه: فلا تحقرنَّ عبدًا آتاه الله علمًا؛ فإن الله لم يحقره حين آتاه ذلك العلم. وودَّع الشيخَ ومضىٰ وسافر[٣].

قلت: وهذا الذي ذكره قضيب البان لقد جاء في الخبر - كما في القوت[٤] -: «إن العبد لَيُنشَر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة».

---

(١) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٤٣٠.

(٢) اسمه الحسن الموصلي، مات بالموصل سنة سبعين وخمسمائة.

(٣) ذكر هذه القصة ابن الملقن في كتابه طبقات الأولياء ص ٤٣٥ (ط - مكتبة الخانجي بالقاهرة) - مع اختلاف في الألفاظ - حتىٰ قوله: جناح بعوضة.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٤٩. وسيذكر الغزالي هذا الخبر في الباب السادس من كتاب العلم.

(وأما القِسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب) مما يُحمَد منها ويُذَمُّ، وقد سبق أن العلم منه المحمود والمذموم، والمأمور بطلبه من العلوم قِسمان: علم بالله، وعلم بأحكام الله. ثم أحكام المكلَّفينَ علىٰ ضربين: ظاهر وباطن، والباطن علىٰ قسمين: مكاشفة ومعاملة، فلما فرغ من بيان علم المكاشفة شرع في بيان علم المعاملة، وقسَّمه كذلك علىٰ قسمين: محمود ومذموم، وذلك لأن علم المعاملة عبارة عن علم بالنفوس ومراتبها وتمامها ونقصها ومحاسنها ومعايبها، ولأجل هذا قال تعالىٰ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢١] وكانت أحكام النفوس منحصرة في وصفين: إما إزالة النقص، أو تحصيل الكمال، فالأول داخل في المذموم نظرًا إلىٰ تلك الأوصاف التي أُمر بإزالتها، والثاني هو المحمود، وقدَّم المصنف ما يُحمَد منها الذي يحصل به الكمالُ علىٰ ما يُذم نظرًا إلىٰ ظاهر الأوصاف ولشرفها، وإلا فكان اللائق تقديم ما عنه يتخلَّىٰ السالكُ علىٰ ما به يتحلَّىٰ، فقال: **(أما ما يُحمَد منها)** أي يستحق الثناء علىٰ الاتِّصاف بها وبه تحصيل كمال كل سالك **(فكالصبر، والفِكر)** وفي نسخة: والشكر، بدل: الفكر **(والخوف، والرجاء، والرضا، والزهد، والتقوىٰ، والقناعة، والسخاء، ومعرفة المنَّة لله تعالىٰ في جميع الأحوال، والإحسان)** وفي نسخة: والإحساس، بدل: والإحسان **(وحسن الظن، وحسن الخُلُق، وحسن المعاشرة، والصدق، والإخلاص)** وهي ستة عشر، ولكلٍّ من ذلك مراتب وأقسام يأتي تفصيلها وبيانها في مواضعها، ويلحق بها أيضًا مثلُ: مجاهدة النفس، والورع، واليقين، والتوكل، والتفويض، والتسليم، والاحتساب في الأعمال، وسلامة الصدر، والمبادرة للأمر، والمراقبة، والمحاسبة، وحُسن الطاعة لله تعالىٰ، وحسن المعرفة بالله تعالىٰ. فهذه وأشباهها داخلة في حدِّ المحمود من علم المعاملة.

قال: **(فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها)** التي تتميَّز بها عن غيرها **(وأسبابها)** الظاهرة والباطنة **(التي بها تُكتسَب)** وتحصل **(و)** معرفة **(ثمراتها)**

الحاصلة منها (و) معرفة (**علاماتها**) الدالَّة عليها (و) معرفة طرق (**معالجة ما ضعف منها**) بحسب ضعف السالك (**حتىٰ يقوىٰ**) ذلك الحالُ (**وما زال**) كذلك (**حتىٰ يعود من علم الآخرة**.

وأما ما يُذَمُّ) منها ويُستَرذَل عند أهل الحق (**فخوف الفقر**) ومنشؤه عدم اليقين بالله عَزَّوَجَلَّ (**وسخط المقدور**) ومنشؤه عدم التحلِّي بمقام الرضا (**والغِلُّ**) هو تدرُّع الخيانة (**والحقد**) هو الانطواء علىٰ العداوة (**والحسد**): تمنِّي زوال نعمة الغير (**والغش**): عدم الإمحاض في النصيحة (**وطلب العلوِّ**) والارتفاع والتمييز عن الإخوان (**وحب الثناء**) لنفسه (**وحب طول البقاء في الدنيا للتمتُّع**) بها، والاشتغال بشهواتها ولَذَّاتها (**والكِبْر**) علىٰ إخوانه في سائر أحواله (**والرياء**) في الأحوال والأفعال والأقوال (**والغضب**) هو ثَوَران دم القلب إرادةَ الانتقام[1] (**والأَنَفة**) محرَّكة، هي الحَمِيَّة بغير الحق (**والعداوة**) لأجل أمور الدنيا (**والبغضاء**) هو نِفار النفس عن الشيء الذي يُرغَب عنه[2] (**والطمع**): نزوع النفْس إلىٰ الشيء شهوةً له[3] (**والبخل**) وهو إمساك المال عن مستحقِّيه (**والرغبة**) هي السعة في الإرادة، وقد تطلق علىٰ الحرص والشدة[4] (**والبَذَخ**) محرَّكة، هو التطاول بالكلام والافتخار (**والأَشَر**) محرَّكة، هو كفر النعمة (**والبَطَر، وتعظيم الأغنياء**) لأجل غِناهم (**والاستهانة**) أي الإذلال (**بالفقراء**) لأجل فقرهم (**والفخر**) بالأحساب والأنساب (**والخُيَلاء**) بضم ففتح ممدودًا، هو التكبُّر عن تخيُّل فضيلة تتراءىٰ للإنسان في ضمير نفسه[5] (**والتنافُس**) هو التعالي، وقد يكون محمودًا فيُراد به

---

(١) المفردات للراغب ص ٣٦١.

(٢) المفردات ص ٥٥.

(٣) المفردات ص ٣٠٧.

(٤) المفردات ص ١٩٨.

(٥) المفردات ص ١٦٢.

مجاهدة النفْس للتشبُّه بالأفاضل [واللحوق بهم] من غير إدخال ضرر علىٰ غيره، ويسمىٰ حينئذٍ: المنافسة[١] **(والمباهاة)** أي المفاخرة بما عنده من المال أو العلم أو الجاه **(والاستكبار)** أي التأنُّف **(عن)** قبول **(الحق)** ومنشؤه من الإعجاب **(والخوض فيما لا يعني)** أي لا يكون مقصودًا مهتمًّا بشأنه **(وحب كثرة الكلام)** في المجالس **(والصَّلَف)** محرَّكة، هو التِّيه **(والتزيُّن للخَلْق)** أي لأجل إرادتهم، سواءٌ كان في العادات أو العبادات **(والمداهنة)** أي الملاينة **(والعُجْب)** بالضم: تصوُّر استحقاق [الشخص] رتبة لا يكون مستحقًّا لها[٢] **(والاشتغال عن عيوبه بعيوب الناس)** ومنشؤه الغفلة والإعجاب **(وزوال الحزن من القلب)** ومنشؤه من عدم الاهتمام بأمور الآخرة **(وخروج الخشية منه)** ومنشؤه من عدم التقوىٰ **(وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل)** من أحد، وهو الانتصاف وإرادة الانتقام **(وضعف الانتصار للحق)** وعدم المبالاة به **(واتِّخاذ إخوان العلانية علىٰ عداوة السر)** أي الباطن **(والأمن من مكرِ الله سبحانه في سلب ما أعطىٰ)** من نعمة ظاهرة أو باطنة، والمكر من جانب الحق هو إرداف النِّعَم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب[٣] **(والاتِّكال علىٰ الطاعة)** ومنشؤه من غرور النفس **(والمكر)** هو إعمال الحيلة في هدم بناء باهر[٤] **(والخيانة)** هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر[٥] **(والمخادعة)** هو إظهار خلافَ ما أبطنه **(وطول الأمل)** في توقُّع حصول الشيء، والأمل يُستعمل فيما يُستبَعد حصوله، بخلاف الطمعِ، والرجاءُ بينهما[٦] **(والقسوة والفَظاظة)** هما مترادفان بمعنىٰ غِلظة القلب **(والفرح بالدنيا)** وأحوالها

---

(١) المفردات ص ٥٠١. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٥٢. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٣) التعريفات ص ٢٤٥. وزاد بعده: وإظهار الكرامات من غير جهد.

(٤) التوقيف للمناوي ص ٣١٢.

(٥) المفردات ص ١٦٣.

(٦) التوقيف ص ٦٢.

مع الركون إليها (**والأَسَف**) محرَّكة، أي التحسُّر (**علىٰ فواتها**) وعدم إدراكها (**والأُنْس بالمخلوقين**) ويدخل فيه عشقُ الصور المِلاح، ومنشؤه الغفلة والحِجاب (**والوَحْشة لفراقهم**) وهو من لازم الأنس بهم؛ فإنَّ مَن أنس بشيء استوحش عند فراقه (**والجَفاء**) هو تركُ الرفق في الأمور[1] (**والطَّيْش**) هو الخفَّة (**والعَجَلة**) أي في الأمور المذمومة (**وقلة الحياء**) ومنشؤها من ضعف الإيمان (**وقلة الرحمة**) ومنشؤها من قَساوة القلب.

(**فهذه**) سبعة وخمسون حالاً في إزالتها عن القلب تحصيلُ عين الكمال (**وأمثالها**) من الحرص، والقِحَة، وسوء الخُلُق، واتِّباع الهوىٰ، والركون إلىٰ الدنيا، والتجبُّر، والظلم، والعناد، والبغي، وغمط الحق، والغِيبة، والنميمة، وطلب المغالبة بالباطل، والإنكار علىٰ أهل الله، والاعتراض في المقادير ... وغير ذلك مما سيأتي شرحه في ربع المهلِكات (**من صفات القلب**) وأحواله التي تعتريه وتعترضه (**مغارس الفواحش**) أي بسببها تنبت فيه الفواحشُ، أي القبائح، وكل شيء جاوز الحدَّ فهو فاحش[2]، والمغارس جمع مغرَس، علىٰ القياس، أو جمع غرسٍ (**ومنابت الأعمال المحظورة**) أي الممنوعة شرعًا (**وأضدادها، وهي الأخلاق المحمودة**) شرعًا (**منابع الطاعات والقُربات**) وفي تخصيص المغارس والمنابت بالأخلاق المذمومة والمنابع لأضدادها حُسنٌ لا يخفَىٰ علىٰ المتأمِّل (**فالعلم بحدود هذه الأمور و**) معرفة (**حقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها**) ولم يذكر العلامات اكتفاءً، أو لوضوحها، بخلاف الأحوال المحمودة (**هو علم الآخرة**) المأمور بمحافظته (**وهو فرض عين في فتوىٰ علماء الآخرة**) لا يتكلمون إلا فيها، وإذا أشكل في شيء منها يبادرون في تفسيرها (**فالمُعرِض عنها**) إلىٰ غيرها (**هالك بسطوة مالك المُلْك**) وفي نسخة: الملوك، وفي أخرىٰ: ملك الملوك (**في**

---

(١) التوقيف ص ١٢٨.

(٢) المصباح المنير ص ١٧٦.

الآخرة، كما أن المُعرِض عن الأعمال الظاهرة) من صلاة وصيام وحج وزكاة **(هالك بسيف سلاطين الدنيا)** إذا أنكر شيئًا منها **(بحكم فتوىٰ فقهاء الدنيا، فنظرُ الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلىٰ صلاح)** أمور **(الدنيا)** ونظامها علىٰ وجه الاستدلال والسوية **(و)** النظر في **(هذا بالإضافة إلىٰ صلاح)** أموره.

(الآخرة) وانتظامها **(ولو سُئل فقيهٌ عن معنىٰ من هذه المعاني)** المذكورة **(حتىٰ عن الإخلاص مثلاً)** الذي هو شرطٌ في الأعمال، ويتعلَّق غرضُهم به في الأغلب، وهو أول أحوال فقيه الآخرة وآخر أحوال فقيه الدنيا **(أو عن التوكُّل)** الذي هو من الأمور الظواهر عندهم **(أو عن وجه الاحتراز عن الرياء)** في الأعمال **(لتوقَّف)** عن الخوض **(فيه، مع أن فرض عينه الذي في إهماله)** وتركِه **(هلاكه في الآخرة، ولو سألتَه عن)** مسألة في **(اللِّعان والظِّهار)** والسَّلَم والإجارة والشُّفعة **(والسبق والرمي)** وما أشبهَ ذلك **(لسرد عليك)** أي إملاءً من حفظه ما يكون **(مجلَّدات)** إن جُمع **(من التفريعات)** الغريبة **(الدقيقة)** بحيث تحيِّر العقول **(التي تنقضي الدهورُ)** وتمرُّ الأعصارُ **(ولا يُحتاج إلىٰ شيء منها)** لأنها لم تقع **(وإن احتِيجَ)** إليها بفرض الوقوع **(لم تَخْلُ البلدُ عمَّن يقوم بها)** ويحرِّرها **(وتكفيه مؤنةُ)** أي مشقَّة **(التعب فيها)** بالتحرير والنقل.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[1] من رواية ابن وهب قال: أخبرني موسىٰ بن علي أنه سأل ابنَ شهاب عن شيء، فقال: ما سمعتُ فيه بشيء، وما نزل بنا. قلت: إنه قد نزل ببعض إخوانك. فقال: ما سمعتُ فيه بشيء، وما نزل بنا، وما أنا بقائل فيه شيئًا.

فهذا كله كان تحرُّز السلف في عدم الجواب لِما لم يقع بهم.

(فلا يزال يتعب فيها) أي في تلك التفريعات الغريبة، وفي نسخة: فيه **(ليلاً**

---

(١) لم أقف عليه في الحلية، وهو في تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٥/ ٣٥٩.

ونهارًا، و) يدأب **(في حفظه)** علىٰ الغيب **(ودرسِه)** وتكراره **(ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين)** ومقصود لذاته فيه **(وإذا رُوجِعَ فيه)** بالإنكار عليه فيما هو عليه **(قال)** في الجواب: **(اشتغلتُ به)** كما ترىٰ **(لأنه)** من مسائل الفقه، وهو **(علم الدين)** المتَّفق عليه في ذلك **(وفرض الكفاية، ويلبِّس)** في جوابه، أي يغطِّي ويشبِّه **(علىٰ نفسه وعلىٰ غيره في تعلُّله)** وفي نسخة: في تعليله، وهذا ربما يروج عند الأغبياء **(و)** أما **(الفَطِن)** العاقل النبيه **(يعلم)** ويتحقَّق **(أنه لو كان)** هذا **(غرضه أداء حق الأمر)** المخاطب **(في فرض الكفاية لقدَّمَ عليه فرضَ العين)** واشتغل به.

ولكنه عرف ثم أنكر **(بل قدَّمَ عليه كثيرًا من فروض)** توجَّهتْ عليه من **(الكفايات)** مما غيره ليس بقائم به في عصره مع شدة الاحتياج إليه **(فكم من بلدة)** من بلاد الإسلام **(ليس فيها طبيب)** مطلقًا، اللهم **(إلا من أهل الذمة)** كاليهود والنصارىٰ وعَبَدة الأوثان، علىٰ اختلاف مِلَلهم **(ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه)** لفقدان الأمانة والعدالة **(ثم لا نرىٰ)** رأسًا **(أحدًا يشتغل به)** أي بالطب قراءةً وتعليمًا، وفي نسخة: يستغل به **(ويتهاترون)** أي يتنافسون ويترامون بأنفسهم **(علىٰ)** تحصيل فروع **(علم الفقه)** وما يُستنبَط بها من النوادر التي لا تقع غالبًا **(لا سيَّما الخلافيات)** فيه **(والجَدَليات)** التي الغرض منها إلزام الخصم بإقامة الحُجَّة **(والبلدُ مشحون)** أي مملوء **(من الفقهاء ممَّن يستقلُّ بالفتوىٰ)** أي يحملها استقلالاً **(والجواب عن الوقائع)** والنوازل **(فليت شِعْري)** أي ليت عِلمي حاضر أو محيط بما صنعوا، وأصله: شِعْرتي، حُذفت التاء مع الإضافة لكثرة الاستعمال[1] **(كيف يرخِّص فقهاءُ الدين)** أي كيف يرون رخصةً وجوازًا **(في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة)** منهم **(وإهمال ما لا قائم به)** وتركه رأسًا **(هل لهذا سبب)** لم نعلمه، وليس **(إلا أنَّ)** علم **(الطب ليس يتيسَّر الوصول به إلىٰ تولِّي الأوقاف)** قبضًا واستحقاقًا بنظارة أو تدريس أو تنزُّل في إحدىٰ المدارس

---

(١) النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٨١. كتاب سيبويه ٤/ ٤٤. تاج العروس ١٢/ ١٧٦.

(**والوصايا**) أي الدخول فيها (**وحيازة مال الأيتام**) بأن يكون وصيًّا عليهم أو قَيِّمًا علىٰ أمورهم نظرًا إلىٰ ديانته (**وتقلُّد**) منصب (**القضاء**) العام والخاص.

وقد كان السلف يفرُّون من ذلك (**و**) تقلُّد (**الحكومة**) والرياسة علىٰ قوم (**والتقدُّم به علىٰ الأقران**) والأصحاب، وتندرج فيه مشيخةُ الجوامع والخوانق (**والتسلُّط به علىٰ الأعداء**) بأن ينتصف لنفسه منهم بجاه علمه (**هيهات هيهات**)! وهي كلمة تُستعمل لتبعيد الشيء، ومنه قول الشاعر[1]:

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ ومَن به وهيهاتَ خِلٌّ بالعقيق تواصلُه

وفيها لغات ذكرتُها في شرح القاموس[2] (**قد اندرس علمُ الدين**) وانطمس أثرُه (**بتلبيس علماء السوء**) وتخليطهم وتصويرهم الباطلَ بصورة الحق (**فالله تعالىٰ المستعان**) لا غيره (**وإليه اللِّياذ**) أي الالتجاء، وأصله: اللواذ، وفي بعض النسخ: المَلاذ (**في أن يعيذنا**) أي يخلِّصنا (**من هذا الغرور**) وهو سكون النفْس إلىٰ ما يوافق الهوىٰ ويميل إليه الطبعُ[3] (**الذي يُسخِط الرحمنَ**) ويغضبه (**ويُضحِك الشيطانَ**) ويعجبه.

ثم لمَّا أحس بأن أهل الظاهر ينكرون ذلك وأشباهَه علىٰ مَن يَعِظهم من أهل الباطن وينسبونهم إلىٰ الجهل شرع في الردِّ عليهم، فقال: (**وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرِّينَ بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب**) وهذه العبارة منتزَعة من القوت، ونصه[4]: وقد كان علماء الظاهر إذا أشكل عليهم العلمُ في مسألة

---

(١) هو جرير، والبيت في ديوانه ص ٣٨٥. والرواية فيه:

فأيهات أيهات العقيق ومن به وأيهات وصلٌ بالعقيق تواصله

وفي رواية أخرىٰ:

فهيهات هيهات العقيق وأهله وهيهات خل بالعقيق نحاوله

(٢) انظر: تاج العروس ٣٦/ ٥٥٧ - ٥٦١.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٦٧.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٧٠.

لاختلاف الأدلة سألوا أهل العلم بالله؛ لأنهم أقرب إلىٰ التوفيق عندهم، وأبعد من الهوىٰ والمعصية (**وكان الإمام الشافعي** رضي الله عنه) ونص القوت: منهم الإمام الشافعي رحمه الله، كان إذا اشتبهت عليه المسألةُ لاختلاف [أقوال][1] العلماء فيها وتكافؤ الاستدلال عليها رجع إلىٰ علماء أهل المعرفة فسألهم، وكان (**يجلس بين يدي شيبان الراعي**) أحد الأولياء العارفين المشهورين بالصلاح والتقوىٰ، ترجمه الحافظ أبو نعيم باختصار جدًّا[2]، وكذا الحافظ الذهبي[3]، وهذا نصه: شيبان الراعي عابد صالح زاهد قانت لله، لا أعلم متىٰ توفِّي، ولا مَن حمل عنه، ولا ذكر له أبو نعيم في الحلية إلا حكاية واحدة عن محمد بن حمزة الرَّبَضي قال: كان شيبان الراعي إذا أجنب وليس عنده ماء دعا [ربه][4] فجاءت سحابة فأظلَّتْه فاغتسل منها، وكان يذهب إلىٰ الجمعة فيخطُّ علىٰ غنمه فيجيء فيجدها علىٰ حالتها [لم تتحرك][5].

قلت: مات بمصر[6]، ودُفن بقرب المُزَني، بينه وبين قبر الخَيَّاط أحدِ الصالحين، وزعم أهل أسيوط أنه مدفون عندهم، وقد زرتُه حين دخلتُ بها.

وذكر المناوي في طبقاته[7] أن أبا علي ابن سينا كاتَبَ شيبانَ الراعي بما نصه: الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره في نفسه وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه فتشرف بذلك نفسُه ويستكمل، ويصير عالمًا معقولا مضاهيًا للعالَم الموجود، ويستعد للسعادة القصوىٰ في

---

(١) زيادة من القوت.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣١٧.

(٣) تاريخ الإسلام ١٠/ ٢٦٨.

(٤) زيادة من الحلية.

(٥) زيادة من الحلية.

(٦) ذكر الصفدي في الوافي بالوفيات ١٦/ ١١٨ أنه توفي في حدود السبعين ومائة.

(٧) طبقات المناوي ١/ ٢٢٦.

الآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية، والعقل له مراتب وأسماء بحسب تلك المراتب، فالأول هو الذي استعدَّ به الإنسان لقبول العلوم النظرية والصنائع الفكرية، وحدُّه: غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، ثم يترقَّىٰ في معرفة المستحيل والممكن والواجب، ثم ينتهي إلىٰ حد يقمع الشهوات البهيمية واللذَّات الحسية فتتجلَّىٰ له صور الملائكة إذا تحلَّىٰ بحليتها [فعاين الحقائق الدائمة][١] ويعلم بغايته[٢] وموضعه ولماذا خُلق.

فأجاب: من شيبان الأبله الألكن[٣] إلىٰ الحبر أبي عليٍّ، وصل كتابك مشتملاً علىٰ ماهية العقل وحقيقته، وقد ألفيتُه وافيًا بمقصودك لا بمقصودي[٤]. ا.هـ.

وما أظنُّه أدرك شيبانَ ولا طبقة مَن روىٰ عنه، فتأمَّلْ ذلك[٥].

(**كما يقعد الصبيُّ في المكتب**) بين يدي المعلِّم، ونصُّ القوت: بين يدي المكتب (**ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا**) لمسائل يذكرها (**فيقال له**): يا أبا عبد الله (**مِثلك يسأل هذا البدوي**) أي لأنه كان علىٰ هيئتهم، ويرعىٰ الغنم، ولا يخالط الناسَ، ومعرفة العلوم بعيدة عن مِثلهم (**فيقول: إن هذا وُفِّق لِما أغفلناه**) وفي القوت: لِما علمناه، أي: قد كُشف له الغطاء، فصارت المعلومات عنده يقينيةً.

وفي المقاصد للحافظ السخاوي[٦]: أنكر الإمام ابن تيمية اجتماع الإمام

---

(١) زيادة من طبقات المناوي.

(٢) في طبقات المناوي: بذاته.

(٣) في طبقات المناوي: الأمي.

(٤) بعده في طبقات المناوي: «ولست ممن قنع عن الدر بالصدف واقتنىٰ علوما لم يؤمر بها فاستغرقت فيها همته حتىٰ زلت به قدم الغرور في مهواةٍ من التلف، وكل ما تذروه رياح الموت فالهمة تقتضي تركه، والسلام».

(٥) إذ إن ابن سينا ولد سنة ٣٧٠، وتوفي سنة ٤٢٨، فبينه وبين شيبان أكثر من مائتي سنة!

(٦) المقاصد الحسنة ص ٤٨٠.

الشافعي مع شيبان الراعي فقال ما نصه: ما اشتهر بأن الشافعي وأحمد اجتمعا بشيبان الراعي وسألاه فباطل باتفاق أهل المعرفة؛ لأنهما لم يدركاه.ا.هـ.

أي لم يدركا عصره؛ لتقدُّم وفاته، وقد تقدَّم أن الذهبي قال: لا أعلم متىٰ توفِّي. وقد أثبت لقيهما إياه غيرُ واحد من العلماء، ففي الفتوحات للشيخ الأكبر قُدِّس سره ما نصه: لمَّا سأله أحمد والشافعي عن زكاة الغنم قال: علىٰ مذهبنا أو مذهبكم؟ إن كان علىٰ مذهبنا فالكل لله لا نملك شيئًا، وإن كان علىٰ مذهبكم ففي كل أربعين شاةٍ شاةٌ. وعمَّن نسي صلاة من الخمس لا يدري ما هي ما يلزمه؟ فقال: هذا قلب غفل عن الله فيؤدَّب بإعادة الخمس حتىٰ لا يغفل عن مولاه بعدها[1].

وزاد صاحب القوت: وقد كان الشافعي اعتلَّ علَّة شديدة، وكان يقول: اللهم إن كان في هذا رضاك فزِدْني منه. فكتب إليه المعافري من سواد مصر: يا أبا عبد الله، لستُ وإياكَ من رجال البلاء فنسأل الرضا، الأَولىٰ بنا أن نسأل الرفق والعافية. فرجع الشافعي عن قوله هذا وقال: أستغفر الله وأتوب إليه، فكان بعد ذلك يقول: اللهم اجعل خيرتي فيما أحب.

ثم قال صاحب القوت: (و) قد (**كان أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ و**) أبو زكريا (**يحيىٰ بن مَعِين**)[2] بفتح الميم وكسر العين المهملة، ابن عون بن زياد بن بِسْطام بن عبد الرحمن، وقيل: يحيىٰ بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بِسْطام، وقيل: يحيىٰ بن معين بن عون بن زياد بن نهار بن خَيار بن بِسطام، المُرِّي الغَطَفاني البغدادي الحافظ، مولىٰ غَطَفان، وهو من أهل الأنبار. قال أبو بكر الخطيب: كان إمامًا ربَّانيًا عالمًا حافظًا ثبتًا متقنًا. وقال أبو أحمد ابن عدي: أخبرني شيخ كان

---

(١) طبقات المناوي ١/ ٢٢٥. وهذه الحكاية في الفتوحات المكية لابن عربي ١/ ٦٢٢ دون السؤال عن نسيان الصلاة.

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦٣-٢٧٦. سير أعلام النبلاء ١١/ ٧١-٩٥. وفيات الأعيان ٦/ ١٣٩ - ١٤٢. تهذيب الكمال ٣١/ ٥٤٣-٥٦٨. الكامل لابن عدي ١/ ١٣١-١٣٤.

ببغداد في حلقة أبي عمران ابن الأشيب ذكر أنه ابن عم ليحيىٰ ابن معين قال: كان معين علىٰ خراج الري، فمات، فخلف لابنه يحيىٰ ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم، فأنفقه كلَّه علىٰ الحديث حتىٰ لم يبقَ له نعلٌ يلبسه.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: انتهىٰ العلم إلىٰ أربعة: أبو بكر بن أبي شيبة أسردُهم له، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه، وعليٌّ بن المديني أعلمُهم به، ويحيىٰ ابن معين أكتبُهم له.

وفي رواية أخرىٰ: ربَّانيو الحديث أربعة، فأعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل، وأحسنهم سياقةً للحديث وأداءً ابن المديني، وأحسنهم وضعًا لكتاب ابن أبي شيبة، وأعلمُهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيىٰ بن معين.

وسُئل أبو علي[1]: مَن أعلم بالحديث ابن معين أو أحمد؟ فقال: أما أحمد فأعلم بالفقه والاختلاف، وأما يحيىٰ فأعلم بالرجال والكُنَىٰ.

وقال هارون بن بشير الرازي: رأيت ابن معين استقبل القِبلة رافعًا يديه يقول: اللهم إن كنت تكلمتُ في رجل وليس هو عندي كذابًا فلا تغفر لي[2].

وقال أبو بكر محمد بن مهرويه: سمعت علي بن الحسين بن الجُنَيد يقول: سمعت ابن معين يقول: إنَّا لَنطعنُ علىٰ أقوام لعلَّهم قد حَطُّوا رِحالهم في الجنة من أكثر من مائتي سنة. قال ابن مهرويه: فدخلتُ علىٰ عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ علىٰ الناس كتاب «الجرح والتعديل»، فحدَّثتُه بهذه الحكاية، فبكىٰ وارتعدت يداه حتىٰ سقط الكتاب من يده، وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية، أو كما قال.

وُلد سنة ثمان وخمسين ومائة، ومات بالمدينة لسبع ليالٍ بقينَ من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وغُسِّل علىٰ أعواد النبي ﷺ، وحُمل علىٰ سريره،

---

(١) أبو علي صالح بن محمد المعروف بجزرة، والسائل هو عبد المؤمن بن خلف النسفي.

(٢) قال الذهبي: هذه حكاية تستنكر.

ونودي بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذبَ عن [حديث][١] رسول الله ﷺ.

روىٰ له البخاري ومسلم وأبو داود، وروىٰ له الباقون.

(يختلفان) أي يتردَّدان **(إلىٰ)** أبي محفوظ **(معروف)** ابن فيروز **(الكرخي)** من المشايخ الكبار، مجاب الدعوة، يُستشفَىٰ بقبره، يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرَّب. وهو من موالي علي بن موسىٰ الرضا، مات سنة مائتين، وقيل: إحدىٰ ومائتين، وكان أستاذ السري السقطي؛ كذا في رسالة القشيري[٢]، وقيل: في سنة أربع، والأول أصحُّ[٣].

والكرخ اسم لعدة مواضع[٤]، ومعروف من كرخ بغداد: موضع بجانبه الغربي، وقيل: هو من كرخ جُدَّان، وقد ذكرنا تفصيله في شرح القاموس[٥].

وكان إمامًا جليلاً زاهدًا، سمع الحديث من بكر بن خُنَيس والربيع بن صُبَيح، وعنه خلف بن هشام البزَّار، وله ترجمة واسعة في تاريخ الإسلام للذهبي[٦] وفي الحلية[٧].

(ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما) أي لأنه غلب عليه الزهدُ. ونص

---

(١) زيادة من تهذيب الكمال.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٤٩.

(٣) قاله الخطيب في تاريخ بغداد ١٥/ ٢٧٥.

(٤) ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٤/ ٤٤٧ - ٤٤٩ وهي: كرخ باجدا، وكرخ البصرة، وكرخ بغداد، وكرخ جدان، وكرخ الرقة، وكرخ سامراء، وكرخ ميسان، وكرخ عبرتا، وكرخ خوزستان. وكلها بالعراق.

قال ياقوت: وما أظن «الكرخ» عربية، إنما هي نبطية، وهم يقولون: كرخت الماء وغيره من البقر والغنم إلىٰ موضع كذا: أي جمعته فيه في كل موضع.

(٥) انظر: تاج العروس ٧/ ٣٢٨.

(٦) تاريخ الإسلام ١٣/ ٣٩٨ - ٤٠٥.

(٧) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠ - ٣٦٨.

القوت[1]: ولم يكن يُحسِن من العلم والسنن ما يحسنانه (وكانا يسألانه) عن المسائل. زاد صاحب القوت: وحُدِّثنا عن عبد الله بن أحمد قال: قلت لأبي: بلغني أنك كنت تختلف إلىٰ معروف، أكان عنده حديث؟ فقال: يا بني، كان عنده رأس مال الأمر: تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال الشعراني في «الأجوبة المُرضية» عن العز بن عبد السلام في رسالته: مما يدلُّك علىٰ أن القوم قعدوا علىٰ قواعد الشريعة وقعد غيرهم علىٰ الرسوم ما يقع علىٰ يد أحدهم من الكرامات والخوارق، ولا يقع ذلك علىٰ يد فقيه قطُّ ولو بلغ الغايةَ في العلم، إلا إن سلك طريقهم واعتقد صحتَها. وكان الشيخ قبل ذلك يقول: وهل ثَمَّ طريق أو علم غير ما بأيدينا من مسائل الشريعة وأصولها؟ وينكر طريق الصوفية؛ لعدم ذوقه لها واعتقاده فيها أنها طريقة زائدة علىٰ الشريعة، فلما اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي وأخذ عنه قال ما قال.

وكان إمام الحرمين ينكر علىٰ الصوفية أولاً، ثم لمَّا رأىٰ البرهان اعتقدهم. ثم قال: وقد كان الإمام أحمد إذا أشكل عليه أمرٌ سأل عنه أبا حمزة البغدادي ويقول: ما تقول في هذه المسألة يا صوفي؟ فإذا قال له معناه كذا وكذا رجع إليه. وكان ابن سريج يتردَّد إلىٰ مجلس الجُنَيد والشِّبْلي ويقول: قد استفدت من هؤلاء علومًا لم أجدها عند غيرهم. وكانوا إذا سألوه عن شيء من مشكلات الطريق التي يسمعها من الجنيد والشبلي يقول: لم أفهم منهما شيئًا، لكن صولة الكلام ليست بصولة مبطل.

وقال صاحب القوت[2]: قيل لأحمد: بأيِّ شيء ذُكر هؤلاء الأئمة ووُصفوا؟ فقال: ما هو إلا الصدق الذي كان فيهم. قيل له: وما الصدق؟ قال: هو الإخلاص.

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٧١.

(٢) قوت القلوب ١/ ٤٤٥. مع اختلاف في بعض العبارات.

قيل له: فما الإخلاص؟ قال: الزهد. قيل: وما الزهد؟ فأطرق ثم قال: سلوا الزهَّاد، سلوا بشر بن الحارث.

(وكيف) لا. والذي في القوت بعد قوله: سلوا بِشر بن الحارث: **(وقد قال رسول الله ﷺ لمَّا قيل له: كيف نفعل إذا جاءنا أمرٌ لم نجده في كتاب الله ولا السنَّة)** وفي نسخة: في كتاب ولا سنَّة **(فقال ﷺ)** في الجواب: **(سلوا الصالحين، واجعلوه شورىٰ بينهم)** الشُّورىٰ بالضم فُعْلَىٰ من المشورة.

قال العراقي: فيه عن علي بن أبي طالب وابن عباس؛ أما حديث عليٍّ فرواه الطبراني في الأوسط[(١)] من رواية الوليد بن صالح عن محمد ابن الحَنَفية عن علي قال: قلت: يا رسول الله، إن نزل بنا أمرٌ ليس فيه بيانٌ أمرٌ ولا نهيٌ فما تأمرنا؟ قال: «تشاورون الفقهاء والعابدين، ولا تُمْضُوا فيه رأيَ خاصةٍ». رجاله رجال الصحيح[(٢)].

ورواه ابن عبد البر في العلم[(٣)] من رواية إبراهيم بن أبي الفيَّاض عن سليمان ابن بزيع عن مالك عن يحيىٰ بن سعيد عن سعيد بن المسيَّب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن، ولم تمضِ فيه منك سنَّةٌ. قال: «اجمعوا له العالِمينَ - أو قال: العابدين - من المؤمنين فاجعلوه شورىٰ بينكم، ولا تقضوا فيه برأي واحد». وفي رواية له: اجمعوا له العابدين. من غير شك. قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يُعرَف من حديث مالك إلا بهذا الإسناد، ولا أصل له في حديث مالك عندهم ولا في حديث غيره، وإبراهيم وسليمان ليسا بالقويين. والله أعلم.

---

(١) المعجم الأوسط ٢/ ١٧٢.

(٢) في مجمع الزوائد ١/ ٤٢٨: رجاله موثقون من أهل الصحيح.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨٥٣.

وقال ابن يونس: سليمان بن بزيع منكر الحديث[١]، وإبراهيم بن أبي الفياض روىٰ عن أشهب مناكير[٢].

وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني[٣] من رواية إسحاق بن عبد الله بن كَيْسان المروزي عن أبيه عن عكرمة ... فذكر حديثًا قال فيه: قال عليٌّ: يا رسول الله، أرأيتَ إن عرض لنا أمر[٤] لم ينزل فيه قرآنٌ ولم تمضِ فيه سنَّة منك. قال: «تجعلونه شورىٰ بين العابدين من المؤمنين ...» الحديث. وعبد الله بن كيسان منكر الحديث؛ قاله البخاري[٥]. وابنه إسحاق نسبه الحاكم. وقد ورد من وجه آخر مرسَلاً، رواه الدارمي في مسنده[٦] من حديث أبي سلمة أن النبي ﷺ سُئل عن الأمر يحدث ليس في كتاب ولا سنَّة، فقال: «ينظر فيه العابدون من المؤمنين». وهذا إنما يصح من قول ابن مسعود موقوفًا، رواه الطبراني[٧] وابن عبد البر[٨] في أثر طويل، وفيه: «فإن أتاه أمرٌ ليس في كتاب الله ولم يقضِ فيه رسول الله ﷺ فليقضِ بما قضىٰ به الصالحون». وإسناده ثقات يُحتَجُّ بهم.

وفي القوت[٩]: وقد روينا في خبر: قيل: يا رسول الله، كيف نصنع ... فذكر مثل سياق المصنف، وفي آخره: ولا تقضوا فيه أمرًا دونهم. ثم قال: وفي حديث

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ١٩٧.

(٢) تاريخ مصر لابن يونس ص ٣٠.

(٣) المعجم الكبير ١١/ ٣٧١.

(٤) في المطبوعة: إن عرض لنا ما لم. والمثبت من المعجم الكبير.

(٥) التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ١٧٨ ونصه: «عبد الله بن كيسان المروزي، أبو مجاهد، سمع منه عيسىٰ ابن موسىٰ والفضل بن موسىٰ. وله ابن، نسبهما إسحاق، منكر ليس من أهل الحديث».

(٦) سنن الدارمي ١/ ٦١.

(٧) المعجم الكبير ٩/ ٢١٠.

(٨) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨٤٧.

(٩) قوت القلوب ١/ ٢٧١.

معاذ: «فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا سنَّة رسول الله ﷺ»؟ قال: أقضي فيه بما قضىٰ الصالحون. فقال: «الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسوله». وفي بعضها: أجتهد رأيي.

وكان سهل يقول[1]: لا تقطعوا أمرًا من الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء، تُحمَدوا العاقبة عند الله تعالىٰ. قيل: يا أبا محمد، مَن العلماء؟ قال: الذين يؤثرون الآخرة علىٰ الدنيا، ويؤثرون الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نفوسهم، وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصيَّته: وشاوِرْ في أمورك الذين يخشون الله عَزَّوَجَلَّ.

(ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الأرض) كما أن الكواكب زينة السماء **(و)** زينة **(المُلْك)** وهو عالَم الشهادة من المحسوسات الطبيعية **(وعلماء الباطن زينة السماء والمَلَكوت)** وهو عالَم الغيب المختصُّ بأرواح النفوس. وفيه حُسن المقابَلة بين: الأرض والسماء، والمُلْك والملكوت، والظاهر والباطن.

وقد أورده صاحب القوت فقال[2]: كانوا يقولون: علم الظاهر من عالَم المُلْك، وعلم الباطن من عالَم الملكوت، يعنون أن ذلك من علم الدنيا؛ لأنه يُحتاج إليه في أمور الدنيا، وهذا من علم الآخرة؛ لأنه من زادها، وهذا هو كما قالوه؛ لأن اللسان ظاهر، فهو من المُلْك، وهو خزانة العلم الظاهر، والقلب خزانة الملكوت، وهو باب العلم الباطن، فقد صار فضل العلم الباطن علىٰ الظاهر كفضل الملكوت علىٰ الملك [وهو الملك الباطن الخفي] وكفضل القلب علىٰ اللسان [وهو الظاهر الجليُّ].

(وقال) أبو القاسم[3] **(الجُنَيد)** بن محمد بن الجنيد النهاوندي الأصل البغدادي القَواريري، سيد الطائفة، ومقدَّم الجماعة، وإمام أهل الخِرْقة، وشيخ

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٤٥.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٦٨. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات السبكي ٢/ ٢٦٠ - ٢٧٤. الرسالة القشيرية ص ٧٨ - ٨١.

طريقة التصوُّف، وعَلَم الأولياء في زمانه، ومشهور[١] العارفين. تفقَّه علىٰ أبي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو ابن عشرين سنة، وسمع الحديث من الحسن بن عرفة وغيره، واختُصَّ بصحبة السري السَّقَطي والحارث بن أسد المحاسبي وأبي حمزة البغدادي. وكان وِرْده كلَّ يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة.

توفي سنة ٢٩٨ كما في الطبقات لابن السبكي. وفي الرسالة: سنة ٢٩٧ **(قال لي السَّرِي)** بن المغلِّس، أبو الحسن السَّقَطي **(شيخي)** وهو خال الجنيد ومربِّيه، صاحب معروف الكرخي وغيره، توفي سنة ٢٥٧[٢] **(يومًا: إذا قمتَ من عندي فمَن تجالس؟ قلتُ: المحاسبي)** هو[٣] أبو عبد الله الحارث بن أسد، عَلَم العارفين في زمانه، وأستاذ السائرين، الجامع بين علمَي الظاهر والباطن. ويقال: إنما سُمِّي بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه.

قال ابن السمعاني: هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام، وكتبُه في هذه العلوم أصول مَن يصنِّف فيها، وإليه يُنسَب أكثر متكلمي الصِّفاتية. قال ابن السبكي: روىٰ عن يزيد ابن هارون وطبقته، وعنه أبو العباس ابن مسروق، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار، والشيخ الجنيد، وإسماعيل بن إسحاق السَّرَّاج، وغيرهم. قال الخطيب: له كتب كثيرة في الزهد وأصول الدين والرد علىٰ المعتزلة والرافضة.

وقال جمعٌ من الصوفية: كتبه تبلغ مائتي مصنَّف. قال الأستاذ أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي: اقتدوا بخمسة من مشايخنا، والباقون سلِّموا إليهم أحوالهم: الحارث ابن أسد، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رُوَيم، وأبو العباس

---

(١) في طبقات السبكي: وبهلوان.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٥١ - ٥٢.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات السبكي ٢/ ٢٧٥ - ٢٨٤. طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ١/ ٤٣٨ - ٤٤١. تاريخ بغداد ٩/ ١٠٤ - ١١٠.

ابن عطاء، وعمرو ابن عثمان المكي؛ لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق.

توفي سنة ٢٤٣ **(فقال: نعم، خذْ من علمه وأدبه، ودَعْ عنك تشقيقَه الكلام وردَّه علىٰ المتكلِّمين)** قال ابن السبكي: وكان الحارث قد تكلم في شيء من المسائل في الكلام في الردِّ علىٰ المبتدعة، قال أبو القاسم النَّصرآباذي: بلغني أن الإمام أحمد هجره لأجل هذا السبب. أي لأن الإمام أحمد كان يشدِّد النكير علىٰ مَن يتكلم في علم الكلام خوفًا أن يجرَّ ذلك إلىٰ ما لا ينبغي. قال ابن السبكي: والظن بالحارث أنه إنما تكلم حيث دعته الحاجةُ، ولكلٍّ مقصدٌ **(ثم لمَّا ولَّيت)** عنه بظهري **(سمعتُه يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفيًّا، ولا جعلك صوفيًّا صاحب حديث)** وهذا القول أورده صاحب القوت بلفظ[1]: كنتُ إذا قمتُ من عند السري قال لي: إذا فارقتَني مَن تجالس؟ فساقه كسياق المصنِّف **(أشار إلىٰ أن مَن حَصَّل الحديثَ والعلم)** بالأحكام أولاً **(ثم تصوَّف أفلح)** لأن التصوُّف عبارة عن تطهير السرائر وتزكيتها عن الأخلاق المذمومة، وهو متوقِّف علىٰ تحصيل العلوم الشرعية يهتدي بها في سلوكه، والمراد من تحصيل الحديث: أخذُه عن الثقات وحفظُه ثم العمل به، والمراد بالعلم: التفقُّه في الدين، فيكون من عطف العام علىٰ الخاص **(ومَن تصوَّف قبل)** تحصيل **(العلم)** المعهود **(خاطَرَ بنفسه)** أي أوقعَها في الخطر والهلاك، ولا يفلح أبدًا.

وفي القوت بعدما أورد قول السري هذا ما نصُّه: يعني أنك إذا ابتدأتَ بعلم الحديث والأثر ومعرفة الأصول والسنن ثم تزهَّدت وتعبَّدت تقدَّمت في علم الصوفية، وكنت صوفيًّا عارفًا، وإذا ابتدأتَ بالتعبُّد والتقوىٰ والحال شُغلتَ به عن العلم والسنن، فخرجتَ إما شاطحًا أو غالطًا؛ لجهلك بالأصول والسنن، فأحسنُ أحوالك أن ترجع إلىٰ العلم الظاهر وكَتْبِ الحديث؛ لأنه هو الأصل، وقد قيل:

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٧١.

إنما حُرموا الوصول لتضييع الأصول، وهي كتب الأصول ومعرفة الآثار والسنن.

وفي الرسالة للقشيري[1]: ويُحكىٰ عن السري أنه قال: التصوُّف اسم لثلاث معانٍ، وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علمٍ ينقضه عليه ظاهرُ الكتاب [أو السنَّة] ولا تحمله الكراماتُ علىٰ هتك [أستار] محارم الله.

وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة علىٰ الخَلْق إلا علىٰ مَن اقتفىٰ أثر الرسول ﷺ.

قال: وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: مَن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدَىٰ به في هذا الأمر؛ لأن عِلمنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنَّة.

وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر الأصفهاني يقول: سمعت أبا عليٍّ الرُّوذباري يقول عن الجنيد: مذهبنا هذا مقيَّد بالأصول: الكتاب والسنَّة. ا.هـ.

فهذا وأمثال ذلك مما يؤيِّد قولَه السابق في تقديم الحديث علىٰ التصوُّف، ومن هنا قال بعضهم: مَن تفقَّه ولم يتصوَّف فقد تفسَّقَ، ومَن تصوَّف ولم يتفقه فقد تزندق، ومَن جمع بينهما فقد تحقَّق.

(فإن قلتَ: فلِمَ لمْ تُورِد في أقسام العلوم) علمَ **(الكلام و)** علم **(الفلسفة)** مع شدة شهرتهما، وإكباب الناس علىٰ تحصيلهما **(وتبيِّن أنهما مذمومان)** فيُترَكان **(أو محمودان)** فيُعتنَىٰ بهما؟ **(فاعلمْ أن)** علم الكلام، وهو علمٌ يُقتدَر معه علىٰ إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشُّبَه عنها[2] **(حاصل ما يشتمل عليه علمُ**

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٢، ٧٩، ٨٠. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢/ ١٣٢. وعرفه الجرجاني في التعريفات ص ١٦٢ بأنه: علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو علىٰ قاعدة الإسلام.

الكلام من الأدلة التي يُنتفَع بها فالقرآن والأخبار) النبوية **(مشتملة عليه، وما خرج عنهما)** أي عن الكتاب والسنَّة **(فهو)** لا يخلو من حالتين **(إما مجادَلة مذمومة)** نهىٰ الشارع عنها **(وهي من البِدَع، كما سيأتي بيانه، وإما مشاغَبة)** أي مخاصمة مع رفع الصوت **(بالتعلُّق بمناقضات الفِرَق)** أي المسائل التي ناقَض بها بعضُهم بعضًا **(لها، وتطويل)** وقتٍ **(بنقل المقالات)** الكثيرة المختلفة **(التي أكثرها تُرَّهات)** أي بواطل.

قال الزمخشري[1]: والتُّرَّهات في الأصل الطرق الصغيرة المتشعِّبة من الجادَّة، ثم استُعيرت في الأقاويل الخالية عن طائل **(وهَذَيانات)** لا مزية فيها **(تزدريها)** أي تَحْقِرها **(الطِّباع)** السليمة **(وتمجُّها)**: تلقيها **(الأسماع)** المستقيمة **(وبعضها خوضٌ)** واشتغال **(فيما لا يتعلق بالدين)** أصلاً. وفي[2] سياق هذا الكلام ردٌّ علىٰ بعض جُهَّال المناطقة الزاعمين أن الشريعة خطاب للجمهور، ولا احتجاج فيها، وأن الأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطاب، والحُجَج للخواصّ، وهم أهل البرهان. يعنون نفوسهم ومَن سلك طريقتهم، وربَّما تعلق بعضُهم بظاهر قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ﴾ [الشورىٰ:١٥] وهذا الذي فهموه ليس بشيء، ومعنىٰ الآية: قد وضح الحقُّ واستبان وظهر، فلا خصومة بيننا وبينكم بعد ظهوره، ولا مجادَلة؛ فإن الجدال شريعة موضوعة للتعاون علىٰ إظهار الحق، فإذا ظهر الحق ولم يبقَ به خفاءٌ فلا فائدة في الخصومة، والجدال علىٰ بصيرة مخاصمة المنكِر، ومجادلته عناء لا غنىٰ فيه.

هذا معنىٰ هذه الآية، وأما إنكارهم الاحتجاج في القرآن فمن جهلهم بالشريعة والقرآن؛ فإن القرآن مملوء من الحُجَج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد وإثبات

---

(١) أساس البلاغة ١/ ٩٤ ونصه: «جاء بالترهات البسابس، وهي القفار البيد، استُعيرت للأباطيل والأقاويل الخالية من الطائل». وانظر: تاج العروس ٣٦/ ٣٥٣ - ٣٥٥.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٤٥٤ - ٤٥٨ باختصار.

الصانع والمعاد وإرسال الرسل وحدوث العالَم، فلا يذكر المتكلمون وغيرُهم دليلاً صحيحًا على ذلك إلا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأتمِّ معنًى، وقد اعترف بذلك حُذّاقهم من المتقدِّمين والمتأخرين، فمن ذلك تقرير المصنِّف السابق، ومن ذلك قول الفخر الرازي في كتابه «أقسام اللذّات»[1]: لقد تأملتُ الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتُها تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأُ في الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] وأقرأُ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] ومَن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

وقال بعضهم: أفنيت عمري في الكلام أطلب الدليل، فإذا أنا لا أزداد إلا بعدًا عنه، فرجعت إلى القرآن أتدبَّره وأتفكَّر فيه، فإذا أنا بالدليل حقًّا معي وأنا لا أشعر به، فقلت: واللهِ ما مَثَلي إلا كما قال القائل:

ومن العجائبِ والعجائبُ جَمَّةٌ ... قُربُ الحبيب وما إليه وصولُ

كالعِيس في البَيْداء يقتلها الظَّما ... والماء فوق ظهورها محمولُ[2]

---

(١) رسالة لذات الدنيا للفخر الرازي ص ٢٦٣ (ط - ليدن) ونصه: «واعلم أني بعد التوغل في هذه المضايق والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق رأيت الأصوب الأصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم، وهو ترك التعمق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والأرضين على وجود رب العالمين، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل، فأقرأ في التنزيه قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] وأقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وأقرأ في أن الكل من الله قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] وفي تنزيهه عما لا ينبغي قوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩] وعلى هذا القانون فقس».

(٢) البيتان في حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢/ ٢٣٢ بلا نسبة.

وإذا هو كما قيل بل فوق ما قيل:

كفىٰ وشفىٰ ما في الفؤاد فلم يَدَعْ   لذي أَرَب في القول جدًّا ولا هزلا[١]

والمقصود أن القرآن مملوء بالاحتجاج، وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة، وأُمر ﷺ فيه بإقامتها، وهذه مناظرات القرآن مع الكفار موجودة، ومناظراته ﷺ وأصحابه لخصومهم لا ينكرها إلا جاهل مفرط في الجهل، كما سيأتي بيانُ ذلك في كتاب قواعد العقائد.

ثم اعتذر المصنِّف فقال: (**ولم يكن شيء منه مألوفًا في العصر الأول**) عند الصحابة والتابعين (**فكان الخوض فيه بالكلِّية من البِدَع**) والمنكَرات (**ولكن تغيَّر الآن حكمُه**) باختلاف الأزمنة (**إذ حدثت البدع**) من المبتدعة (**الصارفةُ عن مقتضَىٰ**) نصِّ (**القرآن والسنَّة**) ومقتضىٰ النص: ما لا يدل اللفظُ عليه ولا يكون ملفوظًا، لكن يكون من ضرورة اللفظ[٢] (**ونبغت**) أي ظهرت (**جماعةٌ لفَّقوا**) أي جمعوا (**لها**) لتلك البدع (**شُبَهًا**) وإيرادات (**ورتَّبوا فيها كلامًا مؤلَّفًا**) يقرؤه الناس (**فصار ذلك المحذور**) أي الممنوع منه (**بحكم الضرورة**) والاحتياج (**مأذونًا**) بالتكلُّم (**فيه**) تعلُّمًا وتعليمًا (**بل صار**) القَدْر المحتاج إليه (**من فروض الكفايات**).

وقال السبكي[٣]: ولا شك أن السكوت عنه ما لم تدعُ إليه الحاجة أَولىٰ، والكلام فيه عند فقدِ الحاجة بدعةٌ، وحيث دعت إليه الحاجةُ فلا بأس به (**وهو القَدْر الذي يقابَل به المبتدع إذا قصد الدعوة**) أي دعاء الناس (**إلىٰ البدعة**)

---

(١) البيت لحسان بن ثابت يمدح به عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهو في ديوانه ص ٢١١. والرواية فيه: ما في النفوس.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٢٤٤ وزاد: «أعم من أن يكون شرعيًا أو عقليًا. وقيل: هو عبارة عن جعل غير المنطوق منطوقًا لتصحيح المنطوق، مثاله (فتحرير رقبة) وهو مقتضىٰ شرعًا لكونها مملوكة؛ إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم، فيزاد عليه ليكون تقدير الكلام: فتحرير رقبة مملوكة».

(٣) طبقات السبكي ٢/ ٢٧٩.

وحملهم عليها **(وذلك إلىٰ حد محدود)** معيَّن، وما زاد وتجاوَزَ عن ذلك الحد فمضرٌّ مذموم، وذلك المحدود **(سنذكره في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالىٰ.**

وأما الفلسفة) وهي معرفة علوم يحصل بها التشبُّه بأخلاق الإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية[١]، في زعمهم **(فليست علمًا برأسها، بل هي أربعة أجزاء)** يطلَق علىٰ الكل هذا الاسم:

(أحدها: الهندسة والحساب، وهما مباحان، كما سبق. ولا يُمنَع عنهما إلا مَن يُخاف عليه أن يتجاوزهما إلىٰ علوم مذمومة) داخلة فيهما، كما يأتي بيانه **(فإن أكثر الممارسين لهما)** المشتغلين بهما **(قد خرجوا منهما إلىٰ البدع)** ولم يكتفوا بالوقوف عليهما **(فيُصان الضعيف)** العقيدة **(عنهما لا لعينهما، كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفةً عليه من الوقوع في النهر)** فيكون سببًا لهلاكه **(وكما يُصان حديث العهد بالإسلام)** قبل أن يتمكَّن الإيمانُ في قلبه **(عن مخالطة الكفار)** ومخاللتهم **(خوفًا عليه)** في إفساد عقيدته **(مع أن القويَّ)** في إسلامه **(لا يُندَب إلىٰ مخالطتهم)** ولا يؤذَن له مع أَمْنِه علىٰ دينه.

وتحرير كلامه فيه أن أنواع الفلسفيات أربعة[٢]: رياضية ومنطقية وإلهية وطبيعية؛ فالرياضية علىٰ أربعة أقسام:

الأول: علم الأرثماطيقي، وهو معرفة خواصِّ العدد وما يطابقها من معاني الموجودات التي ذكرها فيثاغورس [ونيقوماخوس] وتحته علم الوفق وعلم الحساب الهندي وعلم الحساب القِبطي والزنجي وعلم عقد الأصابع.

الثاني: علم الجومطريا، وهو علم الهندسة بالبراهين المذكورة في إقليدس، ومنها عِلْمية وعَمَلية، وتحتها علم المساحة وعلم التكسير وعلم رفع الأثقال وعلم

---

(١) التعريفات ص ١٧٦.

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٢٨٩.

الحِيَل المائية والهوائية والمناظر والحرب.

الثالث: علم الأسطرنوميا، وهو علم النجوم بالبراهين المذكورة في المجسطي(١)، وتحته علم الهيئة والميقات والزيج(٢) والتحويل.

الرابع: علم الموسيقىٰ، وتحته علم الإيقاع والعَرُوض.

فهذا كله النوع الأول من الفلسفيات.

(الثاني: المنطق، وهو بحثٌ عن وجه الدليل وشروطه، ووجه الحدِّ وشروطه) وفي «المنقذ من الضلال» للمصنف(٣): وهو نظر في طرق الأدلة والمقاييس، وشروط مقدِّمات البرهان، وكيفية تركيبها، وشروط [الحد] الصحيح، وكيفية ترتيبه. ا.هـ.

وهذا باعتبار الموضوع، وباعتبار الغاية: آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهنَ عن الخطأ [في الفكر](٤) ويسمىٰ أيضًا: علم الميزان، وسمَّاه أبو نصر الفارابي: رئيس العلوم، ولكونه آلةً في تحصيل العلوم الكسبية النظرية والعَمَلية لا مقصودًا بالذات سمَّاه ابن سينا بخادم العلوم(٥) **(وهما داخلان في علم الكلام)** وقد اختُلف في الاشتغال به علىٰ أقوال، فمنهم مَن جعله فرض عين، وبناه علىٰ عدم إيمان المقلِّد، وهو أبعد الأقوال، وأليق بأن يقال لصاحبه:

---

(١) المجسطي: كتاب قديم في الهندسة والفلك وضعه بطليموس الفلكي المصري سنة ١٤٠ م تقريبًا في الإسكندرية، وترجمه حنين بن إسحاق إلىٰ العربية في عهد المأمون العباسي، وعُد حجة في بابه. ويسمىٰ باليونانية: ماتماتيكا سينتاكسيس، ومعناه: الأطروحة الرياضية.

(٢) الزيج: كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها حركات النجوم، ويستخرج بواسطتها التقويم سنة سنة.

(٣) المنقذ من الضلال ص ٨١. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٤) التعريفات ص ٢٥١. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٥) مفتاح السعادة ١/ ٢٧٢. كشف الظنون ٢/ ١٨٦٢.

أوردها سعدٌ وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورَد الإبل[١]

ومنهم مَن قال: فرض كفاية، وإليه أشار السيد الجرجاني وغيره، وقد ردَّه ابن القيِّم فقال[٢]: لا فرض إلا ما فرضه الله ورسوله، فيا سبحان الله! هل فرض الله علىٰ كل مسلم أن يكون منطقيًّا؟! فإن فرض الكفاية كفرض العين في تعلُّقه بعموم المكلَّفين، وإنما يخالفه في سقوطه بفعل البعض، والمنطق لو كان علمًا صحيحًا كانت غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله أضعاف حقِّه، وفاسده وتناقُضُ أصوله واختلاف مبانيه يوجب مراعاتها الذهنَ أن يزيغ في فكره، ولا يؤمن بهذا إلا مَن قد عرفه وعرف فساده وتناقُضه.

ونُقل عن المصنف في كتابه «المستصفَىٰ» في أوله[٣]: هذه مقدِّمة العلوم كلها، ومَن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً. وهذا الذي رده عليه أبو عمرو ابن الصلاح، وأقام عليه النكير في ذلك وحرَّم الاشتغال به، وتبعه الإمامُ النووي، وسيأتي الجواب عنه قريبًا.

وأول مَن بيَّن فسادَه وتناقُضه ومناقضة كثيرٍ منه للعقل الصريح وألَّف فيه أبو سعيد السِّيرافي النحوي، ثم القاضي أبو بكر ابن الطيِّب، والقاضي عبد الجبار، والجُبَّائي، وابنه، وأبو المعالي، وأبو القاسم الأنصاري، وخَلْق لا يُحصَون، وآخر مَن تجرَّد لذلك تقي الدين ابن تيمية الحافظ؛ فإنه أتىٰ في كتابيه الكبير والصغير[٤] بالعجب العُجاب، وكشف أسرارهم، وهتك أستارهم.

---

(١) في مجمع الأمثال للميداني ١/ ٨٦: «آبل من مالك بن زيد مناة. هو سبط تميم بن مرة، وكان يتحمق، إلا أنه كان آبل أهل زمانه، ثم إنه تزوج وبنىٰ بامرأته، فأورد أخوه سعد الإبل ولم يحسن القيام عليها والرفق بها، فقال مالك: أوردها سعد ...» الخ.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٨٣. وقد تقدم كلام ابن القيم هذا عند الحديث عن بيان العلم الذي هو فرض كفاية.

(٣) المستصفىٰ ١/ ٣٠.

(٤) الكتاب الكبير هو: الرد علىٰ المنطقيين، والصغير هو: نقض المنطق.

وبه أفتىٰ الحافظ جلال الدين السيوطي، وألَّف فيه «القول المُشرِق في تحريم المنطق»، ونقل فيه عن الأئمة الأربعة ما يدل علىٰ تحريمه، وهو - في الحقيقة - مختصرُ ما في كتابَي ابن تيمية مع زيادات فرعية، وقد ردَّ عليه أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي من المغاربة.

وقال ابن القيم في الردِّ علىٰ المنطق نظمًا[1]:

وا عجبًا لمنطق اليونان ... كم فيه من إفك ومن بُهتان
مخبِّط لجيِّد الأذهان ... ومُفسِد لفِطْرة الإنسان
ومُبكِم للقلب واللسان ... مضطرب الأصول والمباني
علىٰ شفا هارٍ بناه الباني ... أحوجُ ما كان إليه العاني
يخونه في السر والإعلان ... يمشي به اللسان في الميدان
مشي مقيَّدٍ علىٰ صفوان ... متَّصل العثار والتَّواني
كأنه السَّراب من قيعان ... بدا لعين الظامئ الحيران
فأَمَّه بالظن والحُسْبان ... يرجو شفاء غلة الظمآن
فلم يجد ثَمَّ سوىٰ الحرمان ... فعاد بالخيبة والخسران
يقرع سن نادم حيران ... قد ضاع منه العمر في الأماني

وعايَنَ الخفَّة في الميزان

ثم قال: وما كان من هَوَس النفوس بهذه المنزلة فهو بأن يكون جهلاً أَولىٰ منه بأن يكون علمًا تعلُّمُه فرضُ كفاية أو فرض عين، وهذا الشافعي وأحمد وسائر أئمة الإسلام وتصانيفهم وسائر أئمة العربية وتصانيفهم وأئمة التفسير وتصانيفهم لمَن نظر فيها هل راعوا فيها حدود المنطق وأوضاعه؟ وهل صح لهم علمُهم بدونه

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٨٥.

أمْ لا؟ بل كانوا أجَلَّ قَدْرًا وأعظم عقولاً من أن يشغلوا أفكارَهم بهذيان المنطقيين، وما دخل المنطقُ علىٰ علم إلا وأفسده وغيَّر أوضاعَه وشوَّش قواعدَه. ا.هـ.

وقال عليٌّ القاري: هو من العلوم المذمومة، ويسمَّىٰ: دهليز الكفر، ونُقل عن ابن تيمية أنه قال: ما أظن الله عَزَّوَجَلَّ يغفل عن المأمون ولا بد أن يعاقبه بما أدخل علىٰ الأمَّة من نقل هذا العلم من اليونانية إلىٰ العربية[١]. ا.هـ.

وأما الجواب عن الغزالي فيما أورده عليه ابن الصلاح علىٰ مقالته التي سبقت في أول كتابه «المستصفىٰ» فقال الشيخ تقي الدين السبكي بعد كلام طويل[٢]: ولا ينكَر فضل الشيخ تقي الدين ابن الصلاح وفقهه وحديثه [ودينه][٣] وقصدُه الخير، ولكن لكل عملٍ رجالٌ، وأما مَن ذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في هذا المقام فالله يوفِّقنا وإياه لفهم مقامهما علىٰ قَدْرنا، وأما علىٰ قَدْرهما فمستحيل، بل وسائر الصحابة لا يصل أحدٌ ممَّن بعدهم إلىٰ مرتبتهم؛ لأن أكثر العلوم التي نحن نبحث[٤] وندأب فيها الليلَ والنهار حاصلةٌ عندهم بأصل الخِلْقة من اللغة والنحو والتصريف وأصول الفقه، وما عندهم من العقول الراجحة، وما أفاض الله عليهم من نور النبوة العاصم من الخطأ في الفِكر يغني عن المنطق وغيره من العلوم العقلية، وما ألَّف الله بين قلوبهم حتىٰ صاروا بنعمته إخوانًا يغني عن الاستعداد للمناظرة والمجادَلة، فلم يكونوا يحتاجون في علمهم إلا إلىٰ ما يسمعونه من النبي ﷺ من الكتاب والسنَّة فيفهمونه أحسن فهم، ويحملونه علىٰ أحسن مَحْمَل، ويُنزِلونه منزلتَه، وليس بينهم مَن يمارِي فيه ولا يجادل، ولا بدعة ولا ضلالة، ثم التابعون علىٰ [منازلهم و][٥] منوالهم قريبًا منهم، ثم أتباعهم، وهم القرون الثلاثة التي شهد النبيُّ ﷺ

---

(١) انظر: كشف الظنون ٢/ ١٨٦٣.

(٢) طبقات السبكي ٦/ ٢٥٤ - ٢٥٦.

(٣) زيادة من طبقات السبكي.

(٤) في المطبوعة: نتبع. والمثبت من طبقات السبكي.

(٥) زيادة من طبقات السبكي.

[لها][١] بأنها خير القرون بعده، ثم نشأ بعدهم -وربما في أثناء[٢] الثاني والثالث- أصحاب بِدَع وضلالات، فاحتاج العلماء من أهل السنَّة إلىٰ مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتىٰ لا يَلْبِسوا علىٰ الضعفاء أمرَ دينِهم، ولا يُدخِلوا في الدين ما ليس منه، ودخل في كلام أهل البدع من كلام المنطقيين وغيرهم من أهل الإلحاد شيءٌ كثير، ورتَّبوا علينا شُبَهًا كثيرة، فإن تركناهم وما يصنعون استولوا علىٰ كثير من الضعفاء وعوامِّ المسلمين والقاصرين من فقهائهم وعلمائهم فأضلُّوهم وغيَّروا ما عندهم من الاعتقادات الصحيحة، وانتشرت البِدَع والحوادث، ولم يمكن كلَّ واحد أن يقاومهم[٣]، وقد لا يفهم كلامَهم؛ لعدم اشتغاله به، وإنما يردُّ علىٰ الكلام مَن يفهمه، ومتىٰ لم يردَّ عليه تعلو كلمتُه، ويعتقد الجاهلون والأمراء والملوك المستولون علىٰ الرعية صحة كلام ذلك المبتدع.

كما اتفق في كثير من الأعصار، وقصرت هِمَمُ الناس عمَّا كان عليه المتقدِّمون، فكان الواجب أن يكون في الناس مَن يحفظ اللهُ به عقائد عباده الصالحين، ويدفع به شُبَه الملحدين، وأجره أعظم من أجر المجاهد بكثير، وبه يحفظ أمر بقية الناس وعبادات المتعبِّدين واشتغال الفقهاء والمحدِّثين والمفسِّرين والمقرئين وانقطاع الزاهدين

لا يعرف الشوقَ إلا مَن يكابده ... ولا الصَّبابةَ إلا مَن يعانيها[٤]

فاللائق بابن الصلاح وأمثاله أن يشكر الله تعالىٰ علىٰ ما أنعم به عليه من

---

(١) زيادة من طبقات السبكي.

(٢) في طبقات السبكي: وكان قليلًا في أثناء.

(٣) في المطبوعة: ولم يكن كل واحد يقاومهم. والمثبت من طبقات السبكي.

(٤) البيت في الوافي بالوفيات ٢/ ١٧٦ ووفيات الأعيان ٤/ ٤٦٤ منسوبًا لمحمد بن بختيار العراقي المعروف بالأبله (ت ٥٨٠).

الخير وما قيَّض الله له من الغزالي وأمثاله الذين تقدَّموه حتىٰ حفظوا له ما يتعبَّد به وما يشتغل به. ا.هـ.

وقال العلاَّمة الحسن اليوسي في حاشيته علىٰ الكبرىٰ[1] ما نصُّه: وممَّن تفوَّه بذمِّه السيوطيُّ، ذكر في كتابه «الحاوي في الفتاوي»[2] أنه سُئل عن إنسان كان يقول: إن توحيد الله متوقِّف علىٰ [معرفة][3] علم المنطق، وأن علم المنطق فرض عين علىٰ كل مسلم، وأن لكل متعلِّم منه بكل حرف عشر حسنات، ولا يصح توحيدُ مَن لا يعلمه، وإن أفتىٰ وهو لا يعلمه فما يفتي به باطلٌ.

فأجاب بأن المنطق خبيث مذموم، يحرُم الاشتغالُ به، وذكر أنه لا ثمرة له دينية أصلاً، بل ولا دنيوية، وذكر جماعةً نقل عنهم ذلك، ثم ذكر أن المنطق لو قُدِّر أنه لا ضرر فيه وأنه حقٌّ لم ينفع في التوحيد أصلاً، ولا يُظَنُّ أنه ينفع فيه إلا مَن هو جاهل بالمنطق لا يعرفه؛ لأن المنطق إنما براهينه علىٰ الكلِّيات، والكليات لا وجود لها في الخارج، ولا تدل علىٰ جزئيّ أصلاً.

قال: هكذا قرَّره المحقِّقون والعارفون بالمنطق.

قال: فهذا الكلام الذي ذكره القائل استدللنا به علىٰ أنه لا يعرف المنطق ولا يُحسِنه، فلزم بمقتضىٰ قوله أنه مشرك؛ لأنه قال: التوحيد متوقِّف علىٰ معرفته، وهو لم يعرفه بعدُ. هذا حاصل الغرض من كلامه، وقد علمتَ مما مر سقوطَ هذا الكلام وما احتوىٰ عليه من التخيُّلات والأوهام، أما قوله: إنه خبيث مذموم، فهو دعوىٰ تقدَّم بيانُ فسادها، وأما قوله: إنه لا منفعة له، فإنكارٌ للمحسوس، ولكن

---

(١) يعني: العقيدة الكبرىٰ المسماة: عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، لمحمد ابن يوسف السنوسي.

(٢) الحاوي في الفتاوي ١/ ٢٥٥ - ٢٥٧.

(٣) زيادة من الحاوي.

ما ضرَّ شمسَ الضحىٰ في الأفق طالعةً

أن لا يرىٰ ضوءها مَن ليس ذا بصر[١]

وكيف يحكم عليه بعدم الفائدة وهو لا يعرفه؟ لكن مَن جهل شيئًا عاداه

قد تنكر العينُ ضوءَ الشمس من رَمَد ... وينكر الفمُ طعمَ الماء من سقم[٢]

فإذا كنت بالمَدارك غِرًّا ... ثم أبصرتَ حاذقًا لا تُمارِي

وإذا لم ترَ الهلال فسلِّمْ ... لأناسٍ رأوه بالأبصار[٣]

وأما قوله: إن الكلِّيات لا وجود لها في الخارج، فأعجبُ أن يصدُر هذا الكلام احتجاجًا في نحو هذا المقام عن عاقل فضلاً عن فاضل، وما كنت أحسبه بهذه المنزلة، ولقد كنتُ أراه رحمه الله تعالىٰ يرتفع عنها وهو ممَّن له مشارَكة، وهذا الكلام ينبئ أنه لم يشمَّ رائحة المعقول، وتلزمه عليه شناعاتٌ، منها: أن هذا الكلام الذي استدل به يستدعي ويقتضي أنه يزعم أن جميع العلوم التي ينتحلها خارجية، أي محسوسة، وهذا -مع بداهة بطلانه ومضاهاته قول السُّمَنية[٤] وكونه من قبيل السوفسطائية[٥]- يقتضي أنه لم يدرك قانونًا فقهيًّا ولا أصوليًّا ولا نحويًّا

---

(١) البيت لأبي الحسن منصور بن إسماعيل التميمي المصري الشافعي الضرير، وقبله:

عاب التفقه قوم لا عقول لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضرر

طبقات السبكي ٣/ ٤٧٨. وفيات الأعيان ٥/ ٢٩٠. طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٠٨. مرآة الجنان لليافعي ٢/ ١٨٦.

(٢) البيت لشرف الدين محمد بن سعيد البوصيري المصري من قصيدته الميمية المعروفة باسم البردة.

(٣) لم أقف علىٰ قائلهما، وهما في كتاب الفتاوىٰ الفقهية الكبرىٰ لابن حجر الهيتمي ٣/ ٣٤ (ط - المكتبة الإسلامية).

(٤) السمنية: فرقة بالهند دهرية تقول بالتناسخ، وتنكر وقوع العلم بالأخبار، زاعمين أن لا طريق للعلم سوىٰ الحس. قيل: هي نسبة إلىٰ بلدة سومنات بالهند.

(٥) السوفسطائية: طائفة من الفلاسفة قالوا بأنه لا ثبوت لشيء من الحقائق، ولا علم بثبوت حقيقة ولا بعدم ثبوتها وهم ثلاث أقسام: الأول: العنادية: وهم الذين ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون =

ولا غير ذلك، وأن جميع ما يدركه منها جزئيات خارجية؛ إذ لو كان غير ذلك لكان مما يفيده المنطقُ، فتكون له ثمرة، ولا خفاء أن مَن كان بهذه المثابة ليس له من العلوم مشاركة، ولا يستحق جوابًا، ويقتضي أنه لم يدرك شيئًا من العلوم أصلاً؛ لأن جميع النِّسَب ليست خارجية بل معانٍ إما كلية أو جزئية، وهذه المنزلة لم يكن فيها شيء من الحيوانات الناطقة ولا العُجْم؛ أما الناطقة فلأنها تدرك الثلاثة، أعني المعاني الكلية والصور الخارجية والمعاني الجزئية، موجودةٌ في الصور أمْ لا، وأما العُجْم فلأنها تدرك الصور والمعاني الجزئية الموجودة فيها، أما الحاضر المدرَك في الخارج فليس من الحيوانات أصلاً. ومنها: أن هؤلاء العلماء الذين نقل عنهم هذا يلزمه أن لا يثق بنقلهم؛ لأنهم فُسَّاق، حيث اشتغلوا بالمنطق المحرَّم؛ لاعترافه أنهم عارفون به.

ومنها: ما يفعله أئمة الأصول والكلام في تآليفهم بتصدير الكتاب بجملة من المنطق، كصاحب المختصر[١] وصاحب «الطوالع»[٢] وغيرهما - حرامٌ، ويلزمه أن لا يقرأ شيئًا من هذه الكتب، أو أن يتخطَّىٰ ذلك الموضعَ.

ومنها: أنه يلزمه أن لا يدرك إلا الكتاب والسنَّة ويحرُم ما سواهما، كما تقدَّم من مذهب الحَشَوية[٣] والظاهرية؛ لأن علم الكلام إنما هو علىٰ منوال المنطق ... إلىٰ غير هذا من النكت السوء التي يُسفِر عنها وجهُ هذا الكلام مع ما قبله وما بعده، ومفاسد قلة التأمُّل أكثر من أن يحيط بها نطاق البيان، ومَن ادَّعىٰ علىٰ غير

= أنها أوهام وخيالات باطلة. الثاني: العندية: وهم الذين ينكرون ثبوت حقائق الأشياء ويزعمون أنها تابعة لاعتقاد المعتقد.

(١) هو ابن الحاجب المالكي.

(٢) طوالع الأنوار في مطالع الأنظار للقاضي البيضاوي.

(٣) الحشوية: قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلىٰ التجسيم وغيره واكتشاف اصطلاحات النصوص ١/ ٦٧٨).

بصيرته فضحته شواهدُ العيان، ولو تصدَّينا لهذه المسألة لأسمعناك منها ما يثلج الصدورَ، ويطلع في سمائها لوامعُ البدور، ولكن أعرضنا عنها مخافةَ السآمة، وقد كنتُ هممت لمَّا اطَّلعت علىٰ ذلك الكلام أن أضع فيها جزءًا مستقلاً، فرأيت ذلك كالبطالة، ولولا أن يستميل البُلَداء ما في مقالتي من الإغراب ويظنوا أنه هو فصل الخطاب لكان السكوت عن هذه المسألة رأسًا هو الصواب، وإعارتها أذنًا صَمَّاء هو غاية الجواب

ورُبَّ كلام طار فوق مَسامعي كما طار في لوح الهواء ذبابُ[1]

وما قَصَدْنا بهذا الكلام تنقيصَ العلماء، ولا اهتضام الجلال السيوطي، وإنما ألزمناه ذلك لكلامه، وإنَّا نعلم أنه من الفضلاء، وأنه ليس بتلك المنزلة التي ألزمناه، لكن -وإن كان بعين التوقير والإجلال- فالحق أحقُّ أن يُتَّبَع، ومن كلام أرسطو الحكيم في حق شيخه أفلاطون: إنَّا نحب الحق، ونحب أفلاطون ما اتفقنا، فإذا اختلفنا كان الحق أَولىٰ منه.

هذا إن أراد تحريم المنطق رأسًا، وأما إن أراد الزجر عن التوغُّل فيه والإفراط والاشتغال بتمشدق فيه عن الكتاب والسنَّة أو أراد نهي البليد عن الخوض فيه فهذا مسلَّم صحيح، وكذا بطلان ذلك الكلام المسؤول عنه، وما ذكر في المنطق هو كذلك، وبعد كَتْبي هذا رأيت كلام الشيخ الماهر الفقيه المتبحِّر أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي في ردِّه علىٰ السيوطي، وكان السيوطي إذا ألَّف تأليفًا بعثه إليه، فلما ألَّف تأليفه الذي سمَّاه «القول المُشرِق في تحريم المنطق» بعثه إليه، فردَّه عليه المغيلي غايةَ الرد، وبالَغَ في الإنكار عليه، وقال في ذلك قصيدةً، منها:

سمعتُ بأمر ما سمعتُ بمِثله وكل حديث حكمُه حكمُ أصلِه

أيمكن أن المرء في العلم حُجَّة وينهىٰ عن الفُرقان في بعض قوله

---

(١) لم أقف علىٰ قائله.

هـل المنطـق المعنـيُّ إلا عبـارة … عـن الحق أو تحقيقـه حين جهله

معانيـه في كل الـكلام فهـل تـرىٰ … دليـلاً صحيحًـا لا يُـرَدُّ لشـكله

أو هـل هـداك اللهُ منـه قضيـةً … عـن غيـر هـذا تَنْفِهـا عـن محلِّـه

ودَعْ عنـك إبـداء كفـور وذمَّـه … رجـال وإن أثبـت حُجَّـة نقلـه

خذِ العلم حتىٰ من كَفُور ولا تُقِمْ … دليلاً علىٰ شـخص بمذهب مِثْلِه

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبِنْ … بـه لا بهـم إذ هـم هُـداة لأجلـه

لئن صحَّ عنهم ما ذكرتَ فكم هم … وكـم عالِـم بالشـرع بـاح بفضلـه

وأراد بالفُرقان: المنطق؛ لأنه يفرِّق بين الخطأ والصواب.

وفي قوله: إن أثبت حُجَّة نقله، مع قوله قبله: ما سمعتُ، وقوله عقبه: لئن صح عنهم ما ذكرتَ - إشارةٌ إلىٰ عدم تسليم صحة ما نقله، وتأمَّلْ ما أشار إليه رحمه الله تعالىٰ في أبياته من الردود القاطعة والأجوبة القامعة، ولولا خشية الإطالة لوشَّحنا هذه الأبيات بما يحرِّر في هذا المبحث أقصىٰ الغايات، وتُنصَب علىٰ منهجه سواطع الآيات. ا.هـ. كلام اليوسي رحمه الله تعالىٰ.

قلت: اعلمْ أن الشيخ أبا الوفاء الحسن بن مسعود اليوسي وأبا عبد الله محمد ابن عبد الكريم المغيلي لا يُنكَر فضلُهما ولا جلالة قَدْرهما، وأين هما من معرفة مقام السيوطي؟ فإن لكل علم رجالاً، ولنقدِّمْ قبل الخوض في الكلام بمقدِّمة لطيفة، ثم نتكلم معهما بالإنصاف وإن لم أبلغ شأوهَما:

إن الإنسان قد ينشأ في قُطْر أَلِفَ أهلُه فنًّا من الفنون، وتعوَّدوا علىٰ تحصيله، فيربَّىٰ عليه من الصِّغَر حتىٰ يصير ذلك عادة له ودَيْدَنًا كما يتربَّىٰ اللحم والعظام علىٰ القَدْر المعتاد، والعادة إذا قويت غلبت حكمَ الطبيعةِ، ولذا قيل: هي طبيعة ثانية، ثم يأتيه ما يخالفه وهلةً واحدة يريد إزالته وإخراجه من قلبه وأن يسكن موضعَه، فيعسر عليه الانتقالُ، ويصعب عليه الزوال.

وهذا أغلب الأسباب علىٰ أرباب المقالات والنِّحَل، ليس علىٰ أكثرهم بل جميعهم إلا ما عسىٰ أن يشذَّ إلا عادة، ومربَّىٰ تربَّىٰ عليه طفلاً لا يعرف غيرَه ولا يحس به فالانتقال عنه كالانفكاك عن الطبيعة إلىٰ طبيعة ثانية، وكان قُطْر المغرب المحروس في أول ما نشأ فيه الإسلام الغالبُ علىٰ أهله الميل إلىٰ علوم الشريعة، وعدم الخوض في علوم الفلسفة رأسًا، فكان فيهم مثل الإمام الحافظ بقيِّ بن مَخْلَد القرطبي صاحب المسنَد المشهور وابن حزم وابن عبد البر وأمثالهم، ثم القاضي عياض وأبو عبد الله المازري والطرطوشي وأمثالهم.

فهؤلاء كانوا في غاية الصلابة في علوم الشريعة وذمِّ الفلسفة وعدم النظر في كتبهم، ولمَّا كان القرن الخامس وفد جماعةٌ منهم إلىٰ عراق العجم ونقلوا عنهم المنطق وغيره، فكان من الإمام المازري وابن حِرْزهم والقاضي عياض ما كان في إفتائهم بإحراق كتاب الإحياء لمَّا رأوه علىٰ طريقة غريبة تخالف ظاهرَ طريقة الفقهاء، وكان من ابن رشد ما كان من الطامَّات، ثم في الأواخر ظهرت من جبال نفوسة[١] والجِرْبة[٢] قومٌ خوارج نظروا في الفلسفة، وخالطوا علماء الإسلام، وأوردوا عليهم شُبَهًا لفَّقوها، فاحتاج علماء ذلك العصر إلىٰ الخوض في المنطق، وتوغَّلوا في الكلام لأجل الرد عليهم خوفًا منهم علىٰ ضعفاء العقائد من المؤمنين، حتىٰ جاء القطب الكامل أبو عبد الله سيدي محمد السنوسي الحَسَني -نفع الله به- فتصدَّىٰ للرد عليهم، وبالَغَ في الإنكار والتعصيب لمدافعتهم، فألَّف رسائل في المنطق والكلام، وشغل الناس بها، وفي آخر الأمر دعا عليهم فأبادهم الله تعالىٰ،

---

(١) جبل نفوسة (أو الجبل الغربي): سلسلة جبال تقع شمال غرب ليبيا، وتمتد من مدينة غريان جنوب طرابلس وتنتهي في مدينة تالة التونسية، ومن أهم مدنها: يفرن، والزنتان، وترهونة، والرجبان، ونالوت.

(٢) جربة: جزيرة تقع جنوب شرق تونس في خليج قابس، وهي أكبر الجزر الموجودة بشمال أفريقيا، حيث تبلغ مساحتها ٥١٥ كم مربع. دخلها الإسلام سنة ٦٠ علىٰ يد رويفع بن ثابت الأنصاري.

وكفىٰ الله المؤمنين شرَّهم، وكان قصدُه في ذلك جميلاً؛ لأنه ذبَّ عن عقائد المسلمين وحماها عن التسلُّط بإيراد الشُّبَه عليها.

وأتىٰ مَن بعده من العلماء والفضلاء فولع بطريقته، مع صلاح المشار إليه وشهرته بالكرامات في ذلك القُطْر، وتلقَّاها خَلَفٌ عن سلف، وخاضوا فيها حتىٰ صاروا أئمة في ذلك يُشار إليهم بالبنان، ثم اختلط الأمر بعد ذلك، ونشأ بعدهم مَن تلقَّىٰ عنهم ذلك، فظن أنه لا كمال إلا فيما هو مشتغل به، فصار ما يشتغل به من المنطق وغيره كالغذاء له، فلا يسمع فيه عذل عاذل، ولا لوم لائم، ثم نُزعت عنهم رواية الحديث والآثار الأخبارية [إلا بقية][1] بقيتْ علىٰ نهج الرعيل الأول، حتىٰ ترىٰ عصر شيوخ مشايخنا منهم الذين وفدوا إلىٰ مصر لم يكن عندهم من الرواية إلا شيء قليل، فبسبب ذلك راج أمرُه في مصر، وأكبُّوا علىٰ تحصيله بعد أن لم يكونوا يشتغلون به إلا مذاكرة في بعض الأحيان تشحيذًا للأذهان، وهذا هو السبب في اضمحلال علم الحديث ودروس آثاره وقلة حَمَلتِه وذهاب أحباره.

فإذا عرفتَ ما ذكرناه لك إجمالاً، فاعلمْ أن قول السيوطي في جواب السائل أنه -أي المنطق- خبيث، صحيح، وتقريرُ ذلك: أن[2] القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه، إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات، وهو أصعبهما وأقتلُهما للقلب، وإليه يشير قوله تعالىٰ في حق المنافقين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠] وقوله تعالىٰ: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:٥٣].

ومن أمراض القلب: حب الرياسة والعلو في الأرض، وهذا المرض مركَّب من مرض الشهوة والشُّبهة؛ فإنه لا بد فيه من تخيُّل فاسد وإرادة باطلة، كالعُجْب

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٣٦٧ - ٣٦٨ باختصار.

والفخر والخُيَلاء والكِبْر المركَّب من تخيُّل عظمته وفضله وإرادة تعظيم الخَلْق له ومدحتهم، فلا يخرج مرضُه عن شهوة أو شبهة أو مركَّب منهما، وهذه الأمراض إذا تدبَّرتَ لها بالفكر الصحيح مفسدة للقلب، متولِّدة من المنطق، فهو أحرىٰ بأن يسمَّىٰ خبيثًا لذلك؛ فإن الخبيث ضد الطيِّب، وما يفسد القلبَ -الذي هو خزانة الله لأسرار معرفته- فهو خبيث مخبِث، وإذا فسد القلب فسد الفكرُ، فلا يخطر بباله سوىٰ مناقضات ومجادلات مذمومة بينها وبين علماء الآخرة فرقٌ كبير.

وأما قول السيوطي: إنه مذموم، فصحيح أيضًا نظرًا لِما ذكرنا، وناهيك بمَن ذمَّه من علماء الإسلام، كأبي سعيد السيرافي النحوي، وأبي طالب المكي، والقاضي أبي بكر ابن الطيِّب، والإمام أبي المعالي، وأبي القاسم الأنصاري، وأبي عمرو ابن الصلاح، والشرف النووي، والحافظ ابن تيمية، وغيرهم، وهم كثير، فهؤلاء أساطين الإسلام وعُمَد الدين، وكفىٰ للسيوطي أسوة بهؤلاء من جالينوس وأفلاطون، وكونه علمًا برأسه مسلَّم، ولكن كم من علم هو معلوم لصاحبه وصاحبه يسمَّىٰ بذلك عالِمًا، إلا أنه ليس من العلوم التي تنفع صاحبه في الآخرة، بل من علوم الدنيا المورِث للصفات المتقدِّمة، وكونه وسيلة إلىٰ العلوم مسلَّمٌ، ولكن أكثر بحوثه ومسائله فَضْلة لا تفتقر معرفةُ الخطاب وفهمه عليها، بل أكثرها تُرَّهات، وبعضها خوضٌ فيما لا يتعلَّق بالدين أصلاً، فكيف يقال إن تعلُّمها واجب؟!

ونحن نقول: إن المطلوب الواجب من العبد من العلوم والأعمال ما إذا توقَّف علىٰ شيء منها كان ذلك الشيء واجبًا وجوبَ الوسائل، ومعلومٌ أن ذلك التوقُّف يختلف باختلاف الأشخاص [والأزمان] والألسنة والأذهان، وليس لذلك حدٌّ مقدَّر[1]، ولعَمْري إن الشيطان حريص علىٰ إيقاع العبد في أسباب طرق الهلاك، لا يفتُر يقظةً ولا منامًا، ولا بدَّ له إذا أيس من أن يحول بينه وبين الإيمان الذي هو غاية مراده أن يوقعه في إحدىٰ هؤلاء: إما أن يحرِّضه علىٰ البدعة، وهي أحبُّ إليه

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٨٦. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

من المعصية؛ فإن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها؛ لأن صاحبها يرىٰ أنه علىٰ هدىٰ، وإما أن يشغله بالعمل المفضول عمّا هو أفضل منه، وإما أن يسلِّط عليه حزبه يرمونه بالعظائم ليشغل قلبه عما هو أهمُّ[١].

وأيضًا، فإن اشتغال الفكرة في صدر تحصيله مرضٌ للقلب، وأمراض القلوب أصعب من أمراض الأبدان؛ لأن غاية مرض البدن أن يفضي بصاحبه إلىٰ الموت، وأما مرض القلب فيفضي بصاحبه إلىٰ الشقاء الأبديِّ[٢]، وأين هذا من قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس:٥٧] بل جعل بعضُهم الاشتغالَ به نوعًا من الغفلة، وبمنزلة عِشق الصور الذي سُئل عنه بعض العلماء فقال: قلوب غفلت عن ذِكر الله فابتلاها الله بعبودية غيرِه[٣]. وأنت لا تجد في كتب هؤلاء ذِكر الله وذِكر رسوله قطُّ، ما عدا الخطبة، ولا تجد مجالسهم إلا مشحونة بالجدال المذموم والخصام المنهيِّ عنه والرد والتعيير والطعن والتحقير، ومَن مارسهم عرف منهم ذلك، وما كان بهذه المَثابة فأحرىٰ أن يبذر في القلب أنواعَ الأماني والشبهات والشهوات والخيالات، فيثمر كلَّ شوك وكل بلاء، ولا يزال يمدُّه بسقيه حتىٰ ينطوي علىٰ القلب ويعميه[٤]، وليس له دليل أوضح من المعايَنة، وانظر إلىٰ الحديث: «نعوذ بالله من علمٍ لا ينفع»، والمنطق لا ينفع صاحبَه. نعم في الدنيا؛ لكونه يورِث له الجاه والسمعة والرياسة والعلوَّ علىٰ الإخوان، وانظر إلىٰ الحديث: «مَن تعلَّم العلمَ ليماري به السفهاءَ أو يجاري به العلماء أو يصرف وجوهَ الناس إليه لم يَرُح رائحة الجنة». وهذه الأوصاف الثلاثة موجودة في المنطق.

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٧٠.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٧٥.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[١]: «مَن تعلَّم علمًا مما يُبتغَىٰ به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضًا من الدنيا لم يشمَّ رائحة الجنة». والمنطق ليس مما يُبتغَىٰ به وجه الله، وإن فُرض ذلك لكونه وسيلة فلا يتعلمه الإنسان إلا لإصابة غرض من الدنيا كالجاه والشهرة والرياسة، وهذا في علماء العجم المتأخِّرين الذين أكبُّوا علىٰ تحصيله ليلاً ونهارًا، وصرفوا نفائس أعمارهم عليه معلومٌ لا يحتاج إلىٰ برهان، وإن كنتَ في رَيْب من ذلك فطالِعْ تراجمهم وأحوالهم ومناظراتهم في مجالس الملوك.

وقول السيوطي: إنه لا ينفع في التوحيد أصلاً، فصحيح أيضًا؛ فإنه ليس المراد بقوة الإيمان الحاصل من التوحيد ما كان موثَّقًا بالبراهين المنطقية كما يوهمه قولُهم، وإنما هو هجوم العلم بصاحبه علىٰ حقيقة الأمر، وعلامته انشراح الصدر لمنازل الإيمان وانفساحه، وطمأنينة القلب لأمر الله، والإنابة إلىٰ ذِكر الله ومحبته والفرح[٢] بلقائه، والتَّجافي عن دار الغرور، كما في الأثر المشهور: إذا دخل النورُ القلبَ انفسح وانشرح. قيل: وما علامة ذلك؟ قال: «التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله». وهذا هو العلم التام، وهو العاصم من الخطأ في الفِكر.

وقال الحافظ الذهبي في «زغل العلم»[٣]: المنطق نفعه قليل، وضرره وبيل، وما هو من علوم الإسلام، والحق منه كامن في النفوس الزكية بعبارات غريبة، والباطل منه فاهربْ منه؛ فإنك تنقطع مع خصمك وأنت تعرف أنك المحقُّ، وتقطع خصمَك وتعرف أنك علىٰ الخطأ، فهي عبارات دهَّاشة، ومقدِّمات دكَّاكة، فنسأل الله السلامة، وإن قرأتَه للفرجة لا للحُجَّة، وللدنيا لا للآخرة، فقد عذَّبتَ

---

(١) لم أقف عليه في الحلية، وقد رواه أبو داود في سننه ٤/ ٢٤٥ من حديث أبي هريرة.

(٢) في المطبوعة: والفوز. والمثبت من مفتاح دار السعادة ١/ ٤٦٤، والنص فيه.

(٣) زغل العلم ص ٤٣ (ط - مكتبة الصحوة الإسلامية).

الحيوان، وضيَّعت الزمان، والله المستعان، وأما الثواب فتيَأّسْ منه، ولا تأمن من العقاب إلا بمتاب. ا.هـ.

واعلم[١] أنه إنما يستعين العالِم عند المشكلات في الدين ويحتاج إلىٰ العارف عند شبهات حاكت في الصدور، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تزالون بخير ما إذا حاك في صدر أحدكم شيء وجد مَن يخبره به ويشفيه منه، وايمُ الله أوشك أن لا تجدوا ذلك.

وقد حصلت في زماننا هذا في مثل ما خافه ابنُ مسعود؛ لأن مشكلة لو وردت في معاني التوحيد وشُبهة لو اختلجت في صدر مؤمن من معاني صفة الموحد وأردتَ كشف ذلك علىٰ حقيقة الأمر بما يشهده القلب الموفَّق ويثلج له الصدر المشروح بالهدىٰ لكان ذلك عزيزًا في وقتك هذا؛ فإنك إن استكشفتَها من المتكلمين المناطقة الذين هم رؤساء علم التوحيد الآن أفتاك بقصور علمه عن شهادة الموقنين، وبقياس معقوله علىٰ ظاهر الدين، وهذه شبهة، فكيف تنكشف شبهةٌ بشبهة؟!.

ولقد أنكر أحمد بن حنبل علىٰ الحارث المحاسبي رحمهما الله تعالىٰ في الردِّ علىٰ المعتزلة، فقال له الحارث: الرد علىٰ المبتدعة فرض. فقال له أحمد: نعم، ولكن حكيتَ شبهتهم أولاً ثم أجبتَ عنها، فبِمَ تأمن أن يطالع الشبهة مَن يتعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلىٰ الجواب أو ينظر في الجواب مَن لا يفهم كُنْهه؟! وكذا أُنكر علىٰ المصنِّف إذ كشف عن تحقيق مذاهب المبتدعة للرد عليهم وهو ببغداد وقالوا له: هذا سعيٌ لهم؛ فإنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهة لو لا تحقيقك[٢].

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٥٢.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص ٩٢.

وبالجملة، فالاشتغال بالمنطق اشتغال في فضول العلوم وغرائب الفهوم؛ فإن المقصود بشهادة التوحيد الخالصة [المقترنة بالإيمان][1] من خفايا الشِّرك وشعب النفاق هو حسن الأدب في المعاملة بمعرفة ويقين، وذلك هو حال العبد في مقامه بينه وبين ربه عَزَّوَجَلَّ وحظه من مزيد آخرته، والمشتغل به مشتغل بصلاح قالبه وظواهر أحواله عن باطن حاله، وكان سبب ما بُلي به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجِب السياسة والرغبة في عاجل الدنيا، فأذهب أيامه لأيامهم، وأذهب عمره في شهواتهم ليسمَّىٰ عالمًا، ويكون في قلوب البطَّالين عندهم فاضلاً، وقد جعل الله لكل عمل عاملاً، ولكل علم عالمًا، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، وكلٌّ ميسَّر لِما خُلق له.

والمشتغل بالمنطق تراه في أكثر مناظراته يتكلم فيما لم يُكلَّف، ويجادل فيما لم ينطق به السلف، ويتعلَّم ويعلِّم ما عُلِّمه بتكلُّف، وقد ورد في بعض الأخبار: «الحياء والعِيُّ شُعْبتانِ من الإيمان، والبَذاء والبيان شعبتان من النفاق». وفي بعضها مفسَّرًا: والعِيُّ عن اللسان لا عن القلب، وفي خبر آخَر: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلَّل الكلام بلسانه كما تتخلل البقرة الخلا بلسانها». والخلا: الحشيش الرطْب.

وقال الحافظ الذهبي في النصيحة، وهي رسالة صغيرة أرسلها إلىٰ بعض أصحابه ما نصه: ما أحلىٰ قول الأوزاعي: عليك بآثار مَن سلف ولو رفضك الناس، وإيَّاك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فنبيُّك ﷺ هو القائل: «تركتكم علىٰ البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[2]. وخرج رسول الله ﷺ وهم يتنازعون في القَدَر، فكأنما فُقِئ في وجهه حب الرمان وقال: «أبهذا أُمِرتم

---

(١) زيادة من قوت القلوب ١/ ٢٥٣، والنص فيه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ١/ ٧٢ من حديث العرباض بن سارية بسند حسن.

...»؟! وذكر الحديث، فمَن خاض في علم الكلام والجدل والمِراء والمنطق طالبًا لحقيقة معرفة حق الله تعالىٰ فقد أخطأ الطريقَ، ومآله إلىٰ ثلاثة أحوال:

أردؤها: أن يتزلزل إيمانه ويشك فيما كان مستيقنًا من التوحيد الفِطْري والإيمان القرآني، وربما تزندق.

والثاني: أن يتحيَّر ويظلم قلبه ويتنكَّد عيشه من تلك الشُّبَه الرديئة التي لا تشفي غليلاً في الغالب.

والثالث: أنه لا يزداد بها إيمانًا قبل النظر فيها.

فعلم الكلام داء الدين، وعلم السنَّة دواء الدين، وعلم الذِّكر والموعظة قوت الدين وحياة الدين، فمَن أدخل نفسه في مرض فإما أن تكون فيه خفَّة، وإما أن يصير جسده دائم العلة، يفيق تارةً ويتنكَّس أخرىٰ، وإما أن يعافَىٰ من مرضه فيقوم كما كان رأسًا برأس. ا.هـ.

ثم ذكر اليوسي رحمه الله تعالىٰ أنه تلزم السيوطي في جوابه شناعاتٌ، فذكرها، ومنها: أن هؤلاء العلماء الذين نقل عنهم هذا يلزمه أن لا يثق بنقلهم ... الخ. فالجواب عنه: أن مثل هؤلاء الذين نقل عنهم يثق بنقلهم في خصوص ما يتعلق بهذا الفن؛ لأنهم زعماء فيه، ولا يوثق بهم في علوم غيره، وكما يوثق بنقل الطبيب في علم الطب ولا يوثق بنقله في غيره، وكما يوثق بنقل بعض المبتدعة تقريرات قواعدهم لأجل الرد عليهم، وهذا ظاهر، ولكن شدة التعصُّب دعت الذابِّينَ عن الحق إلىٰ تطويل النزاع[1].

ثم قال: ومنها: أن ما يفعله أئمة الأصول والكلام في تآليفهم بتصدير الكتاب بجملة من المنطق كصاحب المختصر وصاحب الطوالع وغيرهما حرامٌ، ويلزمه

---

(١) العبارة الأخيرة من كلام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال ص ٩٣.

أن لا يقرأ شيئًا من هذه الكتب أو أن يتخطىٰ ذلك الموضع.

فأقول: صاحبا المختصر والطوالع وأضرابهما إنما صدَّروا كتبهم بجملة من المنطق لتوقُّف بعض مسائل كتبهم عليها، ولا يمتري أحدٌ منهم أنه من جملة الفلسفة المنهيِّ عن الاشتغال بها، فلا يلزم السيوطيَّ إن تخطىٰ تلك الجمل، واستفاد من بقية الكتاب فيأخذ منه ما صفا ويَدَعُ ما كدر، ولا إن تركهما رأسًا؛ فإنه ليس بمأمور في قراءتهما.

فإن قلتَ: كيف يستفيد من الكتاب مع توقُّف مسائله علىٰ تلك الجُمَل؟

قلت: يستفيد منه كما يستفيد الإمام الشافعي رضي الله عنه الذي هو أول مَن استنبط علم أصول الفقه، أتظن أنه استعان في استنباطه ذلك علىٰ البراهين المنطقية أو خلطه حين أملاه بالجمل المنطقية؟ فتأمَّلْ غايةَ التأمُّل، ودَعْ ما تطابق عليه الناسُ، والحق أحقُّ أن يُتَّبَع، وانظر إلىٰ هؤلاء العلماء المتقنين الذين صنَّفوا في الإسلام كتبًا هي مَدار أهل الإسلام وعمدتهم في فنون شتىٰ هل خلط أحدٌ منهم بشيء من الجمل المنطقية وحشا فيه من العلوم الفلسفية؟ ولا أراك تنكر ذلك، فلماذا لا ترجع إلىٰ الحق الصريح؟ ولا تجد في العصر الأول من القرن الرابع والخامس مَن كان يتكلم فيه إلا القليل ممَّن أقامه الله لردِّ المبتدعة وضوالِّ الفِرَق، مع أن هؤلاء الفِرَق كانت في العصور الأولىٰ أكثر من هذا الزمان ومن قبل هذا بكثير، ثم هؤلاء الذين اشتغلوا به لمَّا فرغوا من القَدْر المحتاج إليه تنصَّلوا عنه وتباعدوا وانفصلوا وأقبلوا علىٰ علوم الآخرة، كما هو ظاهر من حال المصنف لمَن طالَعَ كتابه «المنقذ من الضلال»، ومن حال الفخر الرازي وغيره، ومَن طالَعَ تراجمهم وأحوالهم ظهر له ما ذكرتُ.

ثم قال: ومنها: أنه يلزمه أن لا يدرك إلا الكتاب والسنَّة ويحرم ما سواهما ... الخ.

فاعلمْ أن السيوطي لا يجهل أن مدارك العلوم بعد الكتاب والسنَّة آثار الصحابة والإجماع والقياس مثلاً، ولا يُفهَم من سياقه ما نسبه إليه الشيخ، وأعيذه أن يوهِّمه بمجرَّد معنًىٰ يفهمه من لوازم منطوقه.

وقوله: لأن علم الكلام علىٰ منوال المنطق، أي داخل في حدِّه، ولذلك ذم علم الكلام مَن ذمَّ.

وأخرج الحاكم من رواية الربيع بن سليمان قال: ناظَرَ رجل الشافعيَّ في مسألة فدقَّق، والشافعي ثابتٌ يجيب ويصيب، فعدل الرجل إلىٰ الكلام في مناظرته، فقال له الشافعي: هذا غير ما نحن فيه، هذا كلام، لستُ أقول بالكلام واحدة وأخرىٰ ليست المسألة متعلقة به. ثم أنشأ يقول:

متىٰ تعصبَّت بالباطل الحقُّ يأبَهُ ... وإن قُدْتَ بالحق الرواسي تَنْقَدِ
إذا ما أتيت الأمرَ من غير بابه ... ضللتَ وإن تقصد إلىٰ الباب تهتدي

وقال أبو يوسف رحمه الله: مَن طلب العلم بالكلام تزندق.

وقال الإمام أحمد: العلم إنما هو ما جاء من فوق. يعني إلهامًا.

وقال أيضًا: علماء أهل الكلام زنادقة.

وغير ذلك ممَّا سيأتي للمصنف في قواعد العقائد.

فإنما ذُمَّ الكلام لأجل هذه التهويلات والتشكيكات التي خُلطت به حتىٰ صار -بعد أن كان شرعيًّا- ملحقًا بالفلسفيات.

ثم قال: وما قَصَدْنا بهذا الكلام تنقيصَ العلماء، ولا اهتضام الجلال ... الخ.

قلت: وهذا كما قال القاضي الحافظ أبو بكر في تاريخه في ترجمة الإمام أبي

حنيفة رحمه الله ما نصه[١]: قد سُقْنا عن أيوب السختياني وسفيان الثوري وابن عيينة وأبي بكر بن عياش[٢] وغيرهم من الأئمة أخبارًا كثيرة تتضمن تقريظَ أبي حنيفة والمدح له، والمحفوظ عند نَقَلة الحديث من أئمة المتقدِّمين وهؤلاء المذكورين منهم في أبي حنيفة خلاف ذلك، وكلامهم فيه كثيرٌ لأمور [شنيعة][٣] حُفظت عليه يتعلَّق بعضُها بأصول الديانات، وبعضها بالفروع، نحن ذاكروها بمشيئة الله تعالىٰ، ومعتذرون إلىٰ مَن وقف عليها وكره سماعها بأن أبا حنيفة عندنا مع جلالة قَدْره أسوة غيره من العلماء. ا.هـ.

ولا يخفَىٰ أن قصده خلاف ما ذكر من المعذرة، وإنما قصده الشناعة جراءةً منه علىٰ هذا الشيخ، وإني لأتعجَّب في تقريره كلام المغيلي علىٰ تسميته بالفرقان غاية العجب كيف سمَّاه بأسماء الكتب المنزَّلة الإلهية؟! وكذا أُنكر علىٰ الإمام أبي القاسم الرافعي حين سمَّىٰ شرحه علىٰ الوجيز بالعزيز، ولكن له أسوة بابن سينا، حيث سماه: رئيس العلوم، وكذا في قوله في قصيدته: ما سمعتُ بمثله، وهذا يرشدك إلىٰ أن ما بلغه من كلام العلماء المحقِّقين ممن أَلَّف كتبًا عديدة وبالَغَ في ذمِّه، حيث أفهم كلامُه أن السيوطي هو الذي أبدع في الذم وخالف كلمةَ الإجماع؛ فإنه لو بلغه كلامُهم لم يقل ما قال، وإنما كلام السيوطي وتأليفه فيه نقطة في بحر كلام السلف، ولو علم بسبب قيام ابن الصلاح ويوسف الدمشقي وابن تيمية علىٰ المصنِّف لأعذر السيوطيّ في تقريره، مع أن المصنف قد أبدىٰ عذرًا لنفسه في كتابه «المنقذ من الضلال»، وذكر سبب خوضه فيه ثم التنصُّل عنه بعد ذلك.

ثم قول المغيلي في قصيدته: ودَعْ عنك إبداء كفور وذمه، ثم قوله: خذ العلم

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٥٠٤.

(٢) في المطبوعة: موسىٰ. والتصويب من تاريخ بغداد.

(٣) زيادة من تاريخ بغداد.

حتىٰ من كفور -مما تمجّه الطِّباع، وتنفر عنه الأسماعُ، وكذا قوله: لئن صح عنهم ما ذكرت، وقول اليوسي: إنه إشارة إلىٰ عدم تسليم صحة ما نقله- عجيبٌ، وهل يجوِّز العقلُ أن يتلقَّىٰ كلام الحكماء ومدحهم فيه ومَن تمذهب بمذهبهم ولا يسلِّم نقل حفَّاظ الإسلام ونَقَلة العلم وحُماة الدين ويطرح كلامهم رأسًا بمرَّة؟!

فتأمَّلْ في هذا المقام غاية التأمُّل مع الإنصاف، ودع الاعتساف، وفصلُ الخطاب فيه ما قاله المصنِّف في «المنقذ من الضلال» فاعتمدْه، واترك القيل والقال، وهذا نصه بعد أن ذكر أقسام علوم الفلسفة[1]: وأما المنطقيات فلا يتعلق شيءٌ منها بالدين نفيًا وإثباتًا، بل هي نظرٌ في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدِّمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه، وإن العلم بها إما تصوُّرٌ وسبيل معرفته الحد، وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان، وليس في هذا ما ينبغي أن يُنكَر، بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة، وإنما يفارقونهم في العبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التفريعات والتشعيبات، ومثال كلامهم فيها قولهم: إذا ثبت أن كل «أ» «ب» لزم أن بعض «ب» «أ»، فإذا ثبت أن كل إنسان حيوان لزم أن بعض الحيوان إنسان، ويعبِّرون عن هذا بأن الموجَبة الكلية تنعكس موجَبة جزئية، وأيُّ تعلُّق لهذا بمهمَّات الدين حتىٰ يُجحَد ويُنكَر؟! وإذا أُنكِر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعتقاد في عقل المنكِر، بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف علىٰ مثل هذا الإنكار.

نعم، لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطًا يُعلَم أنها تورِث علم اليقين لا محالة، لكنهم عند الانتهاء إلىٰ المقاصد الدينية ما يمكنهم الوفاء بتلك الشروط، بل يتساهلون غاية التساهُل، وربما ينظر في المنطق أيضًا مَن يستحسنه ويراه واضحًا فيظن أن ما يُنقَل عنهم من الكُفْريات مؤيَّد بتلك البراهين فيستعجل بالكفر قبل الانتهاء إلىٰ العلوم الإلهية، فهذه الآفة أيضًا تتطرَّق

---

(١) المنقذ من الضلال ص ٨١ - ٨٣.

إليه. ا.هـ. كلامه. والله أعلم[١].

(**والثالث: الإلهيات**) وهي[٢] خمسة أنواع:

علم الواجب وصفته، وإليه الإشارة بقوله: (**وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالىٰ وصفاته**).

الثاني: علم الروحانيات، وهي معرفة الجواهر البسيطة العقلية الفعالة[٣] التي هي الملائكة.

الثالث: العلوم النفسانية، وهي معرفة النفوس المتجسِّدة والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية من الفلك المحيط إلىٰ مركز الأرض.

الرابع: علم السياسات، وهي خمسة أنواع، **الأول**: علم سياسة النبوَّة، **الثاني**: علم سياسة المُلْك وتحته الفلاحة والرعاية[٤]، **الثالث**: علم قود الجيش ومكائد الحروب والبيطرة [والبيزرة][٥] وآداب الملوك، **الرابع**: العلم المدني كعلم سياسة العامَّة وعلم سياسة الخاصة وهي سياسة المنزل، **الخامس**: علم سياسة الذات وهو علم الأخلاق.

(**وهو أيضًا داخل في الكلام**) أي بالنظر إلىٰ النوع الأول من أنواعه الخمسة (**والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخَر من العلم، بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر، وبعضها بدعة، وكما أن الاعتزال ليس هو علم برأسه بل أصحابه طائفة من**

---

(١) وقد ناقش د. سعيد فودة ما احتج به ابن تيمية في نقده لعلم المنطق، وبيّن قصور أغلب انتقاداته، مع كونه مسبوقًا بها، كما ناقش كتابي الإمام السيوط في هذه المسألة مناقشة مفصلة ، فليرجع إليها من أراد.

(٢) كشف الظنون ٢/ ١٢٩٠.

(٣) في المطبوعة: العنانية. والمثبت من كشف الظنون.

(٤) بعده في كشف الظنون: والملاحة، وهو الأول المحتاج إليه في أول الأمر لتأسيس المدن.

(٥) زيادة من كشف الظنون.

المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة، فكذلك الفلاسفة) وقد أشبع المصنِّف في هذا المقام في كتابه «المنقذ من الضلال» فقال[١]: وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم، فما قدروا علىٰ الوفاء بها بالبراهين علىٰ ما شرطوه في المنطق، ولذلك كثر الاختلافُ بينهم فيها[٢]، ومجموع ما غلطوا فيه يرجع إلىٰ عشرين أصلاً، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر، ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنَّفنا كتاب التهافُت، أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة الإسلاميين، وذلك في قولهم: إن الأجساد لا تُحشَر، وأن المُثاب والمعاقَب هي الأرواح المجرَّدة، [والمثوبات] والعقوبات روحانية لا جسمانية[٣]، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به، ومن ذلك قولهم: إن الله يعلم الكلِّيات دون الجزئيات، وهذا أيضًا كفر صريح، بل الحق أنه لا يعزُب عن علمه مِثْقال ذرَّة في السموات ولا في الأرض، ومن ذلك قولهم بقِدَم العالَم وأزليته، فلم يذهب أحد من المسلمين إلىٰ شيء من ذلك[٤].

وأما السياسات فجميع كلامهم [فيها] يرجع إلىٰ الحِكَم المصلحية المتعلِّقة بالأمور الدنيوية والإمامة السلطانية، وإنما أخذوها من كتب الله المنزَّلة علىٰ الأنبياء ومن الحِكَم المأثورة عن سلف الأولياء، وأما الخُلُقية فجميع كلامهم

---

(١) المنقذ من الضلال ص ٨٣ - ٨٦. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) بعده في المنقذ: ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين، علىٰ ما نقله الفارابي وابن سينا، ولكن مجموع .... الخ.

(٣) بعده في المنقذ: ولقد صدقوا في إثبات الروحانية؛ فإنها ثابتة أيضـًا، ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية، وكفروا ... الخ.

(٤) بعده في المنقذ: وأما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم إنه عالم بالذات لا بعلم زائد علىٰ الذات وما يجري مجراه فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة، ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك، وقد ذكرنا في كتاب (فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ما يتبين به فساد رأي من يتسارع إلىٰ التكفير في كل ما يخالف مذهبه.

فيها [يرجع] إلىٰ حصر صفات النفس وأخلاقها وذِكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها، وإنما أخذوها من كلام الصوفية، وهم المتألِّهون المثابرون علىٰ ذِكر الله تعالىٰ وعلىٰ مخالفة الهوىٰ وسلوك الطريق إلىٰ الله بالإعراض عن ملاذِّ الدنيا، وقد انكشف لهم في حالاتهم[1] من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرَّحوا به، فأخذتها الفلاسفةُ ومزجوا بها كلامهم توسُّلاً بالتجمُّل بها إلىٰ ترويج كلامهم الباطل، ولقد كان في عصرهم -بل في كل عصر- جماعةٌ من المتألِّهين لا يُخلي اللهُ سبحانه وتعالىٰ العالَم عنهم؛ فإنهم أوتاد الأرض، ببركاتهم تنزل الرحمة علىٰ أهل الأرض كأصحاب الكهف، فتولَّد من مزجِهم كلام النبوة وكلام الصوفية في كتبهم آفتان: آفة في حق القائل، وآفة في حق الرادِّ.

ثم أطال في ذلك بما ليس موضع ذِكره هنا.

(والرابع: **الطبيعيات**) وهو النوع الرابع من علوم الفلسفة، والطبيعي: علم يُبحَث فيه عن أحوال سائر الأجسام الطبيعية، وموضوعه الجسم[2]، وهو علىٰ سبعة أنواع:

علم المبادئ، وهو معرفة خمسة أشياء لا ينفك عنها جسمٌ وهي: الهيولي، والصورة، والزمان، والمكان، والحكمة.

الثاني: علم السماء والعالَم وما فيه.

الثالث: علم الكون والفساد.

الرابع: علم حوادث الجو.

الخامس: علم المعادن.

---

(١) في المنقذ: مجاهدتهم.

(٢) مفتاح السعادة لطاش كبري زادة ١/ ٣٠١ وزاد بعده: من حيث كونه متغيرًا.

السادس: علم النبات.

السابع: علم الحيوان، ويدخل فيه علم الطب وفروعه[١].

(**وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهلٌ وليس بعلم حتىٰ يورَد في أقسام العلوم، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصِّها وكيفية استحالتها وتغيُّرها، وهو شبيه بنظر الأطباء، إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان علىٰ الخصوص من حيث يمرض ويصحُّ، وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغيَّر وتتحرَّك، ولكن للطب فضلٌ عليه**) ومزية (**وهو أنه محتاج إليه**) لتعلُّقه ببدن الإنسان (**وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجةَ إليها**) قال المصنِّف في «المنقذ من الضلال»[٢]: أما الطبيعيات فهو بحث عن أجسام عالَم السموات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة كالماء والهواء والتراب والنار، ومن الأجسام المركَّبة كالحيوان والنبات والمعادن، وعن أسباب تغيُّرها واستحالتها وامتزاجها، وذلك يضاهي بحث الطب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسة والخادمة، وأسباب استحالة مزاجه، ولا يُنكَر فيه إلا علىٰ[٣] مسائل معيَّنة ذكرناها في كتاب «تهافت الفلاسفة»[٤]، وما عداها مما

---

(١) كشف الظنون ١/ ١٢٩٠.

(٢) المنقذ من الضلال ص ٨٣.

(٣) عبارة الغزالي: وكما ليس من شرط الدين إنكار علم الطب فليس من شرطه أيضاً إنكار ذلك العلم إلا في مسائل ... الخ.

(٤) وهي أربع مسائل:

الأولىٰ: حكمهم بأن هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة، فليس في المقدور ولا في الإمكان إيجاد السبب دون المسبب، ولا وجود المسبب دون السبب.

الثانية: قولهم: إن النفوس الإنسانية جواهر قائمة بأنفسها ليست منطبعة في الجسم، وإن معنىٰ الموت انقطاع علاقتها عن البدن بانقطاع التدبير، وإلا فهو قائم بنفسه في حال الموت، وزعموا أن ذلك عرف بالبرهان العقلي.

الثالثة: قولهم: إن هذه النفوس يستحيل عليها العدم، بل هي إذا وجدت فهي أبدية سرمدية، =

تجب المخالفة فيها فعند التأمُّل يُتبيَّن[١] أنها مندرجة تحتها، وأصل جملتها أن تعلم أن الطبيعة مسخَّرة لله تعالىٰ، لا تعمل بنفسها، بل مستعمَلة من جهة فاطرها، والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخَّرات بأمره، لا تعمل بنفسها، بل لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته.

(**فإذًا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة علىٰ الكفاية**) وأيَّده ابن السبكي في مواضع من طبقاته، والمراد به علم العقائد بالحُجَج الشرعية والبراهين النقلية، وهو أشرف العلوم الدينية؛ لأنه يُبحَث فيه عمَّا تتوقَّف صحة الإيمان عليه وتتمَّاته اللازمة لديه، وأما ما تُنصَب فيه الأدلة العقلية وتُنقَل فيه أقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية فقد نُقل ذمُّه عن نص الإمام الشافعي رضي الله عنه: لأنْ يلقىٰ اللهَ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشِّرك خيرٌ له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام[٢].

وذكر في «غياث المفتي» عن أبي يوسف أنه: لا تجوز الصلاة خلف المتكلم وإن تكلم بحقٍّ؛ لأنه مبتدع، ولا تجوز خلف المبتدع[٣].

وقال صاحب القوت[٤]: اعلمْ أن علم الكلام ينقسم [عندنا] سبعة أقسام، العلم منه قِسم واحد، وسائر الستة لغوٌ مطروح يلتقطه مَن لا يعرفه ولا يفرِّق بين العلم والجهل، والعرب تقول: لكل ساقطة لاقطة[٥]، ولكل قائلة ناقلة، فالستة:

= لا يتصور فناؤها.

الرابعة: قولهم: يستحيل رد هذه النفوس إلىٰ الأجساد.

تهافت الفلاسفة ص ٢٣٥ - ٢٣٦ (ط - دار المعارف بالقاهرة).

(١) في المطبوعة: فعند التأويل يتعين. والتصويب من المنقذ.

(٢) إتمام الدراية لقراء النقاية للجلال السيوطي ص ٢ (ط - كلكتا بالهند).

(٣) انظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني لابن مازه البخاري ١/ ٤٠٦ (ط - دار الكتب العلمية).

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٨٤.

(٥) في المستقصىٰ للزمخشري ٢/ ٢٩٢: «أي لكل كلمة تسقط من فم الناطق من يلتقطها. يضرب في حفظ اللسان، أي ربما قيض لها من ينميها فيورط صاحبها».

إفْك وسَفَهٌ وخطأ وظنٌّ وزخرف ووسوسة، هذه أسماؤها عند العلماء، يفصِّلون ذلك بما فصَّل الله تعالىٰ من بيانه واستحفظهم من كتابه، وجعلهم شهداء علىٰ دينه وعِباده، والقسم السابع من أقسام الكلام هو ما عدا هذه الستة، ولم يقع عليه اسم منها مذموم فهو علم، وهو نصُّ القرآن والسنَّة أو ما دلاَّ عليه واستُنبط منهما أو وُجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل، والتأويل إذا لم يخرج عن الإجماع داخلٌ في العلم، والاستنباط إذا كان مستودَعًا في الكتاب يشهد له المجمَل ولا ينافيه النصُّ فهو علمٌ.

(**حراسةً**) أي حفظًا (**لقلوب العوامِّ**) في اعتقاداتهم (**عن تخييلات المبتدعة**) وشُبَهِهم التي يُلقونها (**وإنما حدث ذلك**) بعد عصر السلف (**بحدوث البدع**) المستنكَرة (**كما حدثت حاجة الإنسان إلىٰ استئجار البذرقة**) أي الخُفَراء (**في طريق الحج بحدوث ظلم العرب**) وتعدِّيهم (**وقطعِهم الطريق**) علىٰ الحاجِّ (**ولو ترك العرب عدوانهم**) وامتنعوا من قطع الطريق (**لم يكن استئجار الحرَّاس من شروط طريق الحج**) إشارةً إلىٰ ما قاله الفقهاء: من شروط الحجِّ أمنُ الطريق، وهو أن يكون الغالب فيه السلامة، وقد اختُلف عندنا هل هو شرط الأداء، أو شرط الوجوب وهو الصحيح، وتظهر ثمرة الخلاف في وجوب الإيصاء علىٰ مَن لم يحجَّ وأدركه الموت والطريق غير مأمون، فيجب علىٰ الثاني دون الأول، ولو كان الطريق بحرًا لا يجب، ولو كان نهرًا أو كان الغالب في البحر السلامة يجب[1]؛ كذا في شرح الملتقىٰ للبهنسي.

(**وكذلك لو ترك المبتدعُ هذيانَه**) أي كلامه الذي لا فائدة فيه (**لَمَا افتقر**) أي ما احتاج (**إلىٰ الزيادة علىٰ ما عُهد في عصر الصحابة** ﷺ) إذ كان علمُهم عن مشاهدة ويقين (**فليعلم المتكلم حدَّه من الدين، وأن موقعه منه موقع الحارس في**

---

(١) انظر: مجمع الأنهر في شرح ملتقىٰ الأبحر ١/ ٣٨٦.

طريق الحج) فقط (**فإذا تجرَّد الحارس للحراسة**) أي نصب نفسَه لها ولم ينوِ غيرها (**لم يكن من جملة الحاج**) قطعًا (**والمتكلم**) كذلك (**إذا تجرَّد للمناظرة والمدافعة**) عن العوامِّ (**ولم يسلك طريقَ الآخرة ولم يشتغل بتعهُّد القلب وصلاحه**) من طروء الأوصاف الذميمة (**لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً**) بهذا الاعتبار، فظاهر كلام السبكي في شرح المنهاج أن المتكلم من جملة علماء الدين إذا كان علىٰ قوانين الشرع ولم يخرج عنها إلىٰ الفلسفة (**وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوامِّ، وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان، وإنما يتميَّز عن العامِّي بصنعة المجادَلة**) والمناظرة (**والحراسة**) عمَّا يَرِد عليها من الشكوك والشبهات (**فأما معرفة الله تعالىٰ وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام**) ولا يثمره (**بل يكاد أن يكون الكلام حجابًا عليه وصادًّا عنه**) فلا يتجاوز عن الحد الذي هو فيه (**وإنما الوصول إليه بالمجاهَدة**) وهي مدافعة النفس والشيطان باستفراغ الوسع فيها (**التي جعلها الله سبحانه وتعالىٰ مقدِّمة للهداية**) الحقيقية (**حيث قال تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾) [العنكبوت:٦٩] أي لأجلنا، أي لا للرِّياء والسمعة أو غيرهما ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ أي لنرشدنَّهم إليها، وهو إشارةٌ إلىٰ مجاهدة النفس والشيطان، وهو أصعب وأشقُّ، ويعبَّر عنها بالجهاد الأكبر؛ فإن مراجعة النفس ومقاتلتها أصعب من قتال العدو[١].

وقال المصنِّف في «الإملاء»[٢] في الردِّ علىٰ مَن أنكر عليه هذا القول، وهو أن أئمة الكلام في الاعتقاد مع العوامِّ سواء، وإنما فارقوهم في حراسة عقائدهم، ونصه: ما رأيتَ في الإحياء صحيحٌ، ولكن بقي في كشفه أمرٌ لا يخفَىٰ عن المستبصرين، ولا يغيب عن الشادينَ إذا كانوا منصفين، وهو أن المتكلمين من حيث صناعة الكلام

---

(١) انظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ١/ ٣٥١.

(٢) الإملاء علىٰ إشكالات الإحياء (ملحق بكتاب الإحياء) ص ٣٠ - ٣١ (ط - مكتبة أسامة الإسلامية بالقاهرة). والزيادات التي بين حاصرتين منه.

فقط لم يفارقوا عقائد العوامِّ، وإنما حرسوها[١] بالجدل عن الانخرام؛ إذ الكلام والجدل علم لفظيٌّ، وأكثره احتمال وهميٌّ، وهو عمل النفس وتخليق الفهم، وليس بثمرة[٢] المشاهدة والكشف، ولهذا كان فيه السمين والغَثُّ، وشاع في حال انتضاله إيراد القطعي وما هو في حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الخصم، والمقام المشار إليه بالذِّكر وشبهه إنما هو علم التوحيد[٣] وفهم الأحوال ومعرفته باليقين التام والعلم المضارع للضروري بأن لا إله إلا الله، ولا فاعل غيره، ولا حاكم [في الدارين] سواه، ومشاهدة القلوب لِما حُجب من الغيوب[٤]، ومن أين للنازل طي المنازل؟ وما لعلم الكلام مثل هذا المقام، بل هو من خُدَّام الشرع وحُرَّاس متبعيه[٥] من أهل الاختلاس والقطع، وله مقام علىٰ قَدْره ويقطع به[٦]، ولكن شتان بين مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار، والمراد في أوقات الضرورات والاختيار وبين ما يُراد لوقت حاجته إن دعت، وخصام صاحب بدعة ومناضلة سخيف ذي ضلالة مما ينغِّص علىٰ ذوي اليقين العيشَ، ويشغل الذهنَ، ويكدِّر النفس، وأما أهله الذين حُفظ عنهم ذلك لا نقول في أكثرهم إنهم [لا يحسنون غيره، و] لا يختصُّون في التوحيد بمقام سواه مما هو أعلىٰ منه، بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا [فهم نصراء] لكنهم لم يُبْدوا من العلم[٧] في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمَسَّ، والمصلحة به لتوجُّه الضرورة أعم وآكَد حين ظهر في وقتهم من الأهواء والبدع، فإن ذلك كان أَولىٰ بهم من الاشتغال بفقه الأرواح والنفوس، فإن

---

(١) في الإملاء: وإنما فارقوهم.

(٢) في المطبوعة: بشدة. والتصويب من الإملاء.

(٣) في المطبوعة: الوجود. والمثبت من الإملاء.

(٤) في المطبوعة: ومشاهدته بالقلوب لما حجبه عن العيون. والمثبت من الإملاء.

(٥) في المطبوعة: نواحيه. والمثبت من الإملاء.

(٦) في المطبوعة: وله بركة علىٰ قدره ونفع. والمثبت من الإملاء.

(٧) في المطبوعة: لكنهم لم يعد لهم العلم. والتصويب من الإملاء.

هذه وإن كانت أسنىٰ فذلك من علم الخواصِّ، وهم مكفيُّون المؤنة، والعامَّة أحق بالحفظ، وعقائدهم أَولىٰ بالحراسة.

ثم قال: ولقد كانت رعاية رسول الله ﷺ لحال الجماهير أكثر، والخوف عليهم من الزيغ والهلاك أشد، واللطف بهم في تخفيف الوظائف والأخذ بالرفق أبلغ، وكان يَكِل أهل القوة وذوي البصائر بالحقائق إلىٰ ما كانوا يأخذون به أنفسهم.

ثم قال: ومع ذلك، فالذي حُفظ عنه ﷺ وعن أصحابه من بعده وفقهاء الأمصار وأعيان المتكلمين من الإشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لا يُحصَىٰ، وإنما القليل مَن حمله اليوم عنهم وتفقَّه فيه مثلهم، فابحث تجد، وتصدَّ لاقتباس المعارف تعلم، وطالِعْ كتب الحديث والتاريخ ومصنِّفات العلوم توقن ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

(**فإن قلتَ: فقد رددتَ حدَّ المتكلم إلىٰ حراسة عقيدة العوامِّ عن تشويش المبتدعة**) وإيرادهم الشُّبَه عليها (**كما أن حد البذرقة حراسة أقمشة**) جمع قُماش بالضم، وهو المَتاع (**الحجيج عن نهب العرب**) وأخذِهم إياها بالتعدِّي (**ورددتَ حدَّ الفقه إلىٰ حفظ القانون**) السياسي (**الذي به يكف السلطانُ**) أي يمنع (**شرَّ بعض أهل العدوان**) أي التعدِّي (**عن بعض، وهاتان رتبتان نازلتان**) سافلتان (**بالإضافة إلىٰ علم الدين، وعلماء الأمَّة المشهورون بالفضل**) والتقدُّم (**هم الفقهاء والمتكلِّمون**) وهم زعماؤه (**وهم أفضل الخَلْق عند الله تعالىٰ**) لإقامتهم الدين، وتصحيحهم عقائد المسلمين (**فكيف تنزل درجاتهم إلىٰ هذه المنزلة السافلة**) أي المنحطَّة (**بالإضافة إلىٰ علم الدين؟! فاعلمْ أن**) الحق لا يُعرَف بالرجال، و(**مَن عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال**) والمتاهة: ما يحملك علىٰ التِّيه وهو التحيُّر (**فاعرف الحقَّ**) حيث كان (**تعرف أهله إن كنت سالكًا طريق الحق**) وفي

«المنقذ من الضلال» للمصنف[1]: عادة ضعفاء العقول معرفة الحق بالرجال، والعاقل يقتدي بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، حيث قال: لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله.

وهو ما رُوي أنه قال ذلك لمَن قال له: أتظن أن طلحة والزبير كانا علىٰ الباطل؟ فقال: يا هذا، إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يُعرَف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله[2]. أي إن العاقل يسمع القولَ ثم ينظر في نفس القول، فإن كان حقًّا قَبِلَه، سواءٌ كان قائله محقًّا أو مبطلاً.

(**وإن قنعتَ بالتقليد**) المحض وأخلدتَ إليه (و) إلىٰ (**النظر إلىٰ ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن**) أحوال (**الصحابة**) ﷺ (و) انظر إلىٰ (**علوِّ منصبهم**) الذي أقامهم الله فيه (**فقد أجمع الذين عرَّضتُ بذِكرهم**) من الفقهاء والمتكلمين (**علىٰ تقدُّمهم**) ورفعة قَدْرهم (**وأنهم لا يُدرَك في الدين شأوهم، ولا يُشَقُّ غبارهم**) لِما روىٰ البخاري في صحيحه[3] من رواية شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد رفعه: «لا تسبُّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه».

تابعه جرير [وعبد الله بن داود وأبو][4] معاوية ومُحاضِر عن الأعمش (**ولم يكن تقدُّمهم بالكلام والفقه**) أي بهذين العِلْمين (**بل بعلم الآخرة**) الذي مداره علىٰ تطهير القلب وإخلاص النية (**وسلوك طريقها**) بالصبر وقمع النفس (**وما فضل أبو بكر**) عبد الله بن عثمان التميمي الصِّدِّيق رضي الله عنه (**الناسَ بفضل صلاة، ولا بكثرة صيام، ولا بكثرة رواية**) للحديث (**ولا فتوىٰ، ولا كلام، ولكن بسرٍّ**) وفي بعض

---

(١) المنقذ من الضلال ص ٨٧.

(٢) فيض القدير للمناوي ١/ ٢١٠.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ١٢.

(٤) زيادة من صحيح البخاري. والضمير في «تابعه» راجع إلىٰ شعبة.

النسخ: بشيء (**وقر في صدره، كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه**) قال العراقي: لا أصل لهذا مرفوعًا، وإنما يُعرَف في قول بكر بن عبد الله المُزَني، كذلك رواه الحكيم الترمذي في نوادره[١].

قلت: ولفظ الحكيم: ما فضل أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام، ولكن بسرٍّ وقر في صدره.

وبكر بن عبد الله المُزَني ثقة، سمع من ابن عباس وابن عمر، وعنه سليمان التيمي ومبارك وخلف[٢]، توفي سنة ١٠٨[٣].

وعزاه ابن القيم[٤] إلىٰ أبي بكر بن عيَّاش من قوله، ولفظه: ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه. قال: وهذا موضع المَثَل المشهور:

مَن لي بمِثل سيرك المدلَّل ... تمشي رويدًا وتَجِي في الأول[٥]

أورد ذلك في بحث أفضلية العلم فقال: العلم يعرِّف مقادير الأعمال ومراتبها، وفاضلها من مفضولها، وراجحها من مرجوحها، فصاحبه لا يختار لنفسه إلا أفضل الأعمال، والعامل بلا علم يظن أن الفضيلة في كثرة المشقَّة، فهو يتحمل المشاقَّ، وإن كان ما يعانيه مفضولاً، ورُبَّ عمل فاضل والمفضول أكثر مشقةً منه، واعتبِرْ هذا بحال الصِّدِّيق رضي الله عنه؛ فإنه أفضل الأمَّة، ومعلوم أن فيهم مَن هو أكثر عملاً وحجًّا وصومًا وقراءة [وصلاة منه][٦].

---

(١) لم أقف عليه في نوادر الأصول. وقد ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٦٩ ونقل كلام العراقي بتمامه.

(٢) كذا في المطبوعة، ولم أجد في الرواة عن بكر من اسمه خلف.

(٣) وقال البخاري وعلي بن المديني وغيرهما: توفي سنة ١٠٦. انظر: تهذيب الكمال للمزي ٤/ ٢١٦-٢١٩.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٠٢.

(٥) لم أقف علىٰ قائله.

(٦) زيادة من المفتاح.

(فليكن حرصك) واجتهادك **(في طلب ذلك السر)** المصون **(فهو الجوهر النفيس والدُّر المكنون)** وفي ذلك فليتنافس المتنافسون **(ودَعْ عنك ما تطابَقَ)** أي توافَقَ **(أكثرُ الناس عليه وعلىٰ تفخيمه)** وتبجيله **(وتعظيمه لأسباب)** ظاهرة **(ودواعٍ)** متوافرة **(يطول تفصيلُها)** في هذا الموضع **(فلقد قُبض رسول الله ﷺ عن آلاف)** جمع ألف **(من الصحابة)** وعبارة القوت[1]: عن ألوف من الصحابة.

وعدَّ في الإصابة مَن حضر معه ﷺ حَجَّة الوداع من أهل مكة والمدينة والطائف وما بينها من الأعراب فكانوا أربعين ألفًا.

وفي طبقات عبد القادر القُرَشي[2]: قال أبو زُرْعة: قُبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفًا من الصحابة ممَّن روىٰ عنه وسمع منه.

قلت: حكىٰ ذلك ابن الصلاح[3] وغيره[4].

قال السيوطي[5]: قال الحافظ العراقي[6]: وهذا القول عن أبي زُرْعة لم أقف له علىٰ إسناد، ولا هو في كتب التواريخ المشهورة، وإنما ذكره أبو موسىٰ المديني في الذيل بغير إسناد.

قال السيوطي: وقد وقفتُ أنا علىٰ إسناده في بعض كتب الخطيب البغدادي، وأوردتُه في شرح التقريب[7].

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٢٨.

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٤/ ٥٣١ (ط - دار هجر بالقاهرة).

(٣) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٢٩٨.

(٤) كالنووي في المجموع شرح المهذب ٧/ ١٠٤ (ط - التضامن الأخوي بمصر).

(٥) تدريب الراوي ٢/ ٦٨٠.

(٦) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي ص ٢٦٤ (تحقيق: محمد راغب الطباخ).

(٧) تقدم نقلنا لرواية الخطيب البغدادي من كتابه الجامع لأخلاق الراوي في الفصل الحادي والعشرين من ترجمة الغزالي أول الكتاب.

وفي «الإكليل» للحاكم عن أبي زُرْعة: كانوا بتبوك سبعين ألفًا.

ونقل ابن الأثير عن أبي زُرْعة وسُئل عن عدَّة مَن روىٰ عن النبي ﷺ، فقال: ومَن يضبط هذا؟ شهد معه حجَّة الوداع تسعون ألفًا، وشهد معه تبوك أربعون ألفًا[١].

قال ابن السمعاني: وكان بالشام عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ[٢].

وقال ابن حزم[٣]: قد غزا رسول الله ﷺ هوازن بحُنَين في اثني عشر ألف مقاتل، كلهم يقع عليه اسم الصحبة، ثم غزا تبوك في أكثر من ذلك.

(كلهم علماء بالله عَزَّوَجَلَّ**)** **(أثنىٰ عليهم رسول الله** ﷺ**)** كما ورد ذلك في عدَّة أخبار **(ولم يكن فيهم أحدٌ يُحسِن صنعة الكلام)** كما هو عليه الآن **(ولم ينصب نفسَه للفتوىٰ فيهم أحدٌ)** زاد في القوت[٤]: ولا حُملت عنه القضايا والأحكام في شيء **(إلا بضعة عشر رجلاً)** كابن عباس، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وعلي، وحُذَيفة، ومعاذ، وأبي هريرة، وأنس، وزيد بن ثابت، وعمر بن الخطاب، وعائشة رضي الله عنهم. وأما الذين كانوا يُفتون في عهد رسول الله ﷺ فقد نظمهم السيوطيُّ رحمه الله تعالىٰ بمَنِّه وكرمه في قوله[٥]:

---

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح ص ٢٩٧.

(٢) هو قول أبي بكر بن أبي داود السجستاني.
الأنساب للسمعاني ٣/ ٣٨٧.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤/ ١٧٦ (ط - دار الآفاق الجديدة ببيروت) ونصه: «ندري بالضرورة يقينًا لا مرية فيه أن الصحابة كانوا عشرات ألوف، فقد غزا عليه السلام حنينًا في اثني عشر ألف إنسان، وغزا تبوك في أكثر من ذلك، وحج حجة الوداع في أضعاف ذلك، ووفد عليه من كل بطن من بطون قبائل العرب وفود أسلموا وسألوه عن الدين، وأقرأهم القرآن وصلوا معه، كلهم يقع عليه اسم الصحبة».

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٢٨.

(٥) الحاوي في الفتاوي للسيوطي ١/ ١٦٢.

وقد كان في عصر النبي جماعةٌ يقومون بالإفتاء قومة قانت
فأربعة أهل الخلافة معهم معاذ أُبَي وابن عوف ابن ثابت

ونظمهم الشيخ نجم الدين[١] قاضي عجلون[٢] صاحب «تصحيح المنهاج» فقال[٣]:

لقد كان يفتي في حياة[٤] نبيِّنا مع الخلفاء الراشدين أئمةُ
معاذ وعمَّار وزيد بن ثابت أُبَيٌّ ابن مسعود ابن عوف[٥] حذيفةُ
ومعهم أبو موسىٰ وسَلْمان حبرهم[٦] كذاك أبو الدرداء وهو تتمَّة
وأفتىٰ بمَرْآه[٧] أبو بكر الرضا وصدَّقه فيها وتلك مَزِيَّةُ

(ولقد كان) عبد الله **(ابن عمر)** بن الخطَّاب (ﷺ **منهم**) أي من الذين يُفتُون في عصر الصحابة، وقد رُوي أن النبي ﷺ قال: «إن عبد الله رجلٌ صالح»[٨].

---

(١) نجم الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، المعروف بابن قاضي عجلون، فقيه شافعي، دمشقي المولد والمنشأ، سكن القاهرة وولي بها إفتاء دار العدل وتدريس الفقه، وتوفي في بلبيس سنة ٨٧٦. من كتبه: التاج في زوائد الروضة علىٰ المنهاج.
الأعلام ٦/ ٢٣٨.

(٢) عجلون: مدينة قديمة تقع شمال غرب الأردن، وتشتهر بقلعتها التي بناها أسامة بن منقذ أحد قادة صلاح الدين الأيوبي.

(٣) الأبيات في: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للنجم الغزي ١/ ١١٨ (ط - دار الكتب العلمية). شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١٠/ ٢١٨.

(٤) في الكواكب والشذرات: زمان.

(٥) في الكواكب والشذرات: وعوف، بدل: ابن عوف. وهو خطأ، فالمقصود هنا عبد الرحمن بن عوف.

(٦) في المطبوعة: والتقي. والمثبت من الكواكب والشذرات.

(٧) في المطبوعة: بميراث. والتصويب من الكواكب والشذرات.

(٨) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٣٠٦، ٣٠٧، ومسلم في صحيحه ٢/ ١١٥٨ من حديث عبد الله بن عمر.

وقال جابر: ما منَّا أحدٌ إلا مالت به الدنيا ومال لها إلا عبد الله بن عمر[١].

قال ابن المسيب: مات وما أحد أحب إليَّ أن ألقىٰ اللهَ بمِثل عمله منه[٢].

مات سنة أربع وسبعين[٣].

(فإذا سُئل) ونصُّ القوت[٤]: وكان ابن عمر إذا سُئل **(عن الفتيا يقول)** وفي القوت: قال **(للسائل: اذهب إلىٰ هذا الأمير الذي تقلَّد أمورَ الناس وضعْها)** وفي القوت: فضعْها **(في عنقه)** ورُوي ذلك عن أنس بن مالك ثم عن جماعة من الصحابة والتابعين بإحسان، وكان من الفقهاء مَن يقول «لا أدري» أكثر من أن يقول «أدري»، منهم: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والفُضَيل بن عياض، وبِشر بن الحارث ﷺ، وكانوا في مجالسهم يجيبون عن بعضٍ ويسكتون عن بعضٍ، ولم يكونوا يجيبون عن كل ما يُسألون عنه.

وسيأتي ذلك في الباب السادس بأبسط من ذلك **(إشارةً إلىٰ أن الفُتيا في القضايا والأحكام)** الشرعية **(من توابع الولاية والسلطنة)** لِما مرَّ: «لا يفتي إلا أمير أو مأمور أو متكلِّفٌ». وتقدَّم الكلام [فيه] عند بيان هذا الحديث **(ولمَّا مات)** أمير المؤمنين **(عمر)** بن الخطاب (رضي الله عنه) في يوم الأربعاء لأربعٍ بقينَ من ذي الحجَّة سنة ثلاث وعشرين **(قال)** عبد الله **(ابن مسعود)** رضي الله عنه: **(مات تسعة أعشار العلم)**

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٥٧٠. وفيه: ما خلا عمر وابنه عبد الله.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ١٥/ ٣٣٩. ولفظه: مات ابن عمر يوم مات وما في الأرض أحب إلي أن ألقىٰ الله بمثل عمله منه.

(٣) هذا قول الواقدي وابن سعد وخليفة بن خياط، وقال الإمام أحمد وابن أبي شيبة والزبير بن بكار: توفي سنة ثلاث وسبعين. ونقل المزي عن ابن زبر أنه قال: القول الأول أثبت؛ فإن رافع بن خديج مات سنة أربع، وابن عمر حي وحضر جنازته.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٢٨.

أخرجه أبو خَيْثَمة في كتاب العلم[١] عن جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله قال: إنني لأحسبُ عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم (**فقيل له: أتقول ذلك**) وفي القوت[٢]: تقول هذا (**وفينا جلّة الصحابة**) أي عظماؤهم.

ونصُّ القوت: وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون؟ (**فقال: لستُ أريد علم الفتيا والأحكام، إنما أريد العلم بالله تعالىٰ**) ونصُّ القوت: فقال: إني لست أعني العلم الذي تذهبون إليه، إنما أعني العلم بالله عز وجل.

(**أفترىٰ**) أي أتظنُّ (**أنه**) أي ابن مسعود (**أراد**) بذلك العلم (**صنعةَ الكلام والجدل**) الذي هو معروف الآن (**فما بالك لا تحرص**) أيها الإنسان (**علىٰ معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر**) رضي الله عنه (**تسعةُ أعشاره**) وهو العلم بالله عز وجل (**وهو**) أي سيدنا عمر (**الذي سدَّ باب الكلام والجدل**) وحسم مادَّتَهما (**وضرب صَبِيغًا بالدِّرَّة**) بكسر الدال: السَّوط، جمعها: دِرَر، كسِدْرة وسِدَر. وصَبِيغ بالصاد المهملة المفتوحة وكسر الموحَّدة وسكون التحتية وآخره غين معجمة، هو ابن عِسْل بكسر العين وسكون السين المهملتين؛ هكذا ضبطه الحافظ ابن حجر في التبصير[٣]، ووقع في نسخ القاموس[٤]: عسيل، فقيل: هو كأَمِير، وقيل: كزُبَير، كلاهما غلط. وهو رجل من بني تميم ثم من يربوع، حدَّث عنه ابن أخيه عِسْل ابن عبد الله بن عِسْل.

وقال ابن معين: هو صبيغ بن شَرِيك، قال الحافظ ابن حجر: والقولان صحيحان، هو صبيغ بن شريك بن المنذر بن قطن بن قِشْع بن عِسْل بن عمرو بن يربوع التميمي، فمن قال «صبيغ بن عسل» فقد نسبه إلىٰ جدِّه الأعلىٰ، وله أخ اسمه ربيعة شهد الجملَ.

---

(١) العلم ص ١٨.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٦٣.

(٣) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ص ٨٥٥، ٩٥٤ (ط - المكتبة العلمية ببيروت).

(٤) انظر: تاج العروس ٢٢/ ٥٢٠.

قال[١]: وهو الذي كان يعنِّت الناسَ بالغوامض والسؤالات في متشابِه القرآن **(لمَّا أورد عليه سؤالاً في تعارُض آيتين في كتاب الله تعالىٰ)** فنفاه عمر إلىٰ البصرة **(وهجره)** بعد ضربه إياه **(وأمر الناس بهجره)** بأن كتب إلىٰ والي البصرة أن لا يؤويه تأديبًا له، فرأيت بخط الحافظ الذهبي في كتاب له سمَّاه «نِعم السمر في سيرة عمر» ما نصه: حدثنا[٢] مكِّي بن إبراهيم، حدثنا الجُعَيد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خُصَيفة، عن السائب بن يزيد قال: أتىٰ رجلٌ عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل القرآن[٣].

فقال: اللهم أمكنِّي منه. فبينا عمر جالس [ذات يوم يغدِّي الناس][٤] إذ جاءه وعليه عمامة وثياب [فتغدَّىٰ، حتىٰ إذا فرغ][٥] قال: يا أمير المؤمنين ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ [الذاريات:١-٢] فقال عمر: أنت هو؟ فقام إليه، وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتىٰ سقطت عمامتُه، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك، ألبِسوه ثيابه، واحملوه علىٰ قَتَب، وأخرِجوه حتىٰ تقدُموا به بلاده[٦]، ثم ليقُم خطيبًا فليقل: إن صبيغًا ابتغىٰ العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعًا في قومه حتىٰ هلك، وكان سيد قومه.

قال[٧] يزيد بن هارون: أخبرنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن صبيغ أنه سأل عمر عن المرسلات والذاريات والنازعات، فقال له عمر: ألقِ ما علىٰ رأسك. فإذا

---

(١) أي الفيروز آبادي في القاموس.

(٢) الشريعة للآجري ١/ ٤٨١ (ط - دار الوطن بالرياض). شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/ ٦٣٤. تاريخ دمشق ٢٣/ ٤١٢.

(٣) في تاريخ دمشق: عن تفسير مشكل القرآن.

(٤) زيادة من الشريعة واللالكائي.

(٥) زيادة من الشريعة واللالكائي. وزاد بعده في تاريخ دمشق: وعمر يقرأ القرآن.

(٦) في تاريخ دمشق: حيه.

(٧) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للخطيب البغدادي ص ١٥٢ (ط - مكتبة الخانجي بالقاهرة). ورواه بنحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣/ ٤١٢.

له ضفران، فقال: لو وجدتك محلوقًا لضربتُ الذي فيه عيناك. ثم كتب إلىٰ أهل البصرة أن لا يجالسوه. قال أبو عثمان: كان لو أتانا ونحن مائة تفرَّقنا عنه.

وقال أبو شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال[(١)]: جاء رجل إلىٰ عمر يسأله، فقال: جئتُ أبتغي العلم. قال: بل جئتَ تبتغي الضلالة. ثم كشف عن رأسه فوجده ذا شعرٍ، فقال: لو كنتَ محلوقًا لضربتُ عنقك.

وقال[(٢)] الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن الزهري [عن أنس][(٣)]: إن عمر جلد صبيغًا التميمي عن مسألته حتىٰ اضطربت الدماء في جِلده.

وقال[(٤)] حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار: إن صبيغ بن عِسْل قدم المدينةَ، فجعل يسأل عن المتشابه، فبعث إليه عمر وأعدَّ له عراجين النخل، فلما حضر قال له: مَن أنت؟ قال: عبد الله صبيغ. قال: وأنا عبد الله عمر. ثم قام فضرب رأسه بعرجون فشجَّه، ثم تابَعَ ضربه حتىٰ سال الدم علىٰ وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، قد واللهِ ذهب ما كنتُ أجد في رأسي.

وقال[(٥)] حماد بن زيد عن قَطَن بن كعب[(٦)] عن رجل عن أبيه قال: لقد رأيت

---

(١) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٢١ (ط - دار ابن خلدون بالإسكندرية).

(٢) تاريخ دمشق ٢٣/ ٤١١. الشريعة للآجري ٥/ ٢٥٥٥. ولفظه: جلد عمر بن الخطاب صبيغًا الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتىٰ اضطربت الدماء في ظهره.

(٣) زيادة من الشريعة وتاريخ دمشق.

(٤) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني ١/ ١٩٣ (ط - دار الراية بالرياض). تاريخ دمشق ٢٣/ ٤١١. وذكره القرطبي في تفسيره ٥/ ٢٣ نقلا عن كتاب المصاحف لابن الأنباري.

(٥) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣/ ٤١٣ والأصفهاني في الحجة ١/ ١٩٤ واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٦٣٦ عن حماد بن زيد قال: حدثني قطن بن كعب قال: سمعت رجلاً من بني عجل يقال له زرعة أو فلان ابن زرعة قال: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب، يجيء إلىٰ الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه، فتناديهم الحلقة الأخرىٰ: عزمة أمير المؤمنين عمر، فيقومون ويدعونه.

(٦) في المطبوعة: عن قطر المغربي. والتصويب من المصادر السابقة. وهو أبو الهيثم قطن بن =

صبيغًا وإنه لَمِثل البعير الأجرب، لا يجلس إلىٰ قوم إلا تفرَّقوا وتركوه وحده.

وقال[١] هشام: عن ابن سيرين قال: كتب عمر إلىٰ أبي موسىٰ أن لا يجالَس صبيغٌ، وأن يُحرَم عطاءه ورزقه.

ويُروَىٰ[٢] عن إبراهيم التيمي أنه كان لبث كذلك حولاً، ثم أصابه الجهد، فقام إلىٰ أسطوانة أمير المؤمنين[٣] واستغاث، وروجعَ عمر، فكتب أن لا تخالطوه، وأن تكونوا منه علىٰ حذر.

ويُروَىٰ[٤] عن سعيد بن المسيَّب أنه حلف لأبي موسىٰ الأيمان المغلَّظة ما يجد في نفسه مما كان شيئًا، فكتب في ذلك إلىٰ عمر، فأجابه: أظنه محل صِدق، فخَلِّ بينه وبين الناس.

(وأما قولك إن المشهورين من العلماء) الذين يُقتَدىٰ بهم **(هم الفقهاء والمتكلمون)** خاصةً **(فاعلمْ أن ما يُنال به الفضل)** والرتبة والشرف **(عند الله عَزَّوَجَلَّ)** **(شيء، وما تُنال به الشهرة)** بالنشر والتعليم **(عند الناس)** عامَّتهم وخاصَّتهم **(شيء آخر)** وهما مفترقان **(فلقد كانت شهرة أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة)** أي بأنه خليفة رسول الله ﷺ **(وكان فضلُه بالسر الذي وقر في صدره)** وأُودِع فيه **(وكانت شهرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالسياسة)** العامة في انتظام أمور الإسلام وسدِّ أفواه المجادلين.

(وكان فضله بالعلم) بالله تعالىٰ **(الذي)** أشار ابن مسعود يومَ موته إلىٰ أنه **(مات تسعة أعشار العلم بموته، و)** كذا **(بقصده التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ في ولايته**

= كعب القطعي البصري.

(١) تاريخ دمشق ٢٣/ ٤١٣.

(٢) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٢١.

(٣) في المناقب: إلىٰ أسطوانة من أساطين المسجد.

(٤) مسند البزار ١/ ٤٢٣. تاريخ دمشق ٢٣/ ٤١٠. الحجة في بيان المحجة ١/ ١٩٤.

وعدله) في الرعية **(وشفقته علىٰ خَلْقه)** مع كمال زهده وورعه واقتصاده في المعيشة، كما هو معروف في مناقبه **(وهو)** أي قصدُه التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ في تلك الأحوال **(أمرٌ باطن في سره)** لا يطّلع عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ **(فأما سائر أفعاله الظاهرة فيُتصوَّر صدورها من طالب الجاه)** عند ذي الثروة **(و)** طالب **(الاسم)** ليقال إنه كذا **(و)** طالب **(السمعة)** ليُسمَع به.

(و) من **(الراغب في الشهرة)** الظاهرة **(فتكون الشهرة فيما هو المهلك، والفضل فيما هو سر)** خفيٌّ **(لا يطَّلع عليه أحدٌ)** لبطونه عن الإدراك **(فالفقهاء والمتكلمون)** من طوائف العلماء **(مثل الخلفاء والقضاة)** في السياسة وإجراء الأحكام.

(والعلماء، وقد انقسموا) علىٰ أقسام **(فمنهم مَن أراد)** وجه **(الله تعالىٰ)** فقط **(بعلمه)** الذي ينشره **(وفتواه)** في الأحكام الشرعية **(وذَبِّه)** أي دفعه **(عن سُنَّته)** أي طريقة الله عَزَّوَجَلَّ **(ولم يطلب به رياءً ولا سمعة)** ولا شهرة ولا جاهًا ولا غير ذلك **(فأولئك أهل رضوان الله تعالىٰ)** الذين يحُلّ عليهم رضاه في دار كرامته.

(وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم) أي لم يكتفوا بعلمهم حتىٰ عملوا به **(ولإرادتهم وجهَ الله عَزَّوَجَلَّ بفتواهم)** عندما احتاج الناس إليهم **(ونظرهم)** وبحثهم **(فإن كل علم عُمل به)** أي بمقتضاه، وفي نسخة: فإن كل علم عمل، ولكن لا يلائمه قوله: **(فإنه فعل مكتسَب، وليس كل عمل علمًا)** لصدور بعض الأعمال خاليةً عن الإخلاص والنية، فلا يسمَّىٰ علمًا حقيقةً **(و)** ليس هذا الذي ذكرناه خاصًا في العلوم الشرعية، بل **(الطبيب)** أيضًا **(يقدر علىٰ التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بعلمه)** إذا أراد بذلك وجه الله تعالىٰ **(فيكون مثابًا علىٰ علمه من حيث إنه عامل لله عَزَّوَجَلَّ به، و)** كذلك **(السلطان يتوسَّط بين الخَلْق لله عَزَّوَجَلَّ)** في سياسته بانتظام الخَلْق وأحوالهم **(فيكون مَرْضيًّا عند الله سبحانه ومثابًا، لا من حيث إنه متكفِّل بعلم الدين)** ونشره

وإفادته وقائم بإزائه (**بل من حيث هو متقلِّد لعمل**) السياسة (**يقصد به التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بعلمه**) بإمحاض النية فيه.

فهذه أقسام مَن يريد بعلمه وعمله وجه الله عَزَّوَجَلَّ من الفقهاء والسلاطين.

(**وأقسام ما يُتقرَّب به إلىٰ الله تعالىٰ ثلاثة: علم مجرَّد**) عن العمل، أي لا حظَّ له فيه (**وهو علم المكاشفة، وعمل مجرَّد**) عن العلم لا يُنظَر إليه (**وهو كعدل السلطان مثلاً وضبطِهِ للناس**) بالسياسة (**و**) ما هو (**مركَّب من علم وعمل**) كلٌّ منهما ملاحَظ (**وهو علم طريق الآخرة**) المنوط بها (**فإن صاحبه من العلماء والعمَّال جميعًا**) عالم بالله وبأمر الله، وعامل بما علم لوجه الله (**فانظر**) أيها المتأمِّل (**إلىٰ نفسك**) تحب (**أ**)ن (**تكون يوم القيامة في حزب عمَّال الله**) مع السلاطين (**أو**) حزب (**علماء الله تعالىٰ**) مع أهل المكاشفة (**أو في حزبيهما**) معًا (**فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما**) أي تأخذ بحظك مع كلٍّ منهما (**فهذا**) الذي ذكرناه لك (**أهمُّ عليك**) وأعلىٰ (**من التقليد**) الصِّرْف (**لمجرَّد الاشتهار**) فقط (**كما قيل**) فيما نُصَّ في مثل هذا المقام:

(خذْ ما تراه ودع شيئًا سمعتَ به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل)[1]

زُحَل كصُرَد ممنوعًا من الصرف، قال المبرِّد: للمعرفة والعدول[2]، كوكب من الخُنَّس[3]، سُمِّي به لأنه زَحَلَ، أي بَعُدَ، ويقال إنه في السماء السابعة[4].

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي في ديوانه ص ٣٣٨ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة. وروايته: في طلعة البدر.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ٣٦٣.

(٣) من خنس، أي اختفىٰ واستتر بعد ظهوره. وكلمة «الخنس» تطلق علىٰ نجوم عملاقة هوت في نهاية عمرها وانكمشت مادتها وخفت ضوؤها، وذلك بسبب شدة جاذبيتها التي تجعلها تبتلع كل شيء يقترب منها فتزداد كتلتها وقوتها حتىٰ تنفجر وتتحول إلىٰ ما يسمىٰ بالثقوب السوداء.

(٤) انظر: تاج العروس ٢٩/ ١١٩.

وفي بعض النسخ: في طلعة البدر.

(**علىٰ أنّا سننقل**) في هذا الكتاب (**من سيرة فقهاء السلف**) أي طريقتهم (**ما يُعلَم به**) ويُتحقَّق (**أن الذين انتحلوا**) أي اتَّخذوا (**مذاهبهم**) نِحْلةً لهم، أي نسبةً، والانتحال: الانتساب والاعتزاء (**ظلموهم**) ونقصوا من قَدْرهم (**وأنهم**) أي أولئك الأئمة (**من أشد خُصَمائهم**) وأكبر أعدائهم (**يومَ القيامة**) حين العرض بين يدي الله تعالىٰ (**فإنهم**) أي الأئمة (**ما قصدوا بالعلم**) الذي حصَّلوه (**إلا وجه الله تعالىٰ**) فقط (**وقد شوهدَ من أحوالهم**) الظاهرة في حركاتهم وسَكَناتهم (**ما هو من علامات**) دالَّة علىٰ أنهم (**علماء الآخرة، كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة**) وهو الباب السادس (**فإنهم ما كانوا متجرِّدين لعلم الفقه**) أي لم تكن همَّتُهم مصروفة إلىٰ تحصيله فقط (**بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب**) الذي هو الأهمُّ لسالك الآخرة (**ومراقبين لها**) أي للقلوب، حافظين لها مما يطرأ عليها من اللمم المختلفة (**ولكن صرفهم**) أي منعهم (**عن التصنيف**) أي التأليف (**والتدريس**) أي التعليم والإفادة لذلك (**فيه**) أي في علم القلوب (**ما صرف الصحابةَ**) رضي الله عنهم (**عن التصنيف والتدريس في الفقه، مع أنهم كانوا فقهاء**) عُرَفاء (**مستقلِّين بعلم الفتوىٰ**) تُتلقَّىٰ عنهم الأحكام (**والصوارف والدواعي متعيِّنة، ولا حاجة إلىٰ ذِكرها**) قال صاحب القوت[1]: كان العلماء الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الأربعة ومن بعد [موت] الطبقة الأولىٰ من خيار التابعين [هم] الذين انقرضوا قبل وضع الكتب، وكانوا يكرهون كَتْبَ الحديث وتصنيف [الناس] الكتب؛ لئلا يُشتغَل بها عن القرآن وعن الذِّكر والتفكُّر، وقالوا: احفظوا كما كنا نحفظ، ولئلا يشتغل [الناس] عن الله برسم أو وسم، وكذلك كانوا يتلقَّون العلم بعضهم من بعضٍ، ويحفظونه حفظًا ظاهرًا؛ لطهارة القلوب من الريب، وفراغها من أسباب الدنيا، وقوة الإيمان، وصفاء اليقين، وعلوِّ الهمة، وحُسن النية، وقوة العزيمة.

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٧٣. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(**ونحن الآن نورد من أحوال فقهاء الإسلام**) المشهورين بتقليد مذاهبهم (**ما يُعلَم به أن ما ذكرناه ليس طعنًا فيهم**) ولا ازدراءً بشأنهم (**بل هو طعنٌ فيمن أظهر الاقتداءَ بمذاهبهم**) والاتِّباع لأقوالهم (**منتحلاً**) أي منتسبًا لـ (**مذاهبهم وهو**) مع ذلك (**مخالف لهم في عملهم وسيرتهم**) أي طريقتهم (**فالفقهاء**) السادة (**الذين هم زعماء الفقه**) أي رؤساؤه (**وقادة الخَلْق**) بهم يقتدون (**أعني الذين كثر أتباعُهم**) ومقلِّدوهم (**في المذاهب خمسة**) المشهور منهم الآن أربعة لا غير (**الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، وأبو حنيفة، وسفيان الثوري، رحمهم الله تعالىٰ**) وكان مذهب سفيان باقيًا إلىٰ القرن الخامس، وكان مَن ينتحله موجودًا إلىٰ زمان المصنِّف.

وكان من مشاهير مَن كان علىٰ مذهبه أبو عبد الله الحسين ابن محمد بن الحسين الدِّينوَري وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الدُّوني[١] الثوريان، الأخير راوي سنن النسائي عن أبي نصر الكَسَّار، توفي سنة إحدىٰ وخمسمائة، وأما الآن فلم يبقَ مَن يتقيَّد مذهبه أو يعتزي إليه (**وكل واحد منهم كان**) متَّصفًا بهذه الأوصاف الخمسة: كان (**عابدًا**) أي عاملاً بعلمه (**وزاهدًا**) في الدنيا (**وعالمًا بعلوم الآخرة، وفقيهًا في مصالح الخَلْق في الدنيا، ومريدًا بفقهه وجهَ الله تعالىٰ. فهذه خمس خِصال**) وهي: العبادة، والزهد، والعلم الأخروي، والعلم الدنيوي، وحُسن النية في الأخير (**اتَّبعهم فقهاء الفِرَق**) علىٰ كثرتهم (**من جملتها**) أي من جملة تلك الخِصال الخمس (**علىٰ خصلة واحدة وهي التشمير**): بذلُ الجهد (**والمبالغة في**) حفظ (**تفاريع الفقه**) بأنواعها (**لأن الخصال الأربعة**) وهي: العبادة، والزهد، والعلم الأخروي، وحُسن النية (**لا تصلُح إلا للآخرة، وهذه الخصلة الواحدة تصلُح للدنيا والآخرة، وإن أريدَ بها الآخرة**) إذ الأعمال بالنية (**قلَّ صلاحُها**) ولياقتها (**للدنيا**) ومتاعها (**شمَّروا لها**) واجتهدوا في تحصيلها (**وادَّعوا بها مشابهة أولئك الأئمة**) في سائر أحوالهم (**وهيهاتَ**) أي بعيدٌ ذلك (**فلا**

---

(١) نسبة إلىٰ دون: إحدىٰ قرىٰ الدينور. لباب الأنساب لابن الأثير ١/ ٥١٧. معجم البلدان ٢/ ٤٩٠.

تُقاس الملائكة) وفي بعض النسخ: الملوك (**بالحدَّادين**) وشتَّانَ ما بينهما؛ لبُعدِ ما بين المنزلتين.

(**فلنورد الآن من أحوالهم**) وأخبارهم (**ما يدل علىٰ هذه الخصال الأربعة**) المذكورة (**فإن معرفتهم بالفقه**) الظاهر (**ظاهرة**) فلا يُحتاج إلىٰ إيراد أدلَّة لذلك.

(**أما الإمام الشافعي** رضي الله عنه) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافِع بن السائب بن عُبَيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطَّلِب بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، وجدُّه شافع الذي يُنسَب إليه له رؤية للنبي ﷺ، ذكره جماعةٌ في الصحابة[١]، وأبوه السائب أُسر يوم بدر ففدىٰ نفسه ثم أسلم، وكان يُشبَّه بالنبي ﷺ، وأما عثمان ولد شافع فعاش إلىٰ خلافة السفَّاح.

وأما أم الإمام الشافعي فالصحيح أنها أَزْدية، وقيل: هاشمية، واسمها فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين، ولم يثبُت هذا. وُلد بغَزَّة سنة خمسين ومائة، وحُمل إلىٰ مكة وهو ابن سنتين، وقيل: بعسقلان، والجمع بينهما ممكن[٢].

وقال ابن باطيش: الذي [دل] عليه مجموعُ الروايات أنه وُلد بغزة، ثم حُمل منها إلىٰ عسقلان، ثم إلىٰ مكة فنشأ بها[٣].

وروىٰ ابن أبي حاتم[٤] أنه وُلد باليمن. قال الذهبي[٥]: وهو خطأ، ولعله أراد

---

(١) منهم ابن الأثير في أُسد الغابة ٢/ ٦٠٦، وابن حجر في الإصابة ٥/ ٤٤.

(٢) وذلك أن عسقلان وغزة متقاربان، فعسقلان هي المدينة، وغزة كانت قرية تابعة لها حينئذ، فحيث قيل: في غزة، أريد القرية، وحيث قيل: عسقلان، أريد المدينة.

(٣) توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس لابن حجر العسقلاني ص ٥١ (ط - دار الكتب العلمية). والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٤) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ص ٢١ (ط - مكتبة الخانجي بالقاهرة).

(٥) تاريخ الإسلام ١٤/ ٣٠٨ ونصه: «هذا غلط، أو لعله أراد باليمن القبيلة».

بالولادة النشأة.

وأما شيوخه الذين حمل عنهم العلم بالحرمين واليمن والعراق ومصر فكثيرون، أوردهم الحافظ ابن حجر في «توالي التأسيس»[1]، والقطب الخيضري في «الألمعية»، وكذا مَن أخذ عنه فيهم كثرةٌ، أوردهم التاج السبكي في طبقاته الكبرىٰ[2] والخيضري وابن كثير[3] وغيرُهم[4].

وقال الربيع[5]: أقام الشافعي بمصر أربع سنين، فأملىٰ ألفًا وخمسمائة ورقة، وخرَّج كتاب الأم ألفَي ورقة، وكتاب السنن، وأشياء كثيرة، كلُّها في مدة أربع سنين، وتوفي سنة أربع ومائتين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلت: وأما المسند المنسوب إليه فمن تخريج أبي عمرو محمد بن جعفر ابن مطر النيسابوري [صاحب] الأصمِّ عن الربيع عنه، والسنن المنسوب إليه فمن تخريج الحافظ أبي جعفر الطحاوي عن خاله المُزَني عنه، وكلٌّ منهما من مسموعاتنا بحمد الله تعالىٰ.

ومن مصنَّفات الإمام: الرسالة الكبيرة في أصول الفقه. قال أبو ثور[6]: كتب عبد الرحمن بن مهدي إلىٰ الشافعي وهو شابٌّ أن يضع له كتابًا فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحُجَّة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن

---

(١) توالي التأسيس ص ٦٢ - ٧١، حيث ذكر ثمانين شيخا، منهم: سفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، والفضيل بن عياض، ومالك بن أنس، ومحمد بن الحسن، ووكيع بن الجراح، والواقدي.

(٢) طبقات السبكي ٢/ ٥ - ١٨٠.

(٣) طبقات الشافعية لابن كثير ص ١١٣ - ١٦٤.

(٤) كالإسنوي في طبقاته ١/ ٢١ - ٣٢. وابن قاضي شهبة في طبقاته ١/ ٣ - ٢٧ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند).

(٥) توالي التأسيس ص ١٧٧.

(٦) معرفة السنن والآثار للبيهقي ١/ ١٩٩. تاريخ بغداد ٢/ ٤٠٤. تاريخ دمشق ٥١/ ٣٢٣.

والسنَّة، فوضع له كتاب الرسالة.

(**فيدلُّ علىٰ كونه عابدًا**) وهي الخصلة الأولىٰ من الخصال الأربعة (**ما رُوي أنه كان**) كثير الصلاة بالليل (**يقسِّم الليل ثلاثة أجزاء: ثلثًا للعلم، وثلثًا للصلاة، وثلثًا للنوم**) رواه البيهقي[١] عن الحاكم، حدثني أبو بكر محمد بن محمد البغدادي، حدثنا أبو الحسن علي بن قريش، عن الربيع ... فذكره بلفظ: كان قد قسَّم الليل ثلاثة أجزاء، فثلثه الأول للاشتغال، والثاني للصلاة، والثالث ينامه؛ ليقوم إلىٰ صلاة الفجر نشيطًا.

(**وقال الربيع**)[٢] بن سليمان بن عبد الجبَّار بن كامل المُرادي مولاهم، أبو محمد، المؤذِّن، صاحب الشافعي وراوية كتبه. ولد سنة ١٧٤، واتَّصل بخدمة الشافعي، وحمل عنه الكثير، وحدَّث عنه به، وروىٰ عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو زُرعة الرازي وأبو حاتم وابنه وزكريا الساجي وأبو جعفر الطحاوي وأبو بكر ابن زياد النيسابوري وأبو العباس الأصم وآخرون، وآخرهم أبو الفوارس السِّندي، وروىٰ عنه الترمذي بالإجازة، وكان مؤذِّنًا بجامع مصر، وكان الشافعي يحبه كثيرًا ويميل إليه. قال الخليلي في الإرشاد[٣]: ثقة متَّفق عليه. توفي يوم الاثنين [ودفن يوم الثلاثاء][٤] لإحدىٰ وعشرين ليلة خلت من شوَّال سنة ٢٧٠. قال: (**كان الشافعي يختم القرآن في**) كل شهر (**رمضان ستين مرةً، كلُّ ذلك في الصلاة**) روىٰ ذلك ابن أبي حاتم[٥]: حدثنا الربيع بن سليمان المرادي المصري قال: كان

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ١٥٧ (ط - دار التراث بالقاهرة) ونصه: كان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة أثلاث، الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام.

والرواية التي ذكرها الزبيدي نقلها عن كتاب طبقات الشافعية لابن كثير ١/ ٥٥.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات السبكي ٢/ ١٣٢ - ١٣٩. تهذيب الكمال للمزي ٩/ ٨٧ - ٨٩.

(٣) الإرشاد ١/ ٤٢٩.

(٤) زيادة من تهذيب الكمال وطبقات السبكي.

(٥) آداب الشافعي ومناقبه ص ١٠١.

الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرةً، كلُّ ذلك في صلاة.

وروى الخطيب البغدادي[١] عن علي بن المحسِّن القاضي عن أبي بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصَّفَّار عن عبد الله بن محمد بن جعفر القزويني عن الربيع قال: كان الشافعي كثير التلاوة للقرآن ولا سيَّما في شهر رمضان، كان يقرأ في اليوم والليلة ختمتين، وفيما عداه في كل يوم وليلة ختمةً.

وقال البيهقي[٢]: أخبرنا [أبو] عبد الرحمن السلمي، سمعت علي بن عمر الحافظ، سمعت أبا بكر النيسابوري، سمعت الربيع قال: كان الشافعي يختم في كل شهر ثلاثين ختمة، وفي رمضان ستين ختمة، سوى ما يقرأ في الصلاة.

(وكان) أبو يعقوب[٣] يوسف بن يحيىٰ **(البُوَيطي)** المصري **(أحد أصحابه)** المصريين، منسوب إلىٰ بُوَيط[٤] -كزُبَير- قرية بصعيد مصر. كان إمامًا جليلاً، عابدًا، زاهدا، متهجِّدًا، تاليًا، سريع الدمعة، روىٰ عنه وعن عبد الله بن وهب، وعنه الربيع المرادي -وهو رفيقه- وإبراهيم الحربي، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، وأبو حاتم وقال: صدوق[٥]. مات سنة ٢٣١ في سجن بغداد في القيد **(يختم القرآن في رمضان في كل يوم مرةً)** تبعًا لأستاذه، وقد نُقل في مناقب البويطي أنه كان كثير التلاوة للقرآن، لا يمرُّ به يومٌ ولا ليلة غالبًا حتىٰ يختم، مع اشتغاله بالفتوىٰ. ثم إن للسلف عادات مختلفة في القَدْر الذي يختمون فيه، فمنهم في كل شهر ختمة، وآخرون في كل جمعة، وآخرون في كل يوم وليلة، وآخرون في كل ركعة؛ أورد ذلك

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٤٠٢. ولفظه: كان الشافعي يختم في كل ليلة ختمة، فإذا كان شهر رمضان ختم في كل ليلة منها ختمة، وفي كل يوم ختمة، فكان يختم في شهر رمضان ستين ختمة.

(٢) مناقب الشافعي ٢/ ١٥٩. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات السبكي ٢/ ١٦٢ - ١٧٠.

(٤) بويط: إحدىٰ قرىٰ محافظة أسيوط بمصر.

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٢٣٥.

النوويُّ في الأذكار[١].

وسيأتي ما يتعلَّق بذلك في آداب تلاوة القرآن من هذا الكتاب.

(**وقال**) أبو علي[٢] (**الحسين**) بن علي بن يزيد (**الكرابيسي**) كان إمامًا جليلاً، تفقَّه أولاً علىٰ مذهب أهل الرأي، ثم للشافعي، ولازمه واختصَّ به، وسمع منه الحديث ومن غيره، وله مصنَّفات، إلا أن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ، وهو أيضًا كان يتكلم في أحمد، فتجنَّب الناسُ الأخذَ عنه لهذا السبب. مات سنة ٢٤٥[٣].

قال: (**بتُّ عند**) وفي بعض النسخ: مع (**الشافعي غير ليلة**) وثبت في بعض الروايات التصريح بثمانين ليلة (**فكان يصلي نحوًا من ثلث الليل**) وفي رواية: نحو ثلث الليل (**فما رأيتُه**) وفي رواية: وما رأيتُه (**يزيد علىٰ خمسين آية**) أي من القرآن في الصلاة (**فإذا أكثرَ فمائة آية، وكان لا يمرُّ بآية رحمة إلا سأل الله تعالىٰ لنفسه ولجميع المؤمنين**) وفي رواية: وللمؤمنين أجمعين (**ولا يمرُّ بآية عذاب إلا تعوَّذَ بالله منه**) أي من العذاب، وفي غالب النسخ: منها (**وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين**) أجمعين، وفي بعض النسخ: ولجميع المؤمنين (**وكأنَّه جُمع له الرجاء والرهبة معًا**) رواه[٤] زكريا الساجي في مناقب الشافعي، حدثني محمد بن إسماعيل، حدثنا حسين بن علي الكرابيسي قال: بتُّ مع الشافعي، فكان يصلِّي ... فذكره.

وقال الحافظ ابن كثير[٥] بعد إيراده قول الكرابيسي ما نصُّه: هكذا يكون تمام العبادة، أن يجمع الرغبة والرهبة، كما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا مرَّ

---

(١) الأذكار ص ٨٥.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات السبكي ٢/ ١١٧ - ١٢٦. تاريخ بغداد ٨/ ٦١١ - ٦١٥.

(٣) وذكر الخطيب والسبكي قولا آخر أنه توفي سنة ٢٤٨، قال الخطيب: وهو أشبه بالصواب.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ١٥٨.

(٥) طبقات الشافعية ١/ ٥٥.

بآية رحمة وقف فسأل الله، وإذا مرَّ بآية عذاب وقف وتعوَّذ، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

(**فانظر كيف يدل اقتصارُه علىٰ خمسين آية**) خاصةً (**علىٰ تبحُّره**) وسعته (**في**) معرفة (**أسرار القرآن وتدبُّره فيها**) أي في معانيها.

(**وقال الشافعي**) فيما رواه ابن أبي حاتم[١]: حدثنا الربيع قال: قال الشافعي رضي الله عنه: (**ما شبعتُ منذ ست عشرة سنةً**) إلا شبعة أطرحها، يعني فطرحتُها (**لأن الشِّبع يثقل البدنَ**) أي لامتلاء العروق بالطعام والشراب (**ويقسِّي القلب**) أي يغلظه (**ويزيل الفِطْنة**) ومنه قول الحكماء: البِطْنة تُذهِب الفِطْنة (**ويجلب النومَ**) أي لارتخاء العروق (**ويُضعِف صاحبه عن العبادة**).

قال المصنِّف: (**فانظر إلىٰ حكمته في ذِكر آفات الشِّبع**) الخمسة (**ثم في جدِّه**) وتشمُّره (**للعبادة؛ إذ طرح الشِّبع لأجلها، و**) قد قالوا: (**رأس التعبُّد**) ومِلاكه (**تقليل الطعام**) وإفراغ الجوف منه.

(**وقال الشافعي**)[٢] فيما رواه عنه حرملة بن يحيىٰ: (**ما حلفتُ بالله تعالىٰ لا صادقًا ولا كاذبًا قطُّ**) رواه هكذا الزبير بن عبد الواحد الأسدآباذي، سمعت إبراهيم بن الحسن الصوفي يقول: سمعت حرملة يقول: سمعت الشافعي يقول... فذكره، إلا أنه ليس فيه: قطُّ. ورواه الربيع أيضًا عنه فزاد بعد قوله «ولا كاذبًا»: جادًّا ولا هازلاً[٣]. ويُروَىٰ عن الربيع عنه قال[٤]: ما كذبتُ قطُّ، ولا حلفت بالله، لا صادقًا ولا كاذبًا، ولا تركتُ غسل الجمعة في حرٍّ ولا برد ولا سفر ولا غيره.

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه ص ١٠٥.

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٥٩. سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٦.

(٣) طبقات السبكي ٢/ ١٣٦.

(٤) طبقات ابن كثير ١/ ٦١. المجموع للنووي ١/ ١٢.

(**فانظر إلىٰ حرمته وتوقيره**) أي تعظيمه (**لله تعالىٰ**) حيث لم يحلف به قطُّ (**ودلالة ذلك علىٰ علمه بجلال الله**) وعظمته.

(**وسُئل الشافعي**)[1] يومًا (**عن مسألة، فسكت**) ولم يُجِب (**فقيل له: ألا تجيب رحمك الله؟ فقال: حتىٰ أدري الفضل في سكوتي أو في الجواب**) وهكذا كان شأن الأئمَّة، يسكتون عن جملة من المسائل، ويَكِلونَ عِلمها إلىٰ الله تعالىٰ.

(**فانظر إلىٰ مراقبته**) أي محافظته (**للسانه**) بعدم النطق (**مع أنه**) أي اللسان (**أشد الأعضاء تسلُّطًا علىٰ الفقهاء، وأعصاها علىٰ الضبط والقهر**) ومنه ما ورد في الحديث: «وهل يكبُّ الناسَ علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»؟ وفي الأحاديث التي لا طرق لها: «مَن حفظ ما بين لقلقه وذبذبه دخل الجنة». (**وبه تستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنَيْل الفضل وطلب الثواب**) من الله تعالىٰ.

(**وقال**)[2] أبو عبد الله (**أحمد بن يحيىٰ بن الوزير**) بن سليمان بن المهاجر التُّجيبي المصري الحافظ النحوي مولاهم، أحد الأئمَّة، روىٰ عن عبد الله بن وهب وشعيب بن الليث وأصبغ بن الفرج، وعنه النسائي وقال: ثقة، وأبو بكر ابن أبي داود. وُلد سنة ١٧١، وصحب الشافعيَّ، وتفقَّه له.

مات في سجن أحمد ابن محمد بن المدبِّر[3] لستٍّ خلونَ من شوَّال سنة ٢٥١ (**خرج**[4] **الشافعي يومًا من سوق القناديل**)[5] وكان بالقرب من جامع عمرو بمصر، تُباع فيه القناديل، وبإحدىٰ أزِقَّته وُلد ابن الجوَّاني النَّسَّابة، وقد اندثر رسمُه

---

(١) المجموع ١/ ٤٠.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات السبكي ٢/ ٦٦ - ٧٦.

(٣) وسبب حبسه أنه كان يستأجر الأراضي للزرع ويعمل الفلاحة، فانكسر عليه بعض الخراج، فحبسه ابن المدبر.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٢٣. تاريخ دمشق ٥١/ ١٨٣.

(٥) بعده في الحلية وتاريخ دمشق: متوجهًا إلىٰ حجرته.

الآن (فتبعناه، فإذا رجل يسِّفه علىٰ رجل من أهل العلم) أي يشتمه (فالتفت الشافعي إلينا وقال: نزِّهوا أسماعكم عن استماع الخَنا) أي الفُحش من الكلام (كما تنزِّهون ألسنتكم عن النطق به؛ فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لَينظرُ إلىٰ أخبث شيء في وعائه) أي في قلبه (فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم) أي في قلوبكم (ولو رُدَّت كلمة السفيه لسعد رادُّها كما شقي بها قائلُها) وإلىٰ هذا نظر ابن المنيِّر فقال وأجاد:

الأذن كالوردة مفتوحة فلا تُمِرَّنَّ عليها الخَنا
فإنه أنتن من جيفةٍ فاحرصْ علىٰ الوردة أن تنتنا

(وقال الشافعي[١]: كتب حكيم إلىٰ حكيم): يا هذا[٢] (قد أوتيتَ علمًا) بالله تعالىٰ (فلا تدنِّس عِلمك بظُلمة الذنوب) لأن معاصي الله تعالىٰ لها ظلمات، فلا يستقر النور مع تلك الظلمات؛ لكونهما ضدينِ (فتبقىٰ في الظلمة يوم يسعىٰ أهلُ العلم بنور علمهم) وذلك يوم العرض بين يدي الله تعالىٰ، فيفوز المقرَّبون بأنصبائهم، ونورُ عِلمهم يدلُّهم إلىٰ طريق الجنة، وأهل الذنوب يحتارون في ذنوبهم فلا يهتدون سبيلاً.

وأورده الدينوري في «المجالسة» فقال[٣]: حدثنا محمد بن عبد العزيز قال: سمعت أبي يقول: سمعت ابن السَّمَّاك يقول: كتب رجل إلىٰ أخ له: يا أخي، إنك قد أوتيتَ علمًا، فلا تطفئ نور علمك بظُلمة الذنوب فتبقىٰ في الظلمة يوم يسعىٰ أهل العلم بنور عِلمهم.

فهذا الذي ذكره متعلِّق بعبادته رضي الله عنه.

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٤٦. تاريخ دمشق ٥١/ ٢٣١.

(٢) في الحلية وتاريخ دمشق: يا أخي.

(٣) المجالسة وجواهر العلم ٢/ ١٨٩.

(وأما زهده) وهي الخصلة الثانية من الخِصال الأربعة **(فقد قال الشافعي**[١]: **مَن ادَّعىٰ أنه جمع بين حب الدنيا وبين حب خالقها في قلبه فقد كذب)** أي لأنهما ضِدان لا يجتمعان إذا نزل أحدهما بالقلب ارتحل الآخرُ عنه.

(وقال) أبو بكر[٢] عبد الله بن الزُّبَير بن عيسىٰ القرشي الأسدي **(الحُمَيدي)** المكِّي، منسوب إلىٰ جدِّه حُمَيد بن زُهَير بن الحارث بن أسد. روىٰ عن الشافعي، وتفقَّه عليه، وذهب معه إلىٰ مصر، وعن سفيان بن عيينة والدَّراوَرْدي وفُضَيل بن عياض ووكيع، وعنه البخاري ومحمد بن يحيىٰ الذُّهلي وأبو زُرعة وأبو حاتم الرازيَّان. توفي بمكة في سنة ٢١٩ **(خرج الشافعي إلىٰ اليمن مع بعض الولاة)** تقدَّم أنه نشأ باليمن، وولي نجران، وبها بنو الحارث وموالي ثقيف، فشكوه إلىٰ الخليفة، فطلبه، فدخل بغداد لأجل هذه الشِّكاية، واجتمع حينئذٍ بمحمد بن الحسن، ثم رجع إلىٰ اليمن[٣] **(فانصرف إلىٰ مكة بعشرة آلاف درهم، فضرب خباءه في موضع خارجٍ من مكة، فكان الناس يأتونه، فما برح من موضعه ذلك حتىٰ فرَّقها كلَّها)** وقد اختُلف في قول الحُمَيدي هذا، فقال ابن عساكر[٤]: أخبرنا أبو الحسن الفَرَضي، حدثنا أبو نصر الخطيب، حدثنا أبو بكر ابن أبي الحديد، أخبرنا محمد بن بِشر العَكَري، سمعت الربيع يقول: سمعت الحميدي يقول: قدم علينا الشافعي من صنعاء، فضُربت له الخيمة، ومعه عشرة آلاف دينار، فجاء قوم وسألوه، فما قُلعت الخيمة ومعه منها شيءٌ.

ثم روىٰ من طريق أبي جعفر التِّرمذي عن الربيع عن الحُمَيدي قال: قدم

---

(١) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر ص ١٦٠ (ط - مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب). فيض القدير للمناوي ٣/ ٥٤٤.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات السبكي ٢/ ١٤٠ - ١٤٣.

(٣) انظر: آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ص ٣١. حلية الأولياء ٩/ ٧٦.

(٤) تاريخ دمشق ٥١/ ٤٠١ - ٤٠٢.

الشافعيُّ بثلاثة آلاف دينار، فدخل عليه بنو عمِّه وغيرهم، فجعل يعطيهم حتىٰ قام وليس معه شيءٌ.

وقال البيهقي[١]: أخبرنا الحاكم، سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب الأصمَّ، سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الحُمَيدي يقول: قدم الشافعي من صنعاء إلىٰ مكة بعشرة آلاف دينار في منديل، فضرب خباءه في موضع خارجًا عن مكة، فكان الناس يأتونه فيه، فما برح حتىٰ ذهبت كلُّها.

قال البيهقي: وقال غيره عن الربيع في هذه الحكاية: وفرَّق المال كلَّه في قريش، ثم دخل مكة.

قلت: وروىٰ ابن خزيمة عن الربيع بمثل رواية البيهقي الأولىٰ، وفيه: معه عشرون ألف دينار. وفيه: وأقام حتىٰ فرَّقها[٢].

وقال الزبير بن عبد الواحد الأسدآباذي[٣]: وأخبرني أبو محمد البُسْتي السجستاني فيما كتب إليَّ قال: حدثني أبو ثور قال: أراد الشافعي أن يخرج إلىٰ مكة ومعه مالٌ، فقلتُ له، وقلَّما كان يمسك الشيءَ من سماحته: ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعةً تكون لك ولولدك من بعدك. فخرج، ثم قدم علينا، فسألتُه عن ذلك المال ما فعل به، فقال: ما وجدتُ بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها، أكثرها قد وُقفت [عليه][٤] ولكن قد بنيتُ[٥] بمِنىٰ

(١) شعب الإيمان ١٣/ ٣٤١.

(٢) الترغيب والترهيب لقوام السنة ٢/ ٢٦٨.

(٣) الذي في تاريخ دمشق ٥١/ ٣٩٥ أن الراوي عن السجستاني هو ابن أبي حاتم الرازي. وهو كذلك في كتاب آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ص ١٠٤.

وهذه الحكاية أوردها أيضًا أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٢٧ من طريق ابن أبي حاتم عن السجستاني.

(٤) زيادة من تاريخ دمشق وآداب الشافعي. والضمير عائد إلىٰ البيت الحرام.

(٥) في آداب الشافعي: بسطنا.

مضربًا[١] يكون لأصحابنا إذا حجُّوا ينزلون فيه.

ورواه[٢] أبو عبد الله محمد بن أحمد غُنْجار الحافظ البخاريُّ، حدثنا خلف بن محمد، حدثنا إبراهيم بن محمود بن حمزة، حدثني داود بن علي بن خلف، حدثني إبراهيم بن خالد الكلبي -يعني أبا ثور الشافعي- بهذا، وزاد بعد قوله «ينزلون فيه» قال: فكأنِّي اهتممت، فأنشد الشافعي قول ابن أبي حازم[٣]:

إذا أصبحتُ عندي قوت يومي فخَلِّ الهمَّ عني يا سعيدُ

ولا تُخطِرْ همومَ غدٍ ببالي فإن غدًا له رزق جديد

أسلِّم إن أراد الله أمرًا وأترك ما أريد لما يريد

وما لإرادتي وجهٌ إذا ما أراد الله لي ما لا أريد

(وخرج من الحمَّام مرةً، فأعطىٰ الحَمَّامي مالاً كثيرًا) قال ابن أبي حاتم[٤]: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا محمد بن رَوْح، حدثنا الزبير بن سليمان القرشي، عن الشافعي قال: خرج هَرْثَمة فأقرأني سلام أمير المؤمنين هارون وقال: قد أمر لك بخمسة آلاف دينار. قال: فحُمل إليه المال، فدعا الحجَّام، فأخذ من شعره، فأعطاه خمسين دينارًا، ثم أخذ رِقاعًا فصَرَّ من تلك الدنانير صُرَرًا ففرَّقها في القرشيين الذين هم في الحَضْرة ومَن هم بمكة، حتىٰ ما رجع إلىٰ بيته إلا بأقل من مائة دينار.

وقال ابن عساكر[٥]: قرأت بخط أبي الحسين الرازي، عن الزبير بن عبد الواحد

---

(١) في الحلية: بيتًا.

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٩٦.

(٣) الأبيات في ديوان الشافعي ص ٦٨ (ط - دار الكتاب العربي).

(٤) آداب الشافعي ومناقبه ص ١٢٨.

(٥) تاريخ دمشق ٥١/ ٢٧١.

الأسدآباذي، حدثني أحمد بن مروان، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحنفي قال: سمعت أبي يقول: خرجنا من بغداد مع الشافعي نريد مصر، فدخلنا حَرَّان، وكان قد طال شعرُه، فدعا حجَّامًا، فأخذ من شعره، فوهب له خمسين دينارًا.

(وسقط سوطه من يده مرةً، فدفعه له إنسان، فأعطاه جزاءً عليه خمسين دينارًا) قال البيهقي[١]: أخبرنا الحاكم، أخبرنا نصر بن محمد، حدثنا أبو علي الحسن بن حبيب بن عبد الملك بدمشق قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: رأيت[٢] الشافعي راكب حمار، فمرَّ علىٰ سوق الحدادين[٣]، فسقط سوطُه من يده، فوثب غلامٌ من الحدادين فأخذ السوط ومسحه بكُمِّه وناوله إياه، فقال الشافعي لغلامه: ادفع تلك الدنانيرَ التي معك إلىٰ هذا الفتىٰ. قال الربيع: فلست أدري[٤] كانت تسعة دنانير أو سبعة دنانير.

(وسَخاوة الشافعي أكثر من أن تُحصَىٰ) قال ابن أبي حاتم[٥]: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: كان الشافعي أسخىٰ الناس بما يجدُ.

وقال داود بن علي الظاهري[٦]: حدثنا أبو ثور قال: كان الشافعي من أجود

---

(١) مناقب الشافعي ٢٢١.

(٢) في المناقب: كان.

(٣) في المناقب: الحذائين. في الموضعين.

(٤) في المطبوعة: قلت لا أدري. والتصويب من المناقب.

(٥) آداب الشافعي ومناقبه ص ١٢٥، وتمامه: وكان يمر بنا، فإن وجدني وإلا قال: قولي لمحمد إذا جاء يأتي المنزل فإني لست أتغدىٰ حتىٰ يجيء. فربما جئته، فإذا قعدت معه علىٰ الغداء قال: يا جارية، اضربي لنا فالوذجًا. فلا تزال المائدة بين يديه حتىٰ تفرغ منه ونتغدىٰ.

(٦) حلية الأولياء ٩/ ١٣٣. تاريخ دمشق ٥١/ ٤٠٣. وتمامه: كان يشتري الجارية الصناع التي تطبخ وتعمل الحلوىٰ، ويشترط عليها أنه لا يقربها؛ لأنه كان عليلًا لا يمكنه أن يقرب النساء في وقته ذلك لباسور كان به، ثم يأتينا فيقول لنا: تشهوا ما أحببتم فقد اشتريت جارية تحسن أن تعمل ما تريدون، فيقول لها بعض أصحابنا: اعملي لنا كذا وكذا، فكنا نأمرها بما نريد وهو مسرور بذلك.

الناس وأسمحهم كفًّا.

وقال ابن أبي حاتم[١]: حدثنا أبي، سمعت عمرو بن سَوَّاد السَّرْحي قال: كان الشافعي أسخىٰ الناس علىٰ الدينار والدرهم والطعام[٢].

وقال[٣] محمد بن عُبَيد الله بن محمد: أخبرنا أبو عمر محمد بن الحسين البسطامي، أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود، سمعت المُزَني، سمعت الشافعي يقول: السخاء والكرم يغطِّيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا تلحقهما بدعةٌ.

(ورأس الزهدِ السخاءُ) بما ملكته يداك من مال وطعام وملبوس (**لأن مَن أحب شيئًا أمسكه ولم يفارقه، فلا يفارق المالَ إلا مَن صغُرت الدنيا في عينه، وهو معنىٰ الزهد**) كما سيأتي بيان ذلك في باب الزهد.

(و) ممَّا (**يدل علىٰ قوة زهده**) عن الدنيا (**وشدة خوفه من الله تعالىٰ واشتغال همَّته بالآخرة ما رُوي أنه روىٰ سفيان بن عيينة**) هو أبو محمد الهلالي مولاهم الكوفي، أحد الأعلام، روىٰ عن الزُّهري وعمرو بن دينار، وعنه أحمد وعلي والزعفراني. ثقة ثبت حافظ إمام، مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة[٤] (**حديثًا من الرقائق**) وروىٰ[٥] أبو سعيد ابن زياد، حدثنا تميم بن عبد الله أبو محمد، سمعت سُوَيد بن سعيد يقول: كنا عند سفيان بن عيينة بمكة، فجاء الشافعي فسلَّم وجلس، فروىٰ ابن عيينة حديثًا رقيقًا (**فغُشي علىٰ الشافعي، فقيل له**): يا أبا محمد (**قد مات**)

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه ص ١٢٦.

(٢) بعده في الآداب: فقال لي الشافعي: أفلست في عمري ثلاث إفلاسات، فكنت أبيع قليلي وكثيري حتىٰ حلي ابنتي وزوجتي، ولم أرهن قط.

(٣) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٩٨.

(٤) تهذيب الكمال للمزي ١١/ ١٧٧ - ١٩٦.

(٥) معرفة السنن والآثار للبيهقي ١/ ١٩٨. حلية الأولياء ٩/ ٩٥. تاريخ دمشق ٥١/ ٣٠٦.

ابن إدريس **(فقال)** ابن عيينة: **(إن مات)** ابن إدريس **(فقد مات أفضل أهل زمانه)** هكذا رواه الحافظ ابن كثير(١).

(وما روىٰ عبد الله بن محمد البَلَوي) في كتابه «رحلة الشافعي»، قال ابن كثير(٢): هو كذَّاب وَضَّاع، اختلق في كتابه أشياء لا أصل لها، فمن ذلك مناظرة الشافعي أبا يوسف بحضرة الرشيد، وتأليب أبي يوسف عليه، فهو مكذوب باطل اختلقه هذا البلويُّ قبَّحه اللهُ تعالىٰ؛ فإن الشافعي قَدِم بغداد أول قِدمته سنة أربع وثمانين ومائة بعد موت أبي يوسف بسنتين، فلم يدركه ولا رآه، وأبو يوسف كان أجَلَّ قَدْرًا وأعلىٰ منزلةً مما نُسب إليه، وإنما أدرك في هذه القدمة محمد بن الحسن الشيباني، فأنزله في داره، وأجرىٰ عليه نفقته، وأحسن إليه بالكتب وغير ذلك، وكانا يتناظران فيما بينهما كما جرت عادةُ الفقهاء، هذا علىٰ مذهب أهل الحجاز، وهذا علىٰ مذهب أهل العراق، وكلاهما بحر لا تكدِّره الدِّلاء.

وقال الذهبي في الميزان(٣) في ترجمة أحمد بن موسىٰ النجار ما لفظه: حيوان وحشي، قال: قال محمد بن سهل الأموي، حدثنا عبد الله بن محمد البلوي ... فذكر محنة مكذوبة للشافعي فضيحة لمَن تدبَّرها.

وذكر(٤) في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد البَلَوي أنه روىٰ عن عُمارة بن زيد بخبر منكر، ذكره ابن الجوزي وكذَّبه(٥).

(قال: كنت(٦) أنا وعمر بن نباتة) لم أعرف من حاله شيئًا، ولا وجدتُ له

---

(١) طبقات الشافعية ١/ ٣٨.

(٢) طبقات الشافعية ١/ ٢٣.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ١٥٩.

(٤) ميزان الاعتدال ٣/ ٥٩٧.

(٥) العلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ١٨٥.

(٦) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ١٧٧. التذكرة الحمدونية ١/ ٢٠٩ (ط - دار صادر).

ذِكرًا في طبقات أصحاب الشافعي ولا غيرها، وإن كان هو والد أبي نصر عبد العزيز فبعيدٌ؛ لأن هذا متأخِّر الوفاة في سنة ٤٠٥، فليْتحقَّق من حاله (**جلوسًا نتذاكر العُبَّاد والزهَّاد، فقال لي عمر: ما رأيتُ أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي، خرجت أنا وهو والحارث بن أسد**) هو أبو عبد الله المُحاسِبي المتقدِّم ذِكرُه، وقد ذكره السمعاني في الطبقة الأولىٰ من أصحاب الشافعي ممَّن صحبه، وقد ردَّه ابن الصلاح فقال[1]: وصحبته للشافعي لم أرَ أحدًا ذكرها سواه، وليس يُعتمَد علىٰ قول السمعاني فيما تفرَّد به، والقرائن شاهدةٌ بانتفائها.

قال ابن السبكي[2]: إن كان السمعاني صرَّح بأنه صحب الشافعيَ فالاعتراض عليه لائحٌ، وإلا فقد يكون أراد بالطبقة الأولىٰ مَن عاصَرَ الشافعيَ وكان في طبقة الآخذين عنه، وقد ذكره في الطبقة الأولىٰ أيضًا أبو عاصم العَبَّادي وقال: كان ممَّن عاصر الشافعي واختار مذهبه، ولم يقل: كان ممَّن صحبه، فلعل هذا القَدْر مراد السمعاني. ا.هـ.

وقد تقدَّم أنه وفاته ببغداد سنة ٢٤٣.

(**إلىٰ الصَّفا**) وهو الجبل المطلُّ علىٰ الحَرَم (**وكان الحارث تلميذًا لصالح المُرِّي**) هو صالح بن بشير بن وادع بن أبي الأقعس، أبو بِشْر القاصُّ المعروف بالمُرِّي، روىٰ عن الحسن وابن سيرين وقَتادة وغيرهم، وعنه سيَّار بن حاتم ويونس بن محمد وعفَّان وغيرهم، اختلف كلام ابن معين فيه[3]، وقال ابن عدي[4]: هو رجل قاصٌّ، حسن الصوت، وعامة أحاديثه مناكير، وعندي - مع هذا - أنه لا

---

(١) طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ١/ ٤٣٩.

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ ٢/ ٢٧٥.

(٣) فقال مرة: ليس به بأس. ومرة: ضعيف. ومرة: ليس بشيء. ومرة: كان قاصا، وكان كل حديث يحدث به عن ثابت باطلًا.

(٤) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٣٨١.

يتعمَّد الكذبَ بل يغلط شيئًا؛ نقله الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب[1].

وفي «الكاشف» للذهبي[2]: صالح بن بشير، أبو بِشر المُرِّي الواعظ الزاهد، روىٰ عن الحسن ومحمد، وعنه يونس المؤدِّب ويحيىٰ بن يحيىٰ وخالد بن خِداش، ضعَّفوه، وقال أبو داود: لا يُكتَب حديثه، توفي سنة ١٧٢.

وذكره العراقي في كتابه «الباعث علىٰ الخلاص من حوادث القُصَّاص» في عداد يزيد الرقاشي والحارث بن أسد من المشهورين بالصلاح والزهد، المعروفين بالضعف في رواية الحديث.

(فافتتح) أي الحارث **(يقرأ)** حزبًا من القرآن **(وكان حَسن الصوت، فقرأ قوله تعالىٰ:** ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات:٣٥، ٣٦] **فرأيت الشافعي وقد تغيَّر لونُه، واقشعرَّ جلده، واضطرب اضطرابًا شديدًا، وخرَّ مغشيًّا عليه)** خوفًا من هول الموقف **(فلمَّا أفاق جعل يقول: أعوذ بالله من مقام الكاذبين)** بين يديك **(وإعراض الغافلين)** عنك **(اللهم لك خضعت قلوب العارفين، وذلَّت لك هيبةُ المشتاقين)** وفي نسخة: رقاب المشتاقين **(إلهي، هَبْ لي جُودك، وجَلِّلني)** أي غَطِّني **(بسترك، واعفُ عن تقصيري بكرم وجهك. قال)** أي عمر بن نباتة: **(ثم قمنا)** من المجلس **(وانصرفنا)** من مكة **(فلمَّا دخلتُ بغداد وكان هو)** أي الشافعي **(بالعراق)** إقليم معروف، يُذكَّر ويؤنَّث، وهما عِراقان: عراق العرب وعراق العجم، وبغداد والكوفة من عِراق العرب **(فقعدتُ علىٰ الشطِّ)** أي شط دِجْلة **(أتهيَّأ للصلاة)** بالوضوء **(إذ مرَّ بي رجل، فقال لي: يا غلام، أحسِنْ وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة. فالتفتُّ فإذا أنا برجل يتبعه جماعةٌ، فأسرعت في وضوئي، وجعلتُ أقفو)** أي أتتبَّع **(أثره)** خلفه **(فالتفت إليَّ فقال: هل لك من**

---

(١) تهذيب التهذيب ٢/ ١٨٩ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٢) الكاشف ١/ ٤٩٣.

حاجة؟ فقلت: نعم، تعلِّمني مما علَّمك الله شيئًا) أراد النصيحة **(فقال لي: اعلمْ أن مَن صدق اللهَ)** أي في معاملاته **(نجا)** أي من عذابه **(ومَن أشفق)** أي خاف **(على دينه سَلِمَ من الرَّدَىٰ)** أي الهلاك **(ومَن زهد في الدنيا)** بالإعراض عن لذَّاتها **(قَرَّت عيناه مما يرىٰ من ثواب الله تعالىٰ غدًا)** ثم قال لمَّا رأىٰ من حرصه علىٰ الملتقىٰ: **(أفلا أزيدك؟ قلت: نعم. قال: مَن كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمانَ: مَن أمر)** غيره **(بالمعروف)** هو كل ما عُرف في الشرع **(وائتمر)** بنفسه **(ونهىٰ)** غيره **(عن المنكَر)** هو كل ما أنكره الشرعُ **(وانتهىٰ)** بنفسه **(وحافظ علىٰ حدود الله تعالىٰ)** فلم يتجاوزها. ثم قال: **(ألا أزيدك؟ قلت: نعم. فقال: كن في الدنيا زاهدًا)** أي متقلِّلاً منها **(وفي الآخرة راغبًا، واصدق الله تعالىٰ في جميع أمورك)** سرًّا وعلانيةً **(تنجُ مع الناجين. ثم مضىٰ، فسألت: مَن هذا؟ فقالوا: هو الشافعي)** وفي هذه الحكاية نظرٌ من وجوه، أما أولاً: اجتماع الحارث بالشافعي، وقد تقدَّم أنه لم يثبُت. وثانيًا: كون الحارث تلميذًا للمُزِّي، وسنة وفاة المري كان الحارث لم يولَد أو كان رضيعًا، وثالثًا: قوله: فسألتُ مَن هذا؟ بعد قوله أولاً: ما رأيت أورع ولا أفصح ... الخ. وعند التأمُّل يظهر فيها غير ما ذكرتُ، والآفة فيها من البلوي؛ فإنه اختلقها، وفي الصحيح من الأقوال الدالَّة علىٰ زهد الشافعي وخشيته مما نقله غير واحد من أصحابه مَقْنَعٌ عن هذا الذي اختلقه البلويُّ.

(فانظر إلىٰ سقوطه) علىٰ الأرض **(مغشيًّا عليه، ثم إلىٰ وعظه)** لعمر **(كيف يدل ذلك علىٰ زهده وغاية خوفه)** من الله تعالىٰ **(ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله تعالىٰ فإنه** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]**)** وكان الشافعي أخشىٰ الناس؛ لأنه كان أعلم الناس، ومَن كان أعلم الناس كان أخشىٰ الناس، وهذا مركَّب من الضرب الأول من الشكل الأول، والمقدِّمة الصغرىٰ ينبغي أن تكون محقَّقة باتفاقٍ أو غيره، فكأنَّ كونه أعلم الناس أمرٌ مفروغ منه حتىٰ

استُنتِج منه: كان أخشىٰ الناس[١] **(ولم يستفِد الشافعي هذا الخوف)** والخشية **(والزهد من علم كتاب السَّلَم والإجارة وسائر كتب الفقه، بل)** استفاده **(هو من علوم الآخرة المستخرَجة من القرآن والأخبار؛ إذ حِكَم الأوَّلين والآخِرين مودَعة فيهما)** أي في الكتاب والسنَّة، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها **(وأما كونه عالمًا بأسرار القلب)** وعجائبه **(وعلوم الآخرة فتعرفه من الحِكَم المأثورة عنه)** مما جمعها غيرُ واحد كالبيهقي والخطيب والحاكم، وقد أُفردت بتآليف.

(رُوي)[٢] عنه **(أنه سُئل عن الرياء)** أي عن حقيقته **(فقال)** في الجواب **(علىٰ البديهة: الرياء فتنةٌ عقدها الهوىٰ)** أي هوىٰ النفس وميلها إلىٰ الشهوات **(حِيالَ)** بالكسر، أي تجاه **(أبصار قلوب العلماء)** أثبت للقلوب أبصارًا علىٰ سبيل المجاز **(فنظروا إليها)** أي تلك الفتنة **(بسوء اختيار النفوس فأُحبطت أعمالهم)** أي أُفسدت وأُهدرت.

ويُروَىٰ[٣] عنه أيضًا أنه قال: لا يعرف الرياءَ إلا مخلص.

قال النووي: أي لا يتمكَّن في معرفة حقيقته والاطلاع علىٰ غوامض خفيَّاته ودقائقه إلا مَن أراد الإخلاص فإنه يجتهد أزمانًا متطاولة في البحث والفكر والتفتيش عليه[٤] حتىٰ يعرفه أو يعرف بعضَه، ولا يحصل هذا لكل أحد، وإنما يحصل للخواص، ومَن يزعم من آحاد الناس أنه يعرف الرياء فهو جاهل بحقيقته.

---

(١) هذا الكلام مأخوذ عن طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٢/ ٨٦ في ترجمة إسحاق بن راهويه.

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٣٤. التذكرة الحمدونية ١/ ٢١٠.

(٣) بستان العارفين للنووي ص ٩٩.

وقد رواه القشيري في رسالته ص ٣٦١ من قول سهل بن عبد الله التستري. وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ١٨٨، ولفظ البيهقي: لا يعرف الرياء إلا مخلص، ولا يعرف النفاق إلا مؤمن، ولا يعرف الجهل إلا عالم، ولا يعرف المعصية إلا مطيع.

(٤) عبارة البستان: فإنه يجتهد أزمانا في مطاولة البحث والفكر والتنقيب عنه.

(وقال الشافعي: إذا أنت خفتَ علىٰ عملك العُجْبَ فاذكر رضا مَن تطلب، وفي أيِّ نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، وأي عافية تشكر، وأي بلاء تذكر، فإنك إذا تفكَّرت في واحدة من هذه الخِصال) الخمسة **(صغُر في عينك عملُك)** أورده ابن كثير[١] في ترجمته إلىٰ قوله: ترهب، وقال بعده: فحينئذٍ يصغر عندك عملُك.

(فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العُجْب، وهما من كبار آفات القلب) فدل ذلك علىٰ تبحُّره في معرفة علوم الآخرة.

(وقال الشافعي)[٢]: مَن تعلَّم القرآن عظمت قيمتُه، ومَن نظر في الفقه نبُل قَدْرُه، ومَن كتب الحديث قويت حُجَّته، ومَن نظر في اللغة[٣] رقَّ طبعُه، ومَن نظر في الحساب جزل رأيُه، و**(مَن لم يصُن نفسه لم ينفعه علمُه.**

وقال) أيضًا: **(مَن أطاع الله تعالىٰ بالعلم تنبَّه سرُّه)** وفي نسخة: نفعه سره، وفي أخرىٰ: تفقَّه سرُّه.

(وقال)[٤] أيضًا: **(ما من أحد إلا له محب ومبغض، فإذا كان)** الأمر **(كذلك فكنْ من أهل طاعة الله)** مصلحًا بينك وبين الله، فالمحب لهم يسعد ويُرحَم،

---

(١) طبقات الشافعية ١/ ٦٣.

(٢) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ للبيهقي ٢/ ٧٣. الفقيه والمتفقه للخطيب ١/ ١٥١.

ورواه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١٢٣ بلفظ: يا ربيع، إرضاء الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه؛ فإنه لا سبيل إلىٰ رضاهم، واعلم أن من تعلم القرآن جل في عيون الناس، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوىٰ.

(٣) في المطبوعة: الفقه. والمثبت من المدخل والفقيه والمتفقه.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٣٨ بلفظ: ما أحد ينجم إلا له من يمدح ويذم، فإذا لم يكن بد فكن من أهل طاعة الله.

والمبغض يُمقَت ويُرجَم.

(ورُوي أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحًا وَرِعًا) لم أعرف من حاله شيئًا (وكان يسأل الشافعيَّ عن مسائل في الورع) والاحتياط (والشافعيُّ يُقبِل عليه لورعه) وصلاحه (فقال للشافعي يومًا: أيُّها أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين)؟ وهي ثلاث مقامات للعارفين (فقال الشافعي: التمكين درجة الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام، وهو غاية قصد الكاملين، ويُعبَّر عنه بالاستقامة أيضًا (ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة) والابتلاء (فإذا امتُحن) العبد (صبر) على المحنة (وإذا صبر تمكَّن) وفي نسخة: مُكِّنَ. ثم استدل عليه فقال: (ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ امتحن إبراهيم عليه السلام) بأنواع المِحَن (ثم مكَّنه) بعدُ (وامتحن موسىٰ عليه السلام) كذلك (ثم مكَّنه، وامتحن أيوب عليه السلام) كذلك (ثم مكَّنه، وامتحن سليمان عليه السلام) كذلك (ثم آتاه مُلْكًا) ومكَّنه فيه، صلوات الله عليهم أجمعين، وإليه يشير قولُه تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت:١-٢] وقوله تعالىٰ: الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ﴾ [البقرة:٢١٤] (والتمكين أفضل الدرجات) لأنه حال أهل الوصول (قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف:٥٦] وذلك بعد أن امتُحن بالسجن والجُبِّ والأسر وغير ذلك (وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة) المشهورة في كتب النفائس (مُكِّنَ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾) [الأنبياء:٨٤] إلىٰ آخر (الآية) وهو قوله عز وجل: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ (فهذا الكلام من الشافعي يدل علىٰ تبحُّره في) معرفة (أسرار القرآن) وروىٰ[1] الربيع قال: كنت يومًا عند الشافعي، إذ جاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قوله عز وجل: ﴿كَلَّآ

---

(١) تفسير الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ١٥٤. مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤١٩.

إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ [المطففين:١٥] فكتب: لمَّا حجب قومًا بالسخط دل علىٰ أن قومًا يرونه بالرضا. قلتُ له: أوَ تدين بهذا يا سيِّدي؟ فقال: واللهِ لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرىٰ ربه في المعاد لَما عبده في الدنيا.

وقد رواه إبراهيم بن محمد بن هرم عن الشافعي[1].

فهذا أيضًا يدل علىٰ تبحُّره في أسرار القرآن.

(و) يدل ذلك أيضًا علىٰ (**اطِّلاعه علىٰ مقامات السائرين إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من الأنبياء والأولياء**) وغير ذلك (**وكلُّ ذلك من علوم الآخرة**) لا تعلُّق له بعلوم الدنيا أصلاً.

(**وقيل للشافعي: متىٰ يكون الرجل عالِمًا**)؟ أي كاملاً في العلم (**قال: إذا تحقَّق في علم فعَلِمَه**) أي عرفه معرفةً جيدة (**وتعرَّض**) بعد ذلك (**لسائر العلوم فنظر فيما فاته**) بإمعان (**فعند ذلك يكون عالمًا؛ فإنه قيل لجالينوس**) أحد حكماء اليونان: (**إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة**) مع اختلاف طبائعها (**فقال: إنما المقصود منها**) أي من تلك الأدوية (**واحدٌ**) أي جزء واحد مضادٌّ لذلك الداء (**وإنما يُجعَل معه غيره**) بالإضافة عليه (**لتسكن حدَّتُه**) وقوته، ولقد صدق فيما قال (**لأن الإفراد قاتل**) بما فيه من الحدَّة والقوة، فإذا لاقىٰ الدواءُ الواحدُ حدةَ الداء تصاكَّا، وعجز المريضُ عن تحمُّله، وإنما يداوَىٰ بما يلائم المرَض، فكذلك الانفراد في العلم الواحد يورِث حدةَ المزاج، فإذا صاحبته علومٌ أُخَر فإنما تكون ملائمة له، مسكِّنة لحدَّته، ولكن الواحد هو المقصود بالذات.

(**فهذا وأمثاله ممَّا لا يُحصَىٰ**) مما نُقل عنه (**يدل علىٰ عِظَم رتبته**) وجلالة قَدْره (**في معرفة الله سبحانه و**) في (**علوم الآخرة**.

---

(١) مناقب الشافعي ١/ ٤٢٠. بلفظ: هذا دليل علىٰ أن أولياءه يرونه يوم القيامة.

وأما إرادته بالفقه) خاصةً (**وبالمناظَرة فيه)** مع الأقران (**وجهَ الله تعالىٰ**) وهي الخصلة الرابعة (**فيدل عليه ما رُوي عنه أنه قال: وددتُ أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نُسب إليَّ شيءٌ منه**) قال ابن أبي حاتم[١]: حدثنا الربيع قال: سمعت الشافعي ودخلت عليه وهو مريض، فذكر ما وضع من كتبه، فقال: وددتُ أن الخَلْق تعلمه ولا يُنسَب إليَّ منه شيء أبدًا.

وحدثنا أبي قال: حدثنا حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أؤجَر عليه ولا يحمَدوني.

(فانظر كيف اطَّلع علىٰ آفة العلم وطلب الاسم به، وكيف كان منزَّه القلب عن الالتفات إليه بمجرَّد النية فيه لوجه الله تعالىٰ.

وقال الشافعي: ما ناظرت أحدًا قطُّ فأحببت أن يخطئ) قال البيهقي[٢]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت الربيع بن سليمان المرادي يقول: دخلت علىٰ الشافعي وهو مريض، فسألني عن أصحابنا، فقلت له: إنهم يتكلمون. فقال لي الشافعي: ما ناظرت أحدًا قط علىٰ الغلبة، وبوُدِّي أن جميع الخَلْق تعلموا هذا الكتاب - يعني كتبه - علىٰ أن لا يُنسَب إليَّ منه شيء. قال هذا الكلام يوم الأحد، ومات هو يوم الخميس، وانصرفنا من جنازته ليلة الجمعة، فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين.

(وقال) أيضًا: **(ما كلَّمت أحدًا قطُّ إلا أحببت أن يوفَّق ويسدَّد ويُعان وتكون عليه رعاية من الله تعالىٰ وحفظٌ)** أورده النووي في بعض مصنفاته[٣] بإسناد صحيح. قال: **(وما كلَّمت أحدًا قط وأنا أبالي أن يبيِّن الله الحقَّ علىٰ لساني أو علىٰ لسانه)** وروىٰ النووي بإسناد له: وددتُ إذا ناظرتُ أحدًا أن يظهر الحقُّ علىٰ يديه.

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه ص ٩١.

(٢) معرفة السنن والآثار ١/ ٢٠٢.

(٣) بستان العارفين للنووي ص ٥٤.

(وقال) أيضًا في مسألة[١]: **(ما أوردتُ الحق والحُجَّة)** أي الدليل على إثبات ذلك الحق **(على أحد فقَبِلَها مني)** بالإنصاف وحُسن القبول **(إلا هِبْتُه)** أي وقعت هيبتُه في قلبي **(واعتقدت محبته)** لخلوص نيَّته وميله إلى الحق. وفي نسخة: مودته[٢] **(ولا كابَرَني)** أي نازعني **(أحدٌ على الحق ودافَعَ الحجة)** [الصحيحة][٣] عنادًا وتعنُّتًا **(إلا سقط)** مقامه **(من عيني ورفضته)** أي تركت صحبته. والمكابرة هي المنازعة في مسألة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم.

ويُروَى من وجه آخَر قال[٤]: ما عرضتُ الحُجَّة على أحد فقَبِلَها إلا عظُم في عيني، ولا عرضتها على أحد فردَّها إلا سقط من عيني.

(فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة وجه الله تعالى بالفقه والمناظرة) دون غيره **(فانظر كيف تابعه الناسُ من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط)** وهي التشمُّر والمبالغة في تفاريع الفقه **(ثم كيف خالفوه فيها أيضًا)** بعدم الإخلاص **(ولهذا قال أبو ثور)**[٥] إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكَلْبي البغدادي، ويقال: كنيته أبو عبد الله، ولقبه أبو ثور. روى عن سفيان بن عيينة، وابن عُلَيَّة، وعبد بن حُمَيد، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، والشافعي، ويزيد ابن هارون[٦]. وعنه مسلم خارج الصحيح، وأبو داود، وابن ماجه، وأبو القاسم البَغَوي، ومحمد بن إسحاق السَّرَّاج. قال ابن حبان[٧]: كان أحد أئمة الدنيا فقهًا

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١١٧. تاريخ دمشق ٥١/ ٣٨٣.

(٢) وهي رواية الحلية وتاريخ دمشق.

(٣) زيادة من الحلية.

(٤) طبقات الشافعية لابن كثير ١/ ٥٥.

(٥) انظر ترجمته في: طبقات السبكي ٢/ ٧٤ - ٨٠.

(٦) في المطبوعة: معروف. والتصويب من طبقات السبكي.

(٧) الثقات ٨/ ٧٤.

وعلمًا وورعًا. توفي سنة ٢٤٠ **(ما رأيتُ ولا رأىٰ الراءون مثل الشافعي)** أخرجه البيهقي[١] عن الحاكم، سمعت إسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان يقول: [سمعت جدي يقول][٢]: سمعت أبا ثور يقول: ما رأينا مثل الشافعي، ولا رأىٰ الشافعيُّ مثلَ نفسه.

وذكره ابن السبكي في ترجمة أبي ثور من طبقاته[٣] بمثل سياق المصنِّف، وزاد: كان أصحاب الحديث ونُقَّاده يجيئون إليه فيعرضون عليه، فربما وقفهم علىٰ غوامض الحديث لم يقفوا عليها، فيقومون وهم يتعجَّبون.

وقال الخطيب[٤]: أخبرنا محمد بن علي المقري، أخبرنا محمد بن جعفر التميمي بالكوفة، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن حاتم بن إدريس البلخي، أخبرنا نصر بن المكي، حدثنا ابن عبد الحكم قال: ما رأينا مثل الشافعي، كان أصحاب الحديث ونُقَّاده يجيئون ... فساقه مثل قول أبي ثور، وزاد بعد قوله «وهم يتعجَّبون»: ويأتيه أصحاب الفقه المخالفون والموافقون فلا يقومون إلا وهم مذعنون له بالحِذْق والدراية[٥]، ويجيئه أصحاب الأدب فيقرأون عليه الشعر فيفسِّره، ولقد كان يحفظ عشرة آلاف بيت شعر من أشعار هُذَيل بإعرابها وغريبها ومعانيها، وكان من أضبط الناس للتاريخ، وكان يعينه علىٰ ذلك شيئان: وفور عقل وصحة دين، وكان مِلاك أمره صحة[٦] العمل لله تعالىٰ.

---

(١) مناقب الشافعي ٢/ ٢٦٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة، وزدته من مناقب الشافعي.

(٣) لم أقف علىٰ ذلك في طبقات السبكي، بل هو في طبقات الشافعية لابن كثير ١/ ٤٢.

(٤) مسألة الاحتجاج بالشافعي للخطيب البغدادي ص ١٠٤ (تحقيق: خليل إبراهيم ملا خاطر).

(٥) في الاحتجاج: والديانة.

(٦) في الاحتجاج: وإخلاص. وهو أنسب.

وأخرج الخطيب[١] من رواية الزبير بن بكَّار قال: قال لي عمِّي مصعبٌ: لم ترَ عيناي مثل الشافعي. قال: قلت: يا عم، أنت تقول لم ترَ عيناي مثل الشافعي؟ قال: نعم، لم ترَ عيناي مثله.

وقد رُوي مثل هذا عن أيوب بن سُوَيد، وكان قد رأىٰ الأوزاعي، ورُوي ذلك أيضًا عن ابن عبد الحكم والزعفراني وغيرهم[٢].

(وقال أحمد بن حنبل) الإمام: **(ما صلَّيت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي)** قال زكريا بن يحيىٰ الساجي[٣]: حدثني محمد بن خلاَّد البغدادي، حدثني الفضل بن زياد، عن أحمد بن حنبل قال: هذا الذي ترون كلَّه أو عامَّته من الشافعي، وما بتُّ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي وأستغفر له.

وأخرج الخطيب[٤] من رواية أبي عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعي قال: قال لي أحمد بن حنبل: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم في السَّحَر[٥].

قلت: وقال الميموني[٦]: قال أحمد: ستة أدعو لهم سَحَرًا، منهم الشافعي.

وأخرج الخطيب[٧] أيضًا من رواية خَطَّاب بن بِشر قال: سمعت أحمد بن حنبل يذاكر أبا عثمان أمر أبيه فقال: يرحم الله أبا عبد الله، ما أصلي صلاةً إلا

---

(١) مسألة الاحتجاج بالشافعي ص ٨٤. وأوله: كتبت عن فتىً من بني شافع من أشعار هذيل ووقائعها وقرًا لم تر ... الخ.

(٢) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي٢/ ٢٣٧-٢٨٢. مسألة الاحتجاج بالشافعي للخطيب ص٨٠-١٠٤.

(٣) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٤٦. تاريخ بغداد ٢/ ٤٠٠.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٣٢٥.

(٥) في المطبوعة: السجود. والمثبت من تاريخ بغداد.

(٦) تاريخ بغداد ٢/ ٤٠٦. تاريخ دمشق ٥١/ ٣٤٧. سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٥.

(٧) تاريخ بغداد ٤/ ٣٢٥.

دعوت فيها لخمسة هو أحدهم، وما يتقدَّمه منهم أحدٌ.

ويُروَىٰ مثل هذا القول عن عبد الرحمن بن مهدي قال[١]: ما أصلِّي صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها.

(**فانظر إلىٰ إنصاف الداعي**) في نفسه (**وإلىٰ درجة المدعو له**) عند الله تعالىٰ، مع معرفة كلٍّ منهما قَدْر صاحبه، فقد روىٰ حرملة عن الشافعي قال[٢]: خرجتُ من بغداد وما خلَّفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (**وقِسْ به الأقرانَ والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما**) يجري (**بينهم من المشاحَنة**) والعداوة (**والبغضاء**) وقلة المعاونة (**لتعلم تقصيرَهم في دعوىٰ الاقتداء بهؤلاء الأئمة**) (**ولكثرة دعائه له قال له ابنه**) هو[٣] أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وُلد في سنة ٢١٣، وحدَّث عن أبيه، وعبد الأعلىٰ بن حمَّاد، وكامل بن طلحة، ويحيىٰ بن مَعِين، وأبي بكر وعثمان ابنَي أبي شيبة، وشيبان بن فَرُّوخ، وعباس بن الوليد النَّرْسي، وأبي خيثمة زهير بن حرب، وسُوَيد بن سعيد، وأبي الربيع الزَّهْراني، وعلي بن حكيم الأودي، ومحمد بن جعفر الوَرْكاني، ويحيىٰ بن عبدويه، وزكريا بن يحيىٰ زحمويه، وعبد الله بن عمر بن أبان الجُعْفي، ومحمد ابن أبي بكر، وسفيان بن وكيع، وسَلَمة بن شبيب، وداود بن عمرو الضبِّي، ومَن في طبقتهم. وروىٰ عنه أبو القاسم البَغَوي، وعبد الله بن إسحاق المدائني، ومحمد ابن خلف وكيع، ويحيىٰ بن صاعد، وعبد الله النيسابوري، والقاضيان المحاملي وأحمد بن كامل، وأبو علي ابن الصَّوَّاف، وأبو بكر النَّجَّاد، وأبو الحسين ابن المنادي، ومحمد بن مَخْلَد، وأبو بكر الخَلاَّل، وآخَرون، وكان ثبتًا فهمًا ثقة.

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٢٤. مناقب الشافعي ٢/ ٢٤٤. سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٤. تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٦٩.

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٦٠. تاريخ دمشق ٥/ ٢٧٣. تهذيب الكمال ١/ ٤٥١.

(٣) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي ١٤/ ٢٨٥ - ٢٩٢.

(أيُّ رجل كان الشافعي حتىٰ تدعو له كلَّ هذا الدعاء؟ فقال أحمد: يا بنيَّ، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس) وفي نسخة: للأبدان **(فانظر هل لهذين)** أي الشمس والعافية **(من خلف)**[١]؟ أي عِوَضٌ.

(وقال أحمد) فيما أخرجه الحاكم[٢] فقال: حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد بن السَّرِي المقرئ، حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن، حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد الأشقر البغدادي، سمعت الفضل بن زياد العطَّار يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: **(ما يمسُّ)** وفي رواية الحاكم: ما مسَّ **(أحدٌ بيده مَحبرة)** زاد الحاكم: ولا قلمًا. والمحبرة: الدَّواة **(إلا وللشافعي في عنقه منَّةٌ)** ويقرُب منه قولُ أبي زُرعة الرازي[٣]: ما أعلم أحدًا أعظم منَّة علىٰ أهل الإسلام من الشافعي.

(وقال) أبو سعيد[٤] **(يحيىٰ بن سعيد)** ابن فَرُّوخ التَّميمي مولاهم **(القَطَّان)** الحافظ، أحد الأعلام، روىٰ عن هشام وحُمَيد والأعمش، وعنه أحمد وابن معين وابن المديني. قال أحمد: ما رأتْ عيناي مثله. وكان رأسًا في العلم والعمل. وُلد سنة ١٢٠، وتوفِّي سنة ١٩٨ **(ما صلَّيت صلاةً منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي؛ لِما فتح الله عَزَّوَجَلَّ عليه من العلم ووفَّقه للسَّداد فيه)** رواه ابن أبي حاتم[٥]

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٤٩.

(٢) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١/ ٣٤٩.

(٣) في مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٢٧٩ ما نصه: عن سعيد بن عمرو البرذعي قال: وردت الري، فدخلت علىٰ أبي زرعة فقلت: سمعت حميد بن الربيع يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أعلم أحد أعظم منة علىٰ الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي. فقال أبو زرعة: صدق أحمد بن حنبل، ما أعلم أحدًا أعظم منة علىٰ الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، ولا أحد ذب عن سنن رسول الله ﷺ مثل ما ذب الشافعي، ولا أحد كشف عن سوءات القوم مثل كشفه.

(٤) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٩ - ٣٤٣.

(٥) آداب الشافعي ومناقبه ص ٤١.

عن الزعفراني قال: أُخبرت عن يحيىٰ بن سعيد القَطَّان قال: إني لأدعو الله للشافعي في كل صلاة -أو في كل يوم- لِما فتح الله عليه من العلم ووفَّقه للسَّداد فيه.

(**ولنقتصر علىٰ**) ذِكر (**هذه النبذة**) المختصرة (**من أحواله**) ﷺ (**فإن ذلك خارج عن الحصر**) والتعداد (**وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنَّفه الشيخُ**) الفقيه[١] الزاهد أبو الفتح (**نصر بن إبراهيم**) [بن نصر بن إبراهيم][٢] بن داود (**المقدسي**) تفقَّه علىٰ الفقيه سُلَيم بصُور، ثم رحل إلىٰ ديار بكر، وتفقَّه علىٰ محمد بن بيان الكازَرُوني، ودرس ببيت المقدس مدةً، ثم انتقل إلىٰ صور وأقام بها عشر سنين ينشر العلم، ثم إلىٰ دمشق، فأقام بها تسع سنين يحدِّث ويفتي ويدرِّس، وهو علىٰ طريقة واحدة من الزهد والتقشف[٣] وسلوك منهاج السلف. ومن تصانيفه: كتاب «الحُجَّة علىٰ تارك المَحَجَّة» و«التهذيب» و«الكافي» و«المقصود» و«شرح الإشارة» لشيخه سُلَيم الرازي. ومن شيوخه في الحديث: عبد الرحمن بن الطُّبَيز، وعلي ابن السِّمْسار، ومحمد بن عوف المِزِّي، وابن سَلْوان، وأبو علي الأهوازي. هؤلاء بدمشق، وسمع بغزَّة من محمد بن جعفر المِيماسي، وبآمِد[٤] من هبة الله بن سلمان، وبصور من الفقيه سُلَيم، وآخَرون، وأملىٰ مجالس. روىٰ عنه أبو بكر الخطيب وهو من شيوخه، وأبو القاسم النَّسيب، وأبو الفضل يحيىٰ بن علي، وجمال الإسلام أبو الحسن السلمي، وأبو الفتح نصر الله المِصِّيصي، وهما من أخصِّ تلامذته، وأبو يعلىٰ ابن الحُبوبي. توفِّي يوم الثلاثاء تاسع محرَّم سنة ٤٩٠ بدمشق، وقبره معروف في باب الصغير

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات السبكي ٥/ ٣٥١ - ٣٥٣.

(٢) زيادة من طبقات السبكي.

(٣) في المطبوعة: والتصنيف. والمثبت من طبقات السبكي.

(٤) آمد: أكبر المدن الواقعة جنوب شرق تركيا، وتقع علىٰ ضفاف نهر دجلة، وهي العاصمة الإدارية لمحافظة ديار بكر، وغالبية سكانها من الأكراد، فتحها المسلمون بقيادة عياض بن غنم سنة ٢٠.

تحت قبر معاوية رضي الله عنه. قال النووي[1]: سمعت الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب.

(في مناقب الشافعي رحمه الله تعالىٰ) وهذا بيان مَن صنَّف في مناقبه[2]: فأوَّلهم داود بن علي الظاهري، ثم زكريا بن يحيىٰ الساجي، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو علي الحسن بن محمد بن الحسين الهَمْداني المعروف بابن حَمَكان، قال ابن كثير: وهو ضعيف، وفيما ينقله نكارةٌ، ولا يكاد يخلو ما رواه عن غرابة ونكارة. وأبو الحسين الرازي والد تمام، وأبو عبد الله ابن شاكر القَطَّان، والزاهد إسماعيل بن محمد السرخسي، وعبد القاهر بن طاهر البغدادي[3]، والحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، والحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه، والحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي زيد الأصبهاني المعروف بابن المقري، وأبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي، والفقيه نصر المقدسي، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه، ذكر ترجمة بليغة أطنب فيها، وذكر أشياء من ترجمة ابن حَمَكان وهو ضعيف، وأشياء من كتاب البلوي وهو وَضَّاع كذَّاب، وكذلك جمع في مناقب الإمامِ أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي أستاذ المتكلِّمين في زمانه في مجلد، وأطال العبارة فيها، قال ابن كثير: ولكنه اعتمد علىٰ منقولات كثيرة مكذوبة، ولا معتمد[4] عنده في ذلك، فلهذا كثرت فيها الغرائب. وكذلك الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام»، والحافظ عماد الدين ابن كثير في أول طبقاته، والتاج السبكي في أول طبقاته الكبرىٰ، والحافظ ابن حجر في كتاب[5] مستقلٍّ سمَّاه

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٢٦ (ط - إدارة الطباعة المنيرية بمصر).

(٢) كشف الظنون ٢/ ١٨٣٩. مناقب الإمام الشافعي لابن كثير ص ٢٦٥ - ٢٦٧ (ط - مكتبة الإمام الشافعي بالرياض).

(٣) قال في الكشف: وكتابه مختصر يختص بالرد علىٰ الجرجاني الحنفي الذي تعرض للإمام.

(٤) في المناقب لابن كثير: ولا نقد.

(٥) في المطبوعة: كلام.

«توالي التأسيس»، والحافظ قطب الدين الخيضري في أول كتابه «اللُّمَع الألمعية»، والحافظ السيوطي في كتاب سمَّاه «شافي العِيِّ بمناقب الشافعي»[١]. فهؤلاء الذين بلغنا ممَّن صنَّف في مناقبه، شكر الله سعيهم، وجزاهم عن الإسلام خيرًا[٢].

(**وأما الإمام مالك** رضي الله عنه) قال السيوطي في «تزيين الممالك في مناقب الإمام مالك» ما حاصله[٣]: هو إمام الأئمة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غَيْمان بن خُثَيل بن عمرو بن الحارث - وهو ذو أصبح - بن سُوَيد بن عمرو بن سعد بن عوف بن عديٍّ بن مالك بن زيد ابن [سدد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظُّلَم بن زيد

---

(١) الذي في كشف الظنون ٢/ ١٦٨٣ أنه شرح لمسند الشافعي، وليس كتاباً في المناقب.

(٢) وممن صنف في مناقب الشافعي أيضا ولم يذكره الشارح:

١ - محمد بن سلامة القضاعي صاحب مسند الشهاب.

٢ - أبو الحسين محمد بن الحسين السجستاني الآبري.

٣ - إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني.

٤ - أبو محمد ابن الفرات الهروي السرخسي.

٥ - أبو زكريا يحيىٰ بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني.

٦ - الحافظ علي بن عمر الدارقطني.

٧ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري.

٨ - أبو محمد عبد الله بن يوسف الجرجاني.

٩ - محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي.

١٠ - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي.

١١ - برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري.

١٢ - القاضي تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي.

وهناك مصنفات أخرىٰ في سيرته ومناقبه ونسبه وغير ذلك.

(٣) تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك ص ١٧ - ٨٦ (ط - دار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء).
وانظر ترجمته أيضا في: تهذيب الكمال للمزي ٢٧/ ٩١ - ١٢٠.

ابن سهل بن][1] عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن [قطن بن][2] عُرَيب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حِمْيَر الأكبر ابن سبأ الأكبر -واسمه[3] عبد شمس- بن يعرب بن يشجب بن قحطان.

قال أبو مصعب: مالك بن أنس من العرب، وحلفه في قريش في بني تَيْم بن مُرَّة.

قال الغافقي: وأمه العالية ابنة شريك الأزدية، وقيل: اسمها طُلَيحة.

وذكر القاضي بكر بن العلاء القُشَيري أن أبا عامر جد أبي مالك له صحبة، وابنه مالك جد مالك من كبار التابعين، ويقال: إن جده أبا عامر تابعي مخضرم.

ولُد الإمام مالك سنة ثلاث وتسعين في ربيع الأول، وقيل: سنة أربع؛ قاله محمد بن عبد الحكم، وقيل: سنة ثلاث وسبعين[4]، وقيل غير ذلك.

قال ابن سعد[5]: وأخبرنا مطرف بن عبد الله قال: كان مالك بن أنس طويلاً، عظيم الهامة، أصلع، أبيض الرأس واللحية، أبيض شديد البياض إلىٰ الشُّقرة، وكان لباسه الثياب العَدَنية الجياد، وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المُثَل.

وشيوخه كثيرون قد أُفردوا بالتأليف، منهم: نافع، والزهري، والمقبري، وربيعة الرأي، وغيرهم، وروىٰ عنه ألف رجل سوىٰ سبعة، عدَّهم الحافظ أبو بكر الخطيب مرتَّبًا علىٰ حروف المعجم، من كبارهم: إبراهيم بن أدهم الزاهد،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة، وزدته من تزيين الممالك ومن كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/ ٤٤ (ط - دار الكتب العلمية).

(٢) زيادة من ترتيب المدارك.

(٣) في المطبوعة: ابن. والتصويب من تزيين الممالك.

(٤) كذا في المطبوعة. وهو خطأ، ففي تزيين الممالك: «وقيل: سنة تسعين، وقيل: ست وتسعين، وقيل: سبع وتسعين».

(٥) الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٥٧٠.



والإمام الشافعي، والإمام أبو حنيفة، ومحمد بن الحسن الشيباني، ووالد البخاري صاحبِ الصحيح، وإسماعيل بن حمَّاد بن أبي حنيفة، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الأغاني، وأشهب بن عبد العزيز المصري، وبِشْر بن الحارث أبو نصر الزاهد، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وذو النون المصري، وسفيان الثوري ومات قبله، وسفيان بن عيينة، والحسين الكرابيسي، وابن المبارك، وعبد الله بن عبد الحكم، والأوزاعي وهو أكبر منه، والأصمعي، والليث بن سعد وهو من أقرانه، والزُّهري وهو من شيوخه، وابن أبي ذئب، ومحمد الباقر، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري وهو من شيوخه. وتوفِّي في ربيع الأول سنة ١٧٩، وقال مصعب: في صَفَر، وصلَّىٰ عليه عبد الله بن محمد بن إبراهيم الهاشمي أمير المدينة، وكان أحد مَن حمل نعشه، وخلَّف من الأولاد يحيىٰ ومحمدًا وحمادة وأم أبيها، وبلغت تركتُه ثلاثة آلاف دينار وثلاثمائة دينار ونيِّفًا.

(**فإنه كان أيضًا متحلِّيًا بهذه الخصال الخمس**) المذكورة (**فإنه سُئل: ما يقول مالك**) وفي نسخة: يا مالك ما تقول (**في طلب العلم**) المفهوم من حديث «طلبُ العلم فريضةٌ علىٰ كل مسلم»؟ (**فقال**) في جوابه: هو (**حَسنٌ جميل، ولكن انظر إلىٰ الذي يلزمك**) تعلُّمُه (**من حين تصبح إلىٰ حين تمسي فالزمه**) وهذه المقالة قد رُويت عنه من أوجُهٍ ثلاثة:

الأول: رواه ابن عبد البرِّ في كتاب «بيان العلم» من طريق ابن وهب قال: سُئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة علىٰ الناس؟ فقال: لا واللهِ، ولكن يطلب منه المرء ما ينتفع به في دينه.

الثاني: من طريق محمد بن معاوية الحضرمي قال: سُئل مالك وأنا أسمع عن الحديث الذي يُذكَر فيه «طلبُ العلم فريضة علىٰ كل مسلم»، فقال: ما أحسن طلب العلم، فأما فريضته فلا.

الثالث: من طريق عبد الملك بن حبيب أنه سمع عبد الملك بن الماجشون قال: سمعت مالكًا وسُئل عن طلب العلم أواجب؟ فقال: أما معرفة شرائعه وسُنَنه وفقهه الظاهر فواجب، وغير ذلك منه مَن ضَعُفَ عنه فلا شيء عليه.

وهذه الأقوال مع غيرها ذكرناها مبسوطة فيما سلف عند ذِكر الحديث المذكور.

(**وكان رحمه الله تعالىٰ في تعظيم علم الدين مبالغًا، حتىٰ**) رُوي عنه أنه (**كان إذا أراد أن يحدِّث توضَّأ، وجلس علىٰ صدر فِراشه**) أي أعلاه (**وسرَّح لحيته**) بالمشط (**واستعمل الطِّيب، وتمكَّن من الجلوس**) علىٰ ركبتيه (**علىٰ وقار وهيبة**) وخشوع وسكون (**ثم حدَّث، فقيل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظِّم حديث رسول الله ﷺ**)[1] ويُروَىٰ عن معن بن عيسىٰ قال: كان مالك إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل، وتبخَّر، وتطيَّب، فإن رفع أحدٌ صوته في مجلسه زبره وقال: قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢] فمَن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنَّما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ[2]. ا.هـ.

ومن هنا قال بعض الحفَّاظ: ما أعهد من نفسي أنِّي أمسكت جزءًا من الحديث وأنا علىٰ غير طهارة.

(**وقال مالك**[3]: **العلم نور**) إلهيٌّ (**يجعله الله تعالىٰ حيث يشاء**) من عباده،

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣١٨. المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ للبيهقي ٢/ ١٩١. وزادا: «ولا أحدث به إلا علىٰ طهارة متمكنا. وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم أو مستعجل، فقال: أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ».

(٢) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب ١/ ٦٣٦.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣١٩. ورواه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٨ بلفظ: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يجعله الله تعالىٰ في القلب. وأورده ابن كثير في تفسيره ٦/ ٥٤٥ ونقل عن أحمد بن صالح المصري قوله: معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض الله تعالىٰ=

وفي نسخة: فيمن يشاء (**وليس**) العلم (**بكثرة الرواية**) وهذه الجملة الأخيرة قد رُويت عن عبد الله بن مسعود، أخرج أبو نعيم في الحلية[1] من طريق عون بن عبد الله بن مسعود قال: قال لي عبد الله بن مسعود: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية.

وسيأتي ذلك[2].

(**وهذا الاحترام والتوقير**) للعلم (**يدل علىٰ قوة معرفته بجلال الله عَزَّوَجَلَّ**) وخوفه منه (**وأما إرادته وجهَ الله تعالىٰ بالعلم فيدل عليه قولُه: الجِدال في الدين**) أي المعاداة في علومه (**ليس بشيء**) أي لا ثمرة له، وهو مذموم عند السلف.

وأخرج الخطيب[3] من رواية سعيد بن بشير بن ذَكْوان قال: كان مالك إذا سُئل عن مسألة فظن أن صاحبها غير متعلِّم وأنه يريد المغالطة نزع له بهذه الآية يقول: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩].

(**ويدل عليه**) أيضًا (**قولُ الشافعي**)[4] فيما رُوي عنه: (**إني شهدت مالكًا وقد سُئل عن ثمانٍ وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري**) وأجاب عن الباقي، وهكذا كان عبد الله بن عمر إذا سُئل عن عشرة يجيب عن واحدة ويسكت

= أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا لا يدرك إلا بالرواية، ويكون تأويل قوله «نور» يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه.

(١) حلية الأولياء ١/ ١٣١.

(٢) في الباب الخامس وهو في آداب المعلم والمتعلم.

(٣) ورواه أيضًا ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١/ ٣٤.

(٤) كذا هنا، وإنما الرواية عن الهيثم بن جميل، كما في ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/ ٧٢، والمجموع شرح المهذب للنووي ١/ ٤٠، والديباج المذهب لابن فرحون ١/ ١١٢ (ط - دار التراث بالقاهرة).

عن تسعة[١]، وسيأتي أنَّ «لا أدري» نصف العلم، وفي رواية: ثلث العلم.

وقال أحمد بن سِنان[٢]: سمعت عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا عند مالك، فجاءه رجل فقال: من مسيرة ستة أشهر حمَّلني أهلُ بلادي مسألةً. قال: سَلْ. فسأله عنها، فقال: لا أُحسِنُ. قال: فأيُّ شيء أقول لأهل بلادي؟ قال: تقول: قال مالك: لا أحسن.

وأخرج أبو نعيم[٣] من طريق أبي مصعب قال: سمعت مالكًا يقول: ما أفتيتُ حتىٰ شهد لي سبعون أنِّي أهلٌ لذلك.

(ومُن يُرِد غير وجه الله تعالىٰ بعلمه فلا تسمح نفسُه) بمقتضىٰ جِبِلَّتها **(بأن يقرَّ علىٰ نفسه بأنه لا يدري)** بل يحب أن يجيب في كل مسألة مهما أمكن؛ لئلا ينسب الجهل إلىٰ نفسه **(ولذلك قال الشافعي)** فيما رواه عنه يونس بن عبد الأعلىٰ الصَّدَفي[٤]: **(إذا ذُكر العلماء فمالك النجم)** ويُروىٰ: إذا جاء مالكٌ فمالك النجم[٥].

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٢٨.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ١٨ ونصه: «كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، جئتك من مسيرة ستة أشهر، حملني أهل بلادي مسألة أسألك عنها. قال: فسل. فسأل الرجل عن أشياء، فقال: لا أحسن، فقطع بالرجل كأنه قد جاء إلىٰ من يعلم كل شيء، قال: وأي شيء أقول لأهل بلادي إذا رجعت إليهم. قال: تقول لهم: قال مالك بن أنس: لا أحسن».
والرواية التي ذكرها الشارح هي التي أوردها الذهبي في تاريخ الإسلام ١١/ ٣٣٠. ورواه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٣ بسياق مختلف عن ابن مهدي، قال: سأل رجل مالكا عن مسألة فقال: لا أحسنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها. فقال له مالك: فإذا رجعت إلىٰ مكانك وموضعك فأخبرهم أني قد قلت لك إني لا أحسنها.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣١٦.

(٤) الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر ص ٥٥.

(٥) طبقات السبكي ٢/ ١٧٤.

وفي الحلية[١] من طريقه: إذا جاء الأثرُ فمالكٌ النجم.

وقال يونس: وسمعته يقول: لولا مالك وابن عُيَينة لذهب علم الحجاز[٢].

وأخرج البخاري في تاريخه عن يحيىٰ بن سعيد القَطَّان قال: مالك أمير المؤمنين في الحديث[٣].

وقوله: **(الثاقب)** ليس في الرواية المذكورة، وقد سقط من بعض النسخ.

وقال ابن عساكر في تاريخه[٤]: أنشدنا أبو بكر يحيىٰ بن إبراهيم، أنشدني والدي عن أبي عبد الله الحُمَيدي الأندلسي:

إذا قيل مَن نجم الحديث وأهله ... أشار أولو الألباب يعنون مالكا

إليه تناهَىٰ علمُ دين محمد ... فوطأ فيه للرواة المَسالكا

ونظم بالتصنيف أشتاتَ نشرِه ... وأوضح ما لولاه قد كان حالكا

وأحيا دروس العلم شرقًا ومغربًا ... تقدَّم في تلك المسالك سالكا

وقد جاء في الآثار من ذاك شاهدٌ ... علىٰ أنه في العلم خُصَّ بذلكا

فمَن كان ذا طعنٍ علىٰ عِلم مالك ... ولم يقتبس من نوره كان هالكا

(و) روىٰ يونس عن الشافعي أنه قال: **(ما أحدٌ أَمَنُّ عليَّ من مالك)**[٥] أي أكثر مَنَّةً منه.

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣١٨.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٧٠. الانتقاء لابن عبد البر ص ٥٤.

(٣) لم أقف عليه في التاريخ الكبير للبخاري بهذا اللفظ، وإنما لفظه فيه ٧/ ٣١٠: كان مالك إماما في الحديث. وقد ذكره بهذا اللفظ: القاضي عياض في ترتيب المدارك ١/ ٦٤، والسيوطي في تزيين الممالك ص ٢٨.

(٤) لم أقف عليه في تاريخ دمشق، وإنما ذكره ابن عساكر في كتابه كشف المغطا في فضل الموطأ ص ٦١ (تحقيق: محمد مطيع حافظ).

(٥) هو تمام قوله السابق: إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

(**ورُوي أن أبا جعفر**) من الخلفاء، وهو (**المنصور**) عبد الله بن [محمد بن] علي بن عبد الله بن عباس، ثاني الخلفاء العباسية (**منعه من رواية الحديث في طلاق المكرَه**) هكذا في النسخ: أبا جعفر، والصحيح أن المانع له من ذلك هو جعفر بن سليمان الهاشمي، لا أمير المؤمنين، كما هو نصُّ الحلية وغيرها (**ثم دسَّ عليه**) خفيةً (**مَن يسأله**) عن هذا الحديث (**فروىٰ علىٰ ملأ من الناس: ليس علىٰ مستكره طلاقٌ. فضربه بالسياط، ولم يترك رواية الحديث**) أخرج أبو نعيم في الحلية[1] أن جعفر بن سليمان ضرب مالكًا في طلاق المكرَه. قال ابن وهب: [حُلق] وحُمل علىٰ بعير [فقيل له: نادِ علىٰ نفسك] فقال: ألا مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن [أبي] عامر، وأنا أقول: طلاق المكرَه ليس بشيء. فبلغ جعفرَ بن سليمان أنه ينادي علىٰ نفسه بذلك، فقال: أدرِكوه وأنزِلوه.

وفي تاريخ الذهبي[2]: قال الفضل بن زياد: سألتُ أحمد: مَن الذي ضرب مالكًا؟ قال: ضربه بعض الولاة في طلاق المكرَه، كان لا يجيزه، فضربه لذلك.

وقال أبو داود السنجي: ضرب جعفر بن سليمان العباسي مالكًا في طلاق المكره، فحدَّثني بعض أصحاب ابن وهب [عن ابن وهب][3] أن مالكًا ضُرب وحُلق وحُمل علىٰ بعير، فقيل له: نادِ علىٰ نفسك. فنادىٰ ... فذكر مثل ما تقدَّم من سياق الحلية.

وعن إسحاق الفَرَوي وغيره قال: ضُرب مالك، ونِيلَ منه، وحُمل مغشيًّا عليه.

وعن مالك قال: ضُربت فيما ضُرب فيه سعيد بن المسيَّب ومحمد بن

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣١٦. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) تاريخ الإسلام ١١/ ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣١.

(٣) زيادة من الحلية وتاريخ الإسلام.

المنكدِر وربيعة، ولا خير فيمن لا يؤذَىٰ في هذا الأمر.

وعن الليث بن سعد قال: إني لأرجو أن يرفعه الله بكل سوطٍ درجةً في الجنة.

قال مصعب بن عبد الله: ضربوه ثلاثين سوطًا، ويقال: ستين سوطًا، وذلك في سنة ستٍّ وأربعين ومائة.

قال الأصمعي: ضربه جعفر بن سليمان، ثم بعدُ مشيتُ بينهما حتىٰ جعله في حِلٍّ.

وقال الواقدي: حسدوا مالكًا وسعوا به إلىٰ جعفر بن سليمان وهو علىٰ المدينة وقالوا: إنه لا يرىٰ بيعتكم هذه شيئًا، ويأخذ بحديث في طلاق المكره أنه لا يجوز. فغضب، ودعا به، وجُرِّد، ومُدَّت يده حتىٰ انخلع كتفُه. وفي رواية: يداه حتىٰ انخلعت كتفاه. قال الواقدي: فواللهِ ما زال بعد ذلك الضرب في علوٍّ ورفعة.

وروىٰ الحافظ أبو الوليد الباجي قال: حج المنصور فأقاد مالكًا من جعفر بن سليمان، فامتنع مالك وقال: معاذ الله. ا.هـ.

قلت: وطلاق المكرَه غير صحيح، وخالفهم أبو حنيفة فصحَّحه[1]، ودليلهم ما رواه أحمد[2] وأبو داود[3] وابن ماجه[4] والحاكم[5] عن عائشة: «لا طلاق

---

(١) ذهب جمهور الفقهاء إلىٰ عدم وقوع طلاق المكره إذا كان الإكراه شديدا كالقتل والقطع والضرب المبرح؛ لأنه منعدم الإرادة والقصد، فكان كالمجنون والنائم، فإذا كان الإكراه ضعيفـًا أو ثبت عدم تأثر المكره به وقع طلاقه؛ لوجود الاختيار. وذهب الحنفية إلىٰ وقوع طلاق المكره مطلقـًا؛ لأنه مختار له بدفع غيره عنه به، وهذا كله في الإكراه بغير حق، فلو أكره علىٰ الطلاق بحق كالمؤلي إذا انقضت مدة الإيلاء بدون فيء فأجبره القاضي علىٰ الطلاق فطلق فإنه يقع بالإجماع.

الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٩/ ١٧).

(٢) مسند أحمد ٤٣/ ٣٧٨.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٧٠.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ٤٤٦.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٢٣٧.

ولا عتاق في إغلاق». وقال الحاكم بعدما أخرجه من طريقين: إنه صحيح على شرط مسلم. وردَّه الحافظ الذهبي بأن فيه من إحدى طريقيه محمد بن عبيد بن أبي صالح، لم يحتجَّ به مسلمٌ، وضعَّفه أبو حاتم[١]، وفي الأخرى نُعَيم بن حمَّاد، صاحب مناكير، ولذا ضعَّفه الحافظ ابن حجر[٢].

والإغلاق: الإكراه، قال ابن الأعرابي: أغلق زيدٌ عَمْرًا على شيء يفعله: إذا أكرهه عليه[٣].

واعتبر الإمام أبو حنيفة وجود اللفظ المعتبَر من أصله في محلِّه، ولم يعتبر وجود الرضا بثبوت الحكم.

ومنهم مَن فسَّر الإغلاق بمعنى أنه لا تُغلَق التطليقات كلها دفعةً واحدة حتى لا يبقى منها شيءٌ، ولكن يطلِّق طلاق السنَّة[٤]، وقيل غير ذلك، ومحلُّه كتب الفقه.

(**وقال مالك**[٥]**: ما كان رجل صادقًا في حديثه**) أي عوَّد لسانَه بالصدق (**ولا يكذب**) فيه (**إلا مُتِّعَ بعقله**) أمتعه الله به (**ولم يُصِبْه مع الهرم**) أي كِبَر السن (**آفةٌ**) في بدنه وحواسِّه (**ولا خرف**) أي فساد العقل، وهذا ظاهر في أهل الحديث المشتغلين به، يموت أحدهم عن التسعين وأكثر وأقل ممتَّعًا بحواسِّه ببركة صدقه في الحديث وروايته له.

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ١٠.

(٢) الذي في تقريب التهذيب لابن حجر ص ١٠٠٦ (ط - دار العاصمة بالرياض): نعيم بن حماد، نزيل مصر، صدوق يخطئ كثيرًا، فقيه عارف بالفرائض من العاشرة، وقد تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه وقال: باقي حديثه مستقيم.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (الجزء المستدرك) ١٦/ ١٤٥ - ١٤٦.

(٤) المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ٢/ ١٠٩ (ط - مكتبة أسامة بن زيد بحلب).

(٥) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٦٥٦ بلفظ: قلما كان رجل صادقًا ليس بكاذب إلا متع بعقله، ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرق.

(وأما زهده في الدنيا) وتقلُّله منها **(فيدل عليه ما رُوي[١] أن المهدي أمير المؤمنين)** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن [محمد بن] علي بن عبد الله بن عباس، ثالث الخلفاء العباسية **(سأله فقال له: هل لك من دار)**؟ أي بالمِلْك **(فقال: لا، ولكن أحدِّثك)** فيه حديثًا **(سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن)** هو[٢] أبو عثمان ربيعة بن فَرُّوخ، مولىٰ آل المنكدِر، فقيه المدينة، المعروف بالرأي، روىٰ عن أنس والسائب وربيعة بن عبد الله بن الهُدَير[٣]، وعنه مالك والليث والدَّراوَرْدي وأبو ضَمْرة، توفِّي بالأنبار سنة ١٣٦ **(يقول: نسب المرء دارُه)** وهذا من قوله موقوفٌ عليه، وسماه حديثًا تجوُّزًا.

(وسأله[٤] الرشيد) هارون بن محمد بن [عبد الله بن محمد بن علي بن] عبد الله بن عباس، رابع الخلفاء العباسية، وذلك في سنة حجِّه، وهي السنة التي توفِّي فيها مالكٌ **(هل لك دار؟ فقال: لا. فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال: اشترِ بها دارًا)** ووصله أيضًا يحيىٰ بخمسمائة دينار **(فأخذها ولم ينفقها)** أي لم يصرف منها شيئًا **(فلما أراد الرشيدُ الشخوصَ)** أي الخروج من الحجاز إلىٰ العراق بعد أداء نسكه **(قال لمالك: ينبغي أن تخرج معنا)** إلىٰ العراق **(فإني عزمت علىٰ أن أحمل الناس علىٰ الموطأ)** أي علىٰ العمل بما فيه **(كما حمل)** أميرُ المؤمنين **(عثمان)** ابن عفان **(الناسَ علىٰ القرآن)** وأبطل جميعَ المصاحف.

قال أبو الحسن ابن فِهْر في كتاب «فضائل مالك»: أخبرنا أحمد بن إبراهيم ابن فراس، سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أحمد الخلنجي يقول: سمعت بعض المشايخ يقول: قال مالك: عرضت كتابي هذا علىٰ سبعين فقيهًا من فقهاء

---

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص ٢٠٤ (ط - دار الكتب العلمية).

(٢) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٩/ ١٢٣ - ١٣٠.

(٣) في المطبوعة: المهدي. والتصويب من تهذيب الكمال.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٣١ (وفيه أن الخليفة هو المأمون، وهو خطأ).

المدينة، فكلهم واطأني عليه، فسميته الموطّأ.

قال ابن فِهْر: ولم يسبق مالكًا أحدٌ إلىٰ هذه التسمية؛ فإن مَن ألَّف في زمانه بعضهم سمَّىٰ بالجامع، وبعضهم سمىٰ بالمصنَّف، وبعضهم بالمؤلَّف، و«الموطأ» بمعنىٰ الممهَّد المنقَّح المحرَّر المصفَّىٰ[1].

قال الشافعي: ما بعد كتاب الله أصح من الموطأ. وفي رواية: أصح من كتاب مالك.

وقال السيوطي[2]: أطلق جماعةٌ علىٰ الموطأ اسم الصحيح، واعترضوا علىٰ ابن الصلاح في قوله[3]: أول مَن صنَّف في الصحيح البخاريُّ، بأن مالكًا تقدَّمه.

وقال النووي في التقريب[4]: أول مَن صنَّف في الصحيح المجرَّد. فزاد «المجرَّد» احترازًا عن الموطأ؛ فإن مالكًا لم يجرِّد فيه الصحيح، بل أدخل فيه المرسَل والمنقطع والبلاغات.

وقال الحافظ مغلطاي: لا فرق بين الموطأ والبخاري في ذلك؛ لوجوده أيضًا في البخاري من التعاليق ونحوها.

قال الحافظ ابن حجر: كتاب مالك صحيح عنده وعند مَن يقلِّده علىٰ ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسَل والمنقطِع وغيرهما لا علىٰ الشرط الذي استقرَّ عليه العمل في حد الصحة. قال: والفرق بين ما فيه من المنقطع وبين ما في البخاري أن الذي في الموطأ هو كذلك مسموع لمالك غالبًا، وهو حُجة عنده، والذي في البخاري قد حُذف إسناده عمدًا لأغراض قُرِّرت في التعليق. قال: فظهر

---

(١) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ١/ ٧ (ط - دار إحياء الكتب العربية).

(٢) تزيين الممالك ص ٩٦.

(٣) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ١٧.

(٤) انظر: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ١/ ٩٢.

بهذا أن الذي في البخاري من ذلك لا يُخرِجه عن كونه جُرِّد فيه الصحيح، بخلاف الموطأ[١].

(فقال له) مالك: **(أما حملُ الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدَّثوا)** وقد تقدَّم أن بالشام كانت عشرة آلاف عين رأت رسولَ الله ﷺ **(فعند كل أهل مصر علم)** ما ليس عند أهل مصر آخَر **(وقد قال ﷺ: اختلاف أمتي رحمةٌ)** قال العراقي: ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد بهذا اللفظ، وأسنده في المدخل[٢] من رواية سليمان بن أبي كريمة عن جُوَيبِر عن الضحاك عن ابن عباس رفعه، فذكر حديثًا في آخره: «واختلاف أصحابي لكم رحمة». وسليمان وجويبر ضعيفان جدًّا[٣]، والضحاك بن مزاحم مختلَف فيه، وكان شعبة ينكر أن يكون سمع من ابن عباس[٤].

قلت: وأول الحديث الذي في المدخل: «مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به، لا عذر لأحد في تركِه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنَّة مني ماضية، فإن لم تكن سنَّة مني فما قال أصحابي، إن أصحابي كالنجوم في السماء، فأيُّما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمةٌ».

قال السخاوي[٥]: ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي[٦] في مسنده بلفظه سواء.

---

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني ١/ ٢٧٦ (ط - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى ١/ ١٤٦.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٢٧، ٢/ ٢٢١.

(٤) ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٥.

(٥) المقاصد الحسنة ص ٢٦.

(٦) فردوس الأخبار ٤/ ٤٤٧.

قلت: وكذا أبو نصر السجزي في الإبانة، وقال: غريب، والخطيب[١] وابن عساكر[٢] في تاريخيهما؛ كذا في «الجامع الكبير» للسيوطي.

وقال ابن السبكي في تخريج أحاديث المنهاج: هذا شيء لا أصل له.

وقال والده: لم أقف له علىٰ سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع[٣].

وأورده الحُلَيمي في كتاب الشهادات من تعليقه والقاضي حسين، وإمامُ الحرمين.

وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث المنهاج[٤]: لم أرَ مَن خرَّجه مرفوعًا بعد البحث الشديد عنه، وإنما نقله ابن الأثير في مقدمة جامعه[٥] من قول مالك.

وقال الزركشي في تذكرته[٦]: رواه الشيخ نصر المقدسي في كتاب «الحُجَّة»[٧] مرفوعًا، ورواه البيهقي في «المدخل» عن القاسم بن محمد قوله، وعن يحيىٰ بن سعيد نحوه، وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول[٨]: ما يسرُّني لو أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة. ا.هـ كلام الزركشي.

---

(١) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وإنما رواه الخطيب في الكفاية ص ٤٨.

(٢) تاريخ دمشق ٢٢/ ٣٥٩.

(٣) الإبهاج شرح المنهاج للسبكي ٣/ ١٨ (ط - دار الكتب العلمية) ونصه: «هذا الحديث غير معروف، ولم أقف له علىٰ سند، ولا رأيت أحدًا من الحفاظ ذكره إلا البيهقي في رسالته إلىٰ الشيخ العميد عميد الملك بسبب الأشعري، إلا أن البيهقي لم يذكر له إسنادًا، بل قال: روي عن النبي ﷺ كذا، ولو لم يكن له أصل لما ذكره البيهقي».

(٤) تذكرة المحتاج إلىٰ أحاديث المنهاج لابن الملقن ص ٧١ (ط - المكتب الإسلامي).

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ١/ ١٨٢.

(٦) التذكرة في الأحاديث المشتهرة ص ٦٤.

(٧) الحجة علىٰ تارك المحجة لنصر المقدسي ١/ ١٨٩ (ط - أضواء السلف).

(٨) الفقيه والمتفقه للخطيب ٢/ ١١٦.

وقال العراقي: وله إسناد آخَر مرسَل رواه آدم بن أبي إياس في كتاب «العلم والحكم» قال: حدثنا بقية، حدثنا أبو الحجاج مهدي، حدثني شيخ من لَخْم قال: قال رسول الله ﷺ: «اختلاف أصحابي لأمتي رحمةٌ». وهذا إسناد فيه جهالة، والمعروف أن هذا من قول القاسم بن محمد أنه قال: اختلاف أمة محمد ﷺ رحمة. رواه البيهقي في المدخل.

قال السخاوي: وقد عزاه الزركشي إلىٰ كتاب «الحجَّة» لنصر المقدسي مرفوعًا من غير بيان لسنده ولا صحابيه، وكذا عزاه العراقي لآدم بن أبي إياس في كتاب «العلم والحكم». قال: وهو مرسَل ضعيف، وبهذا اللفظ -يعني لفظ ابن أبي إياس- ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد، وفي المدخل له من حديث سفيان عن أفلح بن حُمَيد عن القاسم بن محمد قال: اختلاف أصحاب محمد ﷺ رحمة لعباد الله. ومن حديث قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول -ثم ساق بمثل سياق الزركشي- ومن حديث الليث بن سعد عن يحيىٰ بن سعيد قال: أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون، فيحل هذا ويحرِّم هذا، فلا يعيب هذا علىٰ هذا.

ثم قال السخاوي: وقرأت بخط شيخنا - يعني ابن حجر الحافظ - أنه - أي هذا الحديث - مشهور علىٰ الألسنة، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ «اختلاف أمتي رحمة للناس»، وكثر السؤالُ عنه، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، لكن ذكره الخَطَّابي في «غريب الحديث»[(١)] مستطردًا وقال: اعترض علىٰ هذا الحديث رجلان، أحدهما إباضي[(٢)] والآخر ملحد، وهما

---

(١) لم أقف علىٰ هذا الكلام في غريب الحديث، وإنما ذكره الخطابي في كتابه أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ١/ ٢١٩ (ط - جامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة).

(٢) كذا هنا، وفي المقاصد: ماجن. وهو الصواب؛ فإن الجاحظ ليس إباضيًا، وكذا الموصلي. =

إسحاق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ، وقالا جميعًا: لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابًا. ثم تشاغل الخطابيُّ بردِّ هذا الكلام، ولم يقع في كلامه شفاءٌ في عزو الحديث، ولكنه أشعر بأن له أصلاً عنده. ا.هـ.

ثم[1] إن المراد من الأمَّة في الحديث: المجتهدون منهم في الفروع التي يسوغ الاجتهادُ فيها، قال السبكي: ولا شك أن الاختلاف في الأصول ضلال وسبب كل فساد، كما أشار إليه القرآن، وأما ما ذهب إليه جمعٌ من أن المراد الاختلاف في الحِرَف والصنائع فهو مردود؛ إذ كان المناسب علىٰ هذا أن يقال: اختلاف الناس رحمة؛ إذ لا خصوص للأمَّة بذلك؛ فإن كل الأمم مختلفون في الحِرَف والصنائع، فلا بد من خصوصية. قال: وما ذكره الحليمي كإمام الحرمين في النهاية من أن المراد اختلافهم في المناصب والدرجات والمراتب[2]، فلا ينساق الذهنُ من لفظ الاختلاف إليه، و«رحمة» نكرة في سياق الإثبات لا تقتضي العمومَ، فيكفي في صحته أن يحصل في الاختلاف رحمةٌ ما في وقت ما في حال ما علىٰ وجه ما. ا.هـ.

ونقل السمهودي هذه القصة عن مالك وقال: هو كالصريح في أن المراد الاختلاف في الأحكام، كما نقله ابن الصلاح[3] عن مالك أنه قال: في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ مخطئ ومصيب، فعليك بالاجتهاد[4]. قال: وليس كما قال ناس: فيه توسعة علىٰ الأمَّة، إنما هو بالنسبة إلىٰ المجتهد؛ لقوله «فعليك بالاجتهاد»، فالمجتهد مكلَّف بما أدَّاه إليه اجتهادُه، فلا توسعة عليه في اختلافهم،

= وانظر كلام الخطابي عنهما في الهامش السابق.

(١) فيض القدير ١/ ٢٠٩.

(٢) نهاية المطلب لإمام الحرمين ١٢/ ١٥٧.

(٣) فتاوىٰ ابن الصلاح ص ٦٣.

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ٩٠٦.

وإنما التوسعة على المقلِّد، فقوله «اختلاف أمتي رحمة للناس» أي لمقلِّديهم، وسياق قول مالك «مخطئ ومصيب» إنما هو الردُّ على مَن قال: مَن كان أهلاً للاجتهاد فله تقليد الصحابة دون غيرهم.

وفي العقائد لابن قدامة: إن اختلاف الأئمَّة رحمة، واتفاقهم حُجَّة[١].

(وأما الخروج معك) إلى العراق (فلا سبيل إليه) لأنه (قال رسول الله ﷺ: المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون) قال العراقي: قد رواه كذلك ابن أبي حاتم في مقدمة «الجرح والتعديل»[٢] عن مالك عن النبي ﷺ بغير إسناد، وهو مسنَد متصل من حديث مالك وغيره من حديث سفيان بن أبي زهير، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقَّاص، وجابر، وأبي أيوب، وزيد بن ثابت، وأبي أُسَيد؛ أما حديث سفيان بن أبي زُهَير رضي الله عنه فأخرجه البخاري[٣] والنسائي[٤] من طريق مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن سفيان بن أبي زُهَير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُفتَح اليمن، فيأتي قوم يبسُّون فيتحمَّلون بأهليهم ومَن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ...». والحديث رواه مسلم[٥] من رواية وكيع وابن جُرَيج، والنسائي[٦] من رواية عبدة بن سليمان، ثلاثتهم عن هشام بن عروة.

قلت: لفظ مسلم: «تُفتَح الشام، فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسُّون،

---

(١) المغني لابن قدامة ١/ ٤ (ط - دار عالم الكتب بالرياض) ونصه: اتفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٣٠.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٢٣.

(٤) سنن النسائي الكبرى ٤/ ٢٥٢.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٦٢٤.

(٦) سنن النسائي الكبرى ٤/ ٢٥٣.

والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» ثم ذكر اليمن ثم العراق بهذا اللفظ.

قال العراقي: وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم في أفراده[١] من رواية العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي علىٰ الناس زمانٌ يدعو الرجلُ ابنَ عمِّه وقريبَه: هلمَّ إلىٰ الرخاء، هلم إلىٰ الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ..» الحديث.

قلت: أخرجه مسلم من طريق الدراوَرْدي عن العلاء عن أبيه.

قال: وأما حديث سعد فرواه مسلم[٢] والنسائي[٣] من رواية عثمان بن حكيم، حدثني عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أحرِّم ما بين لابَتَي المدينة أن يُقطَع عِضاها أو يُقتَل صيدها» وقال: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

وأما حديث جابر فرواه أحمد في المسند[٤] من طريق أبي الزبير عن جابر، والبزَّار من طريق الجريري عن أبي نَضْرة عن جابر، ورجاله ثقات.

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٦٢٣.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٦١٨.

(٣) لم أقف عليه في سنن النسائي الكبرىٰ أو الصغرىٰ، وقد رواه أحمد في مسنده ٣/ ١٤١ من هذه الطريق.

(٤) لم أقف عليه في مسند أحمد من حديث جابر، وقد رواه مسلم في صحيحه ١/ ٦١٨ من هذه الطريق.

وأما حديث أبي أيوب[١] وزيد بن ثابت[٢] وأبي أُسَيد[٣] فرواها الطبراني في الكبير بأسانيد جيدة.

(وقال ﷺ: المدينة تنفي خَبَثَها كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد) الخَبَث محرَّكة: ما يُلقَىٰ من وسخ الفِضة والنُّحاس وغيرهما إذا أذيبا؛ قاله ابن الأثير[٤].

قال العراقي: وهو متَّصل من حديث مالك وغيره من حديث أبي هريرة وجابر وزيد بن ثابت؛ أما حديث أبي هريرة فرواه البخاري[٥] ومسلم[٦]

---

(١) المعجم الكبير ٤/ ١٥٣ ولفظه: عن أفلح مولىٰ أبي أيوب الأنصاري أنه مر بزيد بن ثابت وأبي أيوب وهما قاعدان عند مسجد الجنائز، فقال أحدهما لصاحبه: تذكر حديثا حدثناه رسول الله ﷺ في هذا المجلس الذي نحن فيه؟ قال: نعم عن المدينة، سمعته وهو يزعم أنه «سيأتي علىٰ الناس زمان تفتح فيه فتحات الأرض فيخرج إليها رجال يصيبون رخاءً وعيشًا وطعامًا، فيمرون علىٰ إخوان لهم حجاجًا أو عمارًا فيقولون: ما يقيمكم في لأواء العيش وشدة الجوع؟ قال رسول الله ﷺ: فذاهب وقاعد -حتىٰ قالها مرارًا- والمدينة خير لهم، لا يثبت بها أحد فيصبر علىٰ لأوائها وشدتها حتىٰ يموت إلا كنت له يوم القيامة شهيدا أو شفيعا».

(٢) المعجم الكبير ٥/ ١٥٠ ولفظه: عن شرحبيل بن سعد قال: كنت بالأسواق مع زيد بن ثابت، فأخذوا طيرًا، فدخل زيد فدفعوه في يدي، فأخذ الطير فأرسله، ثم ضرب في قفاي وقال: لا أم لك، ألم تعلم أن رسول الله ﷺ حرم صيد ما بين لابتيها.

(٣) المعجم الكبير ١٩/ ٢٦٥، ولفظه: عن أبي أسيد الساعدي قال: أنا مع رسول الله ﷺ علىٰ قبر حمزة ابن عبد المطلب، فجعلوا يجرون النمرة علىٰ وجهه فتنكشف قدماه، ويجرونها علىٰ قدميه فينكشف وجهه، فقال رسول الله ﷺ: «اجعلوها علىٰ وجهه، واجعلوا علىٰ قدميه من هذا الشجر». فرفع رسول الله ﷺ رأسه فإذا أصحابه يبكون، فقال رسول الله ﷺ: «إنه يأتي علىٰ الناس زمان يخرجون إلىٰ الأرياف فيصيبون بها مطعمًا ومسكنًا ومركبًا، فيكتبون إلىٰ أهليهم: هلم إلينا فإنكم بأرض مجاز جدوبة، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ولا يصبر علىٰ لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة».

(٤) النهاية ٢/ ٥ ونصه: ما تلقيه النار.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٢٢.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٦٢٣.

والنسائي[١] من طريق مالك عن يحيىٰ بن سعيد قال: سمعت أبا الحُباب سعيد بن يَسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «أُمرتُ بقرية تأكل القرىٰ، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناسَ كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد». ورواه مسلم من رواية ابن عيينة وعبد الوهاب الثقفي، كلاهما عن يحيىٰ بن سعيد.

وأما حديث جابر فرواه البخاري[٢] ومسلم[٣] والترمذي[٤] والنسائي[٥] من طريق مالك عن محمد بن المنكدِر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن أعرابيًّا بايَعَ النبيَّ ﷺ ... فذكر حديثًا، في آخره فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكِير تنفي خَبَثَها، وتَنْصَع طِيبَها».

ورواه البخاري[٦] والنسائي[٧] من رواية سفيان الثوري عن ابن المنكدر، وفي رواية لأحمد[٨] من رواية زهير عن زيد بن أسلم عن جابر، فذكر حديثًا فيه خروج المنافقين والمنافقات من المدينة إلىٰ الدجَّال، ثم قال: «ذلك يومُ تنفي المدينةُ الخَبَثَ كما ينفي الكيرُ خبث الحديد ...» وذكر بقية الحديث، ورجاله رجال الصحيح.

---

(١) سنن النسائي الكبرىٰ ٤/ ٢٥٢، ١٠/ ٢١٧.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦٨.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٦٢٣.

(٤) سنن الترمذي ٦/ ٢٠٤.

(٥) سنن النسائي ص ٦٤٥.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٢٥، ٤/ ٣٤٦.

(٧) سنن النسائي الكبرىٰ ٤/ ٢٥٢.

(٨) مسند أحمد ٢٢/ ٩.

وأما حديث زيد بن ثابت فرواه البخاري[١] ومسلم[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤] من رواية عبد الله بن [يزيد عن][٥] زيد بن ثابت عن النبي ﷺ: «إنها طيِّبة -يعني المدينة- وإنها تنفي الخَبَثَ كما تنفي النارُ خَبَثَ الفضة».

قلت: ولفظ البخاري من حديث جابر: جاء أعرابي فبايعه -يعني النبي ﷺ- على الإسلام، ثم جاء من الغد محمومًا، فقال: أَقِلْني بيعتي. فأبىٰ، ثم جاء فأبىٰ، ثم جاء فقال: أقلني بيعتي. فأبىٰ، فخرج الأعرابي، فقال النبي ﷺ: «إنما المدينة ...» الحديث؛ قاله ابن السبكي في تخريج أحاديث المنهاج.

وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث الكتاب المذكور[٦]: أخرجه الشيخان في صحيحيهما من طرق، **أحدها**: عن أبي هريرة مطوَّلاً، وفيه: «ألا إن المدينة كالكير تُخرِج الخَبَث، لا تقوم الساعة حتىٰ تنفي المدينةُ شِرارَها كما ينفي الكيرُ خَبَثَه». **الثاني**: عن جابر مطوَّلاً أيضًا بقصة، وفيه: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها». **الثالث**: عن زيد بن ثابت، ولفظه: «إنها طيِّبة» يعني المدينة ... وساق كسياق العراقي. قال: وفي بعض طرق البخاري: تنفي الذنوب، ذكره في المغازي.

(وهذه دنانيركم) موضوعة **(كما هي، إن شئتم فخذوها، وإن شئتم فدَعُوها)** أي اتركوها.

(يعني أنك إنما تكلِّفني مفارقة المدينة بما اصطنعتَه إليَّ) من المواساة

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢١٩.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٦٢٣.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ١٢٢.

(٤) سنن النسائي الكبرىٰ ١٠/ ٦٩.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة، وزدته من المصادر السابقة.

(٦) تذكرة المحتاج إلىٰ أحاديث المنهاج ص ٥٦.

بالمال (**فلا أُوثِرُ الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ. فهكذا كان زهد مالك**) رحمه الله (**في الدنيا**) وحقارتها في عينه.

(**ولمَّا حُملت إليه الأموال**) والهدايا (**الكثيرة من أطراف الدنيا**) خاصةً من المغرب الأقصىٰ (**لانتشار علمه**) وفضله (**وأصحابه كان يفرِّقها في وجوه الخير**) ولا يمكسها لنفسه إلا بقَدْر الحاجة (**ودل سخاؤه**) وكرم نفسه (**على زهده وقلة حبه للدنيا**) ونزاهة ساحته فيها (**وليس**) حقيقة (**الزهد**) عندهم (**فقد المالِ**) وذهابه (**وإنما الزهد فراغ القلب عنه**) أي خروج حبِّه عن القلب (**ولقد كان سليمان** عليه السلام **في مُلْكه**) الذي لا ينبغي أن يكون لأحد من بعده (**من الزهَّاد**) واشتغاله بأعباء المُلْك ظاهرًا لا يمنع الزهدَ.

(**ويدل علىٰ احتقاره للدنيا ما رُوي عن الشافعي أنه قال: رأيتُ علىٰ باب مالك كراعًا**) الكراع: اسم لجميع الخيل والسلاح (**من أفراس خُراسان**): كورة مشهورة بالعجم يُجلَب منها جياد الخيل (**وبغال مصر**) أي ممَّا أُرسلت إليه في الهدايا (**ما رأيتُ أحسن منها، فقلتُ لمالك: ما أحسنه! فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله. فقلت: دَعْ لنفسك منها دابَّة تركبها. فقال: إني أستحيي من الله تعالىٰ أن أطأ تربة**) أي أرضًا (**فيها نبي الله** عز وجل **بحافر دابَّة**.

فانظر إلىٰ سخائه) وكرمه (**إذ وهب جميع ذلك**) أي من الدوابِّ للشافعي (**دفعةً واحدة**) بمجرَّد قوله: ما أحسنه! (**وإلىٰ توقيره لتربة المدينة**) التي فيها النبي ﷺ، وإنما نشأ هذا من مراقبة الله تعالىٰ في أحواله كلِّها، وعدم الالتفات إلىٰ زهرة الدنيا.

(**ويدل علىٰ إرادته بالعلم وجهَ الله تعالىٰ واستحقاره للدنيا ما رُوي عنه أنه قال: دخلت علىٰ هارون الرشيد**) حين جاء إليه يحيىٰ بن خالد يطلبه (**فقال لي:**

يا أبا عبد الله) وهي كنية مالك والشافعي وأحمد وسفيان **(ينبغي أن تختلف إلينا)** أي تتردَّد **(حتىٰ يسمع صبيانُنا منك الموطأ. قال: فقلت)** له: **(أعزَّ الله مولانا الأمير، إن هذا العلم منكم خرج)** يعني قريشًا **(فإن أنتم أعززتموه عزَّ)** أي صار عزيزًا **(وإن أنتم أذللتموه ذلَّ)** صار ذليلاً **(والعلم يؤتَىٰ)** إليه لرفعة قَدْره **(ولا يأتي)** وفي المدارك للقاضي عياض[1] أنه قال لهارون: أدركت أهل العلم يُؤتَون ولا يأتون، ومنكم خرج العلم، وأنتم أَولىٰ الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له أن لا تَدْعُوا حَمَلَته إلىٰ أبوابكم.

وقال السخاوي في المقاصد[2]: العلم يُسعَىٰ إليه، هو من قول مالك، ويُروَىٰ: العلم أَولىٰ أن يوقَّر ويؤتَىٰ إليه، قاله للمهدي حين استدعىٰ به لولديه ليسمعا منه. ويُروَىٰ بلفظ: العلم يُزار ولا يزور، ويؤتَىٰ ولا يأتي. ا.هـ.

وقرأت في أمالي الحافظ وليِّ الدين أبي زُرْعة ابن العراقي قال: أنشدنا أبو الحرم القلانسي حضورًا في الثالثة وإجازةً، أنشدنا أبو المعالي الأبرقوهي حضورًا في الرابعة وإجازة، أنشدنا أبو عبد الله محمد بن ظفر اليزدي لنفسه:

ارْعَ الحديث وعَظِّمْ أهله أبدًا ... واعلمْ بأن لهم فيه ولايات

إن كنتَ تطلبه قم فأتِ صاحبه ... فالعلم يا سيدي يؤتَىٰ ولا ياتِ

(فقال: صدقتَ) ثم قال للصبيان: **(اخرجوا إلىٰ المسجد حتىٰ تسمعوا مع الناس)** وهذه القصة أوردها ابن عساكر بسياق آخر فقال[3]: أخبرنا أبو الحسن المالكي، أخبرنا [أبي] أبو العباس الفقيه، أخبرنا عبد الوهاب، أخبرنا أبو يعلىٰ عبد العزيز الحَرَّاني، أخبرنا أبو بكر ابن مروان، أخبرنا إبراهيم بن نصر النَّهاوَنْدي،

---

(١) ترتيب المدارك ١/ ٧٩.

(٢) المقاصد الحسنة ص ٢٨٨.

(٣) كشف المغطا في فضائل الموطا ٥٤. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

أخبرنا عتيق بن يعقوب الزُّبَيري قال: قَدِمَ هارون الرشيد المدينة، وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرأه علىٰ الناس، فوجَّه إليه البرمكيَّ فقال: أقرِئه السلام، وقل له: يحمل إليَّ الكتاب فيقرأه عليَّ. فأتاه البرمكيُّ، فقال له مالك: أقرِئْه السلام وقل له: إن العلم [يُزار ولا يزور، وإن العلم] يؤتَىٰ ولا يأتي. فأتاه البرمكيُّ فأخبره، وكان عنده أبو يوسف القاضي، فقال: يا أمير المؤمنين [يبلغ أهلَ العراق أنك وجَّهتَ إلىٰ مالك بن أنس في أمر فخالفك، اعزمْ عليه. فبينا هو كذلك إذ دخل مالك بن أنس فسلَّم وجلس، فقال: يا ابن أبي عامر، أبعث إليك فتخالفني؟ فقال مالك: يا أمير المؤمنين] أخبرني الزُّهري [وذكره] عن خارجة ابن زيد [بن ثابت] عن أبيه قال: كنتُ أكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ [فنزلت] ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:٩٥] وابن أم مكتوم عند النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني رجل ضرير، وقد أنزل الله عليك في فضل الجهاد ما [قد] علمتَ. فقال النبي ﷺ: «لا أدري». وقلمي رَطْب ما جفَّ حتىٰ وقع فخذُ النبي ﷺ علىٰ فخذي، ثم أغمي عليه، ثم جلس فقال: يا زيد، اكتب ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ ويا أمير المؤمنين، حرف واحد بُعث فيه جبريل والملائكة عليهم السلام من مسيرة خمسين ألف عام ألا ينبغي له أن تعزَّه وتجلَّه؟! وإن الله تعالىٰ رفعك وجعلك في هذا الموضع بعلمك، فلا تكن أنت أول مَن يضيع عز العلم فيضيع الله عزَّك. فقام الرشيد يمشي مع مالك إلىٰ منزله يسمع منه الموطأ، وأجلسه معه علىٰ المنصَّة، فلما أراد أن يقرأه علىٰ مالك قال: تقرأه عليَّ؟ قال [مالك]: ما قرأتُه علىٰ أحد منذ زمان. قال: فيخرج الناس عني حتىٰ أقرأه أنا عليك؟ فقال: إن العلم إذا مُنع عن العامَّة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصةَ . فأمر له معن بن عيسىٰ القزَّاز ليقرأه عليه، فلما بدأ ليقرأه قال مالك لهارون: يا أمير المؤمنين، أدركتُ أهلَ العلم ببلدنا وإنهم ليحبُّون التواضع للعلم. فنزل هارون عن المنصَّة فجلس بين يديه.

(**وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ فلقد كان أيضًا عابدًا**) لله تعالىٰ (**زاهدًا**) للدنيا (**عارفًا بالله تعالىٰ، خائفًا منه، مريدًا وجهَ الله تعالىٰ بعلمه**) هو الإمام الأعظم والمجتهد الأفخم النعمان بن ثابت بن زَوْطَىٰ -كسَكْرىٰ[1]- بن ماه الكوفي الفقيه، مولىٰ بني تَيْم الله بن ثعلبة علىٰ قول، وقيل: يتَّصل نسبُه إلىٰ كسرىٰ، أحد الأئمة الأربعة. قال أبو نعيم الفضل بن دُكَين: وُلد أبو حنيفة سنة ثمانين، ورأىٰ أنسَ بن مالك غير مرة بالكوفة؛ قاله ابن سعد في الطبقات.

وروىٰ عن عطاء بن أبي رباح وقال: ما رأيتُ أفضل منه.

روىٰ عن عطية العوفي، ونافع، وسَلَمة بن كُهَيل، ومحمد الباقر، وولده جعفر، وعديٍّ بن ثابت، وقتادة، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعمرو بن دينار، ومنصور بن المعتمر، وأبي الزبير، وحمَّاد بن أبي سليمان، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وشعبة بن الحجَّاج، والأوزاعي، وعاصم بن أبي النجود، وغيرهم ينيفون علىٰ أربعة آلاف علىٰ اختلاف طبقاتهم. وأما الرواة عنه فلا ينحصرون، وفيهم مَن هو من رجال الستَّة، وقد أوردهم البدر العيني[2] وقاسم بن قطلوبغا علىٰ حروف المعجم، منهم الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن، ويُعرَفان بالصاحبينِ، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وزُفَر بن الهُذَيل، وابنه حمَّاد بن أبي حنيفة، وحفص بن غياث، وجرير بن حازم، وحمَّاد بن زيد بن درهم، وخارجة ابن مصعب، وإبراهيم بن أدهم الزاهد، وشقيق بن إبراهيم البلخي الزاهد، وداود ابن نصير الطائي الزاهد، وفُضَيل بن عياض الزاهد، والليث بن سعد، وعبد الله ابن المبارك المروزي، وأبو عاصم النبيل، والقاسم بن معن، وقتادة، وهاشم

---

(١) قال الزبيدي في تاج العروس ١٩/ ٣٢٦: «زوطىٰ كسلمىٰ، جد الإمام أبي حنيفة، وعليه اقتصر عبدالقادر القرشي في الطبقات، وقيل: هو زُوطىٰ، كموسىٰ، وهو الذي جزم به كثيرون، واقتصر عليه الإمام النووي، وذكر الوجهين صاحب عقود الجمان في مناقب النعمان».

(٢) مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار للعيني ٣/ ١٢٩، ١٣٤ (ط - دار الكتب العلمية).

ابن القاسم، والوليد بن مسلم، ويحيىٰ بن اليمان، ويزيد بن زُرَيع، وأبو أحمد الزبيري، وأبو أسامة حمَّاد بن أسامة، وأبو معاوية الضرير، ونوح بن أبي مريم المروزي، وأبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، وأسد بن عمرو، ومغيرة بن مقسم، ومسعر، وسفيان، وزائدة، وشريك، والحسن بن صالح بن حي، وعلي ابن مسهر، ووكيع، وإسحاق الأزرق، وسعد بن الصلت، وعبد الرزَّاق، وعبيد الله بن موسىٰ، وهوذة بن خليفة، وجعفر بن عوف، وأبو عبد الرحمن المقرئ، وغيرهم، وقد روىٰ عنه الإمام مالك أيضًا، كما ذكره السيوطي وابن حجر المكي.

قال محمد بن عمر الواقدي: مات أبو حنيفة في شعبان سنة خمسين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور رضي الله عنه، وعمَّن أحبَّه.

(فأما كونه عابدًا فيُعرَف بما رُوي عن) عبد الله **(ابن المبارك)** بن واضح الحنظلي مولاهم، سلطان المحدِّثين، أبو عبد الرحمن المَرْوَزي، رحل إلىٰ اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وأهل ذلك، كتب عن الصغار والكبار.

قال شعبة: ما قَدِمَ علينا مثله.

وقال سفيان بن عيينة لمَّا نُعي إليه ابن المبارك رحمه الله: لقد كان فقيهًا عالمًا عابدًا زاهدًا سخيًّا شجاعًا شاعرًا.

وصنَّف كتبًا كثيرة[1] في فنون العلم حملها عنه قومٌ، وكتبها الناس عنهم.

توفي سنة ١٨١ عن ثلاث وستِّين، وقيل غير ذلك.

وكان في عداد طبقات تلامذة الإمام أبي حنيفة، لازمه واستملىٰ عنه فوائد.

ونقل قاسم ابن قطلوبغا الحافظ عن البدر العيني أن ابن المبارك روىٰ عن

---

(١) منها: كتاب الجهاد - كتاب الزهد والرقائق.

الإمام حكايةً، فإن كان المراد منه أنه روىٰ عنه حكاية بعينها فالأمر سهل، وإلا فظاهر سياقه دالٌّ علىٰ أنه لم يروِ عنه سوىٰ هذه، كيف وقد أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه(١): أخبرني أبو بِشْر الوكيل وأبو الفتح الضَّبِّي قالا: حدثنا عمر ابن أحمد الواعظ، حدثنا أحمد بن محمد بن عِصْمة الخُراساني، حدثنا أحمد ابن بسطام، حدثنا الفضل بن عبد الجبار، سمعت أبا عثمان حمدون بن أبي الطوسي، سمعت عبد الله بن المبارك يقول: قدمتُ الشام علىٰ الأوزاعي [فرأيته ببيروت](٢) فقال لي: يا خراساني، من هذا الذي خرج بالكوفة؟ يعني أبا حنيفة، فرجعت إلىٰ بيتي، فأقبلت علىٰ كتب أبي حنيفة فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام، فجئته يوم الثالث وهو مؤذِّن مسجدهم وإمامهم، والكتاب في يدي، فقال: أيُّ شيء هذا الكتاب؟ فناولته، فنظر في مسألة منه وقف عليها، قال: النعمان بن ثابت. فما زال قائمًا بعدما أذَّن حتىٰ قرأ صدرًا من الكتاب، ثم وضع الكتاب في كُمِّه، ثم أقام وصلىٰ، ثم أخرج الكتاب حتىٰ أتىٰ عليه، فقال لي: يا خراساني، مَن النعمان بن ثابت هذا؟ قلت: شيخ لقيتُه بالعراق. فقال: هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثِرْ منه. فقلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيتني عنه. ا.هـ.

فقوله «فأقبلت علىٰ كتب أبي حنيفة» أي الفوائد التي تلقَّاها عنه في حال ملازمته له؛ لأنه لم يكن إذ ذاك كتاب خاص مؤلَّف في المسائل التي اجتهد فيها، وإنما حدثت الكتبُ بعد وفاته. علىٰ أن عندي في سياق الخطيب نوع توقُّفٍ؛ فإن الأوزاعي معدود من جملة مشايخه وهو من أقرانه، وُلد بعد الإمام بسبع سنين، ومات بعده بسبع سنين، فإذا كان كذلك كيف يُعقَل منه: مَن هذا الذي بالكوفة؟!

---

(١) تاريخ دمشق ٣٢/ ٣٩٩. وسقط هنا أول السند وهو: أخبرنا أبو منصور ابن خيرون قال: أنا أبو الحسن ابن سعيد قال: نا أبو بكر الخطيب، أخبرني أبو بشر ... الخ.

والخبر أيضًا في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٦٣.

(٢) زيادة من تاريخ دمشق وتاريخ بغداد.

وكيف يخفَىٰ عليه اسمُه؟ إذ قال لابن المبارك: مَن النعمان بن ثابت هذا؟ ولم يكن إذ ذاك مَن يقال له «ابن ثابت» غير الإمام أبي حنيفة، فتأمّلْ ذلك.

وفي تاريخ الذهبي[١]: قال حِبّان بن موسىٰ: سُئل ابن المبارك: أمالك أفقه أمْ أبو حنيفة؟ قال: أبو حنيفة.

(أنه قال[٢]: كان أبو حنيفة له مروءة) وهي قوة للنفْس هي مبدأ لصدور الأفعال الجميلة عنها المستتبعة للمدح شرعًا وعقلاً وعرفًا[٣] **(وكثرة صلاة)** أي بالليل؛ لِما سيأتي أنه كان يحيي الليل كلَّه أو نصفه.

ورُوي عن شريك[٤] قال: كان أبو حنيفة يسمَّىٰ الوتد لكثرة صلاته.

(وروىٰ) أبو إسماعيل[٥] **(حمَّاد بن أبي سليمان)** واسمه مسلم، الأشعري الكوفي الفقيه، مولىٰ أبي موسىٰ الأشعري، روىٰ عن إبراهيم النخعي وأنس بن مالك وابن المسيَّب، وعنه ابنه إسماعيل وابن أبي أُنَيسة ومِسْعَر وشعبة. إمام مجتهد كريم جواد.

قال مغيرة: قلت لإبراهيم: إن حمادًا قعد يفتي. فقال: وما يمنعه وقد سألني هو وحده عمَّا لم تسألوني كلُّكم عن عُشْره.

وعن أبي إسحاق الشيباني قال: ما رأيت أحدًا أفقه منه. قيل: ولا الشعبي. قال: ولا الشعبي.

---

(١) تاريخ الإسلام ٩/ ٣١٢.

(٢) رواه ابن عبد البر في الانتقاء ص ٢٠٠ من قول سفيان بن عيينة.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ٢٢٣.

(٤) كذا هنا، والصواب أنه من قول أبي عاصم النبيل، كما في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٤، وتاريخ الإسلام ٩/ ٣٠٩.

(٥) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٧/ ٢٦٩ - ٢٧٩. الكاشف للذهبي ١/ ٣٤٩.

وقال شعبة: كان صدوق اللسان.

وقال أبو حاتم[١]: صدوق، لا يُحتجُّ بحديثه، وهو مستقيم في الفقه، فإذا جاء الأثرُ تشوَّش.

وقال العِجْلي[٢] والنسائي[٣]: هو ثقة.

مات سنة عشرين ومائة.

وقال البخاري في الصحيح[٤]: وقال حمَّاد: إذا أقرَّ مرةً عند الحاكم رُجم[٥]. يعني الزاني.

وروىٰ له مسلم مقرونًا بغيره والباقون، وذكره ابن أبي العوَّام السعدي في مسنده فيمن روىٰ عن أبي حنيفة.

قلت: وقد ذُكر أيضًا في شيوخه، كما تقدَّم.

(**أنه كان يحيي الليلَ كلَّه**) وذلك في أواخر عمره.

(**ورُوي**)[٦] عن غيره (**أنه كان يحيي نصفَ الليل**) أولاً (**فمرَّ يومًا في طريق**) من طرق الكوفة (**فسمع إنسانًا يقول**) ورُوي: فأشار إليه إنسان وهو يمشي (**فقال لآخَر: هذا هو الذي يحيي الليلَ كلَّه. فلم يزل**) أبو حنيفة (**بعد ذلك يحيي كل الليل**) وفي نسخة: الليل كله (**وقال: أنا أستحي من الله تعالىٰ أن أوصف بما ليس**

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ١٤٧.

(٢) معرفة الثقات للعجلي ١/ ٣٢٠ (تحقيق: عبد العليم البستوي).

(٣) زاد عنه في تهذيب الكمال: إلا أنه مرجئ.

(٤) فتح الباري ١٣/ ١٦٩. وقد سقط هذا الأثر عن حماد من الطبعة السلفية لصحيح البخاري مع آثار أخر في باب الشهادة تكون عند الحاكم، من كتاب الأحكام.

(٥) في المطبوعة: زجر. والتصويب من الفتح وتهذيب الكمال.

(٦) التذكرة الحمدونية ١/ ٢٠٩. فيض القدير ٣/ ٧٧.

فيَّ من عبادته) وفي رواية: بعبادة ليست فيَّ. يعني احترازًا من دخوله في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران:١٨٨].

وروىٰ بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال[١]: بينما أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلاً يقول لآخَر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل. فقال أبو حنيفة: واللهِ لا يُتحدَّث عني بما لم أفعل. فكان يحيي الليل صلاةً ودعاء وتضرُّعًا.

وقد رُوي من وجهين أنه كان يختم القرآن في ركعة كل ليلة؛ رواه علي بن إسحاق السمرقندي عن أبي يوسف[٢].

وعن[٣] أسد بن عمرو أن أبا حنيفة صلىٰ العشاء والصبح بوضوء واحد أربعين سنة.

وروىٰ[٤] يحيىٰ بن عبد الحميد الحِمَّاني عن أبيه أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهُر، قال: فما رأيتُه صلىٰ الغداة إلا بوضوء العشاء الآخرة، وكان يختم القرآن في كل ليلة عند السَّحَر.

وقال الحسين بن محمد السَّمَنْقاني في كتابه «خزانة المفتين» - ووفاته سنة ٧٤٦ -: حُكي[٥] أن أبا حنيفة لما حج حَجَّة الوداع دخل الكعبة، وقام بين العمودين

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٥.

(٢) تاريخ الإسلام ٩/ ٣٠٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٤.

(٤) تاريخ الإسلام ٩/ ٣٠٩.

(٥) أورده إسماعيل حقي في تفسير روح البيان ٨/ ٨٨ بأبسط من هذا السياق، فقال: «نقل في آخر الفتاوىٰ الظهيرية أن أبا حنيفة لما حج الحجة الأخيرة قال في نفسه: لعلي لا أقدر أن أحج مرة أخرىٰ، فسأل حجاب البيت أن يفتحوا له باب الكعبة ويأذنوا له في الدخول ليلا ليقوم، فقالوا: إن هذا لم يكن لأحد قبلك، ولكننا نفعل ذلك لسبقك وتقدمك في علمك واقتداء الناس كلهم بك. ففتحوا له الباب، فدخل، فقام بين العمودين علىٰ رجله اليمنىٰ حتىٰ قرأ القرآن إلىٰ =

علىٰ رِجله اليمنىٰ حتىٰ قرأ نصف القرآن، وركع وسجد، ثم قام علىٰ رجله اليسرىٰ وقد وضع قدمه اليمنىٰ علىٰ ظهر رجله اليسرىٰ حتىٰ ختم القرآن، فلما سلَّم بكىٰ وناجَىٰ وقال: إلهىٰ، ما عبدك هذا العبدُ الضعيف حقَّ عبادتك، ولكن عرفك حق معرفتك، فهَبْهُ نقصانَ عبادته لكمال معرفته.

(**وأما زهده، فقد رُوي**[١] **عن الربيع بن عاصم**) لم أجده هكذا في الرواة عن أبي حنيفة. وفي الميزان[٢]: «الربيع بن إسماعيل أبو عاصم، عن الجعدي، من ولد جَعْدة بن هُبَيرة، وعنه بكر بن الأسود ومحمد بن إسماعيل الأحمسي». فلعله هو هو وتصحَّف علىٰ النُّسَّاخ، ثم وجدت بعد ذلك هذا السياق بعينه في كتاب التاريخ لابن أبي خيثمة أورده بسنده من طريق الربيع بن عاصم هكذا (**قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هُبَيرة**) والي الكوفة من قِبَل مروان بن محمد، وإليه نُسب قصر ابن هبيرة بالكوفة (**فقَدِمتُ بأبي حنيفة عليه، فأراده**) أن يولِّيه و(**أن يكون حاكمًا علىٰ بيت المال**) وقيل: القضاء (**فأبَىٰ**) ولم يَلِه (**فضربه عشرين سوطًا**) وأخرج الخطيب[٣] من طريق أبي بكر بن عَيَّاش أن أبا حنيفة ضُرب علىٰ القضاء. زاد أبو معمر الراوي عن أبي بكر بن عيَّاش: مائة سوط في أيام باردة، وذلك في ولاية مروان بن محمد؛ فإنه أمَّر ابنَ هبيرة علىٰ العراق، فأكره أبا حنيفة فلم يَلِ.

= النصف، وركع وسجد، ثم قام علىٰ رجله اليسرىٰ وقد وضع قدمه اليمنىٰ علىٰ ظهر رجله اليسرىٰ حتىٰ ختم القرآن، فلما سلم بكىٰ وناجىٰ وقال: إلهي، ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك، ولكن عرفك حق معرفتك، فهب نقصان خدمته لكمال معرفته. فهتف هاتف من جانب البيت: يا أبا حنيفة، قد عرفت وأخلصت المعرفة، وخدمت فأحسنت الخدمة، فقد غفرنا لك ومن اتبعك وكان علىٰ مذهبك إلىٰ قيام الساعة».

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٩. الانتقاء لابن عبد البر ص ٢٥٥.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٣٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٩.

وأخرج العسكري من طريق يحيىٰ بن أكثم عن أبي داود قال[1]: أراد ابن هبيرة أن يولِّي الإمام قضاءَ الكوفة، فأبىٰ، فحلف إن لم يقبله يضربه بالسياط علىٰ رأسه ويحبسه، فحلف الإمام علىٰ أنه لا يلي منه، فقيل له: إنه حلف علىٰ أن يضربك. فقال: ضربُه في الدنيا أهون من معالجة مقامع الحديد في العُقْبَىٰ. واللهِ لا أفعل ولو قتلني. فقيل: إنه حلف لا يخلِّيك، وإنه يريد بناء قصر فتولَّ له عد اللبن. فقال: لو سألني أن أعد له أبواب المسجد ما فعلتُ. فذُكر للأمير، فقال: أبلغ قدره أن يعارضني في اليمين؟! فدعاه فشافهه وحلف إن لم يقبل يضربه علىٰ رأسه عشرين سوطًا. فقال: اذكرْ مقامك بين يدي الله تعالىٰ؛ فإنه أذل من مقامي هذا، ولا تهدِّدني؛ فإني أقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والله يسألك عني حيث لا يقبل منك الجواب إلا بالحق. فأومأ إلىٰ الجلاَّد أن أمسِكْ، وبات في السجن، وأصبح وقد انتفخ وجهُه ورأسه من الضرب.

وأخرجه الخطيب من هذا الطريق، وزاد: فرأىٰ ابنُ هبيرة النبيَّ ﷺ في المنام يعاتبه فيه فأخرجه من السجن واستحلَّه.

ورُوي عن أبي عبد الله ابن أبي حفص الكبير البخاري قال: إن الفتنة لمَّا ظهرت بخُراسان دعا ابنُ هبيرة العلماءَ كابن أبي ليلىٰ وابن شبرمة وداود بن أبي هند، وولَّي كلَّ واحد منهم شيئًا من عمله، وعرض علىٰ أبي حنيفة أن يكون الخاتَم بيده ولا ينفذ كتابًا إلا من تحت يده، وأمره بذلك، فأبىٰ، فحلف الأمير إن لم يَلِه يضربه في كل جمعة سبعة أسواط، فقال الفقهاء لأبي حنيفة: إن إخوانك يناشدونك علىٰ أن لا تهلك نفسك، وكلنا نكره عمله، ولكن لم نجد بُدًّا منه. فقال: لو أراد مني أن أعدَّ أبواب مسجد واسط لم أعد له، فكيف وهو يريد أن يكتب في دم رجل وأختم له؟! واللهِ لا أدخل في ذلك. فقال ابن أبي ليلىٰ: دعوه فإنه مصيب. فحبسه الشرطي

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري ص ٦٧ (ط - عالم الكتب ببيروت).

وضربه أربعة عشر سوطًا، ثم اجتمع مع الأمير فقال: ألا ناصح لهذا أن يستمهلني فأستمهله وقال: أشاور إخواني. فخلاَّه، فهرب إلىٰ مكة سنة مائة وثلاثين.

وأخرج الخطيب[١] من طريق الحسن بن المبارك عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: مررتُ مع أبي بالكُناسة، فبكىٰ، فقلت له: يا أبتِ، ما يبكيك؟ فقال: يا بنيَّ، في هذا الموضع ضرب ابنُ هبيرة أبي عشرة أيام، في كل يوم عشرة أسواط علىٰ أن يلي القضاءَ فلم يفعل.

وأخرج ابن أبي العوَّام السعدي من رواية أبي عبد الله: سمعت محمد بن مقاتل يقول: بلغني أن أبا حنيفة حُبس في الشمس، وصُبَّ علىٰ رأسه الزيت، فمر به سفيان الثوري فقال: قد علمتُ الآن أنك طلبت هذا الشأن لله عَزَّوَجَلَّ.

وفي تاريخ الذهبي[٢] عن أبي معاوية قال: حبُّ أبي حنيفة من السنَّة، إنه ضُرب أيامًا ليَلِي القضاءَ فأبىٰ.

وقال أبو عبد الله الصيمري[٣]: لم يقبل العهد بالقضاء فضُرب وحُبس ومات في السجن.

(**فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب**) ويُروَىٰ عن ابن المبارك أنه قال[٤]: إن الرجال في الاسم سواء حتىٰ تقع في البلوىٰ، فقد ضُرب أبو حنيفة علىٰ رأسه في السجن، فصبر علىٰ الذل والضرب في الحبس طلبًا للسلامة في دينه.

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٠.

(٢) تاريخ الإسلام ٩/ ٣١٠ ونصه: «عن أبي معاوية قال: حب أبي حنيفة من السنة، وهو من العلماء الذين امتحنوا في الله. جاء من طرق متعددة أنه ضرب أيامـًا ليَلِيَ القضاء فأبىٰ».

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ٧١، وفيه: فضرب مائة سوط.

(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ٦٧.

وروىٰ ابن داسة قال: سمعت أبا داود يقول[1]: رحم الله مالكًا كان إمامًا، رحم الله الشافعي كان إمامًا، رحم الله أبا حنيفة كان إمامًا.

(وقال[2] **الحكم بن هشام الثَّقَفي**) مولىٰ آل عقيل[3]، كوفي، نزل دمشق، روىٰ عن منصور وقتادة، وعنه ابن عائذ وهشام، وثّقه جماعةٌ (**حدَّثتُ بالشام حديثًا عن أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانةً، وأراده السلطان**) أي ابن هُبَيرة من قِبَل آل مروان (**علىٰ أن يتولَّىٰ مفاتيح خزائنه**) أي خزائن أمواله (**أو يُضرَب ظهره**) بالسياط (**فاختار عذابهم له**) في الدنيا ولم يَلِ العمل (**علىٰ عذاب الله تعالىٰ**) في الآخرة.

(وروي[4] **أنه ذُكر أبو حنيفة**) يومًا (**عند ابن المبارك**) كأنه بسوء (**فقال: أتذكرون**) بالسوء (**رجلاً عُرضت عليه الدنيا بحذافيرها**) أي بأجمعها (**ففرَّ منها**) خوفًا علىٰ دينه.

وأخرج ابن أبي العوام السَّعدي في مسنده[5] من طريق ابن شجاع، حدثنا الحسن بن أبي مالك، سمعت عبد الله بن المبارك يقول - وذُكر أبو حنيفة بين يديه -: ماذا يقال في رجل عُرضت عليه الدنيا والأموال العظيمة فنبذها، وضُرب بالسياط فصبر عليها، ولم يدخل فيما كان غيرُه يستدعيه، رحم الله أبا حنيفة، ما كان أشده في دين الله عَزَّوَجَلَّ!

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ١١١٨.

(٢) الانتقاء لابن عبد البر ص ٢٥٥، وأوله: قال رجل بالشام للحكم بن هشام الثقفي: أخبرني عن أبي حنيفة. فقال: كان من أعظم .... الخ.

(٣) كذا هنا، وكذلك هو في الكاشف للذهبي ١/ ٣٤٦.

وفي تهذيب الكمال ٧/ ١٥٥ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ١٣٠: من آل أبي عقيل. وهو الصواب.

(٤) الانتقاء لابن عبد البر ص ٣٢١.

(٥) أورده الذهبي في كتابه مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ص ٢٥ (ط- لجنة إحياء المعارف النعمانية بالهند) حتىٰ قوله: يستدعيه.

وتقدَّم في خاتمة الفصول ما نقله ابن عبد البر في كتاب العلم أن ابن المبارك قيل له: فلان يتكلم في أبي حنيفة، فأنشد:

حسدوك لمَّا رأوك فضَّلَك ... اللهُ بما فُضِّلت به النُّجَباءُ

وقيل لأبي عاصم النبيل: فلان يتكلم في أبي حنيفة، فقال: هو كما قال نُصَيب:

في مثل هذا سلمت وهل ... حيٌّ من الناس سالمُ

وقال أبو الأسود الدؤلي:

حسدوا الفتىٰ إذ لم ينالوا سعيه ... فالقومُ أعداء له وخصومُ

قلت: وأخرج ابن عساكر[1] في ترجمة نصيب من رواية أبي الحسن علي بن محمد السكَّري، أنشدنا أبو عمر اللغوي الزاهد [أنشدنا] السيَّاري عن الناشئ لنصيب:

وما زال بي الكتمان حتىٰ كأنَّني ... برجع جوابِ السائل عنك أعجم

لأسلم من قول الوُشاة وتسلمي ... هُديتِ وهل حي علىٰ الناس يسلمُ

(**ورُوي عن محمد بن شجاع**) الثَّلْجي -بالمثلَّثة والجيم- الفقيه البغدادي الحنفي، أبو عبد الله، صاحب التصانيف[2]، قرأ علىٰ اليزيدي، وروىٰ عن ابن عُلَيَّة ووكيع، وتفقَّه بالحسن بن زياد اللؤلؤي وغيره، وآخر مَن حدَّث عنه محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة، وقد تكلم فيه ابن عديٍّ بالوضع[3]، وزكريا الساجي

---

(١) تاريخ دمشق ٦٢/ ٦٧. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) من تصانيفه: تصحيح الآثار -النوادر-المضاربة- الرد علىٰ المشبهة.

(٣) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٢٩٣ ونصه: «كان يضع أحاديث في التشبيه ينسبها إلىٰ أصحاب الحديث ليثلبهم به».

بالكذب[١]، وقال الحاكم: رأيت عند محمد بن أحمد بن موسىٰ القُمِّي عن أبيه عن محمد بن شجاع كتاب المناسك في نيِّف وستين جزءًا كبارًا دقاقًا.

وقال أحمد بن كامل القاضي: كان فقيه العراق في وقته. وقال أبو الحسين ابن المنادي: كان يتفقَّه ويقرئ الناس القرآن، مات ساجدًا في صلاة العصر سنة ٢٦٦ عن ست وثمانين سنة؛ كذا في الميزان[٢].

(عن بعض أصحابه) فيما أخرجه ابن أبي العوَّام السعدي عن أبي بِشْر عن محمد بن شجاع. والمراد ببعض أصحابه هنا هو الحسن بن عُمارة أبو محمد الكوفي الفقيه، من رجال الترمذي وابن ماجه، عن ابن أبي مُلَيكة والحَكَم، وعنه شَبابة وعبد الرزَّاق، وولي قضاء بغداد للمنصور، ومات سنة ١٥٣[٣].

(أنه قيل لأبي حنيفة: قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور)[٤] وذلك بعد رجوع أبي حنيفة من مكة **(بعشرة آلاف درهم)** وفي رواية أخرىٰ: وجارية.

وكان الرسول في ذلك الحسن بن قحطبة **(قال: فما رضي أبو حنيفة)** أن يقبلها، فلمَّا أحس أبو حنيفة بأنه يرسل بهذا إليه تمارَض **(قال: فلما كان اليوم الذي توقَّع)** أي ترجَّىٰ **(أن يؤتَىٰ)** إليه **(بالمال فيه صلىٰ الصبح، ثم تغشَّىٰ بثوبه)** أي اشتمل به من رأسه إلىٰ قَدَمه **(فلم يتكلم)** وفي رواية: أصبح لا يكلِّم أحدًا، كأنه مغمىٰ عليه **(فجاء رسول)** أبي الحسين[٥] **(الحسن بن قَحطبة)** بن شبيب بن خالد بن مَعْدان بن شمس بن قيس بن أكلب بن سعد بن عمرو بن [عمرو ابن

---

(١) ونص كلامه، كما في الميزان: «محمد بن شجاع كذاب، احتال في إبطال الحديث نصرة للرأي».

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٥٧٧ - ٥٧٩.

(٣) تهذيب الكمال ٦/ ٢٦٥ - ٢٧٧.

(٤) الانتقاء لابن عبد البر ص ٣٢١. أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري ص ٧١.

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ٤١٥. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

الصامت بن] غنم بن مالك بن سعد بن نَبْهان الطائي، أحد رجال الدولة العبَّاسية، وأخوه حُميد أحد الدعاة السبعين بعد العشرين والاثنىٰ عشر، وإليه نُسب رَبَض حُمَيد ببغداد[١]، وأبوهما قحطبة أحد النُّقَباء الاثنىٰ عشر[٢] (**بالمال، فدخل عليه، فلم يكلِّمه**) وأظهر المرض (**فقال بعض مَن حضر**) في مجلسه: هو (**ما يكلِّمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة. أي هذه عادته**) اعتذارًا عن عدم كلامه.

وفي رواية: فقالوا: ما تكلم اليومَ بكلمة (**فقال**) رسول الحسن لمَّا أيس من كلامه: (**ضعوا المال في هذا الجِراب**) ثم خلُّوه (**في زاوية البيت**) وفي رواية: فقال رسول الحسن: كيف أصنع؟ قالوا: انظر ما ترىٰ. قال: فوضعها في مسجدي في ناحية البيت وانصرف.

قال: فمكثت تلك البدرة[٣] في ذلك الموضع إلىٰ أن مات أبو حنيفة (**ثم أوصىٰ أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته، وقال**) في وصيته (**لابنه**) وهو الإمام ابن الإمام حمَّاد بن النعمان، أبو إسماعيل، تفقَّه علىٰ أبيه، وأفتىٰ في زمنه، وروىٰ عنه وعن مالك وحماد بن أبي سليمان، وكان الغالب عليه الورع.

قال الفضل بن دُكَين: تقدَّم حماد بن النعمان إلىٰ شريك بن عبد الله في شهادة، فقال له شريك: واللهِ إنك لعفيف البطن والفرج. توفي سنة ١٧٦[٤] (**إذا متُّ**) وقوله هذا كان في كتاب وصيته، وذلك لأن حمادًا كان غائبًا، فقَدِمَ بعد موت

---

(١) معجم البلدان ٣/ ٢٥.

(٢) الذين اختارهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ممن استجاب له في خراسان سنة ١٠٣، وكان قحطبة قائد جيوش أبي مسلم الخراساني، وكان مظفرًا في جميع وقائعه، ومات غريقًا في نهر الفرات أثناء وقعة له مع ابن هبيرة عام ١٣٢. الأعلام للزركلي ٥/ ١٩١.

(٣) البدرة: كيس فيه مقدار من المال يتم التعامل به، ويقدم في العطايا، ويختلف باختلاف الأزمان. المعجم الوسيط (مادة - بدر).

(٤) الجواهر المضية ٢/ ١٥٣. أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ١٥٨.

والده، فحمل البدرة فأتىٰ بها باب الحسن بن قحطبة، فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال: إني وجدت في وصية أبي: إذا أنا متُّ (**ودفنتموني فخذْ هذه البدرة**) التي في زاوية البيت (**واذهب بها إلىٰ الحسن بن قحطبة فقل له: هذه وديعتك التي أودعتَها أبا حنيفة**) ويُروَىٰ: كانت عندنا (**قال ابنه: ففعلتُ ذلك، فقال الحسن**) لمَّا رأىٰ البدرة: (**رحمة الله علىٰ أبيك، فلقد كان شحيحًا علىٰ دينه**) ويُروَىٰ: رحم الله أباك، لقد شحَّ علىٰ دينه إذ سَخَتْ به أنفُس أقوامٍ.

وذكر عبد القادر القرشي في ترجمة حماد من طبقاته: ولمَّا توفِّي أبوه كان عنده ودائع للناس كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك، وأربابها غائبون، وفيهم أيتام، فحملها حماد إلىٰ القاضي ليتسلَّمها منه، فقال له القاضي: ما نقبلها منك، ولا نخرجها من يدك، فإنك أهلٌ لها وموضعها[1].

فقال له حماد: زِنْها واقبضها حتىٰ تبرأ ذمة أبي حنيفة، ثم افعل ما بدا لك. ففعل القاضي ذلك، وبقي في وزنها أيامًا، فلما كمل وزنُها استتر حمادٌ فلم يظهر حتىٰ دفعها إلىٰ غيره.

وأخرج ابن قطلوبغا الحافظ في شرح المسانيد من رواية محمد بن عبد الرحمن المسعودي عن أبيه، ومن رواية هلال بن يحيىٰ عن يوسف السَّمْتي[2] قالا: إن أبا جعفر المنصور أجاز أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دفعات، فقال: يا أمير المؤمنين، إني ببغداد غريبٌ، وليس لها عندي موضعٌ، فاجعلها في بيت المال. فأجابه المنصور إلىٰ ذلك، فلما مات أبو حنيفة أُخرجتْ ودائع الناس من بيته، فقال المنصور: خدعنا أبو حنيفة.

---

(١) في المطبوعة: فأنت أهل بوضعها. والمثبت من الجواهر المضية.

(٢) ورواه أيضا الخطيب في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٢ من طريق هلال.

وأخرج[١] أيضًا من طريق مغيث بن بُدَيل[٢] قال: قال خارجة بن مصعب: أجاز المنصورُ أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم، فدُعي ليقبضها، فشاورني وقال: هذا رجل إن رددتُها عليه غضب، وإن قَبِلتها دخل عليَّ في ديني ما أكرهه. فقلت: إن هذا المال عظيم في عينه، فإذا دُعيت لتقبضها فقل له: لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين. فدُعي ليقبضها، فقال ذلك، فرُفع إليه خبره، فحبس الجائزة. قال: وكان أبو حنيفة لا يشاور أحدًا في أمره سوىٰ خارجة بن مصعب.

(**ورُوي أنه دُعي إلىٰ ولاية القضاء**) الأكبر ببغداد بعد أن أُشخص من الكوفة في أيام المنصور، فامتنع، فحبسه، فبقي خمسة عشر يومًا، ثم مات، وقيل: ستة أيام، وقيل: إنه سُقي سمًّا في سويق، فنال مرتبة الشهادة؛ كلُّ ذلك أخرجه الخطيب من طريق الواقدي. وفي رواية أخرىٰ: دعاه من الكوفة، وأراده علىٰ القضاء[٣] (**فقال: أنا لا أصلُح له**) ولا يحلُّ لك أن تولِّيني ذلك (**فقيل له: لِمَ**) ذلك؟ (**فقال: إن كنتُ صادقًا فلا أصلُح له**) لصدقي في المقال (**وإن كنتُ كاذبًا**) كما تزعمون (**فالكاذب لا يصلح للقضاء**) لسقوط عدالته بالكذب. وقد رُويت هذه القصة من أوجُه كثيرة، ففي تاريخ الذهبي[٤]: قال إسحاق بن إبراهيم الزُّهْري، عن بِشْر بن الوليد الكِنْدي قال: طلب المنصور أبا حنيفة فأراده علىٰ القضاء، وحلف ليليه، فأبىٰ وحلف أن لا يفعل، فقال الربيع حاجب المنصور: ترىٰ أميرَ المؤمنين يحلف وأنت تحلف؟! قال: أمير المؤمنين علىٰ كفَّارة يمينه أقدر منِّي. فأمر به إلىٰ السجن، فمات فيه [ببغداد].

---

(١) تاريخ بغداد، نفسه.

(٢) في المطبوعة: مغيث بن مدرك. والتصويب من تاريخ بغداد.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٠، ٤٥٢.

(٤) تاريخ الإسلام ٩/ ٣١١. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

وعن مغيث بن بُدَيل قال: دعا المنصور أبا حنيفة إلىٰ القضاء، فامتنع، فقال: أترغب عمّا نحن فيه؟ فقال: لا أصلُح. قال: كذبتَ.

قال أبو حنيفة: فقد حكم أمير المؤمنين عليَّ أني لا أصلُح، فإن كنتُ كاذبًا فلا أصلح، وإن كنت صادقًا فقد أخبرتكم أنّي لا أصلح. فحبسه.

وقال إسماعيل بن أبي أُوَيْس: سمعت الربيع بن يونس الحاجب يقول: رأيت المنصور تناول أبا حنيفة في أمر القضاء، فقال: واللهِ ما أنا بمأمون الرضا، فكيف أكون مأمون الغضب؟ فلا أصلح لذلك. فقال: كذبتَ، بل تصلح. فقال: كيف يحلُّ لك أن تولّي مَن يكذب[1]؟!

(وأما علمُه بطريق) وفي نسخة: بأمور، وفي أخرىٰ: بعلوم **(الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله تعالىٰ فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالىٰ وزهده في الدنيا، وقد قال)** أبو الوليد[2] عبد الملك بن عبد العزيز **(ابن جُرَيج)** القُرَشي مولاهم المكِّي الفقيه، أحد الأعلام، روىٰ عن مجاهد والحسن وابن أبي مُلَيكة وعطاء، وعنه القَطَّان وروح والحجاج بن محمد، وهو أول مَن صنَّف الكتب.

وقال أحمد: كان من أوعية العلم، روىٰ عن ست عجائز من عجائز المسجد

---

(١) أورد الخطيب في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥١ هذه الرواية مع زيادات، ونحن نوردها بنصها إتماماً للفائدة: «قال الربيع بن يونس: رأيت أمير المؤمنين المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء، وهو يقول: اتق الله، ولا ترعي أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟! ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددني أن تغرقني في الفرات أو أن ألي الحكم لاخترت أن أغرق، ولك حاشية يحتاجون إلىٰ من يكرمهم لك، فلا أصلح لذلك. فقال له: كذبت، أنت تصلح. فقال: قد حكمت لي علىٰ نفسك، فكيف يحل لك أن تولي قاضياً علىٰ أمانتك وهو كذاب»؟!

(٢) ويكنىٰ أيضا أبا خالد.

الحرام. توفِّي سنة تسع وأربعين ومائة وقد جاوز المائة[(١)] **(قد**[(٢)] **بلغني عن كوفيِّكم هذا)** يعني **(النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالىٰ)** وفي تاريخ الذهبي[(٣)]: قال يزيد بن كُمَيت: سمعت رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتقِ الله. فانتفض، واصفرَّ لونه، وأطرق، وقال: جزاك الله خيرًا، ما أحوج الناس كل وقت إلىٰ مَن يقول لهم مثل هذا.

وروىٰ محمد بن سماعة عن محمد بن الحسن عن القاسم بن معن أن أبا حنيفة قام ليلة يردِّد قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر:٤٦] ويبكي ويتضرَّع إلىٰ الفجر.

فكلٌّ ذلك يدل علىٰ شدة خوفه من الله تعالىٰ.

(وقال) أبو عبد الله[(٤)] **(شَرِيك)** بن عبد الله بن أبي شريك وهو الحارث بن أوس بن الحارث بن الأذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النَّخَع **(النخعي)** الكوفي القاضي، وُلد ببخارىٰ سنة ٩٥، وكان جدُّه شهد القادسية. وهو أحد الأعلام، روىٰ عن زياد بن عِلاقة وسَلَمة بن كُهَيل وعلي بن الأقمر وأبي إسحاق [السبيعي][(٥)] ومنصور، وعنه أبو بكر بن أبي شيبة وعلي بن حُجْر وإسحاق بن يوسف الأزرق وغيرهم. قال ابن معين: ثقة. زاد العِجْلي[(٦)]: حَسن الحديث. مات سنة سبع وسبعين

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ١٤٢ - ١٥٣. تهذيب الكمال ١٨/ ٣٣٨ - ٤٥٣. وفيهما رواية ثانية أنه توفي سنة ١٥٠، وثالثة أنه توفي سنة ١٥١.

(٢) الانتقاء لابن عبد البر ص ٢٠٩.

(٣) تاريخ الإسلام ٩/ ٣٠٩.

(٤) تهذيب الكمال ١٢/ ٤٦٢ - ٤٧٥. تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٤ - ٤٠١. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨/ ٤٩٩.

(٥) زيادة من التهذيب وتاريخ بغداد للتوضيح.

(٦) معرفة الثقات للعجلي ١/ ٤٥٣.

ومائة. استشهد به البخاري، وروىٰ له مسلم في المتابَعات، واحتجَّ به الباقون (كان[١] **أبو حنيفة طويل الصمت، دائم الفكر**) في جلال الله وعظمته (**قليل المحادثة للناس**) أي إلا فيما يعنيه.

وروىٰ حمَّاد قال[٢]: كان أبي هيوبًا لا يتكلم إلا جوابًا، ولا يخوض فيما لا يعنيه.

(**وهذا من أوضح الأمارات**) أي العلامات (**علىٰ العلم الباطن والاشتغال بمهمَّات الدين**) وضرورياته (**فمَن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله**) لأنهما يدلان علىٰ العلم الباطن، وسيأتي قولُ: مَن أوتي صمتًا نجا من السوء. علىٰ أن الكامل إذا نطق نطق بحكمة، وإذا صمت صمت عن حكمة، فجميع أحواله يدل علىٰ العلم الباطن.

وبقي من ترجمة الإمام شيء أورده الذهبي في تاريخه، أوردتُه هنا ليكون كالذيل لِما ذكره المصنف، قال[٣]:

كان أبو حنيفة خزازًا ينفق من كسبه، ولا يقبل شيئًا من جوائز السلطان تورُّعًا، وكان له دار وضياع ومعاش متَّسع، وكان معدودًا في الأجواد الأسخياء [وذوي] الألباب[٤] الأذكياء، مع الدين والعبادة والتهجُّد وكثرة التلاوة وقيام الليل.

قال ضِرار بن صُرَد: سُئل يزيد بن هارون: أيُّهما أفقه أبو حنيفة أم الثوري؟ فقال: أبو حنيفة أفقه، وسفيان أحفظ للحديث.

وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال علىٰ أبي حنيفة.

---

(١) الانتقاء لابن عبد البر ص ٢٠٢.

(٢) تاريخ الإسلام ٩/ ٣٠٨.

(٣) تاريخ الإسلام ٩/ ٣٠٦ - ٣١٢.

(٤) في تاريخ الإسلام: والأولياء. وما بين المعقوفين زيادة مني ليستقيم المعنىٰ.

وقال يزيد بن هارون: ما رأيتُ أحدًا أورع ولا أعقل من أبي حنيفة.

وقال صالح جزرة: سمعت يحيىٰ بن معين يقول: أبو حنيفة ثقة.

وعن النضر بن محمد قال: كان أبو حنيفة جميل الوجه، سريَّ الثوب، عَطِرًا.

وقال أبو يوسف: كان رَبْعة، من أحسن الناس صورة، وأبلغهم نطقًا، وأعذبهم نغمة، وأبينهم عمًّا في نفسه.

وعن ابن المبارك: ما رأيت رجلاً أوقر في مجلسه ولا أحسن سمتًا وحِلمًا من أبي حنيفة.

وروىٰ إبراهيم بن سعيد الجوهري عن المثنَّىٰ بن رجاء قال: جعل أبو حنيفة علىٰ نفسه إن حلف بالله صادقًا أن يتصدَّق بدينار، وكان إذا أنفق علىٰ عياله نفقة تصدق بمِثلها.

وقال أبو بكر بن عَيَّاش: لقي أبو حنيفة من الناس عَنَتًا؛ لإقلال مخالطته، فكانوا يرونه من زهو فيه، وإنما كان غريزة.

وقال جُبارة بن المغلس: سمعت قيس بن الربيع يقول: كان أبو حنيفة ورعًا تقيًّا، مفضلاً علىٰ إخوانه.

وقال يزيد بن أخزم: حدثنا داود الخِرِّيبي قال: كنا عند أبي حنيفة، فقال رجل له: إني وضعت كتابًا علىٰ خطِّك إلىٰ فلان، فوهب لي أربعة آلاف درهم. فقال أبو حنيفة: إن كنتم تنتفعون بهذا فافعلوه.

وروىٰ نوحٌ الجامع أنه سمع أبا حنيفة يقول: ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلىٰ الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال.

وقال أبو حنيفة: لا ينبغي للرجل أن يحدِّث إلا بما يحفظه من وقت ما سمعه. روىٰ أبو يوسف ذلك عنه.

وقال أحمد بن الصَّبَّاح: [سمعت الشافعي يقول][1]: قيل لمالك: هل رأيتَ أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيتُ رجلاً لو كلَّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لَقَامَ بحُجَّته.

وقال الخِرِّيبي: ما يقع في أبي حنيفة إلا حاسد أو جاهل.

وقال يحيىٰ القَطَّان: لا نكذب اللهَ، ما سمعنا أحسنَ من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله.

وقال علي بن عاصم: لو وُزِنَ علمُ أبي حنيفة بعلم أهلِ زمانه لرجح عليهم.

وقال حفص بن غياث: كلام أبي حنيفة في الفقه أدق من الشَّعر، لا يعيبه إلا جاهل.

وقال الحُمَيدي: سمعت ابن عيينة يقول: شيئان ما ظننتُهما يجاوزان قنطرة الكوفة: قراءة حمزة، وفقه أبي حنيفة، وقد بلغا الآفاق.

وعن الأعمش أنه سُئل عن مسألة، فقال: إنما يُحسِن هذا النعمان بن ثابت، وأظنه بوركَ له في علمه.

وقال جرير: قال لي مغيرة: جالِسْ أبا حنيفة تفقه؛ فإن إبراهيم النخعي لو كان حيًّا لجالسه.

وأخبار أبي حنيفة كثيرة، وترجمته واسعة، وفيما ذكرناه كفايةٌ.

(فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة) الدالة علىٰ الخصال الخمس، ﷺ **(وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء، وسفيان أقل أتباعًا من أحمد)** وأما الآن فليس لهم وجود ولا ذِكرٌ، وشوكة الحنابلة ببغداد ونواحيها وبلاد الشام ونجد، ولم يبقَ بمصر الآن -مع أنها حاضرة العلم- مَن يفتي

---

(١) زيادة من تاريخ الإسلام.

منهم أحد **(ولكنَّ اشتهارهما بالورع والزهد أظهر)** وأكثر **(وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أحوالهما وأقوالهما، فلا حاجة إلىٰ التفصيل الآن)** ولا بأس أن نلمَّ بذِكرهما تبرُّكًا؛ لئلاَّ يخلو الكتابُ عن محاسنهما.

فالإمام[1] أحمد أبو عبد الله ابن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس ابن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسِط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني المَرْوَزي ثم البغدادي؛ هكذا نسبه ابنُه عبد الله، واعتمده أبو بكر الخطيب وغيرُه، وأما قول عباس الدُّوري وأبي بكر بن أبي داود أنه كان من بني ذُهْل بن شيبان فغلط، إنما كان من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وذهل بن ثعلبة عمُّ ذهل بن شيبان بن ثعلبة.

وهو الإمام الجليل، صاحب المذهب، الصابر علىٰ المحنة، الناصر للسنَّة، شيخ العصابة، مقتدىٰ الطائفة.

قال عبد الرزَّاق: ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع.

وقال أبو مُسْهِر وقيل له: هل تعرف أحدًا يحفظ علىٰ هذه الأمة أمر دينها؟ قال: لا أعلمه إلا شاب في ناحية المشرق. يعني أحمد بن حنبل.

ووُلد ببغداد سنة ١٦٤؛ إذ جيءَ به إليها من مَرْو حملاً، وسمع الحديث سنة تسع وسبعين.

ومن شيوخه: هُشَيم، وابن عُيَينة، وإبراهيم بن سعد، وجرير بن عبد الحميد، ويحيىٰ القَطَّان، والوليد بن مسلم، وإسماعيل ابن عُلَيَّة، ومعتمِر بن سليمان، وغُنْدَر، وبِشْر بن المفضَّل، ويحيىٰ بن أبي زائدة، وأبو يوسف القاضي، ووكيع، وابن نُمَير، وعبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، والشافعي.

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٩٠ - ١٠٤. تهذيب الكمال ١/ ٤٣٧ - ٤٧٠. طبقات السبكي ٢/ ٢٧ - ٦٣.

وممَّن روىٰ عنه من شيوخه: عبد الرزاق، والحسن بن موسىٰ الأشيب، والشافعي لما يقول: أخبرنا الثقةُ، ومن أقرانه: علي بن المديني، ويحيىٰ بن معين، ورُحَيم، وروىٰ عنه البخاري بواسطة، ومسلم، وأبو داود، وابناه صالح وعبد الله.

قال الخطيب: ورحل إلىٰ الكوفة والبصرة والحَرَمين واليمن والشام والجزيرة.

وقال ابنه عبد الله: كتب أبي عشرة آلاف ألف حديث، لم يكتب سوادًا في بياض إلا حفظه.

وألَّف مسنده، وهو أصل من أصول هذه الأمَّة، أحاديثه ثلاثون ألفًا.

وأما زهده وورعه فقد سارت به الرُّكبان، وقد أفرد جماعةٌ [التصنيف](١) في مناقبه كالبيهقي وأبي إسماعيل الأنصاري وابن الجوزي وابن الفَرَّاء وغيرهم.

وتوفِّي سنة ٢٤١ لاثنتي عشرة [ليلة](٢) خَلَتْ من ربيع الأول، وكان عدد المصلِّين عليه ألف ألف وثلاثمائة ألف سوىٰ مَن كان في السفن.

وقال ابن الفرَّاء: قال الربيع بن سليمان: قال لي الشافعي: أحمد [إمام في ثمانِ خِصال]: إمام في الحديث، إمام في الفقه [إمام في اللغة] إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنَّة(٣).

وهذا القَدْر كافٍ في معرفة علوِّ مقامه رضي الله عنه.

وأما سفيان الثوري فهو(٤) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب

---

(١) زيادة من طبقات السبكي.

(٢) زيادة من طبقات السبكي.

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلىٰ ابن الفراء ص ٣ (ط-المكتبة العربية بدمشق). المغني لابن قدامة ١/ ٩. والزيادات التي بين حاصرتين منهما.

(٤) مناقب الإمام الأعظم سفيان الثوري لابن الجوزي - اختصار الذهبي ص ٢٠-٧٩.

ابن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أُبَيِّ بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث ابن ثعلبة بن ملكان بن ثور الثوري الكوفي؛ هكذا نسبه الهيثمُ بن عدي، وقيل في سياق نسبه: مسروق بن حمزة بن حبيب، وبإسقاط «منقذ» و«الحارث».

وُلد سنة سبع وتسعين، وحدَّث وهو ابن ثلاثين سنة.

روىٰ عن: عمرو بن مُرَّة، وسَلَمة بن كُهَيل، وحبيب بن أبي ثابت، وعبد الله ابن دينار، وعمرو بن دينار، وأبي إسحاق، ومنصور، والأعمش، وعبد الملك ابن عُمَير، وصالح مولىٰ التوأمة، وأبي الزِّناد، وسُهَيل بن أبي صالح، وأيوب السختياني.

ويقال: إنه أدرك مائة وثلاثين من التابعين.

روىٰ عنه: مِسْعَر، وابن جُرَيج، ومحمد بن عجلان، والأوزاعي، ومحمد بن إسحاق، وأبو حنيفة وهم أكبر منه وأقدم، وشعبة، والحَمَّادان[1]، وابن أبي ذئب، ومالك، وسليمان بن بلال، وزائدة، وزهير بن معاوية - وهم من أقرانه - وابن المبارك، ووكيع، ويحيىٰ القَطَّان، وأبو نعيم الفضل بن دُكَين، وعبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن يوسف الفِرْيابي، ويحيىٰ بن يَمان، وعبيد الله الأشجعي، وعبد الرزاق، وقبيصة بن عقبة، وأبو حذيفة النهدي، ومحمد بن كثير، وأحمد بن عبد الله بن يونس، وعلي بن الجعد، وغيرهم.

قال ابن الجوزي: الذين رووا عنه أكثر من عشرين ألفًا[2].

وأما سعة علمه وآدابه وأخلاقه وشمائله وزهده وورعه وتواضعه وخموله

---

(١) يعني حماد بن زيد وحماد بن سلمة.

(٢) عقب الذهبي علىٰ ذلك بقوله: «وهذا مدفوع ممنوع، فإن بلغوا ألفًا فبالجهد، وما علمت أحدًا من الحفاظ روىٰ عنه عدد أكثر من مالك، وبلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفًا وأربعمائة». سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٤.

وشدة خوفه وتفكُّره وبكاؤه وتعبُّده ومجاهدته والاقتصاد في معيشته وصدعُه بالحق وأمْره بالمعروف وثناء أئمَّة العصر ومَن بعدهم عليه فقد سارت بأخباره الرُّكبانُ.

وقال علي بن عثام: مرض سفيان بالكوفة، فبعث بمائه إلىٰ طبيب في الكوفة[1]، فلما رآه قال: ويلك! بول مَن هذا؟ قال: ما تسأل. قال: أرىٰ بول رجل قد أحرق الحزنُ والخوف قلبه.

وفي رواية أبي أسامة: ذهبتُ ببوله إلىٰ الديراني، فنظر فيه، فقال: بول مَن هذا؟ ينبغي أن يكون هذا البول بول زاهد[2]، هذا بول رجل فتَّت الحزنُ كبده، ما أرىٰ لهذا دواء.

قال ابن سعد[3]: أجمعوا علىٰ أنه مات سنة إحدىٰ وستين ومائة في أوَّلها.

وقال الواقدي: في شعبان.

وأما قول خليفة[4]: إنه في اثنتين وستين، فغلط.

رضي الله عنه وأرضاه عنَّا. نقلتُ ذلك من كتاب الحافظ الذهبي الذي اختصره من كتاب ابن الجوزي في ترجمته، وهو مجلَّد.

(فانظر الآن) وتأمَّلْ **(في سِيَر هؤلاء الأئمة الثلاثة)** وأحوالهم **(وتأمَّل أن هذه الأحوال والأقوال والأعمال في الإعراض عن الدنيا)** والهروب منها **(والتجرُّد لله تعالىٰ هل يثمرها مجرَّدُ العلم بفروع الفقه من معرفة السَّلَم والإجارة)** والكفالة

---

(١) في المطبوعة: فبعث بمائه إلىٰ ابن أبي ذئب. والتصويب من مناقب الثوري.

(٢) في المناقب: راهب.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٢، ونصه: «أجمعوا لنا علىٰ أنه توفي بالبصرة وهو مستخف في شعبان سنة إحدىٰ وستين ومائة في خلافة المهدي».

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ٤٣٧ (ط - دار طيبة بالرياض).

(والظِّهار والإيلاء واللِّعان، أو يثمرها علمٌ آخَر أعلىٰ وأشرف منه؟ وانظر) الآن (إلىٰ الذين ادَّعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أمْ لا)؟ والله أعلم.

الباب الثالث

فيما تعدُّه العامة من علوم الدين وليس منها، وفيه بيان جنس العلم المذموم وقَدْره

(**فيما تعدُّه العامَّة**) وتحسَبه (**من العلوم المحمودة**) ويكبُّون علىٰ تحصيلها (و) الحال أنه (**ليس منها**) وفي بعض النسخ: منه، وفي أخرىٰ: وليست منها (**وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض العلوم مذمومًا، وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، وبيان القَدْر المحمود من العلوم الشرعية والقَدْر المذموم منها**) اعلم[1] أن لفظ «العلم» كما يُطلَق علىٰ ما ذُكر بيانه في أول الكتاب يطلق علىٰ ما يرادفه وهو أسماء العلوم المدوَّنة كالنحو والفقه، فيطلق كأسماء العلوم تارةً علىٰ المسائل المخصوصة[2]، وتارةً علىٰ التصديقات بتلك المسائل عن دليلها، وتارةً علىٰ المَلَكة الحاصلة من تكرُّر تلك التصديقات، أي مَلَكة استحضارها[3]، فإطلاق لفظ «العلم» علىٰ كلٍّ منها إما حقيقة عُرْفية أو اصطلاحية أو مجاز مشهور، وقد يطلق علىٰ مجموع المسائل والمبادئ التصوُّرية والتصديقية والموضوعات[4]، وقد تطلق أسماء العلوم علىٰ مفهوم كُلِّي إجمالي يفصل في تعريفه، فإن فصل نفسه كان حدًّا اسميًّا، وإن بُيِّن لازمه كان رسمًا اسميًّا،

---

(١) كشف الظنون ١/ ٦.

(٢) بعده في الكشف: كما يقال: فلان يعلم النحو.

(٣) بعده في الكشف: وقد تطلق الملكة علىٰ التهيؤ التام وهو أن يكون عنده ما يكفيه لاستعلام ما يراد، والتحقيق أن المعنىٰ الحقيقي للفظ «العلم» هو الإدراك، ولهذا المعنىٰ متعلق هو المعلوم، وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء هو الملكة.

(٤) بعده في الكشف: ومن ذلك يقولون: أجزاء العلوم ثلاثة.

وأما حده الحقيقي فإنما هو بتصوُّر مسائله أو بتصوُّر التصديقات المتعلقة بها[١]؛ كذا في «مفتاح السعادة».

---

(١) بعده في الكشف: فإن حقيقة كل علم مسائل ذلك العلم أو التصديقات بها، وأما المبادئ وآنية الموضوعات فإنما عدت جزءًا منها لشدة احتياجها إليها.

بيـان علّة ذمّ العلم المذموم

(**لعلك تقول**): أصل (**العلم**) إدراك الشيء علىٰ حقيقته و(**هو معرفة الشيء علىٰ ما هو به**) وعليه (**وهو من صفات الله سبحانه**) الذاتية (**فكيف يكون الشيء علمًا ويكون مع كونه علمًا مذمومًا**)؟! وهو إشكال ظاهر، وبمثل هذا طعن بعضُ مَن لا خَلاقَ له من العجم علىٰ العرب بأنهم يمدحون شيئًا ويذمُّونه، والجواب: أن مدحهم للشيء وذمَّه باعتبار الوجوه المختلفة، كمدح الدينار من حيث تُقضَىٰ الحاجة به، وذمِّه لكونه مَجْلَبة للأوصاف الذميمة مثلاً، فمدحُه من وجه، وذمُّه من وجه آخر، وهذا لا بأس به، كما بيَّنه الشريشي في شرح المقامة الدِّينارية للحريري[1]، وإليه أشار الشيخ بقوله: (**فاعلمْ أن العلم**) من حيث هو هو (**لا يُذَمُّ لعينه**) أي من حيث كونه علمًا (**وإنما يُذَم**) لوجه آخر (**في حق العِباد لأحد أسباب ثلاثة، الأول: أن يكون مؤدّيًا إلىٰ ضرر ما**) أي نوع من أنواع الضرر (**إما لصاحبه**) وهو الحامل له (**وإما لغيره**) فكما أن الضرر مذموم مطلقًا فكذلك ما يتأذَّىٰ بسببه، فإنما جاء ذمُّه من هذا الوجه (**كما يُذَمُّ علم السحر والطِّلسمات**) تقدَّم بيانُهما (**وهو**) أي علم السحر (**حق**) ثابت (**إذ شهد القرآن له**) في قصة هاروت وماروت، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ [البقرة:١٠٢]

---

(١) شرح المقامات الحريرية للشريشي ١/ ١٥٤ - ١٥٦ (ط - المكتبة العصرية ببيروت).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه:٦٩] وقال تعالىٰ: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء:٣] وقال تعالىٰ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾ [طه:٦٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق:٤] والنفَّاثات: السواحر[1] **(وأنه سبب يُتوصَّل به إلىٰ التفرقة بين الزوجين)** كما شهد بذلك قولُه تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ **(وقد سُحر** رسول الله ﷺ **ومرض بسببه حتىٰ أخبره جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بذلك، وأُخرج السحر من تحت حَجَر في قعر بئر)** قال العراقي[2]: متَّفق عليه من حديث عائشة.

قلت: أخرجه البخاري[3] في كتاب الطب من طريق عيسىٰ بن يونس وسفيان ابن عُيَينة وأبي أسامة، ثلاثتُهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، أما الطريق الأولىٰ ففيها قالت: سحر رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بني زُرَيق يقال له لَبِيد بن الأعصم، حتىٰ كان رسول الله ﷺ يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتىٰ إذا كان ذات يوم -أو ذات ليلة- وهو عندي دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة، أشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيتُه فيه؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخَر عند رِجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجعُ الرَّجل؟ فقال: مطبوب. قال: مَن طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أيِّ شيء. قال: في مُشط ومُشاطة وجُفِّ طَلْعِ من نخلة ذَكَر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوان». فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «يا عائشة، كأنَّ ماءها نُقاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين». قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجتَه؟ قال: «قد عافاني الله، فكرهتُ أن أثير علىٰ الناس شرًّا». فأمر بها فدُفنت.

---

(١) وهو تفسير ابن عباس والضحاك والحسن البصري وعبد الرحمن بن زيد، كما في تفسير الطبري ٢٤/ ٧٥٠، والدر المنثور للسيوطي ١٥/ ٨٠٠.

(٢) المغني ١/ ٢٥.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٤٨ - ٤٩.

قال البخاري: تابعه أبو أسامة وأبو ضمرة وابن أبي الزِّناد عن هشام، وقال الليث وابن عيينة عن هشام: في مُشط ومشاطة، ويقال: المشاطة: ما يخرج من الشعر إذا مُشِّط، والمشاقة من مشاقة الكتَّان.

وأما الطريق الثانية ففيها: «قال: ومَن طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، رجل من بني زُرَيق، حليفٌ ليهود، كان منافقًا». وفيها: «في جُفِّ طلعةٍ ذَكَرٍ تحت رَعُوفة في بئر ذَرْوان». وفيها: «فقالت: فقلت: أفلا تنشَّرتَ؟ فقال: أما واللهِ فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا». والباقي سواء.

وأما الطريق الثالثة ففيها: «في مُشط ومُشاطة وجُفِّ طلعةٍ ذَكَرٍ. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان. قال: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظروا إليها، وعليها نخل». وفيها: «فأمر بها فدُفنت». والباقي سواء.

وقد أخرجه كذلك مسلم[١] والنسائي في الكبرى[٢] وابن ماجه[٣]، كلهم من رواية هشام.

قال العراقي: وفي الباب عن ابن عباس وزيد بن أرقم؛ أما حديث ابن عباس فأخرجه ابن مردويه في تفسيره[٤] من رواية عصام عن سليمان بن عبد الله عن

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٤.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٧/ ١٠٠.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ١٨٣.

(٤) وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٥/ ٧٩٤، ولفظه: عن ابن عباس أن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي ﷺ، وجعل تمثالاً فيه إحدى عشرة عقدة، فأصابه من ذلك وجع شديد، فأتاه جبريل وميكائيل يعودانه، فقال ميكائيل: يا جبريل، إن صاحبك شاك. قال: أجل، أصابه لبيد بن الأعصم اليهودي، وهو في بئر ميمونة في كربة تحت صخرة في الماء. قال: فما دواء ذلك؟ قال: تنزح البئر ثم تقلب الصخرة فتوجد الكربة فيها تمثال فيه إحدى عشرة عقدة فتحرق فإنه يبرأ بإذن الله. فأرسل إلى رهط منهم عمار بن ياسر، فنزح الماء فوجدوه قد صار كأنه ماء الحناء، ثم قلبت الصخرة فإذا كربة فيها تمثال فيه إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ الصبح، =

عكرمة عنه، وعصام ضعيف.

وأما حديث زيد بن أرقم فرواه ابن سعد في الطبقات[١] من رواية الثوري عن الأعمش عن ثُمامة المُحَلِّمي عنه.

وقال ابن الملقن في شرحه علىٰ البخاري[٢] في تفسير المعوِّذتين: ويقال إنه العُقَد التي عقدها لبيد[٣]، وهي إحدىٰ عشرة عقدة في وتر ومشط ومُشاطة، أعطاها لغلام يهودي يخدمه وصورة من عجين فيها إبَر مغروزة، فبعث عليًّا والزبير وعمَّارًا فاستخرجوه، وشفاه الله تعالىٰ.

وقال المهلَّب في شرحه[٤]: مَدار هذا الحديث علىٰ هشام بن عروة، وأصحابه مختلفون في استخراجه، فأثبته سفيان في روايته من طريقين [في هذا الباب] وأوقف سؤال عائشة [النبي ﷺ] عن النشرة، ونفي الاستخراج عن عيسىٰ بن يونس، وأوقف سؤالها للنبي ﷺ علىٰ الاستخراج، ولم يذكر أنه جاوَبَ علىٰ الاستخراج بشيء، وحقَّق أبو أسامة جوابه ﷺ إذ سألته عائشة عن استخراجه بـ «لا»، فكان الاعتبار يعطي أن سفيان أَولىٰ بالقول؛ لتقدُّمه في الضبط، وأن الوهم علىٰ أبي

= فانحلت عقدة ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ من الجن والإنس، فانحلت عقدة ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ الليل وما يجيء به النهار ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ السحارات المؤذيات، فانحلت عقدة.

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ١٧٨، ولفظه: عقد رجل من الأنصار للنبي ﷺ عقدًا، وكان يأمنه، ورمىٰ به في بئر كذا وكذا، فجاء الملكان يعودانه، فقال أحدهما لصاحبه: تدري ما به؟ عقد له فلان الأنصاري ورمىٰ به في بئر كذا وكذا ولو أخرجه لعوفي، فبعثوا إلىٰ البئر فوجدوا الماء قد اخضر، فأخرجوه فرموا به فعوفي رسول الله ﷺ، فما حدث به ولا رؤي في وجهه.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٢٣/ ٦٠٨ (ط -دار الفلاح بالفيوم).

(٣) في المطبوعة: ويقال: إن العقد عقدها بنات لبيد. والتصويب من التوضيح.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٤٤٤ (ط-مكتبة الرشد بالرياض). والزيادات التي بين حاصرتين منه.
وانظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٢٤٥.

أسامة في أنه لم يستخرجه، ويشهد لذلك أنه لم يذكر النشرة في حديثه، فوهم في أمرها، فرد جوابه عليه السلام بـ «لا» على الاستخراج فلم يذكر النشرة] وكذلك عيسىٰ بن يونس لم يذكر أنه ﷺ جاوب علىٰ استخراجه بـ «لا» و[لا] ذكر النشرة، والزيادة من سفيان مقبولةٌ؛ لأنه أثبتهم لا سيما فيما حقق من الاستخراج[١] وفي ذِكره للنشرة في جواب النبي ﷺ مكان الاستخراج، ويحتمل أن يُحكَم بالاستخراج لسفيان، ويُحكَم لأبي أسامة بقوله «لا» علىٰ أنه استخرج الجُفَّ بالمشاقة ولم يستخرج صورة ما في الجُفِّ لئلاَّ يراه الناس فيتعلَّمونه[٢].

ثم اعلمْ أن السحر مرضٌ من الأمراض، وعارض من العِلَل غير قادح في نبوَّته، وطاح بذلك طعنُ الملاحدة قاتلهم اللهُ، وأنه كان يُخيَّل إليه أنه فعل الشيءَ وما فعله، فذلك ممَّا يجوز طروقُه عليه في أمر دنياه دون ما أُمر بتبليغه[٣]، وقد رُوي[٤] عن ابن المسيَّب وعُرْوة: سُحر حتىٰ كاد ينكر بصره. وعن عطاء الخراساني [عن يحيىٰ بن يعمر قال][٥]: حُبس عن عائشة سنةً. قال عبد الرزاق: وحُبس عنها خاصةً حتىٰ أنكر بصره، لكن رواية «ثلاثة أيام أو أربعة» هي أصوب.

(وهو نوعٌ يُستفاد من العلم بخواصِّ الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم)

اعلم[٦] أن السحر هو علم يُبحَث فيه عن معرفة الكواكب وأحوال الأوضاع[٧] وارتباط

---

(١) عبارة ابن بطال: لأنه أثبتهم، وقوي ثبوت الاستخراج في حديثه؛ لتكرره فيه مرتين فبعد من الوهم فيما حقق ... الخ.

(٢) بعده في شرح ابن بطال: إن أرادوا استعمال السحر، فهو عندهم مستخرج من البئر، وغير مستخرج من الجف.

(٣) انظر تفصيل ذلك في: فتح الباري ١٠/ ٢٣٧. شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/ ٢٥٠.

(٤) هاتان الروايتان ذكرهما عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٣ - ١٤.

(٥) زيادة من مصنف عبد الرزاق.

(٦) كشف الظنون ٢/ ٩٨٠. مفتاح السعادة لطاش كبري زادة ١/ ٣١٥.

(٧) في الكشف والمفتاح: عن معرفة الأحوال الفلكية وأوضاع الكواكب.

كلٍّ منها بأمور أرضية، وعن معرفة المواليد والبروج والمنازل ومقادير سير القمر في كلٍّ منها دائرة يكون منها على وجه خاص؛ ليظهر من ذلك الارتباط والامتزاج أفعالٌ غريبة وأسرار عجيبة تخفىٰ عِلَلُها وأسبابها علىٰ ذوي العقول بتركيب الساحر لها في أوقات مناسبة للأوضاع الفَلَكية مع مقارنة الكواكب وتوافُق المواليد الثلاث، فيظهر عند ذلك ما خفي سببُه من أوضاع عجيبة بكيفية غريبة تحيِّر العقولَ، وتعجز عن حلِّ خفاياها أفكار الفحول.

وقال الحرالي[1]: هو قلبُ الحواسِّ في مدركاتها عن الوجه المعتاد لها في صحتها من سبب باطل لا يثبُت مع ذِكر الله عليه.

وقال[2] السعد في حاشية الكشاف: هو مزاولة النفس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتَّب عليها أمورٌ خارقة للعادة. وقال التاج السبكي: السحر والكهانة والتنجيم والسيمياء من وادٍ واحد.

وقال المَجْريطي في كتابه «غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم» ما نصُّه: السحر حقيقة على الإطلاق، كل ما سحر العقولَ وانقادت إليه النفوس من جميع الأقوال والأعمال، وهو ما يصعب على العقل إدراكه، وتستتر عن الفهم أسبابه، وذلك أنه قوة إلهية بأسباب متقدِّمة موضوعة لإدراكه، وهو علم غامض، ومنه أيضًا عَمَلي موضوعه روح في روح، وهذا هو النيرنج والتخييل، كما أن موضوع الطِّلسم روح في جسد، وموضوع الكيمياء جسد في جسد، فبالجملة السحر هو ما خفي علىٰ عقول الأكثر سببُه، وصعب استنباطُه، وحقيقة الطلسم أن ينعكس اسمه وهو المسلَّط؛ لأنه من جواهر القهر، وفي التسليط يفعل فيما له ركب فِعل غلبة

---

(١) فيض القدير ١/ ١٥٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢/ ٧٦ (ط - دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة).

(٢) فيض القدير، السابق.

وقهر بنِسَب عددية وأسرار مَلَكية موضوعة في أجساد مخصوصة في أزمنة موافقة وبخورات مقوِّيات جالبات لروحانيات ذلك الطلسم، فحاله كحال الإكسير الذي يحيل الأجسادَ إلىٰ نفسه بقهرها؛ إذ هو خمير.

ثم قال: اعلمْ أن السحر علىٰ قسمين: عِلْمي وعَمَلي، فالعِلمي هو معرفة مواضع الكواكب الثابتة؛ إذ موضوعها محل الصور، وكيفية إلقاء أشعتها علىٰ السيَّارة وهيئات بنسب الفلك عند طلب كون المراد، وتحت هذا جميع ما وضعته الأوائلُ من الاختبارات والطلسمات. والعَمَلي هو الموقوف علىٰ المولَّدات الثلاث وما أثبتت فيها من قوىٰ الكواكب السيَّارة، وهي المعبَّر عنها بالخواصِّ عند القائلين بها، ولا يعلمون لها علَّة ولا حقيقة إلىٰ كشف سر الأوائل ثم مزج بعضها مع بعض بالعمل، ويُتوخَّىٰ بها حرارة عنصره، فذلك قَبِيل الدخنات كي يُستعان بالقوىٰ الكاملة علىٰ الناقصة، أو يُتوخَّىٰ بها حرارة طبيعية، فذلك قسم المطعومات، وما كان لا يتعدىٰ بهما ولا يُستعان إلا بالنفس الإنسانية أو الحيوانية، والحِيَل المسمَّاة نيرنجات أحسن أنواع السحر العَمَلي.

ثم قال: ولم يكن للحكماء قدرة علىٰ هذا العلم إلا بمعرفة علم الفلك.

(فيُتَّخَذ من تلك الجواهر هيكل علىٰ صورة الشخص المسحور ويُترصَّد له وقت مخصوص في طالع) مخصوص، وفي بعض النسخ: من المطالع **(وتُقرَن به)** أي عند عملِه **(كلمات)** أعجمية لا يُعرَف معناها **(يُتلفَّظ بها)** لقهر الملائكة الموكَّلة بهذه الأسماء علىٰ فِعل ما أقسم به المُقسِم، وتلك الكلمات لا تخلو **(من الكفر)** الصريح **(والفُحش المخالف للشرع)** كما هو صريح في قِسم دعوة الزُّهرة في كتاب «السر المكتوم» للرازي[1]، ويُستثنَىٰ من ذلك ما ثبتت صحتُه بمعنىٰ الأسماء الحسنىٰ عن كبار المشايخ الكاملين المقطوع لهم بالولاية مع العلوم

---

(١) السر المكتوم المنسوب للرازي ص ١١٨، ١٦٢ (ط - المطبعة الحجرية بمصر).

الشرعية، كما ورد في «أهيا أشر أهيا أذوناي أصبات سقفاطين سقاطيم أهون وادم حم هاء آمين»، والأسماء التي في أول الدائرة الشاذلية وهي «طهور يدعىٰ محببه صورة محببه سقفاطين سقاطيم أهون وادم حم هاء آمين»، والأسماء التي في أثناء حزب سيدي إبراهيم الدسوقي قُدِّس سره، والبرهتية المسماة بالعهد السليماني وأمثالها (**ويُتوصَّل بسببها إلىٰ الاستعانة بالشياطين**) فيُقهَر بها الملائكة الموكَّلة بتلك الأسماء.

ثم[1] إن لهم في السِّحر طرقًا مختلفة، فطريقة الهند بتصفية النفوس بأنواع الرياضات، وحبس الأنفاس. وطريقة النبط[2] بعمل العزائم في الأوقات المناسبة لها. وطريقة اليونان بتسخير روحانية الأفلاك والكواكب. وطريقة العِبْرانيين والقِبْط والعرب بذكر الأسماء التي تقدَّم ذِكرُها، ولكل هؤلاء مؤلَّفات، فمن المشهورات علىٰ طريقة العِبْرانيين: «الإيضاح»[3]، و«البساتين في استخدام الإنس لأرواح الجن والشياطين»، و«بُغْية الناشد ومطلب القاصد». وعلىٰ طريقة اليونانيين: رسائل أرسطو، و«غاية الحكيم» للمجريطي، وكتاب طيماوس[4]، وكتاب «الوقوفات [للكواكب][5]». وعلىٰ طريقة الهند والنبط: «القماعيل الكبير» و«القماعيل الصغير»، و«مراتب المعاني والبرهان». وعلىٰ طريقة القبط والعرب: «عالَم المعاني

---

(١) مفتاح السعادة ١/ ٣١٥. كشف الظنون ٢/ ٩٨١.

(٢) النبط أو الأنباط: شعب عربي قديم سكن منطقة شمال الجزيرة العربية وجنوب الشام. وقد أقام الأنباط مملكة واسعة عاصمتها مدينة البتراء، وامتدت هذه المملكة حتىٰ ضمت دمشق والبقاع والنقب وخليج العقبة وأجزاء من سيناء، وعملوا بالتجارة والزراعة وبعض الصناعات البدائية كصناعة الحلي والفخار، وانتهت هذه المملكة باحتلال الرومان لمدينة البتراء عام ١٠٦ م.

(٣) للمجريطي، كما في كشف الظنون ١/ ٢١٤.

(٤) لأرسطو، كما في الكشف ٢/ ١٤٣٦.

(٥) زيادة من مفتاح السعادة.

في إدراك العالَم الإنساني»[١]، و«حقيقة المعارف»، و«أسرار الأجرام»[٢]، و«بهجة النفوس»، و«غاية الأمل»[٣]، و«المقصد الأتم»، و«سرور النفوس»، وغير ذلك.

(**ويحصل من مجموع ذلك**) ممَّا ذكرناه (**بحكم إجراء الله تعالىٰ العادةَ أحوالٌ غريبة في الشخص المسحور**) تتحيَّر لها الأفكار، وتتلاشىٰ منها العقول، وكل ما كان ويكون بقضاء الله تعالىٰ وقَدَرِه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ويرضىٰ، لا يُسئل عمَّا يفعل وهم يُسئلون (**ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة**) إذا[٤] احتُرز عن العمل بها، إلا إن قام شقيٌّ ساحر يدَّعي النبوة ويُظهِر بقوة السحر أمورًا خارقة ويقول: هذه معجزتي علىٰ النبوة، فعند ذلك يُفتَرض وجود شخص قادر لدفعه بالعمل، ولذلك قال بعض العلماء: تعلُّم العلم خيرٌ من جهله، ومَن تعلَّمه بقصد دفع الضرر كان ذلك في حقِّه فرض كفاية (**ولكنها**) أي تلك المعرفة (**ليست تصلُح إلا للإضرار بالخَلْق**) غالبًا، وهو حرام (**والوسيلة إلىٰ الشرِّ شرٌّ**) أي ما يُتوصَّل به إلىٰ الشر شرٌّ (**فكان ذلك هو السبب في كونه علمًا مذمومًا**) وقد وردت في ذمِّه أحاديث ما بين صحاح وحِسان، فمنها ما أخرجه البخاري في صحيحه[٥] عن أبي هريرة: «اجتنِبوا الموبِقات: الشرك بالله،

---

(١) كذا في المطبوعة، وظاهر صنيع الشارح أنهما كتابان، والذي في مفتاح السعادة أنه كتاب واحد اسمه: مرآة المعاني في إدراك العالم الإنساني، وهو علىٰ طريقة الهند. وكذا هو في كشف الظنون ٢/ ١٦٤٩.

(٢) في الكشف ١/ ٨٢: أسرار الأدوار وتشكيل الأنوار، لأحمد بن علي البوني، في الطلسمات. وذكر كتابًا آخر ١/ ٨٣ باسم: أسرار الشمس والقمر، في النيرنجات، لأبي بكر ابن وحشية.

(٣) في الكشف ٢/ ١١٩٠: «غاية الأمل في التصريف والمعاناة وما يتصرف من علوم الرياضات، رسالة مختصرة لابن وحشية، نقله من كتب الحكماء».

(٤) كشف الظنون ٢/ ٩٨٠ بتصرف.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ٤٨.

والسحر». وفي رواية مسلم[١] وأبي داود[٢] والنسائي[٣]: «اجتنِبوا السبع الموبِقات: الشرك بالله، والسحر، وقتلُ النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكلُ مال اليتيم، وأكلُ الربا، والتولِّي يوم الزحف، وقذفُ المحصَنات المؤمنات الغافلات».

والموبِقات هي المُهلِكات، وقول السبكي: الموبِقة أخص من الكبيرة وليس في حديث أبي هريرة أنها الكبائر، تعقَّبه الحافظ ابن حجر بالرد[٤].

قال المناوي[٥]: السحر إن اقترن بكفر فكفر وإلا فكبيرة عند الشافعي، وكفرٌ عند غيره، وتعلُّمه إن لم يكن لذَبِّ السَّحَرة عند نشره حرامٌ عند الأكثر، وعلىٰ ذلك يُحمَل قول الإمام الرازي في تفسيره[٦]: اتفق المحقِّقون علىٰ أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محذور؛ لأن العلم [لذاته][٧] شريف، ولعموم ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الزمر:٩] ولأن السحر لو لم يُعلَم لَما أمكن الفرقُ بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المُعجِز معجزًا واجبٌ، وما يتوقَّف عليه الواجب واجب. قال: فهذا يقتضي كون العلم به واجبًا، وما يكون واجبًا فكيف يكون حرامًا أو قبيحًا؟!

(**بل مَن اتَّبع وليًّا من أولياء الله تعالىٰ ليقتله وقد اختفىٰ منه في موضع حَرِيز**) أي منيع (**إذا سأله الظالم عن محلِّه**) الذي هو فيه (**لم يجُز تنبيهُه عليه**) وتعريفه

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٥٤.

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٣٩٧.

(٣) سنن النسائي ص ٥٧١. وفيه: الشح، بدل: السحر.

(٤) فتح الباري ١٢/ ١٨٩، حيث قال: والمراد بالموبقة هنا الكبيرة، كما ثبت في حديث أبي هريرة من وجه آخر أخرجه البزار وابن المنذر من طريق عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: «الكبائر: الشرك بالله وقتل النفس ...» الحديث.

(٥) فيض القدير ١/ ١٣٩.

(٦) تفسير الفخر الرازي ٣/ ٢٣١.

(٧) زيادة من تفسير الرازي.

إياه (**بل وجب الكذب في ذلك**) للمصلحة الشرعية (**وذِكرُ موضعه**) له (**إرشاد**) في الظاهر وصدقٌ (**وإفادة علم بالشيء علىٰ ما هو عليه، ولكنه مذموم لأدائه إلىٰ الضرر**) بقتل الرجل الصالح.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه[1] في ترجمة ميمون بن مِهْران من رواية ابن أبي الدنيا، حدثني أبي، حدثنا إسماعيل ابن عُلَيَّة، أخبرنا سوار بن عبد الله قال: بلغني أن ميمون بن مهران كان جالسًا وعنده رجل من قرَّاء الشام، فقال: إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق. فقال [الشامي: لا] الصدق في كل موطن خيرٌ. فقال ميمون: أرأيتَ لو رأيتَ رجلاً يسعىٰ وآخَر يتبعه بالسيف فدخل النار فانتهىٰ إليك فقال: أرأيتَ الرجل؟ ما كنتَ قائلاً؟ قال: كنت أقول: لا. قال: فذاك.

وقول الشيخ: «بل يجب الكذب في ذلك» هو أحد المواضع التي تكلموا عليه فيه، ونحن نبيِّن لك حاصل ما قاله المحقِّقون.

أخرج البخاري في صحيحه[2] من طريق الزهري أن حُمَيد بن عبد الرحمن أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عُقْبة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذَّاب الذي يُصلِح بين الناس فيَنْمي خيرًا أو يقول خيرًا». وزاد مسلم[3] في هذا الحديث: قالت: ولم أسمعه يرخِّص في شيء مما يقول الناسُ إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأتَه وحديث المرأة زوجها.

وجعل يونس ومعمر[4] هذه الزيادةَ عن الزهري.

---

(١) تاريخ دمشق ٦١/ ٣٦٦. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢٦٦.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٧.

(٤) الذي في صحيح مسلم أن معمرًا روىٰ هذا الحديث عن الزهري إلىٰ قوله: ونمىٰ خيرًا، ولم يذكر ما بعده.

قال الخطيب[١]: القول قولهما، والحقُّ معهما، وذكره أيضًا موسىٰ بن هارون وقال: آخِر حديث رسول الله ﷺ: أو يقول خيرًا. يعني كما عند البخاري.

وللترمذي[٢]: «لا يحِلُّ الكذبُ إلا في ثلاث: يحدِّث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليُصلِح بين الناس».

قال ابن الملقن[٣]: قال الطبري: اختلف العلماء في ذلك، فقالت طائفة: الكذب المرخَّص فيه في هذه الثلاث هو جميع معاني الكذب، وحمله قومٌ علىٰ الإطلاق وأجازوا قولَ ما لم يكن في ذلك لِما فيه من المصلحة؛ فإن الكذب المذموم إنما هو فيما فيه مضرَّة للمسلمين. وقال آخَرون: لا يجوز الكذب في شيء من الأشياء، ولا الخبر عن شيء بخلاف ما هو عليه، وما جاء في هذا إنما هو علىٰ التورية. وروىٰ مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: لا يصلح الكذبُ في جدٍّ ولا هزل. وقال آخَرون: بل الذي رُخِّص فيه هو المعاريض، وهو قول سفيان وجمهور العلماء.

وقال المهلَّب: ليس لأحد أن يعتقد إباحةَ الكذب، وقد نهىٰ النبي ﷺ عن الكذب نهيًا مطلقًا، وأخبر أنه يجانب الإيمانَ، فلا تجوز استباحةُ شيء منه، وإنما أطلق عليه الصلاة والسلام للصلح بين الناس أن يقول ما علم من الخير بين الفريقين، ويسكت عمَّا سمع من الشر بينهم، وبعد أن يسهِّل ما صعُب، ويقرِّب ما بعُد، لا أنه يخبر بالشيء علىٰ خلاف ما هو عليه؛ لأن الله قد حرَّم ذلك ورسولُه،

---

(١) انظر: الفصل للوصل المدرج في النقل للخطيب البغدادي ١/ ٢٥٨ - ٢٧٥ (ط - دار الهجرة بالرياض).

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٤٩٤ من حديث أسماء بنت يزيد، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث أسماء إلا من حديث ابن خثيم، وروىٰ داود بن أبي هند هذا الحديث عن شهر بن حوشب عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه أسماء.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ١٧/ ١٩ - ٢٢ باختصار.

وكذلك الرجل يَعِد المرأة ويُمَنِّيها، وليس هذا من طريق الكذب؛ لأن حقيقة الكذب: الإخبار عن الشيء علىٰ خلاف ما هو عليه، والوعد لا يكون حقيقة حتىٰ يُنجَز، والإنجاز مرجو في الاستقبال، فلا يصلُح أن يكون كذبًا، وكذلك في الحرب إنما يجوز فيها المعاريض والإيهام بألفاظ تحتمل وجهين يؤدَّىٰ بها عن أحد المعنيينِ؛ ليغرَّ السامع بأحدهما عن الآخَر، وليس حقيقة الإخبار عن الشيء بخلافه وضده.

قال الطبري: والصواب من ذلك قول مَن قال: الكذب الذي أذن فيه الشارع هو ما كان تعريضًا ينحو به نحو الصدق، وأما صريح الكذب فهو غير جائز لأحد، كما قال ابن مسعود لمَّا روىٰ عن رسول الله ﷺ من تحريمه والوعيد عليه، وأما ما رواه الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال: كنا عند عثمان، وعنده حذيفة، فقال له عثمان: بلغني عنك أنك قلت كذا وكذا. فقال حذيفة: واللهِ ما قلتُه. قال: وقد سمعناه قال ذلك، فلما خرج قلنا له: أليس قد سمعناك تقوله؟ قال: بلىٰ. قلنا: فلِمَ حلفتَ؟ قال: إني أشتري ديني بعضه ببعض مخافةَ أن يذهب كلُّه - فهذا خارج عن معاني الكذب الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنه أذن فيها، وإنما ذلك من جنس إحياء الرجل نفسَه عند الخوف، كالذي يضطر إلىٰ الميتة ولحم الخِنزير فيأكل ليحيي نفسَه، وكذلك الخائف له أن يخلِّص نفسه ببعض ما حرَّم الله عليه، وله أن يحلف علىٰ ذلك ولا حرج عليه ولا إثم.

وقال الراغب في الذريعة[1]: ذهب كثير من المتكلِّمين إلىٰ أن الصدق يحسن لعينه، والكذب يقبح لعينه، وقال كثير من الحكماء والمتصوِّفة: إن الكذب يقبح لِما يتعلق به من المضارِّ الحاصلة، والصدق يحسن لِما يتعلق به من المنافع الحاصلة، وذلك أن الأقوال من جملة الأفعال، ومن الأفعال ما لا يحسن ولا يقبح لذاته،

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ١٧٤ - ١٧٦ باختصار.

بل إنما يحسن ما يحسن لِما يتعلق به في النفع[١]. قالوا: والكذب إنما يقبح بثلاث شرائط: أن يكون الخبر بخلاف المخبَر عنه، وأن يكون المخبِر قد اختلقه قبل[٢] الإخبار به، وأن يقصد إيراد ما في نفسه لاندفاع ضرر أعظم من ضرر ذلك الكذب، مع شرط أن لا يمكن الوصول إلىٰ ذلك النفع بغيره، ومع أنه إذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلاً وآجلاً. قالوا: ولا يلزم علىٰ هذا أن يقال: جوِّزوا الكذب فيما يُرجَىٰ منه نفع دنيوي، فالمنفعة الدنيوية ولو كانت مُلْك الدنيا بحذافيرها لا توفي علىٰ ضرر هذا[٣]، بل الذي قلناه يُتصوَّر في نفعٍ أخروي يكون الإنسان فيه عاجلاً وآجلاً معذورًا، كمن سألك عن مسلم استتر في دارك وهو يريد قتله، فيقول: هل فلان في دارك؟ فتقول: لا. فهذا يجوز؛ فإن نفع هذا الكذب موفٍ علىٰ ضرره، وهو فيه معذور، وأما الصدق فإنه يحسن حيث يتعلق به نفعٌ ولا يلحق ضررٌ بأحد، فمعلوم قبح النميمة والغيبة والسعاية وإن كانت صدقًا. ا.هـ.

فاتَّضح بما ذكرناه صحةُ قول الشيخ رحمه الله تعالىٰ، ولا عبرة بجمهور المخالفين له فيه.

(الثاني: أن يكون مضرًّا بصاحبه في غالب الأمر، كعلم النجوم؛ فإنه في نفسه غير مذموم لذاته؛ إذ هو قسمان) اعلم[٤] أن علم النجوم علمٌ بأحكام يستدَلُّ بها علىٰ معرفة الحوادث الكائنة في عالَم الكون من الصلاح والفساد بالتشكُّلات الفلكية وهي أوضاع الأفلاك والكواكب كالمقارَنة والمقابَلة والتثليث والتربيع إلىٰ غير ذلك، وهو عند الإطلاق ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: **(قسم حِسابي)** وهو يقينيٌّ [فلا

---

(١) عبارة الراغب: وإنما يقبح لما يتعلق به من الضرر علىٰ ما فيه من النفع وبالعكس.

(٢) في الذريعة: عند.

(٣) في الذريعة: لا تعادل ضرر أدنىٰ كذب.

(٤) كشف الظنون ٢/ ١٩٣٠.

منع][1] في علمه شرعًا (وقد نطق القرآن بأن سير الكواكب محسوب؛ إذ قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾) [الرحمن:٥] أي[2] يجريان بحساب وتقدير لا يعلمه إلا [مقدِّره أو][3] مَن أطلعه من خَلْقِه عليه، فلا يجاوِزان ما قُدِّر لهما من جريهما[4] ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝﴾ [القمر:٤٠] قيل: الحُسْبان جمع حساب، والأصوب أنه مصدر، يقال: حَسَبَ الشيءَ يحسبه حُسْبانًا، وأصل الحساب: استعمال العدد والتقدير.

قال عبد بن حُمَيد في سننه: حدثنا جعفر بن عون، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾ قال: بحساب ومنازل[5].

وقال مجاهد في تفسيره فيما رواه عبد بن حميد عن شَبابة عن وَرْقاء عن ابن أبي نجيح عنه قال: كحُسْبان الرَّحَىٰ[6].

والقولان ذكرهما البخاري في صحيحه[7].

(وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝﴾) [يس:٣٩]

---

(١) زيادة من الكشف.

(٢) عمدة الحفاظ للسمين ١/ ٤٠١.

(٣) زيادة من عمدة الحفاظ.

(٤) في عمدة الحفاظ: حركتهما.

(٥) في الدر المنثور للسيوطي ١٤/ ١٠٤: «أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: بحساب ومنازل يرسَلان. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبي مالك قال: عليهما حساب وأجل كأجل الناس، فإذا جاء أجلهما هلكا».

(٦) ورواه الطبري في تفسيره ٢٢/ ١٧٢ من طريق محمد بن يوسف عن ورقاء. وروىٰ أيضـًا من طريق إسرائيل عن أبي يحيىٰ عن مجاهد قال: يدوران في مثل قطب الرحىٰ.

(٧) صحيح البخاري ٢/ ٤٢٠، ٣/ ٣٠٢. ولم ينسب القول الأول إلىٰ أحد بعينه، بل قال: «وقال غيره -أي غير مجاهد-: بحساب ومنازل لا يعدوانها».

منازل[١] القمر ثمان وعشرون، وهي: الشَّرْطان، والبُطَين، والثُّريَّا، والدَّبَران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرفة، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعوَّاء، والسمَّاك [الأعزل]، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو المقدَّم، وفرع الدلو المؤخَّر، والرشاء.

والعُرْجون[٢] فُعْلون من الانعراج، أي الانعطاف، والمراد به عود الكِباسة التي عليها الشماريخ للعِذْق، فإذا قَدُمَ تقوَّس واصفرَّ، ولذلك شُبِّه به الهلال في آخر الشهر وأوله.

(والثاني): قسم طبيعي، كالاستدلال بانتقال الشمس في البروج الفلكية علىٰ تغيُّر الفصول بالحر والبرد والاعتدال، وهذا ليس بمردود شرعًا أيضًا.

والثالث: قسم وهميٌّ، ويسمَّىٰ: علم **(الأحكام)** وفي «مفتاح السعادة»[٣]: اعلم أن أحكام النجوم غير علم النجوم؛ لأن الثاني يُعرَف بالحساب، فيكون من فروع الرياضي، والأول يُعرَف بدلالة الطبيعة علىٰ الآثار، فيكون من فروع الطبيعي، ولهما فروع، منها: علم الاختيارات، وعلم الرمل، وعلم الفال، وعلم القُرْعة، وعلم الطِّيرة والزجر. ا.هـ.

وهذا الذي ذكره من الفرق لا بأس به، ولكن هذا أعمُّ متىٰ أُطلِق في العقليات أُريدَ به الأحوال الغيبية المستنتَجة من مقدِّمات معلومة هي الكواكب من جهة حركاتها ومكانها وزمانها[٤].

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ٥/ ١٧٨.

(٢) عمدة الحفاظ للسمين ٣/ ٤٨.

(٣) مفتاح السعادة ١/ ٣٣٥.

(٤) كشف الظنون ١/ ٢٢.

(وحاصله يرجع إلىٰ الاستدلال علىٰ الحوادث) الكونية **(بالأسباب)** من اتصال الكواكب بطريق العموم والخصوص، وهذا لا استناد له إلىٰ أصل شرعي، فهو مردود شرعًا[1] **(وهو يضاهي)** أي يشبه **(استدلال الطبيب بالنبض)** أي بجَسِّه **(علىٰ ما سيحدث)** للمريض **(من المرض، وهو معرفة بمجاري سنَّة الله تعالىٰ وعادته في خَلْقه، ولكنه مذموم في الشرع)** قال المولىٰ أبو الخير[2]: واعلم أن كثيرًا من العلماء علىٰ تحريم علم النجوم مطلقًا، وبعضهم علىٰ تحريم اعتقاد أن الكواكب مؤثِّرة بالذات، وقد ذُكر عن الإمام الشافعي رحمه الله قال: إن اعتقد المنجِّم أن المؤثِّر الحقيقي هو الله تعالىٰ لكن عادته تعالىٰ جارية علىٰ وقوع الأحوال بحركاتها وأوضاعها المعهودة ففي ذلك لا بأس به عندي، وحيث جاء الذم[3] ينبغي أن يُحمَل علىٰ مَن يعتقد تأثير النجوم؛ كذا ذكره ابن السبكي في طبقاته الكبرىٰ، وعلىٰ[4] هذا يكون إسناد ذلك إلىٰ النجم مذمومًا، فقد قال العلماء: إن اعتقاد التأثير لها في شيء ما حرام إذا أُوِّل، وإذا لم يؤوَّل فهو كفرٌ والعياذ بالله تعالىٰ. ا.هـ.

ونقل الخطيب من كتاب الأنواء لأبي حنيفة[5]: المنكَر من النظر في النجوم

---

(١) كشف الظنون ٢/ ١٩٣٠.

(٢) مفتاح السعادة ١/ ٣١٤.

(٣) في المطبوعة: وحديث الذم، والمثبت من مفتاح السعادة وطبقات السبكي ٢/ ١٠٢.

(٤) من هنا إلىٰ قوله «حرام» نقله الشارح عن كشف الظنون ٢/ ١٩٣١ ونصه: وعلىٰ هذا يكون إسناد التأثير حقيقة إلىٰ النجوم مذموماً، فقد قال بعض العلماء: إن اعتقاد التأثير بذاتها حرام.

(٥) في كتاب القول في علم النجوم للخطيب ص١٦٦ (ط - دار أطلس بالرياض) نسبة هذا الكلام إلىٰ أبي إسحاق الزجاج، وله أيضاً كتاب يسمىٰ الأنواء، ونصه: «إنما جاء التغليظ في هذا -والله أعلم- أن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر الذي جاء عند سقوط النجم هو فعل النجم، ولا يجعلونه سقيا من الله تعالىٰ وإن كان وافق سقوط النجم، وأما من نسب ذلك إلىٰ الله تعالىٰ وجعله وقتاً كمواقيت الليل والنهار كان ذلك حسناً». وأبو حنيفة المذكور هو أحمد بن داود الدينوري، وليس بأبي حنيفة الإمام.

نسبة الآثار إلىٰ الكواكب، وأنها هي المؤثِّرة، وأما مَن زعم التأثير إلىٰ خالقها وزعم أنه نصبها أعلامًا علىٰ ما يُحدِثه فلا جُناح عليه. ا.هـ.

قلت: وذكر بعضهم أن ممَّا يشهد بصحة علم الأحكام بنية بغداد، فقد أحكمها الواضعُ والشمس في الأسد، وعُطارد[1] في السنبلة، والقمر في القوس، فقضىٰ الحقُّ أن لا يموت فيها ملك، ولم تزل كذلك، وهذا بحسب العموم، وأما بالخصوص فمتىٰ علمتَ مولد شخص سهل عليك الحكمُ لكل ما يتم له من مرض وعلاج وكسب وغير ذلك؛ كذا في تذكرة داود[2].

ويمكن[3] المناقشة في شاهده بعد الإمعان في التواريخ، لكن لا يلزم من الجرح بطلان دعواه.

فإن قيل[4]: لِمَ لا يجوز أن يكون بعض الأجرام العلوية أسبابًا للحوادث السفلية، فيستدل المنجِّم العاقل من كيفية حركات النجوم واختلاف مناظرها وانتقالاتها من برج إلىٰ برج علىٰ بعض الحوادث الكائنة قبل وقوعها، كما يستدل الطبيب الحاذق بكيفية حركة النبض علىٰ حدوث العلَّة قبل وقوعها؟

يقال: يمكن علىٰ طريق إجراء العادة أن يكون بعض الحوادث سببًا لبعضها، لكن لا دليل فيه علىٰ كون الكواكب أسبابًا وعللاً للسعادة والنحوسة لا حسًّا ولا عقلاً ولا سماعًا؛ أما عقلاً فسيأتي بيانه قريبًا في الوجه الثاني من الأوجه الثلاثة في الزجر عنه، وأما سماعًا فقد (**قال** رسول الله ﷺ: **إذا ذُكر القَدَر فأمسِكوا، وإذا ذُكرت النجوم فأمسِكوا، وإذا ذُكر أصحابي فأمسِكوا**) قال العراقي[5]: أخرجه

---

(١) عطارد: هو أقرب الكواكب إلىٰ الشمس.

(٢) تذكرة أولي الألباب لداود الأنطاكي ٢/ ٢٣.

(٣) كشف الظنون ١/ ٢٢.

(٤) كشف الظنون ٢/ ١٩٣١.

(٥) المغني ١/ ٢٥.

الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن. ا.هـ.

أي في معجمه الكبير[١] من رواية مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمداني عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله رفعه، وفيه تقديم الجملة الأخيرة ثم الثانية ثم الأولىٰ.

ورواه الخطيب في كتاب «القول في علم النجوم»[٢] بلفظ المصنِّف من رواية أبي قَحْذَم عن أبي قِلابة عن ابن مسعود، وأبو قحذم اسمه النضر بن مَعْبَد، ليس بشيء؛ قاله ابن معين[٣]. وأبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود.

ورواه الطبراني[٤] أيضًا من حديث ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ؛ نبَّه عليه الحافظُ ابن حجر، وابن عدي في الكامل عن عمر بن الخطاب[٥] بسند ضعيف، وقال الهيثمي[٦]: فيه يزيد بن ربيعة، وهو ضعيف.

ورواه أبو الشيخ في كتاب الطبقات[٧] من رواية الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا في أثناء حديث.

---

(١) المعجم الكبير ١٠/ ٢٤٣.

(٢) القول في علم النجوم ص ١٧٧.

(٣) ميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٣، ٥٦٤.

(٤) المعجم الكبير ٢/ ٩٦.

(٥) كذا قال الشارح تبعا للمناوي في فيض القدير ١/ ٣٤٨، وإنما هو من حديث ابنه عبد الله، كما في الكامل لابن عدي ٦/ ٢١٧٢. وليس فيه ذكر النجوم.

(٦) مجمع الزوائد ٧/ ٤١١.

(٧) طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ ٤/ ١٣٣ ولفظه: «خرج رسول الله ﷺ علىٰ أصحابه وهم يتذاكرون شيئًا من القدر، فخرج مغضبا فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: أبهذا أمرتم؟ أما نهيتم عن هذا؟ إنما هلكت الأمم من قبلكم في هذا، إذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا».

منازل[١] القمر ثمان وعشرون، وهي: الشَّرْطان، والبُطَين، والثُّرَيَّا، والدَّبَران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرفة، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعوَّاء، والسمَّاك [الأعزل]، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو المقدَّم، وفرع الدلو المؤخَّر، والرشاء.

والعُرْجون[٢] فُعْلون من الانعراج، أي الانعطاف، والمراد به عود الكِباسة التي عليها الشماريخ للعِذْق، فإذا قَدُمَ تقوَّس واصفرَّ، ولذلك شُبِّه به الهلال في آخر الشهر وأوله.

(والثاني): قسم طبيعي، كالاستدلال بانتقال الشمس في البروج الفلكية علىٰ تغيُّر الفصول بالحر والبرد والاعتدال، وهذا ليس بمردود شرعًا أيضًا.

والثالث: قسم وهميٌّ، ويسمَّىٰ: علم **(الأحكام)** وفي «مفتاح السعادة»[٣]: اعلم أن أحكام النجوم غير علم النجوم؛ لأن الثاني يُعرَف بالحساب، فيكون من فروع الرياضي، والأول يُعرَف بدلالة الطبيعة علىٰ الآثار، فيكون من فروع الطبيعي، ولهما فروع، منها: علم الاختيارات، وعلم الرمل، وعلم الفال، وعلم القُرْعة، وعلم الطِّيرة والزجر. ا.هـ.

وهذا الذي ذكره من الفرق لا بأس به، ولكن هذا أعمُّ متىٰ أُطلِق في العقليات أُريدَ به الأحوال الغيبية المستنتَجة من مقدِّمات معلومة هي الكواكب من جهة حركاتها ومكانها وزمانها[٤].

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ٥/ ١٧٨.

(٢) عمدة الحفاظ للسمين ٣/ ٤٨.

(٣) مفتاح السعادة ١/ ٣٣٥.

(٤) كشف الظنون ١/ ٢٢.

وأخرج الطبراني[١] من حديث أبي أمامة رفعه: «إن أخوف ما أخاف علىٰ أمَّتي في آخر زمانها النجوم وتكذيب بالقَدَر وحَيْف السلطان».

وأخرج أحمد[٢] والبزار[٣] وأبو يعلىٰ[٤] والطبراني في معاجمه الثلاثة[٥] من حديث جابر بن سَمُرة بلفظ: «ثلاثًا أخاف علىٰ أمَّتي: استسقاء بالأنواء، وحَيْف السلطان، وتكذيب بالقَدَر».

وأخرج أبو يعلىٰ في مسنده[٦] وابن عدي في الكامل[٧] والخطيب في كتاب النجوم[٨] عن أنس بسند حسن: «أخاف علىٰ أمَّتي بعدي خصلتين: تكذيبًا بالقَدَر، وتصديقًا بالنجوم».

ومن شواهد الحديثين: ما أخرجه الديلمي في الفردوس وابن صَصْرَىٰ في أماليه عن عمر بن الخطاب مرفوعًا: «لا تسألوا عن النجوم، ولا تماروا في القَدَر، ولا تفسِّروا القرآن برأيكم، ولا تسبُّوا أحدًا من أصحابي؛ فإن ذلك الإيمان المحض». هكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير[٩].

قلت: وأخرجه الخطيب في «ذم النجوم»[١٠] من حديث إسماعيل بن عياش

---

(١) المعجم الكبير ٨/ ٣٤٨.
(٢) مسند أحمد ٣٤/ ٤٢٣.
(٣) مسند البزار ١٠/ ٢٠١.
(٤) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ٤٥٥، ٤٦٠.
(٥) المعجم الكبير ٢/ ٢٠٨. المعجم الأوسط ٢/ ٢٣٨. المعجم الصغير ١/ ٨٥.
(٦) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ١٦٢.
(٧) الكامل ٤/ ١٣٥٠.
(٨) القول في علم النجوم للخطيب ص ١٦٢، ١٦٣.
(٩) كنز العمال ١٦/ ٧٥.
(١٠) القول في النجوم ص ١٧٥.

عن البختري بن عبيد عن أبيه عن أبي ذر عن عمر موقوفًا[١]؛ كذا في شرح ابن الملقن علىٰ البخاري.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلَّموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسِكوا) عزاه الشيخ إلىٰ عمر بن الخطاب ووقفه عليه، ولم يتعرَّض له العراقي في تخريجه، وقد رُوي ذلك مرفوعًا عن ابن عمر، أخرجه ابن مردويه في التفسير[٢] والخطيب البغدادي في كتاب «ذم النجوم»[٣]، ولفظهم: «تعلَّموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا».

قال المناوي[٤]: قال عبد الحق: وليس إسناده ممَّا يُحتجُّ به. انتهىٰ.

وقال ابن القطَّان[٥]: فيه مَن لا أعرف. انتهىٰ.

لكن رواه ابن زنجويه من طريق آخَر، وزاد: «وتعلَّموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا».

قال المناوي في شرح قوله «ثم انتهوا» ما نصُّه: فإن النجامة تدعو إلىٰ الكهانة، والمنجِّم كاهن، والكاهن ساحر، والساحر كافر، والكافر في النار؛ كذا علَّله عليٌّ كرَّم الله وجهه.

---

(١) بل مرفوعا إلىٰ النبي ﷺ.

(٢) انظر: الدر المنثور ٦/ ١٥٠.

(٣) القول في النجوم ص ١٣١ بلفظ: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، ومن النجوم ما تهتدون به في الظلمات.

(٤) فيض القدير ٣/ ٢٥٦.

(٥) بيان الوهم والإيهام لابن القطان ٣/ ٣٠٦ ونصه بعد أن أورد كلام عبد الحق: «وهو كما ذكر، ولكن لا أدري ما جهل منهما وما علم، فمبارك بن فضالة يوثقه قوم ويضعفه آخرون، وهانئ بن يحيىٰ أبو مسعود السلمي ثقة، ومحمد بن عبد الله بن حبيب الواسطي أبو بكر ابن الخباز ثقه؛ قاله أحمد بن سنان الواسطي، وأما أسلم بن سهل وعلي بن حميد فلا أعرفهما».

قال ابن رجب(١): فالمأذون في تعلُّمه علم التسيير لا علم التأثير؛ فإنه باطل محرَّم قليله وكثيره، وفيه ورد الخبر: «مَن اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من الكفر(٢)». وأما علم التسيير فتعلُّم ما يُحتاج إليه من الاهتداء ومعرفة القِبلة [والطرق جائز عند الجمهور بهذا الخبر](٣) وما زاد عليه فلا حاجة إليه؛ لشَغْلِه عمَّا هو أهم منه، وربما أدَّىٰ تدقيق النظر فيه إلىٰ إساءة الظن بمحاريب المسلمين [في أمصارهم](٤) كما وقع من أهل هذا العلم قديمًا وحديثًا، وذلك مفضٍ إلىٰ اعتقاد خطأ السلف(٥) في صلاتهم [في كثير من الأمصار](٦) وهو باطل. ا.هـ.

قال الزمخشري: كان علماء بني إسرائيل يكتمون علمينِ عن أولادهم: النجوم والطب؛ لئلاَّ يكونا سببًا لصحبة الملوك فيضمحل دينُهم. ا.هـ.

وفي صحيح البخاري(٧): قال قتادة: [خلق] هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدَىٰ بها، فمَن تأوَّل فيها بغير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به.

قال ابن الملقن(٨): هذا التعليق قد أخرجه عبد بن حُمَيد في

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب ٣/ ١٢.

(٢) في مجموع الرسائل: السحر.

(٣) زيادة من الفيض ومجموع الرسائل.

(٤) زيادة من مجموع الرسائل.

(٥) في مجموع الرسائل: الصحابة والتابعين.

(٦) زيادة من مجموع الرسائل.

(٧) صحيح البخاري ٢/ ٤٢٠. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٨) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ١٩/ ٢٧ - ٢٩.

وقال ابن حجر في الفتح ٦/ ٣٤١: «وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه به، وزاد في آخره: وإن ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من غرس بنجم كذا كان كذا، ومن سافر بنجم كذا كان كذا، ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولد به الطويل والقصير والأحمر =

تفسيره[١] عن يونس عن سفيان عنه بلفظ: فمَن تأوَّل فيها غير ذلك فقد قال برأيه.

قال الداودي: وهو قول حسنٌ، إلا قوله «أخطأ وأضاع [نصيبه][٢]» فقصَّر فيه؛ لأن مَن قال فيها بالعصبية كافر. ا.هـ.

وأخرج الخطيب في «ذم النجوم»[٣] من حديث عبيد الله بن موسىٰ عن الربيع ابن حبيب عن نوفل بن عبد الملك عن أبيه عن عليٍّ: نهاني رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم.

وعن أبي هريرة وعائشة وابن مسعود وابن عباس نحوه.

وعن[٤] الحسن أن قيصر سأل قُسَّ بن ساعدة الإيادي: هل نظرتَ في النجوم؟ قال: نعم، نظرتُ فيما يُراد به الهداية، ولم أنظر فيما يراد به الكهانة، وقد قلتُ في النجوم أبياتًا وهي:

علمُ النجوم علىٰ العقول وبالُ ... وطِلاب شيءٍ لا يُنال ضلالُ

ماذا طِلابُك علمَ شيءٍ غُيِّبتْ ... من دونه الخضراءُ ليس يُنال

هيهات ما أحدٌ بغامضِ فطنةٍ ... يدري متىٰ[٥] الأرزاق والآجال

= والأبيض والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر شيء من هذا الغيب. قال الداودي: قول قتادة في النجوم حسن، إلا قوله: أخطأ وأضاع نفسه؛ فإنه قصر في ذلك، بل قائل ذلك كافر. انتهىٰ. ولم يتعين الكفر في حق من قال ذلك، وإنما يكفر من نسب الاختراع إليها، وأما من جعلها علامة علىٰ حدوث أمر في الأرض فلا».

(١) في المطبوعة: مسنده. والمثبت من التوضيح.

(٢) زيادة من التوضيح.

(٣) القول في النجوم ص ١٧٥ وزاد: وأمرني بإسباغ الطهور.

(٤) القول في النجوم ص ٢٠٤.

(٥) في التوضيح: كم.

إلا الـذي مـن فـوق عـرشٍ ربُّنـا   فلوجهـه الإكـرام والإجـلال

وقال المأمون[١]: علمان نظرتُ فيهما وأنعمت فلم أرَهما يصحّان: النجوم والسحر.

(وإنما زُجر عنه) أي عن تعلُّم علم النجوم (من ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: أنه مضرٌّ بأكثر الخَلْق) سيَّما مَن لم يُحكِم عقيدته على سَنَن السلف الصالحين (فإنه إذا أُلقي إليهم) في تفسير ما قرَّروه (أن هذه الآثار) من الحوادث والحركات (تحدث) وتقع (عقيبَ سير الكواكب) أي عند مقابلاتها (وقع في نفوسهم) في أول وهلة (أن الكواكب هي المؤثِّرة) بأنفُسها لتلك الحوادث (وأنها) أي تلك الكواكب (الآلهة المؤثِّرة) في الكون، كما وقع ذلك لكثير من جهلاء اليهود والنصارىٰ والفلاسفة (لأنها جواهر شريفة سماوية) فلا يبعُد الظنُّ عن نسبة التأثير والتدبير إليها (ويعظُم وقعُها في القلوب) لغرابتها، ويحسِّنه الشيطان ويزيِّنه في القلوب (فيبقىٰ القلب ملتفتًا إليها) أي إلىٰ الكواكب باستمالة الشيطان، ويتمكَّن ذلك في اعتقاده (ويرىٰ الخير والشر محذورًا) أي ممنوعًا (أو مرجوًّا من جهتها، و) حينئذٍ (يتنحَّىٰ) أي يبعُد (ذِكرُ الله تعالىٰ عن القلب) فإنه ليس له إلا وجهة واحدة (فإن الضعيف) الإيمان والاعتقاد (يُقصِر نظرَه) لقصوره (علىٰ الوسائط) ولا يتجاوز عنها (والعالِم الراسخ) في العلم (هو الذي يطَّلع علىٰ) أسرار أقوال الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، ويعتقد (أن الشمس والقمر والنجوم مسخَّرات بأمره سبحانه وتعالىٰ) أي جارية لمنافع العِباد، ويتدرَّج في معرفة ذلك إلىٰ معرفة سر التسخير الذي هو القهر والإذلال، وأنها لو كانت مؤثِّرة أو آلهة مدبِّرة لم تُقهَر ولم

---

(١) ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار ١/ ٨٧ (ط - مؤسسة الأعلمي ببيروت) من قول المأمون، وقد رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٣٦٩ من قول الفضل بن مروان البرداني وزير المعتصم. وكذا الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٤.

تُسخَّر (ومثال نظر الضعيف إلىٰ حصول ضوء الشمس عقيبَ طلوع الشمس مثال النملة لو خُلِقَ لها عقلٌ) مثلاً؛ إذ لها إدراكٌ ما (و) فُرض أنها (كانت في سطح) أي موضع سطح (في قِرْطاس) وفي بعض النسخ: كانت في ظهر قرطاس، وفي أخرىٰ: في سطح قرطاس (وهي تنظر إلىٰ سواد الخط ينحدر) وفي نسخة: يتجدَّد (فتعتقد أنه فعلُ القلم، ولا يترقَّىٰ نظرُها إلىٰ مشاهدة الأصابع) التي تملك القلمَ (ثم منها إلىٰ اليد) التي تركَّبت فيها تلك الأصابع (ثم منها إلىٰ الإرادة المحرِّكة لليد) وهي القوة المركَّبة من شهوة وحاجة وأمل، وهذا بالنظر إلىٰ أصل اللغة (ثم منها إلىٰ الكاتب القادر المريد، ثم منه إلىٰ خالق اليد والقدرة والإرادة) فهو نظر خامس في الترقِّي (فأكثر نظر الخَلْق مقصور علىٰ) المرتبة الأولىٰ وهي (الأسباب القريبة السافلة، مقطوع): مقصور (عن) النظر في (الترقِّي إلىٰ مسبِّب الأسباب) جل وعزَّ بادئ ذي بدء (وهذا أحد أسباب النهي عن) تعلُّم علم (النجوم) وفي نسخة: عن النجوم.

(وثانيها: أن أحكام النجوم) غالبها (تخمين محض) وحدس (ليس يُدرَك في حقِّ آحاد الأشخاص لا يقينًا ولا ظنًّا، فالحكم به حكمٌ بجهل) لأن أكثر القواعد التي قرَّروها تقديرية عقلية، فما تفرَّع منها من الأحكام في الحوادث الكونية أحرىٰ أن يكون كذلك (فيكون ذمُّه) الوارد في الأحاديث المتقدِّمة (علىٰ هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم) هذا، وقد ورد من حديث بُرَيدة الأسلمي رضي الله عنه: «إن من العلم جهلاً» كما سيأتي، وفُسِّر[1] بكونه علمًا مذمومًا، والجهل به خير منه، أو المراد أن من العلوم ما لا يحتاج إليه فيُشتغَل به عن تعلُّم ما يحتاج إليه في دينه فيصير علمه بما لا يعنيه جهلاً بما يعنيه (ولقد كان ذلك) أي علم النجوم (معجزة لإدريس صلوات الله عليه فيما يُحكىٰ) ويُروَىٰ «إن نبيًّا من الأنبياء قد

---

(١) فيض القدير ٢/ ٥٢٥. عون المعبود لشمس الحق العظيم آبادي ١٣/ ٣٥٤.

خَطَّ، فمَن وافق خطُّه خطَّه أصاب»[1]. قيل: هو إدريس، وقيل: دانيال عليه السلام، وأن المراد بالخط هو علم النجوم أو علم الرمل أو غير ذلك (**وقد اندرس ذلك العلمُ**) بعد وفاته (**وانمحق وانمحىٰ**) وزال (**و**) أما (**ما يتفق من إصابة**) أمر (**المنجِّم علىٰ ندور**) في بعض الأحيان (**فهو اتفاق**) ومصادفة (**لأنه قد يطَّلع علىٰ بعض الأسباب**) بحسب ظاهر قواعده (**ولا يحصل المسبَّب عقيبَها**) كما وقع ذلك لبعضهم أثناء المائة أنه أخبر عن يوم مخصوص في شهر كذا تهب رياح شديدة لا تُبقِي شجرًا ولا بناء إلا هدمتهما، وحذَّر الناس بذلك، وكتب قصيدته المتضمِّنة علىٰ الفضائح إلىٰ البلاد حتىٰ وصلت إلىٰ المغرب، وقد صدَّقه في كلامه أكثرُ الناس من المشارقة والمغاربة، وتهيَّأوا للجلاء عن بيوتهم واتخاذهم سراديب في البوادي والقِفار، فاتفق أنْ جاء ذلك اليوم ولم يكن فيه ممَّا ذكر شيء؛ ذكره البلوي في كتابه «ألف باء» (**إلا بعد شروط كثيرة**) وإحالات علىٰ أمور (**ليس في قدرة البشر الاطِّلاع علىٰ حقائقها**) وتفنىٰ الأعمارُ دونَ تحصيلها، فمن ذلك ما ذكروه في شروط عمل السحر: معرفة الطالع من البروج المستقيمة والمعوجة الطلوع، ومعرفة السعود والنحوس منها، ومعرفة نقاء القمر من الأعراض التي تصيبه، وما لكل كوكب وكل برج وما يصلُح له، ومعرفة كونه تحت شعاع القمر حتىٰ ينحل من العقدة، ومعرفة احتراقه بملاقاة جرمه جرم الشمس، وهو أشد المناحس، وأشباه ذلك من الخرافات التي يشترطونها في كتبهم.

(**فإن اتفق أن قدَّر الله تعالىٰ بقية الأسباب**) مع توفيته الشروط (**وقعت الإصابةُ، وإن لم يقدِّر أخطأ**) في حكمه ذلك (**ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأىٰ الغيم**) في آفاقها (**يجتمع وينبعث من الجبال**) فيتراكم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٢٤٣ عن معاوية بن الحكم السلمي في أثناء حديث طويل، ولفظه: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك».

بعضُه علىٰ بعض (**فيتحرك ظنُّه بذلك**) وتظهر له أماراتُ المطر فيحكم به (**وربما يَحْمَىٰ النهارُ بالشمس**) وتأتي رياح مخالفة (**ويتبدَّد**) أي يتفرق ذلك (**الغيمُ، وربما يكون بخلافه**) أي تمطر ناحيةٌ والشمس مضيئة (**ومجرَّد الغيم ليس كافيًا في حصول المطر، وبقية الأسباب لا تُدرَىٰ**) أي تُعلَم (**وكذلك تخمين الملاَّح**) وهو مَن يلازم خدمةَ السفن (**أن السفينة تسلم**) من الغرق (**اعتمادًا علىٰ ما أَلِفَه من**) جاري (**العادة في الرياح، ولتلك الرياح أسباب خفية**) المَدْرَك (**هو لا يطَّلع عليها**) إلا قليلاً ممن رسخ منهم (**فتارةً يصيب في تخمينه**) فيَسلم (**وتارةً يخطئ**) فيهلك (**ولهذه العلة يُمنع القوي**) في إيمانه واعتقاده (**عن**) النظر في (**النجوم أيضًا**) وهو ظاهر.

(**وثالثها: أنه لا فائدة فيه**) ولا طائلَ تحته (**فأقل أحواله أنه خوض في فضول**) هو جمع فضل، إلا أنه استُعمل استعمالَ المفرد فيما لا خير فيه[1] (**لا يغني شيئًا**) وفي نسخة: يغني شأنه (**وتضييع للعمر -الذي هو أنفَس بضاعة الإنسان- في غير فائدة**) شرعية تترتَّب عليها المصالح (**وذلك غاية الخسران**) فإن الوقت سيف، إن لم تقطعه في خير قطعك (**فقد مر رسول الله ﷺ برجل، والناسُ مجتمعون عليه، فقال: ما هذا**)؟ أي الاجتماع (**فقالوا: رجل علاَّمة. فقال: بماذا؟ قالوا: بالشِّعر وأنساب العرب. فقال: علمٌ لا ينفع، وجهل لا يضرُّ**) قال العراقي[2]: أخرجه ابن عبد البر[3] من حديث أبي هريرة وضعَّفه، وفي آخر الحديث: إنما العلم آية محكمة ... الخ.

قلت: وقال ابن عبد البر نفسه[4]: لعَمْري لم ينصف مَن زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضرُّ.

---

(١) المصباح المنير ص ١٨١.

(٢) المغني ١/ ٢٥. وزاد: وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٥٢.

(٤) الأنباه علىٰ قبائل الرواة لابن عبد البر ص ١٢ (ط - دار الكتاب العربي ببيروت).

قال المناوي[١]: وكأنَّه لم يطَّلع علىٰ كونه حديثًا، أو رأىٰ فيه قادحًا يقتضي الردَّ.

قلت: كيف يقال إنه لم يطَّلع علىٰ الحديث وهو الذي خرَّجه من حديث أبي هريرة؟! فالوجه هو القول الثاني الذي ذكره.

وأخرج الرُّشاطي[٢] من طريق ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة: «علم النسب علم لا ينفع وجهالةٌ لا تضرُّ».

وفي القوت[٣]: وقد روينا عن رسول الله ﷺ من طريق مرسَل أنه مرَّ برجل، والناسُ مجتمعون عليه، فقال: «ما هذا»؟ فقالوا: رجل علاَّمة. قال: «بماذا»؟ قالوا: بالشعر والأنساب وأيام العرب. فقال: «هذا علمٌ لا يضر جهلُه». وفي لفظ آخَر: علم لا ينفع، وجهل لا يضرُّ.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده[٤] والترمذي في البر والصلة[٥] والحاكم[٦] عن أبي هريرة رفعه: «تعلَّموا من أنسابكم ما تَصِلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم

---

(١) فيض القدير ٣/ ٢٥٣.

(٢) أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الأندلسي، عالم بالأنساب والحديث من أهل أوريولة، وسكن المرية وتعلم بها، وتوفي سنة ٥٤٢ إبان استيلاء الفرنج علىٰ المرية. الأعلام ٤/ ١٠٥.

والرشاطي نسبة إلىٰ رشاطة، قال ياقوت في معجم البلدان ٣/ ٤٥: أظنها بلدة بالعدوة.

وقال الزبيدي في تاج العروس ١٩/ ٣٠٥: «والرشاطي ضبطوه بالفتح وبالضم، فمن قال بالفتح يقول: أحد أجداده اسمه رشاطة فنسب إليه، ومن قال بالضم يقول: نسب إلىٰ حاضنة له كانت أعجمية تدعىٰ رشاطة، أو كانت تلاعبه فتقول: رشاطة، فنسب إليها».

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٢٧.

(٤) مسند أحمد ١٤/ ٤٥٦.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٥٢١.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٧٤.

محبة في الأهل، مَثْراة في المال، مَنْسأة في الأثر». وصحَّحه الحاكم، وأقرَّه الذهبي. وقال الهيثمي: رجال أحمد وُثِّقوا[١].

وقال الحافظ ابن حجر[٢]: هذا الحديث له طرق، أقواها ما أخرجه الطبراني[٣] من حديث العلاء بن خارجة، وجاء هذا عن عمر أيضًا، ساقه ابن حزم[٤] بإسناد رجاله موثَّقون، إلا أن فيه انقطاعًا.

قلت: وأخرج ابن زنجويه[٥] من حديث أبي هريرة: «تعلَّموا من أنسابكم ما تَصِلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلَّموا من العربية ما تعربون به كتاب الله ثم انتهوا». وبهذا يظهر الجمعُ بين الحديثين، وأن محل النهي إنما هو في التوغُّل فيه والاسترسال بحيث يُشتغَل به عمَّا هو أهم منه.

وفي التخريج الكبير للعراقي: رواه أبو نعيم في «رياضة المتعلِّمين» من رواية بقية عن ابن جُرَيج عن عطاء عن أبي هريرة، وفيه أن النبي ﷺ دخل المسجد، فرأىٰ جمعًا من الناس علىٰ رجل، فقال: «ما هذا»؟ قالوا: يا رسول الله، رجل علاَّمة. قال: «وما العلاَّمة»؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بالشعر وما اختلفت فيه العربُ. فقال: «هذا علم لا ينفع، وجهل لا يضر». ثم قال: «العلم ثلاثة، ما خلاهنَّ فهو فضلٌ: آية محكمة، أو سنَّة قائمة، أو فريضة عادلة».

---

(١) لم أقف علىٰ هذا الكلام في مجمع الزوائد، وإنما فيه ٨/ ٢٧٩: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو أسباط وهو ضعيف».

ثم أورده من حديث العلاء بن خارجة وقال: رواه الطبراني، ورجاله قد وثقوا.

(٢) فتح الباري ٦/ ٦١٠.

(٣) المعجم الكبير ١٨/ ٩٨.

(٤) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٥ (ط - دار المعارف بالقاهرة).

(٥) ومن طريقه أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٢٣٨.

قلت: وقال ابن حزم في كتاب النسب[١]: علم النسب منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، ومنه مستحب، فمن ذلك أن تعلم أن محمدًا رسول الله ﷺ هو ابن عبد الله الهاشمي، فمَن زعم أنه غير هاشمي كفر، وأن يعلم أن الخليفة من قريش، وأن يعرف مَن يلقاه بنسب في رحم محرَّم؛ ليجتنب تزويج ما يحرُم عليه، وأن يعرف مَن يتَّصل به ممَّن يرثه أو يجب بِرُّه من صلة أو نفقة أو معاونة، وأن يعرف أمَّهات المؤمنين، وأن نكاحهنَّ حرام، وأن يعرف الصحابة، وأن حبهم مطلوب، ويعرف الأنصار؛ ليُحسِن إليهم؛ لثبوت الوصية بذلك، ولأن حبهم إيمانٌ، وبغضُهم نفاق، ومن الفقهاء من يفرِّق في الجزية والاسترقاق بين العرب والعجم، فحاجته إلىٰ علم النسب آكَدُ، ومَن يفرِّق بين نصارىٰ بني تَغْلِب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة، وما فرض عمرُ الديوانَ إلا علىٰ القبائل، ولولا علم النسب ما تخلَّص له ذلك، وتبعه عليٌّ وعثمان وغيرهما.

(وقال ﷺ: **إنما العلم آية محكمة، أو سنَّة قائمة، أو فريضة عادلة**) أخرجه أبو داود[٢] وابن ماجه[٣] من حديث عبد الله بن عمرو، وقد رواه ابن عبد البر مع الحديث السابق عن أبي هريرة؛ قاله العراقي[٤].

وفي «تجريد الصحاح» لرزين من طريق النسائي عن ابن عمر رفعه: «العلم ثلاثة، وما سوىٰ ذلك فضل: آية محكمة، أو سنَّة قائمة، أو فريضة عادلة»[٥].

وفي القوت[٦]: ويُروَىٰ: «العلم ثلاثة: آية محكمة، وسنَّة قائمة، ولا أدري».

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص ١ - ٥ باختصار.

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٤٠٤.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٨٠.

(٤) المغني ١/ ٢٥.

(٥) وكذلك أخرجه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة ص ٤٥ (ط - مؤسسة قرطبة بالقاهرة).

(٦) قوت القلوب ١/ ٢٣٦ ونصه: «وروينا في الخبر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري».

وأخرجه أبو نعيم في «رياضة المتعلمين» بمثل رواية النسائي، وتقدم قريبًا قبل هذا، وهو آخر الحديث، ورواه كذلك أبو داود وابن ماجه -كما تقدم عن العراقي- من رواية عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن ابن عمرو، ورواه الطبراني في الكبير[(١)] وأبو نعيم في الكتاب المذكور من رواية إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمرو.

قال العراقي: وقد ورد موقوفًا علىٰ ابن عمر نحوه، رواه الطبراني في الأوسط[(٢)] من رواية [عمر بن][(٣)] حُصَين عن مالك عن نافع عن ابن عمر، ورواه الدارقطني[(٤)] من رواية عمر بن عصام عن مالك عن نافع عن ابن عمر: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنَّة ماضية، ولا أدري». وأخرجه الخطيب أيضًا هكذا وقال: تابعه أبو طاهر محمد بن موسىٰ المقدسي وأبو حُذافة السهمي. قال: وخالفهم سعيد بن داود الزنبري فرواه عن مالك عن داود بن الحُصَين عن طاووس عن ابن عمر[(٥)].

قلت: ويحتمل أن المصنف أوردهما علىٰ أنه حديث واحد؛ فإنه عقَّبه بقوله: والله أعلم.

(فإذًا الخوض في) علم **(النجوم)** والتوغُّل فيه **(و)** في **(ما يشبهه اقتحام خطر)** أي دخول في خطر عظيم **(وخوضٌ في)** بحر **(جهالة من غير فائدة)** تترتب عليها المصالحُ الشرعية **(فإن ما قُدِّر)** أي قدَّره الله تعالىٰ في سابق علمه **(كائن)** لا محالة، لا يدفعه دافعٌ **(والاحتراز عنه غير ممكن، بخلاف)** علم **(الطب؛ فإن الحاجة إليه)**

---

(١) المعجم الكبير ١٤/ ٦٠، ٩١ (ط - الجريسي).

(٢) المعجم الأوسط ١/ ٤٢٧.

(٣) زيادة من المعجم الأوسط.

(٤) وكذلك يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٩٤.

(٥) ومن هذه الطريق رواه الهروي في ذم الكلام ٣/ ٢٧.

والضرورة (ماسَّة) وفي نسخة: داعية (إليه، وأكثر أدلته مما يُطَّلَع عليها) وفي نسخة: عليه (وبخلاف) علم (التعبير) للرؤيا (وإن كان تخمينًا) وحدسًا (لأنه) مما يُطَّلَع عليه، وهو (جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، ولا خطر فيه) وأخرج البخاري[١] عن أبي سعيد، ومسلم[٢] عن ابن عمر وعن أبي هريرة، والإمام أحمد[٣] وابن ماجه[٤] عن أبي رَزِين، والطبراني في الكبير[٥] عن ابن مسعود: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة». وقد رُوي ذلك من حديث أنس أيضًا عند الإمام أحمد[٦] والبخاري[٧] والنسائي[٨] وابن ماجه[٩]، ولفظهم: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح». وأخرجه الترمذي[١٠] وصحَّحه وزاد: «وهي على رِجل طائر ما لم يحدِّث بها، فإذا حدَّث بها وقعتْ». وأخرجه أبو عَوانة في صحيحه والترمذي في الشمائل[١١] وابن أبي شيبة في مسنده[١٢] وكذا أحمد[١٣] والشيخان[١٤]، كلهم عن أنس، ولفظهم: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة». وأخرجه كذلك الدارمي[١٥]

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢٩٧.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٥ - ١٠٧٦ ولفظ حديث ابن عمر: جزء من سبعين جزءًا.

(٣) مسند أحمد ٢٦/ ١٠٣ بلفظ: جزء من أربعين جزءًا.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٤١٣.

(٥) المعجم الكبير ١٠/ ٢٧٥ بلفظ: الرؤيا الصادقة جزء من ستة وسبعين جزءًا من النبوة.

(٦) مسند أحمد ١٩/ ٢٩١، ٤٩٠.

(٧) صحيح البخاري ٤/ ٢٩٦.

(٨) السنن الكبرىٰ للنسائي ٧/ ١٠٤.

(٩) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠١.

(١٠) سنن الترمذي ٤/ ١٢٣ من حديث أبي رزين.

(١١) الشمائل المحمدية للترمذي ص ١٩٧ (ط - دار الحديث ببيروت).

(١٢) ليس هو في المسند، وإنما في المصنف ١٠/ ١٢١ موقوفًا علىٰ أنس.

(١٣) مسند أحمد ١٩/ ٩٤، ٢١/ ٣٣٩.

(١٤) صحيح البخاري ٤/ ٢٩٩. صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٦.

(١٥) سنن الدارمي ٢/ ١٦٦.

وأبو داود[١] وأحمد[٢] والترمذي[٣] والشيخان[٤] عن أنس عن عُبادة بن الصامت مثله. وأخرج ابن النجار[٥] عن ابن عمر: «جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة». وأخرج الإمام أحمد[٦] وابن ماجه[٧] عن ابن عمر، والإمام أحمد[٨] أيضًا عن ابن عباس: «جزء من سبعين جزءًا من النبوة». ورواه ابن أبي شيبة[٩] عن أبي سعيد فقال: «رؤيا المؤمن الصالح». وأخرج الترمذي[١٠] والحاكم في الكنىٰ والطبراني في الكبير[١١] والبيهقي[١٢] عن أبي رزين: «رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءًا من النبوة».

ثم اعلم[١٣] أن علم الرؤيا من جملة الفراسة، وقد عظَّم الله أمر الرؤيا في جميع كتبه المنزَّلة، وهي من فعل النفس الناطقة، ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لإيجاد هذه القوة في الإنسان فائدة، والله يتعالىٰ عن الباطل. وهي ضربان: ضربٌ -وهو الأكثر- أضغاث أحلام وأحاديث النفس من الخواطر الرديئة[١٤]، وضرب

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٩.

(٢) مسند أحمد ٢٠/ ٢٦٥، ٣٧/ ٣٩٤.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١١٨.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٢٩٧. صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٦.

(٥) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٢/ ١٠٧.

(٦) مسند أحمد ٨/ ٣٠٦.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠٤.

(٨) مسند أحمد ٥/ ٧١، ١٩٦.

(٩) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ١٢٢ ولفظه: رؤيا الرجل المسلم الصالح.

(١٠) سنن الترمذي ٤/ ١٢٢.

(١١) المعجم الكبير ١٩/ ٢٠٥.

(١٢) شعب الإيمان ٦/ ٤٢٦.

(١٣) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب ص ١١٠.

(١٤) بعده في الذريعة: لكون النفس في تلك الحال كالماء المتموج لا يقبل صورة.

-وهو الأقل- صحيح، وذلك قسمان: قسم لا يحتاج إلىٰ تأويل، وقسم يحتاج إلىٰ تأويل، ولهذا يحتاج المعبِّر إلىٰ مهارة الفرق بين الأضغاث وبين غيرها، وليميِّز بين [الكلمات الروحانية والجسمانية، ويفرق بين][1] طبقات الناس؛ إذ كان فيهم مَن لا تصح له رؤيا، وفيهم مَن تصح رؤياه، ثم مَن يصح له ذلك منهم من يرشَّح أن يُلقَىٰ إليه في المنام الأشياء الخطيرة، ومنهم مَن لا يرشح لذلك[2].

وسيأتي لذلك [مزيد][3] تحقيقٌ إن شاء الله تعالىٰ.

(**السبب الثالث: الخوض في علم**) من العلوم إذا كان (**لا يستقلُّ الخائض به**) أي لا يقدر علىٰ حمل أعبائه (**فإنه مذموم في حقه**) فإنه مكلِّف نفسَه ما لا يطيقه (**كتعلُّم دقيق العلوم**) التي لا تُعرَف إلا بدقَّة النظر والبحث (**قبل جَلِيِّها**) أي واضحها، وفي نسخة: قبل جليلها. وقالوا في معنىٰ «الرَّبَّاني»: هو الذي يعلم بصغار العلوم قبل كبارها[4]، ومَن يتعلَّم خفايا العلوم قبل استكمال معرفة جليِّها كالمتزبِّب قبل أن يتحصرم.

(**وكالبحث**) والتنقير (**عن الأسرار الإلهية**) المكتومة (**إذ تطلَّع الفلاسفةُ والمتكلمون إليها**) وفي نسخة: عليها (**ولم يستقلُّوا بها**) لأنها ذوقية كشفية (**ولا يستقل بها وبالوقوف علىٰ طرق بعضها إلا**) السادة (**الأنبياء**) عليهم الصلاة والسلام

(١) زيادة من الذريعة.

(٢) بعده في الذريعة: ولهذا قال اليونانيون: يجب أن يشتغل المعبر بعبارة رؤيا الحكماء والملوك دون الطغام، وذلك لأن له حظاً من النبوة، وهذا العلم يحتاج إلىٰ مناسبة بين متحريه وبينه، فرب حكيم لا يرزق حذقاً فيه، ورب نزر ألحظ من الحكمة، وسائر العلوم توجد له فيه قوة عجيبة.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) الغريبين للهروي ص ٦٩٨. عمدة الحفاظ للسمين ٢/ ٦١. النهاية لابن الأثير ٢/ ١٨١. تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ١٧٨ نقلاً عن ابن الأعرابي. وعبارة الأزهري: «الرباني: العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها».

بما يتلقَّون من الوحي (**والأولياء**) رحمهم الله تعالىٰ بمجاهداتهم ورياضاتهم، فيفيض اللهُ علىٰ قلوبهم أنوارًا يكشفون بها ما خفي عن كثيرين، وسيأتي عن سهل[١]: إن للإلهية سرًّا لو انكشف لبطلت النبوّات، وللنبوات سرًّا لو انكشف لبطل العلمُ، وللعلم سرًّا لو انكشف لبطلت الأحكام (**فيجب كفُّ الناس**) ومنعهم (**عنها**) وفي نسخة: عن البحث عنها (**وردُّهم إلىٰ ما نطق به الشرع**) وأرشدنا لمعرفته (**ففي ذلك مَقْنَع**) أي كفاية (**للموقِن**) وفي نسخة: للمؤمن، وفي أخرىٰ: للموفَّق (**فكم من شخص خاض في العلوم واستضرَّ بها**) أي وجد الضرر بها بأن استمالته إلىٰ فساد في العقيدة أو حيَّرته فلم يجد له عنها مَخْلَصًا (**ولو لم يَخُضْ فيها**) ومشىٰ علىٰ سَنَنِ ظاهر الشريعة (**لكان حاله أحسن في الدين منه قبل الخوض فيها ألبتَّة**) أي قطعًا، ولأنْ يعيش الإنسان خلف البقر عاميًّا يصلي فرضه ويصوم شهره خير له من هذه العلوم التي يتضرَّر بها في دينه (**ولا تنكرْ**) أيها المعاند (**كون العلم ضارًّا لبعض الناس**) دون بعض (**كما يضر لحمُ الطير**) مطلقًا (**وأنواع الحلاوات**) وفي نسخة: الحلوىٰ (**اللطيفة بالصبي الرضيع**) وفي نسخة: المرضَع، أي لضعف معدته (**بل رُبَّ شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور**) أحيانًا (**فلقد حُكي أن بعض الناس شكا إلىٰ طبيب**) وكان حاذقًا بصيرًا بالأمور (**عقم زوجته، وأنها لا تلد**) هذه مفسِّرة للأولىٰ (**فجس الطبيب نبضها**) أي عِرْق يدها، فرآها ليس بها من مرض يمنعها من الولادة (**فقال**) لها: (**لا حاجة بكِ إلىٰ دواء الولادة فإنك ستموتين إلىٰ**) انتهاء (**أربعين يومًا، وقد دل النبضُ عليه**) أي أماراته (**فاستشعرت المرأة خوفًا عظيمًا**) أي لبست شعاره (**وتنغَّص عليها عيشُها**) أي تكدَّر (**وأخرجت أموالها**) في وجوه البر (**وفرَّقتها**) علىٰ الفقراء (**وأوصت**) بوصايا (**وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتىٰ انقضت المدة**) الموعود بها (**فلم تَمُتْ، فجاء زوجها إلىٰ الطبيب وقال له**): إنها (**لم**

---

(١) في كتاب قواعد العقائد.

تمت. فقال الطبيب: **قد علمتُ ذلك، فجامِعْها الآن، فإنها)** تحمل و(تلد. فقال: **كيف ذاك)**؟ وفي نسخة: وكيف ذلك؟ أي ما السر في ذلك؟ (**قال: رأيتُها سمينة وقد انعقد الشحم علىٰ فم رحمها**) وهو أحد أسباب العقم في المرأة كما ذكره الأطباء، وإذابتُه غير متيسِّرة بالأدوية إلا الهُزال (**فعلمتُ أنها لا تهزل إلا بخوف الموت**) ولا خوف أعظم منه (**فخوَّفتُها بذلك حتىٰ هزلت وزال المانعُ من الولادة**) ومثل هذه الحكاية نقل السخاوي في المقاصد[١] قال: أورد البيهقي في مناقب الشافعي[٢] من طريق الحسين بن إدريس الحُلْواني عنه أنه قال: ما أفلح سمين قطُّ، إلا أن يكون محمد بن الحسن. فقيل له: ولِمَ؟ قال: لأنه لا يخلو[٣] العاقل من إحدىٰ حالتين: إما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الهم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حدِّ البهائم [فينعقد الشحم][٤] ثم قال الشافعي: كان ملك في الزمان الأول، وكان مثقلاً، كثير اللحم، لا ينتفع بنفسه، فجمع المتطبِّبين وقال: احتالوا لي حيلة يخفُّ عني لحمي هذا قليلاً. فما قدروا له علىٰ صفة[٥]. قال: فنُعت له رجل عاقل أريب متطبِّب، فبعث إليه فأُشخص، فقال: تعالجني ولك الغنىٰ؟ قال: أصلح الله الملك[٦]، أنا رجل متطبِّب ومنجِّم، دعني أنظر الليلة في طالعك أيّ دواء يوافق طالعك فأسقيك[٧]. فغدا عليه فقال: أيها الملك، الأمان. قال: لك الأمان. قال: رأيت طعالك يدل علىٰ أن عمرك شهر، فإن أحببتَ حتىٰ أعالجك، وإن أردتَ بيان ذلك فاحبسني عندك، فإن رأيتَ لقولي حقيقة فخَلِّ عني

---

(١) المقاصد الحسنة ص ١٢٥.

(٢) مناقب الشافعي ٢/ ١٢٠.

(٣) في المقاصد والمناقب: لا يعدو.

(٤) زيادة من المقاصد. وفي المناقب: لعقد الشحم.

(٥) في المطبوعة: صنعة. والمثبت من المقاصد والمناقب.

(٦) في المناقب: الأمير.

(٧) في المطبوعة والمقاصد: فأشفيك. والمثبت من المناقب.

وإلا فاقتص مني[(١)]. قال: فحبسه [الملك][(٢)] ثم رفع الملك الملاهي، واحتجب عن الناس، وخلا وحده مقيمًا[(٣)] يعدُّ أيامه، كلما انسلخ يوم ازداد غمًّا حتىٰ هزل وخفَّ لحمه، ومضىٰ لذلك ثمانية وعشرون يومًا، فبعث إليه فأخرجه، فقال: ما ترىٰ؟ فقال: أعز الله الملك، أنا أهون علىٰ الله من أن أعلم الغيب، واللهِ ما أعرف عمري فكيف أعرف عمرك؟ إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم، فلم أقدر أن أجلب إليك الهم إلا بهذه الحيلة[(٤)] فأذابت شحم الكِلَىٰ. فأجازه وأحسن إليه.

(فهذا) الذي ذكرنا لك (**ينبِّهك علىٰ استشعار خطر بعض العلوم، ويفهمك معنىٰ قوله ﷺ: نعوذ بالله من علم لا ينفع**) أخرجه ابن عبد البر[(٥)] من حديث جابر بسند حسن، وهو عند ابن ماجه[(٦)] بلفظ: «تعوَّذوا بالله» كما تقدَّم؛ قاله العراقي[(٧)].

وفي القوت[(٨)]: والخبر المشهور قوله ﷺ: «أعوذ بك من علم لا ينفع» فسمَّاه علمًا؛ إذ له معلوم، وإذ أصحابه علماء، ثم رفع المنفعة عنه واستعاذ بالله عَزَّوَجَلَّ [منه].

وفي الباب عن زيد بن أرقم، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وأنس، وابن مسعود، وابن عباس، وقد تقدم في أحاديث الخطبة.

(**فاعتبرْ بهذه الحكاية**) التي أسلفناها لك (**ولا تكن بحَّاثًا**): كثير البحث والتنقير (**عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها**) وفي بعض النسخ: وازدجر عنها (**ولازِم**

---

(١) في المطبوعة والمناقب: وإلا فاستقص علي. والمثبت من المقاصد.

(٢) زيادة من المقاصد.

(٣) في المقاصد والمناقب: وجلس وحده مغتمًا ما يرفع رأسه.

(٤) في المطبوعة والمناقب: العلة. والمثبت من المقاصد.

(٥) جامع بيان العلم ١/ ٦٢٥ بلفظ: سلوا الله علمـًا نافعـًا، وتعوذوا بالله من علمٍ لا ينفع.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦٤.

(٧) المغني ١/ ٢٥.

(٨) قوت القلوب ١/ ٢٢٧. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

الاقتداء): الاتِّباع (**بالصحابة**) في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم (**واقتصِرْ علىٰ اتِّباع السنَّة**): الشريعة، مع التجنُّب عن البدع الحادثة (**فالسلامة**) كل السلامة (**في الاتِّباع، والخطر**) كل الخطر (**في البحث عن الأشياء**) والعلوم الغريبة (**والاشتغال**) بما لا يعني، وفي نسخة: والاستقلال. ولقد سمعتُ غير واحد من الشيوخ يقول: خير الدنيا والآخرة في ثلاث كلمات: اتَّبع ولا تبتدع، اتَّضع ولا ترتفع، اعتقد ولا تنتقد (**ولا تُكثِر التبجُّح**) أي التعظُّم والافتخار (**برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك**) في نفسك (**أني أبحث عن الأشياء**) والعلوم (**لأعرفها علىٰ ما هي عليه**) وفي نسخة: عليها، أي أحقق المعرفة بالغوص في مشكلاتها (**فأيُّ ضرر**) يُرَىٰ (**في التفكُّر في العلم**) والبحث عنه (**فإن**) أي فاعلمْ أن (**ما يعود عليك من ضرره**) آخرًا (**أكثر، وكم من شيء تطَّلِع عليه فيضرك اطِّلاعك عليه ضررًا يكاد**) أن (**يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله تعالىٰ برحمته**) وعظيم عفوه (**واعلمْ أنه كما يطَّلع الطبيب الحاذق**) الماهر في صنعته (**علىٰ أسرار في المعالجات**) الخفية التي (**يستبعدها مَن لا يعرفها**) من أهل الجهل بالحكمة (**فكذلك الأنبياء**) صلوات الله عليهم (**أطباء القلوب**) المريضة (**والعلماء**) العارفون (**بأسباب الحياة الأخروية**) وما به نجاتُهم وهلاكهم (**فلا تتحكَّم علىٰ سنَّتهم**) التي سنُّوها للعِباد (**بمعقولك**) الفاسد (**فتهلك، فكم من شخص يصيبه عارض**): علةٌ (**في أصبعه**) مثلاً (**فيقتضي عقله أن يطلبه**) وفي بعض النسخ: أن يطلبها، وفي بعضٍ: أن يقطعها (**حتىٰ ينبِّهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكف من الجانب الآخَر من البدن، فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها علىٰ البدن**) ومن ذلك أنهم يأمرون للذي تشقَّقت شفته السفلىٰ عن يبس أو برد بإطلاء السرَّة بشيء من دهن اللوز أو الزبدة، ولمَن به صداع بغسل الرِّجلين بماء بارد في الحمَّام، ولمَن به وجع العين عن حرارة بطلاء الحنَّاء في باطن القدمين، وما أشبه ذلك، ولهم فيه دقائق غريبة (**فهكذا الأمر في طريق الآخرة، وفي دقائق سنن الشرع وآدابه**) الظاهرة

والباطنة (**وفي عقائده التي تعبَّد الناسَ بها**) أي كُلِّفوا بمعرفتها (**أسرار لطيفة**) ورموز شريفة، وفي بعض النسخ: أسرار ولطائف (**ليس في سعة العقل وقوته الإحاطة بها**) وإنما ينفع التسليمُ لِما أُمر به، والتفويض إلىٰ الشارع (**كما أن في خواصِّ الأحجار**) المتكوِّنة في المعادن (**أمورًا**) غريبة، وزاد في بعض النسخ بعد قوله «أمورًا»: عجائب (**غاب عن أهل الصنعة**) الحكمية (**علمها**) فهم في تحقيقها ومعرفة ما قيل فيها في حيرة عظيمة (**حتىٰ لم يقدر أحد**) من أهل الصنعة (**علىٰ أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد**) لخاصِّية فيه (**فالعجائب والغرائب في العقائد**) الدينية (**والأعمال**) الشرعية (**وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها**) أي نظافتها (**وطهارتها**) عن الأدناس المعنوية (**وتزكيتها**) أي تنميتها (**وإصلاحها للترقِّي**) والوصول (**إلىٰ جوار الله سبحانه**) في مقعد صِدق (**وتعرُّضها لنفحات فضله**) ورشحات رحمته (**أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير**) قال الجوهري[١]: هي أصول الأدوية. وقال الأزهري[٢]: العقاقير: الأدوية التي يُستمشَىٰ بها. وقال غيره[٣]: واحدها عَقَّار ككَتَّان، وعِقِّير كسِكِّيت.

وقال أبو الهيثم: العقار: كل نبت ينبُت مما فيه شفاءٌ. قال: ولا يسمَّىٰ شيء من العقاقير فُوهًا. وفي اللسان[٤]: هو ما يُتداوَىٰ به من النبات والشجر (**وكما أن العقول تقصُر عن إدراك منافع الأدوية**) علىٰ وجه الاستقصاء (**مع أن للتجربة سبيلاً إليها**) أي إلىٰ تلك المنافع علىٰ سبيل الإدراك (**فالعقول تقصر**) أيضًا (**عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة**) وما ينشأ منها (**مع أن التجربة غير متطرِّقة إليها**) أي لا سبيل إلىٰ معرفتها بالتجارب (**وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إلينا بعض**

---

(١) الصحاح ٢/ ٧٥٣.

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٢٢١، وفيه أيضًا قول أبي الهيثم الآتي.

(٣) هو الفيروز آبادي، كما في تاج العروس ١٣/ ١١٢.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٤/ ٥٩٩ (ط - دار صادر ببيروت).

الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة) عند الله (النافعة) للعبد **(المقرِّبة إلىٰ الله تعالىٰ زُلْفىٰ، و)** كذا أخبرنا **(عن الأعمال المُبعِدة عنه)** جل وعز **(وكذلك عن العقائد)** مما صح منها أو فسد **(وذلك مما لا مَطْمَع فيه)** لأحد **(فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك)** ويرشدك **(إلىٰ صدق النبي ﷺ)** وصدق ما جاء به **(ويفهمك مواردَ إشاراته)** في كلامه **(فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف)** فيما لا يعني **(ولازِم الاتِّباع)** فقد نقل رزين في جامعه عن عمر بن عبد العزيز ينميه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] أنه قال: تركتم علىٰ الواضحة، ليلها كنهارها، كونوا علىٰ دين الأعراب والغلمان والكُتَّاب.

قال ابن الأثير في «جامع الأصول»[2]: أراد بقوله «دين الأعراب والغلمان» الوقوف عند قبول ظاهر الشريعة واتِّباعها من غير تفتيش عن الشُّبَه وتنقير عن أقوال أهل الزيغ والأهواء، ومثله قوله: عليكم بدين العجائز. ا.هـ.

وعند الديلمي[3] من حديث محمد بن عبد الرحمن ابن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا: «إذا كان في آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء». وابن البيلماني ضعيف جدًّا. أورده السخاوي في المقاصد.

(فلا تَسْلَم) عن المَهالك **(إلا به)** أي بالاتِّباع **(والسلام)** علىٰ أهل التسليم. وفي نسخة: فإنك لا تسلم إلا به **(ولذلك قال النبي ﷺ: إن من العلم جهلاً، وإن من القول عبالاً)** قال العراقي[4]: أخرجه أبو داود من حديث بُرَيدة، وفي إسناده مَن يُجهَّل.

---

(١) عبارة السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٢٩٠: «وعند رزين في جامعه مما أضافه لعمر بن عبد العزيز، وابن تيمية لعمر بن الخطاب ...» الخ.

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول ١/ ٢٩٣.

(٣) فردوس الأخبار ١/ ٣١٩.

(٤) المغني ١/ ٢٦.

قلت: أخرجه في الأدب[١] من حديث أبي جعفر عبد الله بن ثابت عن صخر ابن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده بريدة بن الحصيب، قال عبد الله: بينما هو -يعني بريدة- جالس بالكوفة في مجلس مع أصحابه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من البيان سحرًا، وإن من العلم جهلاً، وإن من الشعر حِكَمًا، وإن من القول عيالاً».

وفي القوت[٢]: وروينا في الخبر: «إن من العلم جهلاً، وإن من القول عيًّا».

قلت: ويُروَىٰ من حديث عليٍّ، أخرجه الهروي في «ذم الكلام»[٣]، وفيه زيادة.

وقد وُجد في بعض نسخ الكتاب: عيًّا، بدل: عيالاً، كما هو نصُّ القوت.

(ومعلوم أن العلم لا يكون جهلاً، ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الإضرار) بالناس، كما تقدم في ذم النجوم.

قال المناوي[٤]: إن من العلم جهلاً، أي لكونه علمًا مذمومًا، والجهل به خير منه، أو المراد أن من العلوم ما لا يُحتاج إليه فيُشتغَل به عن تعلُّم ما يحتاجه في دينه، فيصير علمه بما لا يعنيه جهلاً بما يعنيه.

والعَيال كسحاب: عرضُ الحديث علىٰ مَن لا يريده؛ قاله ابن الأثير[٥]. وقال الراغب[٦]: العيال جمع عيل لِما فيه من الثِّقَل.

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٧.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٢٧.

(٣) ذم الكلام ٣/ ١٧٠.

(٤) فيض القدير ٢/ ٥٢٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٣١ ونصه: «إن من القول عيلاً، هو عرضك حديثك وكلامك علىٰ من لا يريده وليس من شأنه يقال: علتُ الضالة أعيل عيلًا: إذا لم تدر أي جهة تبغيها، كأنه لم يهتد لمن يطلب كلامه فعرضه علىٰ من لا يريده».

(٦) المفردات ص ٣٥٤.

(وقال أيضًا ﷺ: قليل من التوفيق خير من كثير من العلم) قال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً، وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء، وقال: العقل، بدلاً من: العلم، ولم يخرِّجه ولده في مسنده.

قلت: وأخرجه ابن عساكر[٢] عن أبي الدرداء بمثل ما في الفردوس، وزاد: والعقل في أمر الدنيا مَضَرَّة، والعقل في أمر الدين مَسَرَّة.

وروى الطبراني[٣] عن ابن عمرو: قليل الفقه خير من كثير من العبادة، وكفى بالمرء فقهًا إذا عبد اللهَ، وكفى بالمرء جهلاً إذا أُعجب برأيه.

وأورده ابن عبد البر كذلك في العلم[٤]، وأبو نصر السجزي في الإبانة وقال: غريب عن ابن عمرو.

وأخرج البخاري في التاريخ عن ابن عمر وأبو موسى المديني في المعرفة عن رجاء غير منسوب: قليل من العلم خير من كثير من العبادة[٥].

تبع المصنِّفُ صاحبَ القوت؛ فإنه أورده هكذا، وزاد[٦]: وفي خبر غريب: كل شيء يحتاج إلى العلم، والعلم يحتاج إلى التوفيق.

قال المناوي في شرح الحديث الذي أورده المصنف ما نصه[٧]: فإن التوفيق هو رأس المال، فعلى العاقل الاستيثاق بالله تعالى بزيادة العمل والتقوى واللجوء

---

(١) المغني ١/ ٢٦.

(٢) تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٤٩.

(٣) المعجم الكبير ١٣/ ٦٢٠ وزاد في آخره: إنما الناس رجلان: مؤمن وجاهل، فلا تؤذي المؤمن، ولا تحاور الجاهل.

(٤) جامع بيان العلم ١/ ٩٩.

(٥) كنز العمال ١٠/ ١٧٧ بلفظ: قليل الفقه خير من كثير العبادة.

(٦) قوت القلوب ١/ ٢٢٧.

(٧) فيض القدير ٤/ ٥٢٦. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

إليه في إفاضته عليه من ذلك السبب الأقوىٰ. وفي رواية: قليل التوفيق خير من كثير العمل. وفي أخرىٰ: [خير] من كثير العبادة. قال بعض العارفين: ما قل عملٌ برز من قلب موفَّق زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب غافل لاهٍ، وحُسنُ الأعمال نتائج [حسن] الأحوال.

(وقال عيسىٰ عَلَيْسَلِمْ: ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيِّب، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع) أخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» فقال[1]: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا محمد بن عمران المرزباني، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسىٰ المكي، حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد، حدثنا عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن وهب بن منبه أن عيسىٰ ابن مريم عَلَيْسَلِمْ قال: ويلكم يا عبيد الدنيا، ماذا يغني عن الأعمىٰ سعة نور الشمس وهو لا يبصرها، كذلك لا يغني عن العالِم كثرةُ علمه إذا لم يعمل به، ما أكثر أثمار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكَل، وما أكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم، فاحتفظوا من العلماء الكَذَبة الذين عليهم لباس الصوف، منكِّسين رؤوسهم للأرض، يرمقون[2] من تحت حواجبهم كما ترمُق الذئاب، قولهم مخالف فعلهم، مَن يجتني من الشوك العنب، ومن الحنظل التين؟ كذلك لا يثمر قولُ العالِم الكذَّاب إلا زورًا، إن البعير إذا لم يوثقه صاحبُه في البرِّية نزع إلىٰ وطنه وأهله، وإن العلم إذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره وتخلَّىٰ عنه وعطَّله، وإن الزرع [لا يصلح][3] إلا بالماء والتراب، كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل، ويلكم يا عبيد الدنيا، إن لكل شيء علامةً يُعرَف بها وتشهد له أو عليه، وإن للدين ثلاث علامات يُعرَف بهنَّ: الإيمان، والعلم، والعمل.

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص ٦٨.

(٢) في الاقتضاء: يطرفون.

(٣) زيادة من الاقتضاء.

بيـان مـا بُدِّل من ألفـاظ العلوم

(اعلم أن مَنْشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلىٰ معانٍ غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول، وهي خمسة ألفاظ: الفقه، والعلم، والتوحيد، والتذكير، والحكمة) يتَّصف بكل واحدة منها فيقال: هو الفقيه والعالِم والموحِّد والمذكِّر والحكيم (فهي) وفي نسخة: فهذه (أسامٍ محمودة) في الحقيقة (والمتَّصفون بها) هم (أرباب المناصب في الدين) في كل عصر (ولكنها نُقلت الآن إلىٰ معانٍ مذمومة، فصارت القلوب تنفر) وتشمئزُّ (عن مَذَمَّة مَن يتَّصف بمعانيها) تلك (لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم) أي صار إطلاقها عليهم شائعًا ظاهرًا في الأمة.

(اللفظ الأول: الفقه، فـ) إنهم (قد تصرفوا فيه بالتخصيص) قال الراغب[١]: هو تفرُّد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملةُ. ا.هـ.

وعبَّر عنه الأصوليون بقولهم[٢]: هو قصر العامِّ علىٰ بعض أفراده بدليل مستقل مقترن به. واحتُرز بالمستقل عن الاستثناء والشرط والغاية والصفة؛ فإنها وإن لحقت العامَّ لا تسمَّىٰ تخصيصًا، وبـ «مقترن به» عن النسخ، نحو: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:١٠٢، الرعد:١٦، الزمر:٦٢، غافر:٦٢] إذ يُعلَم [ضرورة] أن الباري تقدَّسَ مخصوص منه (لا بالنقل والتحويل؛ إذ خصَّصوه بمعرفة الفروع الغريبة) من مسائله (في الفتاوىٰ) جمع فتوىٰ، وقد تقدم (والوقوف) أي الاطِّلاع (علىٰ دقائق عِلَلها) الخفية (واستكثار الكلام فيها) من هنا وهنا (وحفظ المقالات

---

(١) المفردات ص ١٤٩.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٥٥. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

المتعلِّقة بها) مع كثرتها **(فمَن كان أشد تعمُّقًا فيها)** أي دخولاً في عمقها **(وأكثر اشتغالاً بها يقال: هو الأفقه)** أي أكثرهم فقهًا **(ولقد كان اسم «الفقه» في العصر الأول)** كأنه يعني عصر الصحابة **(مطلقًا علىٰ علم طريق الآخرة)** وهو ما يحويه علم المكاشفة والمعاملة **(و)** علىٰ **(معرفة دقائق آفات النفوس)** وفي نسخة: النفْس **(ومُفسِدات الأعمال و)** علىٰ **(قوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلُّع إلىٰ نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف علىٰ القلب)** ولذا فسَّره[(١)] الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ بمعرفة النفس ما لها وما عليها، أي سواء كان من الاعتقاديات أو الوجدانيات أو العَمَليات، فدخل في الاعتقادياتِ علمُ الكلام، وفي الوجدانيات علمُ الأخلاق والتصوُّف كالزهد والصبر والرضا وحضور القلب في الصلاة ونحو ذلك، وفي العمليات الصلاة والزكاة والصوم والبيع ونحوها **(ويدلُّك عليه قوله تعالىٰ:** ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢] **وما يحصل به الإنذارُ والتخويف هو)** هذا العلم و**(هذا الفقه)** الذي أشرنا إليه.

وفي القوت في الباب [الحادي و] الثلاثين[(٢)]: لأن علم الإيمان وصحة التوحيد وإخلاص العبودية للربوبية وإخلاص الأعمال من الأهواء الدنيوية وما يتعلق بها من أعمال القلوب هو من الفقه في الدين ونعت أوصاف المؤمنين؛ إذ مقتضاه الإنذار والتخويف[(٣)]؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة:١٢٢] الآية **(دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان)** والظِّهار والأيمان والكفَّارات والنذور **(والسَّلَم والإجارة)** وما أشبهها **(فذلك لا يحصل به إنذارٌ ولا تخويف)** الذي في الآية.

---

(١) البحر الرائق لابن نجيم المصري ١/ ١٦ (ط - دار الكتب العلمية).

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٥٢.

(٣) في القوت: والتحذير.

وفي القوت[1]: في قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ وصفانِ ظهرا عن الفقه:

أحدهما: النذارة، وهو مقام في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، ولا يكون المنذِر إلا مخوِّفًا، ولا يكون المخوِّف إلا خائفًا، والخائف عالِم.

والثاني: الحذر، وهو حال من المعرفة بالله عَزَّوَجَلَّ وهو الخشية له.

(**بل التجرُّد له**) أي الاشتغال به (**علىٰ الدوام يقسِّي القلبَ**) ويورِث الغفلة عن تحصيل مقام الإخلاص في الأعمال (**وينزع الخشيةَ منه كما يشاهَد**) ذلك (**الآن من المتجرِّدين له**) وهذا في زمان المصنف وهو في القرن الخامس، فما بالك بزماننا الآن؟! اللهم وفِّقْنا للخير، واهدنا للصواب .. آمين (**وقال تعالىٰ**: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩]) أي لا يعلمون بها العلم الشرعي (**وأراد به معاني الإيمان دون**) علم (**الفتاوىٰ**) قال صاحب القوت[2] في حق الموسومين بالفقه: ولا يُشعِر أن حُسن الأدب في المعاملة بمعرفة ويقين هو من صفات الموقنين، وذلك هو حال العبد في مقامه بينه وبين ربه عَزَّوَجَلَّ ونصيبه من ربه تعالىٰ وحظه من مزيد آخرته، وهو معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالإيمان من خفايا الشرك وشُعَب النفاق [وهو مقترن] بالفرائض، وفرضُ فرضِها الإخلاص بالمعاملة وإن علم ما سوىٰ هذا [مما] قد أُشربَ قلبه وحُبِّب إليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم، وإنما هو حوائج الناس ونوازلهم، فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه، فآثَرَ هذا الغافلُ لقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ما زُيِّن له طلبه وحُبِّب إليه قصده، وآثر حوائج الناس وأحوالهم علىٰ حاجته وحاله، وعمل في أنصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم، ولم يعمل في نصيبه الأوفر من ربه الأعلىٰ عَزَّوَجَلَّ لأجل آخرته التي هي خير وأبقَىٰ؛ إذ مرجعه إليها، ومثواه المؤبَّد فيها، فآثر التقرُّبَ منهم

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٦٢.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٥٣. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

علىٰ قربه عَزَّوَجَلَّ، وترك -للشغل- بهم حظَّه من الله تعالىٰ الأجزل، وقدَّم التفرُّغ لهم علىٰ فراغ قلبه لما قدَّم لغده من تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه، واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه، وظواهر أحوالهم عن باطن حاله، وكان سبب ما بُلِيَ به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجِب السياسة، والرغبة في عاجل الدنيا وعزها بقلة الهمَّة وضعف النية في آجِل الآخرة وذخرها، فأفنىٰ أيامه لأيامهم، وأذهب عمره في شهواتهم؛ ليسمِّيه الجاهلون بالعلم عالمًا، وليكون في قلوب البطَّالين عندهم فاضلاً، فورد القيامةَ مفلسًا، وعندما يراه من أنصبة المقرَّبين مبلسًا؛ إذ فاز بالقُرْب العاملون، وربح الرضا العالِمون.

وقال في موضع آخر من كتابه[1] بعد أن ذكر حديث «استفتِ قلبك وإن أفتاك المفتون»: وهذا مخصوص لمَن كان له قلب أو ألقىٰ سمعه وشهد قيام شاهده، وعري عن شهواته [ومعهوده] لأن الفقه ليس من أوصاف اللسان، ألم تسمع قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ فمَن كان له قلب سميع شهيد فقه به الخطابَ فاستجاب لِما سمع وأناب.

(**ولعَمْري إن الفقه والفهم في اللفظ اسمان لمعنًىٰ واحد**) ونص القوت[2]: والفقه والفهم اسمان لمعنىٰ واحد، والعرب تقول: فقهت بمعنىٰ فهمت.

قلت: الفقه لغةً: الفهم، قال ابن سِيده في المخصَّص[3]: فَقُه ككَبُرَ فَقاهةً، وهو فقيه من قوم فقهاء. وقال بعضهم[4]: فَقِهَ كعَلِمَ فقهًا بكسر وفتح معًا، ويُعدَّىٰ فيقال: فقَّهته، كما يقال: علَّمته. وقال سيبويه: فَقِه فقهًا فهو فقيه، كعَلِم علمًا فهو عليم، وقد أفقهته وفقَّهته: علَّمته وفهَّمته، والتفقُّه: تعلُّم الفقه، وفَقِهْت عنك: فَهِمت.

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٦٢. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٦٢.

(٣) المخصص لابن سيده ٣/ ٣٣ (ط - دار الكتب العلمية).

(٤) في المطبوعة: غيره. والمثبت من المخصص.

وقال عيسىٰ بن عمر: [قال لي أعرابي][1] شهدت عليك بالفقه، أي بالفِطنة.

وفي المحكم[2]: الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب علىٰ علم الدين؛ لسيادته وشرفه وفضله علىٰ سائر أنواع العلم.

وفي «المُوعَب» لابن التَّياني[3]: فَقِه فقهًا، مثال حَذِر: إذا فهم، وأفقهته: بيَّنت له.

وفي الصحاح[4]: فاقَهْتُه: باحثته في العلم.

وقال القَزَّاز في جامعه[5]: تفقَّه الرجل [تفقُّهًا]: كثر علمُه، وفلان ما يفقه ولا ينقه، أي لا يعلم ولا يفهم، وقالوا: كل عالِم بشيء فهو فقيه به.

وفي الغريبين[6]: فقه: فهم، وفقه: صار فقيهًا.

وقال ابن قتيبة[7]: يقال للعلم: الفقه؛ لأنه عن الفهم يكون، وللعالِم: فقيه؛ لأنه إنما يعلِّم بفهمه، علىٰ [مذهب العرب في] تسمية الشيء بما كان له سببًا.

وقال ابن الأنباري[8]: معنىٰ قولهم «فقيه» أي عالِم.

---

(١) زيادة من المخصص.

(٢) المحكم لابن سيده ٤/ ٩٢.

(٣) نقله العيني في عمدة القاري ٢/ ٧٤.

(٤) الصحاح للجوهري ٦/ ٢٢٤٣.

(٥) عمدة القاري ٢/ ٧٥. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٦) الغريبين للهروي ٥/ ١٤٦٦ ونصه: «قوله تعالىٰ: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي ليكونوا علماء به. وفي حديث سلمان أنه قال لامرأة قالت له كذا وكذا: فقهت. قال شمر: فهمت المعنىٰ الذي خاطبتها به، ولو كان فقهت معناه صار فقيهة. ودعا رسول الله ﷺ لابن عباس أن يفقهه الله في التأويل، أي يفهمه تفسير القرآن».

(٧) الفقيه والمتفقه للخطيب ١/ ١٨٩. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٨) الفقيه والمتفقه ١/ ١٩٠.

وقال السمين[١]: أصل الفقه: الفهم، وقيل: فقه الأشياء الخفية، فهو أخص من مطلق الفهم، وقيل: هو التوصُّل إلىٰ علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص أيضًا من مطلق الفهم، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي ليس في وسعهم معرفة حقيقة ذلك، ويقال: فَقُه بالضم: صار الفقه سجية له وطبعًا، وفَقِه بالكسر، أي حصل له فهمٌ، وفَقَه بالفتح، أي غلب غيره في الفقه.

هذا ما تيسَّر لنا بيانه في تحقيق لفظ «الفقه»، وأما الفهم فقال الجوهري[٢]: فهمت الشيء: علمته. فالفهم والعلم بمعنًىٰ واحد[٣].

وقال البدر العيني في شرحه علىٰ البخاري[٤]: تفسير الفهم بالعلم غير صحيح؛ لأن العلم عبارة عن الإدراك الكلِّي، والفهم: جودة الذهن، والذهن قوة تُقتنَص بها الصور والمعاني، وتشمل الإدراكات العقلية والحسِّية، قال الليث: يقال: فهمت الشيء، أي عقلته وعرفته. قال العيني: وهذا قد فسَّر الفهم بالمعرفة، وهو غير العلم.

وقال ابن بطال[٥]: التفهُّم للعلم هو التفقُّه فيه، ولا يتم العلمُ إلا بالفهم، ولذلك قال عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: واللهِ ما عندنا إلا كتاب الله أو فهمٌ أوتيه رجل مؤمن. فجعل الفهم درجة أخرىٰ بعد حفظ كتاب الله؛ لأنه بالفهم له تتبيَّن معانيه وأحكامه، وقد نفىٰ ﷺ العلم عمَّن لا فهم له بقوله: «رُبَّ حامل فقه لا فقه له».

---

(١) عمدة الحفاظ ٣/ ٢٤٥.

(٢) الصحاح ٥/ ٢٠٠٥.

(٣) قال الكرماني في الكواكب الدراري ٢/ ٣٩ عند قول البخاري في صحيحه: باب الفهم في العلم: «فإن قلت: قال الجوهري: فهمت الشيء أي علمته. فالفهم والعلم بمعنىٰ واحد، فكيف يصح أن يقال: الفهم في العلم؟ قلت: المراد من العلم: المعلوم، كأنه قال: باب إدراك المعلومات»..

(٤) عمدة القاري ٢/ ٧٩.

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ١٥٧.

وقال صاحب القوت[1] بعدما ذكر أن الفقه والفهم [اسمان] لمعنًىٰ واحد ما نصُّه: وقد فضَّل الله عز وجل الفهم عنه علىٰ العلم والحكمة، ورفع الإفهام علىٰ الأحكام والقضاء، فقال عزَّ مِن قائل: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩] فأفرده بالفهم عنه، وهو الذي فضَّله به علىٰ حكم أبيه في القضية بعد أن أشركهما في الحكم والعلم.

(وإنما **تُكُلِّم في عادة الاستعمال**) بينهم **(قديمًا وحديثًا، قال)** الله **(تعالىٰ:** ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣﴾ [الحشر:١٣]) أي خفي عليهم الفرقُ بين الخوفين، فلم يعرفوا الله حقَّ المعرفة **(فأحال قلة خوفهم من الله)** تعالىٰ الناشئ عن عدم اليقين بالله **(واستعظامهم سطوة الخَلْق علىٰ قلة الفقه)** بل عدمه **(فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوىٰ)** في الأحكام الشرعية **(أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم)** وقد فضَّل الحسن بن علي علماء الهداية إلىٰ الله الدالِّين عليه وسمَّاهم العلماء وحقَّقهم بالعلم في كلام رُوي عنه [منظومًا][2] في ذلك **(وقال ﷺ: علماء حكماء فقهاء)** قاله **(للذين وفدوا عليه)** وفي نسخة: قَدِموا عليه. قال العراقي[3]: أخرجه أبو نعيم في الحلية[4]، والبيهقي في الزهد[5]، والخطيب في التاريخ من حديث سُوَيد بن الحارث بإسناد ضعيف.

قلت: وكذا أبو موسىٰ المديني في كتاب الصحابة الذي ذيَّل به علىٰ ابن منده، كلهم من رواية علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي، حدثني أبي، عن جدي سويد بن الحارث قال: وفدتُ علىٰ رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي[6]، فلما دخلنا عليه

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٦٢.

(٢) زيادة من القوت.

(٣) المغني ١/ ٢٦.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ٢٧٩.

(٥) الزهد الكبير للبيهقي ص ٣٥٣ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية).

(٦) في الزهد: رفقائي.

وكلَّمناه أعجبه ما رأىٰ من سَمْتنا وزِيِّنا، فقال: «ما أنتم»؟ قلنا: مؤمنون. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم»؟ قال سويد: قلنا: خمسة عشر خصلة، خمس منها أمرتنا رسلُك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلَّقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئًا. فقال رسول الله ﷺ: «وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها»؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت. قال: «وما الخمس التي أمرتكم [رسلي][1] أن تعملوا بها»؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول: لا إله إلا الله[2]، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت مَن استطاع إليه سبيلاً [فنحن علىٰ ذلك][3] قال: «وما الخمس التي تخلَّقتم بها أنتم في الجاهلية»؟ قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا بمُرِّ القضاء، والصبر عند شماتة الأعداء[4]. [فتبسم][5] النبي ﷺ وقال: «علماء [أدباء فقهاء عقلاء][6] حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء»[7].

---

(١) زيادة من الزهد.

(٢) في الزهد: أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

(٣) زيادة من الزهد.

(٤) في الزهد بعد قوله «والصبر عند البلاء»: والصدق عند اللقاء، ومناجزة الأعداء - وفي رواية: وترك الشماتة بالمصيبة إذا حلت بالأعداء.

(٥) زيادة من الزهد.

(٦) زيادة من الزهد.

(٧) زاد في الزهد: من خصال ما أشرفها وأزينها وأعظم ثوابها. ثم قال رسول الله ﷺ: أوصيكم بخمس خصال لتكمل عشرون خصلة. قلنا: أوصنا يا رسول الله. قال: إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء غدا عنه تزولون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون. فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وقد حفظوا وصيته وعملوا بها.

وفي مشيخة الأنصاري[١]: فقال: «أدباء حُلَماء عقلاء فقهاء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء».

وقال الحافظ ابن حجر: وهو في كتاب المعرفة لأبي نعيم من رواية أبي سليمان الداراني عن زاهد بالشام سمَّاه عن أبيه عن جده سويد.

قلت: قال الذهبي في الميزان[٢]: علقمة بن يزيد بن سويد، عن أبيه عن جده، لا يُعرَف، وأتىٰ بخبر منكر، لا يُحتجُّ به، فلينُظَرْ.

(وسُئل) أبو إسحاق[٣]، ويقال: أبو إبراهيم **(سعد بن إبراهيم)** بن عبد الرحمن ابن عوف **(الزُّهري)** قاضي المدينة، أمه أم كلثوم بنت سعد بن أبي وقَّاص، روىٰ عن أنس وأبي أُمامة بن سهل، وعنه ابنه إبراهيم وشعبة وابن عيينة، ثقة إمام، كان يصوم الدهر، ويختم كل يوم، توفي سنة ١٢٧. وحفيده[٤] سعد بن إبراهيم بن سعد، أبو إسحاق، قاضي واسط، توفي سنة ٢٠١. قال صاحب القوت[٥]: قال مسعر عن سعد بن إبراهيم وسأله سائل: **(أيُّ أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله عَزَّ وَجَلَّ. فكأنه أشار إلىٰ ثمرة الفقه)** أي العلم الباطن **(والتقوىٰ ثمرة العلم الباطن دون الفتاوىٰ والأقضية)** وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ﴾ [المائدة:١٠٨] ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأحزاب:٧٠] فجعل مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكين التقوىٰ، وهي وصية الله وتعالىٰ مَن قبلنا وإيانا؛ إذ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ

---

(١) أحاديث الشيوخ الثقات لأبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ص ١٣٨١ (ط - عالم الفوائد بمكة المكرمة).

(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٨.

(٣) انظر ترجمته في تهذيب الكمال ١٠/ ٢٤٠ - ٢٤٧. وفيه الاختلاف في سنة وفاته.

(٤) انظر ترجمته في تهذيب الكمال ١٠/ ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٥) قوت القلوب ١/ ٢٣٩.

أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] وهذه الآية قطب القرآن، ومَداره عليها كمدار الرحا على الخشبان.

(**وقال ﷺ: ألا أنبِّئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلىٰ. قال: مَن لم يُقنِط الناسَ من رحمة الله، ولم يؤمِّنهم من مكر الله، ولم يؤيسهم من رَوْح الله، ولم يَدَع القرآن رغبةً عنه إلىٰ ما سواه**) قال العراقي: أخرجه أبو بكر ابن لال في «مكارم الأخلاق»، وأبو بكر ابن السنِّي في «رياضة المتعلمين»، وابن عبد البر في العلم[1] من حديث عليٍّ، كلهم من طريق ابن وهب قال: أخبرني عُقْبة بن نافع عن إسحاق بن أُسَيد عن أبي مالك وأبي إسحاق عن عليٍّ رفعه. وقال ابن عبد البر: أكثرهم يوقفونه علىٰ عليٍّ، ولم يُروَ مرفوعًا إلا بهذا الإسناد.

قلت: وفي رواية الثلاثة تقديم «لم يؤيسهم» علىٰ «لم يؤمِّنهم» مع زيادة في آخره وهي: «ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقُّه، ولا في علم ليس فيه تفهُّم، ولا في قراءة ليس فيها تدبُّر». وهكذا هو في الفردوس[2] بتلك الزيادة.

(**ولِما روىٰ أنس بن مالك**) بن النضر بن ضمضم بن حرام النجَّاري الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ، جاوز المائةَ، توفي سنة ٩٣. روىٰ عنه خَلْقٌ كثير (**قول** رسول الله ﷺ) وفي القوت[3]: وروينا عن أنس بن مالك أنه لمَّا حدَّث عن النبي ﷺ في فضل مجالس الذِّكر: (**لأنْ أقعد مع قوم يذكرون الله تعالىٰ من غَدْوة إلىٰ طلوع الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربع رقاب**) أخرجه أبو داود[4] بإسناد حسن؛ قاله العراقي[5].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨١١.

(٢) فردوس الأخبار للديلمي ١/ ١٧٢.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٥٨.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٢٤٧.

(٥) المغني ١/ ٢٦.

قلت: تبع المصنفُ صاحبَ القوت في سياقه، والحافظ العراقي سكت عليه وعزاه بهذا السياق إلىٰ أبي داود، والذي في سننه من رواية موسىٰ بن خلف عن قتادة عن أنس رفعه: «لأنْ أقعد مع قوم يذكرون الله تعالىٰ من صلاة الغَداة حتىٰ تطلع الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأنْ أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلىٰ أن تغرُب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة».

وموسىٰ بن خلف العَمِّي قال فيه ابن معين: ضعيف، وقال مرةً: لا بأس به[١].

ورواه أيضًا هكذا أبو نعيم في المعرفة[٢]، والبيهقي في السنن[٣]، والضياء المقدسي في المختارة[٤]، كلهم عن أنس.

وأخرجه أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده[٥]، وفيه: «لأنْ أقعد مع أقوام» بدل «قوم»، وفيه زيادة: «دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفًا» في الموضعين.

وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده[٦]، وابن السنِّي في «عمل يوم وليلة»[٧]، والبيهقي في السنن عن أنس أيضًا بلفظ: «لأنْ أجالس قومًا يذكرون الله من صلاة الغَداة إلىٰ طلوع الشمس أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس، ولأنْ أذكر الله من صلاة العصر إلىٰ غروب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق ثمانية من وَلَد إسماعيل،

---

(١) وقال ابن حبان: أكثر من المناكير. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال أبو داود: ليس به بأس، ليس بذاك.
ميزان الاعتدال ٤/ ٢٠٣.

(٢) معرفة الصحابة ١/ ٢٣٨ (ط - دار الوطن بالرياض).

(٣) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٨/ ٦٨، ١٣٩.

(٤) الأحاديث المختارة ٧/ ٣٣، ٣٤.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٦/ ١١٩.

(٦) مسند الطيالسي ٣/ ٥٧٥.

(٧) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٤٠٦ (ط - مكتبة دار الأرقم ببيروت).

دية كل واحد اثنا عشر ألفًا». كذا في الجامع الكبير[١]. ورواه ابن السني في «رياضة المتعلمين» والخطيب في «الفقيه والمتفقه»[٢] نحوه، وفيه «كلهم مسلم»، وليس عندهما ذِكر الدِّية.

وفي الباب عن الحسن بن علي، وسهل بن سعد، والعباس بن عبد المطلب، وابن عمر، وابن عمرو، وعُتْبة بن عبد الله، وعلي، وعمر بن الخطاب، ومعاذ بن أنس، وأبي أُمامة، وأبي هريرة، وعائشة. وسيأتي ذِكرُها حيث ذَكَرَها المصنف في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالىٰ.

(قال) صاحب القوت[٣]: **(فالتفت)** أي أنس **(إلىٰ)** صاحبيه **(يزيد)** بن أبان **(الرَّقاشي)** القاصُّ العابد، روىٰ عن أنس والحسن، وعنه صالح المُرِّي وحماد بن سَلَمة، ضعيف[٤] **(وزياد)** بن عبد الله **(النُّمَيري)** روىٰ عن أنس، وعنه عُمارة بن زاذان وأبو سعيد المؤدِّب[٥]، وثَّقه ابن حبان[٦] **(وقال: لم تكن مجالس الذِّكر مثل مجالسكم هذه يقصُّ أحدكم)** كذا في النسخ، وفي القوت: يقص أحدهم **(ويخطب علىٰ أصحابه)** وفي بعض نسخ الكتاب: يقصُّ أحدهم وعظَه علىٰ أصحابه، وهو تصحيف **(ويسرد الحديث سردًا)** وليس في القوت «سردًا» **(إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان، ونتدبَّر القرآن، ونتفقَّه في الدين، ونعدُّ نِعَم الله علينا تفقُّهًا)** وأخرج الخطيب البغدادي[٧] من طريق يزيد الرَّقَاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنْ أجلس مع قوم يذكرون الله من غداة إلىٰ طلوع الشمس أحب إليَّ ممَّا طلعت

---

(١) كنز العمال ٢/ ١٥٣.

(٢) الفقيه والمتفقه ١/ ٩١. وليس فيه عبارة «كلهم مسلم».

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٥٩.

(٤) الكاشف للذهبي ٢/ ٣٨٠.

(٥) الكاشف ١/ ٤١١.

(٦) الثقات لابن حبان ٤/ ٢٥٥.

(٧) الفقيه والمتفقه ١/ ٩١.

عليه الشمس، ومن العصر إلىٰ غروبها أحب إليَّ من كذا وكذا». قال يزيد: كان أنس إذا حدَّث بهذا الحديث أقبل عليَّ وقال: واللهِ ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك، ولكنهم قوم يتعلَّمون القرآن والفقه.

كذا في «تحذير الخواصِّ» للسيوطي.

وروىٰ أبو يعلىٰ في مسنده[1]: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا حماد بن زيد، عن جعفر بن ميمون، عن يزيد الرقاشي قال: كان أنس [مما يقول لنا] إذا حدثنا هذا الحديث: إنه واللهِ ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك. يعني يقعد أحدكم فيجتمعون حوله فيخطب، إنما كانوا إذا صلوا الغَداة قعدوا حِلَقًا حِلَقًا يقرأون القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن.

وفي القوت[2]: وكان عبد الله بن رَواحة يقول لأصحاب رسول الله ﷺ: تعالوا حتىٰ نؤمن ساعة. فيجلسون إليه فيذكِّرهم العلم بالله تعالىٰ والتوحيد والآخرة، وكان يخلف رسولَ الله ﷺ بعد قيامه، فيجتمع الناس إليه فيذكِّرهم الله تعالىٰ وأيامه، ويفقِّههم فيما قال رسول الله ﷺ، فربما خرج عليهم رسول الله ﷺ وهم مجتمعون عنده فيسكتون، فيقعد إليهم ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه، ويقول ﷺ: «بهذا أُمرتُ، وإلىٰ هذا دعوتُ». ورُوي نحو هذا عن معاذ بن جبل، وكان يتكلم في هذا العلم، وقد روينا هذا مفسَّرًا في حديث جندب: كنا مع رسول الله ﷺ فيعلِّمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن.

(**فسمَّىٰ تدبُّر القرآن وعدَّ النعمِ تفقُّهًا**) كما سمَّىٰ ابنُ رواحة علم الإيمان إيمانًا؛ لأن علم الإيمان وصفُ الإيمان، والعرب تسمِّي الشيء بوصفه، وتسميه بأصله، كما في الحديث: «تعلَّموا اليقين» أي علم اليقين، وكما في قوله تعالىٰ:

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ١٢٩. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٥٩.

﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ [يوسف:٨٤] أي من البكاء، فسمَّاه بأصله؛ لأن الحزن أصل البكاء.

(وقال ﷺ: **لا يفقه العبدُ كل الفقه حتىٰ يمقت الناسَ في ذات الله، وحتىٰ يرىٰ للقرآن وجوهًا كثيرة**) قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر[١] من رواية عبد الله بن أبي مريم، حدثنا عمرو بن أبي سَلَمة التِّنِّيسي، حدثنا صدقة بن عبد الله، عن إبراهيم بن أبي بكر، عن أبان بن أبي عياش، عن أبي قِلابة، عن شدَّاد بن أوس، وقال: لا يصح مرفوعًا.

قلت: وهذا أورده الخطيب في «المتفق والمفترق»[٢] من حديث شداد أيضًا، ولفظه: «لا يفقه العبد كلَّ الفقه حتىٰ يمقُت الناسَ في ذات الله، وحتىٰ لا يكون أحد أمقت إليه من نفسه».

(**ورُوي أيضًا موقوفًا علىٰ أبي الدرداء** رضي الله عنه) رواه ابن عبد البر[٣] من طريق عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أبي الدرداء بلفظ: لن تفقه كلَّ الفقه حتىٰ ترىٰ للقرآن وجوهًا كثيرة، ولن تفقه كل الفقه حتىٰ تمقت الناس في ذات الله.

(مع) زيادة (**قوله: ثم يُقبِل علىٰ نفسه فيكون لها أشد مقتًا**) وعند ابن عبد البر: ثم تُقبِل علىٰ نفسك فتكون لها أشد مقتًا منك للناس.

وقد أخرجه أبو بكر ابن لال في فوائده من رواية الحكم بن عبدة عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيَّب عن جابر، وابن الديلمي في مسند الفردوس من طريقه، ولفظه: «لا يفقه العبد كل الفقه حتىٰ يبغض الناس في ذات الله،

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨١٣.

(٢) المتفق والمفترق للخطيب ٢/ ١٠٥٣.

(٣) جامع بيان العلم ٢/ ٨١٣.

ثم يرجع إلىٰ نفسه فتكون أمقتَ عنده من الناس أجمعين»[١].

وفي المجلس الخامس عشر من أمالي ابن منده[٢] من هذا الوجه بلفظ: «لا يكون المرء فقيهًا حتىٰ يمقُت الناس كلهم في ذات الله، وحتىٰ لا يكون أحد أمقت إليه من نفسه». قال ابن منده: وهو حديث غريب من حديث قتادة، لا يُعرَف عنه مرفوعًا إلا من هذا الوجه.

(**وقد سأل فرقد**) بن يعقوب (**السَّبَخي**) بفتح الموحَّدة وكسر الخاء المعجمة، نسبة إلىٰ السَّبَخة: موضع بالبصرة؛ قاله ابن الأثير[٣]، وهو البصري الحافظ الزاهد، روىٰ عن أنس وجمعٍ، وعنه الحَمَّادانِ وهمَّام. ضعَّفوه، لكن قال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة، يقال: شغله التعبد عن حفظ الحديث. مات بالبصرة سنة ١٣١[٤] (**الحسن**) بن يَسار البصري سيد التابعين (**عن شيء، فأجابه**) عنه (**فقال**): يا أبا سعيد (**إن الفقهاء يخالفونك**) أي فيما أفتيت (**فقال الحسن: ثكلتك أمُّك**) يا (**فُرَيْقِد**) صغَّر اسمه للترحُّم (**وهل رأيتَ فقيهًا بعينك؟ إنما الفقيه**) حقيقةً هو (**الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه**) وفي بعض النسخ: بذَنْبه (**المداوم علىٰ عبادة ربه، الورع، الكافُّ نفسه عن أعراض المسلمين**) وفي بعض النسخ: الناس (**العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم**) أورد هذه القصة هكذا صاحب القوت[٥] وقال: جمعنا قوله هذا في [ثلاث][٦] روايات عنه مختلفة، فوصف وصف العارفين[٧].

---

(١) كنز العمال ١٠/ ١٨٢.

(٢) الفوائد لابن منده (ضمن مجموعة أجزاء حديثية) ٢/ ٣٣.

(٣) لباب الأنساب لابن الأثير ٢/ ٩٩. وليس فيه «موضع بالبصرة».

(٤) تهذيب الكمال للمزي ٢٣/ ١٦٤ - ١٧٠. الكاشف للذهبي ٢/ ١٢٠.

(٥) قوت القلوب ١/ ٢٦٣.

(٦) زيادة من القوت.

(٧) عبارة القوت: فهذه صفات العالم بالله تعالىٰ وهم العارفون.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[1] بسنده إلىٰ عيسىٰ بن معاذ عن ليث قال: كنت أسال الشعبي فيُعرِض عني ويجبهني بالمسألة، فقلت: [يا معشر العلماء] يا معشر الفقهاء، تروون عنا أحاديثكم وتجبهونا بالمسألة. فقال الشعبي: يا معشر العلماء، يا معشر الفقهاء، لسنا بفقهاء ولا علماء، ولكنا قوم قد سمعنا حديثًا، فنحن نحدِّثكم بما سمعنا، إنما الفقيه مَن ورع عن محارم الله، والعالِم مَن خاف الله. انتهىٰ.

(**ولم يقُل في جميع ذلك**): الفقيه هو (**الحافظ لفروع الفتاوىٰ**) والأحكام والأقضية (**ولستُ أقول إن اسم «الفقه» لم يكن متناولاً**) أي شاملاً (**للفتاوىٰ في الأحكام الظاهرة، ولكن كان بطريق العموم والشمول**) قال أبو البقاء[2]: هما بمعنًىٰ واحد، وهو الإكثار وإيصال الشيء إلىٰ جماعة. وقال غيره[3]: العموم: ما يقع من الاشتراك في الصفات.

وفي «الليث العابس»: حدُّ العامِّ هو: اللفظ المستغرِق لِما يصلُح له من غير حصر، والصحيح دخول الصور النادرة تحته وإن لم تخطر بالبال[4].

(**أو بطريق الاستتباع**) بأن يُجعَل علم الفتاوىٰ تابعًا لبقية علوم الآخرة (**و**) لكن (**كان إطلاقهم له**) أي لعلم الفقه (**علىٰ علم الآخرة أكثر**) وذلك في الصدر الأول (**فثار من هذا التخصيص**) بعلم الفتاوىٰ خاصةً، أي قام منه وانبعث (**تلبيس**):

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٣١١. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٤٧.

(٣) هو الشريف الجرجاني، قال في التعريفات ص ١٦٣ ما نصه: «العموم في اللغة عبارة عن إحاطة الأفراد دفعة. وفي اصطلاح أهل الحق: ما يقع به الاشتراك في الصفات سواء كان في صفات الحق كالحياة والعلم، أو صفات الخلق كالغضب والضحك، وبهذا الاشتراك يتم الجمع وتصح نسبته إلىٰ الحق والإنسان».

(٤) قال الجرجاني في التعريفات ص ١٤٩: «العام: لفظ وضع وضعًا واحدًا لكثير غير محصور مستغرق لجميع ما يصلح له».

تخليط (**بعث الناس**) وحملهم (**علىٰ التجرُّد له**) أي الانفراد لطلبه والإقبال عليه (**والإعراض عن علم الآخرة و**) علم (**أحكام القلوب، ووجدوا علىٰ ذلك**) أي علىٰ طلبه (**معينًا**): مساعدًا (**من الطبع**) والجِبِلَّة (**فإن علم الباطن**) الذي سبق بيانه (**غامض**) خفي المَدْرَك، يحتاج إلىٰ رياضة (**والعلم به**) بالتوصُّل إليه (**عسير**) علىٰ غالب الناس. وفي نسخة: والعمل به عسير (**والتوصُّل به إلىٰ طلب**) المناصب الدنيوية مثل (**الولاية، والقضاء و**) كذا التوصُّل به إلىٰ تحصيل (**الجاه والمال**) كلُّ ذلك (**متعذِّر**) قَلَّ مَن يصل إلىٰ ما ذُكر بعلم الباطن، بل علمه ينهاه عن اختيار شيء من ذلك (**فوجد الشيطان مجالاً**) في إغوائه (**لتحسين ذلك في القلوب**) وتزيينه (**بواسطة تخصيص اسم «الفقه» الذي هو اسم محمود في الشرع**) فلم يزل بأحدهم يحسِّن له في ذلك حتىٰ يوقعه في هوَّة الهلاك، فيأتي يومَ القيامة مفلسًا من الأعمال، ملجمًا بلجام الحيرة حيث لا تنفعه، نسأل الله العفو والإحسان.

(**اللفظ الثاني: العلم، وقد كان يطلق ذلك**) في العصر الأول (**علىٰ العلم بالله تعالىٰ وبآياته وأفعاله في عِباده وخَلْقه**) وعلىٰ المعرفة واليقين والإخلاص ومعرفة أحوال القلب وما يصلحه ويضرُّه (**حتىٰ إنه لمَّا مات**) أمير المؤمنين (**عمر**) ابن الخطاب (رضي الله عنه **قال**) عبد الله (**ابن مسعود**) الهُذَلي رضي الله عنه فيما رواه صاحب القوت[1] بلا سند، وأخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم[2] فقال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله: إني لأحسب أنه (**قد مات تسعة أعشار العلم**) بموته، ولفظ أبي خيثمة: إني لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم.

ثم قال صاحب القوت: (**فعرَّفه بالألف واللام**) للعهد الذِّهني (**ثم فسَّره بالعلم بالله سبحانه وتعالىٰ**) وذلك لمَّا قيل له: أتقول هذا وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون؟! فقال: إني لست أعني العلم الذي تذهبون إليه، إنما أعني العلم بالله عز وجل.

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٤١.

(٢) العلم لأبي خيثمة ص ١٨.

(**وقد تصرَّفوا فيه أيضًا بالتخصيص**) وهو قصرُ العامِّ علىٰ بعض مسمَّياته[١] (**حتىٰ شهروه**) أي جعلوه مشهورًا (**في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها**) ويحتجُّ كلٌّ منهم بأقوال الأئمة، ويخوضون فيه، وربما صنَّفوا في تلك المسائل رسائل غريبة (**فيقال**) لمَن هذه صفته: (**هو العالِم علىٰ الحقيقة، وهو الفحل في العلم**) والليث الصادم في مضايق الوهم (**ومَن لا يمارس ذلك**) أي لا يتمرَّن فيه (**ولا يشتغل به يُعَدُّ من جملة الضعفاء**) الجبناء الجهلاء. وفي بعض النسخ: من جملة الضَّعَفة (**ولا يعدُّونه في زُمرة أهل العلم**) ولا يرفعون له رأسًا (**وهذا أيضًا تُصُرِّفَ فيه بالتخصيص**) كما عرفتَ (**وقد كان**) لفظ «العلم» (**يطلق**) عليه (**علىٰ العموم**) والشمول (**وكل ما ورد**) وفي نسخة: ولكن ما ورد (**في فضائل العلم والعلماء**) من الآيات والأخبار (**أكثره في العلماء بالله عَزَّوَجَلَّ وبأحكامه وأفعاله وصفاته**) قال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»[٢]: العلم ثلاثة أنواع: علم بالله، وعلم بتدبير الله وبربوبيته، وعلم بأمر الله، ورُوي لنا عن عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: العلماء ثلاثة: عالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله (**وقد صار الآن مطلقًا علىٰ مَن لا يحيط من علوم الشريعة بشيء سوىٰ رسوم جَدَلية**) يجادل بها الخصمَ (**في مسائل خلافية**) في المذهب (**فيُعَدُّ به**) أي بمعرفة هذه الرسوم (**من فحول العلماء**) وأساطينهم، ويُشار إليه بالأصابع (**مع جهله بالتفسير**) وما يتفرَّع منه من العلوم (**والأخبار**) المرويَّة (**وعلم المذهب**) من الفقه (**وغيره**) وإن اشتغل فرد منهم بعلم التفسير والأخبار فعلىٰ طريقة المعقوليين، بحيث إنه يقرِّر في كل آية وحديث وجوهًا من الإعراب والقراءات بوجوهها وتفاريعها، فإذا سُئل عن هذه الآية: ما شأن نزولها؟ وما معناها الباطن؟ وما إشارتها؟ أو كيف العمل بمضمونها؟ لفتل أصابعه شَزَرًا،

---

(١) هذا هو تعريف ابن الحاجب في مختصره، كما في بيان المختصر لأبي الثناء الأصفهاني ٢/ ٢٣٤.

(٢) نوادر الأصول ٢/ ١١٥٢.

وكذا الحال في الأخبار، مع عدم معرفة مخرِّجيها، ولا التميز لصحيحها من سقيمها، ولا مَن خرَّجها، ولا أحوال رُواتها، كما هو مشاهَد الآن، والله المستعان **(وصار ذلك)** أي الاشتغال بالجدل والخلاف **(سببًا مهلكًا لخلق كثير من الطلبة)** وفي نسخة: لحق كثيرًا من الطلبة. وفي نسخة: من طلبة العلم.

(اللفظ الثالث: التوحيد) وهو في الأصل: معرفة وحدانية الله ﷻ بكمال نعوته **(وقد جُعل الآن عبارة عن صنعة الكلام، ومعرفة طريق المجادلة)** مع الخصوم **(والإحاطة بطرق مناقضة)** أدلة **(الخصوم)** إجمالاً وتفصيلاً **(والقدرة علىٰ التمشدق)** وفي نسخة: علىٰ التشدُّق، أي التكلُّم بملء الأشداق **(فيها)** أي في تلك المناقَضة **(بتكثير الأسئلة)** عليهم **(وإثارة الشبهات)** لارتداعهم **(وتأليف الإلزامات)** التي تبهتهم وتُسكِتهم **(حتىٰ لقَّب طوائفُ منهم أنفسَهم بأهل العدل والتوحيد)** وهم المعتزلة **(وسُمِّي المتكلمون)** وهم علماء الكلام: **(العلماء بالتوحيد)** خاصةً **(مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة)** أعني الكلامية من ذِكر البراهين وإيراد الشُّبَه **(لم يكن يُعرَف منها شيء في العصر الأول)** هو عصر الصحابة والتابعين **(بل كان يشتد النَّكِير)** أي الإنكار **(منهم علىٰ مَن كان يفتح باب الجدل والمُماراة)** أي المخاصَمة، كما سيأتي ذلك عن سيدنا عمر، وتقدم ضربُه صبيغًا بالدِّرَّة، وكذا غيره من الصحابة ومَن بعدهم فإنهم كانوا يفرُّون من ذلك، ويجعلون المشتغل به مبتدعًا **(فأما ما يشتمل عليه القرآن)** ظاهره **(من الأدلة الظاهرة)** والبراهين القاطعة الدالَّة علىٰ توحيده ﷻ **(التي تسبق الأذهانُ)** السليمة عن الشكوك **(إلىٰ قبولها في أول السماع)** والتلقِّي **(فلقد كان ذلك معلومًا للكل)** لا يختلف فيه اثنان **(وكان العلم بالقرآن)** أي بما تضمَّنه من الأحكام **(هو العلم كله)** لا يخرج عنه شيءٌ **(وكان التوحيد عندهم)** في العصر الأول **(عبارة عن أمر آخَر لا يفهمه أكثر المتكلمين)** ولا يحومون حول حِماه **(وإن)** كُشف لجماعة منهم و**(فهموه لم يقوموا به)** وفي نسخة: لم يتَّصفوا به، أي لم تظهر عليهم آثارُ

ذلك الأمر؛ لعدم انفعال طبيعته المحجوبة لقبول ذلك الأثر (**وهو أن ترىٰ الأمور كلّها من الله عَزَّوَجَلَّ**) وهذا مشهد مَن يُفرِغ إناءه -الذي هو القلب- من الأغيار، وإليه الإشارة بقوله: (**رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط**) وهو أعلىٰ درجات الموحِّدين السالكين ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الإسراء:٥٧] أي رؤيته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ أي حجابه، وهم التاركون للمساوئ الدينية، المتلبِّسون بالمحاسن السَّنِية، هم أهل المحبة اللدنية، ومحبة العبد هذه هي السبب في محبة الله له بشرط فنائه في رؤية هذا السبب وسائر الحظوظ بنفي نسبة شيء من ذلك كله إليه (**فلا يرىٰ الخير والشر كله إلا منه تعالىٰ**) وللموحِّدين في هذا مراتب، أعلاها هو التوحيد الخالص، ويتحقق به الموحِّد بعد نفي رؤية الفَناء؛ لأنها تسمىٰ عندهم: الشرك الأصغر (**وهذا أمر شريف**) يحصل به كل الهناء؛ لأن هذه الحضرة شرابها صِرْف، وهي تسمىٰ: حضرة الجمال، أي جمال ذات الله، والتي قبلها مِزاج، وتسمىٰ: حضرة الجلال، والسالكون ثلاثة: جَلاليٌّ وهو إلىٰ الشريعة أَمْيَل، وجماليٌّ إلىٰ الحقيقة أَمْيَل، وكمال جامع لهما علىٰ حد سواء هو منهما أفضل وأكمل؛ لترقِّيه إلىٰ حضرة الجمال والمشاهدة للوفاء بحقوق الحقيقة، وتدلِّيه إلىٰ حضرة الجلال للمجاهدة والقيام بحقوق الشريعة (**إحدىٰ ثمراته التوكُّل**) علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ (**كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل**) إن شاء الله تعالىٰ (**ومن ثمراته أيضـًا ترك شكاية الخلق، وترك الغضب عليهم**) في أمر من الأمور؛ لأن الشكاية والغضب ينافيان التوحيد (**و**) من ثمرات التوحيد الخالص: (**الرضا**) بما قدَّره الله تعالىٰ (**والتسليم لحكم الله تعالىٰ**) بانشراح صدرٍ (**وكانت إحدىٰ ثمراته قول أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لمَّا قيل له في مرضه: أنطلب لك الطبيب؟ فقال: الطبيب أمرضني. وقول آخَر لمَّا مرض وقيل له: ماذا قال لك الطبيب في مرضك؟ فقال: قال: إني فعَّال لِما أريد**) قلت: هذا القول الأخير الذي نسبه لآخَر هو المرويُّ الثابت عن حضرة الصِّدِّيق، أخرجه ابن الجوزي في كتاب «الثبات عند الممات»[1]، وأبو نعيم

---

(١) الثبات عند الممات ص ٩٨.

في الحلية[١]، كلاهما من طريق عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا وكيع، عن مالك بن مغول، عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر، فعاده الناس، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعَّال لِما أريد.

وأما القول الأول فلم أرَه لحضرة الصديق، وقد أخرجه أبو عبد الله الثقفي في فوائده من رواية أبي ظبية قال: مرض عبد الله بن مسعود، فعاده عثمان رضي الله عنه، فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربِّي. قال: ألا أدعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني ... الحديث بطوله.

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة[٢] وأبو يعلىٰ وابن السنِّي[٣] والبيهقي في الشُّعَب[٤] وابن عبد البر في التمهيد[٥] والبقلي[٦] بأسانيد كلها تدور علىٰ السري بن يحيىٰ عن شجاع عن أبي ظبية، وقد تُكُلِّم في الحديث بسبب انقطاعه؛ فإن أبا ظبية[٧] لم يدرك ابنَ مسعود، أمليته في جامع شيخو العُمَري[٨].

وأخرج أبو نعيم[٩] في ترجمة أبي الدرداء رضي الله عنه بسنده إلىٰ معاوية بن قُرَّة أن أبا الدرداء اشتكىٰ، فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٤.

(٢) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٢/ ٧٢٩. وليس فيه الحوار الذي دار بين عثمان وابن مسعود، بل ذكر حديثًا مرفوعًا وهو: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا».

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٤١٣.

(٤) شعب الإيمان ٤/ ١١٨ - ١٢٠.

(٥) التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٢٦٩ (ط - وزارة الشؤون الإسلامية المغربية).

(٦) كذا في المطبوعة، ولعله: البغوي، فقد رواه في تفسيره معالم التنزيل ٨/ ٢٨.

(٧) اختلف في ضبطه، فقيل بالظاء والباء كما هنا واسمه عيسىٰ بن سليمان الجرجاني، وقيل: أبو طيبة بطاء بعدها ياء وهو مجهول، وقيل: أبو فاطمة.

(٨) يوجد جامع شيخو بشارع الصليبة بحي السيدة زينب بالقاهرة، بناه الأمير شيخو العمري سنة ٧٥٠، وكان لهذا الجامع قبة احترقت عام ٩٢٣.

(٩) حلية الأولياء ١/ ٢١٨.

قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أوَ لا ندعو لك طبيبًا[١]. قال: هو أفجعني[٢].

(وسيأتي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهدُ ذلك) إن شاء الله تعالىٰ (وكان التوحيد جوهرًا نفيسًا) وفي بعض النسخ: فكان للتوحيد جوهر نفيس (وله قشران أحدهما أبعد عن اللُّب من الآخَر، فخصَّ الناسُ الاسمَ) أي اسم التوحيد (بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر) أي الحفظ له (وأهملوا) أي تركوا (اللب) الذي هو التوحيد الخالص (بالكلِّية) أي بمرة واحدة (فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك) هذه الكلمة المباركة: (لا إله إلا الله، وهذا يسمىٰ توحيدًا مناقضًا للتثليث الذي يصرِّح به النصارىٰ) في كتبهم، وهو قولهم: إن الله ثالث ثلاثة، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا (ولكنه) أي هذا التوحيد (قد يصدر عن المنافق الذي يخالف سرُّه جهرَه) فيُعَدُّ بذلك من أهل الإسلام، ولكنه علىٰ غير إيقان وإخلاص من قلبه (والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول) بل بانشراح الصدر وعدم التردُّد فيه (بل يشتمل ظاهر القلب علىٰ اعتقاده) ذلك ولا يخالف اللسانَ (وكذلك التصديق به، وهو توحيد عوامِّ الخلق) كما أن الأول لبعض العوام أيضًا (والمتكلمون -كما سبق- حُرَّاس هذه القشرة) وفي نسخة: هذا القشر (عن تشويش المبتدعة) أي عن إدخالهم الشُّبَه في هذا التوحيد ما يشوش بها أذهانَهم. و«التشويش» مولَّدة (والثالث وهو اللباب) المحض (أن يرىٰ الأمور كلَّها من الله تعالىٰ رؤية تقطع التفاتَه عن الوسائط) والأسباب، كما تقدم قريبًا (وأن يعبده عبادة يفرده بها، فلا يعبد غيره) قال القشيري في الرسالة[٣]: سُئل ذو النون المصري عن التوحيد، فقال: أن تعلم أن قدرة الله تعالىٰ في الأشياء بلا مزاج، وصنعة للأشياء[٤]

---

(١) في المطبوعة: جليسًا. والمثبت من الحلية.

(٢) في الحلية: هو الذي أضجعني.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٤٩٣ - ٤٩٧.

(٤) في المطبوعة: للإنسان. والمثبت من الرسالة.

بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصُنْعه، ومهما تصوَّر في فهمك ونفسك شيء فالله تعالىٰ بخلافه.

وسُئل الجنيد عن التوحيد، فقال: إقرار[1] الموحِّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولَد، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير، ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وسُئل مرةً عن توحيد الخاص، فقال: أن يكون العبد شبحًا بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له، وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته في حقيقة قربه بذهاب حسِّه وحركته لقيام الحق له فيما أراد منه وهو أن يرجع آخر العبد إلىٰ أوله، فيكون كما كان قبل أن يكون.

وقال مرةً: التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو إفراد القِدَم عن الحدث، والخروج عن الأوطان، وقطع المحابِّ، وترك ما علم وجهل، وأن يكون الحق مكان الجمع.

وقال أيضًا: علم التوحيد طُوِيَ بساطه منذ عشرين سنة، والناس يتكلمون في حواشيه.

وقال أبو سعيد الخرَّاز: أول مقام لمَن وجد علم التوحيد وتحقَّق بذلك فناء ذِكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله تعالىٰ. ا.هـ. ما لخَّصتُه من الرسالة.

(**ويخرج عن هذا التوحيدِ اتباعُ الهوىٰ**) وهو ميل النفس إلىٰ الشيء، وقد غلب علىٰ الميل المذموم.

---

(١) في الرسالة: إفراد.

وأخرج القشيري في الرسالة[١] من حديث جابر رفعه: «أخوف ما أخاف علىٰ أمَّتي اتِّباع الهوىٰ وطول الأمل، فأما اتِّباع الهوىٰ فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسِي الآخرةَ».

وقال ذو النون: مفتاح العبد الفكرة، وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوىٰ، وعلامة مخالفتها تركُ شهواتها.

وقال سهل: ما عُبد الله تعالىٰ [بشيء][٢] مثل مخالفة النفس والهوىٰ.

(**وكل متَّبع هواه فقد اتَّخذ هواه معبوده**) وهو ينافي توحيد الله تعالىٰ (**قال الله تعالىٰ**: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]) أي ما تميل إليه نفسُه، والأصل: مَن اتخذ هواه إلهَه، فقُلب[٣].

(**وقال ﷺ: أبغض إله عُبد في الأرض عند الله تعالىٰ هو الهوىٰ**) قال العراقي: أخرجه الطبراني[٤] من رواية إسماعيل بن عيَّاش عن الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر عن راشد بن سعد عن أبي أُمامة رفعه بلفظ: «ما تحت ظل السماء من إله يُعبَد من دون الله أعظم عند الله من هوًىٰ متَّبع». ورواه أبو نعيم في الحلية[٥] من رواية بقية عن عيسىٰ بن إبراهيم عن راشد، وكل من الخصيب وعيسىٰ متروكان. انتهىٰ.

(**وعلىٰ التحقيق، مَن تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه**) أي ما أمالته نفسُه إليه (**إذ نفسه مائلة إلىٰ دين آبائه**) وجدوده (**فيتَّبع ذلك**

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٢٧٤.

(٢) زيادة من الرسالة.

(٣) نقل القرطبي في تفسيره ١٩/ ١٥٩ عن الحسين بن الفضل قوله: «في هذه الآية تقديم وتأخير، مجازه: أفرأيت من اتخذ هواه إلهه».

(٤) المعجم الكبير ٨/ ١٢٣.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ١١٨.

الميلَ) فيكون عابدًا له **(وميلُ النفس إلىٰ المألوفات)** والشهوات **(أحد المعاني التي يُعبَّر عنها بالهوىٰ)** أشار به إلىٰ اختلافهم في معنىٰ الهوىٰ، فقيل[1]: هو ميل النفس إلىٰ الشيء ومحبَّتها إياه، وقد غلب علىٰ الميل المذموم، قال تعالىٰ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾ [النازعات:٤٠] وقال بعضهم: وهو علىٰ الإطلاق مذمومٌ، ثم يضاف إلىٰ ما لا يُذَمُّ فيقال: هواي مع صاحب الحق، أي ميلي. وقيل: هو ميل النفس إلىٰ المألوفات[2]. وقيل: سُمِّي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلىٰ كل داهية، وفي الآخرة إلىٰ الهاوية؛ قاله السمين.

ومما ذكره المصنف فسَّر قوله تعالىٰ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وتقدمت الإشارة إلىٰ ذلك في أحد فصول المقدمة، فراجعْه.

(ويخرج من هذا التوحيد) بالمعنىٰ السابق **(تركُ التسخُّط)** وهو التغضُّب **(علىٰ الخلق والالتفات إليهم)** في أمر من الأمور **(فإن مَن يرىٰ)** في عقيدته أن **(الكل من الله تعالىٰ كيف يتسخَّط علىٰ غيره)** أمْ كيف يلتفت إلىٰ ما سواه **(فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصِّدِّيقين)** وإليه أشار رُوَيم فقال[3]: التوحيد محو آثار البشرية وتجرُّد الإلهية.

وقال ابن عطاء: [علامة][4] حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو أن يكون القائم به واحدًا، ويقال: من الناس مَن يكون في توحيده مكاشَفًا بالأفعال، يرىٰ الحادثات بالله، ومنهم مَن هو مكاشَف بالحقيقة، فيضمحل إحساسه بما سواه، فهو يشاهد الجمع سرًّا بسر، وظاهره بوصف التفرقة.

---

(١) عمدة الحفاظ للسمين ٤/ ٢٦٧.

(٢) في العمدة: الشهوة.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٤٩٧.

(٤) زيادة من الرسالة.

وقد ذكر المصنِّف في كتابه «الإملاء علىٰ مشكل الإحياء»[١] سر انقسام التوحيد علىٰ أربعة أقسام تشبُّهًا بالجوز؛ لأنه لا يخلو العاقل أن يوجد فيه أثر التوحيد أو لا يوجد، ومَن يوجد فيه لا يخلو أن يكون مقلِّدًا في عقده أو عالمًا به، فالمقلِّدون هم العوامُّ، والعلماء بحقيقة عقدهم لا يخلو واحد منهم أن يكون بلغ الغاية المطلوبة التي أُعدَّت لصنفه دون النبوة، أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ، فالذي لم يبلغ وكان علىٰ قُرْب هم المقرَّبون وهم أهل المرتبة الثالثة، والبالغون هم الصِّدِّيقون وهم أهل المرتبة الرابعة، ثم قسَّم أرباب النطق إلىٰ أربعة أصناف، أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد ثم لم يعتقدوا معنىٰ ما نطقوا به. الثاني نطقوا ولكن أضافوا إلىٰ قولهم ما لا يحصل معه الإيمان وهم الزنادقة، الثالث نطقوا ولكنهم أسرُّوا التكذيب واستبطنوا [خلاف][٢] ما ظهر منهم من الإقرار وهم المنافقون، الرابع نطقوا وهم علىٰ الجهل بما يعتقدون فيها. وحكم الصنف الأول والثاني والثالث من زُمْرة الهالكين، ولمَّا كان اللفظ المنبئ عن التوحيد إذا انفرد عن العقد لم يقع به في حكم الشرع منفعةٌ ولا لصاحبه نجاة إلا مدة حياته عن السيف واليد حسُن فيه أن يُشبَّه بقشر الجوز الأعلىٰ.

ثم قسَّم أهل الاعتقاد المجرَّد إلىٰ ثلاثة أصناف:

- **الأول**: اعتقدوا مضمون ما أقرُّوا به من غير تردُّد، غير عارفين بالاستدلال.

- **الثاني**: اعتقدوا مع ذلك ما قام في نفوسهم أنها أدلة وبراهين، وليست كذلك.

- **الثالث**: مع ذلك استبعدوا طريق العلم، وقنعوا بالقعود في حضيض الجهل.

---

(١) الإملاء علىٰ مشكل الإحياء (ملحق بالإحياء) ص ٢١ - ٣٢ (ط - مكتبة أسامة الإسلامية بالقاهرة).

(٢) زيادة من الإملاء.

ثم ذكر في أصناف أهل الاعتقاد تفصيلاً آخَر، ثم قال: ولمَّا كان الاعتقاد المجرَّد عن العلم بصحته ضعيفًا أُلقي عليه شَبَه القشر الثاني من الجوز؛ لأن ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صونًا[1]، وإذا انفرد أمكن أن يكون طعامًا للمحتاج.

ثم ذكر لتوحيد المقرَّبين ثلاثة حدود: الأسباب الموصِّلة إليه، وحقيقته، وثمراته. ثم ذكر لأرباب هذا المقام ثلاثة أصناف، وقال: إنما سمَّوا أهل هذه المرتبة المقرَّبين لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيِّرات المعرفة. ثم قال في توحيد الصِّدِّيقين: وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله تعالىٰ وحده، ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به، فلم يروا في الدارين غيره، ولا اطَّلعوا في الوجود علىٰ سواه، وأهل هذه المرتبة صنفان: مريدون ومُرادون، فالمريدون في الغالب لا بد لهم أن يحلُّوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقرَّبين، ومنها ينتقلون إلىٰ المرتبة الرابعة، وأما المرادون فهم في الغالب مبتدئون بمقامهم الأخير وهي المرتبة الرابعة، ومتمكِّنون فيها، ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء، ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون. والله أعلم.

(**فانظر إلىٰ ماذا حُوِّل**) لفظ «التوحيد» (**وبأيِّ قشر قُنع منه، وكيف اتخذوا هذا**) الذي سموه توحيدًا (**معتصَمًا**) ومتمسَّكًا (**في التمدُّح**) به (**والتفاخر بما**): بالذي (**اسمه محمود مع الإفلاس**) أي الخلوّ والفراغ. وفي بعض النسخ: علىٰ الإخلاص، وهو بمعناه (**عن المعنىٰ الذي يستحق الحمد الحقيقي، وذلك كإفلاس مَن يصبح بكرةً**) أي يأتي في أول النهار (**ويتوجَّه**) بعد تطهيره (**إلىٰ القِبلة**) لصلاة الصبح (**و**) هو (**يقول: وجَّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا**) وما أنا من المشركين، أي قصدت بعبادتي وتوجُّهي (**وهو أول كذب يفاتح الله تعالىٰ به كلَّ يوم**) عند قيامه إلىٰ الصلاة (**إن لم يكن وجه قلبه متوجهًا إلىٰ الله تعالىٰ**

(١) في المطبوعة: صوان. والمثبت من الإملاء.

علىٰ الخصوص) أي بالإخلاص وتحرِّي الاستقامة بحيث لا يكون له التفات في ذلك إلىٰ ما سواه **(فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجَّهَ)** هو **(وجهه إلا إلىٰ الكعبة، وما صرفه إلا عن سائر الجهات)** ما عدا مكة **(والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتىٰ يكون المتوجِّه إليها)** خاصةً **(متوجهًا إليه تعالىٰ عن أن تحدَّه الجهاتُ والأقطار، وإن أراد به وجه القلب)** كما هو المتبادر **(وهو المطلوب)** من العبد **(المتعبَّد به)** وفي بعض النسخ: للتعبُّد به **(فكيف يصدُق في قولِه وقلبُه متردِّد في أوطاره وحاجاته الدنيوية)** كيف يفعل في كذا، وكيف يترك عن كذا **(ومتصرِّف في طلب الحِيَل في جمع الأموال والجاه)** وهو الحظوة عند الأمراء **(واستكثار الأسباب)** والعوارض واسترباحها **(ومتوجِّه بالكلية إليها)** أي إلىٰ تلك الأمور المذكورة **(فمتىٰ وجَّهَ وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة)** الشريفة **(خبر عن حقيقة التوحيد)** لكونها مشيرة إلىٰ الإخلاص في التوجُّه، والإمحاض في العبودية، والتحرِّي في الاستقامة، ومن هنا قال الشِّبْلي[١]: مَن اطَّلع علىٰ ذرَّة من علم التوحيد ضعُف عن حمل بقيته[٢]؛ لثقل ما حمل **(فالموحِّد)** الحقيقي **(هو الذي لا يرىٰ إلا الواحد)** أي لا يرىٰ الشيء من حيث هو، وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالىٰ بالقدرة وميَّزه بالإرادة علىٰ سابق العلم القديم، ثم أدام القهر عليه في الوجود[٣]، فصح قولُه: لا يرىٰ إلا الواحد **(ولا يتوجَّه بوجهه إلا إليه)** ومن هنا قال بعض أهل التحقيق[٤]: إن التوحيد هو نفي التقسيم لذاته، ونفي التشبيه في حقِّه وصفاته، ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته **(وهو امتثال)** الأمر في **(قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾** [الأنعام:٩١]**)** أصل الخوض: الدخول في الماء، ثم استُعير للدخول في الحديث والحرب، ويقال: فلان

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٤٩٦.

(٢) في الرسالة: بقة. وأفاد محققه أن في نسخة أخرىٰ من الرسالة: نفسه.

(٣) الإملاء علىٰ إشكالات الإحياء ص ٣٢.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٤٩٢.

يخوض، أي يتكلم بما لا ينبغي، وغلب على الرديء من الكلام[١] **(وليس المراد به القول باللسان)** فقط **(فإنما اللسان ترجمان يصدق مرةً ويكذب أخرىٰ)** فلا عبرة به عند أهل الحق **(وإنما موقع نظر الله تعالىٰ المترجَم عنه هو القلب، وهو معدن التوحيد ومنبعه)** وتقدم حديث «إن الله لا ينظر إلىٰ صُوَركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم ونيَّاتكم».

(اللفظ الرابع: الذِّكر والتذكير، فقد قال الله تعالىٰ) في كتابه العزيز: (﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٥]) الذكرىٰ بمعنىٰ التذكير، وذكَّر نفسه وذكَّر غيره، والتذكير يكون بعد النسيان، والذِّكر تارةً يقال باعتبار هيئة للنفس بها يتمكَّن الإنسان من حفظ ما يقتنيه من المعارف، فهو كالحفظ، إلا أن الفرق بينهما أنه يقال باعتبار حضوره بالقلب واللسان، ومنه قيل: الذِّكر ذكرانِ: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكلٌّ منهما علىٰ نوعين: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل يقال باعتبار إدامة الحفظ[٢].

(وقد ورد في الثناء علىٰ مجالس الذِّكر أخبارٌ كثيرة، كقوله ﷺ: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قيل: وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذِّكر) قال العراقي[٣]: أخرجه الترمذي[٤] من حديث أنس وحسَّنه.

قلت: هو من رواية محمد بن ثابت، حدثني أبي عن أنس بن مالك. وأورده أبو طالب المكي في القوت[٥] والقشيري في الرسالة[٦]، كلاهما من غير سند، إلا

---

(١) عمدة الحفاظ ١/ ٥٣٦.

(٢) عمدة الحفاظ ٢/ ٤٣.

(٣) المغني ١/ ٢٧.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٤٨٨.

(٥) قوت القلوب ١/ ٢٦١.

(٦) الرسالة القشيرية ص ٣٨٣ بنفس سياق الترمذي، وليس فيها اللفظ الذي ذكره الشارح.

أن في سياق الرسالة: «إذا رأيتم رياض الجنة» والباقي سواء، وقول العراقي «إنه أخرجه الترمذي» فنصُّه في سننه: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا». قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حِلَق الذِّكر». أخرجه هكذا الإمام أحمد في مسنده(١) والبيهقي في الشعب(٢)، كلهم عن أنس، وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.

وفي حديث ابن عباس فيما أخرجه الطبراني في الكبير(٣) من رواية مجاهد عنه، وفيه: قال: مجالس العلم. قال الهيثمي(٤): فيه رجل لم يُسَمَّ. أي قول الحارث ابن عطية أحد رواته: حدثنا بعض أصحابنا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وفي حديث أبي هريرة فيما أخرجه الترمذي في الدعوات(٥) من رواية حُمَيد المكي أن عطاء بن أبي رَباح حدَّثه عنه، وقال: غريب، وفيه: قيل: وما رياض الجنة؟ قال: «المساجد». قيل: وما الرَّتْع؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وقال القشيري في رسالته(٦): أخبرنا أبو الحسن علي بن بِشْر ببغداد، أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن عثمان بن عبد الله أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، ارتعوا في رياض الجنة». قلنا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذكر».

---

(١) مسند أحمد ١٩/ ٤٩٨.

(٢) شعب الإيمان ٢/ ٦٧.

(٣) المعجم الكبير ١١/ ٩٥.

(٤) مجمع الزوائد ١/ ٣٣٥.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٤٨٨.

(٦) الرسالة القشيرية ص ٣٨٤. وزاد في آخره: اغدوا وروحوا واذكروا، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده؛ فإن الله سبحانه ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه.

قلت: وأخرجه هكذا البزَّار وأبو يعلىٰ[١] في مسنديهما والطبراني في الأوسط[٢] والحاكم في المستدرك[٣] من رواية عمر بن عبد الله مولىٰ غفرة قال: سمعت أيوب بن خالد بن صفوان يقول: قال جابر: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف علىٰ مجالس الذِّكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة». قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذِّكر، فاغدوا وروحوا في ذِكر الله، واذكروه بأنفسكم ...» الحديث.

ثم[٤] إنه فسَّر الرياض تارةً بحِلَق الذِّكر، وتارةً بمجالسه، وتارة بحِلَق العلم ومجالسه، وتارة بالمساجد، ولا مانع من إرادة الكل، وأنه إنما ذكر في كل حديث بعضها؛ لأنه خرج جوابًا عن سؤال معيَّن فأجاب كلاً بما يليق بحال سؤاله.

وقال السيوطي في «تحذير الخواص»: وأخرج الخطيب[٥] عن ابن مسعود رفعه: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، أما إني لا أعني حِلَق القُصَّاص ولكني أعني حِلَق الفقه».

قلت: هو في «الفقيه والمتفقه» للخطيب، وبمثل هذا رُوي عن عبد الله بن عمرو وابن عمر.

(وفي الحديث: إن لله تعالىٰ ملائكة سياحين في الهواء سوىٰ ملائكة الخَلْق، إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضًا: ألا هلمُّوا إلىٰ بغيتكم، فيأتونهم، ويحفُّون بهم، ويستمعون، ألا فاذكروا الله تعالىٰ وذكِّروا أنفسكم) وفي نسخة:

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٣٩٠، ٤/ ١٠٦.

(٢) المعجم الأوسط ٣/ ٦٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٧.

(٤) فيض القدير للمناوي ١/ ٤٤٢.

(٥) الفقيه والمتفقه للخطيب ١/ ٩٥.

واذكروا بأنفسكم. قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أبي هريرة دون قوله: سيَّاحين في الهواء، وللترمذي[٣]: سيَّاحين في الأرض، وقال مسلم: سيَّارة.

قلت: أخرجه صاحب القوت[٤] بلا سند، ولفظه كلفظ المصنف، إلا أنه قال: «فضلاً عن كتاب الخلق، إذا رأوا مجالس الذكر تنادوا بعضهم بعضًا». وفيه: «فيأتونهم حتىٰ يجلسوا إليهم فيحفُّون بهم ويستمعون منهم». والباقي سواء.

وأخرجه البخاري من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال الترمذي: أو عن أبي سعيد الخدري. وقال البخاري: ورواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه، ورواه سهلٌ عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا. ورواه مسلم من هذا الوجه، وليس في الصحيحين ولا عند الترمذي ما ذكره المصنف في آخر هذا الحديث، وقد تقدم في الحديث الذي قبله حديث جابر، ولفظه: «فاغدوا وروحوا في ذِكر الله، وذكروه بأنفسكم».

وأخرج البيهقي في الشعب[٥] وابن ماجه[٦] من حديث أبي هريرة بأتم من هذا بلفظ: «إن لله ملائكة سيَّاحين في الأرض فُضُلاً عن كتاب الناس، يطوفون في الطرق[٧]، يلتمسون أهل الذِّكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا إلىٰ حاجتكم، فيحفُّون بأجنحتهم إلىٰ السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبِّحونك، ويكبِّرونك، ويحمدونك، ويمجِّدونك.

---

(١) المغني ١/ ٢٧.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٧٣. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٩.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٥٥٠.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٦١.

(٥) شعب الإيمان ٢/ ٦٨.

(٦) لم أقف عليه في سنن ابن ماجه. ولعله: ابن منده، فتحرف، فقد رواه ابن منده في كتاب التوحيد ص ٦٢٧ (ط - دار الهدي النبوي بالمنصورة).

(٧) في المطبوعة: الكون. والمثبت من الشعب والتوحيد.

فيقول: وهل رأوني؟ فيقولون: لا واللهِ. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. فيقول: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا واللهِ يا ربِّ ما رأوها؟ فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها لكانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: ممَّا يتعوَّذون؟ فيقولون: من النار؟ فيقول الله: وهل رأوها؟ فيقولون: لا واللهِ يا رب ما رأوها. فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافةً. فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول مَلَك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم». كذا في الذيل للسيوطي[1]، وأخرجه السهروردي هكذا في «عوارف المعارف»[2] من طريق الحافظ أبي نعيم من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.

وأخرج البزار[3] من رواية زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النُّمَيري عن أنس رفعه: «إن لله سيَّارة من الملائكة يطلبون حِلَق الذِّكر ...» الحديث.

(فنُقل ذلك إلىٰ ما ترىٰ أكثر الوعَّاظ في هذا الزمان يواظبون عليه، وهو) أربعة أشياء: **(القصص والأشعار والشطح والطامات، أما القصص فهي بدعة)** رواه أبو

---

(١) كنز العمال ١/ ٤١٣.

(٢) عوارف المعارف ص ٥٣.

(٣) مسند البزار ١٣/ ١١٦. وتمامه: فإذا أتوا عليهم حفوا بهم، ثم بعثوا رائدهم إلىٰ السماء إلىٰ رب العزة تبارك وتعالىٰ، فيقولون: ربنا، أتينا علىٰ عباد من عبادك يعظمون آلائك، ويتلون كتابك، ويصلون علىٰ نبيك، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم، فيقول تبارك وتعالىٰ: غشوهم رحمتي. فيقولون: يا رب، إن فيهم فلانًا الخطاء، إنما اعتنقهم اعتناقًا. فيقول تبارك وتعالىٰ: غشوهم رحمتي، فهم الجلساء لا يشقىٰ بهم جليسهم.

قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٧٧: رواه البزار من طريق زائدة عن زياد، وكلاهما وثق علىٰ ضعفه، فعاد هذا إسناده حسن.

الأشهب عن الحسن[1].

قال ابن الحاج في المدخل[2]: مجلس العلم الذي يُذكَر فيه الحلال والحرام واتِّباع السلف، لا مجلس القُصَّاص والوُعَّاظ؛ فإن ذلك بدعة.

وأخرج ابن أبي شيبة[3] والمروزي في كتاب العلم عن خَبَّاب أنه رأىٰ ابنه عبد الله عند قاصٍّ، فلما رجع اتَّزر وأخذ السوط وقال: أمع العمالقة؟ هذا قرنٌ قد طلع.

قال ابن الأثير في النهاية[4]: أراد قومًا أحداثًا نبغوا بعد أن لم يكونوا، يعني القُصَّاص، وقيل: أراد بدعة حدثت لم تكن في عهد النبي ﷺ.

وأخرج الخطيب في تاريخه[5] عن أبي جعفر الخُلْدي، سمعت الجنيد يحكي عن الخَوَّاص: سمعت بضعة عشر من مشايخ الصنعة أهل الورع والدين مجمعون علىٰ أن القصص في الأصل بدعة.

(وقد ورد نهيُ السلف عن الجلوس إلىٰ القُصَّاص) أخرج العقيلي وأبو نعيم في الحلية[6] بسند صحيح عن عاصم ابن بهدلة قال: كنا نأتي أبا عبد الرحمن السلمي ونحن غلمة أيفاع، فيقول: لا تجالسوا القُصَّاص.

---

(١) القصاص والمذكرين لابن الجوزي ص ١٧٢ (ط - المكتب الإسلامي) ونصه: القصص بدعة، ونعمت البدعة، كم من دعوة مستجابة، وسؤال معطىٰ، وأخ مستفاد، وعلم يصاب.

(٢) المدخل لابن الحاج ٢/ ١٤٤ (ط - دار التراث بالقاهرة).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٥٣١.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤/ ٥٢.

(٥) تاريخ بغداد ١٦/ ٦٣٤. ونصه: سمعت بضعة عشر من مشايخ الصنعة أهل الورع والدين والتميز وترك الطمع كلهم مجمعون علىٰ أن القصص في الأصل بدعة، ونعمت البدعة هي، الرحمة تنزل في مجالسهم، والدموع تذرف من بركة ألفاظهم، وتنفر القلوب عن المعاصي بتخويفهم.

(٦) الضعفاء للعقيلي ٢/ ٥٦٣. حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ١٩٣. وزادا في آخره: غير أبي الأحوص، وإياكم وسعد بن عبيدة وشقيقا الضبي.

وأخرج العقيلي[١] من وجه آخَر عن عاصم قال: كان أبو عبد الرحمن السلمي يقول: اتقُوا القُصَّاص.

وقال العلاَّمة ابن أبي زيد المالكي في الجامع[٢]: وأنكر مالكٌ القصص في المسجد.

وقال ابن الحاج في المدخل[٣]: سُئل مالك عن الجلوس إلىٰ القُصَّاص، فقال: ما أرىٰ أن يُجلَس إليهم، وإن القصص لَبدعةٌ. وقال ابن رشد: كراهة القصص معلوم من مذهب مالك.

وقال الإمام الطرطوشي[٤]: قال مالك: ونهيتُ أبا قُدامة أن يقوم بعد الصلاة فيقول: افعلوا كذا وكذا.

وقال أبو إدريس الخولاني فيما أخرجه المروزي وأبو نعيم كلاهما من طريقه[٥]: لأنْ أرىٰ في ناحية المسجد نارًا تأَجَّجُ أحب إليَّ من أن أرىٰ في ناحيته قاصًّا يقص.

(وقالوا: لم يكن ذلك) أي القصص **(في زمن** رسول الله ﷺ، **ولا في زمن أبي بكر وعمر** رضي الله عنهما، **حتىٰ ظهرت الفتنة فظهر القُصَّاص)** هكذا أورده الطرطوشي في جامعه[٦].

---

(١) الضعفاء ٢/ ٥٦٤ ونصه: كان أبو عبد الرحمن يقص، فكان إذا جلس يقول: لا يجالسني حروري، ولا رجل جالس شقيق الضبي، واتقوا القصاص إلا أبا الأحوص. قال عاصم: كان شقيق رأس الضلال الحروري.

(٢) الجامع في السنن والآداب لابن أبي زيد القيرواني ص ١٦٤ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٣) المدخل ٢/ ١٤٤.

(٤) الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي ص ١٠٩ (ط - دار ابن الجوزي).

(٥) وذكره الطرطوشي في الحوادث والبدع ص ١٠٩.

(٦) الحوادث والبدع ص ١١٠.

وقال العراقي: أخرجه ابن ماجه[١] من رواية عبد الله بن عمر بن حفص العُمَري عن نافع عن ابن عمر بإسناد حسن.

قلت: وهكذا ذكره العراقي أيضًا في كتابه «الباعث علىٰ الخلاص»، قال: وروىٰ الإمام أحمد[٢] والطبراني[٣] عن السائب بن يزيد قال: إنه لم يكن يُقَصُّ علىٰ عهد رسول الله ﷺ، ولا زمن أبي بكر، ولا زمن عمر.

هكذا هو في الكتاب المذكور، وفي التخريج الكبير للعراقي من رواية الزُّهري عن السائب فيما أخرجه أحمد والطبراني إلىٰ قوله: ولا زمن أبي بكر، ثم قال: وأول مَن قص تميمٌ الداري، استأذن عمر بن الخطاب أن يقص قائمًا، فأذن له.

قال السيوطي: وأخرج الزبير بن بكَّار في «أخبار المدينة» عن نافع وغيره من أهل العلم قالوا: لم يُقَص في زمان النبي ﷺ ولا زمان أبي بكر ولا زمان عمر، وإنما القصص محدَث، أحدثه معاوية حين كانت الفتنة.

فهذا موقوف علىٰ نافع.

وأخرج ابن أبي شيبة[٤] والمروزي عن ابن عمر قال: لم يُقَص علىٰ عهد النبي ﷺ، ولا عهد أبي بكر، ولا عهد عمر، ولا عهد عثمان، إنما كان القصص حين كانت الفتنة.

وروىٰ الحاكم في مستدركه[٥] عن أبي عامر عبد الله بن يحيىٰ قال: حججنا

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٣١٠.

(٢) مسند أحمد ٢٤/ ٤٨٩.

(٣) المعجم الكبير ٧/ ١٧٧.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٥٣٠. ولفظه: لم يكن يقص زمان أبي بكر ولا عمر، إنما كان القصص زمن الفتنة.

وقد رواه تامًّا ابن حبان في صحيحه ١٤/ ١٥٦.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٢٠٦. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكةَ أُخبر بقاصٍّ [يقص] على أهل مكة مولى لبني فروخ، فأرسل إليه [معاوية] فقال: أُمرتَ بهذا القصص؟ قال: لا. قال: فما حملك على أن تقص بغير إذن؟ قال: نفسّر[1] علمًا علّمناه الله عزوجل. قال معاوية: لو كنتُ تقدمتُ إليك لقطعتُ منك طائفة.

(ورُوي أن ابن عمر خرج من المسجد فقال: ما أخرجني إلا القاصُّ، ولولاه ما خرجتُ) أخرجه صاحب القوت[2] من طريق الزهري عن سالم عنه.

وأخرج المروزي من هذا الطريق أن ابن عمر كان يُلقَى خارجًا من المسجد فيقول: ما أخرجني إلا صوت قاصّكم هذا[3].

وأخرج أيضًا عن سعد بن عبيدة أن ابن عمر قال لقاصٍّ يقص عنده: قم عنا، فقد آذيتنا.

وأخرج ابن أبي شيبة[4] والمروزي عن عقبة بن حُرَيث قال: سمعت ابن عمر وجاءه رجل قاصٌّ، فجلس في مجلسه، فقال له ابن عمر: قم من مجلسنا. فأبى أن يقوم، فأرسل [ابن عمر] إلى صاحب الشُّرَط [أقِم القاصَّ] فأرسل إليه شرطيًا فأقامه.

وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد أن ابن عمر مر بقاصٍّ وقد رفعوا أيديهم، فقال: اللهم اقطع هذه الأيدي[5].

(وقال ضمرة) بن ربيعة الرملي، أبو عبد الله، مفتي أهل الشام في زمانه

---

(١) في المستدرك: ننشئ.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٦٠.

(٣) الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٠٩. ونقله عنه القرافي في الذخيرة ١٣/ ٣٤٧.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٥٣١. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٥) ورواه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣١٢ بلفظ: أن ابن عمر مر بقاصٍّ وقد رفعوا أيديهم فقال: قطع الله هذه الأيدي، ويلكم إن الله تعالى أقرب مما ترفعون، هو أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد.

(قلت لسفيان الثوري) هو سفيان بن سعيد **(نستقبل القاصَّ بوجوهنا)**؟ وفي رواية: بوجهنا **(فقال: وَلُّوا البدع ظهوركم)** هكذا أورده صاحب القوت[1].

(وقال) محمد **(ابن عون)** الخُراساني: **(دخلت علىٰ)** أبي بكر محمد **(ابن سيرين)** روىٰ عن أبي هريرة وعمران بن حُصَين، وعنه ابن عون وهشام بن حسان وداود بن أبي هند وقُرَّة وجرير وآخَرون، وكان ثقة حُجَّة **(فقال: ما كان اليوم من خبر؟ فقلت: نهىٰ الأمير القُصَّاص أن يقصُّوا)** هكذا أورده صاحب القوت[2].

قال السيوطي: وفي تاريخ الإمام أبي جعفر ابن جرير الطبري[3] في حوادث سنة ٢٧٩ في خلافة المعتضد: نودي ببغداد أن لا يقعد علىٰ الطرائق ولا في مسجد الجامع قاصٌّ ولا صاحب نجوم ولا زاجر، وحُلِّف الوَرَّاقون أن لا يبيعوا [كتب] علم الكلام والجدل والفلسفة. قال: وفي[4] سنة ٢٨٤ نُودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع علىٰ قاصٍّ [أو غيره] وبمنع القُصَّاص [وأهل الحِلَق] عن القعود.

وأخرج ابن الجوزي في كتاب «القُصَّاص والمذكِّرين»[5] بسنده إلىٰ جرير ابن حازم قال: سأل رجل محمد بن سيرين عن القصص، فقال: بدعة، أول ما أحدث الحروريةُ القصصَ.

(فقال: وُفِّق للصواب.

ودخل) سليمان بن مِهْران **(الأعمش)** الحافظ، أبو محمد الكاهلي، أحد

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٦٠.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٦٠.

(٣) تاريخ الطبري ١٠/ ٢٨. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٤) تاريخ الطبري ١٠/ ٥٤. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٥) القصاص والمذكرين ص ٣٣٨.

الأعلام، عن ابن أبي أوفىٰ وذرٍّ وأبي وائل، وعنه شعبة ووكيع، توفي سنة ١٤٨[1] (**جامع البصرة**) وكان فيها غريبًا (**فرأىٰ قاصًّا يقص**) في المسجد (**ويقول: حدثنا الأعمش**) عن أبي إسحاق [وحدثنا الأعمش] عن أبي وائل (**فتوسَّط**) الأعمش (**الحلقة**) ورفع يده (**وأخذ في نتفِ شعر إبطه**) فبصر به القاصُّ (**فقال: يا شيخ، ألا تستحي**)؟ نحن في علم وأنت تفعل هذا (**فقال**) الأعمش: الذي أنا فيه أفضل من الذي أنت فيه. قال: (**لِمَ**)؟ ويُروَىٰ: كيف؟ قال: (**أنا**) ويُروَىٰ: لأنّي (**في سُنَّة، وأنت في كذب، أنا الأعمش، متىٰ حدثتُك**)؟ كذا في النسخ، والصواب: وما حدثتك؟ زاد بعضهم: مما تقول شيئًا. فلما سمع الناس ذِكر الأعمش انفضُّوا عن القاصِّ واجتمعوا حوله وقالوا: حدِّثْنا يا أبا محمد. أورده هكذا أبو طالب المكي في قوته[2]، وأبو الوليد الطرطوشي في «الحوادث والبدع»[3]، ونظير هذا ما أخرجاه[4] أيضًا - واللفظ لصاحب القوت قال: وحُدِّثنا عن أبي معمر عن خلف بن خليفة قال: رأيت سيَّارًا أبا الحَكَم يستاك علىٰ باب المسجد، وقاصٌّ يقص في المسجد، فجاءه رجل فقال: يا أبا الحكم، إن الناس ينتظرونك. فقال: إني في خير مما هم فيه، أنا في سنَّة، وهم في بدعة.

وأخرج أبو الحسين الفَرَّاء في فوائده[5] عن الفضل بن موسىٰ الشيباني [عن الأعمش] قال: أتيت [يزيد] الرقاشي وهو يقص، فجعلت أستاك[6]، فقال [لي]: أنت ههنا؟ قلت: أنا ههنا في سُنَّة، وأنت في بدعة.

---

(١) تهذيب الكمال ١٢/ ٧٦ - ٩١.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٦٠. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٣) الحوادث والبدع ص ١١١.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٦٠. الحوادث والبدع ص ١١١.

(٥) وكذلك ابن حبان في كتاب المجروحين ٢/ ٤٤٨. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٦) في المجروحين: فجلست في ناحية أستاك.

(وقال) الإمام (أحمد) بن حنبل: (أكثر الناس كذبًا القُصَّاص والسُّؤَّال) أورده صاحب القوت[١] من طريق محمد بن جعفر أن أبا الحارث حدَّثه أنه سمع أحمد بن حنبل يقول: أكذبُ الناس ... والباقي سواء.

قال السيوطي: وأخرج السلفي في الطيوريات[٢] من طريق الفضل بن زياد قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: أكذبُ الناس السُّؤَّال والقُصَّاص.

وأخرجه الطرطوشي[٣] أيضًا هكذا، إلا أنه زاد في آخره: قيل له: لو رأيت قاصًّا صدوقًا أكنت تحضر مجالسهم؟ قال: لا.

(وأخرج عليٌّ رضي الله عنه القُصَّاص من جامع البصرة) حين دخلها، وقال: لا يُقَصُّ في المسجد. أورده هكذا صاحب القوت[٤] والطرطوشي[٥].

وأخرج أبو بكر المروزي في كتاب العلم وأبو جعفر النحَّاس في كتاب «الناسخ والمنسوخ»[٦] عن أبي البختري قال: دخل علي بن أبي طالب المسجد، فإذا رجل يخوِّف [الناس] -ولفظ المروزي: يقصُّ- فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يذكِّر الناس. فقال: ليس برجل يذكِّر الناس، ولكنه يقول: أنا فلان ابن فلان فاعرفوني. فأرسل إليه فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا. قال: قم من

---

(١) صاحب القوت ١/ ٢٦٠.

(٢) الطيوريات لأبي طاهر السلفي ٢/ ٣٩٥ (ط - أضواء السلف بالرياض).

(٣) الحوادث والبدع ص ١١٢ ونصه: «قال أحمد بن حنبل: أكذب الناس القصاص والسؤال، وما أحوج الناس إلىٰ قاص صدوق؛ لأنهم يذكرون الموت وعذاب القبر. قيل له: أكنت تحضر مجالسهم؟ قال: لا».
والنص الذي ذكره الشارح نقله عن كتاب تحذير الخواص للسيوطي والذي اختصر فيه الأثر اختصارا أخل بالمعنىٰ كما ترىٰ.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٥٦.

(٥) الحوادث والبدع ص ١١٠.

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٥ (ط - المكتبة العلامية بمصر). والزيادة التي بين حاصرتين منه.

مسجدنا، ولا تذكر فيه.

وأخرج ابن أبي شيبة[١] وأبو خيثمة[٢] والمروزي معًا في كتاب العلم وأبو داود[٣] والنحاس في كتاب «الناسخ والمنسوخ»[٤] عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: مرَّ علي بن أبي طالب برجل يقص، فقال: أعرفتَ الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكتَ وأهلكتَ.

(ولمَّا سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه) هذا السياق من كتاب القوت[٥]، قال: ولمَّا دخل عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ البصرة جعل يُخرِج القُصَّاص من المسجد ويقول: لا يُقَصُّ في مسجدنا. حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الحسن وهو يتكلم في هذا العلم، فاستمع إليه ثم انصرف، ولم يخرجه **(إذ كان يتكلم في علم الآخرة، والتذكير بالموت، والتنبيه علىٰ عيوب النفس، وآفات الأعمال، وخواطر الشيطان، ووجه الحذر منها، ويذكِّر بآلاء الله سبحانه ونعمائه، وتقصير العبد في شكره، ويعرِّف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرُّمها)** أي انقطاعها وذهابها عن قريب **(ونكث عهدها، وعِظَم)** وفي نسخة: خطر **(الآخرة وأهوالها)** قال صاحب القوت[٦]: وقد كان الحسن البصري أحد المذكِّرين، وكانت مجالسه مجالس الذِّكر، يخلو فيها مع إخوانه وأتباعه من النُّسَّاك والعُبَّاد في بيته، مثل مالك بن دينار وثابت البُناني وأيوب السِّخْتياني ومحمد بن واسع وفرقد السبخي وعبد الواحد بن زيد، فيقول: هاتوا انشروا النور، فيتكلم عليهم في هذا العلم من علم اليقين والقدرة، وفي خواطر

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٥٣٠.

(٢) العلم لأبي خيثمة ص ٣١.

(٣) ومن طريقه رواه ابن الجوزي في كتاب نواسخ القرآن ص ١٠٥ (ط - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

(٤) الناسخ والمنسوخ ص ٦.

(٥) قوت القلوب ١/ ٢٥٦.

(٦) قوت القلوب ١/ ٢٥٧.

القلوب، وفساد الأعمال، ووساوس النفوس، فربما قنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاختفىٰ من ورائهم ليسمع ذلك، فإذا رآه الحسن قال له: يا لُكَع، وأنت ما تصنع ههنا؟ إنما خلونا مع أصحابنا نتذاكر.

ثم قال: وكان الحسن أول مَن نهج سبيل هذا العلم، وفتق الألسنةَ به، ونطق بمعانيه، وأظهر أنواره، وكشف قناعه، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه، فقيل له: يا أبا سعيد، إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك، فممَّن أخذتَ هذا؟ فقال: من حُذَيفة بن اليَمان. قيل: وقالوا لحذيفة: نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فممَّن أخذتَه؟ فقال: خصَّني به رسول الله ﷺ، كان الناس يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن أقع فيه، وعلمتُ أن الخير لا يسبقني.

قلت: وهذا الكلام الأخير أخرجه مسلم[1] في باب الأمر بلزوم الجماعة من طريق بُسْر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخَوْلاني يقول: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن يدركني ... الحديث بطوله، وسيأتي هذا في آخر الباب السادس.

(فهذا هو التذكير) النافع **(المحمود)** عاقبةً **(شرعًا)** قال ابن الجوزي في كتاب «القُصَّاص والمذكِّرين» في أوله[2]: سأل سائل فقال: نرىٰ كلامَ السلف يختلف في مدح القُصَّاص وذمِّهم، فبعضهم يحرِّض علىٰ الحضور عندهم، وبعضهم ينهىٰ عن ذلك، ونحن نسأل أن تذكر لنا فصلاً يكون فصلاً لهذا الأمر، فأجبتُ: لا بد من كشف حقيقة هذا الأمر؛ ليتبيَّن المحمود منه والمذموم. اعلمْ أن لهذا الفن ثلاثة أسماء: قصص وتذكير ووعظ؛ فالقاصُّ هو الذي يتَّبع القصة الماضية بالحكاية

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٨٩٦.

(٢) القصاص والمذكرين ص ١٥٩.

عنها والشرح لها، وذلك القصص، وهذا في الغالب عبارة عمَّن يروي أخبار الماضين، وهذا لا يُذَمُّ لنفسه؛ لأن في ذلك[١] عبرة لمعتبر، وعظة لمزدجر [واقتداء بصواب لمتبع][٢] وإنما كره بعض السلف القصص لأحد ستة أشياء ... فذكرها[٣]، ثم قال: وأما التذكير فهو تعريف الخلق نِعَم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم، وحثهم علىٰ شكره، وتحذيرهم من مخالفته، وأما الوعظ فهو تخويف يرقُّ له القلب، وهذان محمودان. قال: وقد صار كثير من الناس يطلقون علىٰ الواعظ اسم: القاص، وعلىٰ القاص اسم: المذكِّر، والتحقيق ما ذكرنا.

وقوله: (**الذي ورد الحث عليه في حديث أبي ذر**) جندب بن جُنادة الغفاري (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **حيث قال: حضور مجلس ذِكر أفضل من صلاة ألف ركعة، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض، وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة. فقيل: يا رسول الله، ومن قراءة القرآن؟ قال: وهل تنفع قراءةُ القرآن إلا بالعلم**)؟ هذا الحديث قد تقدم في أول الكتاب[٤]، أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبيدة السلماني عن عمر، وتقدم الكلام عليه، والذي رُوي

---

(١) في القصاص والمذكرين: لأن في إيراد أخبار السالفين.

(٢) زيادة من القصاص والمذكرين.

(٣) وهي:

١ - أن القوم كانوا علىٰ الاقتداء والاتباع، فكانوا إذا رأوا ما لم يكن علىٰ عهد رسول الله ﷺ أنكروه.

٢ - أن قصص أخبار المتقدمين تندر صحتها، خصوصاً ما ينقل عن بني إسرائيل، وفي شرعنا غنية عنه.

٣ - أن التشاغل بذلك يشغل عن المهم من قراءة القرآن ورواية الحديث والتفقه في الدين.

٤ - أن في القرآن من القصص وفي السنة من العظة ما يكفي عن غيره مما لا تتيقن صحته.

٥ - أن أقواما ممن يدخل في الدين ما ليس منه قصوا، فأدخلوا في قصصهم ما يفسد قلوب العوام.

٦ - أن عموم القصاص لا يتحرون الصواب ولا يحترزون من الخطأ لقلة علمهم وتقواهم.

(٤) وهو الحديث التاسع من الباب الأول.

عن أبي ذر بمعناه، ولفظه: «يا أبا ذر، لأنْ تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلِّي مائة ركعة ...» الحديث، هكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير وفي الذيل علىٰ الصغير من طريق ابن ماجه والحاكم في التاريخ، وقال ابن القيم[١]: وذكر ابن عبد البر عن معاذ مرفوعًا: «لأنْ تغدو فتعلم بابًا من أبواب العلم خير لك من أن تصلي مائة ركعة». وهذا لا يثبت رفعُه. ولكن المصنف تابع في أكثر ما يورده من الأحاديث صاحب القوت؛ فإنه هكذا أخرجه في كتابه فقال[٢]: وقد روينا في حديث أبي ذر ... فذكره.

وفي كتاب الإيمان من موضوعات السيوطي[٣]: قال الذهبي في الميزان[٤]: الجويباري ممَّن يُضرَب المَثَل بكذبه، ومن طامَّاته عن إسحاق بن نجيح الكذاب عن هشام بن حسان عن رجاله: «حضور مجلس علم خير من حضور ألف جنازة، ومن ألف ركعة، ومن ألف حَجَّة، ومن ألف غزوة».

قلت: وأخرجه سعيد بن منصور في سننه[٥] وابن أبي داود في المصاحف وأبو طالب المكي في القوت[٦] من طريق عون بن موسىٰ عن معاوية بن قُرَّة قال: سألتُ الحسن: أعود مريضًا أحب إليك أو أجلس إلىٰ قاصٍّ؟ فقال: عُدْ مريضك. قلت: أشيِّع جنازة أحب إليك أو أجلس إلىٰ قاصٍّ؟ فقال: شَيِّعْ جنازتك. قلت: وإن استعان بي رجل علىٰ حاجة أعينه[٧] أو أجلس إلىٰ قاصٍّ. قال: اذهب في

---

(١) تقدم كلام ابن القيم هذا عند تخريج الحديث الثالث.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٥٧.

(٣) اللآلئ المصنوعة للسيوطي ١/ ٣٩.

(٤) ميزان الاعتدال ١/ ١٠٧.

(٥) تفسير سعيد بن منصور ٥/ ١٨٣ (ط - دار الصميعي بالرياض). وزاد في أوله: أقرأ في مصحف أحب إليك أم أجلس إلىٰ قاص؟ قال: اقرأ في مصحفك.

(٦) قوت القلوب ١/ ٢٥٦.

(٧) في تفسير سعيد: علىٰ حاجة أحب إليك أن أذهب معه أو ... الخ.

حاجتك[1]، حتىٰ جعله خيرًا من مجالس الفراغ.

قال صاحب القوت: فلو كانت مجالس الذكر عندهم هي مجالس القُصَّاص، ولو كان القصص هو الذكر لَما وسع الحسنَ أن يثبِّط عنه، ولا يؤثر عليه كثيرًا من الأعمال؛ لأن الذاكرين لله تعالىٰ في أرفع مقام، وحضور مجلس الذكر من مزيد الإيمان.

ثم قال: (**وقال**) بعض السلف: حضور مجلس ذكر يكفِّر عشر مجالس من مجالس الباطل.

وأما (**عطاء**) فقال: (**مجلس ذكر يكفِّر سبعين مجلسًا من مجالس اللهو**) وقد تقدم كلامه هذا في أول الكتاب.

(**فقد اتخذ المزخرِفون هذه الأحاديث**) الواردة في فضل الذكر وأهله ومجالسه (**حُجَّة علىٰ تزكية أنفسهم**) وتطهيرها عن أن يتطرَّق إليها الوصم (**ونقلوا اسم «التذكير» إلىٰ خرافاتهم**) التي يذكرونها، والخرافات هي الأباطيل من الأحاديث (**وذهلوا**) أي غفلوا (**عن طريق الذكر المحمود**) وفي بعض النسخ: المقصود (**واشتغلوا بالقصص**) والحكايات عن الأمم السالفة (**التي تتطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقصان**) فإن مثل ذلك ممَّا تندر صحتُه خصوصًا ما يُنقَل عن بني إسرائيل، وفي قصة داود ويوسف من المُحال الذي يُنزَّه عنه الأنبياء، بحيث إذا سمعه الجاهل هانت عنده المعاصي[2] (**وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها، فإن من القصص ما ينفع سماعُه**) وأخرج الخطيب البغدادي[3] عن حنبل بن إسحاق قال: قلت لعمِّي في القُصَّاص، فقال: القُصَّاص الذين يذكرون

---

(١) في تفسير سعيد: اذهب إلىٰ حاجة أخيك.

(٢) القصاص والمذكرين لابن الجوزي ص ١٦٠.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ١١٦.

الجنة والنار والتخويف، ولهم نية وصِدق الحديث، فأما هؤلاء الذين أحدثوا وضع الأخبار والأحاديث الموضوعة فلا أراه (**ومنها ما يضر**) سماعه (**وإن كان صدقًا**) أخرج أحمد في الزهد[١] عن أبي المليح قال: ذكر ميمون ابن مهران القُصَّاص فقال: لا يخطئ القاص ثلاثًا: إما أن يسمن قوله بما يهزل دينه، وإما عُجْب بنفسه، وإما أن يأمر بما لا يفعل، فلهذا قال ﷺ: «القاص ينتظر المقت» (**ومَن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب، والنافع بالضارِّ، فمن**) أجل (**هذا نُهي عنه**) وفي بعض النسخ: فعن هذا نُهي (**ولذلك قال أحمد بن حنبل** رحمه الله: **ما أحوج الناس إلى قاصٍّ صادق**) ويُروَى: صدوق؛ لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر. قيل له: أنت كنت تحضر مجالسهم؟ قال: لا.

هكذا أورده صاحب القوت، وقد تقدم قريبًا من رواية الطرطوشي.

قال صاحب القوت[٢]: وأخبرونا عن محمد بن أبي هارون أن إسحاق بن حنبل حدَّثه قال: صليتُ مع أحمد بن حنبل صلاة العيد، فإذا قاص يقص يلعن المبتدعة ويذكر السنَّة، فلما قضينا الصلاة وصِرنا ببعض الطريق ذكر أبو عبد الله القاصَّ فقال: ما أنفعهم للعامَّة وإن كان عامة ما يحدثونه كذبًا.

(**فإن كانت القصة**) التي يقصها القاص (**من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم، وكان القاص صادقًا**) فيما ينقله (**صحيح الرواية**) غير مخلِّطها من طرق صحيحة (**فلست أرى به بأسًا**) وليس بمذموم في نفسه؛ لأن في ذلك اقتداء بصواب لمتَّبع (**فليحذر**) القاص (**الكذبَ**) فيما ينقله عن الشيوخ (**و**) ليحذر

---

(١) ورواه من طريقه ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين ص ٢٠٣ ونصه: ذكر ميمون القصاص فقال: المستمع شريك المتكلم، ولا يخطئ المتكلم إحدى ثلاث: إما أن يسمن قوله بما يهزل دينه، وإما عجب بنفسه، وإما أن يأمر بما لا يفعل، والمستمع أيسر مؤنة، المستمع ينتظر الرحمة، والمتكلم ينتظر المقت.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٦٠.

(**حكاية أحوال تومئ**) أي تشير. وفي نسخة: تؤدِّي (**إلىٰ هفوات**) أي سقطات (**أو مساهلات يقصر فهمُ العوامِّ عن دَرَك معانيها**) **فيُفسِد قلوبَهم بذلك** (**أو**) يقصر فهمُهم (**عن**) درك (**كونها هفوة نادرة**) الوقوع (**ومردفة**) أي متبعة (**بتكفيرات**) أي بما يكفِّرها (**ومتدارَكة بحسنات تغطي عليها**) هذا هو المناسب في حضرات السلف (**فإن العامِّي**) الجاهل حين يسمع (**يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته**) مع نفسه (**ويمهِّد لنفسه عذرًا فيه**) فيقع في الخطأ (**ويحتجُّ بأنه حُكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر، فكلنا بصدد المعاصي**) ومَن الذي عُصم منا؟ (**فلا غَرْو**) أي لا عَجَب (**إن عصيتُ الله تعالىٰ، فقد عصاه مَن هو أكبر مني**) مقامًا وحالاً (**ويفيده ذلك جراءةً علىٰ الله تعالىٰ من حيث لا يدري**) وهذا الذي ذكره أحد الوجوه الستة لكراهة بعض السلف القصصَ، وذكره بعد الكذب، فهما وجهان من الوجوه الستة، وقد أفصح عنها ابن الجوزي في كتاب «القصاص والمذكرين»، وسيأتي للمصنف مزيد علىٰ ذلك في المهلكات في ذم الغرور (**فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين**) وهما الكذب والمحالات (**فلا بأس به**) ولا يكون مذمومًا (**وعند ذلك يرجع إلىٰ القصص المحمودة وإلىٰ ما يشتمل عليه القرآن**) أخرج ابن أبي شيبة[1] والمروزي عن ابن سيرين قال: بلغ عمر أن قاصًّا يقص بالبصرة، فكتب إليه: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:١-٣] إلىٰ آخر الآيات. قال: فعرف الرجلُ فتركه.

وأخرج عبد بن حُمَيد في تفسيره[2] عن قيس بن سعد قال: جاء ابن عباس حتىٰ قام علىٰ عبيد بن عمير وهو يقص، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞﴾ [مريم: ٤١] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ﴾ [مريم: ٥٤] الآية ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ﴾ [مريم: ٥٦] الآية، ذكِّرنا بأيام الله، وأثْنِ علىٰ مَن أثنىٰ الله عليه.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٥٣١.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ١٠/ ٩٦.

(و) إلىٰ ما (**صح في الكتب الصحيحة من الأخبار**) كالكتب الستة الصحاح، ومن كتب التفاسير ما وقع الاتفاق علىٰ صحَّتها والوثوق بها.

قال الحافظ العراقي في «الباعث علىٰ الخلاص من حوادث القصاص»: ثم إنهم ينقلون حديث رسول الله ﷺ من غير معرفة بالصحيح والسقيم. قال: وإن اتفق أنه نقل حديثًا صحيحًا كان آثمًا في ذلك؛ لأنه ينقل ما لا علم له به، وإن صادف الواقع كان آثمًا بإقدامه علىٰ ما لا يعلم. قال: ولو نظر أحدهم في بعض التفاسير المصنَّفة لا يحل له النقل منها؛ لأن كتب التفاسير فيها الأقوال المنكَرة والصحيحة، ومَن لا يميِّز صحيحها من منكَرها لا يحل له الاعتماد علىٰ الكتب. قال: وليت شِعْري كيف يقدُم مَن هذه حاله علىٰ تفسير كتاب الله؟! أحسن أحواله أن لا يعرف صحيحه من سقيمه. قال: وأيضًا، فلا يحل لأحد ممَّن هو بهذا الوصف أن ينقل حديثًا من الكتب، بل ولو في الصحيحين ما لم يقرأه علىٰ مَن يعلم ذلك من أهل الحديث، وقد حكىٰ الحافظ أبو بكر ابن خير اتفاق العلماء علىٰ أنه لا يصح لمسلم أن يقول: قال رسول الله ﷺ كذا، حتىٰ يكون عنده ذلك القول مرويًّا ولو علىٰ أقل وجوه الروايات.

قلت: فالذي تلخَّص مما ذكرنا أنه لا ينبغي أن يقص علىٰ الناس إلا العالم المتقن فنون العلم، الحافظ لحديث رسول الله ﷺ، العارف بصحيحه وسقيمه، ومسنده ومقطوعه ومعضله، العالِم بالتواريخ وبسِيَر السلف، الحافظ لأخبار الزهاد، الفقيه في دين الله، العالم بالعربية واللغة، ومَدار كل ذلك علىٰ تقوىٰ الله، وأنه يُخرِج الطمع في أموال الناس من قلبه؛ كذا حقَّقه ابن الجوزي[1]، وسيأتي لذلك مزيدٌ في ربع المهلكات إن شاء الله تعالىٰ.

(**ومن الناس مَن يستجيز**) أي يجوِّز (**وضع الحكايات المرغِّبة في الطاعات**)

---

(١) القصاص والمذكرين ص ١٨١ - ١٨٢.

المزهِّدة عن الدنيا وآفاتها (**ويزعم أن قصده فيه**) حسنٌ وهو (**دعوة الخلق إلىٰ الحق**) وترغيبهم إليه، وردعهم عن الدنيا الفانية، وأعظم من ذلك مَن جوَّز وضع الأحاديث علىٰ رسول الله ﷺ وأباح روايتها في الترغيب والترهيب تعلُّقًا بما ورد في بعض روايات حديث «مَن كذب عليَّ متعمدًا ليضل به الناسَ فليتبوَّأ مقعده من النار» فاعلمْ أن كل ذلك باطل باتفاق الأئمة.

(**فهذا**) الذي صار إليه بما زعمه لا شك في أنه (**من نزغات الشيطان**) سوَّل لهم ذلك وحسَّنه (**فإن في الصدق مندوحة عن الكذب**) أي سعة، ومنه حديث عمران ابن الحُصَين رضي الله عنه: «إن في المعاريض لَمندوحةٌ عن الكذب»[1]. أي في التعريض في القول من الاتساع ما يغني الرجلَ عن الاضطرار إلىٰ الكذب المحض[2].

وفي كتاب «لحن العوام» للزبيدي[3]: يقال: له عن هذا مندوحة ومُنتدَح، أي متَّسَع، وهو النَّدْح أيضًا. وقال أبو عبيد: المندوحة: الفسحة والسَّعة.

(**وفيما ذكر الله سبحانه**) في كتابه العزيز من القصص العجيبة (**و**) ذكره (**رسوله ﷺ**) من الأحاديث التي نقلها الثقات (**غُنية عن الاختراع**) أي الابتداع (**في الوعظ**) والتذكير (**كيف وقد كُره تكلُّف السجع**) وهو الكلام المقفَّىٰ الموزون (**وعُدَّ ذلك من التصنُّع**) أي التكلُّف (**قال سعد بن أبي وقَّاص**) مالك بن أُهَيب بن عبد مَناف بن زهرة بن كلاب الزهري، فارس الإسلام، وأحد العشرة، روىٰ عنه بنوه إبراهيم وعمر ومحمد وعامر ومصعب وعائشة، أسلم سابع سبعة، توفي سنة ٥٥[4]

---

(١) سيأتي هذا الحديث في كتاب آفات اللسان.

(٢) النهاية لابن الأثير ٥/ ٣٥. تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ٤٢٤.

(٣) لحن العوام لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ص ٣٢٣ (ط - مكتبة الخانجي بالقاهرة).

(٤) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ١/ ٣٦٧: «اختلف في وقت وفاته، فقال الواقدي: توفي سنة خمس وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة. وقال أبو نعيم: سنة ثمان وخمسين. وقال الزبير والحسن بن عثمان وعمرو بن علي الفلاس: سنة أربع وخمسين. وقال أحمد بن حنبل: توفي سعد وهو ابن ثلاث وثمانين سنة في إمارة معاوية بعد حجته الأخرىٰ».

(لابنه عمر) روىٰ عنه ابنه إبراهيم وأبو إسحاق، وأرسل عنه الزهري وقتادة. قال ابن معين: كيف يكون مَن قتل الحسين ثقةً؟! قتله المختار سنة ٦٧[١] **(وقد سمعه يسجع)** في كلامه. وفي نسخة: يتسجَّع **(هذا الذي يبغِّضك إليَّ، لا قضيتُ حاجتك أبدًا)** إذ رأىٰ ذلك بدعة حدثت في الأقوال **(حتىٰ تتوب. وقد كان جاءه في حاجة)** يتقضَّاها منه، وقال: عن رسول الله ﷺ: «ما أوتي امرؤ شرًّا من طلاقة في لسانه». أورده صاحب القوت[٢].

ثم قال: **(وقد قال ﷺ لعبد الله بن رَواحة)** بن ثعلبة الأنصاري، من بني الحارث بن الخزرج، أبو محمد، الأمير، بدري، نقيب، استشهد بمؤتة، روىٰ عنه أنس بن مالك وابن عباس، وأرسل عنه جماعة **(في سجع من)** ونصُّ القوت: حين سجع فوالَىٰ بين **(ثلاث كلمات)** أي تابَعَ بينها **(إياك والسجع يا ابن رواحة)** قال العراقي: لم أجده مرفوعًا، ولأحمد[٣] وأبي يعلىٰ[٤] وابن السني وأبي نعيم في كتابيهما «رياضة المتعلمين» بإسناد صحيح من رواية الشعبي عن مسروق عن عائشة ﵂ أنها قالت للسائب: إياك والسجع؛ فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون. زاد ابن السني بعد قولها «إياك والسجع»: لا تسجع. ورواه ابن حبان في صحيحه[٥] من رواية الشعبي عن ابن أبي السائب قاصِّ أهل المدينة قال: قالت عائشة ... فذكر كلامًا لها، وفيه: واجتنِب السجع في الدعاء؛ فإني عهدت النبي ﷺ وأصحابه يكرهون ذلك.

وروىٰ البخاري[٦] من رواية عكرمة عن ابن عباس قال: حدِّث الناسَ كل

---

(١) تهذيب الكمال للمزي ٢١/ ٣٥٦ - ٣٦٠.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٨٥.

(٣) مسند أحمد ٤٣/ ١٩.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٤٤٩.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٥٨.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٦٠.

جمعة ... فذكر الحديث، وفيه: وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهدت النبي ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك.

وفي القوت[١]: ومما أحدثوا: السجع في الدعاء والتغريب فيه، ولم يَرِد الكتاب به، ولا نُقل عن الرسول ﷺ ولا الصحابة، بل كانوا ينهون عن الاعتداء في الدعاء[٢]، وروينا عن رسول الله ﷺ: «إياكم والسجع في الدعاء، بحسب أحدكم أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول وعمل». وسمع عبد الله بن مغفَّل ابنه يدعو بما يعمق فيه، فقال: يا بنيَّ، إياك والحدث، إياك والاعتداء [في الدعاء][٣].

(**فكأن السجع المحذور**) أي الممنوع (**المتكلَّف**) المتصنَّع فيه (**ما زاد علىٰ كلمتين**) وأصل[٤] السجع: صوت الحمامة وهديرها، وسُمِّي السجع في الكلام لكونه مشبَّهًا بذلك؛ لتقارُب فواصله، وسجع الرجلُ كلامَه، كما يقال: نظمه: إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر ولم يكن موزونًا. وتقدم ذِكر أقسامه وأنواعه في شرح الخطبة (**ولذلك**) قال ﷺ (**لمَّا قال**) ذلك (**الرجل**) من عصبة القاتلة، يقال: هو حِمْل بن النابغة الهذلي (**في دية الجنين: كيف نَدِي**) أي نعطي دية (**مَن لا شرب، ولا أكل، ولا صاح، ولا استهلَّ**) الاستهلال: أول صوت المولود (**ومثل ذلك يطل**) أي يهدر (**فقال النبي ﷺ: أَسَجْعٌ كسجع الأعراب**)؟! وهم أهل البادية، وكانوا يستعملون الأسجاع في كلامهم.

قال العراقي: ورد من حديث المغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وابن عباس،

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٨١.

(٢) بعده في القوت: ويجتنبون مجاوزة ما أخبر الله تعالىٰ عن أوليائه من الأدعية الجامعة المختصرة المعروفة.

(٣) زيادة من القوت.

(٤) المصباح المنير ص ١٠١.

وجابر، وأسامة بن عُمَير الهُذَلي، وحمل بن مالك، وعُوَيم بن ساعدة الهذلي، رضي الله عنهم؛ أما حديث المغيرة فرواه مسلم[١] وأبو داود[٢] والنسائي[٣] من رواية عبيد بن نُضَيلة الخزاعي عن المغيرة بن شعبة قال: ضربت امرأةٌ ضَرَّتها بعمودِ فسطاطٍ ... فذكر الحديث، وفيه: فقال رجل من عَصَبة القاتلة: أنغرم ديةَ مَن لا أكل ولا شرب ولا استهل، فمثل ذلك يُطَلُّ ... الحديث بلفظ مسلم، وفي رواية له: أَنَدِي مَن لا طعم ولا شرب ولا صاح ولا استهل، ومثل ذلك يطل ... الحديث. وأصل الحديث عند البخاري[٤] والترمذي[٥] وابن ماجه[٦] مختصرًا دون ذِكر السجع المذكور.

وأما حديث أبي هريرة فرواه البخاري[٧] ومسلم[٨] وأبو داود[٩] والنسائي[١٠] من رواية ابن شهاب عن ابن المسيَّب وأبي سَلَمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: اقتتلت امرأتان من هُذَيل ... الحديث، وفيه: فقال حمل بن النابغة الهذلي: يا رسول الله، كيف أغرم مَن لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهلَّ، فمثل ذلك يطل. فقال رسول الله ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكُهَّان» من أجل سجعه الذي سجع. لفظ مسلم، ولم يسمِّ البخاري الرجل، وإنما قال: فقال وليُّ المرأة، ولم يقُل: من

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٨٠٢.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ١٦٨.

(٣) سنن النسائي ص ٧٣٥ - ٧٣٦.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٢٧٥، ٣٦٧. ولفظه: أن عمر استشارهم في إملاص المرأة، فقال المغيرة: قضىٰ النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة. فقال عمر: ائت بمن يشهد معك. فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبي ﷺ قضىٰ به.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٨٠.

(٦) سنن ابن ماجه ٤/ ٢٣٠ بنحو رواية البخاري.

(٧) صحيح البخاري ٤/ ٤٧.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ٨٠٢.

(٩) سنن أبي داود ٥/ ١٧٢.

(١٠) سنن النسائي ص ٧٣٥.

أجل سجعه الذي سجع.

قلت: وأخرجه مسلم أيضًا من رواية معمر عن الزهري، وفيه: فقال قائل: كيف نعقل؟ ولم يُسَمَّ حمل بن مالك.

ثم قال العراقي: ورواه الترمذي[١] وابن ماجه[٢] من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وفيه: فقال الذي قُضي عليه: أيُعطَىٰ مَن لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهلَّ فمثل ذلك يطل. فقال النبي ﷺ: «إن هذا ليقول بقول شاعر».

وأما حديث ابن عباس فرواه أبو داود[٣] والنسائي[٤] من رواية أسباط عن سِماك عن عكرمة عن ابن عباس ﵄ قال: كانت امرأتان جارتان كان بينهما صَخَبٌ ... الحديث، وفيه: فقال أبو القاتلة: إنه واللهِ ما استهلَّ ولا شرب ولا أكل فمثله يطل. فقال النبي ﷺ: «أسجع الجاهلية وكهانتها؟! إن في الصبي غُرَّة». قال ابن عباس: كانت إحداهما مُلَيكة، والأخرىٰ أم غطيف. لفظ النسائي، ولم يقل أبو داود: ولا أكل، وقال فيه: عن ابن عباس في قصة حمل، فأدخله المِزِّي في الأطراف[٥] في حديث حمل، ولم يذكره في حديث ابن عباس، وليس بجيد.

وأما حديث جابر فرواه أبو يعلىٰ في مسنده[٦] من رواية مجالد بن سعيد قال: حدثني الشعبي عن جابر أن امرأتين من هُذَيل قتلت إحداهما الأخرىٰ ... الحديث، وفيه: فخاف عاقلة القاتلة أن يضمِّنهم. قال: فقالوا: يا رسول الله، لا شرب ولا أكل

---

(١) سنن الترمذي ٣/ ٧٩.

(٢) سنن ابن ماجه ٤/ ٢٣٠.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ١٧١.

(٤) سنن النسائي ص ٧٣٧.

(٥) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي ٣/ ٨٣ (ط - المكتب الإسلامي).

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٣٥٥.

ولا صاح فاستهلَّ. فقال رسول الله ﷺ: «أسجع الجاهلية»؟! والحديث عند أبي داود[١] وابن ماجه[٢]، وليس فيه ذِكر السجع المذكور.

وأما حديث أسامة بن عُمَير -وهو والد أبي المَلِيح- فرواه الطبراني[٣] بإسناد جيد من رواية أيوب قال: سمعت أبا المليح عن أبيه -وكان قد صحب رسولَ الله ﷺ- قال: كانت فينا امرأتان ضربت إحداهما الأخرىٰ ... الحديث، وفيه: فقال رجل من أهل القاتلة: كيف نعقل يا رسول الله مَن لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهلَّ؟ فمثل ذلك يطل. فقال رسول الله ﷺ: «أسجَّاعة أنت ...» الحديث. وفي رواية له من رواية سلمة بن تمام عن أبي المليح أن الذي قال السجع رجل يقال له عمران بن عويمر، فقال رسول الله ﷺ: «دعني من رجز الأعراب».

وأما حديث حمل بن مالك بن النابغة فرواه الطبراني[٤] من رواية مجاهد عن الهذلي أنه كان عنده امرأة، فتزوج عليها أخرىٰ ... فذكر الحديث، وفيه: فجاء وليُّها فقال: أَنَدِي مَن لا أكل ولا شرب ولا استهلَّ، فمثل ذلك يطل. فقال: «رجز الأعراب».

وأما حديث عُوَيم الهذلي فرواه الطبراني[٥] من رواية محمد بن سليمان بن مسمول عن عمرو بن تميم بن عويم عن أبيه عن جده قال: كانت أختي مُلَيكة وامرأة منا يقال لها أم عفيف بنت مسروح تحت حمل بن النابغة، فضربت أمُّ عفيف مليكة بمسطح بيتها وهي حامل فقتلتها وما في بطنها، فقضىٰ رسول الله ﷺ فيها بالدية، وفي جنينها بالغُرَّة عبد أو أمة، فقال أخوها العلاء بن مسروح: يا

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ١٧١.

(٢) سنن ابن ماجه ٤/ ٢٣٥.

(٣) المعجم الكبير ١/ ١٩٣.

(٤) المعجم الكبير ٤/ ٩.

(٥) المعجم الكبير ١٧/ ١٤١.

رسول الله، أنغرم مَن لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهلَّ، فمثل هذا يطل. فقال رسول الله ﷺ: «أسجعٌ كسجع الجاهلية»؟! ورواه ابن منده في معرفة الصحابة[1]، ومحمد بن سليمان بن مسمول ضعيف[2]، وعمرو بن تميم وأبوه لم أجد لهما ذكرًا في مظانّ وجودهما.

(**وأما الأشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم**) قال السمين[3]: الشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري، وسُمِّي الشاعر [شاعرًا] لفطنته، ثم صار في التعارف اسمًا للموزون المقفَّىٰ من الكلام، والشاعر للمختص بصناعته، وقوله تعالىٰ حكايةً عن الكفار: ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء:٥] حمله كثير من المفسِّرين علىٰ أنهم رموه بكونه آتيًا بشعر منظوم ومقفًّىٰ، حتىٰ تأوَّلوا ما جاء في القرآن من كل لفظ يشبه الموزون. وقال بعض المحصِّلين: لم يقصدوا هذا القصد فيما رموه به، وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس من أساليب الشعر، ولا يخفَىٰ ذلك عليهم[4]، وإنما رموه بالكذب؛ فإن الشعر يعبَّر به عن الكذب، والشاعر الكاذب، حتىٰ سمَّوا الأدلة الكاذبة: الشعرية (**قال الله تعالىٰ**) في وصف عامَّة الشعراء: (﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤] **الآية**) أي إلىٰ آخرها وهو ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦﴾ ولأن الشعر مقرُّ الكذب، قالوا: أحسن الشعر أكذبُه، وقال بعض الحكماء: لم يُرَ متديِّن صادق اللهجة مفلقًا في شعره، ولذا لمَّا أسلم منهم جماعة وكانوا مفلقين ضعُف شعرُهم، كحسان ولبيد، وقد فطن حسان من نفسه ذلك. ا.هـ.

---

(١) وكذلك أبو نعيم في معرفة الصحابة ٣/ ٢١١٨.

(٢) انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٦٥٩.

(٣) عمدة الحفاظ ٢/ ٢٤٧.

(٤) في العمدة: ولا يخفىٰ ذلك علىٰ الأغتام من العجم فضلاً عن بلغاء العرب.
والأغتام جمع أغتم وهو من لا يفصح في كلامه.

والغاوون[١] جمع غاوٍ وهو الضالُّ المنهمك في ضلاله، لا يردُّه شيء، وقد يعبَّر بالغيِّ عن الجهل؛ لأنه سببه، وقيل: الغواية: شدة الجهل.

(**وقال تعالىٰ:** ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩]) قال الراغب[٢]: ينبغي مطاوع بَغَىٰ، فإذا قيل: ينبغي أن يكون كذا، فهو باعتبارين[٣]، **أحدهما:** ما يكون مسخَّرًا للفعل، نحو: النار ينبغي أن تحرق الثوب. **والثاني:** بمعنىٰ الاستئهال، نحو: فلان ينبغي أن يُعطَىٰ لكرمه. وعلىٰ المعنيين جاء قوله تعالىٰ المتقدِّم ذِكره، أي: لا يتسخَّر له ولا يستأهل. قال: ألا ترىٰ أن لسانه لم يكن يجري به.

قال السمين[٤]: ولذلك كان إذا تمثَّل بشيء من الشعر أتىٰ به علىٰ غير نظمه، وقد نُقل أنه تكلم بشيء من الشعر علىٰ سبيل الاتفاق، واختلفوا في أنه هل كان مصروفًا عن ذلك بطبعه أو كان في قدرته ولكنه لم يقله؟ أقوال.

واختلفوا في ذم الشعر ومدحه، وأحسنُ ما قيل فيه قول الإمام الشافعي رحمه الله حين سُئل عن ذلك: الشعر كلام، حسنه حسنٌ، وقبيحه قبيح. وقد رُوي مثل ذلك أيضًا عن عائشة رضي الله عنها.

قال ابن السبكي في الطبقات[٥]: وقد سمع النبي ﷺ الشعر وأجاز عليه، وذلك برهان علىٰ أنه لم يكن يمنع من ذلك، وكذلك نطق به جماهير الصحابة وعدد بالغ من أحبار الأمة، وأما ما ورد من الأحاديث في ذمِّ الشعر فالمراد منه الشعر الذي هو هجوٌ له ﷺ، حملاً لمطلق الحديث علىٰ مقيَّده، علىٰ أنه قد ثبت

(١) عمدة الحفاظ ٣/ ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٥٦.

(٣) في المفردات: فيقال علىٰ وجهين.

(٤) عمدة الحفاظ ١/ ٢١٢.

(٥) طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ٢٢٠، ٢٢٦.

في بعض طرق حديث أبي هريرة[١] رفعه: «لأنْ يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ودمًا خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا هُجيتُ به» رواه ابن عدي في الكامل[٢].

(وأكثر ما اعتاده الوعَّاظ من) إنشاد (الأشعار) في مواعظهم (ما يتعلق بالتواصُف في العشق) وهو الإفراط في المحبة (وجمال المعشوق) وهو المحبوب (وروح الوصال) والتشوُّق إليه (و) التشكِّي من (ألم الفراق) وما يترتب عليه (والمجلس) ذاك (لا يحوي) أي لا يجمع غالبًا (إلا أجلاف العوامِّ) والأغبياء الطغام (وبواطنهم) غير متهيئة لتلقِّي أسرار الحقائق، بل (مشحونة بالشهوات) النفسانية (وقلوبهم غير منفكَّة عن الالتفات) والميل (إلىٰ الصور المليحة) المستحسَنة (فلا تحرك) تلك (الأشعار من قلوبهم) وخواطرهم (إلا ما هي مستكنَّة) أي مستترة (فيها) من الخبث (فتشتعل فيها نيران الشهوات) لا محالة بتسويل الشيطان (فيزعقون) أي يصيحون من غير اختيار، ومنهم من يتمكَّن منه ذلك الخاطر فيغيب عن إحساسه (ويتواجدون) أي يتراقصون ويكونون سببًا لضحكة الشيطان (وأكثر ذلك أو كله يرجع إلىٰ نوع فسادٍ) في الدين تترتب به جُمَل من المَضَرَّات (فينبغي) للواعظ (أن لا يستعمل) في وعظه للعامة (من) إنشاد (الشعر إلا ما فيه موعظة) ظاهرة يرتدع بها عن خبث الباطن (أو حكمة) نادرة يتعظ بها في كشف السر الكامل، كل ذلك (علىٰ سبيل استشهاد) لكلامه (واستئناس) لِما يورد من أحكامه (وقد قال رسول الله ﷺ: إن من الشعر لَحكمةً) قال العراقي[٣]: رواه البخاري[٤] من حديث أُبَيِّ بن كعب.

---

(١) الذي في طبقات السبكي أن أبا هريرة رواه بلفظ: لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعرًا. فقالت أم المؤمنين عائشة: لم يحفظ الحديث، إنما قال رسول الله ﷺ: لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعرًا هجيت به.

(٢) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٣٢.

(٣) المغني ١/ ٢٨.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١١٨.

قلت: وكذا الإمام أحمد[١] وأبو داود[٢] وابن ماجه[٣]، كلهم من رواية عبد الرحمن بن الأسود أن أبي بن كعب أخبره بلفظ: «إن من الشعر حكمة». وأخرجه أبو القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم الحِنَّائي[٤] في جزء له من طريق هشام ابن عروة عن أبيه عن جده الزبير رفعه.

وذكره الدارقطني في العلل[٥] فقال: يرويه شيخ يُعرَف بعبد الملك بن محمد البلخي عن أبي بدر عن هشام. قال: ووهم فيه.

ورواه الشافعي[٦] مرسلاً عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث.

ورواه الترمذي[٧] وأبو يعلىٰ[٨] من رواية عاصم بن أبي النجود عن زِرٍّ عن ابن مسعود، وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه، إنما رفعه أبو سعيد الأشج عن ابن أبي غنيَّة، وروىٰ غيره عنه موقوفًا.

---

(١) مسند أحمد ٣٥/ ٨٨ - ٩١.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٧.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣١١.

(٤) ومن طريقه أخرجه السبكي في طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ٢٢١.

(٥) العلل الواردة في الأحاديث ٤/ ٢٣٧- ٢٣٨، ونصه: «يرويه شيخ يعرف بعبد الملك بن محمد ابن عبد الرحمن البلخي، لقبه حبتر، لا بأس به، عن أبي بدر عن هشام بن عروة عن أبيه عن جده، ووهم، ورواه عمرو بن عبد الغفار عن هشام عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، ووهم أيضـًا، ورواه ابن عيينة عن هشام عن أبيه عن مروان، ورواه ابن إدريس وأبو أويس وابن نمير وغيرهم عن هشام عن أبيه عن عائشة، ورواه إسماعيل بن عياش عن هشام عن أبيه عن مروان عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبي بن كعب، وكذلك قال معمر عن الزهري عن عروة، وأما أصحاب هشام الحفاظ عنه فرووه عن هشام عن أبيه مرسلاً، وهو المحفوظ».

(٦) مسند الشافعي ص ١٢٠ (ط - شركة المطبوعات العلمية بمصر).

(٧) سنن الترمذي ٤/ ٥٢٧.

(٨) مسند أبي يعلىٰ ٩/ ٤٢.

ورواه أحمد[١] وأبو داود[٢] والترمذي[٣] وابن ماجه[٤] من رواية سِماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ: «إن من البيان سحرًا، وإن من الشعر حكمًا». قال الترمذي: حسن صحيح. وفي أوله قصة عند أبي داود[٥]، ورواه ابن حبان في صحيحه[٦] بلفظ: حكمة.

وفي الباب عن: بُرَيدة، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، وأبي بكرة، وأبي موسىٰ، وعائشة، وأنس، وعمرو بن عوف.

(**ولو حوىٰ المجلس الخواص**) من عباد الله العارفين المستكملين (**الذين وقع الاطلاع**) والاتفاق (**علىٰ استغراق قلوبهم بحب الله تعالىٰ**) أي امتلائها به (**ولم يكن معهم**) هناك (**غيرهم**) من الأجانب (**فإذ ذاك**) وفي نسخة: فإن أولئك (**لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلىٰ الخَلْق**) بذكر الأوصاف المناسبة لهم من جمال ووصال وفراق (**فإن المستمع يُنزِل كل ما يسمعه علىٰ ما يستولي علىٰ قلبه**) بحسب المقامات، فالألفاظ هي هي والمعاني مختلفة، وكل إناء بالذي فيه يرشح (**كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع، ولذلك كان**) أبو القاسم (**الجنيد**) وفي القوت[٧]: وقال لي بعض الشيوخ: كان الجنيد رحمه الله (**يتكلم علىٰ بضعة عشر**) ونص القوت: علىٰ بضع عشرة (**رجلاً، فإن كثروا لم يتكلم**) قال: (**وما تم أهل مجلسه قطُّ عشرين**) رجلاً. قال: وكان أبو محمد سهلٌ رحمه الله يجلس إليه خمسة أو ستة إلىٰ العشرة (**وحضر جماعةٌ باب دار**) أبي الحسن محمد (**ابن سالم**) البصري، أحد

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٤٨٦، ٥/ ١٥٦، ١٩٤.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٧.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٥٢٨.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٣١١.

(٥) وهي أن أعرابيًا جاء إلىٰ النبي ﷺ فجعل يتكلم بكلام بين، فقال رسول الله ﷺ .... الخ.

(٦) صحيح ابن حبان ١٣/ ٩٦.

(٧) قوت القلوب ١/ ٢٦٧.

مشايخ أبي طالب المكي **(فقيل له: تكلمْ، فقد حضر أصحابك)** قال في القوت: وقد حُدِّثت عن أبي الحسن ابن سالم شيخنا رحمه الله أن قومًا اجتمعوا في مسجده، فأرسلوا إليه بعضهم: إن إخوانك قد حضروا، ويحبون لقاءك والاستماع منك، فإن رأيتَ أن تخرج إليهم فعلتَ، وكان المسجد على باب بيته، ولم يكن يُدخَل عليه في منزله، فقال للرسول بعد أن خرج إليه: مَن هم؟ فقال: فلان وفلان، وسمَّاهم **(فقال: لا، ما هؤلاء أصحابي)** ونص القوت: ليس هؤلاء من أصحابي **(إنما هم أصحاب المجلس، إن أصحابي هم الخواص)** ونص القوت: هؤلاء أصحاب المجلس، ولم يخرج، كأنه رآهم عمومًا لا يصلحون لتخصيص علمه، فلم يُذهِب وقته لوقتهم، وكذلك العالِم وقته أعز عليه، فإن وافق خصوص إخوانه آثرهم على نفسه، فكان ذلك مزيدًا لهم، وإن لم يوافق لم يؤثِّر على خلوته ووقته غيره، فيكون مناخًا للبطَّالين، وقد كان أبو الحسن رحمه الله يخرج لإخوانه ممَّن يراه أهلاً لمكان علمه فيجلس إليهم ويذاكرهم، وربما أدخلهم إليه نهارًا أو ليلاً، ولعمري إن المذاكرة تكون بين النظراء، والمحادثة مع الإخوان، والجلوس للعلم يكون للأصحاب، والجواب عن المسائل نصيب العموم، وكان عند أهل هذا العلم أن علمهم مخصوص لا يصلُح إلا للخصوص، والخصوص قليل، فلم يكونوا ينطقون به إلا عند أهله، ويرون أن ذلك من حقه، وأنه واجب عليهم.

هذا كله كلام صاحب القوت.

(وأما الشطح) وهو عند أهل الحقيقة: كلام يعبِّر عنه اللسان، مقرون بالدعوى، ولا يرتضيه أهل الطريقة من قائله وإن كان محقًّا[1] **(فنعني به صنفين من الكلام)** الذي **(أحدثه بعض الصوفية)** أي الغُلاة منهم **(أحدهما: الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال)** به **(المغني عن الأعمال الظاهرة)**

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٠٤.

المكلَّف بها **(حتىٰ ينتهي قوم)** منهم **(إلىٰ دعوىٰ)** الحلول و**(الاتحاد)** مع الله تعالىٰ، وهو كفر صريح، وضلال مبين، ولم يقُل به أحد من المعتبرين، وحاشاهم من ذلك، بل ما زال المعتبَرون من الصوفية ينبِّهون علىٰ تضليل مَن قال به وتكفيره ويحذِّرون منه، منهم المصنف كما سيأتي له في باب السماع، ومنهم الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في أول الحلية[1]، والقاضي تاج الدين البيضاوي في تفسير سورة المائدة[2]، والقاضي عياض في الشفاء[3].

وقال العز بن جماعة في «شرح الكوكب الوَقَّاد»: يجب أن ينزَّه الله تعالىٰ عن الحلول، خلافًا للنصارىٰ وبعض الصوفية، جلَّ الله وتعالىٰ عن قولهم علوًّا كبيرًا.

(و) من دعاويهم: **(ارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب)** قال الجنيد: المشاهدة: إقامة الربوبية بإزاء العبودية مع فقدان الكل دونه. قال: وهي علىٰ ثلاث طبقات: مشاهدة بالحق وهي نظر الموجودات بوجوه الاستدلالات علىٰ وحدانية الذات، ومشاهدة للحق وهي نظر الحق في قيام المصنوعات وتمام المبدَعات وصيانتها عن الآفات، ومشاهدة الحق وهي نظره قبل الأشياء ورؤيته سابقًا علىٰ الأشياء، وهي رؤية خالية عن الكيف، عارية عن

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٤ ونصه: «... وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار في كل الأقطار والأمصار في المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار والمباحية والحلولية الكفار».

(٢) حيث قال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: هم الذين قالوا بالاتحاد منهم. وقال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾: أي أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والأقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد.
تفسير البيضاوي ٢/ ١٢٠، ١٣٨.

(٣) الشفاء ٢/ ٢٨٢- ٢٨٣ ونصه: «كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر ...» ثم ذكر منهم أصحاب الحلول، ثم قال: «فذلك كله كفر بإجماع المسلمين ... كمن ادعىٰ حلول الله تعالىٰ في أحد الأشخاص».

الوصف، عالية عن الكشف.

وقال سهل بن عبد الله: المشاهدة: التبرِّي عمَّا سواه.

فهذه أقوال الأكابر الصوفية دالَّة علىٰ فساد دعاويهم.

(فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا، ويتشبَّهون فيه بالحسين بن منصور) بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبي بكر بن أبي صالح الشامي بن عبد الله بن أبي أيوب الأنصاري، أبي مغيث وأبي عبد الله **(الحلاَّج)** صحب الجنيد والنوري وغيرهما من الطبقة، وإنما لُقِّب بالحلاَّج لأنه سأل قطَّانًا حاجتَه فاعتذر بشغله، فقال: أنا أحلج عنك، فلما عاد وجد قطنه كله محلوجًا. وقيل: لأنه كان حلاَّج الأسرار، يعني مُظهِرها. ومن ولده بالبيضاء من أعمال فارس: الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الصمد بن الحسين عرب يعرب، وهم بيت رياسة وجلالة، ومنهم بقية إلىٰ الآن. واختُلف الناس في شأن الحلاج، فأفتىٰ كثير من العلماء بإباحة دمه، وتوقَّف آخَرون، ولما استُفتي أبو العباس ابن سُرَيج عنه -وكان من أقرانه- قال: هذا رجل خفي عليَّ حالُه، فلا أقول فيه شيئًا[1]. كأنه لم يثبت عنده أنه ما قال تلك المقالة في صحوٍ. قُتل يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩. وكان آخر قوله: حبُّ الواحد إفراد الواحد له **(الذي صُلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: أنا الحق)** وقد اعتذر عنه المشايخ بجواز أن يكون ذلك صدر منه في حال سُكْر وغيبة، وأن الله رفع التكليف عمَّن غاب عقله، فلا يؤاخَذ بذلك، ولا تحل الوقيعةُ فيه بسبب ذلك، وإنما الإنكار علىٰ مَن يتلقىٰ ذلك الكلام علىٰ ظاهره ويعتقده ويعتمده، فهذا يُنكَر

---

(١) ونقل الدميري في حياة الحيوان الكبرىٰ ١/ ٣٤٩ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني قوله: عثر الحلاج ولم يكن له من يأخذ بيده، ولو أدركت زمانه لأخذت بيده.

عليه أشد النكير[١].

قال السيوطي[٢]: وهكذا الحال في كلام كثير ممَّن نُسب إلىٰ السداد والاستقامة ما يُشعِر بذلك؛ فإن حُسن الظن بآحاد المسلمين واجب فضلاً عمَّن تواردت الألسنة بالشهادة له بالولاية؛ فإن ثناء الناس بذلك شاهد صِدق، كما نص عليه رسول الله ﷺ[٣]، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير مَحملاً.

(و) من ذلك **(ما يحكون)** وفي نسخة: وبما يحكون **(عن)** القطب **(أبي يزيد)** طيفور بن عيسىٰ بن سروشان **(البِسطامي)**[٤] قال القشيري في الرسالة[٥]: وكان جده مجوسيًّا أسلم، وكانوا ثلاثة إخوة: آدم وطيفور وعلي، وكلهم كانوا زهادًا عبَّادًا، وأبو يزيد كان أجلهم، قيل: مات سنة إحدىٰ وستين، وقيل: أربع وستين ومائتين **(أنه قال: سبحاني سبحاني)** وسيأتي الجواب عنه قريبًا **(وهذا فن من**

---

(١) تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٧١.

(٢) تأييد الحقيقة العلية ص ٧٠.

(٣) كما في حديث أنس الذي في الصحيحين عندما مرت جنازة فأثنىٰ الصحابة عليها خيرًا فقال: وجبت، ثم مرت جنازة أخرىٰ فأثنوا عليها شرًا، فقال: وجبت، ثم قال: أنتم شهداء الله في الأرض، فمن أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار.
وكما في حديث عمر رضي الله عنه الذي رواه البخاري: «أيما مسلم شهد له أربعة نفر بخير أدخله الله الجنة ....».

(٤) نسبة إلىٰ بسطام: بلدة كبيرة بقومس علىٰ جادة الطريق إلىٰ نيسابور بعد دامغان بمرحلتين. وقد ضبطها ياقوت بكسر الباء، أما السمعاني فضبطها بالفتح، ثم ذكر في مادة (البسطامي) بالكسر أنه نسبة إلىٰ اسم رجل وهو جد محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبدوس بن سوار بن إبراهيم بن بسطام الدقاق الحراني. أما ابن الأثير فجزم بالكسر في الحالتين، وعلل ذلك بأنه اسم أعجمي عرب بكسر الباء.
معجم البلدان ١/ ٤٢١. الأنساب للسمعاني ١/ ٣٥١. لباب الأنساب لابن الأثير ١/ ١٥٣.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٦٣.

الكلام) أي ضرب منه **(عظُم ضررُه في العوامِّ)** وتحيَّرت الأفهام **(حتىٰ ترك جماعةٌ من أهل الفلاحة)** أي الزراعة **(فلاحتهم)** وكذا أهل الصناعة صناعتهم **(وأظهروا مثل هذه الدعاوىٰ)** تقليدًا وتشبُّهًا **(فإن هذا الكلام يستلذه الطبع)** ويجد له راحة **(إذ فيه البطالة من الأعمال)** والاتكال علىٰ الأقوال **(مع تزكية النفس)** ونسبتها إلىٰ الطهارة **(بدرك المقامات)** العلية **(والأحوال)** السنيَّة التي لا يحصِّلها السالك إلا بعد رياضات ومجاهدات **(ولا يعجز الأغبياء عن دعوىٰ ذلك لأنفسهم)** من غير مجاهدة سبقت لهم، ولا فازوا بشهود مقامه **(ولا عن تلقُّف كلمات مختلفة المعنىٰ)** وفي نسخة: مخبطة **(مزخرفة)** الظاهر **(ومهما أُنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا: هذا إنكار)** علىٰ أهل الحقيقة **(مصدره)** أي منشؤه **(العلم)** الظاهر **(والجدل، و)** أن **(العلم حجاب)** عن معرفة مثل هذا **(والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق)** قال القطب القسطلاني في كتابه «اقتداء الفاضل باقتداء العاقل»: أما قولهم: العلم حجاب الله، وأن طلبه من أعظم الحجاب، فهي كلمة حق أُريدَ بها باطل، وصفة نقص تحلَّىٰ بها مَن هو عن الكمال عاطلٌ، وإنما ذكر أهل الطريق ذلك في قوم من صفتهم أنهم حصَّلوا ما تميزوا به عند أهل هذا الشأن من علمَي الشريعة والحقيقة ففوتِحوا من الغيب بما يشهد له بنجاتهم، فهم بالله مع الله معرِضون عن ملاحظة صفاتهم، فمَن كان كذلك فإنه مشغول بما هو فيه عن النظر في العلم، وأما مَن هو عريٌّ عن علم الظاهر والباطن فحقُّه أن يعلم ما يحتاج إليه في الطريق التي يسلكها، فإن أبىٰ واستكبر فإنه بعيد عن الوصول إلىٰ منهج السعادة.

(فهذا ونحوه) وفي نسخة: وفنه **(مما قد استطار في البلاد شَرَره، وعظُم في العوامِّ ضررُه)** فليتنبَّه الفَطِن لذلك **(حتىٰ مَن تكلم)** وفي نسخة: ومَن نطق **(بشيء منه فقتلُه أفضل في دين الله من إحياء عشرة)** لِما في إبقاء مثله من لحوق الضرر

العظيم والفساد العميم للأمة المحمدية (**وأما أبو يزيد البسطامي** رحمه الله **فلا يصح عنه ما يُحكَىٰ**) لجواز[1] أن يكون مدسوسًا عليه إما من عدوٍّ حاسد يريد شَيْنَه بذلك وتنقيصه كما وقع كثيرًا للعلماء، وإما من زائغ ملحد أراد ترويج أمره ونصرة معتقده فدسَّ هذا الكلام؛ ليأخذه الناس بالقبول؛ لإحسانهم الظن بهؤلاء الأخيار.

قال السيوطي: وقد أخبرني بعض القضاة ممن أثق به أن الشيخ عبد الكبير الحضرمي أحد السادة الكبار -وقد اجتمعت أنا به بمكة المشرَّفة في مرض موته- سُئل عن بيت من كلام ابن الفارض وهو قوله[2]:

وإذا سألتُك أن أراك حقيقةً ... فاسمحْ ولا تجعل جوابي لن تَرَىٰ

فقال: ليس هذا من كلامه؛ فإن ابن الفارض عارف، والعارف لا يقول مثل هذا.

(**وإن سُمع ذلك منه**) وصح عزوُه إليه من طريق صحيح (**فلعله كان يحكيه عن الله تعالىٰ في كلام يردِّده في نفسه، كما لو سُمع وهو يقول: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني؛ فإنه كان ينبغي أن لا يُفهَم ذلك منه إلا علىٰ سبيل الحكاية**) قال السهروردي في «عوارف المعارف»[3] في ذِكر مَن انتمىٰ إلىٰ الصوفية وليس منهم ما نصه: ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول والاتحاد، ويزعمون أن الله تعالىٰ في الأجسام، ويسبق إلىٰ مفهومهم قول النصارىٰ[4] في اللاهوت والناسوت، ومنهم مَن يستبيح النظر إلىٰ المستحسَنات إشارةً إلىٰ هذا الوهم، ويتخايَل له أن مَن قال كلمات في بعض غلباته كان مضمرًا لشيء مما زعموه، مثل قول الحلاَّج: أنا الحق،

(١) تأييد الحقيقة العلية ص ٧١ - ٧٢.

(٢) البيت في ديوانه ص ١١٧ (ط - المطبعة الميمنية بمصر).

(٣) عوارف المعارف ص ٥٨ - ٥٩.

(٤) عبارة العوارف: ويزعمون أن الله تعالىٰ يحل فيهم ويحل في أجسام يصطفيها، ويسبق لأفهامهم معنىً من قول النصارىٰ ... الخ.

وما يُحكَىٰ عن أبي يزيد من قوله: سبحاني. وحاشا الله أن يُعتقَد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا علىٰ معنىٰ الحكاية عن الله تعالىٰ، وهكذا ينبغي أن يُعتقَد في قول الحلاج ذلك، ولو علمنا أنه ذكر هذا القول مضمرًا لشيء من الحلول رددناه كما نردُّهم، وقد أتانا رسول الله ﷺ بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج، وقد دلَّتنا عقولُنا علىٰ ما يجوز وصف الله تعالىٰ به وما لا يجوز، والله تعالىٰ منزَّه أن يحل به شيءٌ أو يحل بشيء، حتىٰ لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألَّف له في فِكره كلمات ينسبها إلىٰ الله تعالىٰ، وأنها مكالمة الله تعالىٰ إياه، مثل أن يقول: قال لي وقلتُ له، وهذا إما رجل جاهل بنفسه وحديثها، جاهل بربِّه وبكيفية المكالمة والمحادَثة، وإما عالم ببطلان ما يقول يحمله هواه علىٰ الدعوىٰ بذلك؛ ليوهِم أنه ظفر بشيء، وكل هذا ضلال، ويكون سبب تجرُّؤه علىٰ هذا ما سمع من كلام بعض المحقِّقين من مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة، وتمسُّكهم بأصول القوم من صِدق التقوىٰ وكمال الزهد في الدنيا، فلما صَفَتْ أسرارُهم تشكَّلت في سرائرهم مخاطبات موافِقة للكتاب والسنَّة فنزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر، ولا يكون ذلك كلامًا يسمعونه، بل كحديث في النفس يجدونه ويرونه موافقًا للكتاب والسنَّة، مفهومًا عند أهله، موافقًا للعلم، ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم [ومناجاة سرائرهم][1] إياهم، فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية، ولمولاهم الربوبية، فيضيفون ما يجدونه إلىٰ نفوسهم وإلىٰ مولاهم، وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله تعالىٰ، وإنما هو علم حادث أحدثه الله تعالىٰ في بواطنهم، فطريق الأصحَّاء في ذلك الفرارُ إلىٰ الله تعالىٰ من كل ما تَحدَّثُ نفوسُهم به، حتىٰ إذا برئت ساحتُهم من الهوىٰ أُلهموا في بواطنهم شيئًا ينسبونه إلىٰ الله تعالىٰ نسبةَ الحادثات

(١) زيادة من العوارف.

إلىٰ المحدِث، لا نسبة الكلام إلىٰ المتكلم؛ ليُصانوا عن الزيغ والتحريف.

وقال السيوطي في «تأييد الحقيقة العلية»[١]: وأما التأويل فبأمور. ثم قال: الثالث: أن يكون ما وقع في ألفاظهم مضافًا إلىٰ أنفسهم، وهو مما لا يضاف إلا إلىٰ الله تعالىٰ لم يقصدوا به حكاية عن أنفسهم، وإنما أوروده مورد الحكاية عن الله؛ فإن الكلام ينقسم إلىٰ ما يحكيه المتكلم عن نفسه وإلىٰ ما يحكيه عن غيره وإن لم يصرِّح بالإضافة إليه، كحديث البخاري[٢] عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتُ صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة». فهذا إنما قاله ﷺ حكايةً عن ربه وإن لم يصرِّح به[٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات:١٦٤] فهذا علىٰ لسان الملائكة، وقال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم:٦٤] فهذا علىٰ لسان جبريل، وهذا نوع لطيف حرَّرت الكلام فيه في الإتقان[٤]، وأما حسن الظن وعدم الوقيعة فذاك هو الذي دلَّت عليه الآيات والأحاديث والآثار ونصوص العلماء، ولأنْ يخطئ الإنسان في عدم السب خير من أن يخطئ في السبِّ، وفي الحديث: «لأنْ يخطئ الإنسان في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»[٥]. والمقصد الشرعي من التحذير حاصلٌ بالتنفير من ذلك الكلام من

(١) تأييد الحقيقة العلية ص ٧٢.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٧٧.

(٣) بل قد صرح به، ففي أول الحديث: يقول الله تعالىٰ .... الخ.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ص ٨٣ (ط - مؤسسة الرسالة ببيروت).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٣/ ٩٤ قال: «حدثنا عبد الرحمن بن الأسود أبو عمرو البصري، حدثنا محمد ربيعة، حدثنا يزيد بن زياد الدمشقي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة».

ثم قال: «حديث عائشة لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث محمد بن ربيعة عن يزيد بن زياد الدمشقي، ورواه وكيع عن يزيد بن زياد نحوه ولم يرفعه، ورواية وكيع أصح، وقد روي نحو هذا عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ أنهم قالوا مثل ذلك، ويزيد بن زياد الدمشقي ضعيف في الحديث».

غير وقيعة فيمن نُسب إليه، وقد قال بعض الأئمة: لو عاش الإنسان عمره كله لم يلعن إبليس فلا يسأله الله عن ذلك.

وقال السبكي في فتاويه: اعلمْ أنَّا نستصعب القول بالتكفير؛ لأنه يحتاج إلىٰ تحرير المعتقَد، وهو صعب من جهة الاطلاع علىٰ ما في القلب وتخليصه عما يشبهه وتحريره، ويكاد الشخص يصعب عليه تحريرُ اعتقاد نفسه فضلاً عن غيره، واعتراف الشخص به هيهات أن يحصل، وأما البيِّنة في ذلك فصعب قبولها؛ لأنها تحتاج إلىٰ ما قدَّمناه.

(**الصنف الثاني من الشطح**): تلفيق (**كلمات غير مفهومة**) معانيها (**لها ظواهر رائقة**) معجبة (**وفيها عبارات هائلة**) عظيمة تهول سامعَها (**وليس وراءها طائل**): فائدة تُستفاد منها (**وذلك**) لا يخلو من حالين: (**إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل مصدرها**) أي منشؤها (**عن خلط في عقله**) وجهل في مقامه (**وتشويش**) أي تخليط (**في خياله؛ لقلة إحاطته بمعنىٰ كلامٍ قرع سمعه**) وهذا هو الجهل بنفسه وحديثها والجهل بربِّه، كما تقدم في كلام السهروردي (**وهذا هو الأكثر**) من أحوالهم وإن علم من نفسه جهله بتلك الكلمات، وإنما حمله علىٰ ذلك هواه؛ ليوهم أنه ظفر بشيء فالمصيبة أعظم (**وإما أن تكون**) تلك الكلمات (**مفهومة له**) متحقِّقًا بمعانيها (**ولكنه لا يقدر علىٰ تفهيمها**) لغيره (**و**) لا علىٰ (**إيرادها**) وإلقائها (**بعبارة**) سهلة (**تدل علىٰ ضميره**) وفحواه، وذلك (**لقلة ممارسته للعلم**) ومعاناته فيه (**وعدم تعلُّمه طريق التعبير عن المعاني**) الدقيقة (**بالألفاظ**) الرائقة (**الرشيقة**) فإن العبارة عن المعاني المدرَكة بالوجدان علىٰ ما هي عليه عسيرة جدا، ألا ترىٰ أن الشخص لو أراد أن يصف لذَّة الجماع لمَن لم يباشره بعبارة توصل ذلك إلىٰ فهمِه علىٰ حقيقته لم يستطع ذلك أبدًا، وسيأتي للمصنِّف في الفناء قال: إن العلماء به قصرت عباراتُهم عن إيضاحه وبيانه بعبارة مُفهِمة موصِّلة للغرض إلىٰ الأفهام. وكما قال ابن عَبَّاد

في مراتب الشهود: إن التفرقة بين حقائقها علىٰ ما هي تعسر العبارةُ عنه، وأنه زلَّت بسبب ذلك أقدام كثير من الناس.

وقال صاحب التعرُّف[١]: مشاهدات القلوب ومشاهدات الأسرار لا يمكن العبارة عنها علىٰ التحقيق، بل تُعلَم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا مَن نازَلَ تلك الأحوال.

(و) لكن (**لا فائدة لهذا الجنس من الكلام**) لِما يترتَّب عليه من الزيغ لكثيرين، وهذا في حد ذاته لا بأس به في الجملة (**إلا أنه يشوش القلوبَ، ويدهش العقولَ، ويحيِّر الأذهان، ويحمل**) الإنسانَ (**علىٰ أن يفهم منها معاني**) بتأويلات (**ما أُريدتْ بها، ويكون فهمُ كل واحد**) منها (**علىٰ مقتضىٰ هواه وطبعه**) وهذا كذلك يتسبب لضرر عظيم، كيف لا (**وقد قال** ﷺ: **ما حدَّث أحدُكم قومًا بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم**) قال العراقي[٢]: أخرجه العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في «رياضة المتعلمين»[٣] من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفًا علىٰ ابن مسعود نحوه.

وقال في التخريج الكبير: رواه أبو نعيم في «رياضة المتعلمين» من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عثمان بن داود عن عكرمة عن ابن عباس رفعه بلفظ: «ما أنت محدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان علىٰ بعضهم فتنة»[٤].

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي ص ١٠٠ (ط - دار الكتب العلمية) ونصه: «وإنما قيل علم الإشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها علىٰ التحقيق، بل تعلم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقدمات».

(٢) المغني ١/ ٢٨.

(٣) في المغني: الرياء، بدلا من: رياضة المتعلمين.

(٤) ورواه أيضـًا بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨/ ٣٥٦.

وقد اختُلف فيه عن ابن ثوبان، فقال ابن السني في «رياضة المتعلمين» والعقيلي في «تاريخ الضعفاء»[١] من طريق ابن ثوبان قال: حدثني عثمان بن داود عن الضحَّاك بن مزاحم عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله، ما نسمع منك نحدِّث به كله؟ قال: «نعم، إلا أن تحدِّثوا قومًا [حديثًا][٢] لا تضبطه عقولهم فيكون علىٰ بعضهم فتنة». قال: ورواه ابن السني أيضًا في الكتاب المذكور من رواية عبَّاد بن كثير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته: «مَن حدَّث بحديث لا يعلم تفسيره لا هو ولا الذي حدَّثه فإنما هو فتنة عليه وعلىٰ الذي حدَّثه»[٣]. ثم قال: وإنما يصح هذا الحديث موقوفًا علىٰ ابن مسعود كما رواه مسلم في مقدمة صحيحه[٤] من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود أن عبد الله بن مسعود قال ... فساقه كسياق حديث ابن عباس بعينه.

(**وقال ﷺ: كلِّموا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله**)؟ قال العراقي: أخرجه البخاري[٥] موقوفًا علىٰ عليٍّ، وهو الصواب، بلفظ: حدِّثوا الناس. والباقي سواء، وهكذا رواه البيهقي في المدخل[٦] بتقديم «أتريدون» علىٰ «حدِّثوا». ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس[٧] من طريق أبي نعيم، وسيأتي في آخر الباب الخامس من حديث ابن عمر موقوفًا: أُمرنا أن نكلِّم الناس علىٰ قَدْر عقولهم. أي قَدْر ما تحتمله عقولُهم، وهو شاهد

---

(١) الضعفاء للعقيلي ٢/ ٩٣٧.

(٢) زيادة من الضعفاء. وفيه: لا تدركه عقولهم، بدل: لا تضبطه عقولهم.

(٣) وكذلك رواه الديلمي في فردوس الأخبار ٤/ ١٧٢.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٦.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٦٢.

(٦) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ ٢/ ١٤٠.

(٧) فردوس الأخبار ٢/ ٢٠٥ عن الحسين بن علي بلفظ: «حدثوا الناس بما يعرفون ولا تحدثوهم بما ينكرون فيكذبون الله ورسوله».

جيد، ويأتي الكلام عليه هنالك. ا.هـ.

وقد ورد ما يقاربه من حديث المقدام مرفوعًا، رواه البيهقي في المدخل[١] بلفظ: «إذا حدَّثتم الناس عن ربهم، فلا تحدثوهم بما يغرب عنهم ويشق عليهم». وعند ابن عدي في الكامل[٢]: بما يفزعهم.

(وهذا فيما يفهمه صاحبه) ولا يقدر أن يعبِّر بلسانه؛ لقصوره في التعبير **(ولا يبلغه عقلُ المستمع، فكيف فيما لا يفهمه قائله؟! فإن كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذِكرُه.**

وقال عيسىٰ عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق) الذي **(يضع الدواء في موضع الداء)** هكذا أخرجه صاحب القوت[٣]، قال: **(وفي لفظ آخَر: مَن وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل، ومَن منعها أهلها فقد ظلم، إن للحكمة حقًّا، وإن لها أهلاً[٤] فأعطِ لكل ذي حق حقَّه)** وفي الحلية[٥] من طريق سفيان بن عيينة: قال عيسىٰ إن للحكمة أهلاً، فإن وضعتَها في غير أهلها ضُيِّعت، وإن منعتَها من أهلها ضُيِّعت، كنْ كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي.

وفي معنىٰ ذلك رُوي[٦] عن سفيان الثوري أنه سُئل عن العالِم مَن هو؟ قال: مَن يضع العلم مواضعه، ويؤتي كل شيء حقَّه.

---

(١) المدخل ٢/ ١٤١.

(٢) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٥٤٢.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٦٧.

(٤) بعده في القوت: وإن لأهلها حقا.

(٥) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٣.

(٦) قوت القلوب ١/ ٢٤٥.

قال صاحب القوت[١]: وقال بعض العارفين: مَن كلَّم الناس بمبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقَدْر حدودهم فقد بخسهم حقَّهم، ولم يقُم بحق الله تعالىٰ فيهم. وحدثني بعض أشياخنا من هذه الطائفة عن أبي عمران وهو المزيِّن الكبير المكي قال: سمعته يقول لأبي بكر الكتاني، وكان سمحًا بهذا العلم، بذولاً له لجميع الفقراء، فجعل أبو عمران يعاتبه وينهاه عن بذله له وكثرة كلامه فيه، إلىٰ أن قال: أنا منذ عشرين سنة أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينسيني هذا العلم. قال: ولِمَ؟ قال: رأيتُ النبي ﷺ في المنام، فسمعته يقول: إن لكل شيء عند الله حرمة، ومن أعظم الأشياء حرمة الحكمة، فمَن وضعها في غير أهلها طالبه الله تعالىٰ بحقِّها، ومَن طالَبَه خصمه.

وأورد أبو نعيم في الحلية[٢] في ترجمة محمد بن كعب القُرَظي بسنده إليه قال: حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن عيسىٰ ابن مريم قام في بني إسرائيل [خطيبًا][٣] فقال: يا بني إسرائيل، لا تتكلموا بالحكمة عند الجُهَّال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

(**وأما الطامَّات**) جمع طامَّة، وهي المصيبة التي تطُمُّ علىٰ غيرها، أي تزيد[٤] (**فيدخلها ما ذكرناه في الشطح**) أولاً (و) يدخلها (**أمر آخَر يخصُّها وهو صرف ألفاظ الشرع**) الظاهرة (**عن ظواهرها المفهومة**) ومعانيها.

وفي نسخة: عن ظواهر المفهوم (**إلىٰ أمور باطنة لا يسبق منها إلىٰ الأفهام فائدةٌ**) وفي نسخة: شيء يوثَق به (**كدأب**) الطائفة (**الباطنية**) وهم جماعة من

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٦٧.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢١٨. وهو جزء من حديث طويل، اقتصر منه الشارح علىٰ المراد منه.

(٣) زيادة من الحلية.

(٤) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص٢٣٥.

الملاحدة نسبوا أنفسهم إلىٰ علم الباطن، وحرَّفوا الألفاظ إلىٰ معانٍ أُخَر غير مفهومة إلا لهم بادِّعائهم في ذلك (**في التأويلات**) البعيدة (**وهو أيضًا حرام**) في الشرع (**وضرره عظيم**) علىٰ الأمة (**فإن الألفاظ إذا صُرفت عن مقتضَىٰ ظواهرها بغير اعتصام فيه**) وتمسُّك (**بنقل**) صحيح (**عن صاحب الشرع**) ﷺ أو عن أصحابه الذين شاهدوه رضي الله عنهم (**و**) كذلك إذا صُرفت (**من غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضىٰ ذلك بطلان الثقة بالألفاظ، وسقطت به منفعة كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ**) وقد تعبَّدَنا اللهُ سبحانه بالعمل بمفهوم ظاهر الألفاظ (**فإن ما يسبق منه إلىٰ الفهم لا يوثَق به**) إن خرج عن جادَّة الشريعة (**والباطن لا ضبط له**) ولا معوِّل عليه فيما يخالف ظاهرَ الشرع (**بل تتعارض فيه الخواطر**) والهواجس (**ويمكن تنزيله علىٰ وجوه شتىٰ**) بحسب اختلاف ما يطرأ عليها (**وهذا أيضًا من البدع**) المنكَرة (**الشائعة**) في البلاد (**العظيم ضررها**) وفسادها علىٰ الأمة (**وإنما قصدُ أصحابها الإغراب**): الإتيان بشيء غريب (**فإن النفوس**) علىٰ جِبِلَّتها (**مائلة إلىٰ**) الأمر (**الغريب**) أي المستغرَب الذي ما عهدتْه (**ومستلذة له**) أي واجدة به اللذة (**وبهذا الطريق**) وفي نسخة: وهذا الطريق (**توصَّل الباطنية**) أولئك الطائفة (**إلىٰ هدم**) أركان (**جميع الشريعة بتأويل ظواهرها**) عن معانيها (**وتنزيلها**) علىٰ معانٍ أُخَر (**علىٰ رأيهم**) الفاسد (**كما حكيناه من مذاهبهم في كتاب المستظهري المصنَّف في الرد علىٰ**) دعاوىٰ (**الباطنية**) أَلَّفه باسم المستظهِر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله العباسي، الثاني والعشرين من الخلفاء، توفي سنة ٥١٢. وله كتاب آخَر في الرد عليهم سماه: مواهم الباطنية، وقد تقدم ذكرُهما في أول هذا الكتاب. ولما أَلَّف السيوطي كتابه «المتوكِّلي» استغرب الناس هذا الاسم، فاستشهد بأن القدماء من العلماء قد وقع لهم مثل ذلك،

منهم الإمام الغزالي أَلَّف باسم الخليفة كتابًا وسماه: المستظهري[١].

(ومثال تأويل أهل الطامّات قول بعضهم في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النازعات:١٧] **أنه إشارة إلىٰ قلبه)** أي نفسه الأمّارة بالسوء **(وقال: هو المراد بفرعون وهو الطاغي علىٰ كل إنسان)** وهذا القول قد نُقل عن القاشاني[٢]

---

(١) قال السيوطي في مقدمة هذا الكتاب: «فقد برز الأمر الشريف الإمامي الأعظمي الهاشمي العباسي المتوكلي أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين ووارث الخلفاء الراشدين الإمام المتوكل علىٰ الله أدام الله عزه وأعز ببقائه الدين، أن أكتب له مؤلفاً في الألفاظ التي وقعت في القرآن الكريم وذكر الصحابة والتابعين أنها بلغة الحبشة أو الفرس أو غيرهم مما سوىٰ لغة العرب، فامتثلت ذلك، وألفت هذا الكتاب المختصر ملخصاً من كتابي المبسوط المسالك، وسميته: المتوكلي، اقتداء بالإمام أبي بكر الشاشي من أصحابنا، حيث أَلَّف كتاباً في الفقه بأمر الخليفة المستظهر بالله وسماه: المستظهري، وبإمام الحرمين، حيث أَلَّف كتاباً في اللغة باسم الوزير غياث الدين نظام الملك وسماه: الغياثي، وأَلَّف له أيضاً مختصرًا لطيفاً سماه: الرسالة النظامية. وبالإمام أبي بكر ابن فورك من أصحابنا، حيث أَلَّف كتاباً في أصول الدين باسم نظام الملك أيضاً وسماه: النظامي. وبالإمام أبي الحسين ابن فارس اللغوي، حيث أَلَّف كتاباً في اللغة باسم الصاحب كافي الكفاة وسماه: الصاحبي. وبالإمام أبي علي الفارسي النحوي، حيث أَلَّف كتاباً في العربية باسم السلطان عضد الدولة وسماه: العضدي. وبالقاضي عضد الدين الإيجي، حيث أَلَّف كتاباً في المعاني والبيان باسم السلطان غياث الدين وسماه: الفرائد الغياثية. فركبت جوادَهم، وسلكت جوادَّهم، والله المستعان، وعليه التكلان».

كذا في هذه المقدمة، ولم يذكر كتاب الغزالي، واسم كتاب الشاشي: حلية العلماء في مذاهب الفقهاء.

والمتوكل المنسوب إليه هذا الكتاب هو المتوكل الثاني وهو عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل الأول، ويكنىٰ بأبي العز، وهو أحد خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر، بويع له بعد وفاة عمه يوسف المستنجد بالله سنة ٨٨٤، وكان محمود السيرة. وبقي في الخلافة حتىٰ توفي سنة ٩٠٣.

الأعلام للزركلي ٤/ ٢٩.

(٢) عبد الرزاق بن أحمد بن أبي الغنائم الكاشي أو الكاشاني أو القاشاني، صوفي مفسر، له العديد من المصنفات، منها: السراج الوهاج في تفسير القرآن، وتأويلات القرآن، وشرح فصوص الحكم لابن عربي. توفي سنة ٧٣٠.

الأعلام ٣/ ٣٥٠.

الذي ملأ تفسيره بأمثال هذه الطامَّات، وقد طالعتُه كلَّه فقضيتُ منه عجبًا (و) قالوا (في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾[القصص:٣١] **أي كل ما يتوكَّأ عليه ويعتمده مما سوىٰ الله تعالىٰ فينبغي أن يلقيه)** عنه، وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه:١٢] أي نفسك؛ كل ذلك مما نقله القاشاني في تأويلاته، والمبتدع[١] ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها علىٰ مذهبه الفاسد، بحيث إنه لو لاحت له إشارةٌ شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعًا له فيه أدنىٰ مجال سارع إليه، والملحد فلا تسأل عن إلحاده في آيات الله تعالىٰ وافترائه علىٰ الله تعالىٰ ما لم يقله، كقول بعضهم في ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف:١٥٥]: ما علىٰ العباد أضرُّ من ربهم. تعالىٰ الله علوًّا كبيرًا.

ومن[٢] ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦] أنه الحب والعشق. ومن ذلك قولهم في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق:٣] أنه الذَّكَر إذا قام. وقولهم في ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ [البقرة:٢٥٥] معناه: مَن ذَلَّ، أي من الذل، «ذي» إشارة إلىٰ النفس، «يشفِ» من الشفاء جواب «مَن»، و«عِ» أمرٌ من وَعَىٰ. وسُئل البُلْقيني عمَّن فسَّر بهذا فأفتىٰ بأنه ملحد.

ثم إن التفسير[٣]: هو كشف المراد عن اللفظ المُشكِل، والتأويل: ردُّ أحد المحتملين إلىٰ ما يطابق الظاهر. وقيل[٤]: التفسير: شرح ما جاء مجملاً من القصص في الكتاب الكريم، وتعريف ما تدل عليه ألفاظه الغريبة، وتبيين الأمور التي أُنزلت بسببها الآيُ، والتأويل هو تبيين معنىٰ المتشابه، والمتشابه: ما لم يُقطع

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٧٨٩.

(٢) كشف الظنون ١/ ٤٣٢.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٥٥.

(٤) تاج العروس ١٣/ ٣٢٤.

بفحواه من تردَّد فيه وهو النص.

وأما تفسير الغاسق بالذَّكَر ووقوبه بقيامه فقد نقله صاحب القاموس[١] عن ابن عباس وجماعة من المفسِّرين، وهو غريب، وذكره في «وقب»، نقله عن الغزالي والنقَّاش وجماعة كلهم عن ابن عباس.

وقال ابن الصلاح في فتاويه[٢]: وجدتُ عن الإمام الواحدي أنه قال: صنَّف السلميُّ «حقائق التفسير»، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر.

وقال النسفي في عقائده[٣]: النصوص تُحمَل علىٰ ظواهرها، والعدول عنها إلىٰ معانٍ يدَّعيها أهل الباطن إلحادٌ.

وقال السعد في شرحه: سُمِّيت الملاحدة باطنية لادِّعائهم أن النصوص ليست علىٰ ظواهرها بل لها معانٍ باطنة. قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحقِّقين من أن النصوص علىٰ ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفيَّة إلىٰ دقائق تنكشف علىٰ أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال العرفان ومحض الإيمان.

وقال ابن عطاء الله في «لطائف المنن»[٤]: اعلمْ أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله سبحانه وتعالىٰ ولكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جُلبت الآية له ودلَّت عليه في عُرْف اللسان، وثَمَّ أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله علىٰ قلبه، وقد جاء في الحديث: «لكل آية ظاهر وباطن [وحد ومطلع]»، فلا يصدنَّك عن تلقِّي هذه المعاني منهم أن

---

(١) انظر: تاج العروس ٤/ ٣٥٦.

(٢) تقدم نقل كلام ابن الصلاح في الباب الثاني.

(٣) نقله حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٤٣٢.

(٤) لطائف المنن ص ٢٣٥. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

يقول لك ذو جدل [أو معارضة]: هذا إحالة لكلام الله تعالىٰ وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنىٰ للآية إلا هذا، وهم لا يقولون ذلك، بل يقرُّون[١] الظواهر علىٰ ظاهرها مرادًا بها موضوعاتها[٢].

(و) قالوا (في قوله ﷺ: **تسحَّروا فإن في السحور بركة**) قال العراقي[٣]: متفق عليه[٤] من حديث أنس.

قلت: هو من رواية عبد العزيز بن صُهَيب عن أنس، وأخرجه هكذا الإمام أحمد في مسنده[٥] ومسلم أيضًا والترمذي[٦] والنسائي[٧] وابن ماجه[٨] كلهم من رواية قتادة عن أنس، وانفرد النسائي بإخراجه عن أبي هريرة وعن ابن مسعود[٩]، والإمام أحمد عن أبي سعيد[١٠]، أما حديث أبي هريرة فرواه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان وابن أبي ليلىٰ فرَّقَهما كلاهما عن عطاء عنه، ومن رواية يحيىٰ بن سعيد عن أبي سلمة، وقال: إسناده حسن[١١]. وأما حديث ابن مسعود فرواه عن زر عنه، ورواه أيضًا موقوفًا علىٰ ابن مسعود، وحكىٰ المِزِّي عنه في الأطراف[١٢]

---

(١) في المطبوعة: يفسرون. والمثبت من اللطائف.

(٢) بعده في اللطائف: ويفهمون عن الله ما أفهمهم، وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه.

(٣) المغني ١/ ٢٨.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٣٦. صحيح مسلم ١/ ٤٨٨.

(٥) مسند أحمد ١٩/ ١٥، ٢٠/ ٤٥٢، ٢١/ ٨٨، ١٧٩، ٢٦٥، ٤٠٨.

(٦) سنن الترمذي ٢/ ٨٠.

(٧) سنن النسائي ص ٣٤١.

(٨) سنن ابن ماجه ٣/ ١٨٤.

(٩) سنن النسائي ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(١٠) مسند أحمد ١٧/ ٣٨١.

(١١) زاد النسائي: وهو منكر.

(١٢) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ٧/ ٢٦ ونصه: «أخرجه النسائي في الصوم عن ابن بشار عن عبد الرحمن عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر به، وعن عبيد الله بن سعيد عن عبد الرحمن=

أن الموقوف أَولىٰ بالصواب. وأما حديث أبي سعيد فرواه أحمد والطبراني في الأوسط[١] من رواية ابن أبي ليلىٰ عن عطية عنه، ورواه أحمد[٢] أيضًا من رواية يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي رفاعة عنه بلفظ: «السحور أكلُه بركة، فلا تَدَعُوه ولو أن يَجْرَع أحدُكم جرعة من ماء».

وفي الباب عن جابر وابن عباس وعِرْباض؛ أما حديث جابر فرواه ابن عدي في الكامل[٣] من رواية محمد بن عبيد الله العرزمي عن ابن المنكدر عنه، والعرزمي ضعيف، وأخرجه أئمة السنن الأربعة والبخاري في الأدب من حديث أنس: «تسحَّروا ولو بجرعة من ماء»[٤]. وأخرجه ابن عساكر[٥] عن عبد الله بن سُراقة: «تسحَّروا ولو بالماء». وأخرج ابن عدي في الكامل[٦] عن عليٍّ: «تسحَّروا ولو بشربة من ماء، وأفطِروا ولو علىٰ شربة من ماء». وأخرج الطبراني في الكبير[٧] من حديث أبي الوليد عبة بن عبدٍ السلمي وأبي الدرداء: «تسحَّروا من آخر الليل [وكان يقول]: هو الغذاء المبارك».

(أراد به الاستغفارَ بالأسحار) وهو مردود بما ذكرناه في الأحاديث «ولو بجرعة من ماء» ولا ينطبق المعنىٰ **(وأمثال ذلك)** كقولهم في حديث الإيمان والإحسان: «فإن لم تكن تراه» أي إن أفنيت نفسك تشرَّفتَ بالرؤية، مع مخالفته

= به موقوفا، وقال: عبيد الله أثبت عندنا من ابن بشار، وحديثه أولىٰ بالصواب».

(١) المعجم الأوسط ٨/ ٩٢.

(٢) مسند أحمد ١٧/ ١٥٠. وزاد في آخره: فإن الله عزوجل وملائكته يصلون علىٰ المتسحرين.

(٣) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١١٢ بلفظ: تسحروا فإن في السحور بركة، وخير سحوركم التمر.

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده ٦/ ٨٧.

(٥) تاريخ دمشق ٢٩/ ١٨.

(٦) الكامل في الضعفاء ٢/ ٧٦٨.

(٧) المعجم الكبير ١٧/ ١٣١. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

للقواعد العربية (**حتىٰ حرَّفوا القرآن من أوله إلىٰ آخره عن ظاهره**) كما هو مشاهَد في تأويلات القاشاني وغيره (**وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء**) أما تفسير ابن عباس فهو مختصر في مجلَّد ممزوج[١]، ومن[٢] أصحابه مجاهد بن جبر المكي الذي قال: عرضتُ القرآن علىٰ ابن عباس ثلاثين مرة. واعتمد علىٰ تفسيره الشافعي والبخاري. ومن أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير: عكرمة مولاه، وطاووس بن كَيْسان، وعطاء بن أبي رباح. ومن هذه الطبقة أصحاب ابن مسعود علماء الكوفة وغيرهم (**وبعض هذه التأويلات يُعلَم بطلانها قطعًا، كتنزيل «فرعون» علىٰ القلب**) أو النفْس (**فإن فرعون شخص محسوس**) وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي نمير بن الهلواس بن ليث ابن هاران، من بني لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام (**تواتر إلينا النقلُ بوجوده ودعوة**) نبي الله (**موسىٰ**) ابن عمران عليه السلام (**له، كأبي لهب**) عبد العُزَّىٰ بن عبد المطلب، كُنِّي به لجماله أو لماله (**وأبي جهل**) عمرو بن هشام، كُنِّي به لطغيانه وعتوِّه وجهله (**وغيرهما من الكفار، وليس**) فرعون (**من جنس الشياطين والملائكة مما لم يُدرَك بالحس حتىٰ يتطرَّق التأويل إلىٰ ألفاظها**) وفي نسخة: ألفاظه، ولذلك شُنِّع علىٰ الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي قُدِّس سره ما يُنسب إليه في كتابه «الفصوص» في الفص الموسوي القول بإسلام فرعون علىٰ الإطلاق[٣]، وبالغوا في النكير عليه، حتىٰ زلَّت أقدام جماعة

---

(١) ويسمىٰ: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس. جمعه العلامة مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس، اعتمد فيه علىٰ طريق واحد وهو طريق السدي الصغير عن الكلبي، وهما متهمان بالوضع والكذب. وهو مطبوع متداول.

(٢) مفتاح السعادة ٢/ ٦٥. كشف الظنون ١/ ٤٣٠.

(٣) فصوص الحكم لابن عربي ص ٢٠٠ وما بعدها (ط-دار الكتاب العربي ببيروت) حيث قال ما نصه عند ذكر قصة موسىٰ عليه السلام: «فإن التابوت وقف عند الشجرة في اليم، فأراد فرعون قتله، فقالت امرأته -وكانت منطقة بالنطق الإلهي- ما قالت لفرعون؛ إذ كان الله تعالىٰ خلقها للكمال، كما قال ﷺ عنها حيث شهد لها ولمريم بنت عمران بالكمال الذي هو للذكران، فقالت لفرعون في حق=

من فحول العلماء فألَّفوا رسائل في إثبات الإيمان له كالجلال الدواني[(١)] وغيره نظرًا إلىٰ ظاهر قوله، مع أن الشيخ رحمه الله لم يقصد بذلك معارضة القرآن ولا ما أجمع عليه أهل الإيمان، مع الإجماع علىٰ صحة عقيدته التي ساقها في أول كتابه الفتوحات، وإنما مراده إسلام فرعون النفس، بدليل ما ذكر في الباب الثاني والستين من فتوحاته عند قوله[(٢)]: وقِسم آخَر أبقاهم الله في النار، وهذا القسم هم أهل النار لا يخرجون منها. فذكر منهم فرعون وأمثاله ممَّن ادَّعىٰ الربوبية لنفسه ونفاها عن الله تعالىٰ وحُكي عنه في القرآن، وقد أشار إلىٰ كفره في كتابه «عنقاء مغرب» وفي «شرح ترجمان الأشواق» وفي «تاج التراجم»، وقال في كتاب «الأسفار» له مشيرًا لذلك: فإن إله الخَلْق ربي قد قضىٰ بموت عدو الدين في غمة البحر.

فكل ذلك يدل أنه إنما أراد بفرعون: النفس، وأبقىٰ الآيات علىٰ ظاهرها، ولم يُحِلْها إلىٰ ما يخالفها، وقد نبَّه علىٰ ذلك الشيخ كريم الدين الخلوتي -نفع الله

= موسىٰ: إنه قرة عين لي ولك، فبه قرت عينها بالكمال الذي حصل لها، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه عند الغرق، فقبضه طاهرًا مطهرًا ليس فيه شيء من الخبث؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئًا من الآثام، والإسلام يجب ما قبله، وجعله آية علىٰ عنايته سبحانه بمن شاء حتىٰ لا ييأس أحد من رحمة الله ... فلو كان فرعون ممن يئس ما بادر إلىٰ الإيمان».

وقال في موضع آخر: «ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وأنه الخليفة بالسيف وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال: أنا ربكم الأعلىٰ، أي وإن كان الكل أربابًا بنسبة ما فأنا الأعلىٰ منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه وأقروا له بذلك فقالوا: فاقض ما أنت قاض، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، فالدولة لك، فصح قوله: أنا ربكم الأعلىٰ».

وقال في موضع آخر: «والأمر فيه -أي فرعون- إلىٰ الله لما استقر في نفوس عامة الخلق من شقائه، وما لهم نص في ذلك يستندون إليه».

(١) في كشف الظنون ١/ ٨٥٠: «رسالة في إيمان فرعون، لجلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني، أولها: الحمد لله قابل توبة عبده إذا تاب. وشرحها المولىٰ علي القاري في كراستين».

(٢) الفتوحات المكية ١/ ٣٣٦.

به- في رسالة سماها: البرهان القدسي[١].

(**وكذلك حملُ**) لفظ (**السحور على الاستغفار؛ فإنه كان ﷺ يتناول الطعام**) مع أصحابه في ذلك الوقت، كما روى البخاري[٢] من حديث أنس أن النبي ﷺ وزيد بن ثابت تسحَّرا. زاد ابن أبي عاصم في كتاب الصوم: فأكلا تمرًا وشربا ماءً[٣] (و) كان (**يقول: تسحَّروا**) فإن في السحور بركة، وتقدم مثلُه من حديث أنس وابن مسعود وأبي هريرة وجابر، وورد فيه أيضًا عن عليٍّ وابن عمر وأبي سعيد وأبي أمامة وعتبة بن عبد وأبي الدرداء وميسرة الفجر[٤] (و) كان يقول: (**هلمُّوا إلى الغداء المبارك**) يعني السحور. قال العراقي[٥]: أخرجه أبو داود[٦] والنسائي[٧] وابن حبان[٨] من حديث العِرْباض بن سارية، وضعَّفه ابن القَطَّان[٩]. ا.هـ.

أي لضعف راويه الحارث بن زياد عن أبي رهم عن العرباض. وقال ابن

---

(١) وسيأتي تراجع الشارح عن حمل فرعون على فرعون النفس في هذا الكتاب، حيث قال ما نصه: (وممن قال بإيمانه الشيخ محيي الدين بن العربي في مواضع من فتوحاته ونصوصه... ومثل هذا لا يحتمل الدس).

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٩٧.

(٣) وروى هذه الزيادة أيضـًا الحارث بن أبي أسامة في مسنده، كما في بغية الباحث ١/ ٤١٥، ولفظه: حدثنا روح بن عبادة، ثنا حماد، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «انظر هل ترى في المسجد أحدًا». فإذا أنا بزيد بن ثابت، فدعوته فأكلا تمرًا وشربا من الماء، ثم خرجا إلى الصلاة.

(٤) يوجد بياض في المطبوعة بعد قوله: وميسرة الفجر، ولم ينبه المصحح على شيء.

(٥) المغني ١/ ٢٩.

(٦) سنن أبي داود ٣/ ١٤٢.

(٧) سنن النسائي ص ٣٤٣.

(٨) صحيح ابن حبان ٨/ ٢٤٤.

(٩) بيان الوهم والإيهام لابن القطان ٤/ ٢٦٤.

عبد البر[١]: هو مجهول، ولكن ذكره ابن حبان في الثقات[٢]. وقوله «يعني السحور» كأنه مُدرَج من الراوي، أخرجه كذلك الإمام أحمد[٣] وابن حبان من حديث العرباض.

وفي الباب عن: المقدام بن معدي كرب، وعتبة بن عبد، وأبي الدرداء، وعائشة، وعمر بن الخطاب.

ومعنى المبارك: أي الكثير الخير؛ لما يحصل بسببه من قوة و[زيادة] قدرة على الصوم[٤].

(فهذه أمور يُدرَك بالتواتر والحس بطلانُها نقلاً، وبعضها يُعلَم بغالب الظن، وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس، وكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخَلْق، و) قد زلَّت أقدام كثيرين في ذلك، فينبغي عدم الالتفات إلى ما قالوا؛ لأنه **(لم يُنقَل شيء من ذلك)** عن صاحب الشرع، ولا **(عن الصحابة، ولا عن التابعين)** مع سعة روايتهم وكثرة تلقِّيهم **(ولا عن)** سيد التابعين **(الحسن)** بن يسار **(البصري، مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم)** قال صاحب القوت[٥]: ما زال يَعِي الحكمةَ أربعين سنة حتى نطق بها، وقد لقي سبعين بدريًّا، ورأى ثلاثمائة صحابي، وكان كلامه يشبَّه بكلام رسول الله ﷺ، وكان أول مَن أنهج سبيل هذا العلم، وفتق الألسنة به، ونطق بمعانيه، وأظهر أنواره، وكشف قناعه، وكان يتكلم

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٢٤٧ حيث ذكر حديث «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب» ثم قال: رواه عن معاوية بن صالح أسد بن موسى وعبد الله بن صالح وعبد الرحمن بن مهدي وبشر بن السري وغيرهم، إلا أن الحارث بن زياد مجهول لا يعرف بغير هذا الحديث.

(٢) الثقات لابن حبان ٤/ ١٣٣.

(٣) مسند أحمد ٢٨/ ٣٧١، ٣٨٣.

(٤) فيض القدير ٣/ ٢٤٣. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٥) قوت القلوب ١/ ٢٥٧.

فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه (**فلا يظهر لقوله ﷺ: مَن فسَّر القرآن برأيه فليتبوَّأ مقعده من النار**) قال العراقي[١]: أخرجه الترمذي[٢] من حديث ابن عباس وحسَّنه، وهو عند أبي داود في رواية ابن العبد، وعند النسائي في الكبير[٣].

قلت: أخرجه الترمذي وصحَّحه، وابن الأنباري في المصاحف، والطبراني في الكبير[٤]، والبيهقي في الشعب[٥]، كلهم من رواية عبد الأعلىٰ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «مَن قال في القرآن بغير علم» بدل قوله «برأيه». وأخرجه أبو داود[٦] والترمذي[٧] - وقال: غريب - والنسائي في الكبير[٨] وابن جرير[٩] والبغوي[١٠] وابن الأنباري وابن عدي[١١] والطبراني[١٢] والبيهقي[١٣]، كلهم من رواية سُهَيل بن أبي حزم القُطَعي عن أبي عمران الجَوْني عن جندب بن عبد الله: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». وفي رواية للترمذي وغيره: «من قال في كتاب الله». وفي رواية: «من تكلم في القرآن».

وفي الباب عن ابن عمر وجابر وأبي هريرة؛ فحديث ابن عمر لفظه: «مَن فسَّر

---

(١) المغني ١/ ٢٩.
(٢) سنن الترمذي ٥/ ٦٥.
(٣) السنن الكبرىٰ للنسائي ٧/ ٢٨٥.
(٤) المعجم الكبير ١٢/ ٣٥.
(٥) شعب الإيمان ٣/ ٥٣٩.
(٦) سنن أبي داود ٤/ ٢٤٢.
(٧) سنن الترمذي ٥/ ٦٦.
(٨) السنن الكبرىٰ للنسائي ٧/ ٢٨٦.
(٩) تفسير الطبري ١/ ٧٣.
(١٠) معجم الصحابة للبغوي ١/ ٥٤٠.
(١١) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٢٨٨.
(١٢) المعجم الكبير ٢/ ١٦٣.
(١٣) شعب الإيمان ٣/ ٥٤٠.

القرآن برأيه فأصاب كُتبت عليه خطيئة لو قُسِّمت بين العِباد لوسعتهم»[١]. ولفظ حديث جابر: «من قال في القرآن برأيه فقد اتَّهمني»[٢]. ولفظ حديث أبي هريرة: «مَن فسَّر القرآن برأيه وهو علىٰ وضوء فليُعِد وضوءه»[٣]. أخرج هؤلاء الثلاثة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس، وطرقهنَّ ضعاف، بل الأخير منكر جدًّا.

(معنىٰ إلا هذا النمط، وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه، فيستجرَّ شهادةَ القرآن إليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالةٌ لفظية لغوية أو نقلية، ولا ينبغي أن يُفهَم منه أنه يجب أن لا يفسَّر القرآن بالاستنباط والفكر) في الآيات **(بل من الآيات)** وفي نسخة: فإن من الآيات **(ما نُقل فيها عن الصحابة)** والتابعين **(و)** مَن بعدهم من **(المفسرين خمسة معانٍ وستة وسبعة)** وأكثر **(ونعلم أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ، فإنها قد تكون متنافية)** مع بعضها **(لا تقبل الجمعَ، فيكون ذلك مستنبطًا بحسن الفهم وطول الفكر)** قال صاحب القوت[٤]: التأويل إذا لم يخرج عن الإجماع داخل في العلم، والاستنباط إذا كان مستودعًا في الكتاب يشهد له المجمل ولا ينافيه النص فهو علم.

وقال ابن الأثير[٥]: النهي يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأيٌ وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأوَّل القرآن

---

(١) أورده ابن عراق في كتابه تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة ١/ ٢٧٤ (ط-دار الكتب العلمية) وعزاه للديلمي.

(٢) رواه أبو نعيم الأصفهاني في أخبار أصبهان ٢/ ٢٢٢ بلفظ: من قال في الدين ... الخ. ورواه الهروي في ذم الكلام ٢/ ١٩٥ بلفظ: من تكلم في الدين برأيه فقد اتهمه.

(٣) كنز العمال ١/ ٦٢١.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٨٤.

(٥) جامع الأصول لابن الأثير ٢/ ٤ - ٦. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

وانظر: فيض القدير ٦/ ١٩٠. والشارح هنا ينقل عن الفيض.

علىٰ وفقه محتجًّا به لغرضه، ولو لم يكن له هوًىٰ لم يَلُح له منه ذلك المعنىٰ، وهذا يكون تارةً مع العلم، كمَن يحتجُّ بآية منه علىٰ تصحيح بدعته، عالمًا بأنه غير المراد بالآية [ولكن يلبِّس علىٰ خصمه] وتارةً يكون مع الجهل بأن تكون الآية محتملة، فيميل فهمه إلىٰ ما يوافق غرضه ويرجِّحه برأيه وهواه، فيكون فسَّر برأيه؛ إذ لولاه لم يترجَّح عنده ذلك الاحتمال، وتارةً يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن، فيستدل بما يعلم أنه لم يَرِد به، كمن يدعو إلىٰ مجاهدة القلب [القاسي] بقوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه:٢٤، النازعات:١٧] ويشير إلىٰ قلبه ويومئ إلىٰ أنه المراد بفرعون، وهذا يستعمله بعض الوعَّاظ في المقاصد الصحيحة تحسينًا للكلام، وترغيبًا للسامع، وهو ممنوع.

الثاني: أن يسارع إلىٰ تفسيره بظاهر العربية بغير استظهار بالسماع والنقل [فيما] يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة والاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمَن لم يُحكِم ظاهر التفسير وبادر إلىٰ استنباط المعاني بمجرَّد فهم العربية كثر غلطُه، ودخل في زمرة من فسَّر القرآن بغير علم، فالنقل والسماع لا بد منهما أولاً[1]، ثم هذه تستتبع التفهُّم والاستنباط، ولا مَطْمَع في الوصول إلىٰ الباطن قبل إحكام الظاهر.

وقال الزمخشري[2]: من حق مفسِّر القرآن أن يتعاهد بقاء النظم علىٰ حسنه، والبلاغة علىٰ كمالها، وما وقع به التحدي سليمًا من القادح.

---

(١) بعده في جامع الأصول: ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ولا مطمع ... الخ.

(٢) الكشاف للزمخشري ١/ ١٨٦. ونصه: «من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم علىٰ حسنه، والبلاغة علىٰ كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة علىٰ مراحل».

وأما[١] الذين تأيَّدت فطرتهم النقية بالمشاهدات الكشفية فهم القدوة في هذه المسالك، ولا يُمنعون أصلاً من التوغُّل في ذلك.

(**ولهذا قال ﷺ لابن عباس ﷺ**) فيما رواه البخاري[٢] ومسلم[٣] في صحيحهما من رواية عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعتُ له وضوءًا، فقال: «مَن وضع هذا»؟ فأُخبر، فقال: (**اللهم فقِّهْه في الدين**) ولم يقل مسلم «في الدين»، وزاد الإمام أحمد في مسنده[٤] والحاكم[٥] من رواية عبد الله بن عثمان بن خُثَيم عن سعيد بن جبير: (**وعلِّمْه التأويل**) وقال الحاكم: صحيح الإسناد. قال العراقي: ووهم أبو مسعود الدمشقي في الأطراف حيث عزا للصحيحين هذه الزيادة.

قلت: وفي أول حديث هؤلاء زيادة وهي قول ابن عباس: إن النبي ﷺ وضع يده علىٰ كتفي -أو علىٰ منكبي، شك شعبة- ثم قال: اللهم ... الحديث. وعند البخاري[٦] من رواية عكرمة عنه: ضمَّني النبي ﷺ إلىٰ صدره وقال: «اللهم علِّمْه الحكمة». وفي رواية له[٧]: «اللهم علِّمْه الكتاب». ورواه ابن ماجه[٨] فقال: «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب». والتأويل هو التفسير، علىٰ ما نقله ثعلب عن ابن الأعرابي[٩]، وقال آخَرون بالفرق بينهما، وقد ذُكر قريبًا.

---

(١) مفتاح السعادة ٢/ ٨١. كشف الظنون ١/ ٤٣٣.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٦٨.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١١٥٨.

(٤) مسند أحمد ٤/ ٢٢٥، ٥/ ٦٥، ١٥٩.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٦٥٨.

(٦) صحيح البخاري ٣/ ٣٣.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٤٤.

(٨) سنن ابن ماجه ١/ ١٧١.

(٩) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ٤٠٧.

(ومَن يستجيز) أي يتجوَّز **(من أهل الطامَّات مثل هذه التأويلات)** البعيدة عن فحوىٰ المراد **(مع علمه بأنها غير مرادة بألفاظ القرآن)** وإنما حمله عليه ميلُه إلىٰ هواه **(ويزعم)** بعد ذلك **(أنه يقصد به دعوة الخلق إلىٰ الحق)** فمثله مثل مَن **(يضاهي)** أي يشابِه **(من يستجيز الاختراع)** أي الاختلاق **(والوضع)** في الأخبار **(علىٰ النبي ﷺ بما هو في نفسه حقٌّ ولكن لم ينطق به الشرع)** ولا يُنقَل عنه ذلك **(كمن يضع في كل مسألة يراها حقًّا حديثًا عن النبي ﷺ)** كما فعله الجويباري وغيره من الوضَّاعين **(وذلك ظلم)** أي تَعَدٍّ عن الحدود **(وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله ﷺ: مَن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار)** قال العراقي[١]: متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلي وأنس.

قلت: هذا الحديث قد رُوي أيضًا عن: الزبير، والمغيرة، وسلمة بن الأكوع، وعبد الله بن عمرو، وابن مسعود، وجابر، وأبي قتادة، وأبي سعيد، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وسعيد بن زيد، ومعاوية بن أبي سفيان، وخالد ابن عُرْفُطة، وأبي موسىٰ الغافقي، وعقبة بن عامر، وزيد بن أرقم، وقيس بن سعد، وعمران بن حصين، والبراء بن عازب، وأبي موسىٰ الأشعري، ومعاذ بن جبل، وعمرو بن مرة، ونُبَيط بن شَرِيط، وعمار بن ياسر، وعمرو بن عَبَسة، وعمرو بن حريث، وابن عباس، وعتبة بن غزوان، والعرس بن عميرة، ويعلىٰ ابن مرة، وطارق بن أشيم ، وسليمان بن خالد الخزاعي ، وصهيب بن سنان، والسائب بن يزيد، وأبي أمامة، وأبي قرصافة، ورافع بن خديج، وأوس بن أوس الثقفي، وحذيفة بن اليمان، وأبي ميمون جابان، وبريدة بن الحصيب، وسعد بن الدحاس، وعمرو بن عوف، والمنقع التميمي، وعبد الله بن عمرو أبي كبشة الأنماري، وأبي رافع، وواثلة بن الأسقع، وأبي الحمراء، وأسامة بن زيد، ومعاوية بن حَيْدة، وعبد الله بن

---

(١) المغني ١/ ٢٩.

الزبير ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، وحذيفة بن أسيد، وعبد الله بن أبي أوفىٰ، وأبي رمثة، ويزيد بن أسد، وعفان بن حبيب، وعائشة، وأم أيمن، والعباس بن عبد المطلب، وسفينة، وزيد بن ثابت، وكعب بن قطبة، وجابر بن عابس، وعبد الله بن زغب، ووالد أبي العشراء. فهؤلاء جميع مَن عُزي إليهم هذا الحديث بألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربة المعنىٰ، ونحن نسوق لك تفصيل ذلك حسبما استفدتُه من مقدمة ابن الجوزي وكتاب العراقي.

فأما حديث أبي هريرة فأخرجه الشيخان[1] والنسائي[2] من رواية أبي عَوانة عن أبي حصين عن أبي صالح عنه، ورواه ابن ماجه[3] من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنه، بلفظ: «مَن تقوَّل عليَّ ما لم أقُل».

وأما حديث عليٍّ فرواه الشيخان[4] والترمذي[5] والنسائي[6] وابن ماجه[7] من رواية رِبْعي بن حِراش عنه بلفظ: «فإنه من يكذب عليَّ يَلِج النار». وقال البخاري: مَن كذب. ورواه أبو بكر ابن الشخِّير بلفظ الكتاب من رواية ابن أبي ليلىٰ عن علي.

وحديث أنس أخرجه الشيخان[8] والنسائي[9] من رواية عبد العزيز بن

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٥٥، ٤/ ١٢٧. صحيح مسلم ١/ ٥.

(٢) السنن الكبرىٰ للنسائي ٥/ ٣٩٤.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٦٥.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٥٥. صحيح مسلم ١/ ٥.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٣٩٥.

(٦) السنن الكبرىٰ للنسائي ٥/ ٣٩٣.

(٧) سنن ابن ماجه ١/ ٦٤.

(٨) صحيح البخاري ١/ ٥٥. صحيح مسلم ١/ ٥.

(٩) السنن الكبرىٰ للنسائي ٥/ ٣٩٤.

صُهَيب عنه بلفظ: «مَن تعمَّد عليَّ كذبًا». ورواه الترمذي[١] وابن ماجه[٢] من رواية الزهري عنه، وزاد فيه: حسبتُه قال: متعمدًا. وقال الترمذي: بيته، بدل: مقعده، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. ورواه النسائي[٣] من رواية سليمان التيمي عنه بلفظ الكتاب، ورجاله رجال الصحيح.

وحديث الزبير رواه البخاري[٤] وأبو داود[٥] والنسائي[٦] وابن ماجه[٧] من رواية ابنه عبد الله عنه.

وحديث المغيرة رواه الشيخان[٨] من رواية علي بن ربيعة عنه.

وحديث سَلَمة بن الأكوع رواه البخاري[٩] عن مكِّي بن إبراهيم عن يزيد بن أبي عبيد عنه بلفظ: «مَن يقُل عليَّ ما لم أقل». وهو أحد ثلاثياته.

وحديث عبد الله بن عمرو رواه البخاري[١٠] والترمذي[١١] من رواية أبي كبشة السلولي عنه في أثناء حديث: «بلِّغوا عني». وقد روىٰ الطبراني في الأوسط في أوله قصة هي سبب له من رواية عطاء بن السائب عن أبيه عن ابن عمرو[١٢].

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٩٦.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٦٤.

(٣) السنن الكبرىٰ للنسائي ٥/ ٣٩٤.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٥٥.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٢٤١.

(٦) السنن الكبرىٰ للنسائي ٥/ ٣٩٣.

(٧) سنن ابن ماجه ١/ ٦٧.

(٨) صحيح البخاري ١/ ٣٩٨. صحيح مسلم ١/ ٥.

(٩) صحيح البخاري ١/ ٥٥.

(١٠) صحيح البخاري ٢/ ٤٩٣.

(١١) سنن الترمذي ٤/ ٤٠٣.

(١٢) المعجم الأوسط ٢/ ٣١٨ ولفظه: عن عبد الله بن عمرو أن رجلا لبس حلة مثل حلة =

وحديث عبد الله بن مسعود رواه الترمذي[١] من رواية عاصم عن زر عنه، ورواه أبو بكر ابن الشخِّير في «العلم» من رواية عاصم عن شقيق عنه[٢]، ورواه ابن ماجه[٣] من رواية سِماك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، ورواه البزار[٤] من رواية عمرو بن شرحبيل عنه، وزاد فيه: ليضل به الناس.

وحديث جابر رواه ابن ماجه[٥] من رواية أبي الزبير عنه.

وحديث أبي قتادة رواه ابن ماجه[٦] من رواية ابن إسحاق عن معبد بن كعب عنه بلفظ: «مَن تقوَّل عليَّ ما لم أقُل». ورواه الحاكم[٧] وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم. ورواه أيضًا من وجه آخَر بلفظ الأصل.

وحديث أبي سعيد رواه النسائي من رواية عطاء بن يسار عنه، ورواه ابن ماجه[٨] من رواية عطية العوفي عنه.

= النبي ﷺ ثم أتىٰ أهل بيت من المدينة، فقال: أمرني النبي ﷺ أي أهل بيت شئت استطعت. فقالوا: عهدنا برسول الله ﷺ وهو لا يأمر بالفواحش. فأعدوا له بيتا، وأرسلوا رسولاً إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره، فقال لأبي بكر وعمر: انطلقا إليه، فإن وجدتماه حيًا فاقتلاه ثم حرقاه بالنار، وإن وجدتماه قد كفيتماه فحرقاه، ولا أراكما إلا وقد كفيتماه. فأتياه فوجداه قد خرج من الليل يبول، فلدغته حية أفعىٰ فمات، فحرقاه بالنار، ثم رجعا إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبراه الخبر، فقال النبي ﷺ: من كذب ... الخ.

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٩٥.

(٢) ورواه من هذا الطريق أيضًا الشاشي في مسنده ٢/ ٨٠. والبزار في مسنده ٥/ ١٣٣. والخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٥٢.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٦٣.

(٤) مسند البزار ٥/ ٢٦٢.

(٥) سنن ابن ماجه ١/ ٦٥.

(٦) سنن ابن ماجه ١/ ٦٧.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٨٣.

(٨) سنن ابن ماجه ١/ ٦٧.

وحديث أبي بكر رواه أبو يعلىٰ [1] والطبراني في الأوسط [2] من رواية جارية ابن هَرِم عن عبد الله بن بُسْر الحُبْراني عن أبي كبشة الأنماري عنه، ورواه ابن الشخِّير في كتاب العلم من رواية القاسم بن عبد الله عن ابن المنكدر عن جابر عن عائشة عنه[3]، وفيه رواية صحابي عن صحابي عن صحابي.

وحديث عمر بن الخطاب رواه أبو يعلىٰ[4] من رواية دُجَين بن ثابت اليربوعي وأبو بكر ابن الشخِّير في كتاب العلم من رواية عبد الرحمن بن ثابت كلاهما عن أسلم عنه.

وحديث عثمان بن عفان رواه أحمد[5] والبزار[6] وأبو يعلىٰ من رواية محمود ابن لبيد عنه، وعند الآخَرين من رواية عامر بن سعد عنه بلفظ: «من قال عليَّ ما لم أقُل».

وحديث طلحة بن عبيد الله رواه أبو يعلىٰ[7] والطبراني[8] من رواية سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسىٰ بن موسىٰ بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جدِّه عن موسىٰ بن طلحة عن طلحة، ورواه الخطيب في التاريخ[9] من رواية محمد ابن عمر بن معاوية بن يحيىٰ بن معاوية بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده عن أبيه عن جده.

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٧٥.

(٢) المعجم الأوسط ٣/ ١٧٣.

(٣) ورواه الخطيب البغدادي في كتاب موضح أوهام الجمع والتفريق ٢/ ٢٤ (ط - دار الفكر الإسلامي) من هذا الطريق، وليس فيه ذكر عائشة.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٢٢١.

(٥) مسند أحمد ١/ ٥١٢.

(٦) مسند البزار ٢/ ٣٨.

(٧) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٧.

(٨) المعجم الكبير ١/ ١١٤.

(٩) تاريخ بغداد ٤/ ٤٠.

وحديث سعيد بن زيد رواه البزار[١] وأبو يعلىٰ[٢] من رواية رباح بن الحارث عنه.

وحديث معاوية بن أبي سفيان رواه أحمد[٣] والطبراني[٤] من رواية أبي الفيض عنه.

وحديث خالد بن عُرْفُطة رواه أحمد[٥] وأبو يعلىٰ[٦] والطبراني[٧] من رواية مسلم مولاه عنه.

وحديث أبي موسىٰ الغافقي رواه أحمد[٨] والبزار والطبراني[٩] من رواية يحيىٰ بن ميمون الحضرمي عنه بلفظ: «من قال عليَّ ما لم أقل».

وحديث عقبة بن عامر رواه أحمد[١٠] وأبو يعلىٰ[١١] والطبراني[١٢] من رواية هشام بن أبي رقية عنه، ورواه أحمد[١٣] والطبراني[١٤] أيضًا من رواية أبي عُشَّانة عنه.

---

(١) مسند البزار ٤/ ١٠٠.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٢٥٧.

(٣) مسند أحمد ٢٨/ ١١٨.

(٤) المعجم الكبير ١٩/ ٣٩٣.

(٥) مسند أحمد ٣٧/ ١٧٨.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ١٢/ ٢٨٣.

(٧) المعجم الكبير ٤/ ١٨٩.

(٨) مسند أحمد ٣١/ ٢٧٦.

(٩) المعجم الكبير ١٩/ ٢٩٦.

(١٠) مسند أحمد ٢٨/ ٦٤١.

(١١) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٢٨٩.

(١٢) المعجم الكبير ١٧/ ٣٢٧.

(١٣) مسند أحمد ٢٩/ ٣٢٩.

(١٤) المعجم الكبير ١٧/ ٣٠١.

وحديث زيد بن أرقم رواه أحمد[1] والبزار والطبراني[2] من رواية يزيد بن حيَّان عنه، ورواه الطبراني في الأوسط[3] من رواية موسىٰ بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عنه.

وحديث قيس بن سعد بن عُبادة رواه أحمد[4] وأبو يعلىٰ[5] من رواية ابن لهيعة عن ابن هُبَيرة سمعت شيخًا من حِمْيَر أنه سمع قيس بن سعد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن كذب عليَّ كذبة متعمدًا فليتبوأ مضجعًا من النار، أو بيتًا في جهنم».

وحديث عمران بن حصين رواه الطبراني[6] من رواية عبد المؤمن بن سالم المسمعي حدثنا هشام عن محمد بن سيرين عنه.

وحديث البراء بن عازب رواه أبو يعلىٰ في مسنده رواية ابن المقري[7] من رواية محمد بن عبيد الله الفزاري -وهو العرزمي- عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عنه، ورواه الطبراني في الأوسط من رواية موسىٰ بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عنه، وعن زيد بن أرقم أيضًا، وقد تقدَّم.

وحديث أبي موسىٰ الأشعري رواه الطبراني[8] من رواية خالد بن نافع عن سعيد بن أبي بُرْدة [عن أبيه] عنه.

---

(١) مسند أحمد ٣٢/ ١٣.

(٢) المعجم الكبير ٥/ ١٨٠.

(٣) المعجم الأوسط ٨/ ١٣١.

(٤) مسند أحمد ٢٤/ ٢٣٠.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٢٦.

(٦) المعجم الكبير ١٨/ ١٨٧.

(٧) انظر: إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ٢٨٧.

(٨) المعجم الأوسط ٦/ ٤٩. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

وحديث معاذ بن جبل رواه الطبراني في الأوسط(١) والخطيب في التاريخ(٢) من رواية عبد الله بن سَلَمة عنه، ورواه ابن الشخِّير من رواية خصيب بن جحدر عن النعمان بن نعيم عن عبد الرحمن بن غُنْم عنه(٣).

وحديث عمرو بن مرَّة الجُهَني رواه الطبراني(٤) من رواية الهيثم بن عدي عن الضحاك بن زميل السكسكي عن أبي أسماء السكسكي عنه.

وحديث نبيط بن شريط رواه الطبراني في الصغير(٥) عن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نُبَيط بن شَرِيط عن أبيه [عن أبيه إبراهيم] عن أبيه نبيط.

وحديث عمار بن ياسر رواه الخطيب في التاريخ(٦) من رواية علي بن الحَزَوَّر عن أبي مريم قال: سمعت عمار بن ياسر يقول لأبي موسىٰ: أما علمتَ أن رسول الله ﷺ قال: من كذب عليَّ ... الحديث. ورواه أبو يعلىٰ(٧) والطبراني بلفظ: ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول.

وحديث عمرو بن عَبَسة رواه الطبراني من رواية محمد بن أبي النوار عن يزيد بن أبي مريم عن عدي بن أرطأة عنه(٨).

وحديث عمرو بن حُرَيث رواه الطبراني من رواية عبد الكريم بن أبي

---

(١) المعجم الأوسط ٢/ ٤٧.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٣٦٤.

(٣) ورواه من هذا الطريق أيضاً ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٦٧.

(٤) المعجم الأوسط ٤/ ٨٩.

(٥) المعجم الصغير ١/ ٦٠. والزيادة التي بين حاصرتين منه

(٦) تاريخ بغداد ٢/ ٤٣١.

(٧) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٢٠٣.

(٨) ومن هذا الطريق أيضاً أخرجه القضاعي في •
١٩٦/٢.

المخارق عن عامر بن عبد الواحد عنه، وزاد فيه: ليضل به.

وحديث ابن عباس رواه الطبراني[١] من رواية عبد الأعلىٰ التغلبي عن سعيد ابن جبير عنه.

وحديث عتبة بن غزوان رواه الطبراني[٢] من رواية غزوان بن عتبة عن أبيه.

وحديث العرس بن عميرة رواه الطبراني[٣] والبزار وابن عدي في مقدمة الكامل[٤] من رواية يحيىٰ بن زهدم عن أبيه زهدم بن الحارث عنه، وقيل: يحيىٰ عن أبيه عن جده عنه.

وحديث يَعْلَىٰ بن مرة رواه الدارمي في مسنده[٥] والطبراني[٦] وابن عدي[٧] من رواية عمر بن عبد الله بن يعلىٰ بن مرة عن أبيه عن جده.

وحديث طارق بن أشيم والد أبي مالك الأشجعي رواه البغوي[٨] والطبراني[٩] في معجمَي الصحابة من رواية خلف بن خليفة عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه طارق بن أشيم، وإسناده صحيح.

وحديث سلمان بن خالد الخزاعي رواه الطبراني[١٠] من رواية عبد الله بن

---

(١) المعجم الكبير ١٢/ ٣٦.

(٢) المعجم الكبير ١٧/ ١١٧.

(٣) المعجم الكبير ١٧/ ١٣٩.

(٤) الكامل في الضعفاء ١/ ٢٧.

(٥) سنن الدارمي ١/ ٨٨.

(٦) المعجم الكبير ٢٢/ ٢٦٣.

(٧) الكامل في الضعفاء ١/ ٢٠.

(٨) معجم الصحابة ٣/ ٤١٩.

(٩) المعجم الكبير ٨/ ٣٧٩.

(١٠) المعجم الكبير ٦/ ٢٧٧.

محمد ابن الحنفية عنه.

وحديث صهيب بن سنان رواه أبو يعلىٰ والطبراني[1] من رواية عمرو بن دينار عن بعض ولد صهيب عنه، ورواه أبو بكر ابن الشخِّير في كتاب العلم من رواية الدَّفَّاع بن دَغْفَل عن عبد الحميد بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده.

وحديث السائب بن يزيد رواه الطبراني[2] من رواية محمد بن يوسف عنه.

وحديث أبي أُمامة الباهلي رواه الطبراني[3] من رواية شهر بن حوشب عنه بلفظ: «مَن حدَّث عني حديثًا كذبًا متعمدًا». ورواه أيضًا[4] من رواية محمد بن الفضل بن عطية عن الأحوص بن حكيم عن مكحول عنه بلفظ: مقعده بين عينَي جهنم.

وحديث أبي قِرْصافة -واسمه جندرة بن خيشنة- رواه الطبراني[5] من رواية عزة بنت عياض عنه بلفظ: «مَن كذب عليَّ أو قال عليَّ غير ما قلتُ بُني له بيت في جهنم [يرتع فيه]».

وحديث رافع بن خديج رواه الطبراني[6] من رواية أبي مدرك عن عباية بن رفاعة عنه بلفظ: «وليتبوَّأْ مَن كذب عليَّ مقعده من جهنم».

وحديث أوس بن أوس الثقفي رواه الطبراني[7] من رواية إسماعيل بن عيَّاش

---

(١) المعجم الكبير ٨/ ٤٠.

(٢) المعجم الكبير ٧/ ١٨٥.

(٣) المعجم الكبير ٨/ ١٤٤.

(٤) المعجم الكبير ٨/ ١٥٥.

(٥) المعجم الكبير ٣/ ٣. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٦) المعجم الكبير ٤/ ٢٧٦.

(٧) المعجم الكبير ١/ ٢١٧. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

عن [عبد الرحمن بن] عبد الله بن محيريز [عن أبيه] عنه بلفظ: «مَن كذب علىٰ نبيِّه [أو علىٰ عينيه أو علىٰ والديه] لم يَرُحْ رائحة الجنة».

وحديث حذيفة بن اليمان رواه الطبراني من رواية أبي بلال الأشعري حدثنا شريك عن منصور عن ربعي عنه(١)، ورواه أبو نعيم(٢) من رواية أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عنه.

وحديث أبي ميمون الكردي -واسمه جابان- رواه الطبراني في الأوسط(٣) من رواية أبي خلدة عن ميمون الكردي عن أبيه، وإسناده حسن.

وحديث بريدة بن الحصيب رواه أبو يعلىٰ وابن عدي في مقدمة الكامل(٤) من رواية صالح بن حيَّان عن ابن بُرَيدة عن أبيه.

وحديث سعد بن المِدْحاس رواه الطبراني(٥) من رواية ابن عائذ عنه، ورواه ابن منده أيضًا في الصحابة.

وحديث عمرو بن عوف المُزَني رواه ابن الشخِّير من رواية الفضل بن عطية عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده.

وحديث المُنْقِع التميمي رواه البخاري في التاريخ الكبير(٦) من رواية سيف بن هارون سمع عصمة بن بشير سمع الفزع سمع المنقع.

---

(١) ورواه من هذا الطريق أيضاً ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٧١.

(٢) المستخرج علىٰ صحيح مسلم لأبي نعيم ١/ ٤٩ (ط - دار الكتب العلمية).

(٣) المعجم الأوسط ٦/ ٢١٠.

(٤) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٣٧٢.

(٥) المعجم الكبير ٦/ ٥٧.

(٦) التاريخ الكبير ٨/ ٥٣ ولفظه: رأيت النبي ﷺ يرفع يديه حتىٰ نظرت إلىٰ بياض إبطيه يقول: اللهم إني لا أحل لهم أن يكذبوا عليّ - ثلاثًا.

وحديث عبد الله بن عمر رواه أحمد[١] والبزار[٢] والطبراني[٣] من رواية أبي بكر ابن سالم عن أبيه عن جده، ورواه أبو بكر ابن الشخير في كتاب العلم من رواية جابر بن نوح عن عبيد الله بن عمر عن نافع عنه.

وحديث أبي كبشة الأنماري رواه محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا عمرو ابن مالك، حدثنا جارية بن هرم، حدثنا عبد الله بن بُسْر الحُبْراني، سمعت أبا كبشة. وقد اختُلف فيه علىٰ جارية مع ضعفه، فقيل: هكذا، وقيل: عن أبي كبشة عن أبي بكر، وقد تقدم.

وحديث أبي رافع مولىٰ رسول الله ﷺ رواه ابن الشخير من رواية عاصم عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه[٤].

وحديث واثلة بن الأسقع رواه الطبراني[٥] من رواية ابنته خصيلة عنه بلفظ: «إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل عليّ ما لم أقُل».

وحديث أبي الحمراء رواه ابن الشخير من رواية نُفَيع بن داود عنه.

وحديث أسامة بن زيد رواه الطبراني[٦] من رواية علي بن ثابت الجزري عن الوازع بن نافع عن أبي سَلَمة عنه بلفظ: «من قال عليّ ما لم أقُل».

وحديث معاوية بن حَيْدة رواه أبو بكر ابن المقري[٧] من رواية بَهْز بن حكيم

---

(١) مسند أحمد ٨/ ٣٦٤، ١٠/ ٦٤، ٣٩٤ بلفظ: إن الذي يكذب عليّ يبنىٰ له بيت في النار.

(٢) مسند البزار ١٢/ ٢٧٧ بنفس سياق أحمد.

(٣) المعجم الكبير ١٢/ ٢٩٣.

(٤) ورواه من هذا الطريق أيضاً: الدارقطني في العلل ٧/ ٤٧. وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٨٨. والعقيلي في الضعفاء ٤/ ١٢٢٣.

(٥) المعجم الكبير ٢٢/ ٩٨.

(٦) المعجم الكبير ١/ ١٧١.

(٧) معجم الشيوخ لابن المقرئ ص ١٥٤ (ط - دار الكتب العلمية).

عن أبيه عن جده.

وحديث عبد الله بن الزبير رواه الدارقطني[١] من رواية الزبير بن خبيب عن أبيه عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه.

وحديث أبي عبيدة بن الجرَّاح رواه الخطيب[٢] من رواية ميسرة بن مسروق العَبْسي عنه، ورواه ابن الشخير من رواية أبي عبيدة ابن فلان عنه.

وحديث سلمان الفارسي رواه الطبراني[٣] من رواية هلال الوزَّان عن سعيد بن المسيَّب عنه، ورواه الخطيب في التاريخ[٤] من رواية أبي البَخْتري عنه.

وحديث أبي ذر الغفاري رواه المحاملي[٥] من رواية عبد الرحمن بن عمرو ابن نضلة القسري عن أبيه عن جده عنه.

وحديث حذيفة بن أُسَيد رواه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات[٦] من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حدثنا المثنَّىٰ بن سعيد، عن قتادة، عن أبي الطفيل عنه.

وحديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رواه ابن الجوزي[٧] أيضًا من طريق ابن قانع، حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، حدثنا سالم بن قادم، حدثنا يحيىٰ بن

(١) أطراف الغرائب والأفراد لمحمد بن طاهر المقدسي ١/ ٦٠٤. وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٨٥ من طريق الدارقطني.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٥٧٥.

(٣) المعجم الكبير ٦/ ٢٦٢.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٢٩٧.

(٥) ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٧٠.

(٦) الموضوعات ١/ ٧١.

(٧) الموضوعات ١/ ٨٦ بسند مغاير عما ههنا وهو: أنبأنا زاهر بن طاهر النيسابوري، أنبأنا أبو نصر أحمد بن محمد بن أبي حامد البغدادي، أنبأنا أبو زكريا يحيىٰ بن إبراهيم، عن فائد أبي العوام عنه.

إبراهيم، عن فائد أبي العوَّام عنه.

وحديث أبي رَمْثة البَلَوي رواه الدارقطني في الأفراد[١] من رواية موسىٰ بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن عاصم بن عبيد الله عنه.

وحديث يزيد بن أسد القسري رواه الخطيب[٢] من رواية يحيىٰ بن يحيىٰ بن سعيد بن خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري عن أبيه عن جده يزيد بن أسد.

وحديث عفان بن حبيب رواه الحاكم[٣] في «تاريخ نيسابور» من رواية ابنه عبد الله بن عفان[٤] عنه، وقال في عفان: إنه كان ورد نيسابور مع عبد الله بن عامر.

وحديث عائشة رواه ابن الشخير من رواية حصين الدمشقي عن أبي سَلَمة عنها[٥].

وحديث أم أيمن رواه الدارقطني[٦] من رواية بشر بن عاصم عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عنها.

وحديث سفينة رواه ابن المقري[٧] من رواية بُرَية بن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده.

وحديث زيد بن ثابت رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عبد الله الفارسي عن محمد بن جابر عن ابن المنكدر عنه.

---

(١) أطراف الغرائب والأفراد ٢/ ٢١٠. وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٨٨ من طريق الدارقطني.

(٢) المتفق والمفترق ٣/ ٢٠٢٨.

(٣) ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٩١.

(٤) في المطبوعة: داود بن عفان. والتصويب من الموضوعات.

(٥) ومن هذا الطريق أيضاً رواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٩٢.

(٦) ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٩٢.

(٧) معجم الشيوخ لابن المقري ص ٤٩.

وحديث كعب بن قطبة رواه أبو نعيم من رواية علي بن ربيعة عنه[١].

وحديث جابر بن عابس -ويقال: حابس- العبدي رواه ابن منده في «معرفة الصحابة» من رواية حصين بن حبيب عن أبيه عنه بلفظ: «من قال عليَّ ما لم أقُل». ورواه أبو نعيم[٢] فقال: حصين بن نُمَير عن أبيه عن جابر بن عابس، بالعين.

وحديث عبد الله بن زُغْب رواه أبو نعيم[٣] من رواية عبد الرحمن بن عائذ عنه.

وحديث والد أبي العُشَراء رواه تمام في جزء له جمع فيه حديث أبي العشراء من رواية أبي عُمَير الضرير حدثنا حماد بن سلمة عن أبي العُشَراء الدارمي عن أبيه واسمه مالك بن قهطم علىٰ المشهور[٤].

وقد رُوي الحديث أيضًا عن: النعمان بن بشير، والعباس بن عبد المطلب، وغزوان، ومالك بن عتاهية. وذكر ابن منده في مستخرجه أنه ورد أيضًا من رواية: سَمُرة بن جندب، والنوَّاس بن سمعان، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وعبد الله بن جعفر الهاشمي، وعبد الله بن جراد، وأبي بن كعب، وسليمان بن صُرَد، وعمرو بن الحَمِق، وعمرو بن العاص، وجندب بن عبد الله، وجَهْجاه الغفاري، وسَبْرة، ومُرَّة البَهْزي، وسخبرة، وأبي أُسَيد، وأبي أيوب، وحفصة بنت عمر، وخولة بنت حكيم.

---

(١) ورواه ابن قانع في معجم الصحابة ٢/ ٣٧٨ وسماه: كعب بن علقمة، خطأ.

(٢) معجم الصحابة لأبي نعيم ٢/ ٥٥٤.

(٣) معرفة الصحابة ٣/ ١٦٦٤.

(٤) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٢/ ٢٠٣: «مالك بن قهطم، ويقال: قحطم، بالحاء، وهو والد أبي العشراء الدارمي، واختلف في اسم أبي العشراء واسم أبيه، فقال البخاري: أبو العشراء اسمه أسامة ابن مالك. وقال بعضهم: اسمه عطارد بن بلز، ويقال: يسار بن بلز بن مسعود. وقد قيل في اسم أبي العشراء: بلز بن قهطم، وقيل: عطارد بن برز، وقيل: بزر بن قهطم، ولم يرو عن أبي العشراء فيما علمت غير حماد بن سلمة».

وذكر ابن الجوزي في نسخة الموضوعات الأولىٰ[(١)]: رواه أحدٌ وستون من الصحابة. وقال في النسخة الثانية، وهي أطول من الأولىٰ: رواه ثمانية وتسعون من الصحابة.

قال العراقي: وحكىٰ النووي في شرح مسلم[(٢)] عن بعضهم أنه رواه مائتان من الصحابة.

قلت: وقد رُوي أيضًا من حديث الرجل الذي من أسلم، رواه الطبراني، وقد تقدم في ترجمة سلمان بن خالد الخزاعي، وفي أوله قصة هي سبب للحديث[(٣)]. وحديث الرجل الآخَر الذي لم يُسَمَّ، رواه أحمد[(٤)] من رواية عمرو بن مرة [عن مرة] عنه، والظاهر أنه ابن مسعود، وقد تقدَّم. وحديث الآخَر الذي لم يُسَمَّ، رواه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات[(٥)] من رواية خالد بن دريك عنه. وفيه عن رجل آخَر لم يُسَمَّ بلفظٍ آخَر من رواية عبد الأعلىٰ بن هلال الحمصي عنه.

---

(١) الموضوعات ١/ ٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٠٥ ونصه: «وقال بعضهم: رواه مائتان من الصحابة ثم لم يزل في ازدياد».

(٣) المعجم الكبير ٦/ ٢٧٧ ولفظه: عن عبد الله بن محمد ابن الحنفية قال: انطلقت مع أبي إلىٰ صهر لنا من أسلم من أصحاب النبي ﷺ، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرحنا بها يا بلال الصلاة». فقلت: أسمعت ذا من رسول الله ﷺ؟ فغضب وأقبل علىٰ القوم يحدثهم أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا إلىٰ حي من العرب، فلما أتاهم قال: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أحكم في نسائكم بما شئت. فقالوا: سمعـًا وطاعةً لأمر رسول الله ﷺ. وبعثوا رجلًا إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانـًا جاءنا فقال: إن النبي ﷺ أمرني أن أحكم في نسائكم بما شئت، فغضب رسول الله ﷺ وبعث رجلًا من الأنصار وقال: «اذهب إلىٰ فلان فاقتله وأحرقه بالنار». فانتهىٰ إليه وقد مات وقبر، فأمر به فنبش ثم أحرقه بالنار، ثم قال رسول الله ﷺ: «من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». ثم أقبل علي فقال: تراني كذبت علىٰ رسول الله ﷺ بعد هذا؟!

(٤) مسند أحمد ٣٨/ ٤٨٢. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٥) الموضوعات ١/ ٩١.

وبمجموع مَن ذُكر يبلغ العددُ إلىٰ قريب من المائة، قال ابن الجوزي في الموضوعات[١] بإسناده إلىٰ أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الوهاب الأسفراييني: ليس في الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة غير هذا الحديث.

قلت: وهذا قد ردَّه العراقي فقال: ليس كذلك، فقد ذكر الحاكم والبيهقي في حديث رفع اليدين في الصلاة: رواه العشرة، وقالا: إنه ليس حديث رواه العشرة غيره.

وذكر أبو القاسم ابن منده أن حديث المسح علىٰ الخُفَّين رواه العشرة أيضًا.

ثم قال ابن الجوزي[٢]: ما وقعت لي رواية عبد الرحمن بن عوف إلىٰ الآن.

قلت: قال العراقي: حديث عبد الرحمن بن عوف رويناه من رواية ابنه إبراهيم عنه، وفي إسناده أحمد بن منصور الشيرازي أحد الحفَّاظ، إلا أن الدارقطني رماه بأنه كان يُدخِل علىٰ الشيوخ أحاديثَ بمصر.

قلت: أورده الذهبي في الميزان[٣]، ولفظه: أدخل عليَّ جماعة من الشيوخ بمصر وأنا بها، وكان يتقرَّب إليَّ ويكتب إليَّ كتبًا.

وهكذا ذكره في ديوان الضعفاء[٤].

قال السيوطي في «تحذير الخواص»: لا أعلم شيئًا من الكبائر قال أحد من أهل السنَّة بتكفير مرتكبه إلا الكذب علىٰ رسول الله ﷺ؛ فإن الشيخ أبا محمد الجويني من أصحابنا -وهو والد إمام الحرمين- قال: إن مَن تعمَّد الكذب عليه

---

(١) الموضوعات ١/ ٦٤.

(٢) الموضوعات ٦٥.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ١٥٩.

(٤) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ١٠.

ﷺ يكفر كفرًا يخرجه عن المِلَّة. وتبعه علىٰ ذلك طائفةٌ، منهم الإمام ناصر الدين ابن المنيِّر من أئمة المالكية، وهذا يدل علىٰ أنه أكبر الكبائر؛ لأنه لا شيء من الكبائر يقتضي الكفر عند أحد من أهل السنَّة.

وقال ابن الصلاح في علوم الحديث[١]: لا تحل رواية الحديث الموضوع لأحد علم حالَه في أيِّ معنًىٰ كان إلا مقرونًا ببيان وضعِه، بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي يحتمل صدقُها في الباطن، حيث جاز روايتها في الترغيب [والترهيب].

وقال بعد ذلك[٢]: يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوىٰ الموضوع من أنواع الحديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوىٰ صفات الله تعالىٰ وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال[٣].

قال السيوطي: وقد أطبق علىٰ ذلك علماء الحديث، فجزموا بأنه لا تحل رواية الحديث الموضوع في أيِّ معنًىٰ كان إلا مقرونًا ببيان وضعه، بخلاف الضعيف فإنه تجوز روايته في غير الأحكام والعقائد، وممَّن جزم بذلك الشيخ النووي في الإرشاد والتقريب[٤]، والبدر ابن جماعة في «المنهل الرَّويِّ»[٥]، والطيِّبي في الخلاصة، والسراج البُلْقيني في «محاسن الاصطلاح»، والزين العراقي في ألفيَّته

---

(١) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٩٨. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) السابق ص ١٠٣.

(٣) بعده في علوم الحديث: وسائر فنون الترغيب والترهيب وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد، وممن روينا عنه التنصيص علىٰ التساهل في نحو ذلك عبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل.

(٤) انظر: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ١/ ٣٢٣، ٣٥٠.

(٥) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي لبدر الدين ابن جماعة ص ٥٣ (ط - دار الفكر بدمشق).

وشرحها[١].

(**بل الشر في تأويل هذه الألفاظ**) وصرفِها عن ظواهرها (**أَطَمُّ**) أي أَزْيَدُ وأكثر (**وأعظم؛ لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ**) أي للوثوق بها (**وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية**) وإذا تأملتَ ما ذكرنا (**فقد عرفتَ كيف صرف الشيطانُ دواعي الخلق**) جمع داعية، وهو ما يدعو الإنسانَ إلىٰ الشيء (**عن العلوم المحمودة إلىٰ**) العلوم (**المذمومة، وكل ذلك من تلبيس علماء السوء**) وتخليطهم الحقَّ بالباطل (**بتبديل الأسامي**) وتفسيرها (**فإن اتبعتَ هؤلاء**) وسلكت سننهم (**اعتمادًا علىٰ الاسم المشهور**) عندهم (**من غير التفات إلىٰ ما عُرف في العصر الأول**) ونهجه أهلُ الطريق الأعدل (**كنتَ كمَن طلب الشرف بالحكمة**) الإلهية (**باتباع مَن يسمَّىٰ حكيمًا؛ وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ**.

اللفظ الخامس: وهو الحكمة) اعلمْ أن لها تعريفًا عند أهل الشرع من الفقهاء، وتعريفًا عند أهل الحقيقة، وتعريفًا عند الحكماء، فتعريفها عند الفقهاء قالوا: جاءت بإزاء معانٍ كثيرة، فمنها: النبوة، قال تعالىٰ: ﴿ وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:٢٥١] قيل: النبوة، علىٰ المشهور. ومنها: السنَّة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٥١] علىٰ أحد الأقوال، وقيل: المراد علوم القرآن، وعلىٰ هذا هو نظير قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦٩] علىٰ أحد الأقوال. ومنها: الموعظة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ﴾ [القمر:٥] ومنها: الفهم المصيب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢] وهي تنقسم إلىٰ قولية وفعلية، ولمَّا أراد الله سبحانه أن يعرِّفنا كمال حكمته القولية ابتدأ سورة لقمان بقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان:١-٢] ناصًّا بذلك علىٰ الحكمة القولية، وأدرج في أثنائها ما يدل بالتصريح والتلويح علىٰ

---

(١) شرح ألفية العراقي المسماة التبصرة والتذكرة ١/ ٢٦٢ (ط - دار الكتب العلمية).

كمال الحكمة الفعلية، وبسط سبحانه عقب كلٍّ من الأمرين ما هو كالدليل على المذكور، وكالشرح والبيان لمجمله، فقال سبحانه عقب الجملة الأولى الدالة على الحكمة القولية: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [لقمان:٣-٥] وهذا تقرير الاستدلال على كمال حكمته سبحانه في وصفَي الحكمة القولية والفعلية، والحكيم مَن وضع الأشياء مواضعها.

وأما تعريفها عند أهل الحقيقة فإنها تطلق عندهم على حقائق حِكَم سنيَّة:

الأولى: الحكمة المطلقة، وهي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه من حيث هي هي.

الثانية: الحكمة المنطوق بها، وهي العلوم الشرعية.

الثالثة: الحكمة المسكوت عنها، وهي أسرار الحقيقة.

الرابعة: الحكمة المجرَّدة، وهي ما خفي علينا وجهُ الحكمة في إيجاده، كإيلام بعض العِباد، وموت الأطفال، والخلود في النار.

الخامسة: الحكمة الجامعة، وهي معرفة الحق والعمل به، ومعرفة الباطل والاجتناب عنه.

وأما في اصطلاح الحكماء: صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكتسب تعلُّمه؛ لتشرف بذلك نفسُه وتكمل ويصير عالمًا فضولاً مضاهيًا للعالَم الموجود، ويستعد للسعادة القصوى الأخروية، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية. وهي قسمان: نظري وعملي مجرَّد؛ فالقسم النظري هو الذي الغاية فيه الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا تتعلق وجوداتها بفعل الإنسان، ولكن المقصود حصول رأي فقط، مثل علم

التوحيد وعلم الهيئة. والقسم العملي هو الذي ليس الغاية منه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات فقط، وإنما يكون المقصود منه حصول رأي في أمر يحصل بالكسب؛ ليكتسب ما هو الخير منه، فغاية النظري اعتقاد الحق، وغاية العملي فعل الخير.

كل ذلك ذكره شيخ مشايخنا أبو الحسن الطولوني في أماليه علىٰ البخاري، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمة تاريخه تعريف الحكمة، وقسَّمها إلىٰ العِلْمية والعَمَلية والنظرية، وقسَّم كلاً منها إلىٰ أقسام، وذكر حكمة الإشراق والمشَّائين وغير ذلك، نقلُ ذلك كله يخرجنا عن المقصود، فمَن أراد الزيادة فليراجع كتابه.

(**فإن اسم الحكيم صار يطلق**) الآن (**علىٰ الطبيب**) الماهر؛ إذ الطب من جملة الصناعة النظرية (**والشاعر والمنجِّم**) وكل هؤلاء من أقسام الفلسفة، كما تقدم (**حتىٰ علىٰ الذي يدحرج القرعة**) ويلقيها (**علىٰ أكُفِّ السوادية**) وهم الأكَّارون[1]، نُسبوا إلىٰ سواد الأرض وريفها؛ لملازمتهم لها (**في شوارع الطرق**) أي أسواقها (**والحكمة**) في الحقيقة (**هي التي أثنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عليها**) في كتابه العزيز علىٰ لسان نبيِّه ﷺ (**فقال:** ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾) وقد تقدم أن المراد بها علوم القرآن والسنَّة، أو الفهم المصيب والفطنة، أو غير ذلك.

قال صاحب القوت[2]: النور إذا جُعل في الصدر انشرح القلب بالعلم، ونظر باليقين، فنطق اللسان بحقيقة البيان [وهو الحكمة التي يودعها الله تعالىٰ في قلوب أوليائه] كما جاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾ [ص:٢٠] أي الإصابة في القول، فكأنه يوفِّقه للحقيقة عنده، فحُسن التوفيق والإصابة في العلم مواهب من الله عَزَّوَجَلَّ وأثرة يخصُّ بها مَن يشاء من عباده.

---

(١) أي الذين يحرثون الأرض. والعرب تسمي الأخضر الشديد الخضرة: الأسود؛ لأنه يرىٰ كذلك.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٥٥.

(وقال ﷺ: كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خيرٌ له من الدنيا وما فيها) قال العراقي[١]: تقدم بنحوه. ا.هـ.

وكأنه يشير إلىٰ ما ذكره المصنف أولاً: «باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها» وذكر أنه موقوف علىٰ الحسن البصري، أو إلىٰ حديث «كلمة من الخير يسمعها المؤمنُ فيعمل بها ويعلِّمها خير له من عبادة سنة» وذكر أنه من مراسيل زيد بن أسلم، وقد أخرج الديلمي عن أبي هريرة: «كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة» وسنده ضعيف.

(فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه) في العصر الأول **(وإلىٰ ماذا نُقل)** الآن **(وقِسْ به بقية الألفاظ)** التي لم تُذكَر **(واحترِزْ عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء)** وإرهاصاتهم **(فإن شرهم أعظم علىٰ الدين من شر الشياطين؛ إذ الشيطان بواسطتهم)** أي بواسطة علماء السوء **(يتذرَّع)** أي يتخذ ذريعةً، أي وسيلة **(إلىٰ انتزاع الدين)** وسلبِه **(من قلوب الخلق)** أجمعين **(ولهذا لمَّا سُئل** رسول الله ﷺ **عن شر الخلق أبَىٰ)** أي امتنع من الجواب **(وقال: اللهم غفرًا)** منصوب بفعل محذوف علىٰ أنه مفعول مطلق **(حتىٰ كرَّروا عليه)** في السؤال **(فقال)** ﷺ: **(هم علماء السوء)** قال العراقي[٢]: أخرجه الدارمي بنحوه من حديث الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلاً، وهو ضعيف، ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف.

قلت: قال الدارمي في مسنده[٣]: حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا بقية، عن الأحوص بن حكيم، عن أبيه قال: سأل رجلٌ النبي ﷺ عن الشر، فقال: «لا تسألوني عن الشر، واسألوني عن الخير» يقولها ثلاثًا، ثم قال: «ألا إن شر الشر

---

(١) المغني ١/ ٢٩.

(٢) المغني ١/ ٢٩ - ٣٠.

(٣) سنن الدارمي ١/ ١١٦.

شرار العلماء، وإن خير الخير خيار العلماء». والأحوص بن حكيم حِمْصي، رأىٰ أنسًا، وسمع خالد بن مَعْدان وطاووسًا، وعنه بقية ومحمد بن حرب وعدَّة، ضعيف؛ كذا في الكاشف للذهبي[1]، وأشار عليه لابن ماجه، وأما أبوه فهو حكيم ابن عُمَير العَنْسي الحمصي، روىٰ عن عمر وثوبان، وعنه ابنه الأحوص ومعاوية ابن صالح، صدوق[2].

وأما حديث معاذ فقد أخرجه صاحب الحلية[3] فقال: حدثنا أحمد بن يعقوب بن المهرجان، حدثنا الحسن بن محمد بن نصر، حدثنا محمد بن عثمان العقيلي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، حدثنا الخليل بن مُرَّة، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان، عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل قال: تصدَّيتُ لرسول الله ﷺ وهو يطوف فقلت: يا رسول الله، أَرِنا شرَّ الناس. فقال: «سلوا عن الخير، ولا تسألوا عن الشر، شرار الناس شرار العلماء في الناس». ورواه البزار[4] من رواية الخليل بن مُرَّة، وفيه: تعرَّضت، أو قال: تصدَّيت. وفيه: وهو يطوف بالبيت. وفيه: أيُّ الناس شر؟ وفيه: اللهم غفرًا، سَلْ عن الخير، ولا تسأل عن الشر. والباقي سواء. والخليل بن مرة ضعيف.

(**فقد عرفتَ العلم المحمود والمذموم، و**) عرفت (**مثار الالتباس**) أي ما يؤثر به الاختلاط (**وإليك الخِيَرة**) أي الاختيار (**في أن تنظر لنفسك**) وفي بعض النسخ بعد قوله «مثار الالتباس»: والشك والحيرة، فانظر الآن أترىٰ خيرًا لنفسك (**فتقتدي بالسلف**) الصالحين (**أو تتدلَّىٰ**) أي تنزل إلىٰ أسفل متمسِّكًا (**بحبل الغرور**) أي الاغترار بما يوهمك إعجابًا (**وتتشبَّه بالخلف**) المتأخرين (**فكل ما**

---

(١) الكاشف ١/ ٢٣٠.

(٢) الكاشف ١/ ٣٤٧.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٤٢.

(٤) مسند البزار ٧/ ٩٣.

ارتضاه السلف من العلوم) الجليلة **(قد اندرس)** أثرها وعفا **(وما أَكَبَّ الناسُ عليه)** مشتغلين بتحصيله **(فأكثره)** في الحقيقة **(مبتدَع ومُحدَث)** لم يكن يُعرَف فيما سلف.

قال صاحب القوت[١]: اعلمْ أن العلوم تسعة، أربعة منها سنَّة معروفة من الصحابة والتابعين، وخمسة محدَثة لم تكن تُعرَف فيما سلف، فأما الأربعة المعروفة فعلم الإيمان وعلم القرآن وعلم السنن والآثار وعلم الفتاوىٰ والأحكام، وأما الخمسة المحدَثة فالنحو والعَرُوض وعلم المقاييس والجدل في الفقه وعلم المعقول بالنظر وعلم عِلَل الحديث وتطريق الطرقات إليه وتعليل الضعفاء وتضعيف النَّقَلة للآثار، فهذا العلم من المحدَث، إلا أنه علمٌ لأهله يسمعه أصحابُه منهم.

(وقد صح قولُ رسول الله ﷺ: بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء) هكذا رواه مسلم[٢] وابن ماجه[٣] من رواية يزيد بن كَيْسان عن أبي حازم عن أبي هريرة، ورواه مسلم من رواية عاصم بن محمد العُمَري عن أبيه عن ابن عمر بلفظ: «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرِز بين المسجدين كما تأرِز الحيةُ إلىٰ جُحْرها». وقال فيه البزار: فطوبىٰ للغرباء. ورواه الطبراني[٤] من رواية عُبَيس بن ميمون عن عون بن أبي شداد عن أبي عثمان عن سلمان مختصرًا هكذا إلىٰ قوله: كما بدأ. وروىٰ في الأوسط[٥] من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مثله إلىٰ قوله: فطوبَىٰ للغرباء. وروىٰ ابن ماجه[٦]

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٨٣.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٧٧.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٦٨.

(٤) المعجم الكبير ٦/ ٢٥٦.

(٥) المعجم الأوسط ٧/ ٢٠٦.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٦٩.

من رواية سِنان بن سعد عن أنس هكذا مختصرًا.

وقال السخاوي في المقاصد[1]: وأخرج البيهقي في الشُّعَب[2] من حديث شُرَيح ابن عبيد مرسلاً، وفيه زيادة وهي: ألا إنه لا غُرْبة علىٰ مؤمن، من مات في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض.

(فقيل: ومَن الغرباء؟ قال: الذين يُصلِحون ما أفسد الناسُ من سنَّتي، والذين يحيون ما أماتوه من سنَّتي) رُويت هذه الزيادة من طرق، فأخرج الترمذي[3] من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رفعه ... فذكر الحديث، وفيه: إن الدين بدأ غريبًا، ويرجع غريبًا، فطوبىٰ للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناسُ بعدي من سنَّتي. وقال: هذا حديث حسن.

وروىٰ عبد الله بن أحمد في زيادات المسند[4] والطبراني في الكبير من رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سَنَّة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «بدأ الإسلام غريبًا، ثم يعود غريبًا كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء». قيل: يا رسول الله، ومَن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس».

وأخرج الطبراني في معاجمه الثلاثة[5] من رواية بكر بن سُلَيم الصَّوَّاف عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رفعه: «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبىٰ للغرباء». قالوا: يا رسول الله، ومَن الغرباء؟ قال: «الذين يُصلِحون

---

(١) المقاصد الحسنة ص ١٤٤.

(٢) شعب الإيمان ١٢/ ٢٩٥.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٣٧٢.

(٤) مسند أحمد ٢٧/ ٢٣٧.

(٥) المعجم الكبير ٦/ ١٦٤. المعجم الأوسط ٣/ ٢٥٠. المعجم الصغير ١/ ١٨٣.

عند فساد الناس».

وأخرج أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي في كتاب «صفة الغرباء»[١] والطبراني في الكبير[٢] من رواية عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقي عن أبي الدرداء وأبي أُمامة وواثلة وأنس رفعوه، وفيه: فقالوا: ومَن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس».

وأخرج أحمد[٣] وأبو يعلىٰ[٤] والبزار[٥] في مسانيدهم من رواية أبي صخر عن أبي حازم عن ابن سعد - قال: وأحسبه عامر بن سعد، وقال أحمد وأبو يعلىٰ: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الإيمان بدأ غريبًا وسيعود -قال أحمد: غريبًا، ثم اتفقوا- كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء يومئذٍ إذا فسد الناس». ولم يقل البزار: يومئذٍ ... الخ.

وقد عُرف بمجموع ما سقناه أن قول المصنف: والذين يحيون ... الخ ليس في سياقهم للحديث المذكور، ونظرُ المصنف أوسع.

وأخرج الترمذي[٦] وابن ماجه[٧] من رواية أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود رفعه: «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا». زاد الترمذي: كما بدأ. ثم اتفقا: فطوبىٰ للغرباء. زاد ابن ماجه: قال: قيل: ومَن الغرباء؟ قال: النُّزَّاع

---

(١) الغرباء للآجري ص ٢١ (ط - دار الخلفاء بالكويت).

(٢) المعجم الكبير ٨/ ١٧٨ مطولًا، وزاد في آخره: ولا يمارون في دين الله، ولا يكفرون أحدًا من أهل التوحيد بذنب.

(٣) مسند أحمد ٣/ ١٥٧.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٩٩.

(٥) مسند البزار ٣/ ٣٢٣.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٣٧١.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٦٩.

من القبائل. قال الترمذي: حسن صحيح غريب. أي[1] الذين نزعوا عن أهلهم وعشيرتهم[2]، قيل: وهم أصحاب الحديث؛ فإن هذا المعنىٰ صادق عليهم. قال المناوي: هو تخصيص بغير مخصِّص.

وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وأبي موسىٰ الأشعري.

(**وفي خبر آخَر: هم المتمسِّكون بما أنتم عليه اليوم**) أي ورد ذلك في تفسير الغرباء المذكور في الحديث المتقدِّم.

قال العراقي: لم أقف له علىٰ إسناد، إلا أن في أثناء حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس فيما أخرجه الطبراني في الكبير وأبو بكر الآجُرِّي في كتاب «صفة الغرباء» ذكر افتراق الأمم كلهم علىٰ الضلالة إلا السواد الأعظم، قالوا: وما السواد الأعظم؟ قال: «من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي ...» الحديث.

قلت: وبه يصح حملُهم علىٰ أهل الحديث، كما لا يخفىٰ.

(**وفي حديث آخَر: الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير، مَن يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم**) قال العراقي: رواه أحمد في مسنده[3] قال: حدثنا حسن ابن موسىٰ، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد، عن جندب بن عبد الله أنه سمع سفيان بن عوف يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «طوبىٰ للغرباء». فقيل: مَن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوءٍ كثيرٍ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم». وابن لهيعة مختلَف فيه.

---

(١) فيض القدير للمناوي ٢/ ٣٢٢.

(٢) في المطبوعة: وعترتهم. والمثبت من الفيض.

(٣) مسند أحمد ١١/ ٢٣٠.

قلت: وهكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير[١] عن ابن عمرو، وعزاه لأحمد بلفظ: «طوبىٰ للغرباء أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

(**وقد صارت تلك العلوم**) المشار إليها (**غريبة**) عن أهلها (**بحيث يُمقَت**) أي يُبغَض (**ذاكرها**) بينهم (**ولذلك قال**) سفيان بن سعيد (**الثوري رحمه الله**) تعالىٰ: (**إذا رأيتَ العالِم كثير الأصدقاء فاعلمْ أنه مخلِّط**) هكذا نقله صاحب القوت[٢] عنه، زاد المصنف: (**لأنه إذا نطق بالحق أبغضوه**) قال ابن الجوزي في ترجمة سفيان[٣] بسنده إلىٰ سليمان بن داود، حدثنا يحيىٰ بن المتوكل، سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أثنىٰ علىٰ الرجل جيرانُه أجمعون فهو رجل سوء. قيل: كيف ذلك؟ قال: يراهم يعملون بالمعاصي فلا يغيِّر عليهم ويلقاهم بوجه طلق.

وقال فضيل بن عياض: سمعت سفيان يقول: إذا رأيتَ القارئ محببًا إلىٰ إخوانه محمودًا في جيرانه فاعلمْ أنه مداهن.

وفي القوت[٤]: وقال أيضًا: إذا رأيتَ الرجل محببًا إلىٰ إخوانه محمودًا في جيرانه فاعلمْ أنه مُراءٍ.

وفي تاريخ الذهبي[٥]: قبيصة عن سفيان قال: كثرة الإخوان من سخافة الدين.

---

(١) كنز العمال ٣/ ١٥٤.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٤٨.

(٣) مناقب سفيان الثوري لابن الجوزي - اختصار الذهبي ص ٥١.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٤٨.

(٥) تاريخ الإسلام ١٠/ ٢٣٢.

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

(**اعلمْ أن العلم بهذا الاعتبار**) الذي عرفتَه ينقسم إلىٰ (**ثلاثة أقسام**) منها (**قسم هو مذموم قليله وكثيره**) وقد ذكر ابن ساعد في «إرشاد القاصد» أن العلم من حيث هو علم ليس بمذموم، وإنما ذمُّه لعدم اعتبار الشروط التي تجب مراعاتها في العلم والعلماء؛ فإن لكل علم حدًّا لا يُجاوَز، ولكل عالِم ناموسٌ لا يُخَلُّ به(١).

(و) منها (**قسم هو محمود قليله وكثيره**) نظرًا إلىٰ موضوعه وغاياته (و) هذا القسم (**كلما كان أكثر كان أحسن وأفضل**) فإن ما حُمدت عواقبه فالكثرة منه فضيلة حسنة (و) منها (**قسم يُحمَد منه مقدار الكفاية**) لا غير (**ولا يُحمَد الفاضل**) أي الزائد (**عليه، و**) لا يُحمَد (**الاستقصاء فيه**) أي بذل الجهد لتحصيله علىٰ أقصىٰ مراتب الكمال (**وهو**) هذه الأقسام الثلاثة مثلها (**مثل أحوال البدن**) من الإنسان (**فإن منه ما يُحمَد قليله وكثيره كالصحة والجمال**) قال صاحب المصباح(٢): الصحة في البدن حالة طبيعية تجري أفعاله معها علىٰ المجرىٰ الطبيعي. ا.هـ.

والجمال: رقَّة الحُسن؛ ذكره سيبويه(٣).

وقال الراغب(٤): هو الحسن الكثير.

---

(١) قال حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٢٢: «اعلم أنه لا شيء من العلم من حيث هو علم بضار، ولا شيء من الجهل من حيث هو جهل بنافع؛ لأن في كل علم منفعة ما في أمر المعاد أو المعاش أو الكمال الإنساني، وإنما يتوهم في بعض العلوم أنه ضار أو غير نافع لعدم اعتبار الشروط التي تجب مراعاتها في العلم والعلماء، فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه».

(٢) المصباح المنير ص ١٢٧.

(٣) السابق ص ٤٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٩٧ ونصه: «الجمال: الحسن الكثير، وذلك ضربان، أحدهما=

(ومنها ما يُذَم قليله وكثيره كالقبح) أي قبح الصورة **(وسوء الخُلُق)** فإنهما مذمومان كذلك، فالقبح ذمُّه نظرًا إلىٰ الظاهر، وسوء الخلق نظرًا إلىٰ الباطن، كما أن الجمال محمود مطلقًا نظرًا إلىٰ الظاهر، وهو يقتضي غالبًا حسن الخلق، وصحة البدن نظرًا إلىٰ الباطن **(ومنها ما يُحمَد الاقتصاد)** أي التوسُّط **(فيه كبذل المال)** أي صرفِه **(فإن التبذير)** وهو بذلُه في غير موضعه **(لا يُحمَد فيه)** أي في المال **(وهو بذلٌ)** في الجملة **(وكالشجاعة)** وهي هيئة حاصلة للقوة الغضبية [بين التهور والجبن] بها يُقدِم علىٰ أمور ينبغي أن يُقدِم عليها[1] **(فإن التهوُّر)** وهو الوقوع في أمر بقلَّة مبالاة وفِكرٍ[2] **(لا يُحمَد)** لكونه علىٰ غير بصيرة **(فيها وإن كان من جنس الشجاعة)** وقال بعضٌ: الشجاعة ما بين التهوُّر والجبن **(فكذلك العلم)** فإن القَدْر المذموم منه ولو كان من جنسه إلا أنه لا يُحمَد **(فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه)** ولا عاقبة حميدة **(في دين ولا دنيا؛ إذ فيه ضرر)** إما بصاحبه أو بغيره **(يغلب نفعَه كعلم السحر والطلسمات والنجوم)** والكيمياء والسيمياء والشعبذة وما أشبهها **(فبعضه لا فائدة فيه أصلاً، وصرفُ العمر الذي هو أنفَس ما يملكه الإنسان إليه)** أي إلىٰ تحصيل مثله **(إضاعةٌ)** له، وقالوا: الوقت سيف، إن لم تقطعه في الخير قطعك **(وإضاعة النفائس مذمومة)** عند أهل الحق **(ومنه ما فيه ضرر يزيد)** ويظهر **(علىٰ ما يُظَن أنه يحصل به من قضاء وطر)** أي حاجة أو نفع **(في الدنيا؛ فإن ذلك لا يُعتَدّ به)** ولا يُعتبَر **(بالإضافة)** أي بالنسبة **(إلىٰ الضرر الحاصل عنه)** قال ابن ساعد: ومن الوجوه الموهمة كون العلم ضارًّا أن يُظَن بالعلم فوق غايته أو فوق مرتبته، أو

= جمال يختص الإنسان به في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني ما يوصل منه إلىٰ غيره، وعلىٰ هذا الوجه ما روي عنه ﷺ أنه قال: إن الله جميل يحب الجمال. تنبيها أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة فيحب من يختص بذلك».

(١) التعريفات للجرجاني ص ١٣٠. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) تاج العروس ١٤/ ٤٤٦.

أن يُقصَد بالعلم غير غايته، وأن يتعاطاه مَن ليس من أكفائه[1].

(**وأما القسم المحمود إلىٰ أقصىٰ غايات الاستقصاء فهو العلم بالله سبحانه وبصفاته وأفعاله وسنَّته في خلقه، وحكمته في ترتيب الآخرة علىٰ الدنيا**) وهو علم اليقين والمعرفة والتبصُّر في فقه القلوب، وكان سهلٌ يقول: العلم ثلاثة: علم بالله، وعلم لله، وعلم بحكم الله. أشار بالأول إلىٰ علم اليقين، وبالثاني إلىٰ علم الإخلاص والأحوال والمعاملات، وبالثالث إلىٰ تفصيل الحلال والحرام (**فإن هذا علم مطلوب لذاته**) لشرف موضوعه، وأشار إلىٰ سر غايته بقوله: (**وللتوصُّل به إلىٰ سعادة الآخرة**) الباقية (**وبذل المقدور**) أي صرفه (**فيه**) أي في تحصيله (**إلىٰ أقصىٰ الجهد قصورٌ عن حد الواجب؛ فإنه البحر**) الزاخر (**الذي لا يدرك**) آخره، ولا يُسبَر (**غوره، وإنما يحوم**) أي يدور ويطوف (**المحوِّمون**) وفي نسخة: الحائمون، يقال: حام علىٰ الماء: إذا ورده، وكذلك حوَّم (**علىٰ سواحله وأطرافه بقَدْر ما يُسِّر لهم، وما خاض أطرافه**) المنتهية (**إلا الأنبياء**) صلوات الله عليهم وسلامه (**والأولياء**) من عباده الصالحين (**والراسخون في العلم**) قال أبو يزيد البسطامي[2]: خُضتُ بحرًا وقف الأنبياء بساحله.

قال أبو العباس المرسي: إنما يشكو بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق

---

(١) قال حاجي خليفة في الكشف ١/ ٢٢: «من الوجوه المغلطة: أن يظن بالعلم فوق غايته كما يظن بالطب أنه يبرئ من جميع الأمراض، ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف، كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم علىٰ الإطلاق وليس كذلك، فإن علم التوحيد أشرف منه قطعاً، ومنها أن يقصد بالعلم غير غايته، كمن يتعلم علما للمال أو الجاه، ومنها أن يمتهن العلم بابتذاله إلىٰ غير أهله، كما اتفق في علم الطب فإنه كان في الزمن القديم حكمة موروثة عن النبوة فصار مهانا لما تعاطاه اليهود، وكذلك علم أحكام النجوم فإنه لم يكن يتعاطاه إلا العلماء به للملوك ونحوهم فرذل حتىٰ صار لا يتعاطاه غالباً إلا جاهل يروج أكاذيبه».

(٢) لطائف المنن لابن عطاء الله ص ٢٦٥. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

بالأنبياء، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد، ووقفوا من الجانب الآخَر علىٰ ساحل الفرق يدعون الخَلْق إلىٰ الخوض، أي: فلو كنتُ كاملاً لوقفتُ حيث وقفوا.

قال ابن عطاء الله: وهذا الذي فسَّر به الشيخ كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد؛ فإن المشهور عنه التعظيم [التام] لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب.

ثم إن هذه العبارة التي ذكرها المصنف من ذِكر الأولياء بعد الأنبياء وتقديمهم علىٰ العلماء الراسخين سيأتي نظيرها في ذِكر معرفة الله والعلم به أن الرتبة العليا في ذلك للأنبياء، ثم للأولياء العارفين، ثم للعلماء الراسخين، ثم للصالحين، فقدَّم الأولياءَ علىٰ العلماء وفضَّلَهم عليهم، وقد سُئل[1] عن ذلك العز ابن عبد السلام هل هو صحيح أمْ لا؟ فأجاب: لا يشك عاقلٌ أن العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال أفضل من العارفين بالأحكام، بل العارفون بالله أفضل من أهل الفروع والأصول، وكيف يسوَّىٰ بين العارفين والفقهاء والعارفون أفضل الخلق وأتقاهم لله سبحانه، وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] فإنما أراد العارفين به وبصفاته وأفعاله دون العارفين بأحكامه، ولا يجوز حملُ ذلك علىٰ علماء الأحكام؛ لأن الغالب عليهم عدم الخشية، وخبر الله تعالىٰ صدقٌ، ولا يُحمَل إلا علىٰ مَن عرفه وخشيه. هذا حاصل ما قاله في الجواب.

(**علىٰ اختلاف درجاتهم**) عند الله تعالىٰ (**بحسب اختلاف قربهم**) منه سبحانه (**وتفاوُت تقدير الله تعالىٰ في حقهم، وهذا هو العلم المكنون الذي لا يُسطَّر في الكتب**) وهو المشار إليه في الحديث المتقدِّم: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله ...» الحديث، وهذا من جملة المواضع التي أنكر عليه أبو عبد الله المازري وغيره من المالكية، وتقدم الجوابُ عنه في مقدمة الكتاب (**ويعين علىٰ التنبُّه له**) والتفطُّن لأسراره (**التعلُّم**) من أهله بشروطه (**ومشاهدة أحوال**

(١) تأيد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٢٣ - ٢٤ باختصار.

علماء الآخرة، كما ستأتي علامتهم) قال صاحب القوت: وكان ذو النون يقول: اجلس إلىٰ مَن تعلِّمك أفعالُه، ولا تجلس إلىٰ مَن يخاطبك مقالُه[١]. وقد كان طائفة يصحبون كثيرًا من أهل المعرفة للتأدُّب بهم والنظر إلىٰ هديهم وأخلاقهم وإن لم يكونوا علماء؛ لأن التأديب يكون بالأفعال، والتعلُّم يكون بالمقال.

(**هذا في أول الأمر**) وابتدائه حين شروعه في السلوك (**ويعين عليه في الآخِر**) أي آخر الأمر (**المجاهدةُ**) في النفس (**والرياضة**) الشرعية بمنعها عن كل ما تميل إليه من المباحات (**وتصفية القلب**) عن الأوصاف الذميمة (**وتفريغه**) أي تخليته (**عن علائق الدنيا**) وشواغلها الصارفة عن الحضور مع الله تعالىٰ (**والتشبُّه فيه**) وفي نسخة: فيها (**بأنبياء الله تعالىٰ وأوليائه**) والصالحين من أخصائه (**ليتضح منه لكل ساعٍ إلىٰ طلبه**) أي مطلوبه (**بقدر الرزق**) أي بقدر ما رزقه الله تعالىٰ ويسَّر له في نصيبه من الأزل (**لا بقدر الجهد**) والاستطاعة (**ولكن لا غنىٰ فيه عن الاجتهاد**) وبذل الوسع (**فالمجاهدة مفتاح الهداية**) قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩] (**لا مفتاح لها**) أي لأبواب الهداية الربَّانية (**سواها**) أي سوىٰ المجاهدة، ولنذكر هنا ما يتعلَّق بالمجاهدة والجهاد، ونبيِّن مراتب ذلك؛ ليكون السالك علىٰ بصيرة.

قال ابن القيم في الهدي النبوي[٢]: الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين؛ فجهاد النفس أربع مراتب أيضًا:

إحداها: أن يجاهدها علىٰ تعلُّم الهدىٰ ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا

---

(١) الذي في القوت ١/ ٢٧١: «وكان ذو النون يقول: اجلس إلىٰ من تكلمك صفته، ولا تجلس إلىٰ من يكلمك لسانه. وقد كان الحسن قبله يقول: جالس من تكلمك أعماله، ولا تجالس من يخاطبك مقاله».

(٢) زاد المعاد ٣/ ٩ - ١٧ باختصار. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتىٰ فاتها علمُه شقيتْ في الدارينِ.

الثانية: أن يجاهدها علىٰ العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها علىٰ الدعوة إليه وتعليمه لمن لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدىٰ والبيِّنات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها علىٰ الصبر علىٰ مشاقِّ الدعوة إلىٰ الله وأذىٰ الخلق، ويتحمَّل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربَّانيين؛ فإن السلف مجمعون علىٰ أن العالِم لا يستحق أن يسمىٰ ربانيًّا حتىٰ يعرف الحق ويعمل به ويعلِّمه، فمن علم وعمل وعلَّم فذاك يُدعَىٰ عظيمًا في ملكوت السماء.

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

إحداهما: جهاده علىٰ دفع ما يلقي إلىٰ العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

والثانية: جهاده علىٰ دفع ما يلقي إليه من الإرادات [الفاسدة] والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني بعده الصبر، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] فأخبر أن إمامة الدين إنما تُنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات [الفاسدة] واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخصُّ باليد، وجهاد المنافقين أخص بالبيان[1].

---

(١) في الزاد: باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم والمنكرات والبدع فثلاث مراتب، الأولىٰ باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلىٰ اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه.

فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد.

ثم قال: وفُرِض عليه جهاد نفسه في ذات الله وجهاد شيطانه، وهذا كله فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد، وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يُكتفَىٰ فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصوده[1]، وأكمل الخَلْق عند الله مَن كمَّل مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تعالىٰ تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم علىٰ الله تعالىٰ خاتم أنبيائه ورسله؛ فإنه كمَّل مراتب الجهاد، وجاهد في الله حق جهاده، ﷺ.

ثم قال: والمقصود أن الله تعالىٰ اقتضت حكمتُه أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها ويخلِّصها بكير الامتحان، كالذهب الذي لا يصفو ولا يخلُص من غشِّه إلا بالامتحان؛ إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلىٰ السَّبْك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هُذِّب العبد ونُقِّي أُذن له في دخول الجنة. ا.هـ.

وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ بالمجاهدة والرياضة؛ ليكون بها أهلاً للدخول في حضرة المشاهدة، ومَن جاهد في الله هُدِيَ إلىٰ صراط مستقيم، وفاز بالنعيم المقيم.

(**وأما العلوم التي لا يُحمَد منها**) للمشتغل (**إلا مقدار مخصوص**) لا يتجاوز عنه (**فهي العلوم التي أوردناها**) ببيانها (**في فروض الكفايات**) في أول الباب (**فإن في كل علم**) وفي بعض النسخ: فإن لكل علم (**منها اقتصارًا**) علىٰ القدر الواجب (هو

---

(١) في الزاد: مقصود الجهاد.

الأقل) مما يُحتاج إليه (**واقتصادًا هو الوَسَط**) بتحريك[١] السين، وهو ما له طرفان متساويا القَدْر، ويقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد [إذا قلت: وَسَطه صلب، وضربت وَسَط رأسه، بفتح السين. ووسْط بالسكون، يقال] في الكمية المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين [نحو: وَسْط القوم كذا] والطرفان قد يكونان مذمومين[٢] فيُستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط فيُمدَح به، وتارةً يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر[٣] (**واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد**) وهي المرتبة الثالثة (**لا مَرَدَّ له إلىٰ آخر العمر**) أي شيء لا نهاية له يعجز العمرُ عن تحصيله (**فكنْ أحد رجلين**) وفي نسخة: أحد الرجلين (**إما**) رجل (**مشغول بنفسك**) في إصلاحها (**وإما**) رجل (**متفرِّغ لغيرك بعد الفراغ من نفسك**) وفي بعض النسخ: إما مشغولاً وإما متفرغًا، بالنصب فيهما (**وإياك**) ثم إياك (**أن تشتغل بما يُصلِح غيرك قبل إصلاح نفسك**) فإن إصلاح النفس مقدَّم، ابدأ بنفسك ثم بمن تعول.

قال صاحب القوت[٤]: العبد يُسئل غدًا فيقال: ماذا عملتَ فيما علمت؟ ولا يقال له: فيما علم غيرُك. ا.هـ.

فالاشتغال بما يُصلِح علم الغير قبل الاشتغال بما يصلح النفسَ مضرٌّ مهلك، كيف وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الروم:٥٦] فقرن بينهما، فمَن أوتي إيمانًا ويقينًا أوتي علمًا، كما أن من أوتي علمًا نافعًا أوتي إيمانًا، وهذا لا

---

(١) المفردات للراغب ص ٥٢٢. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) في المفردات: والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان، يقال: هذا أوسطهم حسبًا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلًا، وكالجود الذي هو بين البخل والسرف، فيستعمل ... الخ.

(٣) بعده في المفردات: ويكنىٰ به عن الرذل، نحو قولهم: فلان وسط من الرجال، تنبيها أنه قد خرج من حد الخير.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٧٤.

يحصل إلا بمعرفة خواطر النفس وإزالة ما يهلكها.

(**فإن كنت مشغولاً بنفسك**) بإصلاحها. وفي نسخة: فإن كنت المشغول بنفسك (**فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرضٌ عليك**) ما فرض الله عليك (**بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة**) المتعلقة بالجوارح (**من تعلُّم الصلاة والطهارة والصوم**) وما يصحِّح كلاً من ذلك وما يفسده، وقدَّم الصلاة هنا في الذكر لكونها المقصود الأعظم، وإن كانت الطهارة تتقدمها تقدُّمَ الوسائل، وكذا تعلُّم الحج إن وجب عليه، وغير ذلك (**وإنما الأهم الذي أهمله الكل**) وأعرضوا عنه (**علم صفات القلب وما يُحمَد منها وما يُذَمُّ**) إذ[1] علم الألسنة والفتيا مردود إلىٰ علم القلوب، وقد درست معرفةُ هذا العلم، فصار كل مَن نطق بكلام غريب علىٰ السامعين لا يعرف حقَّه من باطله سُمِّي عالمًا، وكل كلام مستحسَن زُخرِفَ رونقُه لا أصل له يسمَّىٰ صاحبه عالمًا؛ لجهل العامة[2] بالعلم أي شيء هو (**إذ لا ينفكُّ بشرٌ عن الصفات المذمومة**) التي رُكِّبت فيه (**من الحرص والحسد والرياء والكِبْر والعُجْب وأخواتها**) مما سيأتي بيانها في المهلكات (**وجميع ذلك**) صفات (**مهلكات**) للإنسان (**وإهمالها**) رأسًا (**من الواجبات، مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي**) أي يشابه (**الاشتغالَ بطلاء ظاهر البدن عند التأذِّي بالجَرَب**) والحكَّة (**والدماميل**) جمع دُمَّل وهو الخُرَّاج (**والتهاون بإخراج المادة**) التي نشأ منها ذلك العارض (**بالفصد**) وهو إخراج الدم، وفي معناه الحجامة بحسب اختلاف أمزجة البلاد (**والإسهال**) بالأدوية المناسبة لإخراج تلك المادة (**وحشوية العلماء**) وهم الذين يقنعون بالقشر عن اللُّباب، وينظرون إلىٰ ظاهر الأمور دون الاطلاع علىٰ الأسرار الباطنة (**يشيرون بالأعمال الظاهرة**) ويحثُّون الناس علىٰ تحصيلها (**كما يشير الطُّرُقيَّة من الأطباء**) وهم الذين يجلسون علىٰ

(١) قوت القلوب ١/ ٢٧٤.

(٢) في المطبوعة: العالم. والتصويب من القوت.

الطرق ويداوون الناس علىٰ جهلٍ منهم **(بطلاء ظاهر البدن)** فيما لا يتم النفعُ به، فهؤلاء علماء الدنيا الذين يتأكّلون الدين بالدنيا (و) أما **(علماء الآخرة)** فإنهم **(لا يشيرون)** علىٰ الناس **(إلا بتطهير الباطن)** كما أن الكُمَّل من الأطباء لا يشيرون علىٰ المرضىٰ إلا بمداواة الباطن **(وقطعِ مواد الشر بإفساد مبانيها)** وفي نسخة: منابتها (و) هو المناسب لقوله: **(قلع مغارسها)** والضمير فيها راجع إلىٰ مواد الشر **(من القلب)** ثم اعتذر عنهم فقال: **(وإنما فزع الأكثرون)** من العلماء والتجأوا **(إلىٰ الأعمال الظاهرة عن تطهير القلب)** وتزكيته **(لسهولة أعمال الجوارح)** علىٰ كل أحد **(واستصعاب أعمال القلوب)** لتوقُّفها علىٰ وجود مرشد كامل يريه الطريقَ **(كما يفزع إلىٰ طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرَّة)** المنفِّرة **(فلا يزال)** مَن حالُه كذلك **(يتعب في الطلاء)** الظاهر **(وتزيد الموادُّ)** وتجتمع في أعماق البدن **(وتتضاعف به الأمراض)** فيكون سببًا لإهلاك البدن بالمرة **(فإن كنت مريدًا للآخرة وطالبًا للنجاة)** من الهلاك **(وهاربًا من هلاك الأبد فاشتغِل بعلم العلل الباطنة)** وكيف طروؤها علىٰ القلب (و) معرفة **(علاجها)** في إزالتها **(علىٰ ما فصَّلناه في ربع المهلكات، ثم ينجرُّ بك ذلك إلىٰ)** معرفة **(المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات)** والتحلِّي بها **(لا محالة؛ فإن القلب إذا فرغ)** أي خلا **(من)** الخلق **(المذموم امتلأ بالمحمود)** كما قالوا: القلب إذا خلا من الكفر دخله الإيمان، وضرب لذلك مثلاً لأجل فهم العامة فقال: **(فالأرض إذا نُقِّيت)** ونُظِّفت **(من الحشيش)** الذي يضرُّ بالأرض ويأخذ قوتها ولا يُنتفَع به **(نبتت فيها)** أي صلحت لأنْ تنبت فيها **(أصناف الزروع)** المنتفَع بها (و) أنواع **(الرياحين)** الطيِّبة **(وإن لم تفرغ)** أي إن لم يَخْلُ القلبُ **(من ذلك لم تنبت ذاك، فلا تشتغل بفروض الكفايات)** اشتغالاً كليًّا **(لا سيما وفي زمرة الخلق مَن قد قام بها)** كثيرًا وهي فيها صلاح الغير **(فإن مُهلك نفسه فيما طلب صلاح غيره سفيهٌ)** ناقص العقل والرشد **(فما أشد حماقة)** أي فسادًا في العقل **(مَن دخلت الأفاعي)** وهي الحيَّات **(والعقارب تحت**

ثيابه وهمَّت) أي قصدت (**بقتله**) بالنهش واللسع (**وهو يطلب**) لنفسه (**مِذَبَّة**) وهي بكسر الميم: المنشَّة (**يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه**) ولا يخلِّصه (**مما يلاقيه من**) ضرر (**تلك الحيات والعقارب إذا هممنَ به**) وقصدنَ إتلافه (**فإن تفرغتَ من**) النظر إلىٰ (**نفسك وتطهيرها وقدرت**) بتوفيق الله تعالىٰ وحُسن إعانته (**علىٰ ترك ظاهر الإثم وباطنه**) قال السمين[1]: ظاهر الإثم ما يطَّلع عليه الخَلْقُ، وباطنه ما يختص بعلمه تعالىٰ (**وصار ذلك ديدنًا لك وعادة متيسِّرة**) أي مسهَّلة (**فيك، وما أبعد ذلك عنك**) إلا إن صادفتك العنايةُ الربَّانية (**فاشتغِلْ بفروض الكفايات**) حينئذٍ (**وراعِ التدريج**) والترتيب (**فيها**) وقدِّم الأهم فالأهم بحسب الاقتضاء (**فابدأ بكتاب الله تعالىٰ**) بالترتيل والتدبُّر في معانيه وحِكَمه وإشاراته (**ثم بسنَّة رسول الله ﷺ**) بتلقِّيها عن أربابها حفظًا في كلٍّ منهما وضبطًا (**ثم بعلم التفسير**) بما تيسَّر لك من الكتب المؤلَّفة فيه، كما سيأتي بيانها، وإياك ثم إياك من مطالعة مثل الكشَّاف وتفسير الفخر، ففي كلٍّ منهما إشكالات وتشكيكات لا ينبغي سماعُها؛ فإنها تحيِّر وتمرض وتردي، ولا تشفي غليلاً، وأقوال السلف في التفسير مليحة، لكنها ثلاثة أقوال وأربعة أقوال [فصاعدًا] فيضيع الحقُّ بين ذلك؛ فإن الحق لا يكون في جهتين، وربما احتمل اللفظ معنيين[2] فأكثر عبَّر كلٌّ منهم عن واحد منها، فهذا لا بأس به (**وسائر علوم القرآن**) المتعلِّقة به (**من علم الناسخ والمنسوخ**) قال الراغب[3]: النسخ: إزالة شيء بشيء يعقبه، فتارةً يُفهَم منه الإزالة، وتارةً يُفهَم منه الإثبات، وتارةً الأمران، ونسخُ الكتاب: إزالة الحكم بحكم يعقبه.

وقال الأصوليُّون: النسخ: رفع الحكم الشرعي بخطاب[4].

---

(١) عمدة الحفاظ ١/ ٢٠٢.

(٢) زغل العلم للذهبي ص ٤٠. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٣) المفردات ص ٤٩٠.

(٤) وفي كتاب بيان المختصر لأبي الثناء الأصفهاني ٢/ ٤٩١ تعريف ابن الحاجب للنسخ وهو: رفع=

وقد أَلَّف في ناسخ القرآن ومنسوخه[١]: مكي بن أبي طالب القيسي، وأبو جعفر النحَّاس، وأبو بكر ابن العربي، وأبو داود السجستاني، وأبو عبيد القاسم ابن سلام، وأبو سعيد عبد القاهر بن طاهر التميمي، وأبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي المفسِّر، وأبو الحسين ابن المنادي، والجلال السيوطي، وغيرهم.

(والمفصول والموصول) وقد أَلَّف فيه مكي بن أبي طالب القيسي وغيره **(والمحكَم والمتشابه)** المحكم[٢]: ما خلا[٣] المراد به عن التبديل والتغيير أي التخصيص والتأويل والنسخ[٤]، كقوله تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال:٧٥] والنصوص الدالة علىٰ ذات الله وصفاته؛ لأن ذلك لا يحتمل النسخَ؛ فإن اللفظ إذا ظهر منه المراد فإن لم يحتمل النسخ فمحكم، وإلا فإن لم يحتمل التأويل فمفسَّر، وإلا فإن سيقَ الكلامُ لأجل ذلك المراد فنصٌّ وإلا فظاهر، وإذا خفي فإن خفيَ لعارض -أي لغير الصيغة- فخفيٌّ، وإن خفي [لنفسه] -أي لنفس الصيغة- وأُدرِك عقلاً فمشكل، أو نقلاً فمهمَل، أو لم يُدرَك أصلاً فمتشابه.

وأول مَن أَلَّف في متشابه القرآن الكسائيُّ، كما قاله السيوطي في الإتقان[٥]، وقد نظمه أبو الحسن السخاوي المقرئ . ومن الكتب المؤلَّفة فيه : «البرهان في

= الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

وفي التعريفات للجرجاني ص ٢٦٠: «هو أن يرد دليل شرعي متراخياً عن دليل شرعي مقتضياً خلاف حكمه، فهو تبديل بالنظر إلىٰ علمنا، وبيان لمدة الحكم بالنظر إلىٰ علم الله تعالىٰ».

وعرفه البيضاوي في المنهاج ص ٦٥ بقوله: «بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخٍ عنه».

(١) كشف الظنون ٢/ ١٩٢٠.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٢١٨. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٩٩. وصرح المناوي بأنه تعريف الصوفية.

(٣) في التعريفات: ما أُحكم.

(٤) بعده في التعريفات والتوقيف: من قولهم: بناء محكم، أي متقن مأمون الانتقاض.

(٥) الإتقان في علوم القرآن ص ٦٤٢.

توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحُجَّة والبيان» للبرهان أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكِرْماني المقرئ الشافعي المعروف بتاج القرَّاء، و«دُرَّة التأويل في متشابه التنزيل» لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضَّل الراغب الأصبهاني، و«دُرَّة التنزيل وغرَّة التأويل» للإمام فخر الدين الرازي، و«كشف المعاني [عن متشابه المثاني]» للبدر ابن جماعة، و«قطف الأزهار [في كشف الأسرار]» للجلال السيوطي[١]، وغيرها[٢]، وكل ذلك من فروع علم التفسير، لكن آكَدها وأهمها معرفة علم الناسخ والمنسوخ.

(**وكذلك في السنَّة**) من الناسخ والمنسوخ والمتشابه. فممَّن ألَّف في ناسخ الحديث ومنسوخه[٣]: أبو محمد قاسم بن أصبغ القرطبي، وأبو بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد الشيباني أحد أصحاب ابن كيسان، وأحمد بن إسحاق الأنباري، وأبو جعفر النحَّاس، وأبو بكر الحازمي، وأبو القاسم هبة الله بن سلامة المفسِّر، وأبو حفص عمر بن شاهين البغدادي، والإمام أبو القاسم القُشَيري، ومحمد بن بحر الأصبهاني، وبدل بن أبي المعمر التِّبْريزي، وآخَرون.

وممن جمع بين متشابه القرآن والحديث شمس الدين محمد ابن اللَّبَّان في مجلَّد صغير نافع في بابه[٤].

قال بدل بن أبي المعمر في كتابه المذكور[٥]: أول مَن دوَّن في علم ناسخ

---

(١) كشف الظنون ١/ ٢٤١، ٧٣٩، ٢/ ١٣٥٢، ١٤٩٥، ١٥٨٤. والزيادات التي بين حاصرتين منه. وذكر أن السيوطي كتب في كتابه حتىٰ سورة براءة.

(٢) قال السيوطي: وأحسن من هذا كتاب «ملاك التأويل» لأبي جعفر ابن الزبير، ولم أقف عليه.

(٣) كشف الظنون ٢/ ١٩٢٠.

(٤) واسم هذا الكتاب: إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المشتبهات. كما في كشف الظنون ١/ ٧٢.

(٥) هذا الكلام الذي نقله الشارح عن بدل بن أبي المعمر وجدته بنصه في كتاب الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الأخبار لأبي بكر الحازمي ص ٣-٥ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند).

الحديث ومنسوخه الزُّهري، ثم لا نعلم أحدًا جاء بعده تصدَّىٰ لهذا الفن ولخَّصه إلا ما يوجد من بعض الإيماء في عرض الكلام عن آحاد الأئمَّة، حتىٰ جاء الإمام أبو عبد الله الشافعي؛ فإنه كشف أسراره، واستفتح بابه.

ثم ذكر بسنده إلىٰ أبي عبد الرحمن السُّلَمي أن عليًّا مر[1] علىٰ قاصٍّ فقال: تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكتَ وأهلكتَ. ومثل ذلك قد رُوي عن ابن عباس أيضًا.

ثم قال: والآثار في هذا الباب كثيرة، وإنما أوردنا نبذة منها لتعلم شدة اعتناء الصحابة بمعرفة الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالىٰ وسنَّة نبيِّه ﷺ؛ إذ شأنهما واحد.

(ثم اشتغِل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه) مما يتعلق بالعبادات الظاهرة، ومما تحتاج إليه **(دون)** السَّلَم والكفَّارات والأيمان والنذور والظِّهار والإجارة، ودون **(الخلاف)** والجدل مع مخالفي المذهب **(ثم بأصول الفقه)** علىٰ قَدْر مسيس الحاجة، وهذا إن تطلَّعت نفسُك إلىٰ مرتبة الاجتهاد وأنفتَ التقليد لإمامك، وأما إن زعمتَ أن الاجتهاد قد انقطع فلا فائدة في تعلُّم هذا العلم إلا أن يصير محصِّله مجتهدًا به، فإذا عرفه ولم يفكَّ تقليد إمامه لم يصنع شيئًا، بل أتعب نفسه، وركَّب علىٰ نفسه الحُجَّة في مسائل، وإن كان تحصيله لأجل الوظائف وليقال فهذا من الوبال وضرب من الخبال[2]. والكتب المؤلَّفة فيه كثيرة تغني شهرتها عن ذِكرها، فمن الكتب المتوسطة فيه: «المنار» للنسفي، و«جَمْع الجوامع» لابن السبكي، و«المنهاج» للبيضاوي **(وهكذا إلىٰ بقية العلوم علىٰ ما يتَّسع له العمر**

---

(١) في المطبوعة: أنه مر. والتصويب من الاعتبار.

(٢) زغل العلم للذهبي ص ٤١.

ويساعد فيه الوقتُ) وتحتاج إليه مع زيادة ونقص حسب اقتضاء الحال **(ولا تستغرق عمرك في فن واحد منه)** أي مما ذُكر حالةَ كونك **(طالبًا للاستقصاء)** فيه والبلوغ إلىٰ نهايته **(فإن العلم كثير)** بأقسامه وأنواعه **(والعمر قصير)** فخذْ من كل شيء أحسنه **(وهذه العلوم)** التي ذكرناها كلها **(آلات)** ووسائل **(ومقدمات)** يصل بها الإنسان إلىٰ المقاصد **(وليست)** هي **(مطلوبة لعينها)** أي لذاتها **(بل لغيرها)** التي هي المقاصد **(وكل ما يُطلَب لغيره فلا ينبغي أن ينسىٰ فيه المطلوب)** الأعظم **(ويستكثر منه، فاقتصِرْ من شائع علم اللغة علىٰ)** قَدْر **(ما تفهم به كلام العرب وتنطق به)** فعليك بمطالعة «مختصر الصحاح» للرازي، و«المصباح» للفيومي، وإن أردتَ الزيادة فلا تعدونَّ عيناك عن «الصحاح» للجوهري أو «العُباب»[١] للصاغاني أو «المجمَل» لابن فارس، وإن أردتَ الزيادة فـ «القاموس المحيط»[٢] للفيروزآبادي الجامع للغات العرب فصيحة وغريبة وحُوشيَّة، أو «التهذيب»[٣] للأزهري، أو «المحكَم»[٤] لابن سِيده (و) اقتصِرْ **(من غريبه)** أي علم اللغة **(علىٰ غريب القرآن وغريب الحديث)** قال الخطابي[٥]: الغريب من الكلام هو الغامض البعيد من الفهم، وهو علىٰ وجهين:

---

(١) العباب الزاخر للحسن بن محمد الصاغاني، توفي سنة ٦٥٠ قبل أن يكمله، بلغ فيه إلىٰ حرف الميم، ووقف في مادة (بكم) وترتيبه كصحاح الجوهري.
كشف الظنون ٢/ ١١٢.

(٢) اسمه كاملا: القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماميط.

(٣) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري، رتبه علىٰ حسب مخارج الحروف، فبدأ بالعين، وختم بالياء.

(٤) وقد هذبه صفي الدين الأرموي المتوفىٰ سنة ٧٢٣.
كشف الظنون ٢/ ١٦١٦.

(٥) غريب الحديث للخطابي ١/ ٧٠ - ٧١ (ط - جامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة) باختصار.

أحدهما: أن يُراد به أنه بعيد المعنىٰ غامضه، لا يتناوله الفهمُ إلا عن بعد ومعاناة فِكر.

والثاني: أن يُراد به كلام مَن بَعُدت به الدارُ من شواذِّ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من كلامهم[١] استغربناها. ا.هـ.

ومن الكتب المؤلَّفة فيه: غريب القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنَّىٰ والعزيزي، وأما غريب الحديث فقد اعتنىٰ كثيرون بتأليفه وتهذيبه، أشهرهم: الحربي، وأبو عبيد، وأبو موسىٰ المديني، وممَّن جمع بينهما: أبو سليمان الخطابي، وأبو عبيد الهَرَوي، وابن الأثير صاحب النهاية، والزمخشري في الفائق، وغير هؤلاء.

(**ودع التعمُّق فيه**) فإنه لا نهاية له (**واقتصِرْ من**) علم (**النحو علىٰ ما يتعلق بالكتاب والسنَّة**) بقراءة كتاب صغير فيه كمقدمة الآجرومية مثلاً، وإن أردتَ الزيادة فيه فالكافية لابن الحاجب أو الألفية لابن مالك، ثم مراجعة شروح كلٍّ من ذلك، وأما الإكثار منه فإنه يورِث الجمودَ في القلب، كما نقله صاحب القوت[٢]، وقال الذهبي[٣]: الإكثار منه يورث التحامُق والتكبُّر علىٰ الناس (**فما من علم إلا وله**) ثلاث مراتب: (**اقتصار، واقتصاد، واستقصاء**) وفي الأولين جِناس محرَّف

---

(١) في غريب الحديث: لغاتهم.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٨٢ ونصه: «ومن البدع: التدقيق في القياس والنظر والتبحر في علوم النحو والعربية، قال إبراهيم بن أدهم: أعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في الأعمال، فيا ليتنا لحنا في الكلام وأعربنا في الأعمال. وذكرت العربية عند القاسم بن مخيمرة فقال: أولها كبر، وآخرها بغي. وقال بعض السلف: النحو يذهب الخشوع من القلب. وقال آخر: من أحب أن يزدري الناس كلهم فليتعلم العربية».

(٣) زغل العلم ص ٤٠ ونصه: «النحويون لا بأس بهم، وعلمهم حسن محتاج إليه، لكن النحوي إذا أمعن في العربية وعري عن علم الكتاب والسنة بقي فارغا بطالا لعابا ولا يسأله الله والحالة هذه عن علمه في الآخرة، بل هو كصنعة من الصنائع كالطب والحساب والهندسة، لا يثاب عليها، ولا يعاقب إذا لم يتكبر علىٰ الناس ولا يتحامق عليهم واتقىٰ الله تعالىٰ وتواضع وصان نفسه».

(ونحن نشير إليها) أي إلىٰ تلك المراتب **(في الحديث والتفسير والفقه والكلام)** ذكر الثلاثة الأُوَل لشرفها، وذكر علم الكلام لشهرته أو نظرًا إلىٰ الأصل باعتبار الموضوع، وهو أشرف من علم الفقه **(ليُعبَّر بها عن غيرها)** وفي بعض النسخ: لتقيسَ بها غيرَها **(فالاقتصار في)** علم **(التفسير)** تحصيل **(ما يبلغ ضِعف القرآن في المقدار)** وفي بعض النسخ: ما يبلغ في المقدار ضِعف القرآن. وفي أخرىٰ: نصف القرآن. وهو خطأ **(كما صنَّفه)** الشيخ الإمام أبو الحسن[1] **(علي)** بن أحمد بن محمد بن علي **(الواحدي)** المفسِّر **(النيسابوري)** أصله من ساوة[2]، كان واحد عصره في التفسير، لازَمَ أبا إسحاق الثعلبي المفسِّر، وأخذ العربية عن أبي الحسن القُهُنْدُزي الضرير، واللغة عن أبي الفضل العروضي صاحب الأزهري، وسمع الحديث من ابن محمش الزيادي وأبي بكر الحِيري وخَلْق، روىٰ عنه أحمد ابن عمر الأرغياني وعبد الجبار بن محمد الخواري وآخَرون. صنَّف التصانيف الثلاثة في التفسير: البسيط، والوسيط، والوجيز، وأسباب النزول، والتحبير في شرح الأسماء الحسنىٰ، وشرح ديوان المتنبي، وكتاب الدعوات، وكتاب المغازي، وكتاب الإعراب في [علم] الإعراب، وكتاب تفسير النبي ﷺ، وكتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف. توفي بنيسابور في جمادىٰ الآخرة سنة ٤٦٨ **(وهو الوجيز)** أحد كتبه الثلاثة، وعلىٰ نمطه تفسير الجلالين **(والاقتصاد)** فيه **(ما يبلغ ثلاثة أضعاف)** وفي نسخة: أرباع **(القرآن)** في المقدار **(كما صنَّفه من الوسيط فيه)**

---

(١) طبقات السبكي ٥/ ٢٤٠.

(٢) ساوة: مدينة قديمة كانت تقع بين الري وهمذان، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخا، وكان أهلها سنية علىٰ مذهب الشافعي، وقد دخلها التتار سنة ٦١٧ فخربوها وقتلوا أهلها جميعا، وأحرقوا ما بها من كتب. ومن أشهر معالمها بحيرة ساوة، وفي كتب السيرة النبوية أن مياهها غارت عند مولد رسول الله ﷺ. معجم البلدان ٣/ ١٧٩. وتوجد بحيرة ساوة في محافظة المثنىٰ جنوب العراق، علىٰ بعد عدة كيلومترات من مدنية السماوة مركز المحافظة.

وهو الكتاب الثاني من كتبه، وعلىٰ أسماء هذه الكتب الثلاثة سمَّىٰ المصنف كتبه الثلاثة في الفقه، كما سيأتي بيانها (**وما وراء ذلك استقصاء مستغنًى عنه، ولا مَرَدَّ له إلىٰ انتهاء العمر**) وفي نسخة: إلىٰ آخر العمر. وهذا الذي ذكره بالنظر إلىٰ زمانه، وأما الآن فلا يُعرَف من تلك الكتب شيء[1]، فالاقتصار الآن فيه تفسير الجلالين، والتوسُّط فيه تفسير الخطيب الشربيني[2] وتفسير مُلاَّ علي، ومَن أراد الزيادة فيه فتفسير أبي السعود[3] والمدارك للنسفي[4] وتفسير القاضي البيضاوي[5].

(**وأما**) علم (**الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين**) صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجُعْفي مولاهم البخاري، وصحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيري، رحمهما الله تعالىٰ، ويُعرَفان بالصحيحين؛ لاتفاق الأمَّة علىٰ قبول ما فيهما (**بتصحيح نسخة**) منهما (**علىٰ رجل**) من الحفَّاظ أو المحدِّثين (**خبير يعلم متن الحديث**) علىٰ أحد رواة الكتابين؛ أما البخاري فاتصلت رواية كتابه من طريق المستملي والسرخسي والكشميهني وأبي علي ابن السكن والأخسيكتي وأبي زيد المروزي وأبي علي ابن شبُّويه وأبي أحمد الجرجاني والكاشاني وهو آخر مَن حدَّث عن الفِرَبْري بالصحيح[6]. وأما مسلم فالمشهور من رواة كتابه إبراهيم ابن سفيان الزاهد، ورواه عنه أيضًا مكي بن عبدان وأبو حامد ابن الشرقي وأبو محمد القلانسي.

(**وأما حفظ أسامي الرجال**) المذكورة فيهما (**فقد كُفيتَ فيه ما تحمَّله غيرُك**)

---

(١) الكتب الثلاثة مطبوعة ومتداولة الآن.

(٢) ويسمىٰ: السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير.

(٣) ويسمىٰ: إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

(٥) ويسمىٰ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

(٦) فتح الباري ١/ ٨.

وفي بعض النسخ: فقد يكفيك فيه ما حمله عنك **(مَن قبلك)** كابن طاهر المقدسي[١] وغيره ممن صنَّف في أسماء رجالهما[٢] **(ولك أن تعوِّل)** وتعتمد **(على كتبهم)** في المراجعة عند الاشتباه **(وليس يلزمك)** أيضًا **(حفظُ متون الصحيحين)** على ظهر قلبك **(ولكن)** المطلوب **(أن تحصِّله تحصيلاً تقدر به على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة)** وهو في كتاب مسلم أسهل من كتاب البخاري؛ لتفريقه الحديث الواحد في مواضع شتى **(وأما الاقتصاد فيه فأنْ تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسنَدات الصحيحة)** وفي نسخة: في مسندات الصحيح. أي كبقية السنن الأربعة والمستخرَج عليهما للحافظ أبي نعيم وللإسماعيلي ولابن منده **(وأما الاستقصاء)** فيه **(فما وراء ذلك إلى استيفاء)** وفي نسخة: إلى استيعاب **(كل ما نُقل من الضعيف، والقوي، والصحيح، والسقيم)** والمتواتر، والمشهور، والحسن، والصالح، والمضعَّف، والمرفوع، والمسنَد، والموقوف، والموصول، والمرسَل، والمقطوع، والمعضَل، والمعلَّق، والغريب، والمعلَّل، والعالي، والنازل **(مع معرفة الطرق الكثيرة)** للحديث الواحد **(في النقل، ومعرفة أحوال الرجال)** جرحًا وتعديلاً **(و)** معرفة **(أسمائهم)** وكُناهم وبلدانهم **(وأوصافهم)** فكل ذلك داخل في حد الاستقصاء، وبما ذكره المصنف من حد الاقتصار والاقتصاد لا يسمَّى المشتغِل بهما محدِّثًا، فقد قال ابن السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم»[٣]: المحدِّث مَن عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع

---

(١) له كتاب: أسماء رجال الصحيحين، جمع فيه بين كتاب أسماء رجال صحيح البخاري لأبي نصر الكلاباذي وكتاب أسماء رجال صحيح مسلم لابن منجويه الأصفهاني. وممن جمع بينهما أيضاً أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري المتوفى سنة ٤١٨.

(٢) ولعبد الغني بن أحمد البحراني الشافعي كتاب: قرة العينين في ضبط أسماء رجال الصحيحين. ولأبي علي الجياني كتاب: تقييد المهمل، ضبط فيه كل لفظ يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين.

(٣) معيد النعم ومبيد النقم ص ٨٢ (ط - مكتبة الخانجي بالقاهرة).

ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة ومسند الإمام أحمد وسنن البيهقي ومعجم الطبراني، وضمَّ إلىٰ هذا القدر ألفَ جزء من الأجزاء الحديثية، هذا أقل درجاته، فإذا سمع ما ذكرناه وكتب الطِّباق ودار علىٰ الشيوخ وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد عُدَّ في أول درجات المحدِّثين، ثم يزيد الله تعالىٰ مَن شاء ما شاء.

قال السخاوي في الجواهر والدرر[١]: والمقتصر علىٰ السماع لا يسمَّىٰ محدِّثًا، ويُروَىٰ عن مالك أن المقتصر علىٰ السماع لا يؤخَذ عنه العلم.

وقال الإمام أبو شامة[٢]: علوم الحديث الآن ثلاثة، أشرفها حفظُ متونه ومعرفة غريبها وفقهها، والثاني حفظُ أسانيدها، ومعرفة رجالها، وتمييز صحيحها من سقيمها، وهذا كان مهمًّا، وقد كُفيه المشتغلُ بالعلم بما صُنِّف وأُلِّف في ذلك، فلا فائدة تدعو إلىٰ تحصيل ما هو حاصل. الثالث جمعُه وكتابته وسماعه وتطريقه وطلبُ العلو فيه، والرحلة بسببه إلىٰ البلدان، والمشتغل بهذا مشتغل عما هو الأهمُّ من علومه النافعة فضلاً عن العمل به الذي هو المطلوب الأول.

قال الحافظ ابن حجر[٣]: وهذا في بعضه نظرٌ؛ لأن قوله «وهذا قد كُفيه المشتغل بالعلم بما صُنِّف فيه» قد أنكره العلاَّمة أبو جعفر ابن الزبير وغيره، ويقال عليه: إن كان التصنيف في الفن يوجب الاتكالَ علىٰ ذلك وعدم الاشتغال به فالقول كذلك في الفن الأول؛ فإن فقه الحديث وغريبه لا يُحصَىٰ كم صُنِّف فيه، بل لو ادعىٰ مدَّعٍ أن التصانيف التي جُمعت في ذلك أجمعُ من التصانيف التي جُمعت في تمييز الرجال وكذا في تمييز الصحيح من السقيم لَما أبعدَ، بل ذلك هو الواقع،

---

(١) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي ١/ ٧٠- ٧٤ (ط - دار ابن حزم ببيروت).
(٢) شرح الحديث المقتفىٰ في مبعث النبي المصطفىٰ لأبي شامة المقدسي ص ٤٥ (ط - مكتبة العمرين بالشارقة).
(٣) النكت علىٰ كتاب ابن الصلاح لابن حجر ١/ ٢٢٩.

فإن كان الاشتغال بالأول مهمًّا فالاشتغال بالثاني أهم ... إلىٰ آخر ما قاله.

وسيأتي لنا بحثٌ إن شاء الله تعالىٰ في ذم غرور المحدِّثين، ونوسِّع الكلامَ هناك.

(**وأما الفقه فالاقتصار فيه علىٰ ما يحويه مختصر**) الإمام[1] أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيىٰ [بن إسماعيل] بن عمرو بن إسحاق (**المُزَني**) وُلد سنة ١٧٥، وحدَّث عن الشافعي ونُعَيم بن حماد وغيرهما، روىٰ عنه ابن خزيمة والطحاوي وزكريا الساجي وابن جَوْصا وابن أبي حاتم. قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي. ومن تآليفه: هذا المختصر، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والمنثور، والمسائل المفيدة[2]، والترغيب في العلم، وكتاب الوثائق، وكتاب نهاية الاختصار. وتوفي لستٍّ بقين من رمضان سنة ٢٦٤. ومختصره هذا أكثر الكتب المتداولة السائرة في كل الأمصار؛ علىٰ ما ذكره النووي في التهذيب[3]، وقد شرحه كثير من العلماء كابن سُرَيج، وأبي الطيب الطبري، وأبي الفتوح ابن عيسىٰ، وأبي إسحاق المروزي، وأبي حامد المروزي، وأبي سُراقة، وأبي عبد الله المسعودي، وأبي عليٍّ الطبري، وأبي بكر الشاشي، وأبي علي السنجي، وابن عدلان، والشرف يحيىٰ المناوي، وزكريا الأنصاري، وغيرهم[4] (**وهو الذي رتَّبناه في**) كتابنا المسمَّىٰ: (**خُلاصة المختصر**) وهو مفيد جدًّا ملخَّص من أصله مع زيادات نافعة، ويسمَّىٰ: خُلاصة

---

(١) طبقات السبكي ٢/ ٩٣.

(٢) في طبقات السبكي: المعتبرة.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ص ٣ ونصه: «أردت أن أجمع كتابا في الألفاظ الموجودة في مختصر المزني والمهذب والتنبيه والوسيط والوجيز والروضة وهو الكتاب الذي اختصرته من شرح الوجيز للرافعي، فإن هذه الكتب تجمع ما يحتاج إليه من اللغات، وخصصت هذه الكتب بالتصنيف لأنها مشهورة بين أصحابنا، يتداولونها أكثر تداول، وهي سائرة في كل الأمصار، مشهورة للخواص والمبتدئين في كل الأقطار».

(٤) كشف الظنون ٢/ ١٦٣٥.

الوسائل إلىٰ علم المسائل، كما تقدم، وهو غير «عنقود المختصر ونقاوة المقتصر» للمصنف أيضًا (**والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله**) في المقدار (**وهو القَدْر الذي أوردناه في**) كتابنا (**الوسيط من المذهب**) وهو ملخَّص من بسيطه مع زيادات، وأحد الكتب الخمس المتداولة بين الشافعية؛ ذكره النووي في تهذيبه، وقد شرحه تلميذه الخُبُوشاني[(١)] وسمَّاه: المحيط، في ستة عشر مجلدًا، وابن الرفعة في ستين مجلدًا وسماه [المطلب، والنجم القمولي وسماه][(٢)] البحر المحيط، والموفَّق الحَمَوي وسمَّاه: منتهىٰ الغايات، والظهير التزمنتي، ومحمد بن عبد الحكم، والعز المدلجي، وأبو الفتوح العجلي، وابن أبي الدم، وابن الصلاح علىٰ الربع الأول في جزأين، وابن الأستاذ في أربع مجلدات، ويحيىٰ بن أبي الخير اليمني، وغير هؤلاء، وخرَّج أحاديثه السراج ابن الملقن في مجلَّد (**والاستقصاء**) فيه (**ما أوردناه في**) كتابنا المسمَّىٰ: (**البسيط**) وهو كالمختصر لـ «نهاية المطلب في رواية المذهب»[(٣)] لشيخه إمام الحرمين الذي جمعه بمكة وأتمَّه بنيسابور. قال ابن خلِّكان في حق النهاية: ما صُنِّف في الإسلام مثله (**إلىٰ ما وراء ذلك من المطوَّلات**) وقال ابن ساعد في «إرشاد القاصد»: من كتب الشافعية المختصرة: التعجيز[(٤)]، والتنبيه[(٥)]، والتحرير[(٦)]،

---

(١) تقدم أن اسمه محمد بن يحيىٰ النيسابوري، والخبوشاني نسبة إلىٰ خُبوشان، وهي بليدة بناحية نيسابور، كما في أنساب السمعاني ٢/ ٣٢١.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة، واستدركته مما مر في المقدمة.

(٣) المطبوع بإسم: نهاية المطلب في دراية المذهب.

(٤) التعجيز في مختصر الوجيز، لتاج الدين أبي القاسم عبد الرحيم بن محمد المعروف بابن يونس الموصلي المتوفىٰ سنة ٦٧١. وله شروح كثيرة.

(٥) التنبيه في فروع الشافعية، لأبي إسحاق الشيرازي، أخذه عن تعليقة لأبي حامد المروزي، وله شروح كثيرة ومختصرات ومنظومات.

(٦) التحرير في الفروع، لأبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني المتوفىٰ سنة ٤٨٢، يشتمل علىٰ أحكام كثيرة مجردة عن الاستدلال.

ومختصر الوسيط للبيضاوي. ومن المتوسطة: المهذَّب[١]، والوسيط، والروضة[٢] للنووي. ومن المبسوطة: الحاوي للماوردي، والكافي[٣]، والوافي، والبسيط، وبحر المذهب[٤]، والنهاية[٥]، وشرح الوجيز[٦]. ومن كتب الحنفية المختصرة: البداية[٧]، والنافع[٨]، ومختار الفتوىٰ[٩]، ومختصر القدوري[١٠]، وله تكملة مهمة[١١]. ومن

(١) المهذب في الفروع، لأبي إسحاق الشيرازي، شرحه الإمام النووي شرحا وصل فيه إلىٰ باب الربا ولم يتم سماه: المجموع. وله شروح أخرىٰ كثيرة.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المتقين، اختصره من شرح الوجيز للرافعي. وله العديد من الشروح والتعليقات والمختصرات والمنظومات.

(٣) الكافي اسم لعدة كتب في الفقه الشافعي: لأبي عبد الله أحمد بن سليمان الزبيري المتوفىٰ سنة ٣١٧، ومعين الدين محمد بن إبراهيم الجاجرمي المتوفىٰ سنة ٦١٣، ونصر المقدسي، وأبي الفتح سليم ابن أيوب الرازي، وأبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني.

(٤) لأبي المحاسن الروياني، قال فيه حاجي خليفة: وهو بحر كاسمه.

(٥) نهاية المطلب في دراية المذهب، لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني.

(٦) هو كتاب فتح العزيز شرح الوجيز لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي، شرح به كتاب الوجيز للغزالي.

(٧) بداية المبتدي، لأبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني، جمع فيه بين مختصر القدوري والجامع الصغير لمحمد بن الحسن، واختار ترتيب الجامع تبركا بما اختاره محمد بن الحسن.

(٨) لناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف الحسيني السمرقندي المتوفىٰ سنة ٦٥٦.

(٩) لعلي بن أبي بكر المرغيناني.

(١٠) لأبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي المتوفىٰ سنة ٤٢٨، وهو الذي يطلق عليه لفظ «الكتاب» في المذهب الحنفي، وله شروح ومختصرات كثيرة.

(١١) جمع حسام الدين الرازي ما شذ من نظم مختصر القدوري من المسائل المنثورة في المختصرات كالجامع الصغير ومختصر الطحاوي والإرشاد وموجز الفرغاني في مجلد وسماه: تكملة القدوري، ورتبه علىٰ ترتيب كتابه وأبوابه من غير تكرار مسألة إلا ما صعب ذكره بدون إعادة ذكره. كشف الظنون ٢/ ١٦٣٣.

المتوسطة: الهداية[١]، والمشتملة. ومن المبسوطة: المحيط[٢]، والمبسوط[٣]، والتحرير[٤]. ومن كتب المالكية المختصرة: التلقين[٥]، والجلاب[٦]، ومختصر ابن الحاجب[٧]. ومن المتوسطة: نظم الدرر للشارمساحي[٨]، والتهذيب[٩]. ومن المبسوطة: الذخيرة[١٠]، وابن يونس، والبيان والتحصيل[١١]. ومن كتب الحنابلة المختصرة: العمدة[١٢]، والنهاية الصغرىٰ لابن رزين. ومن المتوسطة: المقنع، والكافي[١٣]. ومن المبسوطة: المغني لابن قدامة. ا.هـ.

---

(١) الهداية شرح البداية لعلي بن أبي بكر المرغيناني.

(٢) المحيط البرهاني في الفقه النعماني، لبرهان الدين محمود بن أحمد ابن مازه البخاري المتوفىٰ سنة ٦١٦.

(٣) لشمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسي، أملاه من خاطره من غير مطالعة كتاب وهو في السجن بأوزجند. ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٥٨٠.

(٤) التحرير شرح الجامع الكبير، لجمال الدين محمود بن أحمد البخاري المعروف بالحصيري المتوفىٰ سنة ٦٣٦، شرح به الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني.

(٥) للقاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي المالكي المتوفىٰ سنة ٤٢٢.

(٦) كذا في المطبوعة، وإنما هو: التفريع لأبي القاسم عبد الله بن الحسين بن الحسن ابن الجلاب المغربي المالكي المتوفىٰ سنة ٣٨٧.

(٧) وهو غير مختصره في أصول الفقه.

(٨) نظم الدرر، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الشارمساحي المصري المتوفىٰ سنة ٦٦٩. وهو مختصر لمدونة الإمام مالك.

وشرمساح: إحدىٰ قرىٰ مركز الزرقا بمحافظة دمياط بشمال مصر.

(٩) التهذيب شرح الجامع الصغير، لأبي سعيد مطهر بن الحسن اليزدي.

(١٠) لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي.

(١١) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه للمسائل المستخرجة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي.

(١٢) عمدة الأحكام، لأبي محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي.

وهناك أيضا: عمدة المبتدي، لجمال الدين ابن عبد الهادي المقدسي.

(١٣) كلاهما لموفق الدين عبد الله ابن قدامة المقدسي.

وهذا الذي ذكره كالمصنف بالنظر إلىٰ زمانهم، فأما الآن فالاعتماد في مذهب الشافعي من الكتب المختصرة علىٰ مختصر أبي شجاع[١] وشروحه، ومتن الزبد[٢] وشروحه، والإرشاد لابن المقري[٣]، ومن المتوسطة علىٰ الروض[٤] والمنهج[٥]، كلاهما لشيخ الإسلام زكريا، وعلىٰ الأخير شرح للرملي ولابن حجر، فالأول عليه اعتماد المصريين، وعلىٰ الثاني اعتماد الحَرَميين. وفي مذهب أبي حنيفة من الكتب المختصرة علىٰ الكنز[٦] للنسفي، والملتقَىٰ لابن نجيح[٧]، وشروحهما،

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني المتوفىٰ سنة ٥٠٠، ومن شروحه: الإقناع لشهاب الدين أبو الخير أحمد بن محمد بن عبد السلام المنوفي، ثم اختصر منه شرحاً آخر ممزوجاً بفقه منقح وسماه: تشنيف الأسماع بحل ألفاظ مختصر أبي شجاع. والأقناع أيضاً للخطيب الشربيني. وشرحه أيضاً تقي الدين أبو بكر بن محمد الحصني الدمشقي، وشمس الدين محمد بن القاسم الغزي.
كشف الظنون ٢/ ١٦٢٠.

(٢) لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن الحسين ابن رسلان المتوفىٰ سنة ٨٤٤، وهي منظومة في الفقه الشافعي، وممن شرحها عبد الرؤوف المناوي.

(٣) الإرشاد في فروع الشافعية، لشرف الدين إسماعيل بن أبي بكر ابن المقري اليمني المتوفىٰ سنة ٨٣٦، اختصر فيه الحاوي الصغير للقزويني، وعمل عليه شرحا.
كشف الظنون ١/ ٦٩.

(٤) في كشف الظنون ١/ ٩١٩: «الروض، مختصر الروضة للنووي، لابن المقري اليمني، وقد اختصره ابن حجر العسقلاني، ثم شرحه شرحا جمع فيه فوائد لا تحصىٰ، وشرحه أيضاً القاضي زكريا بن محمد الأنصاري شرحا بليغا».

(٥) منهج الطلاب للشيخ زكريا الأنصاري، اختصر به كتاب منهاج الطالبين للنووي، ثم شرحه وسماه: فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب. ولشمس الدين محمد بن أحمد الرملي كتاب: نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج. ولابن حجر الهيتمي كتاب: تحفة المحتاج في شرح المنهاج. كلاهما في شرح منهاج النووي.

(٦) كنز الدقائق لأبي البركات النسفي، من شروحه: تبيين الحقائق لما فيه اكتنز من الدقائق لفخر الدين الزيلعي. ورمز الحقائق لبدر الدين العيني، والبحر الرائق لابن نجيم المصري، والمطلب الفائق لبدر الدين محمد بن عبد الرحمن العيسي الديري.

(٧) كذا في المطبوعة، والمقصود هنا كتاب: ملتقىٰ الأبحر، لإبراهيم بن محمد الحلبي، اشتمل علىٰ=

والمقدمة[١] وشروحها. وفي مذهب مالك من المختصرة علىٰ رسالة ابن تركي[٢]، ومختصر خليل[٣]، وشروحهما. وفي مذهب سيدنا أحمد من المختصرة علىٰ «دليل الطالب» للشيخ مرعي الحنبلي، والإقناع[٤]، وغيرهما. وهذا كله يختلف باختلاف البلدان في المذاهب، فرُبَّ كتاب يكون كثير الاستعمال والانتفاع في بلد لم يشتهر في بلد آخَر، وهذا ظاهر.

ثم إن المقتصر علىٰ ما ذُكر وكذا المقتصد لا يكون فقيهًا، كما أن المقتصر علىٰ سماع الصحيحين لا يسمىٰ محدِّثًا، فقد قال ابن السبكي[٥]: إن المقتصر علىٰ ما عليه الفتيا هو المضيِّع للفقه؛ فإن المرء إذا لم يعرف الخلاف والمآخذ لا يكون فقيهًا إلىٰ أن يَلِج الجمل في سَمِّ الخِياط، وإنما يكون رجلاً ناقلاً نقلاً مخبِّطًا، حامل فقهٍ إلىٰ غيره، لا قدرة له علىٰ تخريج حادث بموجود، ولا قياس مستقبل بحاضر، ولا إلحاق شاهد بغائب، وما أسرع الخطأ إليه، وأكثر تزاحم الغلط عليه، وأبعد الفقه لديه.

= مسائل القدوري والمختار والكنز والوقاية مع زيادات، ومن أشهر شروحه: مجرىٰ الأنهر علىٰ ملتقىٰ الأبحر لنور الدين الباقاني القادري.

(١) مقدمة أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي في فروع الحنفية، وممن شرحها: ذو النون بن أحمد السرماري، ومصلح الدين مصطفىٰ بن زكريا القرماني وسماه: التوضيح، وخليل بن مقبل الحلبي، والحسن بن الحسين الطولوني، وجبريل بن الحسن الكنجاني وسماه: التقدمة في شرح المقدمة.

(٢) خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية، رسالة مختصرة في العبادات علىٰ هيئة سؤال وجواب، لأحمد بن تركي المنشليلي المالكي المتوفىٰ سنة ٩٧٩.

(٣) مختصر الشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي المتوفىٰ سنة ٧٦٧، أحد أشهر كتب الفقه المالكي، وله شروح كثيرة، منها: الدرر في توضيح المختصر لابن الناسخ الطرابلسي، وشفاء العليل لمحمد ابن أحمد البساطي، ومواهب الجليل لمحمد بن محمد الرعيني.

(٤) الإقناع لشرف الدين موسىٰ بن أحمد الحجاوي الصالحي الدمشقي، ومن شروحه: كشف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس البهوتي.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٣١٩.

(وأما) علم (**الكلام فمقصوده حماية**) أي حفظ (**المعتقدات التي نقلها أهل السنة**) والجماعة (**من السلف الصالحين لا غير، وما وراء ذلك**) فإنه (**طلبٌ لكشف حقائق الأمور**) وإفشاء لسر الربوبية (**من غير طريقه**) من إيراد نقل البراهين والحجج، وجلب الكلام من كل جهة (**ومقصود حفظ السنَّة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر، وهو القَدْر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد**) وهو الكتاب الثاني (**من جملة هذه الكتب**) العشرة من الإحياء، وسيأتي بيانه (**والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة**) في المقدار (**وهو الذي أوردناه في كتاب**) لنا يسمَّىٰ: (**الاقتصاد في الاعتقاد**) ذكره ابن السبكي وغيره من جملة كتبه، كما مرَّت الإشارة إليه في مقدمة هذا الشرح، وأما الآن فاشتغالهم الكثير في المختصرة علىٰ «أم البراهين» لمحمد بن يوسف السنوسي، وهو مختصر مفيد، وعلىٰ شروحه للمصنِّف وللشهاب الغنيمي[1]، وعلىٰ الجوهرة[2] للشيخ إبراهيم اللقاني وشروحه الثلاثة، وشروح ولده الشيخ عبد السلام (**ويُحتاج إليه**) أي إلىٰ الاقتصاد فيه (**لمناظرة مبتدع**) ودفع شُبَهِه (**ومعارضة بدعته**) التي يورد حججها (**بما يفسدها**) وينقضها (**وينزعها عن قلب العامِّي**) الذي لم ينظر في العلوم (**وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصُّبهم**) في الدين (**وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل**) ويتعلم طرق المناظرة (**ولو شيئًا يسيرًا**) أي قليلاً (**فقلَّما ينفع معه الكلام**) في المعتقدات (**فإنك إن أفحمته**) أي أسكتَّه بإيراد البراهين عليه (**لم يترك مذهبه**) الذي إليه يذهب، ولا مورده الذي إليه يَرِد ومنه يشرب (**وأحال بالقصور**) عن الجواب (**علىٰ نفسه، وقدَّر أن عنده جوابًا ما وهو عاجز عنه**) أي عن بيانه. وفي

---

(١) في المطبوعة: القاسمي، وهو خطأ. واسم شرحه: بهجة الناظرين في محاسن أم البراهين.

(٢) جوهرة التوحيد، منظومة في الكلام لإبراهيم اللقاني المالكي، وله عليها ثلاثة شروح: كبير ومتوسط وصغير، واسم المتوسط: تلخيص التجريد لعمدة المريد. وشرحها أيضاً ولده عبد السلام بن إبراهيم شرحاً موجزًا وسماه: إرشاد المريد. ثم شرحها ثانياً شرحًا متوسطاً وسماه: إتحاف المريد، وقد طبعت هذه الشروح الثلاثة، وطبع الكبير منها في أربعة مجلدات بدار النور المبين.

بعض النسخ: وقال إن عند غيره جوابًا ما وهو عاجز عنه **(وإنما أنت ملبِّس عليه بقوة المجادلة)** هكذا شأن المبتدعة إذا أُفحموا **(وأما العامِّي إذا صُرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يُرَدُّ إليه)** أي إلىٰ الحق **(بمثله)** ولكن ذلك **(قبل أن يشتد التعصب)** منه **(للأهواء)** المتصلة بفراغ قلبه عن الهوىٰ وتزلزله، فأيُّ معتقد ورد عليه قَبِلَه ثم عن قريب إذا رُدَّ إلىٰ شيء آخَر قَبِلَه كذلك **(فإذا اشتد تعصبهم)** للأهواء ومرنوا علىٰ ذلك، وتمكَّن فيهم ذلك المعتقدُ الفاسد **(وقع اليأس منهم)** ولم ينفع العلاج فيهم **(إذ التعصب سبب)** قوي **(يرسِّخ)** أي يثبِّت **(العقائد في النفوس)** ويركِّزها فيها **(وهذا أيضًا من آفات علماء السوء)** الآكلين بدنياهم **(فإنهم يبالغون في التعصب للحق)** أي لإظهاره **(وينظرون إلىٰ المخالفين)** لهم **(بعين الازدراء والاستحقار)** والإنكار الشديد **(فتنبعث)** أي تتحرك **(منهم)** من المخالفين **(الدواعي)** المهيِّجة **(بالمكافأة)** أي المجازاة **(والمقابلة والمعاملة)** فيسبُّوا الله عَدْوًا بغير علم **(وتتوفَّر بواعثُهم علىٰ طلب نصرة باطلهم)** وفي نسخة: نصرة الباطل **(ويقوىٰ غرضُهم)** وقصدهم **(في التمسك بما نُسبوا إليه)** من فساد العقيدة، وهذا منشؤه من سوء النظر في البحث، وتشنيعهم عليهم في المجالس علىٰ ملأ من الناس **(ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة)** والشفقة عليهم مع خلوص القلب من التعصبات **(والنصح في الخلوة)** عن الناس **(لا في معرض التعصب)** عليهم **(والتحقير)** لشأنهم **(لأنجحوا فيه)** وأفادوا **(ولكن لما كان الجاه لا يقوم)** ركنه **(إلا بالاستتباع)** أي طلب الاتِّباع **(ولا يستميل)** خواطرَ **(الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم)** والازدراء بهم بكل ما أمكن **(واتخذوا التعصب عادتهم)** وتساوَىٰ في ذلك صغارهم وقادتهم **(و)** جعلوا ذلك **(آلتهم)** وحرفتهم **(وسموه)** بحسب ظنهم الفاسد **(ذبًّا عن الدين)** أي دفعًا عنه **(ونضالاً)** أي مناضلة ومدافعة **(عن المسلمين، وفيه علىٰ التحقيق)** إذا تأملوا **(هلاكُ الخَلْق)** لتقليدهم إياهم في ذلك **(ورسوخ البدعة في النفوس)** فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(**وأما الخلافيات**) وهي المسائل التي فيها خلاف المذاهب (**التي أُحدثت في هذه الأعصار**) أي الأزمان (**المتأخرة**) وهو القرن الرابع (**وأُبدع فيها من التحريرات**) المستقصية (**والتصنيفات**) المستفيضة (**والمجادلات**) الهائلة (**ما لم يُعهَد مثلها**) ولم يُعرَف (**في**) أيام (**السلف**) المتقدمين (**فإياك**) أيها السالك طريقَ الآخرة (**وأن تحوم حولها**) وتتعب في تحصيلها وتعوِّل عليها (**واجتنِبْها اجتنابَ السم القاتل**) ولو حسنت عباراتُها وراقت معانيها، فإنما مَثَل مَن يحاولها كمن يحاول حية نظر اللين مجسها وحسن شكلها فيجعلها طوقًا في عنقه فتلدغه (**فإنه الداء العُضال**) الذي لا بُرْء منه (**وهو الذي رد الفقهاء كلهم**) وصرفهم بسببه (**إلىٰ طلب المنافسة**) والإعجاب والكِبْر (**والمباهاة**) أي المفاخرة مع التعصب الشديد (**علىٰ ما سيأتيك تفصيل غوائلها**) أي مهلكاتها (**وآفاتها**) في كتاب ذم الغرور (**وهذا الكلام ربما يُسمَع من قائله**) المنكِر لذلك (**فيقال: الناس أعداء ما جهلوا**) فيُنزِل قائله غير منزلته، وينسبه إلىٰ الجهل والتسفيه وعدم الذوق السليم من الفطرة، وهي كلمة حق أُريدَ بها باطل (**فلا تظنَّ ذلك**) بالقائل؛ فإن بعض الظن إثمٌ (**فعلىٰ الخبير**) العارف الماهر (**سقطت**) أي نزلتَ (**فيه**) وهو مَثَل مشهور (**فاقبل هذه النصيحة**) المحضة (**ممن ضيَّع العمر**) ونفد صرفه (**فيه زمانًا**) واشتغل به كثيرًا (**وزاد فيه علىٰ الأوَّلينَ**) ممن سبق في كل فن (**تصنيفًا وتحقيقًا وجدلاً وبيانًا**) حتىٰ في علم السحر والسيمياء والنجوم والكيمياء، كما هو معروف لمن أمعن في ترجمته (**ثم ألهمه الله رشده**) وبصره بنفسه (**وأطلعه علىٰ عيبه**) بتوفيق من الله تعالىٰ وحسن عنايته، وذلك بعد رجوعه من أرض الحرمين (**فهجره**) أي تركه كله وساح وتجرَّد (**واشتغل بنفسه**) باستعمال الرياضات والمجاهدات، والاقتناع بأقلِّ الأقوات، مع كثرة من يعظِّمه من أرباب الدنيا، ويأتون إليه بالأموال، فلم يرفع رأسه إليهم ولا إليها، ومضىٰ علىٰ ذلك إلىٰ آخر عمره علىٰ جميل وسداد، وهو يشير إلىٰ قول من قال: سَلِ المجرِّب ولا تسأل طبيبًا (**فلا يغرَّنَّك قول مَن

يقول: **الفتوىٰ عماد الشرع)** وركنه الذي يأوىٰ إليه **(ولا تُعرَف عللها)** الخفية **(إلا بعلم الخلاف)** ولا تظهر ثمرتها إلا به **(فإن علل المذهب مذكورة في)** كتب **(المذهب)** لم يغادر شيئًا منها **(والزيادة عليها مجادلات)** وخصومات **(لم يعرفها الأوَّلون)** من السلف في عصر أتباع التابعين ومَن فوقهم عصر التابعين **(ولا الصحابة)** رضوان الله عليهم، بل كانوا ينكرون علىٰ من يجادل، ويحسمون مادة الخلافيات، كما هو مشهور من سيرتهم **(وكانوا أعلم)** الناس **(بعلل الفتاوىٰ من غيرهم)** لتنوُّر بصائرهم، واقتباسهم من مشكاة النبوة **(بل هي)** أي علل الفتاوىٰ **(مع أنها غير مفيدة في علم المذهب)** لعدم احتياجه إليها **(فهي ضارَّة)** للفقيه **(مُفسِدة لذوق الفقه)** وسرِّه **(فإن الذي يشهد له حدس المفتي)** وتخمينه **(إذا صح ذوقه في الفقه)** وتمكَّن منه **(لا يمكن تمشيته علىٰ شروط الجدل)** التي يذكرونها **(في أكثر الأمر، فمَن أَلِفَ طبعه)** من أصل جِبِلَّته **(رسومَ الجدل)** وتعلَّق بها **(أذعن ذهنه)** وانقاد **(لمقتضيات الجدل)** والخلافيات **(وجبن)** أي تأخر ونكص **(عن الإذعان لذوق الفقه)** والانقياد له **(و)** الحق **(إنما يشتغل به)** صارمًا عمره إليه **(من يشتغل بطلب الصيت)** وشهرة الاسم **(و)** تحصيل **(الجاه)** والمنزلة عند الأمراء والملوك **(ويتعلَّل)** للناس **(بأنه يطلب علل المذهب)** لا غير، وأن قصده بذلك رفعُ عماد المذهب ونصرته **(وقد ينقضي عليه العمرُ)** النفيس **(ولا يصرف همَّته إلىٰ علم المذهب)** إلا قليلاً **(فكنْ من شياطين الجن في أمان)** فإنهم ينطردون عنك بالآيات والأذكار، ولا يقربونك بمَضَرَّة، وعداوتك لهم وعداوتهم لك ظاهرة، فيمكن دفعُهم بأيسر شيء **(واحترزْ من شياطين الإنس)** وهم علماء السوء **(فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب)** والمشقَّة **(في الإغواء والإضلال)** ولكثرة مخالطتهم مع الناس، وكونهم علىٰ سمة العلماء، ولا يمكن الاحتراز عنهم، فيستفيد مُعاشِرُهم الانحيادَ عن السلوك السويِّ، ويقع في مخاطرة عظيمة.

واعلم[١] أن الشياطين علىٰ نوعين: نوع يُرَىٰ عيانًا وهو شيطان الإنس وهم علماء السوء، ونوع لا يُرَىٰ وهو شيطان الجن، وقد أمر الله سبحانه نبيَّه ﷺ أن يكتفي من [شر] شيطان الإنس بالإعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه، وجمع بين النوعين في سورة الأعراف [وسورة المؤمنين] وسورة فُصِّلت، والاستعاذة في القراءة والذِّكر أبلغ في دفع [شر] شياطين الجن، [والعفو] والإعراض والدفع بالإحسان أبلغ في دفع [شر] شياطين الإنس

فما هو إلا الاستعاذةُ ضارعًا	أو الدفع بالحسنىٰ هما خير مطلوبِ
فهذا دواء الداء من شر ما يُرَىٰ	وذاك دواء الداء من شر محجوبِ[٢]

(**وبالجملة**) أي حاصل الكلام (**فالمَرْضيُّ**) المقبول (**عند العقلاء**) العُرَفاء الأكياس (**أن تعدَّ**) وفي بعض النسخ: أن تقدِّر (**نفسك في العالم وحدك مع الله**) تعالىٰ أنه العليم البصير، المطَّلع علىٰ أمورك وحركاتك وسكناتك (**وبين يديك الموت**) كأنه اقترب (**والعرض**) بين يديه كأنَّك وقفت له (**والحساب**) علىٰ القليل والكثير (**والجنة والنار**) كأنهما قد أُزلفتا (**وتأمَّلْ**) بفكرك (**فيما يعينك**) في تلك الأهوال الكائنة (**مما بين يديك**) وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لمَّا قال له ابن عباس عند موته كأنه يزيل جزعه ويهوِّن عليه الأمرَ بذِكر محاسنه: لو أن لي طِلاع الأرض ذهبًا لافتديتُ به من هول المَطْلع. كما رواه البخاري من حديث ابن أبي مليكة عنه[٣].

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٢/ ٤٢٣. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

(٢) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ١٧ وفيه: والله، لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله ﷻ قبل أن أراه.

وأخرج الخطيب في «اقتضاء العلم»[١] من طريق يزيد بن إبراهيم، سمعت الحسن يقول: قال أبو الدرداء: ابنَ آدم، اعملْ كأنك تراه، واعدُدْ نفسك في الموتىٰ، واتقِ دعوة المظلوم.

(ودَعْ عنك ما سواه) فإنه مضمحلٌّ وآيِلٌ إلىٰ البطلان. وهذه الكلمة القليلة جامعة لمحاسن علم التصوُّف، ولقد أحسن مَن قال:

دَعْ ما سوىٰ الله فالأكوان قاطبةً ظِلٌّ يزول فلا تغررك زينتُها[٢]

وقال آخَر:

إذا رُمْتَ مَن تهوىٰ دَعِ الدنيا وأهمِلْها[٣]

وقال آخَر:

فمَن سرَّه أن لا يرىٰ ما يسوءه فلا يتخذ شيئًا يخاف له فَقْدا[٤]

(والسلام) علىٰ أهل التسليم (**وقد رأىٰ بعضُ الشيوخ بعضَ العلماء**) ونص القوت[٥]: ورأىٰ بعضُ أهل الحديث بعضَ فقهاء أهل الكوفة [من أهل الرأي] بعد موته (**في المنام، فقال له**) ونص القوت: قال: فقلتُ له: ما فعلتَ فيما كنت عليه من

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص ٢٧. وهو موقوف ضعيف؛ للانقطاع بين الحسن البصري وأبي الدرداء.

(٢) لم أقف علىٰ قائله.

(٣) عجز بيت صدره:

إذا ما شئت لقياه تذكر حافظ قولا

وهو لحافظ الشيرازي في ديوانه ص ١ (ط – مهرانديش بطهران) والرواية فيه: متىٰ ما تلقىٰ من تهوىٰ ... الخ.

(٤) البيت في تاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/ ٢٠٠ منسوبا إلىٰ عبيد الله بن طاهر الخزاعي أمير بغداد، وقبله بيت آخر وهو:

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنىٰ ويأخذ ما أعطىٰ ويفسد ما أسدىٰ

(٥) قوت القلوب ١/ ٢٢٩. والزيادات التي بين حاصرتين منه.

الفتيا والرأي؟ قال: فكره وجهه وأعرض عني وقال: ما وجدناه شيئًا، ولا حمدنا عاقبته. وحدَّثونا عن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه قال: رأيت الخليل بن أحمد في النوم بعد موته، فقلت: ما أجد أعقل من الخليل، لأسألنَّه، فقال لي: أرأيت ما كنا فيه، فإني لم أرَه شيئًا، ما رأيتُ أنفع من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وحدَّثونا عن بعض الأشياخ قال: رأيت بعض العلماء في المنام فقلت [له]: (**ما خبر**) ونص القوت: ما فعلتْ (**تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها**) ونص القوت: كنا نجادل فيها ونناظر عليها؟ قال: (**فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت**) أي ذهبت (**كلُّها هباء منثورًا، وما انتفعتُ إلا بركعتين خلُصتا لي في جوف الليل**) وفي القوت: حصلتا لي.

وهذا الذي أوردناه عن القوت في سياق قصة الخليل قد أخرجه الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب الاقتضاء[1] من وجهين، أحدهما من طريق عبد الله بن محمد، حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثني محمد بن خالد، حدثني علي ابن نصر -يعني أباه- قال: رأيت الخليل ... فساقه كما هو في القوت. ومن طريق أحمد بن عبد الله الترمذي، سمعت نصر بن عليٍّ يقول: سمعت أبي يقول: رأيتُ الخليل بن أحمد في المنام، فقلت له: ما فعل بك ربُّك؟ قال: غفر لي. قلت: بما نجوتَ؟ قال: بلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم. قلت: كيف وجدتَ علمك؟ -أعني العَرُوض والأدب والشِّعر- قال: وجدتُه هباء منثورًا.

(**وفي الحديث: ما ضل قومٌ بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل. ثم قرأ:** ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]) هكذا أورده صاحب القوت[2]

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص ٩٢ - ٩٣.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٣٩.

بلا إسناد. وقال العراقي[١]: أخرجه الترمذي[٢] وابن ماجه[٣] من حديث أبي أُمامة، قال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: أخرجاه من رواية حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة. وأبو غالب اسمه حَزَوَّر، وقيل: سعيد بن حَزَوَّر. وقد أخرجه أيضًا الإمام أحمد في مسنده[٤]، والحاكم في التفسير[٥] وصحَّحه، والطبراني في الكبير[٦]، والضياء المقدسي في المختارة، واللالكائي في السنَّة[٧]، كلُّهم من رواية أبي غالب عن أبي أُمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، واقتصروا على الحديث[٨]، وليس في سياقهم: ثم قرأ ... الخ، إلا اللالكائي فإنه ساقه بتمامه، وأقرَّه[٩] الذهبي في التلخيص.

قال المناوي[١٠]: يعني مَن ترك سبيل الهدىٰ وركب سنن الضلالة لم يمشِ حالُه إلا بالجدل، أي الخصومة بالباطل.

وقال القاضي في تفسيره[١١]: المراد التعصُّب لترويج[١٢] المذاهب الفاسدة

---

(١) المغني ١/ ٣٠.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٢٩٧.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٧٧.

(٤) مسند أحمد ٣٦/ ٤٩٣، ٥٤٠.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٢٦.

(٦) المعجم الكبير ٨/ ٣٣٣.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١١٤.

(٨) بل ساقوه بتمامه مثل رواية الترمذي وابن ماجه.

(٩) أي أقر الذهبي الحاكم علىٰ تصحيح الحديث.

(١٠) فيض القدير ٥/ ٤٥٤. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(١١) عبارة (في تفسيره) ليست في الفيض، ولم أقف علىٰ هذا الكلام في تفسير البيضاوي، بل قال عند تفسير هذه الآية: ما ضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل. تفسير البيضاوي ٥/ ٩٤.

(١٢) في المطبوعة: لتخريج. والمثبت من الفيض.

والعقائد الزائغة[١] لا المناظرة لإظهار الحق واستكشاف الحال واستعلام ما ليس معلومًا عنده [أو تعليم غيره ما عنده] فإنه فرض كفاية خارج عمَّا نطق به الحديث.

(وفي الحديث في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٧] **قال: هم أهل الجدل الذين عناهم الله تعالىٰ بقوله:** ﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ [المنافقون:٤]) هكذا أورده صاحب القوت[٢] بلا سند. وقال العراقي[٣]: متفق عليه[٤] من حديث عائشة ﷺ.

قلت: وكذا أبو داود[٥] والترمذي[٦]، كلُّهم من رواية ابن أبي مُلَيكة عن القاسم عنها بلفظ: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتَ الذين يتَّبعون ما تشابَهَ منه فأولئك الذين سمَّىٰ اللهُ، فاحذروهم». وقد رواه ابن ماجه[٧] من رواية أيوب عن ابن أبي مُلَيكة عن عائشة، وفيه: فقال: «يا عائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنىٰ اللهُ، فاحذروهم ...» الحديث. فلم يذكر بين ابن أبي مليكة وعائشة القاسمَ.

والزيغ[٨]: الميل عن الاستقامة.

---

(١) في الفيض: المذاهب الكاسدة والعقائد الزائفة.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٣٩.

(٣) المغني ١/ ٣٠.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ٢٠٧. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٠.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ١٨٣.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٩٩.

(٧) سنن ابن ماجه ١/ ٧٥.

(٨) المفردات للراغب ص ٢١٧.

والجدل[١] هو المخاصمة والمقاوحة علىٰ سبيل المغالبة، وأصله من جدلت الحبلَ: إذا فتلته فتلاً محكمًا، فكأنَّ كِلا المتجادلينِ يفتل صاحبه عن قوله إلىٰ قوله. وقيل: أصله من الجَدْل وهو القوة، فكأنَّ كِلا المتجادلينِ يقوِّي قوله ويُضعِف قول صاحبه. وقيل: أصله من [المصارعة والإلقاء علىٰ] الجَدالة وهي الأرض، فكأنَّ كلاً منهما يريد أن يصرع صاحبه ويجعله بمنزلة مَن يلقيه بالجدالة.

(وقال بعض السلف: يكون في آخر الزمان قوم يُغلَق عليهم باب العمل ويُفتَح عليهم باب الجدل) أورده صاحب القوت[٢] هكذا، ونصُّه: وعن بعض السلف: يكون في آخر الزمان علماء، بدل: قوم، والباقي سواء.

(وفي بعض الأخبار: إنكم في زمان أُلهمتم فيه العمل، وسيأتي قوم يُلهَمون الجدل) هكذا أورده صاحب القوت[٣] بلا إسناد. وقال العراقي[٤]: لم أجد له أصلاً. ا.هـ.

ومن شواهده ما أخرجه الخطيب في الاقتضاء[٥] من طريق العباس بن الوليد بن مزيد قال: أخبرني أبي، سمعت الأوزاعي يقول: إذا أراد الله بقوم شرًّا فتح عليهم باب الجدل ومنعهم العمل.

وأخرج اللالكائي في السنَّة[٦] من رواية يحيىٰ بن معين قال: حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا بكر بن مُضَر، عن الأوزاعي ... فساقه، إلا أنه قال: ألزمهم الجدل، والباقي سواء.

---

(١) عمدة الحفاظ للسمين ١/ ٣١٢. والزيادة التي بين حاصرتين منه.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٣٩.

(٣) السابق.

(٤) المغني ١/ ٣١ ونصه: لم أجده.

(٥) اقتضاء العلم العمل ص ٧٩.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٤٥.

وأخرج الخطيب[١] من طريق عبد الله بن خُبَيق، سمعت إبراهيم البَكَّاء يقول: سمعت معروف بن فيروز الكرخي يقول: إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرًّا فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل.

(وفي الخبر المشهور) عن رسول الله ﷺ قال: (**أبغض الخَلْق إلىٰ الله تعالىٰ الألَدُّ الخَصِم**) قال العراقي[٢]: متفق عليه[٣] من حديث عائشة ﵂.

قلت: هكذا أورده صاحب القوت[٤] بلا إسناد، وقد أخرجه أيضًا الإمام أحمد[٥] والترمذي[٦] والنسائي[٧]، كلُّهم من رواية ابن جُرَيج عن ابن أبي مُلَيكة عن عائشة، وسياقهم كلهم: أبغض الرجال، وقال الترمذي: حديث حسن.

قال المناوي[٨]: وإنما خصَّ الرجال لأن اللدد فيهم أغلبُ، ولأن غيرهم تبعٌ لهم في جميع المواطن، والألَدُّ هو الشديد الخصومة بالباطل، الآخِذ في كل لَدَد، أي في كل شيء من المِراء والجدال، والخَصِم: المولع بالجدال، الماهر فيه، الحريص عليه، المتمادي فيه بالباطل، وهو يُظهِر أنه علىٰ الحسن الجميل، ويوجِّه لكل شيء من خصامه وجهًا[٩] بحيث صار ذلك عادته، فالأول ينبئ عن الشدة،

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص ٨٠.

(٢) المغني ١/ ٣١.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ١٩٤، ٣/ ٢٠١، ٤/ ٣٣٩. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٠.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٣٩.

(٥) مسند أحمد ٤٠/ ٤٠١، ٤٢/ ٤٦٥.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٨٥.

(٧) سنن النسائي ص ٨١٧.

(٨) فيض القدير ١/ ٨٠.

(٩) بعده في الفيض: ليصرفه عن إرادته من القباحة إلىٰ الملاحة، ويزين بشقشقته الباطل بصورة الحق وعكسه.

والثاني عن الكثرة.

(**وفي الخبر: ما أُوتيَ قوم المنطق إلا مُنعوا العمل**) قال العراقي[1]: لم أجد له أصلاً.

قلت: أورده صاحب القوت[2] من طريق الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن ابن أبي ليلىٰ رفعه.

قلت: عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ تابعي، عالِم الكوفة، روىٰ عن أبيه وعمر ومعاذ، وعنه ابنه عيسىٰ وحفيده عبد الله وثابت، مات سنة ٨٣[3]، والصحبة لأبي ليلىٰ[4]، فهذا الحديث مرسَل.



(١) المغني ١/ ٣١.

(٢) قوت القلوب ١/ ٢٣٩.

(٣) الكاشف للذهبي ١/ ٦٤١ وزاد: كان أصحابه يعظمونه كأنه أمير.

(٤) اختلف في اسمه، فقيل: يسار بن نمير، وقيل: أوس بن خولي، وقيل: داود بن بليل بن بلال بن أحيحة، وقيل: يسار بن بلال بن أحيحة، وقيل: بلال بن بليل، وقال ابن الكلبي: اسمه داود بن بلال ابن أحيحة ابن الجلاح. شهد مع النبي ﷺ أحدًا وما بعدها من المشاهد، ثم انتقل إلىٰ الكوفة، وشهد هو وابنه عبد الرحمن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مشاهده كلها. الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٤٥٨.